

انتشارات دانشگاه تهران
١٦١٤

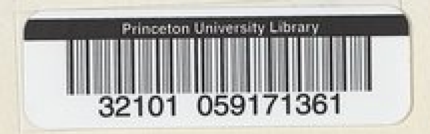
«قد جاءكم بصائر من ربكم»
«فمن أبصر فلنفسه»
«ومن عمي فعليها»
«الأنعام - ١٠٤»

الإسلام والشيعة (الإمامية)
في
أساسها التاريخي
وكيانها الاعتقادي

لمؤلفه الفاني
محمود الشهابي الخراساني
الأستاذ «الممتاز» بجامعة تهران

الجزء الأول (من الأجزاء الثلاثة)

الطبعة الاولى


Princeton University Library
32101 059171361

الأسلام والشيعة (الامامية)



انتشارات دانشگاه تهران

شمارهٔ ۱۶۱۴

شمارهٔ مسلسل ۲۰۰۱

تهران ۲۵۳۶ شاهنشاهی

Shihabi

«قد جاءكم بصائر من ربكم»

«فمن ابصر فلنفسه»

«ومن عمى فعليها»

«الأنعام - ١٠٤»

الاسلام والشيعة (الامامية) في اساسها التاريخي و كيانها الاعتقادي

لمؤلفه الفاني

محمود الشهابي الخراساني

الأستاذ «الممتاز» بجامعة تهران

الجزء الأول (من الأجزاء الثلاثة)

الطبعة الاولى

«إنَّ الدّينَ عِندَاللهِ الإسْلامُ . . . »
(سورة آل‌عمران، الآية‌ال١٩)

« و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ «الأسلام» دِيناً
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فی الآخِرَةِ
مِنَ الْخاسِرِينَ »
(سورة آل‌عمران، الآية ال٨٥)

«اِنَّ الّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ
اُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة »
(سورة البيّنة)

«فقال النّبىّ صلّى الله عليه و سلّم :
« اَنْتَ يا عَلىُّ و شيعَتُكَ »
(تفسيرالكبير للطّبرى ـ ذيل‌الآية ـ بإسناده)

يَرَى النّاسُ دُهْناً فِىْ قَوارِيرَ صافِياً
وَ لَمْ يَدْرِ ما يَجْرِىْ على رَأْسِ سِمْسِمِ

ناشر
مؤسسهٔ انتشارات و چاپ دانشگاه تهران
چاپ وصحافی این کتاب در آذر ماه ٢٥٣٦ شاهنشاهی
در چاپخانهٔ مؤسسهٔ انتشارات وچاپ دانشگاه تهران به پایان رسید

بها : ٨٥٠ ریال



فهرس

عناوين مطالب الكتاب

اجمالاً

و

تفصيلاً

كليّات ما فى الجزء الأوّل

١ـ حولَ التّوجّه الى المبدء والمآل وما يقتضيه الحال من الأعمال .

٢ـ حولَ الرّسول والرّسالة والمعجزة .

٣ـ حولَ الأديان الفاضلة ، والكتب المُنْزَلة ، والإشارة الى اهمّ مزايا قرآن الكريم .

٤ـ حولَ كون الإسلام خاتِم الأديان ، فمنهاجُه اكمل المناهج .

٥ـ حولَ شخصيّة الرّسول ، العظمىٰ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٦ـ حولَ كيفيّة الدّعوة بمكّة وسبب الجاء الرّسول (ص) الى الهجرة .

٧ـ حولَ الهجرة الى المدينة ، وماجرىٰ فيها و ترتّب عليها .

٨ـ حولَ ماجرت فى سفره الأخير الىٰ مكّة للحجّ .

٩ـ حولَ ماجرت فى مرض الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وحين وفاته .

١٠ـ حولَ العترة و اهل البيت .

١١ـ حولَ الخلافة والخليفة .

١٢ـ حولَ العودة الى السّقيفة .

١٣ـ حولَ ماجرىٰ بعد السّقيفة .

١٤ـ حولَ نَشْأة الشيعة .

١٥ـ حولَ الاختلاف فى الخلافة .

١٦ـ حولَ الوقائع المهمّة فى خلافة **ابى‌بكر** (رض) .

١٧ـ حولَ مدة خلافة **عمر** (رض) .

١٨ـ حولَ الطّريق الثالث .

١٩ـ حولَ ماجرى فى خلافة **عثمان** (رض) .

٢٠ـ حولَ مواقف امّ المؤمنين ، عائشة ، والصّحابة من **عثمان** .

فهرس ما فى الجزء الاوّل بالتّفصيل

ـ ١ ـ

حولَ التّوجُّه الى المبدء والمآل ومايقتضيه الحال من الأعمال

ـ ٢ ـ

حول الرّسول و الرّسالة و المعجزة

الصّفحة

ـ ٣ ـ

حول الاديان الفاضلة والكتب المنزّلة والاشارة الى اهمّ مزايا القرآن

الصّفحة

ـ ٤ ـ

حولَ كون الاسلام خاتم الاديان ، فمنهاجه اكمل المناهج و اهديها الى ارشاد الخلائق

ـ ٥ ـ

حولَ شخصيّة الرّسول العظمىٰ صلّى الله عليه وآله وسلّم

الصّفحة

ـ ٧ ـ

حولَ الهجرة الى المدينة وماجرت فيها وماترتّبت عليها

الصّفحة

ـ ٨ ـ

حولَ ماجرت فى سفره الاخير الى مكة للحجّ

الصّفحة

— ٩ —

حولَ ماجرت فی مرض الرسول وحین وفاته

— ١٠ —

حولَ العترة و اهل البيت

الصّفحة

الصّفحة

ـ ١١ ـ

حولَ الخلافة و الخليفة

الصّفحة

ـ ١٢ ـ

حولَ العودة الى السّقيفة

الصّفحة

- ١٣ -

حول ماجرى بعد السّقيفة

- ١٤ -

حول نشأة الشّيعة

الصّفحة

ـ ١٥ ـ

حولَ الخلافة والأختلاف فيهاٰ

ـ ١٦ ـ

حولَ الوقائع المهمّة فى خلافة ابى بكر ،رض،

الصّفحة

الصّفحة

— ١٧ —

حولَ خلافة عمر ،رض ،

— ١٨ —

حولَ الطّریق الثّالث

الصفحة

- ١٩ -

حول ماجرى فى خلافة عثمان

الصّفحة

- ٢٠ -

حول مواقف امّ المؤمنين، عائشة، والصّحابة من عثمان

مقدمة

كتاب الاسلام والشّيعة الاماميّة...

لمؤلّفه الفانى

محمود الشّهابى الخراسانى

غُفِرله و لوالدَيْه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلوة والسّلام على سيّدنا محمّد سيّد المرسلين ، و خاتم النّبيّين ، و على آله و عترته المطهّرين ، و على صفوة اصحابه الرّاشدين .

و بعد فيقول الحقير الوانى ، محمود الشّهابىّ ـ الخراسانى :

انّ اصدق كلمة يحقّ ان يصدّر بها الكلام ، بعد الحمد و التّصلية والسّلام ، كلمة اَشْهَدُ اَنْ لااِلهَ اِلّاالله ، الأَحَد الصَّمد، الّذِىْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَد، وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا اَحَدٌ. وَ اَشْهَدُ اَنَّ مُحمّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَب وَ رَسُولُهُ الْمُنْتَخَب ، الصّادقُ المُصَدَّقُ فى كلّ ما قال وَ نَطَقَ ، و اَنَّ ماجاءَ بِهِ مِنَ الشَّرعَةِ وَ الْمِنْهاجِ وَحْىٌ مِنَ اللهِ وَحَقٌّ . وَ اَنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم تَرَكَ للاُمَّةِ ما اِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا اَبَداً بَعْدَهُ : كِتابَ اللهِ والعِتْرةَ ، وَعَلِىٌّ رَأْسُ العِتْرةِ ، وَ ابُوالاَئمّةِ ، هُداة الاُمَّة ، اهل بيت الرسالة و فروعِ دَوْحَةَ السّفارة .

اَللّهُمَّ ثَبِّتْنا عَلَى مَاارْتَضَيْتَ لَنا مِنَ الدّيْنِ ، واجْعَلْنا مِنَ الْمُتَمَسّكِيْنَ بماتَرَكَ لَنارسُولُكَ الاميْنُ ،خاتِمُ الاَنْبياء والمرسلين وَ احْشُرنا مَعَهُ و مَعَ عِتْرَتِهِ الطّاهِرِيْن و آلِ بَيْتِهِ المُكَرَّمِيْنَ .

ثمّ يقول :

ممّا يتجلّىٰ فى الاسلام جدّ جليّة هو شدّة اهتمامه بالوحدة و الاتّحاد ، والألفة و الاتّفاق، فجُعلتْ فيه آية من آيات المؤمن انه «الِفٌ مأْلوفٌ» و أُنزل فى حقّ المؤمنين على سبيل الحصر ، انّهم أخوة ، و اُمرت الامّةُ بالاعتصام بحبل الله بالاجتماع ، و مُنعت عن التفرّق و الاختلاف ، و شُرعت لهم الجماعة ، و الجمعة ، والعيدَيْن ، والحجّ للفوز بالتّعاهُد والتّآلُف للمجاورين فى كلّ يوم و ليلة ، ولاهل المحلّة فى كلّ اسبوع ، و لاهل البلدة فى كلّ سنة ، ولاهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنائية المتكثّرة فى جميع العمر ، ولو مرّةً ، و فرضتْ عليهم الزكوات و الصّدقات، و سُنّت العطيّات و النّفقات ، لتوطيد اساس المحبّة و الولاء بين الاغنياء و الفقراء (مضافا الى مالها من الخيرات التّامّة و المصالح العالية العامّة)

هذه جليّة الحال عند من تأمّل فى مقاصدالاسلام و دعاياته ، وتوجّه الى القرآن المجيد و آياته ، فانظر الى قوله تبارك و تعالى : «اِنَّما الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ»[١]

و قوله ، جلّ و علا ، : «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جميعاً ، و لا تَفَرَّقُوا ، وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم اِذْ كُنْتُمْ اَعْداءً فالّفَ بَيْنَ قلوبكُم ، فَاَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ اِخْواناً ...»[٢] و قوله عزّ وجلّ : «وَ لا تَكُونُوا كالَّذيْنَ تَفَرَّقُوا ، وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ماجائتهُمُ الْبَيِّنات ...»[٣] و قوله جلّ جلاله : وشَرَعَ لكُمْ مِنَ الدّيْنِ ما وَصّىٰ به نوحاً ، وَ الّذىٰ اَوْحَيْنا اِلَيْكَ ، وما وصَّيْنا

١- الاية العاشرة من السورة ال٤٩ (الحجرات) .

٢- الاية ال١٠٣ من السورة الثالثة (آل‌عمران) .

٣- الاية ال١٠٥ (من آل‌عمران)

بِهِ ابْراهيمَ وَ مُوسىٰ وعيسىٰ ، اَنْ اَقيمُوا الدِّينَ ولاتَتَفَرَّقُوا فيهِ...»[1] والى كثيرٍ من الآيات ، والرّوايات ، الواردة بهذا المضمون ، لانطيل بذكرها .

هذا ما اهتمّ به الدّين ، و اراده الله و رسوله ، من المسلمين . فيجب ان تدور عليه حياتهم فى افكارهم ، واقوالهم ، وافعالهم ، وجميع حركاتهم وسكوناتهم ، وكيف لا وجميعهم مؤمنون بانّ الٰهَهم واحد ، وكتابهم واحد ، و شرعهم واحد ، و بالجملة كلّهم معتقدون بالدّين ، و بكلّ ما ورد فى الدّين ، و مذعنون بوجوب الطّاعة و الامتثال لما ثبت فى الدّين باليقين ؟

المسلمون ، بحسب الايمان والاعتقاد ، يحومون حول امرٍ واحد ، و يدورون على محور مركز فارد ، فهم بهذا الاعتقاد والايمان ، ان توجّهوا اليه و حافظوا عليه ، كنفس واحدة ، منضماً كلٌ الى غيره بالسّنخيّة ، ولا مدخل للخلاف و الاختلاف بينهم ، و ماداموا كان ذاك الايمان والاعتقاد فيهم راسخا ، وكان عملهم وَفق مايقتضيه ذلك الاعتقاد قائماثابتا ، ماانفكّوا عن الاتّحاد والائتلاف فمابرَحوا متعانقين السّيادةَ والسّعادة والاعتلاء .

- ٢ -

ذاك ماهدىٰ اليه الاسلام وارشد ، واهتمّ به الدّين وشدّد ، وهذا مايلزَمه خالص ايمان المسلمين و يوجبه ادّعائهم المتقن و اعترافهم المؤكّد . فمن اين دبّ فيهم تنّين-الخلاف ؟ وكيف حدث بينهم حدث الاختلاف ؟ و لِمَ صار اختلافهم بحيث اورث-التّفرقة ، و صيّرهم فرقةً خصيم فرقة ، و جعلهم طوائف تُعادى ، بل تقاتل ، طائفةٌ طائفة ؟

فياللاسف كم من مجادَلات قوليّة وتعصّبات كلاميّة ، اتّفقت بين هذه الطّوائف و الفِرَق !؟ وكم من مجاوَلات فعليّة دامية ، حدثت فى ماوقع واتّفق : تارةً بين الحنفيّة و بين الشّافعيّة ! ومرّةً بين الحنبليّة وبين غيرها ! وثالثةً بين هذه المذاهب و بين الشّيعة !

١- الاية ال١٣ من السورة ال٤٢ (الشورى)

و رابعةً بين الاشعريّة و بين المعتزلة، و هكذا كان الامر فى سائر الفرق و المذاهب الاسلاميّة ؟!

بل والهفاه حيث يُرىٰ، حتّى فى عصرنا الحاضر، الخلاف والاختلاف والجدال والقتال فى المسلمين من مذهب واحد، و فرقة واحدة، و جنسيّة واحدة، على ماتهوىٰه حكوماتهم الفاسدة النّائمة و رؤسائهم الطّامعة الغاشمة . و ممّا يزداد التلهُّف منه انّ ذلك لاجل الاحتفاظ بالثّغور و الحدود و باسم التّعدّى و التّجاوز على المحدود ! ألّلهمّ ياربّاه، الدّين واحد والجنسيّة واحدة والمليّة واحدة فماهذه الحدود الموضوعة، و الثّغور الممنوعة الّتى تعاند و تقاتل هذه البلدة الاسلاميّة و هذه الطّائفة المحمديّة لاجلها تلك البلدة، و تلك الطائفة، الّتى هى اختها والعجيب انّها تختفى تحت ستار الاعتذار بالتّدافع عن التّعدّى، وفى عين الحال تدّعى تلك بانّها تدفع التّجاوز والتّخطّى ! فيالها من مصيبة للاسلام و فى الاسلام . ممّن التّعدّى ايّها الاخوان المسلمون !؟ و الى اين !؟ و علىٰ من !؟

اَفترُىٰ انّ الله بعث رسوله (ص) لمثل هذه المعاندات ؟ او اراد من امّته، الّتى هى خير امّة اُخرِجَتْ للنّاس، هذه المباغَضات والمشاحنات !؟ اوتكون هذه الاختلافات من الرّحمة و يكون فيها خير الملة و صلاح الامّة ؟!

و يا للحسرة من اوراقٍ ، سُوّدت بكلمات ناشئة عن التّعصّب و العناد ، كاشفة عن العنت واللّداد، مائلة من الرّدّ والايراد ، مائلة عن الصّواب والسّداد، فارغة عن العدل

١ـ قال القاضى ابوبكر بن العربى (المتوفى سنة ٥٤٣ ه. ق) فى كتابه «العواصم من القواصم» الذى سنشير الى مافيه و فى ما علق عليه من العصبية و الاعتساف و التهيام فى كل واد من اودية الخلاف : «... و اتصل الهرج الى يوم المساق ، وصارت الخلائق عزين ، فى كل وادٍ من العصبية ، يهيمون فمنهم بكرية (يعنى تقولون بافضلية ابى بكر) و عمرية و عثمانية و علوية و عباسية ، كل تزعم ان الحق معها و فى صاحبها والباقى ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم . وليس ذلك بمذهب ولافيه مقالة وانما هى حماقات وجهالات او دسائس للضلالات حتى تضمحل الشريعة و تهزء الملحدة من الملة و يلهوبهم الشيطان و يلعب...»

والانصاف ، غارقة فی عین حمئة من الجور والاعتساف ، بل ربما اُرخی فی بعضها عِنان القلم فجال فی مجال البهتان و ماد فی میدان القذف و الافتراء و نال من مخالفه ماجرح قلب المرُوئة والصّداقة بالشتم والسّبّ و الاعتداء !

- ٣ -

اذ لیس الغرض من هذه المقدّمة عرض ماضبطه التاریخ اومانسمعها، اونشاهدها فی عصرنا ، عصر الصّواریخ ،من تلک الحوادث الموٴسفة النّاشئة عن العصبیّة واللّداد و تعداد هذه الوقائع المولمة الباعثة للکآبة و الملال فلیُقتصر فیها علی ایراد واقعتین منها کی تعتبر اولوالابصار ممّا یفعل التّعصّب باهله من الآثار والاخطار :

حکیٰ عزّالدین ، **عبدالحمید بن ابی‌الحدید**، فی شرحه علی النّهج (ذیل ماصدر عن علیّ (ع) فی وصف الاتراک - کَاَنّی اَراهُم قَوْماً کَاَنّ وُجُوهَهُم ، المِجانُ - المُطَرّقَة ... -) واقعة هجوم التّتار علی بلادالاسلام (سنة ٦١٦ هـ . ق) و کان ذاک الهجوم فی زمانه ، فقال ، بعدنقل فتوحات التّتار وماکان منهم من القتل والنّهب والسّبی والحرق والهدم والأستیصال :

«... و لم یبق فی البلاد النّاطقة باللّسان الاعجمی ، بلدٌ الّا حکم فیه سیفهم ، اوکتابهم ، فاکثر البلاد قتلوااهلها و سبق السّیف العذل ... ولم یبق الّا اَصْبَهان فانّهم نزلوا علیها مراراً فی سنة سبع و عشرین و ستّمأة (٦٢٧) و حاربهم اهلها، وقُتل من الفریقین مقتلة عظیمة ، و لم یبلغوا منها غرضا ، **حتّی اختلف اهل اصبهان** ، فی سنة ثلاث و ثلاثین و ستّماه (٦٣٣) و هم طائفتان : **حنفیّة و شافعیّة ، و بینهم حروب متّصلة ، و عصبیّة ظاهرة . فخرج قوم من اصحاب الشّافعی الی من یجاورهم و یُتاخمُهُم من ممالک التّتار ، فقالوا لهم : اقصدوا البلد حتّی نسلّمه الیکم ! !**

« فنقل ذلک الی **قاآن** بن **جنکزخان** ، بعد وفاة ابیه ، و الُملک یومئذٍ منوط بتدبیره ، فارسل جیُوشاً من المدینة المستجدّة ، الّتی بنوها و سمّوها قراقرم ، فعبرت جیحون مغرّبهً (ای متوجّهةً الی الغرب) و انضمّ الیها قوم ممّن ارسله **جرماغون** علی

علىٰ هيئة المدد لهم، فنزلوا على اصبهان فى سنة ثلاث و ثلاثين المذكورة و حصروها.

فاختلف سيفا الشافعيّة والحنفيّة فى المدينة حتى قُتل كثير منهم و فتحت ابواب المدينة، فتحها الشافعيّة! على عهدٍ بينهم و بين التتار، ان يقتلوا الحنفية! و يعفوا عن الشافعيّة!.

«**فلمّا دخلوا البلد بدؤا بالشافعيّة!! فقتلوهم قتلاً ذريعاً**، و لم يقفوا مع العهد الّذى عهدوه لهم، **ثمّ قتلوا الحنفيّة، ثمّ قتلوا سائر النّاس**، و سبوا النّساء، و شقّوا بطون الحبالىٰ، و نهبوا الاموال، و صادروا الاغنياء، ثمّ اضرموا النّار، فاحرقوا اصبهان حتّى صارت تلولاً من الرّماد...»

و اورد شهاب الدّين **ياقوت الحمَوى** (ذيل كلمة الرّىّ من كتابه معجم البلدان) بعد ماقال:

«... فامّا الرّىّ المشهورة فانّى رايتها، و هى مدينة عجيبة الحُسن مبنيّة بالآجر المُنمّق المحكم، الملمّع بالزّرقة، مدهون كما تدهن الغضائر، فى فضاء من الارض، والى جانبها جبل مشرف عليها، اقرع لاينبت فيه شىء» هذه العبارة:

«وكانت مدينةً عظيمة، خرب اكثرها، و اتّفق انّنى اجتزت فى خرابها فى سنة ٦١٧، وانا منهزم من التتر، فرايت حيطان خرابها قائمة، و منابرها باقية، و تزاويق الحيطان بحالها، لقرب عهدها بالخراب الّا انّها خاوية على عروشها.

«فسالتُ رجلاً من عقلائها عن السّبب فى ذلك فقال: اما السّبب فضعيف، و لكنّ الله اذا اراد امراً بلغه.

«**كان اهل المدينة ثلاث طوايف: شافعيّة**، وهم الاقلّ، وحنفيّة، وهم الاكثر، و شيعة، وهم السّواد الاعظم لانّ اهل البلد كان نصفهم شيعة وامّا اهل الرّستاق فليس فيهم الّا شيعة و قليل من الحنفيّين، و لم يكن فيهم من الشافعيّة احد.

«**فوقعت العصبيّة بين السّنة والشّيعة! فتظافر عليهم الحنفيّة و الشافعيّة**، و تطاولت منهم الحروب حتّى لم يتركوا من الشّيعة من يُعرف، **فلمّا افنوهم! وقعت العصبيّة بين الحنفيّة و الشافعيّة!** و وقعت بينهم حروب **كان الظّفر فى**

جميعها للشافعيّة، هذا مع قلّة عدد الشّافعيّة. الّا انّ الله نصرهم عليهم! وكان اهل الرّستاق، وهم حنفيّة، يجيئون الى البلد بالسّلاح الشاكّ، و يساعدون اهل نحلتهم، فلم يغنهم ذلك شيئاً حتّى افنوهم!!

«فهذه **المحالّ الخراب الّتى ترى هى محالّ الشّيعة و الحنفيّة**! و بقيت هذه المحلّة المعروفة بالشّافعيّة، وهى اصغر محالّ الرّىّ. **ولم يبق من الشّيعة و الحنفيّة الّا من يُخفِى مذهبه!!...**»

ثمّ نقل **الحموى** لبيان عظمة الرّىّ، ماحكاه **الأصطخرىّ** بقوله: «و ليس بالجبال بعد الرّىّ اكبر من اصفهان» و بقوله: «والرّىّ مدينة ليس بعد بغداد فى المشرق اعمر منها...».

- ٤ -

و ممّا يزيد العجب لكلّ من اطّلع الى امثال هذه الوقائع، فى التّاريخ من المجادلات الّتى نشات من العصبيّة العمياء الصّمّاء، و حدثت عن الجهالة الجهلاء، فتفرّقت منها الكلمة وتشتّت الامّة و انْتَجَتْ قتل النّفوس و هدم البيوت، و يزداد فى التلهّف والاسف لكلّ من عرف الاسلام وآمن به، هو انّ الجلّ، لولا الكل، ممّا اورثت العصبيّة ليس اموراً مرتبطة بذاتيّات الاسلام و جوهره، داخلةً فى صلب الدّين و حقيقته، مصادمةً لاصول الشّرع و ضروريّاته، معارضة لاركان الايمان و مسلّماته، بل ربّما يكون البحث، المورث للعصبيّة والنّزاع، راجعا الى عدم تحرير محلّه، والى عدم كون النّفى و الاثبات فى الكلام ثابتا لما كان بينهم موضع وفاق. وعلى اىّ حال ليست من الامور الّتى يُبيح القتل، ويسوّغ الهدم ولاسيّما انّ كـلّاً من الطّرفين يُعلن بالشّهادتين ويعمل بمايعلم انّه من الدّين، و يؤمن بما جاء به خاتم النّبيّين.

اورد **ابن ابى الحديد** فى شرحه على «نَهْج البلاغة» (طىّ الكلام عن غزوة اُحُد) نقلاً عن **الواقدى** (بعد نقل ابتلاء المسلمين بغلبة المشركين عليهم):

«... وجعل ابن اُبىّ والمنافقون معه، يَشْمَتُون و يسرّون بما اصاب المسلمين

و يُظهرون اَقبح القول . و رجع **عبدالله بن ابىّ** الى ابنه ، و هو جريح ، فبات يَكْوِي الجراحة بالنّار ، حتى ذهب عامّة اللّيل و ابوه يقول : ماكان خروجك مع محمّد الى هذا الوجه برأيٍ ، عصانى محمّد ! و اطاعنى الولدان ، والله لكانّى انظر الى هذا . فقال ابنه : الّذى صنع الله لرسوله ، و للمسلمين ، خيراً ان شاءالله .

«قال (يعنى الواقدى) :

« و اظهرت **اليهود** ، القولَ السّيّىء و قالوا : ما محمّد اِلّا طالب مُلك . ما اصيب هكذا نبىٌّ قطّ فى بدنه ، و اصيب فى اصحابه .

« و جعل **المنافقون** يخذلون عن رسول‌الله و اصحابه و يأمرونهم بالتّفرّق عنه ، و قالوا لاصحاب النّبىّ (ص) : لوكان من قُتل منكم عندنا ماقُتل .

«حتّى سمع عمر بن **الخطّاب** ذلك فى اماكن ، فمشىٰ الى رسول‌الله يستأذنه فى قتل من سمع ذلك منهم من اليهود والمنافقين . فقال (ص) : يا عمر انّ الله مُظهر دينه ، و مُعزّ نبيّه . و لليهود ذمّة فلا اقتلهم !

«قال : فهؤلاء المنافقون يا رسول‌الله يقولون .

« فقال (ص) : اَلَيْسَ يُظهِرُونَ شَهادَةَ ان لا اِلهَ اِلّا الله ، وَ اِنّى رَسُولُ الله ؟

«قال : بلىٰ ، وانّما يفعلون تعوّذاً من السّيف ، و قد بان لنا امرهم ، وابدى الله اضغانهم .

فقال (ص) : اِنّى نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ مَنْ قالَ : لااِلهَ اِلّاالله محمّد رسول‌الله يا ابْنَ الْخَطّاب»

هذا ماارادالله من نبىّ الاسلام ، و ممّن آمن به ، وآمن برسوله ، واتّبع دينه ، فعلىٰ ماذا يصح ان يُحمل ماصدر عن بعض المسلمين باسم الاسلام ، و حفظ الشّرع ورعاية الدّين ، بالنّسبة الى اخوانهم من التّكفير و التّوهين ، وجرّ البلاء ، و سفك الدّماء و اهلاك النّفوس و حرق البيوت و التّخريب ؟

-٥-

ماذا يتصوّران يكون بينَ الحنفيّ و بين الشافعيّ من الاختلاف في ما هو من - الاصول ، و الضروريّ في الدّين ، كي يسوّغ لهم ما ارتكبوا من السّفك ، و القتل و الهدم ! ؟

ويا سبحان‌الله ماذا اباح للمسلم، ان يوادّ من حادّ الله (التتار) و يعاهده على قتل اخوانه المسلمين ،وسبى نسائهم وهدم بيوتهم ! ؟

ام ما ذا هوالّذى يكون مورداً للانكار من اركان الايمان ، و اصول الاسلام ، وهى الشّهادة بالوحدانيّة ، و بالرّسالة ، و بالحشر والنّشر ، و يوم الجزاء؟ بل او من - الفروع ، وهى العبادات ، المقرّرة الثّابتة فى الدّين ، و المعاملات، والحدود والدّيات ، والاحكام والسّياسات ، المسلّمة فى الشّرع ، لمن قال مثلا بقِدم القرآن او حدوثه ، كى يُمتحَن و يُحكمَ بقتله ؟ على انّ ذاك الاختلاف و امثاله يُشبه ان يكون لفظياً بحتاً ، بداهة انّه لا يُعقل ان يعتقد عاقلٌ و يقول انّ القرآن المؤلّف من السّور ، المؤلَّفَة من الآيات ، المؤلّفة من الجُمل ، المؤلّفة من الكلمات ، المركّبة من الحروف ، المتدرجّة فى التّلفظ والكتابة ، المترتّبة بالتّقدّم والتّأخّر ، المتحقّقة فى وعاءالزّمان المنطبقة على اجزائه ، المتعاقبة المتصرّمة الحادثة ، قديم سرمدىٌّ غيرُ مخلوق ، و هكذا لايُعقل ان يعتقد من له ادنى شعور و مُسكة و يقول من لهادون فهم و دُرْبة انّ القرآن باعتبار وجوده العلمى للحقّ ، تبارك مجده وتعالى شانه ، و بلحاظ كونه مسطوراً بقلم- العناية فى اللّوح المحفوظ بوجوده‌الجمعى ، مُحدَثٌ زمانىٌّ ومخلوقٌ امكانىٌّ فمامعنى ذاك‌الاعتبار والمِحنَة ؟ وماوجه ذلك‌الابتلاء والفتنة ؟ و باىّ دليل‌من‌الشّرع اوحجّة من العقل استُبيح السّفك و استُسيغ اراقة الدّم ! ؟

ام ماذا هوالّذى يُبيحُ لمسلم اراقة دم اخيه المسلم ، **المتّفق** معه فى‌قول «لااله الّاالله ، محمّد رسول‌الله» ، **الموافق** له فى الايمان بانّ ماجاء به‌الرّسول (ص) بقضّه وقضيضه ، حقٌّ يجب اتّباعه ، **والمشابه** به فى العمل بكلّ ماثبت من‌الدّين حكمه ،

بمجرّد كونه معتقداً و قائلاً بافضليّة صحابيٍ على غيره و لا سيّما اذا كان استناده فى مايعتقد و يقول بالكتاب والسّنّة و اعتماده على الاخبار و الآثار ؟

اترى انّ هيٰهنا دليلاً نقلياً ، او حكماً عقليّاً علي انّ ذاك القول والاعتقاد وخصوصاً فى ماصحّ الاستناد ، وتمّ الاجتهاد ، ممنوع وحرام . ثم لو سلّم كونه حراما هل ثبت من الشّرع او العقل انّ فعل الحرام على الاطلاق (اى حتّى فى ما اذا كان الفاعل ممّن ادّى اجتهاده من مستندٍ قوىّ السند ، جلىّ الدّلالة ، جائز الاستناد اليه صحيح الاعتماد عليه ، الى انّه لم يعتقد كون ذلك الفعل حراماً فى الشّرع) يكون ممّا يبيح القتل واراقة الدّم ؟ على انّ من ينكر افضليّة ذاك الصّحابى ، يدّعى غيرُه افضليّةَ صحابىّ آخر فكلاهما سواسيةَ الحكم وليس الحكم بهدْر دم احدهما ارجح من الحكم بسفك دم الآخر .

بل ايّة حجّة من الكتاب ، اوالسّنّة ، اقيمت على انّ من نقل ماحُكى من الطّعن فى بعض الصّحابة ، بل على انّ من انتقد ، او انتقص ، او طعن عليه فى بعض افعاله (ولا سيّما مع عدم الاعتقاد بعصمته) يصير مهدور الدّم ، واجبَ القتل (لا يُنكَر انّه امر مرغوب عنه ، غير مستحسن بل بالنسبة الى بعض مذموم مستهجن ولكنّه اين هذا من هدْر الدّم و اباحة القتل ؟)

- ٦ -

هل ورد دليل على انّ كلّ واحد من الصّحابة معصوم عن الزّلل والخطاء ، فلا يجوز نقل طعن المعصوم و لايبقى لنقد عمله موضوع ؟ امّاكان بعض من يصدق عايه عنوان « الصّحابىّ » من المنافقين ؟ و امّا قال الله تبارك و تعالى فى حقّ المنافقين : « انّ المنُافِقينَ فى الدَّرْكِ الاسفَلِ مِن النّارِ . . . » ؟

ثمّ امّا كان فى الصّحابة من ينتقد وينتقص صحابيّاً آخر ، بل و يرتكب شتمه ، و ضربه ، ولعنه وقتله مع انّ اهانة المؤمن ، و لو لم يكن صحابيّاً ، ممنوع محرّم ؟

امّا رُوى انّ ابابكر الصّدّيق (رض) قال **لطلحة** ، الصّحابىّ الّذى بُشّر ،

باعتقاده ، على لسان النّبىّ الصادق الامين ، له بالجنّة ، : «انت شرُّ النّاس اما والله لو ولّيتك لجعلتَ انفكَ من قفاك» . ثمّ قال: «آتيتني و قد دلكتَ عينيكَ! تريدان تفتنني عن ديني !... قُم ، لا اقام الله رجليكَ!...» [1]

قال الطّبرى فى تاريخه (الجزء الثّانى ـ الصّفحة ال ٦١٩) مسنداً عن «عبدالرّحمن بن عوف انّه دخل على ابى بكر الصّدّيق (رض) فى مرضه ، الّذى توفّى فيه ، فاصابه مهتمّاً فقال له عبدالرّحمن : «اصبحتَ ، والحمد لله ، بارئاً .

«فقال ابوبكر ، رضى الله تعالى عنه ، اتراه ؟ قال : نعم .

«قال : انى وليّتُ امركم خيرَكم فى نفسى ، فكلّكم ورِمَ انفه من ذلك [2] يريد ان يكون الامر له دونه ! و رايتم الدّنيا قد اقبلت . . . و انتم اوّل ضالّ بالنّاس غداً ، فتصدّونهم عن الطّريق يمينا و شمالاً ! ياهادىَ الطّريق انّما هو الفجر او البحر .

فقلت له : خفّض عليك ، رحمك الله ، فانّ هذا يهيضك فى امرك! . . .»

وقال ايضا (الجزء الثّانى ـ الصّفحة ال ٦١٩ ايضا ـ) ، بعد هذا الكلام المنقول : قال ابوبكر ، رضى الله تعالى عنه :

« انّى لا آسى على شيءٍ من الدّنيا الّا على ثلاث فعلتُهنّ وددتُ انّى تركتهنّ ، و ثلاثٍ تركتُهنّ وددتُ انّى فعلتُهنّ ، و ثلاثٍ وددت انّى سألتُ عنهنّ رسول الله (ص) .

«فامّا الثّلاث اللّاتى وددت انّى تركتهنّ ، فوددت انّى لم اكشف بيت فاطمة عن شيىءٍ ! . . . و وددت انّى لم اكن حرقتُ الفُجاءة السُّلمى ! . . . و امّا اللّاتى تركتهنّ ، فوددت انّى يوم اُتيتُ بالأشعث بن قيس كنت ضربت عنقه فانّه تخيّل الىّ انّه لايرى شرّاً الّا اعان عليه !...»

فهذا ابوبكر الصّدّيق الصحابىّ يقول كشفَ بيت فاطمة ، التى لو لم تكن

١ـ لما كانت هذه المكالمة و اضرابها ، التى لم يصرح فى هذه المقدمة بمأخذها ـ المنقول عنها ، ستورد فى متن الكتاب و يصرح هيهنا بمأخذها و تفصيلها ترك هنا ذكرها و اجمل فى نقلها.

٢ـ «ورم انف فلان : غضب»

بنت الرّسول و بضعته و من كان ايذاؤها ايذائه ، كانت صحابيّة و ايّة صحابيّة ، سيّدة نساء العالمين اونساء الجنّة[1] . ويقول انّه نادمٌ على عدم قتل **الاشعث** الصّحابى لانّه لايرى شرّاً الّا اعان عليه !.

وهذا **عمر** (رض) امّا امر بقتل الصّحابى العظيم **سعد بن عبادة** ، الّذى كان صاحب لواءِ الرّسول (ص) فى الانصار ، وكان بدريّاً ، وكان دعا الرّسول فيه و فى آله بالصّلوة والرّحمة ، وامّا قال **عمر** : «اقتلوا **سعداً** ! قتل الله سعداً» ؟

وامّا قال هو ايضا فى حقّ **الزّبير** ، حوارىّ الرّسول ، و ابن عمّته ، و المبشّر له بالجنّة : «عليكم بالكلب» ؟ (فى قضيّة الهجوم على كشف بيت **فاطمة**). واما قال ايضا : **لخالد بن الوليد** الصّحابى ، سيف الله على ماقال **ابوبكر** : « قتلتَ مسلماً ! و نزوتَ على امرئته ! والله لأرجمنّك باحجارك ! » ؟

وامّا امر بعد حينٍ من امارته فى بدء خلافته بتوهينه تجاه الجند ، ومقاسمة امواله ، ثمّ احضاره و مؤاخذته عن امواله[2] ؟

١- فى صحيح **البخارى** (الجزء الخامس - الصفحة ال ٢٠) « باب مناقب قرابة رسول الله و منقبة **فاطمة** عليها السلام بنت النبى صلى الله عليه و سلم».

«و قال النبى صلى الله عليه وسلم: «**فاطمة** سيدة نساء اهل الجنة» و فيه ايضا (الصفحة ال٢١) بالاسناد عن **المسور بن مخرمة** ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « **فاطمة** بضعة منى فمن اغضبها اغضبنى»

٢- فى الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال٦٢٤ -) بالاسناد : «... ولم يزل **عمر** عليه (اى على خالد) ساخطاً ، و لامره كارهاً، فى زمان **ابى بكر** كله ، لوقعته **بابن نويرة**. فلما استخلف **عمر** كان اول ماتكلم به عزله . فقال: لايلى لى عملا ابداً . فكتب الى **ابى عبيدة**... ثم انزع عمامته عن راسه وقاسمه ماله نصفين... فقام **بلال** مولى **ابى بكر** الى **ابى عبيدة** فقال : ماامرت به فى **خالد** ؟ قال : امرت ان انزع عمامته ، و اقاسمه ماله . فقاسمه ماله حتى بقى نعلاه.. فأخذ نعلا واعطاه نعلا. ثم قدم **خالد** على **عمر** ، المدينة» (كان ذلك فى السنة ال ١٣ من الهجرة).

و فيه ايضا ، بعد ما قدمناه ، بالاسناد عن **سليمان بن يسار** قال : «كان **عمر** كلما مر بخالد قال : يا **خالد** اخرج مال الله من تحت استك ! فيقول : و الله ماعندى من مال.

←

و امّا صادر سعداً ، ابن وقاص ، الصّحابىّ الكبير الفاتح ، وغيره من الصّحابة الكبار الّذين كانوا من عمّاله ، فى اموالهم ؟ على ماذا ينبغى هذه المصادرة و المقاسمة ؟

اكانت فى اموالهم الشّخصيّة ؟ فلِمَ و باىّ حقٍّ ؟ او فى اموال المسلمين ؟ فكيف وهم من اعاظم الصّحابة وليسوا بخائنين !؟

و امّا حدّ قُدامَة بن مَظْعون على شرب الخمر ، وهو صحابىّ من السّابقين الاوّلين !»؟[1]

واخيراً امّا امر حين قرب وفاته اباطلحة الانصارى بقتل ستّة من كبّار الصّحابة ان لم يتّفقوا على واحد منهم للخلافة ! او بعضهم المخالف ! ، وهم من العشرة المبشّرة و هم الّذين ، على ما قال عمر ، : « مات النّبىّ (ص) وهو عنهم راض» فكلٌّ منهم صالح (و ان اظهر لكلٍّ ،سوى علىّ ، عيباً ونقصا) باعتقاده لان يكون خليفة للرّسول و اميراً للمؤمنين .

و امّا ضرّب الخليفة عثمان ، الصّحابة البدريّين : اباذر و ابن مسعود و عمّار بن ياسر ؟

ثمّ اىّ الطّرفين صادق فى قضيّة مغيرة بن شعبة : هو او الشّهود ؟ فان كان هو الصّادق فتحقّق القذف من جانب الشّهود و ان كان ادّعاء الشّهود صدقاً فالزّنا محقّق ثابت

←

فلما اكثر عليه عمر ، قال له خالد : يا اميرالمؤمنين ماقيمة مااصبت فى سلطانكم اربعين الف درهم. فقال له عمر : قد اخذت ذلك منك باربعين الف درهم ! قال : هولك. قال : قداخذته ! ولم تكن لخالد مال الاعدة و رقيق. نحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين الف درهم. فناصفه عمر ذلك. فاعطاه اربعين الف درهم ، و اخذ المال . . . فكان عمر يرى انه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك».

١- قال القاضى ابوبكر بن العربى ايضا فى كتابه الموسوم بـ «العواصم من القواصم» ايضا : «فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو اميره. و عزله» و قال المعلق على الكتاب و مصححه : «قدامة بن مضعون الجمحى احد السابقين الاولين ، هاجر الهجرتين و شهد بدرا . . .»

و کلّهم من الّصحابة ، و ممّن ادُّعِیَتْ عدالتهم ، و ممّن ادُّعی انّهم کالنّجوم ، و ممّن استبیح دم من تکلّم فیهم ، و نَقَلَ ماحُکِیَ من نقصهم و عیبهم ! !

و ای ّ الّصحابیّین العظیمین کاذب : **عبدالرّحمن بن عوف** او **المغیرة بن شعبة** فی ماحکاه **الطّبری** فی تاریخه (الجزء الثالث ـ الصفحة ال۲۹۸) ؟ حیث قال :

«... وقال **المغیرة بن شعبة لعبدالرّحمن** (یعنی بعد تمام البیعة لعثمان) : یااَبامحمّد قد اصبتَ اذ بایعت **عثمان** و قال لعثمان : لو بایع **عبدالرّحمن** غیرَك مارضینا ! فقال **عبدالرّحمن** : کذبت یا اعور ! لو بایعتُ غیره لبایعتَه و لقلتَ هذه المقالة» اکان **مغیرة** الّصحابی العادل ! کاذبا منافقا ؟ ام **عبدالرّحمن** کذب فی ماقال فی حقّه مؤکّدا ؟ .

ـ ۷ ـ

ثمّ اذا کان ، بتصریح الرّسول ، صلّی الله علیه وآله وسلّم ، علی مافی روایات جمّة اوردها **البخاری** فی صحیحه و نقلناها منه فی الکتاب (ذیل اصحاب الرّدة) ، فی الاصحاب من یُطْرَد عن الحوض و یُطْرَح فی النّار (لانّهم احدثوا بعدالرّسول وانّهم ارتدّوا بعده علی ادبارهم القهقری !) فکیف یکون کلّهم عدولاً ؟ و علی ما ینبغی ان یحمل انّهم کالنّجوم ! بایّهم یُقتدیٰ یُهتدیٰ ؟ واذا کان السّبّ قبیحا مذموما (و کذلك یکون) بل علی مایقال : حراماً ممنوعا ، فما الدّلیل علی قتل من ارتکب هذا الحرام ولاسیّما مع اجتهاد المرتکب و تأویله ، ولو فُرِض انّه مُخْطِیء ؟

هل من العدل و الانصاف ان یُعدّ **مروان بن الحکم** ، (طرید رسول الله ، ص ،) الّذی قتل ، کما هو المشهور المعتبر (او امر بالقتل ، کما قیل) ، **طلحة بن عبیدالله** ، الصّحابیّ البدریّ الّصالح للخلافة (علی ماقال عمر وانتخب) ، ؟ ام یجعل الّصحابیّ الفاسق **ولید بن عُقْبة** الّذی شهدوا علیه بشرب الخمر و زیادة فی الصلوة حین امارته و امر بحدّه الخلیفة ، **عثمان** ، لمجرّد ادراکهما النّبیّ ، من العدول و من النّجوم ؟ ! و ان یُحکم بأباحة سفك دم من نقل ذلك فی حقّهما ، او بجواز قتل من سبّهما وانتقصهما ؟ ! او ان یُعتقد بانّ من یقتدی بهما یهتدی ؟ !

اليس **عمرو بن العاص** و **ابوموسى الاشعرى** فى الطّراز الاوّل من الصّحابة؟ ثمّ اما ضبط الكتب المعتبرة كيفيّة مشاتمتهما وملاعنتهما، باقبح وجه، و اسوء تعبير بعد قضيّة الحكميّة ؟

قال الفقيه المالكى فى كتابه «العقد الفريد» (الجزء الخامس الصفحة ال١٠٥-):

«و قال **ابوموسى** لعمرو : لَعَنَكَ الله ! فانّ مَثَلَكَ، كَمَثَلِ الكلب إنْ تَحْمِلْ عليه يَلْهَثْ و إنْ تَتْرُكه يَلْهَثْ ! » فقال **عمرو** : لَعَنَكَ الله ! فانّ مَثَلَكَ كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ اَسْفاراً ! »

هذا انموذج ممّا ذكر فى التّواريخ المعتبرة، كالطّبرى، والكامل، واضرابهما، فى ماجرت بين الصّحابة انفسهم، من المشاتمة، والملاعنة، والمسابّة، واذ ليس الغرض هنا الّا رفع الاستبعاد ، و انّ الاستنقاص لبعض الصّحابة، او الانتقاد و الطّعن عليه، لم يكن مستنكرا بينهم، ولايكون بدعاً من الامور ، يستحقّ المرتكب ان يُراق دمه، وتُنْزَع نفسه ولا يضرّ بالايمان بالله و ملائكته و رسله، و لا ينقض الاعتقاد بما جاء به النبىّ (ص) فلنختم الكلام فى هذا الشّأن بما فعله **معاوية** من القتل واللّعن .

- ٨ -

امّا عُدّ **معاوية بن هند**، آكلة الاكباد ، الطّليق بن الطّليق، الّذى سُمّى امير المؤمنين وخليفة الرّسول بل و اتّسم خال المؤمنين ، من الصّحابة ؟ ثمّ اماحارب **عليّاً** وهو ابن عمّ الرّسول، وصهره ، على بَضعته **فاطمة** سيّدة نساء العالمين ، واخوه ، والنّازل بمنزلة نفسه بنصّه ، و وصيّه و خليفته، الّذى لوفرض انّه لم تكن منصوصة خلافته من الله و رسوله فكان منتخبا من الامّة : مهاجريهم و انصارهم و البدريّين منهم باجمعهم ، انتخاباً اشمل وامتن و اعدل حتّى من انتخاب اوّل الخلفا ؟[1]

١- **لكون** الانتخاب من المهاجرين والانصار كلهم ، لامن بعض المهاجرين (و هم الثلاثة الذين كانوا فى السقيفة وهم عمر، و ابوعبيدة الجراح ، و **عبدالرحمن بن عوف**، على قول ،) و من بعض الانصار (وهم غير **سعد** بن **عبادة** و اقربائه) . **وكونه** بلافلتة بل مع تريث كامل و تلبث زائد. **وكونه** بانثيال الناس و اقبالهم عليه لاباقباله على الناس وجلبهم اليه.

وهوالّذى قال الامام احمد بن محمّد بن حنبل فى شأنه على مافى تاريخ الخلفاء (الصّفحة ال ١٦٨) لجلال الدّين السّيوطى (واخرجه الحاكم) :

«ما وَرَدَ لأحدٍ من اصحاب رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم من الفضائل ما ورد لعلىّ ، رضى الله عنه »

و هو الّذى قال النّبىّ فى حقّه : «مَنْ آذىٰ عليّاً فقد آذانى» وقال ايضا فى شأنه كما فى صحيح البخارى (الجزء الخامس) : «اَنْتَ منّى و اَنا منكَ» وغيرذلك من الاحاديث المتوافرة ، بل المتواترة ، الّتى رُويت نبذة منها فى الكتاب ، و ستمرّ عليك فيه ان شاء الله .

نَعَم ، آذىٰ معاوية رسولَ الله بايذائه عليّاً بالحرب ، بل آذى الحقّ و العدل والانصاف ، لا بالحرب فحسبُ مع علىّ بل بجميع مافعل بالنّسبة اليه من الافتراءآت و وضع الاحاديث والرّوايات ، والسّبّ والشّتم واللّعن عليه ، و على جمعٍ من اكابر الاصحاب .

امر معاوية بلعن علىّ فى جميع البلاد الاسلاميّة على رؤس المنابر بحيث صار اللّعن فى زمنه ، و زمن اخلافه السّوء من بنى مروان ، سُنّةً تُتّبَع ، وعادةً لاتُرتدع يتقرّب النّاس به الى الخلفاء و الى عُمّالهم ، و يفتخرون بهذا العمل السّيّىء فى اقوالهم.

قال عزّ الدّين بن ابى الحديد فى شرحه لنَهْج البلاغة (ذيل و من كلام له ، عليه السّلام ، لاصحابه :ـ اَما انّه سَيَظْهَرُ عليكم بعدى رجلٌ رَحْبُ البُلْعُوم...) :

«انّ معاوية امر النّاس بالعِراق والشّام وغيرهما، بسبّ علىّ والبراءة منه ، وخطب بذلك على منابر الإسلام و صار ذلك سنّة فى ايّام بنى اميّة ، الىٰ ان قام عمر بن عبدالعزيز فازاله».

و اورد ايضا نقلاً عن «الكامل» للمبرّد :

«انّ خالد بن عبدالله القسرىّ، لمّا كان اميرالعراق فى خلافة هشام ، كان يلعن عليّاً على المنبر ، فيقول: «اللّهم العن علىّ بن ابى طالب بن عبدالمطّلب بن هاشم،

صهر رسول‌الله على ابنته ! و اباالحسن و الحسين ! » ثم يُقبل على النّاس فيقول : هل كَنَيْتُ ؟! »

واورد ايضا بالأسناد ، عن عبدالرّحمن بن سائب انّه قال :

«قال الحجّاج يوماً لعبدالله بن هانى ، وهو رجل من بنى اِوَد ، حىٌّ من قحطان، وكان شريفاً فى قومه ، قد شهد مع الحجّاج مشاهده كلّها وكان من انصاره واعوانه :

«والله ماكافأتك بعدُ . . . »

ثمّ ذكر ابن سائب كيفيّة المكافاة بارسال الحجّاج الى اسماء بن خارجة ، سيّد بنى فزارة ، و امره بتزويج عبدالله بن هانى بابنته ، و اِباء اسماء من ذلك ، و دعوة الحجّاج بالسّياط وتهديده ، وقبوله التّزويج كرهاً ! ثمّ بعثه الى سعيدبن قيس الهَمْدانى رئيس اليمانيّة ، وامره بتزويج ابنته من ابن‌هانى ، واستنكافه ، وطلب الحجّاج السّيف لقتله ، و تسليم ابن قيس مكرهاً للامر !

ثمّ قال بعد ذلك :

«نقل الحجّاج لابن‌هانى : قد زوّجتك بنت سيّد فزارة و بنت سيّد هَمْدان وعظيم كهلان ، وما اِوَد هناك ؟!

«فقال : لاتقل ، اصلح‌الله الامير ، ذاك فانّ لنا مناقب ليست لاحدٍ من العرب .

«قال : و ماهى ؟

«قال : ما سُبَّ امير المؤمنين عبدالملك فى نادٍ لناقطّ .

«قال : هذه منقبة والله .

«قال : و شهد منّا صفّين مع امير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً ، ما شهد منّا مع ابى تراب الّا رجل واحد .

«قال : منقبة والله .

قال : و منّا نسوة نذَرن ان قُتل الحسين بن علىّ ، ان تنحر كلّ واحدة عشر قلائص ! ففعلن !

«قال : منقبة والله ! !

« قال : و ما منّا رجل عرض عليه شتم ابي‌تراب و لعنه الّا فعل ! ! و زاد ابنيه **حسناً و حسيناً و امّهما فاطمة !**

«قال : منقبة والله !

«قال : و ما احد . . . »

- ۹ -

و اذ كان الغرض من هذه المقدّمة بيان التأسّف على ماوقع من الاختلاف النّاشى بين المسلمين ، بمالاينبغى ان يصير موجباً المتفرقة ، و تشتّت الكلمة ، والاخلال بالوحدة فكيف بالخصومة و الجدال ، و المعاندة و القتال ، ثمّ بيان مادعا المؤلّف الى ترقيم هذه الاوراق ، و حداه على تأليف تلك الصّفحات ، مع احترازه الشّديد عن عمل يوهم الخلاف ، و يورث الاختلاف ، و احترامه الوفير لكلّ من بذل سعيه فى سبيل بسط الاسلام و نشره ، مخلصاً لله و مريداً للاسلام ، وعمل جهده فى العمل باحكام الدّين ، و اتّباع خاتم النّبييّن ، والحماية عن وحدة كلمة المسلمين ، متجلّيا بكمال الايمان ، فليقتصر بما ذكر من الانموذج و المثال ، و يشرع فى ماهو الغرض من المقال .

كانت الايّام ايّام عطلة و اصطياف ، وكنت وقتئذ خارج البلد (تهران) فى المصطاف (ميگون) وذلك فى شهورالصيف من سنة ۱۳۷٤ هـ . ق ، زارنى فيه يوماً احد العلماء الامير كانيّة P. KENNETH W. MORGAN وقال : « انّى اريد ان أولّف فصولاً جامعاً بعض شئون الاسلام ، كلّ فصل منها لشأن منه ، وبقلم واحد من علماء احدى البلاد الاسلاميّة ، وقبلت عدّة منهم عدّة فصول و تعهّدوا بذلك» وسمّاهم ، منهم الشّيخ **محمود الشّلتوت** ، مفتى الدّيار المصريّة وشيخ الجامع الازهر ، رحمه الله تعالى ، فى ذاك الوقت ، وسأل عنّى كتابة الفصل الّذى كان فى طرحه و رسمه ، تحت عنوان « الشّيعة» ، و كان من شرطه ان لا يتجاوز الفصل عن خمسين صفحات و طلب منّى تعيين اسم الكتاب ، فاقترحت تسميته باسم « الاسلام هو الصّراط المستقيم» (ISLAM - THE STRAIGHT PATH) .

فاعتذرتُ ولكنّه لم يُعفنى واصرّ، فاجبت سؤاله و كتبت مختصرا تحت عنوان «الشّيعة» بالفارسيّة ، مقتصرا على بيان معتقدات الشّيعة الإماميّة ، اصولا و فروعاً فارغاً عن ذكر المدارك والدّلائل (رعايةً لشرط السّائل) فترجم كسائر فصول الكتاب بالانگليزيّة (اخطأ المترجم فى موضعين من ترجمته لهذا الفصل ، ولكنّه لايخفى على الخبير البصير صوابه الّذى كان عليه الاصل).

فطبع الكتاب بامريكا وترجم من الانگليزيّة بعدّة لغات ، منها العربيّة والاردوئية و ممّا يؤسف ان المترجمَيْن بهاتين اللّغتين ، تحت تأثير العصبيّة ، لم يراعيا فى ترجمة هذا الفصل جانب العدل والانصاف ، و سلكا فى ما ذهبا طريق الاعتساف. امّا الاوّل جاوزالله عنه ، ففى ماعلّق على بعض الموارد من هذاالفصل . وامّاالثّانى، لاسامحه الله لما فعل ، فكانّه لم يدر معنى التّرجمة ، و لم يعتقد لزوم رعاية الامانة ، و خيل له انّ له الحقّ فى ماكان بصدده باسم التّرجمة ، ان يغيّر الاصل على مايشاء ، و يتصرّف فيه كيف يشاء ، ولهذا قال قبل الشّروع ، فى ماسمّاه التّرجمة ، ماهذا مفاده (على ماترجم لى من كلامه) : « لمّا كان مطالب هذا الفصل غير صوابٍ عندى ، فلا اقيّد نفسى بترجمة عين مافيه ، بل اتصرّف فيه وابدّله بما هوالصّواب عندى ! »

هكذا تفعل العصبيّة باهلها من الانحراف و الاعتساف فيتولّد منه الخلاف و الاختلاف ، و قديماً ماجنت ايادى العصبيّة العاصية العاتية على الانصاف و العدل ، وكثيراً مّا نسجت عناكب الوهم و الجهل بيوت الواهنة الوهمية العائثة لتضليل العقل و تستير الحقّ .

- ١٠ -

و ان شئت زيادةً على مادربت من عتوّ العصبيّة فانظر الى ما وسّمه متفاضل ! باسم « التّصراع بين الاسلام و الوثنيّة» وكنىٰ بالوثنيّة ، عن التّشيّع ! و اتىٰ فيه بالنّسبة الى الشّيعة من الكلمات الشّنيعة ، مالايتجاوز عنه فى الشّريعة . وان تعجب فعجبٌ نقله، مع تلك التّسمية ، و هذه المأتيّات الباطلة ، حديثاً مسنداً عن «الامام بن الامام عبدالله

بن **احمد** بن **حنبل**» عن النّبى (ص): «یا علیُّ انتَ وَ شیعتکَ فی الجنّة». (الصّفحة ال ٢٠ من الكتاب) ولاتسأل عن هذا المتفاضل على من يصدق العنوان اى عنوان «شيعة علىّ» الّذين هم فى الجنّة ؟

وانظر ايضا الى ماكتبه القاضى ابوبكر بن العربى (**محمّد بن عبيدالله المعافرى**- **الاشبيلى** المتوفّى[١] ٥٤٣هـ . ق) باسم «العواصم من القواصم» كى ترى مايصنعه التعصّب، فى قضائه للباطل على الحقّ . فتريه فى مقام الدّفاع عن امور ، يصادر على المطلوب تارةً و يقتصر بالادّعاء، عن اقامة الدليل مرّةً **فيقول** مثلا (ص ٦٣): «هذا كلّه باطل سنداً ومتناً . امّا قولهم . . . فباطل . وامّا . . . فزور . و امّا . . . **افكٌ مثله**» وامّا نفيه اباذر الى الرّبذة فلم يفعل ، كان ابوذر زاهدا، وكان يقرع عمّال عثمان و يتلوعليهم «وَالّذينَ يكنزون الذّهب و الفضّةَ وَلا يُنفقونَها فى سبيل الله فبشّرهُم بعذاب اليم» ويراهم يتّسعون فى المراكب والملابس..» **ويقول** : «**وهذا قهر عظيم** و افتئات[١] على الّصحابة ، و كذبٌ فى وجوههم و بهتٌ لهم» **ويقول** : «و هذه كلّها مصالح لانقدح فى الدّين !» (الصفحة ال٧٧) ومع انّه ومصحّح كتابه يعتقدان انّ الّصحابة كلّهم عدول ، مبرّئون منزّهون ، لايجوز التّكلّم فيهم «ولاينتقص منهم الّا زنديق» حتّى قال المصحّح فى ما قدّمه على الكتاب (ص ٧) : «و الّصحابة كانوا اسمى اخلاقاً و اصدق اخلاصاً لله و ترفّعاً عن خسائس الدّنيا من ان يختلفوا للدّنيا...» وقال ايضا فى المقدّمة بهذا العنوان ، «اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم عدول بتعديل الله و رسوله لهم ، ولا ينتقص منهم الّا زنديق» يقول المؤلّف فى متن الكتاب فى موضع «... و اضطرب الانصار يطلبون الامر لانفسهم ! او الشركة مع المهاجرين!» ويقول فى موضع آخر . «و تعلّق بال **العبّاس** و **علىّ** بميراثهما فى ما تركه النّبى ، من فدك و بنى النّضير و خيبر» و فى موضع ثالث :

«... ان **العبّاس وعليّا** (على ماروواه الائمّة ـ على ما قال-) اختصما عند **عمر** فى شأن اوقاف رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم ، فقال **العبّاس لعمر** : يا اميرالمؤمنين

١- «افتأت برأيه : استبد و افتات على الباطل : اختلقه»

اقض بينى و بين هذا الظّالم ! الكاذب ! الآثم ! الجائر ! . . . » و نقل المصحّح فى ما علّقه هنا، الرّواية من صحيح **البخارى**! ومن «فتح البارى» **لابن حجر**! وقال : وفى رواية : «و بيْنَ هذا الكاذب ، الآثم ، الغادر ، الخائن» ياسبحان الله ممّا صنع التعصّب حتّى بالحياء الّذى من الايمان [1] .

ومايبنغى ان يقال لمتعصّب يحمله التعصّب على انكار كلّ مالابدّ من التمسّك به فيقول فى موضع من الكتاب : « انّما ذكرت لكم هذا ، لتحترزوا من الخلق و خاصّةً من المفسّرين ! والمؤرّخين ! و اهل الآداب ! بانّهم اهل جهالات بحُرُمات الدّين ! او على بدعة مصرّين ! فلا تبالوا بما رووا ! و لا تقبلوا روايةً الّا عن ائمّة الحديث ولاتسمعوا لمؤرّخٍ كلاماً ! الّا للطّبرى ، وغيرذلك هوالموت الاحمر والدّاء الاكبر فانّهم ينشئون فيه احاديث فيها استحقار الصّحابة والسّلف والاستخفاف بهم... »

بالله ايّها القاضى قل لنا : التّفاسير و التّواريخ والآداب، كلّها جهالات و بِدَعٌ لانّ فيها استحقار الصّحابة والسّلف الّا حديث « رواه الائمّة » على ماتقول، لانّ الأثم ، و الغدر ، و الخيانة ، و الكذب المفترى قولُه على **العبّاس** عمّ الرسول ، لعلىّ ابن عمّه و صهره و كنفسه وخليفته (ولو فى المرتبة الرّابعة) فى نظرك وامثالك احترام و استعظام و تجليل وتبجيل !؟. و امّا ماقلت فى شأن الطّبرى فاعلم انّ جلّ مانقل فى هذا الكتاب مأخوذ من الطّبرى و الحمدلله .

-١١-

انعقد فى عام ١٣٧٦ ﻫ . ق . مؤتمر اسلامىّ ببلدة لاهور بباكستان ، بدعوةٍ

١- ايها المعلق المحقق ! ! اما صح عندك الروايات المتضافرة المصرحة بان ايذاء على ايذاء الرسول و ايذاء الرسول(ص) ايذاء الله، جل جلاله و عظم نكاله هب ان نذر الحياء لاهله الست تدعى انك من العلماء ثم اما تدبرت فى القرآن (و لعلك كنت حافظاً لكلماته الشريفه) و فيه «انما يخشى الله من عباده العلماء» فاخش من الله و لا تؤذيه و ذر العصبية و اكنف بما تفترى على الشيعة و تقول فى تعليقتك على العواصم (الصفحة ال ٦٧) : «والشيعة يذمون موقف الصحابة من مسيلمة و قومه ! ! و يدافعون عن المرتدين »

من جامعتها ، فاجتمعت الوفود المدعوّة (نحوا من اربعين وفداً من اربعين مملكة) من اكثر بلاد العالم المهمّة وكان موضوع البحث فى احد ايام المؤتمر (تأثير الاجتهاد فى الاسلام » وكان اوّل من تكلّم فى ذاك اليوم فى الموضوع المقرّر ، احد العلماء الافاضل من مصر ، رحمه‌الله ، فقال فى ماالقى فى خطابه بعد ما ذكر ابتداءً ائمة الشّيعة الاثنى عشر باسمائهم :

«انّ الشّيعة تعتقدان هؤلاء الائمّة مشرّعون وهم يقولون بالقياس ويعتبرونه..» فعجبت من هذا القول وهذه النّسبة والقائل استاد معروف بالتّتبّع ، صاحب التآليف الكثيرة . فلمّا وصلت نوبتى اشرت فى ماالقيت من الخطاب بانّ ذاك القول منحرف عن الصّواب ، وممّا يدلّ على بطلانه انّ الشّيعة ، كغيرها من المسلمين ، تعتقد انّ التّشريع الدّينى لله تبارك وتعالى وهو يوحى بوساطة امين وحيه جبرائيل على رسوله ، وليس فى الشّيعة من اعتقد نزول جبرائيل بعد رسول الخاتم ، و بعد ان اكمل الله تعالى به (ص) دينه و اتمّ نعمته ، على احد من النّاس كائناً من كان ، فكيف تنسب اليهم ذاك الاعتقاد الباطل !؟

نعم تعتقد الشّيعة انّ اهل البيت ادرىٰ بما فى البيت ، و انّ القرآن يعرفه من خوطب به ، و تعتقد انّ النّبى ، كمااستفاضت منه ، «مدينة العلم والحكمة وعلىّ بابها» ، و تعتقد بانّ الائمّة من صُلب علىّ ذرّيّة الرسول و آلُه ، و من سلالته و ابناؤُه ، و ابواب علمه و حكمته ، و أمناؤه ، آخذون ماقالوا من جدّهم ، و مفسّرون بتعليمه ايّاهم مااشكل فهمه على غيرهم ، و مبيّنون ماخفى دركه و اشتبه على غيرهم ، فهم يروون كابراً عن كابر بالسّند الموصول الى جدّهم الرّسول ، و يبيّنون اصول الدّين وفروعه ، مستندة الى مالايجوز لمن اسلم الّا التسليم منهم والقبول . وذلك كلّه لطهارة ذاتهم ، و شرافة صفاتهم ، و اتّصالهم جسماً و روحاً بالنّبى (ص) و انفعالهم عنه . و اين هذا من اعتقاد التّشريع؟

وامّا نسبة القياس اليهم فامرها عجيب ، والتّفوّه بها من مثل الاستاذ بعيد غريب ، وكيف له والاصاغر من طلبة العلم سمع من الشّيعة انّه يقول : «وليس من مذهبنا القياس»

وسمع هذاالكلام المرويّ بالاستفاضة عن امام‌المذهب ، **جعفر** بن **محمّدالصّادق** (ع) «اَلسُّنَّةُ اِذا قِيسَتْ مَحقَ الدّيْنُ» و سمع مذاكرة الامام مع الامام **ابی حنيفة** فی بطلان القياس [١] ، و شاهد من شاهدكتب الشّيعه فی اصول الفقه ، انّه فيهاانعقد فصل للكلام على القياس و ابطاله ؟

و العجيب انّه لما قلتُ له ، بعد ماجلسنا معاً ، من اين قلت ما قلت ايّها الاخ العزيز ؟ قال : ترجم لی بعض من يعرف الفارسيّة ، من كتاب فارسیّ ! فقلت: اَلَيْسَ عجيبا منكَ ، مع مقامكَ السّامی فی العلم والفضل ، ومع تتبّعكَ الوفير ، و تبحّركَ الشّهير من طرف ، ومع كثرة المؤلّفات الموجودة ، قديماً و حديثاً ، من علماء الشّيعة بالعربيّة من طرف آخر ، ان لا تراجع اليها ، و ان تعتمد على ما ترجم لكَ من كتاب

١- قال الحافظ ابونعيم الاصبهانی ، فی كتابه «حلية الاولياء» (المجلد الثالث - الصفحة ال ١٩٦ -) ذيل ترجمة «الامام الناطق ، ذوالزمام السابق ، ابوعبدالله **جعفر** بن **محمد الصادق** -» ، **بالاسناد عن عمرو** بن جميع قال :

«دخلت على **جعفر** بن **محمد** انا و **ابن ابی‌ليلی** و **ابوحنيفة**» ، و **بالاسناد عن عبدالله بن شبرمة** ، قال : «دخلت انا و **ابوحنيفة** على **جعفر** بن **محمد**»

«فقال لابن **ابی‌ليلی** : من هذا معك ؟ قال : هذا رجل له بصر ، و نفاذ فی‌امرالدين قال : لعله يقيس امر الدين برأيه . قال : نعم . فقال **جعفر** لابی‌حنيفة ما اسمك ؟ قال : **نعمان**. قال : يا **نعمان** هل قست ...» بعد كلام طويل فقال : يا **نعمان** حدثنی ابی عن جدی **ان** رسول‌الله (ص) قال : اول من قاس امرالدين برأيه ابليس . قال‌الله تعالى له : اسجد لادم . فقال : «انا خير منه خلقتنی من نار ، و خلقته من طين» فمن قاس‌الدين **برأيه** قرنه‌الله تعالى يوم القيامة بابليس لانه اتبعه بالقياس»

قال الحافظ بعد ذلك :

«و زاد ابن **شبرمة** فی حديثه : ثم قال **جعفر** : ايهما اعظم ، قتل النفس اوالزنا ؟ قال : قتل‌النفس . قال : فان‌الله عزوجل قبل فی قتل النفس شاهدين و لم يقبل فی الزنا الا اربعة . ثم قال : ايهما اعظم : الصلوة ام‌الصوم؟ قال: الصلوة . قال : فما بال‌الحائض تقضی الصوم ولا تقضی الصلوة . فكيف ، ويحك ، يقوم لك قياسك ؟ اتق‌الله و لا تقس‌الدين برايك . »

فارسیّ ، لانعرف مؤلّفه ، ولا تعلم غرضه ، ولاندری حدّ اطّلاعه وعلمه ، ولا حدّ معرفة المترجم و احاطته على ما ترجمه، ثمّ تستند اليه ، و تذكره فی مثل هذاالمؤتمر العظيم ، الغاصّ بالعلماء الكبار ، من جميع ممالك العالم و تمام الاقطار ؟

ـ ١٢ ـ

انعقد ايضا مؤتمر اسلامیّ فی عام ١٣٨٢ هـ . ق ببيت‌المقدس ، و كان المؤتمر مخصوصا بالوفود من خصوص البلاد الاسلاميّة ، و كانت الكلمات الملقاة ، فی كلّ الخطابات ، حول قضيّة «الجزائر» و قضيّة « فلسطين » ، وفی ماالقيت من الخطاب قلت بعد الحمد والتّصلية :

«رُوينا بالأسناد الموثّق (عن طرق متعدّدة) عن‌الامام جعفر بن محمّدالصادق عن ابيه عن آبائه عن جدّه رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله و سلّم : «مَنْ اَصْبَحَ و لا يَهتَمّ باُمور المُسْلِمينَ فَلَيْسَ منهُم » و نحن و انّا تابعوا الامام مهتمّون غاية الاهتمام بامر الجزائر المظلومة ، و فلسطين المغصوبة ، و تابع لكم فی ماترون لحلّ هذه المشكلة المؤسفة ولكنّی ، وانا من المسلمين ، لی مالهم وعلىّ ماعليهم ، اعتقد انّه يجب علىّ اَنْ اشير هنا الى مايهمّ الاسلام والمسلمين جميعاً ، وهو انّه لمّا دعانی فی ايران ، الزّعيم الاكبر ، **البروجردی** ، (قدّس سرّه) ، و طلب منّی الحضور فی هذا المؤتمر بنيابته (على‌ماعبّر) ، ظننت انّ المؤتمر ، الّذی دعا زعيما عظيما **كالبروجردی** انعقد لامحالة للبحث عن امر اوسع ، و انفع ، و ارفع ، انعقد للبحث عن عالم الاسلام و عمّا اورث للمسلمين ، الّذين تقدّموا فی الصّدر الاوّل ، تقدّما علميّاً و عمليّا ، تقدّماً اماريّا و اداريّاً ، و استولوا فی اقلّ مدّة تتصوّر ، على غرب العالم و شرقها ، هذا الضّعفَ المفرطَ المؤسف ، بحيث صار الخائف من شوكتهم ، الخاضع لقدرتهم ، حاكماً مهيمناً عليهم فی بيتهم ، وظلّ المضروب عليه الذلّة والمسكنة ، غاصباً لارضهم ، هاتكاً لعرضهم ، مُشَرّدهم عن مكانهم ، مهدّداً لكيانهم .

ثمّ اشرت الى ماكان المسلمون عليه ، فی الرّعيل الاقدم ، والصّدر الاوّل ، من

من قوّة الايمان والعقيدة، و وحدة الارادة والكلمة، بحيث كان عنوان «الاسلام» وعنوان «المسلم» من ايّة جنسيّة كان المسلم، وفى ايّ قطر من الاقطار، عنواناً جامعاً المشتّات، رابطاً للمتفرّقات، و نقطة مركزيّة تدور على محورها آلاف و الوف من المسلمين، كلٌّ منهم يفتدى بماله و نفسه و عياله فى سبيل حفظ ذلك العنوان الجامع، ولبسطه واعتلائه، و يعتقد انّ الاسلام يَعلُو ولا يُعلىٰ عليه، و يجتهد و يجاهد بان لا يُجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، فكان الاسلام بمجاهدتهم ووحدتهم كما ارادوا واحبّوا، والمسلمون على مايليق بشانهم و على ما شاؤا.

و اصبحوا فى عصرنا من ضعف الايمان، و التشتّت و الافتراق، و العصبيّة و العناد، بحيث قدّموا الجنسيّة على الاسلام فنرى، حتّى فى هذا المؤتمر الذى انعقد باسم «الاسلام»، يؤخّر اسم الاسلام عن «العروبة» فيُهتف بعنوان «العروبة والاسلام!» و يؤخّر اسم المسلمين عن «العرب» فيُنادىٰ جهاراً بعنوان «العرب والمسلمون». جاء الاسلام لتوحيد البشر من العرب والعجم» وشاء ان يكون عنوان الكلّ «المسلم» وقضى على سائر العناوين مطلقا فمن يبتغ غير «الاسلام» شأناً و سوى «المسلم» عنواناً لن يُقبل منه، و يكونَ من الخاسرين. انّ الله لا يغيّر مابقوم حتّى يغيّروا ما بانفسهم فيصيروا من الاذلّين الهالكين.

ثمّ اقترحتُ لمسئلة الجزاير وفلسطين، و لِما ينفع عامّة المسلمين، و يورث الاتّحاد و الاتّفاق، و يُنتج القوّة والقدرة، و يجدّد الشوكة والعظمة، ماتلقّته الجماعة بالقبول والتحسين[1].

١- كان فى مااقترحت لمسئلة الجزائر و فلسطين ان يدعو زعيم مملكة الاردن، زعماء البلاد الاسلامية من كل الاقطار فيشاورون و يتخذون الراى النهايى و يعتزمون على العمل به، و يقدمون للعمل بلا تريث و تلبث، و من دون تسامح و تساهل. و مما اقترحت لما ينفع الاسلام و عامة المسلمين ان يتوافق الزعماء على اتحاد برنامج التحصيل والدراسة فى مدارس بلادهم للشبان فى الدورة الاولى و الثانية كى يتأدبوا على التفاهم بينهم و يربوا على وحدة الفكر و يشبوا على الايمان الراسخ المتين بانهم «الاعلون» ان كانوا مؤمنين.

لمّا انقضت الجلسة الرّسميّة، و اجتمعت اعضاء المؤتمر فی محل صرف الشّای، قال لی شابّ فاضل، کان من اساتذه کلیّة الشریعة بجامعة اللّیبیّة متعجبّا: هل یکون للشیّعة، التّحدیث والاسناد ؟! وقال شیخ من وفدالحجاز فاضل: الیست الشیعة تقول عند الّصلوة: « خان الامین » ؟ فقلت للاوّل: لعن الله العصبیّة الموجبة للافتراق بحیث لانعرف، و انت من العلماء و من الاساتذه، انّ الشّیعة لهم اصول مسندة الی اهل بیت الرّسول، وهم متمسکون بالعترة کما امر الرّسول. وقلتُ للثّانی بعد استیضاح المراد منه: لیست هذه النّسبة الی الّشیعة سوی افتراء واختلاق، ولیست هذه الفریة و البهتان الّا لتولید الاختلاف والافتراق. وانا، و الله العظیم، ماسمعتها من احد من الّشیعة الامامیّة. ثمّ لوتفوّه بهذا الکلام، و نستجیر بالله، احد عندالصّلوة، او فی ایّ وقت وزمان، ومن ایّ الفرق کان، فاهماً معنیه، قاصداً مرمیه، تکون عندالّشیعة کافراً بالرّسالة و یُحکم علیه بما یحکم علی من انکرالرّسول بل و انکرالله و ملائکته.

و من العجیب المولم وجود هذه العصبیّة الجائرة علی الّشیعة، حیث انّ سائر الفرق الاسلامیّة حتّی اهل العلم منهم لایراجعون الی الکتب الموجودة المطبوعة الّتی یغلب عددها علی الأحصاء، والّفها علماء الّشیعة فی العلوم الاسلامیّة من التّفسیر والفقه والحدیث والرّجال والدّرایة و غیرها وهی مکتوبة باللّسان العربّی، ولایطّلعون علیها فیقولون فی حقّهم مالایعلمون من قول الزّور و ینسبون الیهم مالایعرفون ولایناسب بشانهم، من الباطل والغرور.

فاعتذرا بانّ ورود الکتب من تآلیف الّشیعة فی بلادنا ممنوع من جانب الحکومة مطلقا، ولذلک لم یتیسّر لنا المراجعة وما وافقنا التّوفیقُ للمطالعة.

قلت لهم: و هذا ایضا من سیّآت العصبیّة الغاشمة، الّتی تکون الّشیعة بریئة عنها، و ذلک لانّ فی کلّ بلد من بلاد الّشیعة مکاتب عمومیّة، ممتلئة من الکتب الاسلامیّة، من دون فرقٍ بین المذاهب، وعلماء الّشیعة یراجعون فیها، و یستفیدون منها

منها بالفكر الحرّ و بلاعصبيّة ، فيستمعون القولَ و يتّبعون احسنه . ولعلّه لاتوجد لعالِم شيعيّ ، اينما كان ، مكتبة شخصيّة خصوصيّة خالية من مؤلّف لاخوانه من اهل السّنّة سواء كان فى التّفسير ، اوالحديث ، اوالفقه ، اوغير ذلك ، و كيف لا والشّيعة تطلب الهداية و الحقيقة ، و تسعى لادراك الحقّ ، و تكابد للوصول الى النّجاة و الرّشاد ، و تريد الحكمة الّتى من ضالّة المؤمن وتاخذها اينما وجدها ؟

فهذا كتاب «مسائل الخلاف» للشّيخ ابى جعفر **محمّد** بن **الحسن الطّوسىّ** ، المعروف بشيخ الطّائفه (المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ . ق) يحتوى على مذاهب اكثر الفقهاء ، البائدة منها ، كمذهب الشّعبى ، والاوزاعى ، والطّبرى ، والاصفهانى (**داود** بن **خلف** الظّاهرى) وغيرهم والباقية منها كالمذاهب الاربعة للائمّة الاربعة (**نعمان ثابت الايرانى** - ابوحنيفة - **مالك** بن **انس** ، **محمّد** بن **ادريس الشّافعى** و **احمد** بن **محمّد** بن **حنبل المروزى**) ثمّ المؤلّف يقارن بين تلك الآراء و بين ماارتضاه رايه ، و اقتضاه مذهبه ، فيستدلّ لما اختاره ، و افق مذهب غيره او خالفه . هذا شأن الشّيعة و كتب غيرها ، ولكنّه لعلّه لايوجد فى ماكتبه اخواننا ، علماؤ السّنّة كتابا ذكر فيها فقه الشيعة ، المأخوذ من القرآن والسّنّة ، بارشادٍ من اهل البيت و عترة الرّسول ، حتّى و لوكان بعنوان الرّدّ وعدم القبول !

- ١٤ -

و يناسب فى هذا الموضع ان يقال : بما ذا يصحّ ان يعتذر اعظم علماء الحديث عند اهل السّنّة ، **البخارى** (**محمّد** بن **اسماعيل**) حيث ترك التّحديث عن **جعفر** بن **محمّد** بن **علىّ** بن **الحسين** بن **علىّ** بن **ابى طالب** ، الملقّب بالصّادق ، الرّاوى عن ابيه عن آبائه عن جدّه رسول الله (ص) ؟

و الامام الصّادق هو الّذى لوكان ريب فى عصمته و امامته ! لامجال للرّيب فى زهده وتقويه و علمه و هديه . وهوالّذى كان **ابوحنيفة** يعظّمه و يبجّله ، ويستفيد منه ، و يتواضع له و هوالّذى كما فى الحلية لابى نُعيم «حدّث عنه من الائمة والاعلام

مالك بن **انس** و **شعبة** بن **الحجّاج** و **سفيان الثّورى** و **ابن جريج** و **روح** بن **القاسم** و **سفيان** بن **عُيَيْنه** ، و **سليمان** بن **هلال** و ... و ... و ... فى آخرين . و اخرج عنه **مسلم** بن **الحجّاج** ، فى صحيحه ، محتجاً بحديثه » .

و هوالّذى نُقِل عن الامام **مالك** بن **انس** انّه قال فى حقّه : « مارَاَتْ عينٌ ولا سَمِعَتْ اذنٌ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ افضلَ من جعفرالصّادق فضلاً وعلماً وعبادةً ، و ورعاً (اى بعد الرّسول ، ص ،)

و هوالّذى كان الامام **الشّافعى** يعترف بعظمة مقامه . وهو الّذى كان اصحاب بحثه والمستفيدون من مجلس درسه نحواً من اربعة آلاف (على ماهوالمشهور) وكان اصحابه الخاصّة الّذين دوّنوا املاه عليهم من الاحاديث عن آبائه عن جدّه رسول الله (ص) اربعماة نفراً ، و صارت هذه الامالى مشهورة فى الشّيعة بعنوان «الاصول الاربعماة» و من تلك الاصول استخرجت « الاصول الاربعة » المعروفة ، المتداولة ، الّتى للشّيعة بمنزلة الصّحاح السّتّة ، لاهل السّنّة ؛ (وهى «الكافى » و « فقيه من لايحضره الفقيه » و « التّهذيب » و « الاستبصار » للمحمّدين الثلاثة : الكلينى و الصّدوق و الطّوسى رحمهم الله تعالى .

قال **ابن خلّكان** فى الوفيات «الجلد الاول ـ الصفحة ال١١٢ ـ طبع تهران ـ) :

«ابوعبدالله **جعفر** بن **محمّد الصّادق** بن . . . كان من سادات اهل البيت ولُقّب بالصّادق لصدقه فى مقالته ، و فضله اشهر من ان يُذكر . و له كلام فى صنعة الكيمياء وكان تلميذه ابوموسى **جابر** بن **حيّان** الصوفى الطّرسوسى قد الّف كتابا يشتمل على الف ورقة يتضمّن رسائل جعفرالصّادق وهى خمسماة رسالة . . . »

وفى «الرّوضات» (الصّفحة ال ٦٩٨) :

« و نُقل عن الذّهبى انّه قال فى كتاب ميزانه عند ذكره و بيانه لمرتبة الامام **جعفر** بن **محمّد الصّادق** : بَرٌّ ، صادق كبير الشّأن لم يحتجّ به **البخارى** » مع انّه يروى كثيراً فى صحيحه ، كما حُكى عن صريح شارحه الفاضل العينى ، عن **عمران**ـ

بن الحِطّان ، الخارجيّ ، المادح لعبدالرحمن بن ملجم المرادى وقتله امير المؤمنين [1] .

«واعترف الحاكم بن البيّع النّيسابورى فى مانُقل عن كتابه المشهور فى معرفة اصول الحديث ، بانّه : احتجّ البخارى باكثر من مأة رجل من المجهولين ! و صحّ عند العلماء انّه يروى عن الف و ماتى رجل من الخوارج .

«وقال له الامام احمد بن حنبل : سمّيتَ كتابكَ « صحيحاً » و اكثره رواية الخوارج . وحبسه قاضى بخارا لمّا قال له : لِمَ رويتَ من الخوارج ؟ قال : لانّهم ثِقات لايكذبون» .

ثمّ لو فرض انّ جعفر الصّادق و آباؤه : باقر العلوم و زين العابدين و سيّد شباب اهل الجنّة و باب مدينة العلم لم يكونوا ائمّة معصومين ، وهداةً مهديّين وعترةَ سيّد الأنبياء والمرسلين ولم يكن كلّ واحد منهم فى زمانه ازهدَ واتقىٰ و اصلح و اعلم باحكام الشّرع و علوم الدّين ألَم يكونوا علماء ، صلحاء ، اصدقاء ، اتقياء ايضا ؟ و ألَمْ يكن اتّصالهم الرّوحى و قرابتهم الجسمى من الرّسول (ص) ابين واشدّ ؟ و ألَم يكن علمهم مأخوذاً عن جدّهم ، مستنداً اليه ؟ فلِمَ لم يعبا صاحب الصّحيح بهم ، و لم يعتدّ بشانهم ؟ مع انّه نقل كثيراً عن ابى هريرة الدّوسى [2] (الّذى ضربه عمر ، رض ،

١ـ قال ـ ملاءالله فاه من النار ـ :

«يا ضربة من كمى ما اراد بها	الا ليبلغ عند الله رضواناً
« انى لا ذكره يوماً فاحسبه	او فى البرية عند الله ميزاناً
« و هو المرادى الذى سفكت	كفاه مهجة شر الخلق انساناً
« امسى عشية غشاه بضربته	مما جناه من الاثام ، عرياناً ! ! »

٢ـ فى صحيح البخارى (طبع عبدالحميد ـ الجلد الاول ـ الصفحة ال ٣٥ ـ) بالاسناد عن ابى هريرة قال : «حفظت من رسول‌الله (ص) وعائين ، فاما احدهما فبثثته ، واماالاخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم» .

فلسائل ان يقول : ايها الصحابى بالله قل لنا ما كان فى الوعاء الذى لم تبثه من ـ الاسرار التى افشاها رسول‌الله (ص) لك ! وكنت جديد الاسلام وكان تمام مدة صحابتك لم تبلغ اربع سنة ولم يفشها للصاحب الصديق و للفاروق و لذى النورين وحتى لعلى اخيه
←

بالدّرّة لأكثاره الحديث وشاطر امواله بعدعزله عن العمل) ونقل عن **ابن حِطّان الخارجي** وغيره من الخوارج . لِمَ كلّ ذلك ايّها المحدّث الخبير ؟ اليست العصبيّة تزرى بشان العلماء ؟ عصمنا الله وجميع اخواننا المسلمين من اتّباع الهوىٰ وحفظنا ممّا يورث التّخبّط فى الرّدىٰ .

ولمّا انجرّ الكلام الى هذا المقام ، نشير الى ما ارتكبه عالم آخر من التّعصّب الشّديد ، وهو **السُّبكى** (تاج الدّين ابونصر **عبدالوهّاب** بن **تقىّ الدين علىّ** بن **عبدالكافى السُّبكى**-٧٢٧، ٧٧١ هـ. ق-) مع انّه كمافى مقدّمة كتابه ، طبقات الشّافعيّة ، اخذ على شيخه **الذّهبى** ، ماارتكب من التّعصّب وهجم عليه شديداً ففى المقدّمة للكتاب نقلا عنه ، فى ترجمة **احمد** بن **صالح المصرى** : « و امّا تاريخ شيخنا **الذّهبى** - غفرالله له - فأنّه ، على حسنه و جمعه، مشحون بالتّعصّب المفرط - لا و اخذه الله -

---

←

و صهره و وصيه و اول من آمن به و صدقه من الذكور ، و لباقى العشرة المبشرة و لسائر صحابته المبجلة ! ؟ ثم ان قالها الرسول (ص) لك للبث و النشر فلم عصيته وحرمت الامة عنها؟ و ان اختصها بك من جميع الامة وكانت لك خاصة ! فما معنى الاعتذار لعدم البث بقطع البلعوم و الحلقوم ! ؟

و فى الصحيح ايضا (الجزء الثالث الصفحة ال ١٠٩-) بالاسناد عنه ايضا : «يقولون: ان **اباهريرة يكثر الحديث** ، والله الموعد ، و يقولون : ما للمهاجرين والانصار، لايحدثون **مثل احاديثه** ؟ و ان اخوتى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، وان اخوتى من الانصار كان يشغلهم عمل اموالهم ، وكنت امرءاً مسكينا الزم رسول الله على ملاء بطنى فاحضر حين يغيبون ، و اعى حين ينسون »

ايها الصحابى المحترم ! انت تعترف بان حديثك فى الكمية (الاكثار) و فى الكيفية (مثل احاديثه) مختلف لحديث سائر الصحابة ، و لاجله قالوا (اى الصحابة) فيك ماقالوا ، ثم تعتذر بما كانك تغافلت من ان كثيراً من الصحابة ، كانوا اشد ملازمة ، و اكثرها ، منك للرسول (ص) وكانت مدة صحابتهم اطول جداً وكانوا اليه اقرب و لاستماع الحديث ونقله انسب . هب انك كنت فى مدة ادراكك الاسلام دائما مع الرسول و ملازماً له هل كانت هذه الاحاديث الكثيرة التى تحدث بها صدر عن الرسول و هو فى خلوة معك ولم يكن احد عنده سواك ؟ او اختار الرسول ، لما يريد ان تعلمه امته و تعمل وفقه ، نجواك ! ؟

فقد اكثر الوقيعة فى اهل الدّين ، واستطال على كثير من ائمة الشافعيين و الحنفيين ، و مال فافرط على الحشويّة ... هذا و هو الحافظ المِدْرَه[1] ، و الامام المبجّل ، فما ظنّك بعوام المؤرخين ؟ »

فقد تعصّب **السُّبْكي** نفسه للامام **الشافعي** تعصباً مفرطاً وكانه للمحبّ صار اصمّ واعمى كما سنورد كلامه السخيف و سترى .

و ملخّص ما جاء به فى مقام تعريف **الشافعي** انه اتى اوّلاً باخبار مسنداً من هذا القبيل : « النّاسُ تَبَعٌ لقريش فى الخير و الشرّ » و « انّ لله حُرُماتٍ ثلاثاً مَنْ حَفِظَهُنَّ حَفِظَ الله له امرَ دينه ودنياه ومَنْ ضَيَّعَهُنّ لم يحفظ الله لَهُ شيئاً. قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : حُرْمَة الاسلام ، و حرمتي ، وحُرْمة رحِمى » و « الا مَن آذىٰ قرابتى فَقَدْ آذانى و مَنْ آذانى فَقَدْ آذى الله ، عزّ وجلّ ، » و « مَنْ احَبَّ قريشاً احَبَّه الله و مَنْ ابْغَضَ قريشاً ابْغَضَه الله » و « كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ منقطعٌ يوْمَ القيامة الّا نَسَبى وسَبَبى » و « اِنّما نَحْنُ و بَنُو المطّلب هٰكذا » وشبّك بين اصابعه . و « اِنّما نَحْنُ و بَنُو هاشِم شيىءٌ واحدٌ » ثمّ اتى باخبارٍ فى « مُوالاة قريش » و « انّ الائمّةَ مِنْ قريش » و « لايَزال هذا الامرُ فى قريش مابَقِىَ فى النّاسِ اِثْنانِ » .

وبعد ذلك ادّعى انّ تلك الاخبار بعمومها ، صدرت للدّلالة على امامة « ابو عبدالله **محمّد** بن **ادريس** بن **العبّاس** بن **عثمان** بن **شافع** بن **السّائب** بن **عُبَيد** بن **عبد يزيد** بن **هاشم** بن **المطّلب** بن **عبد مناف القرشيّ** المكّى » وقال : « تكفى (اى هذه الاخبار) فى عظمة مقامه » .

ثمّ بحث عن امّه فاطمة ، و انّها هى من احفاد **حسين بن علىّ بن ابى طالب** ، او من قبيلة ازْد ، او من قبيلة اسد ، و تجشّم لاثبات قول الاوّل كى يثبت شرفه من حيث الانتساب بآل بيت الرّسول ايضا .

ثمّ استنتج من تلك المقدّمات انّ « الامام القرشيّ » ، الّذى لايختلف عاقلان فى انّه من قريش ، هو الشّافعى ، رضى الله عنه ، فهو المشهود له بالامامة ، بل بانحصار

---

١ - « المدره » جمع « مداره » : السيد و زعيم القوم و المتكلم عنهم »

الامامة فيه ، لانّ «الائمّة من قريش» يدلّ ، بحصر المبتدء ، على الخبر ، على ذلك ولانعنى بالامامة ، امامة الخلافة بل امامة العلم والدّين ، او اعمّ من ذلك ...»

«و لو انّ احداً من الخلق ، غيره ، ادّعىٰ انّه قرشىّ و اراد منّا هذه المرتبة لقلنا له :

«اوّلاً اثبت انّك قرشىّ ، وهيهات ! ...

«و ثانياً ينبغى ان يكون من التّمسّك من العلم و الدّين بحيث يكون من العلم والدّين بحيث يكون من جملة القوم المشار اليهم فى هذه الاحاديث ...»

ثمّ اورد فى تجليل الشّافعى فصلاً مُشْبعاً ، و فيه : انّ الله تعالى كما استاثر لنبيّه اسم محمّد قبل النّبىّ كذلك استاثر اسم محمّد فى قريش قبل الشّافعىّ له !

وبعد ذلك زعم انّه كما ورد فى حقّه مايدلّ على امامته ، بعمومها ، صدرت ايضااخبار للدّلالة عليها بخصوصها مثل «لاتَسُبُّوا قريشا فانّ عالِمَها يَمْلأالارض عِلْماً» . و «لاتؤمّوا قريشاً وائتمّوا بها، ولاتَقَدَّمُوا قريشاً و قَدّمُوها، ولاتُعَلّموا قريشاً و تَعَلّموا منها ، فانَّ امامةَ الأمين من قريش تَعْدِلُ امامةَ الأمينِ من غيرهم وَانَّ علمَ عالمِ قريش ليَسَعُ طِباقَ الأرضِ»

ثمّ نقل عن «ابونُعيم عبدالملك بن محمّد الفقيه» شرحاً فى بيان انّ حديث «عالمقريش يَمْلاء الأرْضَ علماً» لا مصداق له الّا الشّافعى ، وانّه ان نازع جدلىّ مغرور ، وعارَضَ بعلىّ و ابن عبّاس فانّهما من علماء قريش فنقول له :

«من ذكرتَ و ان كان فى العلم و الدّين بالمنزلةالّتى تفوق الشّافعىّ الّا انّ ـ التّصانيف و الشّهرة ! وكثرة الاتباع ! مخصوصة بابنادريس ! » و بعد هذا النّقل اورد السُّبْكى راى نفسه و قال :

«... وانا اقول : و لئن سلّمنا انّ امر من ذكرتَ كذلك ، و لا و الله لانسلّم ذلكالّا تنزّلاً ولايعتقده الّاالاحمق (!!) فنقول : الشّافعى ايضا من علماء قريش...» الخ .

- ١٦ -

والآن فانظر الى العصبيّة كيف صارت موجبة لغفلة هذا الرّجل الفاضل عن الحقّ والعدل والانصاف فاورد اخباراً منافيةً للاخبار المستفيضة بل المتواتره الّتى بصراحتها تدلّ على انّه لافخر لقرشىّ على حبشىّ ، الّا بالعمل الصّالح ، بل معارضةً للقرآن المجيد بانّ «اكرمكم عندالله اتقيٰكم» حرصاً على ان يرجّح مذهب الشّافعى ، لكون مؤسّسه قرشيّاً ، على باقى المذاهب الاربعة ، و غفل عن انّ جلّ هذه الأخبار الّتى صُرّحت فيها بكلمة «قريش» موضوعة فى زمان بنى اميّة والّا فمامعنى لزوم «موالاة قريش» على الاطلاق وفيهم البرّ والفاجر والمؤمن والكافر ؟ وعلى مايحمل قوله « من احبّ قريشا احبّه الله ومن ابغض . . . » ومن قريش ابولهب و حمّالة الحطب»

واما الخبران الّذان صُرّح فيها بكون «الائمّة من قريش» و بانّه «لا يزال هذا الامر فى قريش مابَقِىَ فى النّاس اِثنان» فالمراد منها ائمّة الشّيعة، ولاسيّما الثّانى منهما حيث لاينطبق الّا على ماعليه الشّيعة، فانّ الامر زال عن قريش بانقراض خلافة آل العبّاس. وكيف كان ليس فى هذا العصر امام من قريش (خليفةً للرسول) الّا على ما اعتقدت الشّيعة .

و امّا الاخبار الّتى جىءَ فيها بلفظ القرابة والرّحِم فانطباقها على عترة الرّسول وآله وابنائه من بنته ، اظهر من ان يجترىء من له حياء العلم ، ان يصرفها منهم ويرجعها الى من بينه و بين الرّسول فى سلسلة الاجداد نحواً من عشرة فاصلة .

والخبر الّذى فيه «الامامة والايتمام والتّعليم والتّعلّم ، وانّ امامة الامين من قريش تعدل امامة الامين من غيرهم ! » فوضعه غير محتاج الى البيان و التّوضيح ، وكذا خبر « النّاسُ تَبَعٌ لقريش فى الخير و الشّرّ » لوضوح عدم جواز التّبعية فى الشّرّ ، ان فرض كون الخبر على سبيل الانشاء و الحكم ، و عدم صدقه ان فرض كونه خبريّا ، لانّ « النّاس » على اطلاق الكلمة لم يكونوا و لا يكونون تبعا لقريش فى اىّ زمان اللّهم الاان يكون المراد من «النّاس» جمع خاصّ ومن «قريش» ايضا افراد مخصوصة ! .

واما استيثار الاسم (لو فرض انه فخر) فانظر ماصنعت العصبيّة باهلها حيث تغافل عن انّ من سمّاه الرسول من عترته «باقراً»، لانّه يبقر العلم، كان اسمه **محمّداً**[1] وهو **محمّد بن علىّ** بن **الحسين** بن **علىّ** بن **ابى طالب**، و قد توُفّى قبل ولادة الشّافعى باكثر من ثلاثين سنة .

و لعَمرُ العلم والعدل انّى استحيى من الحقّ ان اقول شيئا فى ماتعصّب اخيراً من جسارته فى حقّ باب مدينة علم الرسول، الّذى قال **الشّافعى** نفسه حين قيل له فى مسئلة : ما تقول فيها يكون على خلاف راى **علىّ** فقال : اَثبِتْ لى قولَ **علىّ** فيها حتّى اَضعَ خدّى على الارض تجاه قوله .

و لنقطع الكلام مع **السُّبكى** بتذكار مايجب تذكاره له، وهو ايّها المتعصّبُ فى غير موضعه :

اَما كان **جعفر** بن **محمّد الصّادق** قرشيّا؟ اَما كان قرابة رسول الله و رَحِمهُ؟ اما كان **الشّافعى** استفاد منه بواسطة شيخه **مالك** بن **انس**، اما كان علمه وسع طباق الارض؟ اما كان تابعوا مذهبه فى كلّ الاقطار ؟ اَما كان من استفاد منه بلاواسطة اكثر من آلاف ؟ و اَما كان مقدّما على **الشّافعى** فى الدّين والزّهد و العلم و الزّمان ؟ و اَما ؟ و اما ؟ و اما ؟ فكيف غفلتَ او تغافلتَ عنه وانت فى رايك و باعتقادك ، لست من عوام المؤرّخين ! وتنتقص من شيخك الذّهبى ! و لِمَ نسيتَ اوتناسيتَ ابن رسول الله الامام الصّادق ؟ واشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق .

ثمّ اقول : انّى ماارديتُ ممّا قلتُ ، الانتقاص ، والعياذ بالله، عن الامام الجليل الشّافعى القرشى، رحمه الله، وكيف وهو فحل الفضيلة والمنقبة و بحر العلم وفخر الفضل و هو الّذى يعرف حقّ آل محمّد الّذين وجب حبّهم و فُرض فى الصّلوة ذكرهم و يقول :

---

[1]- هذا من ذرية الرسول و ابنائه واما من غير الذرية فمحمد ابن الحنفية ابن **على** بن **ابى طالب** (ع) و غيره من اولاد الصحابة مثل **محمد** بن **طلحة** بن **عبيدالله** و **محمد** بن **عمرو العاص**.

اِنْ كانَ رَفْضاً حُبُّ آلِ محمّدٍ
فَلْيَشْهَدِ الثَّقلان اَنّيْ رافِضِيَ

و يقول ايضا ، على ماحكى من الصّواعق **لابن حجر المكّي** :

يا اَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ الله حُبُّكُمُ
فَرْضٌ مِنَ الله فى القرآن اَنْزَلَهُ
كفاكُمُ من عَظِيْم القَدْر اَنَّكُمُ
مَنْ لايُصَلّي عَلَيْكُم لاصَلوةَ لَهُ

بل اردتُ اَنْ اشير الى تعصّب من لايليق به التعصّب بحيث يَغمض عينه، ويُرخى السّدول بين الحقّ وبينه، و يَتْرُكُ مايجب ان لايُتْرَك، و يُمْسِكُ عن اظهار مالايجوز ان يُمْسَك، بل ويتكلّم بما يَهْزَءُ منه الحقّ والعدل، ويسخر به الادبُ والعلم والفضل.

- ١٦ -

نرجع الى ماكنّا فيه فى جلسة المؤتمر فقلت اخيراً و اتممت به الكلام :

«نَعَمْ يا اخوانى الاعزّة ، انّ للشّيعة تحديث و اسانيد واجازات، ولان يؤكّد عدم العصبيّة للشّيعة اقول : انّ فى طريق أسنادى فى مااجازنى مشايخى ، رحمهم الله ، **محمّد بن مكّى العاملى** ، المقتول بسيف العصبيّة والمعروف عند الشّيعة بالشّهيد [1] (المقتول فى سنة ٧٨٦) الفقيه الاديب الزّاهد الّذى قلّما يوجد له نظير فى الاسلام . وكان له اجازات كثيرة للتّحديث عن اكابر مشايخ اهل السّنّة ، تربو على سبعين من مشيخة الاجازة و شيوخها !

هكذا كان داب علماء الشّيعة و ديدنهم فى طلب العلم و كسب الفضيلة وادراك الحقّ والحقيقة من دون تعصّب وحميّة جاهليّة ، و كذلك كانت المعاملة معهم من العلماء !! واقول و به اختم الكلام وانا الضّعيف الّذى ليس الّا من اصاغر طلبة العلم ، :

---

١ - «قتل بعد ماحبس سنة كاملة فى قلعة الشام ، بالسيف ، ثم صلب ! ثم رجم ! ثم احرق ! بدمشق بفتوى القاضى برهان الدين ! المالكى و عباد بن جماعة ! الشافعى»

اُعلن عندكم انّ معرفتی بالأئمّة الاربعة و ترجمة حالهم بل و غیرهم من ائمّةالفقه من اكابر علماء اهل السّنّة و اقوالهم فی الفقه و اصوله و الحدیث و التّفسیر لعلّه لم یكن بادون من معرفة كلّ واحد منكم فی مذهبكم وقدراجعت كتبهم وطالعتها كراراً بلاتعصّب لالأیّ شیء آخر سوی شوق العلم ، و حبّ درك الحقّ . و راجعت صحیح **البخاری** و طالعتها مرّتین من اوّله الی آخره . والحمد لله و له الشّكر .

- ١٧ -

لاانسیٰ ماحصل لی من التأسّف والتلهّف ممّا رایت من العصبیّة حین تشرّفت بالمدینة المنوّرة ، بعد التّشرّف الی مكّة المعظّمة ، زادهاالله شرفاً و تعظیما ، لاداء العمرة ، وكنت معتكفا فی مسجدالنّبیّ ، صلّی‌الله علیه و آله و سلّم ، فرایت شابّاً جالساً،قریباً منّی ،و بین یدیه عدّة كتب ، فظننت انّه من طلبةالعلم ، واحببت اناجلس معه واذاكره ، واستفید منه ، فقرُبت الیه ، و سلّمت علیه ، واستاذنت علیه . و اظهر انّه من طلّاب كلیّة الشّریعة بالمدینة . وسأل هومنّی بلدی ولمّا سمع انّی من ایران ، انقلبت حاله ، واسودّ وجهه ، و تبدّل بَشّهُ و بَسْمُهُ ، و قال بلحنٍ خشن ، و تعبیر خفیف ما مذهبكٔ ؟

قلت : مسلم ، یا اخی المسلم . فما لبث ان قال : انتم تقولون عقیب الصّلوة : «خان الامین» !

قلت : كـلّا یا اخی . هذا افتراء عظیم . كیف و نحن نعتقد انّه لو قاله احد ، لكان منكر الرّسالة ، كافراً ، یجب ان یعامل معه معاملة الكافر المرتدّ .

قال : والله لقد سمعت باذنیّ ، هاتین ، من قاله منكم !

قلت : انت مسلم ، ولا یسع لمسلمٍ ان یكذّب مسلماً ، فلا اكذّبكٔ و حتّی لااقول لكٔ : من این علمت انّه كان منّا ولم یكن عدوّاً لنا ،شیطانا مفرّقا بیننا ؟ ولكنّی وقد ذرف عمری علی ستّین عاما ، وسافرت اكثر بلاد ایران ، و عاشرت كثیراً من الایرانیّین ، و حضرت الجماعات والجُمُعات ، اقول :

والله ماسمعت الى الآن احداً من الشيعة الامامية تفوه بذلك ، وما رايت احداً ذكر لى انه سمع احداً من الشيعة الامامية اتى بهذه الكلمة المنكرة ، الخارج قائلها من الاسلام ، قبل الصلوة او بعدها او فى وقت آخر .

فاشتد تحوله بحيث صار وجهه مسوداً ، وما اسرعه ان قال :

«والله لو كان **عمر بن الخطاب** حياً لاخرجكم من المدينة» ! ثم اضاف الى ذلك :

« و والله لو كان **علي بن ابيطالب** حياً لجز رؤسكم » ! و اشار بيده الى حلقومه !

اخذتنى الحيرة والدهشة من نسبة تلك الكلمة المنكرة ، وادعاء السماع شخصاً ممن هوفى طريق كسب العلم و ينبغى ان يكون صادقاً باراً رؤفا، مقرونا بالقسم المؤكد ، ثم من الحلف المؤكد ايضا لبيان راى الخليفتين : **عمر و علي** ، بالاخراج ! و جز الرؤس ! ، فكانه يعلم الغيب و يكون عارفاً بما فى قلوبهما ، من دون شك وريب .

فقلت : على رِسلك ايها الاخ الفاضل المسلم ومهلاً ، هل انت تزعم ان ايماننا و اقرارنا بوحدانية الله جل جلاله و برسالة نبيه الخاتم ، و اعتقادنا بان ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ، حق لايأتيهما الباطل ، يوجب ان يُخرجنا **عمر** (رض) من مدينة الرسول (ص) ؟

او تعتقد بان اقامتنا الصلوة فى اوقاتها الخمسة ، و تولى وجوهنا شطر الكعبة المقدسة ، و صيامنا شهر رمضان ، و ايتائنا الزكوة ، و تحملنا وعثاء الطريق ، و مشاق السفر ، وانفاقنا اموالنا التى كددنا لكسبها ايماننا ، واتعبنا انفسنا ، واتمامنا الحج والعمرة ، كل ذلك بالطوع والرغبة والشوق والفرحة ، يحمله على اخراجنا ؟

ام لاننا نحن الايرانيين من صدر الاسلام ومن حين تشرفنا بشرافة قبوله لم نألُ جهداً ولم نقصر اجتهاداً فى سبيل علوم العربية والاسلامية تأسيساً ، و تكميلاً ، توضيحاً و تقريراً ، تحقيقاً وتعليقاً يبعثه ان يخرجنا ؟!

تفضل ايها الاخ وقل لى ، ان كنت تدرى :

مَن الّذی کتب فی علم النّحو بادی بدء بامتن وضع ؟

و مَنِ الّذی اسّس علم البلاغة و شیّد اساسه و بنیانه ؟ و الّف فیه و ابرز عُنیانه ؟

و مَنِ الّذی کتب التّاریخ المعتبر المعتمد و التفسیر الّذی هو المستند ؟ الیسوا هم الایرانیّین ؟

الیس امامکم الاعظم **ابوحنیفة** من ایران ؟

الیس مؤلّفوا الصّحاح السّتة کلّهم ایرانیّین ؟

الیس اکثر فقهائکم الاعاظم من ایران ؟

الیس جلّ رؤساء الکلام من الاشاعرة والمعتزلة واغلب من اخذتم بیان الاصول والفروع و تقریرها منهم ، من اهل ایران ؟

الیس المتتبّعون فی لغة العرب ، المؤلّفون فیها ، والمحقّقون فی الصّرف والنّحو والاشتقاق وغیرها من علوم الادب اکثرهم من ایران ؟!

انظنّ انّ جزاء هذه الاعمال ان یخرجهم **عمر** (رض) من مدینة الرّسول بالاذلال ؟! کـلّا ماهکذا الظنّ بعدالة عمر و کیاسته .

وبآخرة الیس یابُنَیّ الشفیق ! الایرانیّون فی الحجاز اضیاف الله واضیاف رسوله واضیاف خلفائه و اضیافکم الّذین تفتخرون بالقِریٰ و تقولون « لنا جفنات الغرّ یلمعن فی الدّجی ! » ؟ فکیف تزعم انّ **عمر** (رض) وهو راس العرب یُخرج الأضیاف عوضاً عن ان یکرمهم ؟!

ثمّ یا اخی الفاضل ! بایّ ذنب اذنبناه ولایّ جرم اجرمناه ومن ایّ اثم ارتکبناه ، لو کان **علیّ** (ع) حیّاً لجزّ رؤسنا ؟

ا لانّا آمنّا بالله و رسله و کتبه و ملائکته ، و عرفنا من حقّ علیّ ما عرّفه به الرّسول ؟

ام لانّا اطعنا الرّسول فی التمسّک بکتاب الله وعترته ؟

ام لانّا اجبنا الرّسول و تقرّبنا الی الله بمحبّة آل الرّسول و ذوی قربیٰه ؟

ثمّ اقول لكَ ايـّها الشابّ العزيز : انـّی اُجلّ الله، جلّ جلاله، من ان احلف به فی ما انا معتقد به جزماً ، ويكون صادقاً قطعاً ، وهو انـّه لوكان رسول‌الله شاهد مانحن فيه ، و رایٰ انّ مسلماً فی مسجده، و بعد تمام حجـّه ، تقرّب الی اخيه المسلم، بظنـّه، خالصاً مخلصاً محبـّاً له من صميم قلبه، لالایّ شیء سویٰ انـّه اخوه فی الدّين ، واراد ان يألف و يأتلف، وان يستفيد من علمه، ويعترف من فضله، ولم يأت بكلمةٍ غير الاقرار بانـّه مسلم ، فقو بل بما قلتَ ، و حلفتَ بلا بيـّنة و برهان ، لبكیٰ علی غربة الاسلام ، و علی عصبيـّة من يدّعی الايمان بل وضجّ علی مانسبت الی عمر و علیّ من الافتراء و البهتان .

- ١٨ -

تلكَ الاقوال و الافعال، الّتی مرّ انموذج منها، الّصادرة عمّن ينتمی الی العلم ، ويدّعی خلوص الايمان والاذعان بالاسلام ، ولعلـّه يعتقد انـّه يروّج الاسلام باقواله ، و يؤيـّده بافعاله ، هی الّتی تورث الاسیٰ ، و تحدث الاسف ، و تتجلّی منها انّ شيعة علیّ وتابعوه غدت مظلومة ، فلم تـُعرف معتقداتها وانثالت عليها من العصبيـّة مفتريـاتها[1] ولا بدع فی ذلكَ فان عليـّا نفسه ايضاً ، كما صرّح ، كان مظلوماً .

قال عزّ الدين عبدالحميد بن ابی‌الحديد فی شرحه علی نـَهـْج البلاغة (ذيل ومن كلامه له عليه‌السلام لاصحابه : « اما انـّه سيـَظـْهـَرُ عـَلـَيكم بـَعـْدی رجلٌ رَحـْب - البُلـْعُوم . . .) :

« وروی عبدالملكَ بن عمير عن عبدالرّحمن بن ابی‌بكرة قال: سمعت عليـّاً وهو يقول : مـٰالـِقیَ اَحـَدٌ مـِنَ النّاسِ مالـَقـِيـْتُ . ثم بكیٰ »

١- وليت شعری كيف يجتره علی‌الله من يدعی‌العلم و الايمان بالله، ان يقول ويكتب فی حق من آمن بالله و رسوله و صدق كتابه المجيد و عمل بما جاء به و جاهد فی سبيل اعلاء كلمة الدين و كابد فی نشر معالم‌الاسلام خالصامخلصا، ما يستحيی‌المروئة والانصاف عن ذكره؟اليس من‌الافتراء والبهتان و الاجتراء علی‌الله ان‌يقول مسلم ان‌الشيعة هم‌اليهود و المجوس ! ؟ لا اقول فض‌الله فاك ايها القائل و تبت اصابعك و يداك ايها الكاتب بل اقول : اللهم اهدقومنا فانهم لايعلمون و عليك و علی رسولك يجترئون.

وقال ايضا فی ذاك الموضع من شرحه، بالاسناد عن **مسیّب بن نجیّة** انّه قال: بینا **علیّ** یخطب اذ قام اعرابیٌّ فصاح: وامَظْلَمَتاه! فاستدناه **علیٌّ**. فلمّا دنا قال له: اِنّما لَکَ مَظْلَمةٌ واحِدَةٌ. وَ اَنَا قَدْ ظُلِمْتُ عَدَدَ المَدَرو الوَبَر»

وقال ایضا، بعد ذاك الکلام، :

«وفی روایة **عباد بن یعقوب**: انّه دعاه فقال: وَیْحَکَ! وَ اَنَاواللهِ مَظلوم. هاتِ فَلْنَدْعُ عَلی مَنْ ظَلَمَنا»

- ۱۹ -

ولعلّه، و انتهی الکلام الی المظلومیّة، کان من المناسب ان نذکرهنا مااختلفت الشّیعة وغیرها فیه، و نشیرالی انّ وجه الاختلاف، عندالتّأمّل والانصاف لیس بمثابة یورث هذه العصبیّة الظّالمة مِن اخوانهم المسلمین و یوجب استحقاق القدح والتّوهین فهم، فی الحقیقة، مظلومین کما کان کذلك امامهم علیّ امیرالمؤمنین [1].

فاعلم انّ الاختلاف بین الفریقین **یؤل الی موضوعین**: الفروع، و الاصول (علی ماتعتقد الشّیعة فی الامامة و تقول).

فامّا الاوّل، وهو الاختلاف فی بعض الاحکام والفروع:

ممّا لا ارتیاب فیه انّهم و غیرهم متّفقون فی انّ الکتاب ثمّ السّنّة المعتبرة اصلان اساسیّان لاستنباط الاحکام، و یجب علی کلّ مسلمٍ مجتهدٍ ان یستند بهما فی استخراج الوظائف المقرّرة، والتّکالیف المشروعة، فیعمل بما ثبتَ له من الاحکام بهذا الّطریق.

فلزوم الاستناد بهذین الاصلین مُجْمعٌ علیه بین الفریقین و انّما الاختلاف

۱- کتب **علی** فی ما کتب الی **معاویة** جوابا «وهو من محاسن الکتب»:

«و زعمت انی لکل الخلفاء حسدت، و علی کلهم بغیت، فان یکن ذاك کذلك فلیست الجنایة علیك فیکون العذر الیك...

«وقلت انی کنت اقاد کما یقاد الجمل المخشوش حتیابایع، ولعمرالله لقد اردت ان تذم فمدحت و ان تفضح فافتضحت **و ما علی المسلم من غضاضة فی ان یکون مظلوماً** ما لم یکن شاکاً فی دینه، و لامرتاباً بیقینه، و هذه حجتی الی غیرك قصدها...»

فی مایصحّ الاستناد به فی مالم یوجد فیه نصّ فی الکتاب ولافی السّنة ، وهذا الاختلاف لیس مخصوصاً باحد الفریقین بل المذاهب کلّهافیه سواسیة .والاجماع ،وسیرة اهل-المدینة (علی رای الامام مالک) والعقل والقیاس ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة وان کان لکلٍّ قائل بصحّة الاستناد فی مذهب و لکنّه لیس الکلّ مورد الأتفاق للکلّ بل و حتّی ما یکون حجّیته منسوبة الی مذهبٍ لیست حجّیته مجمعاً علیها فی ذاک-المذهب ، و علیّ ایّ حال لکلّ مذهب حجّة علی مااختار والیه ذهب .

وهٰهنا اختلاف آخر لیس هو ایضا مخصوص بمذهب دون مذهب و هو فی ما به یتحقّق اعتبار السّنّة من حیث السّند . فالشّیعة تعتبرها اذا کان الاسناد فیها عن عدول ینتهی الی اهل البیت و عترة الرّسول (المعهودین) و منهم الی جدّهم ،او کان عن عدول ینتهی الی احدٍ من الصّحابة الّذین ثبتت عندها عدالتهم ، وغیر الشّیعة لایلتزمون بذلک بل قلّ ما ان یستندوا بحدیث کان بذاک الاسناد ، بل قد یعبّرون لاثبات ضعف حدیث عن طریق و لطرحه و جرحه بانّ « فیه فلان و هو رافضیٌّ - او شیعیّ - ! » او «رافضیّ خبیث ! » او «رافضیٌّ کاذب ! » او «شیعیّ لایُعبأ بقوله ! » واحسن تعبیرهم فی المقام «انّه متّهم » او «متّهم بالرّفض - اوالتّشیّع » والعجیب المؤسف انّه قدیصرّحون بکون رجل من الشّیعة «موصوفا بکثرة العبادة » او « غیر کاذب » او «موثّقاً عند **یحیی بن معین** » (وهو احد الخراریت عندهم ، کالامام بن حنبل) ومع ذلک لایعتبرون قوله (مع اعتبارهم قول الخوارج ، باستناد عدم کذبهم ! »)[1]

۱- و یکفی للانموذج و المثل ان تنظر الی ما اورده العالم المفضال ، **السبکی** فی کتابه «طبقات الشافعیة» وتری التعصب فی ماقال. قال باسناده عن ابی الصلت ، **عبدالسلام بن صالح الهروی** انه قال: «حدثنا **علی بن موسی** ، الرضا ، **بن جعفر بن محمد** بن علی-بن **الحسین** بن علی بن **ابی طالب** ، رضی الله عنهم ، عن **علی** انه قال: قال رسول الله (ص): «الایمان معرفة بالقلب ، و اقرار باللسان ، و عمل بالارکان»

ثم قال **السبکی** : ان مدار هذا الحدیث **علی ابی الصلت** ، وهو ، وان کان موصوفا بکثرة العبادة ، غیر محتج به عندالمحدثین ! قال **الدار قطنی** : «رافضی خبیث ، متهم بوضع

←

على انّ رای غیر الشّیعة فی معنی «العدالة» وتحقّق حقیقتها، یکون اوسع حیث انّهم اعتقدوا انّ مجرّد «الصّحابة» محقّق للعدالة فکلّ صحابیّ عندهم عادل ولکنّ الشّیعة لا تعتقد بکفایتها مجرّدة لان تتحقّق «العدالة» بل «الصّحابة» قد تجتمع مع العدالة وقد لاتجتمع فلیس بینهما ملازمة فیمکن ان یکون صحابیّ غیر عادل کما یکون عادل، غیر صحابیّ.

وعلی ایّ حالٍ، الاختلاف فی اعتبار السّنّة من حیث السّند، مع غمض العین عن کون وجه الاعتبار عند الشّیعة اقوی و اوثق، والی الاحتیاط فی الدّین اقرب واوجه، و دلیلهم للاعتماد اصحّ وامتن، ایضا لایختصّ الشیعة به، بل فی کلّ المذاهب الاسلامیّة یوجد الاختلاف بین العلماء فی رجال الاسناد ولهذا یُعدّ حدیثٌ عند بعض صحیحاً او قویّاً او حسنا و عند بعض آخر ضعیفا غیر معتبر (و لذا اسّسوا و ابتکروا علماء الاسلام علمَیِ الدّرایة و الرّجال).

←

حدیث الایمان» وقال **العقیلی**: «رافضی خبیث» وقال **ابوحاتم**: «لم یکن عندی بصدوق» وقال **ابن عدی**: «متهم» وقال **النسائی**: «لیس بثقة» و مع هذا الجرح لایعتبر قول **عباس الدوری**: «ان **یحیی** کان یوثقه»! ولاقول **ابن محرز**: «انه لیس ممن یکذب»!

و **ابوالصلت** هذا هو الذی حدث عنه **ابونعیم الاصفهانی** فی «الحلیة» باسناده عن «ابوالصلت **عبدالسلام** بن **صالح الهروی** حدثنا **علی** بن **موسی**، الرضا، حدثنی ابی، **موسی** بن **جعفر**، حدثنی ابی، **جعفر** بن **محمد**، حدثنی ابی، **محمد** بن **علی**، حدثنی ابی، **علی** بن **الحسین** بن **علی**، حدثنی ابی، **علی** بن **ابی‌طالب**، رضی‌الله‌تعالی عنهم حدثنا رسول‌الله (ص) عن **جبریل** علیه‌السلام قال: قال‌الله عزوجل: انی انا الله لااله الا انا فاعبدونی، من جائنی منکم بشهادة ان لااله الا الله بالاخلاص دخل فی حصنی و من دخل فی حصنی امن من عذابی».

ثم قال **ابونعیم**: «هذا حدیث ثابت مشهور بهذا الاسناد من روایة الطاهرین عن آبائهم الطیبین. وکان بعض سلفنا من المحدثین اذا روی هذا الاسناد، قال: «لو قریء هذا الاسناد علی مجنون لافاق» فانظر ماأورده **ابونعیم** و وازنه مع ماأورده **السبکی** تعرف ماتفعل العصبیة. (المجلد الثالث ـ الصفحة ال ۹۲.)

وكيف كان ، هذا النحو من الاختلاف ليس مما يضر باصل الدين ولا بركن من اركان الايمان واليقين وليس مما يخرج احد طرفى الخلاف عن الاسلام بل عسى ان يكون للامة من مصاديق «اِخْتِلافُ اُمَّتِي رَحْمَةٌ».

و اما الثانى وهو **الاختلاف فى الخلافة ، فالموضوع ذووجهين** : وجه الوقوع والتحقق ، و وجه الواقع والحق .

ومن الوجه الاول فالكل متفقون على ماوقع فى الخارج واتفق ، و ثبت فى التاريخ و تحقق ، ولاينكر احد ماجرى من امر الخلافة ، ولاينكر ان الشيخين (رض) كانا فى مدة خلافتهما على ما يليق مقامهما ، وانهما جاهدا فى حفظ الاسلام وبسطه وصيانة الدين و نشره ، ولاينكر ان علياً (ع) بايعهما ، و ان كانت البيعة بعد كشف بيت فاطمة (ع) ، وكانت بعد مدة لا تقل على اصح الاقوال ، عن ستة اشهر ، وكانت بالاكراه ، و بعد قول **علي** لابى بكر ، على ما نقل **الطبرى** عن **الزهرى** ، و يجىء فى موضعه فى الكتاب : «كُنّا نَرى لنا فى هذا الاَمْرِ حَقّاً فَاسْتَبْدَدْتُمْ بِهِ عَلَيْنا» ولاينكر انهما راعيا جانب **علي** (ع) بالمشاورة والمناصحة ، وان **علياً** لم يألُ جُهداً فى ارشادهما الى ما هو الصواب ، بحيث اشتهر عن الثانى منهما كلمة «لَوْلا **علي** لَهَلَكَ **عمر**» واستفاض رجوعه الى قوله فى قدر مايحل له اخذه لنفسه و عياله من بيت المال [1] ، و نُقل تَعوُّذه بالله ، من مُعضلة ليس لها **ابوحسن** [2] ، الى غير ذلك ، مما ثبت فى التاريخ ، و ضبطه ائمة النقل والتحديث [3] .

١- سيجىء نقل هذا الموضوع فى موضعه من الكتاب ، عن الطبرى .

٢- سيجىء فى الكتاب نقلا عن «الاستيعاب» ، للفقيه الحافظ **ابن عبدالبر المالكى** ، بالاسناد عن **سعيد بن المسيب** انه قال : « كان **عمر** يتعوذ بالله من معضلة ليس لها **ابوحسن**» .

٣- و بالجملة كان **علي** فى زمن الخليفتين بحيث يرجعان اليه لا للمشاورة فى الشئون السياسية والاجتماعية فحسب، بل يستفتون منه الاحكام الفقهية ويعملون على مايقول ويفتى. على انه (ع) ايضا ان راى انحرافاً فى حكم ارشدهم الى رأيه و يصرح بخلاف ماهم عليه كى لايصير الامر حكماً دينياً مجمعاً عليه فيصير فى المستقبل حكماً فقهيا مستندا بالاجماع .

و من الوجه الثّانى لاينبغى الخِلاف ، بل و لم يتحقّق الاختلاف (الاّ من متعصّبٍ معاندٍ رایٰ ان لا يَرَى الحقّ و لا يَرْعَى الانصاف و العدلَ) فى انّ عليّاً نفسه قال فى موارد متعدّدة ، نقله غيرواحد من العلماء الثّقات من اهل السّنّة ، وضبطوه فى كتبهم المعتبرة المعتمدة ، بانّه لمكان قرابته الجسميّة و الرّوحيّة ، و مقام فضائله السّامية ، الّتى لايُساجِلُها ، فى مجموعها ، احد من الصّحابة ، احقُّ بالخلافة من غيره و انّ الخلافة حقّ له ، و شيعة علىّ تشايعه فى هذا القول و تتابعه [1] (بل والاعاظم من علماء السّنّة يصدّقونه و يتابعونه حيث يصرّحون بجواز تفضيل المفضول على الفاضل للخلافة) .

- ٢٠ -

فالفريقان لااختلاف بينهم فى مسئلةالخلافة باعتبار ماوقع فى التّاريخ اى فى انّ ثلاثة تقدّموا زمانا على علىّ بالخلافة و تولّوا امور المسلمين قبله ، و ايّدالله الاسلام فى زمانهم ببركة وحدة المسلمين و خلوص نيّتهم وقوّة مجاهدتهم .

وكذا لااختلاف بينهم فى كون علىّ اقرب النّاس و اخصّهم بالرّسول و اجمع الصّحابة ، كائنا من كان منهم ، لجمع الفضائل بحيث لايدانيه فى جميع الفضائل الجمّة احدٌ ، صحابيّاً كان او غيره ، من الامّة .

و ان كان هنا اختلاف ، فيكون فى انّ الشّيعة تعتقد الامامة لعلىّ ، و تعتقد انّه يجب عليها و على كلّ مسلم كما صرّح الرّسول به ان يتمسّك بعده بالقرآن وبالعترة و علىّ راس العترة ، و ان تاخذ معالم دينها و احكام فقهها عن علىّ [2] و بعد علىّ عن

١ـ قد اجاد فى ما افاد **خليل بن احمد النحوى** صاحب العروض فى ما حكى عنه و نسب اليه جواباً عن السؤال للدلالة على امامة **علي** بقوله : «افتقار الكل اليه فى الكل و استغناؤه عن الكل فى الكل ، دليل على انه امام الكل فى الكل».

٢ـ قال **علي** (ع) : « نحن شجرة النبوة ، و محط الرسالة ، و مختلف الملائكة و معادن العلم ، و ينابيع الحكم ، ناصرنا و محبنا ينتظر الرحمة ، و عدونا و مبغضنا ينتظر السطوة » .

عن اولاده ، وذريّته المعهودين ، سلالة سيّدالمرسلين ، الائمّة المهديّين الهادين ، وان تسير بسيرتهم و بالجملة انتتمسّك بهم فيمايروون عن جدّهم الرّسول (ص) ويبيّنون عن علمهم الموروث ، كي لاتضلّ و تكون على ماشاء و اراد جدّهم المبعوث (ص) [1].

و ذاك الاختلاف الاعتقادى من حيث انّه اعتقادىّ لايوجب كفر احد الطّرفين و هدْر دمه و من حيث المتابعة فى العمل ايضا لا يوجب الهدْر و القتل اذ ليس فيها مخالفة اصل من اصول الدّين و ركن من اركان الايمان وإلّا فليكن المذاهب الفقهيّة المتخالفة مخالفاً للدّين و منافيا للايمان هذا مع صرف النظر عن كون زعيم الشّيعة وامامها ، علىّ نشأ و نما فى بيت الرّسول و فى حجره ، و منه بلاواسطة اخذ الدّين واعطى مااخذه عن الرّسول بأبنائه الطّاهرين ، ابناء خاتم النّبيّين ، و علّمهم ما تعلّم من علمه وحكمته (ص) واين هم من زعماء المذاهب الاربعة وغيرهم الّذين لم يدركوا النّبى ولم يشاهدوه ولم يسمعوا منه ، على ان الحصر فى تلك المذاهب ان لم يكن احداث امرٍ ليس من الدّين فى الدّين اى ان لم يكن الحصر بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة ، فلا اقلّ من ان يكون بلادليل و بيّنة من الكتاب والسّنّة .

- ٢١ -

الاختلافات الواقعة بين النّاس ، بلحاظ الدّين ، قد تكون فى اصله وقد تكون فى مافيه .

فان كان الاختلاف فى الاصل فقد يكون بانكار اصل وجودالدّين و لزومه كما عليه الوثنيّة ، بل الثّنويّة ، والمادّيّون والدّهريّون . وقد يكون بانكار دينٍ لاحق مع

١- قال **على** ، ع ، (نهج البلاغة) : «فاين تذهبون و انى تؤفكون ! والاعلام قائمة، و الايات واضحة ، و المنار منصوبة ، فاين يتاه بكم و كيف تعمهون و بينكم عترة نبيكم ، وهم ازمة الحق ، و اعلام الدين ، و السنة الصدق ، فانزلوهم باحسن منازل القرآن...» وقال (ع) فى موضع آخر : «الا ان مثل آل **محمد** ، صلى الله عليه وآله ، كمثل نجوم السماء اذاخوى نجم طلع نجم ، فكانكم قد تكاملت فيكم الصنائع ، و اراكم ما كنتم تأملون »

مع تسليم دينٍ سابق كما عليه اليهود بالنّسبة الى المسيحيّة والاسلام وهما كلاهما (اى ـ اليهود والمسيحى) بالنّسبة الى الاسلام .

وان كان الاختلاف فى ما فى الدّين ، بان يكون الانكار بالنّسبة الى امر من ـ الامور الّتى اتىٰ به الدّين **فقد يكون** ذاك الامر من الضّروريات فى الدّين ، مثل انكار ـ الصّلوة و اضرابها من الفروع ، فى دين الاسلام ، **و قد لايكون كذلك** و هذا القسم قديكون ممّا عليه نصّ فى الكتاب اوالسّنّة القطعيّة ، كحكم القصاص و وجوب النّيّة فى العبادات .

وقد يكون ممّا ليس فيه الّا ظواهر من الكتاب والسّنّة لاتوجب القطع واليقين بما هو مراد الشارع ، بل تحتمل وجهاً آخر ايضا ، سواء كان عدم حصول اليقين مربوطاً بالكلمة او الجملة ، او احتمال وجود معارض ، او ناسخ ، او مخصّص ، او مقيّد . اوكان لاحتمال نقصٍ فى الاسناد اوالسّند ايضا اذاكانت الظّواهر من السّنّة .

وقدلايكون فى موردٍ نصٌّ ولاظاهرٌ لاستفادة الحكم منه (اويكون ولكنّ المجتهد يقصر عن ادراكه و نيله) فيكون الحكم مستنداً الى اجماع معتبر ، او دليل من العقل المستقلّ (كما تريٰه الشّيعة) او قياس ، او استحسان ، او مصلحة مرسلة (كما تريٰها اهل السّنّة ـ على اختلافٍ و اقوالٍ فيها) .

و الحكم الشّرعى فى الانحاء المذكورة ، من حيث الكفر و عدمه ، مختلف : فان كان الانكار متوجّها الى اصل الدّين او الى امر ضرورىّ منه ، بل اوكان متوجّها الى ما عليه النّصّ ، ولا سيّما اذاكان الانكار مع عناد ، فلا يوجد خلاف فى الحكم بكفر المنكر . و ان كان الانكار متوجّهاً الى مايرجع الى الظّواهر او الى ما لا نصّ له فيه من الشّارع فى الواقع (او فى الاجتهاد مع الفحص الكامل) او الى حجيّة امرٍ غير ـ الكتاب والسّنّة المعتبرة ، او عدم حجّيته فالحكم بكفر منكرحكمٍ من هذا القبيل ، حكمٌ زور و قول بلادليل و ناش عن الغرور .

ولعلّه لايبقى ريب فى انّ الاختلافات الّتى لايتعلّق باصل الدّين ولا بفروعه بل يكون متعلّقا بالموضوعات الخارجيّة عن متن الدّين ، اصلاً و فرعاً ، كانكار

فضل بعض اواثبات نقص له اوايراد طعن عليه، من الصحابة كان اومن غيرهم، لايوجب الخروج عن الدّين و لا يجوز الحكم على المنكر بالكفر و لا يستحق المنكر، القدح والتوهين، اللّهم الّا ان يخرج الكلام مخرج الغيبة اوالبهتان والافتراء وكان ثابتا فى الدّين عدم جوازه و حرمته فيحكم بحكمه ولايتعدّاه.

وكيف كان، الشّبهة فى المصداق فى هذه الموارد ايضا امرٌ بحاله باقٍ، فلا معنى للحكم بالكفر والقتل والاحراق. اللّهم اهدنا سبيل الرّشاد واجعل التّقوىٰ، فى القول و العمل، لناخير الزاد، وصلّ وسلّم على رسولك و على آله الامجاد.

- ۲۲ -

لعلّ النّاظر فى هذه الاوراق، وهو توجّه الى مايكون بين الشّيعة و بين اهل السّنة، فى الحقيقة والعقيدة، من الاتّفاق ثمّ يشاهد مابينهما من حيث التّوادُد والتّحابُب والمعاشرة والمخالطة من الاختلاف والافتراق، تعجّب من ذلك، واحبّ ان يعرف الباعث لذلك فليرجع الى تاريخ الاسلام و ليتدبّر الى مايلخّص منه له فى هذاالمقام:

كان المسلمون بعد استقرار الخلافه، حتّى فى زمان عثمان، وكلمتهم واحدة و همّتهم متّفقة متّحدة، لا تشعُّب فيهم ولاتحزّب لهم، وامّا الخلاف الّذى حدث فى آخر زمانه، لم يكن بالحقيقة اختلافا كان منشأوه وجودفرقة خاصّة تجاه فرقةاخرى فماكان التّفرّق و الاختلاف فيه بمعنيه المصطلح و المنظور، الّذى ينبعث من كون اتباع شخص او اشياع مسلك و مرام قبال مخالفه فى مذهبه و مرامه، بل كان منشاؤه انّ المسلمين، او بعضهم صاروا ناقمين على الخليفة، طاعنين عليه و على عمّاله من بنى اميّة، المتجاهرين، على ماقالوا، بالفسق والفساد، المتظاهرين بالجوروالعناد وكانوا ملتمسين من الخليفة، الصّلاح والاصلاح، سائلين منه النّجاح والانجاح، وهو يتسامح فى فعله حتّى انجرّ الى ماانجرّ اليه، من قتله.

كان هناك وميضُ نارٍ تحت الرّماد وذلك انّ ماكانت بين بنى اميّة وبين بنى هاشم طوال سنين ، من العصبيّة و المنافرة و العناد ، صارت خفيفة ضعيفة بظهور الاسلام وغلبته ، ودخول اكابر سلالة اميّة و شيوخهم طوعاً وكرهاً فى الاسلام ، وقبولهم رغبةً اورهبةً ماكان من طلبته ، بل صارت فى الظّاهر دارسة معدومة ، وتبدّل عنوان «القوميّة» والتّفاخر بها بعنوان «الاسلام» و «المسلم» و «المؤمن» ، اوّلاً ، و بعنوان «المهاجر» و «الانصار» ، ثانيا ، متداولة معمولة .

كان الامر على ذاك ، حتّى انتُخِب **عثمان** بن **عفّان** بن **ابى العاص** بن اميّة للخلافة ، و صارت الخلافة لبنى اميّة وكان **عثمان** (رض) يحبّ بنى اميّة ، فقرّبهم اليه ، و قدّمهم لديه ، و حمل بنى **اميّة** و بنى **ابى مُعَيْط**[1] (كما تفرّس **عمر**) على رقاب النّاس[2] ، وآثرهم بالافياء والاخماس فاحاطه القوم عليه من كلّ جانب ، ولازموه لزوم عضوٍ لازب ، فكان (رض) لشدّة حبّه لهم و قوّته ، و لضعفه النّاشى عن واهنة شيخوخته ، طوع رغبتهم ، و تحت سُلطتهم ، بل و فى قبضتهم .

قال **علىّ** (على مانقله **الطّبرى** وغيره ، وسيجىء فى الكتاب) فى ماقال له : «امّا رَضِيتَ مِنْ **مروان** وَلا رَضِيَ مِنْكَ الّا بتحرُّفِكَ عَن دِينِكَ وَعَنْ عَقْلِكَ ! مِثْل جَمَلِ الضَّعِينَةِ يُقادُ حَيْثُ يُسارُ به . . . »

فركبت بنواميّة رقاب الجمهور ، و سلّطوا من كلّ ناحية على الامور ، و حينئذ نَبَضَ فيهم عرق الحميّة الجاهليّة ، و جَهَضَتْهُمُ العصبيّة الامويّة ، و برزت ماكانت

١- **ابومعيط** (على زنة رجيل) ابن **ابى عمرو بن امية** ، من زوجته التى كانت زوجة ابيه ، كما قال **ابوالفرج الاصفهانى** الاموى فى كتابه «الاغانى» وحكيناه عنه فى الكتاب كما سيجىء.

٢- نقلنا قول **عمر** (رض) فى تفرسه فى الصفحة ال٤١٧ من الكتاب كما سترى ، عن **ابن ابى الحديد** و فى الصفحة ال٤١٨ منه ، حكاية عن كتاب «الامالى» لثعلب مع تفاوت بين المنقولين ، و تفاوتهما فى المفاد و المراد.

كامنة فى نفوسهم، من الحقد والحسد والبغضاء على بنى هاشم، و من الكبر والخُيَلاء على غيرهم، و ظهرت آثار القوميّة المدروسة فى احوالهم و اقوالهم و اعمالهم المنحوسة، فنظروا الى الخلافة المقدّسة نظرَهم الى السّلطنة المدنّسة، وزعموا انّها لهم بالأستحقاق، و انّهم لها بالاستعداد، و عزموا ان يتلقّفوها، على مااقترح واوصاهم شيخهم وكبيرهم (ابوسفيان) كماتتلقّف الكُرة، و صمدوا الى ان يحفظوها لهم وفيهم بالمداولة، و وتّدوا ارجلهم لأن يكونوا كما امر ايضا شيخهم و جعل عليهم الفرض بقوله: «فاجعل بنى اميّة اوتاد الارض»[1]. اوتاداً فى الارض.

قُتل **عثمان** لفساد حاشيته من قومه، ولا سيّما ما كان من **مروان** ابن عمّه، الّذى قال **علىّ** (ع) فى حقّه: «اِنَّهُ سَتَلْقَى الاُمَّةُ مِنْهُ وَ مِن وَلَدِه يَوْماً اَحْمَرَ» و «انْثالَ النّاسُ علىٰ **علىّ** مِنْ كُلِّ جانِبٍ» و «اَقْبَلُوا اِلَيْهِ اِقْبالَ العُوذِ المَطافِيلِ علىٰ اولادها، يَقُولُونَ: اَلْبَيْعَةَ...» و «تَداكُّوا عَلَيْهِ تَداكَّ الاِبِلِ الْهِيمِ اِلىٰ حياضِها يَوْمَ وُرُودِها حَتّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرِّداء...» و «... وطِيءَ **الحَسَنانِ** وَشُقَّ عِطْفاهُ...» على ماعبّر **علىّ** (ع)، نفسه (نهج البلاغة)، و «...انْكَفَؤُا قِبَلَ ابن ابى طالب انكفاءَ الْجَراد، اَبْصَرَ المَرْعىٰ» كما عبّر **مروان** فى كتابه الى **معاوية** يخبره بقتل **عثمان**.

وكان **علىّ** (ع) يمتنع ويابىٰ، كما صرّح بقوله: «... فَاَبَيْتُ عَلَيْكُمْ، وَ اَمْسَكْتُ يَدِىْ فنازَعْتُمُونى وَ دافَعْتُمُونى، وَ بَسَطْتُمْ يَدِىْ فَكَفَفْتُها وَ مَدَدْتُمْ يَدِىْ فَقَبَضْتُها، وَازْدَحَمْتُمْ عَلَىَّ حَتّى ظَنَنْتُ اَنَّ بعضكم

١ـ قال **ابوالفرج الاموى الاصفهانى** فى «الاغانى» سنداً (الجزء السادس): «لماولى **عثمان**، الخلافة دخل عليه **ابوسفيان** فقال: يا معشر بنى امية ان الخلافة صارت فى تيم و عدى حتى طمعت فيها وقد صارت اليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة فوالله ما من جنة و لا نار...» وقال ايضافيه سنداً: «دخل **ابوسفيان** على **عثمان** بعد ان كف بصره فقال: هل لنا من عين؟ فقال له **عثمان**، لا. قال ابوسفيان ان الامر، امر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل اوتاد الارض بنى امية» هذا كلام مؤرخ اموى لايتصور ان يقول مايعود وهنه اليه.

قاتلُ بَعْضٍ ، اَوْ اِنّكم قاتِلى ...» فبويع **علىّ** بالاكراه ، و رضى النّاس و فرحوا «... وَ بَلَغ مِنْ سُرُورِهِمْ بِبَيْعَتِهِمْ اِيّاهُ اَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَ هَدَجَ اِلَيْهَا الكَبِيرُ ، وَ تَحامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَ حَسَرَتْ عَلَيْهَا الْكِعابُ » (نهج البلاغة) .

حينئذ تيقّضت الفتنة ، و تجهّزت للنّهضة ، فتطايرت الكتب ، و تتابعت الرّسل فكتب **مروان** الى **معاوية** يحرّضها على المخالفة و يمنّيها الخلافة . و كتب **معاوية** اليه والى غيره من اجلاف بنى اميّة و اجلادهم ، و الى كلّ من يرجو خلافه على **علىّ** (ع) من اكابر الصّحابة ، بالوعد والوعيد ، والتّصريح والتّعريض ، والتّهييج والتّحريض ، حتّى كتب الى **الزّبير** بانّه اخذ له البيعة من اهل الشّام .

- ٢٤ -

من الماثور قديما انّ « الانسان مأخوذ من النّسيان » و لعلّ الفحص و الاعتبار يوافقه ، اذ الانسان ينسى او يتناسى كثيراً ممّا يرتبط به ، سيّما اذا كانت اموراً مذمومةً لايراها اللّائق بشانها اللّاحق ، و لا مناسباً لما يرجوه و يتمنّاه من غرضه السّامى و هدفه الفائق .

فلاتعجب اذا ترى انّ **معاوية** نسى او تناسى انّ اباه **ابوسفيان** هوالّذى حادّ الله و عانده ، و نازع الرّسول و حاربه ، وما آمن بالله الّا بالاكراه ، و ما خضع للاسلام الّا بالاجبار و الالجام ، وانّ امّه **هند**، امّ الفساد والافساد، المعروفة بـ«آكلة الاكباد» وهو نفسه كما كتب **علىّ** (ع) الى **زياد** بن **ابيه**، هو الشّيطان :

«... فَاحْذَرْهُ (يعنى معاوية) فانّما هو الشّيطان يأتى المرءَ من بَيْنِ يَدَيْه و مِنْ خَلْفِه و عَنْ يَمينِه وعَنْ شِمالِه لِيَقْتَحِم غَفْلَته و يَسْتَلِبَ غِرَّتَه...»

وكما كتب ايضا الى معاوية نفسه مرّة :

«... و انّكَ لذهّاب فى التّيه ، روّاغٌ عن القصد . . . » و قال فى شانه مرّة

اخرى : «وَاللهِ ما مُعاوِيةُ بِأَدْهى مِنّى ، ولكنّه يَغْدِر ويَفْجُر ... وكلُّ غُدَرَة[1] فُجَرَة وكلّ فُجَرَة كَفَرَة ... »

كان معاوية من «الطُّلَقاء» و يُعرف بذلك عند المسلمين و يقال له ذلك فى غيابه وحضوره حتّى فى زمان سلطنته . كتب علىّ (ع) اليه فى ماكتبه جواباً له :

« ... واما قولك : « انّا بنو عبد مناف » فكذلك نَحْنُ ، و لكن لَيْسَ أُمَيَّةُ كهاشم ولاحَرْب كعبدالمطّلب ولاابوسفيان كابى طالب ولاالمهاجر كالطّليق ولا الصّريح كاللّصيق... » و فى كتاب آخر فى جوابه ايضا : « ... وَ زَعَمْتَ اَنَّ اَفْضَلَ النّاس فى الاسْلامِ فُلانٌ و فُلانٌ فَذَكَرْتَ اَمْراً اِنْ تَمَّ اعتزلك كلّه، و اِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحقك ثَلْمُهُ .

وما انتَ والفاضل والمفضول ؟ ... وَ ما لِلطُّلَقاءِ و اَبْناءِ الطُّلَقاءِ والتَّمْييز بَيْنَ الْمُهاجِرِيْنَ الاَوَّلِيْن ؟ ... »

قال ابوالفرج الاصفهانى الأُمَوىّ فى كتابه «الاغانى» (الجزء الثّالث ـ الصفحة ـ ال ١٨) بالاسناد :

« حجّ معاوية حجّتين فى خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة تحجّ عليها نساؤه و جواريه . فحجّ فى احديهما فرأى شخصا يصلّى فى المسجدالحرام عليه ثوبان ابيضان فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : شعبة بن غُرَيض . فارسل يدعوه . فاتاه رسوله .

فقال : اجب امير المؤمنين .

«قال : اَوَليس قد مات امير المؤمنين ؟

قيل : فَاَجِب معاوية . فاتاه . فلم يُسلّم عليه بالخلافة .

« فقال له معاوية :

« ما فعلتَ ارضك التى بتيماء ؟

«قال : يُكْسىٰ منها العارى ، و يُرَدّ فضلها على الجار .

«قال : افتبيعها ؟

١- الغدرة : كثير الغدر.

«قال : نَعَمْ .

«قال : بكم ؟

قال : بستّين الف دينار ، و لولا خَلّةٌ اصابت الحيّ لم ابعها .

«قال : لقد اغليتَ .

«قال : امّا لو كانت لبعض اصحابك لاخذتها بستّماة الف دينار ! ثم لم تبال !

«قال : اَجَلْ ، و اذ بخلتَ بارضك فأنْشدني شعر ابيك يَرْثِي نفسه .

فقال : قال ابى :

«يٰا لَيْتَ شِعْرِيْ حِيْنَ اُنْدَبُ هالِكاً . . . » الخ .

«فقال : اناكنت بهذا الشّعر اولىٰ من ابيك .

«قال : كذبتَ ، ولَؤُمْتَ !

«قال : امّا «كذبتُ» فنَعَمْ ! وامّا «لَؤمتُ» فلِمَ ؟

«قال : «لانّك كنت ميّتَ الحقّ فى الجاهليّة ، و ميّته فى الاسلام . امّا فى-الجاهليّة فقاتلتَ النّبىّ (ص) والوحى حتّى جعل كيدك المردود ، و امّا فى الاسلام فمنعتَ ولد رسول‌الله (ص) الخلافة ، وما انت و هى وانت طليق بن طليق؟ ... »

كذلك كان **معاوية** فى بيته و فى نسبه ، و باعتبار نفسه و حسبه ، وكان معانداً كابيه وامّه رسولَ الاسلام ولمّاافتحت مكّة عام٨ وصار طليقاً دخل فى الاسلام قهراً. وفى خلافة **عمر** (رض) صار بأمره اميراً على الشّام ولكنّه خالف فى امارته سيرة الخليفة، الّتى كانت تابعة لسيرة الرّسول (ص) ، و اتّبع سيرة من سبقه من البطارقة و تلقّيٰها بالقبول ، و اقتفى فى امارته الاسلاميّة سنّة كِسرىٰ و قيصر فى الحكومة و السّلطنة ، حتّى **قال عمر** (رض) حين وروده بالشّام وشهوده دبدبته و كبكبته وخدمه وحشمه : «هذا كِسْرَى العرب !» و عنّفه على ذلك و عيّره ، و لكنّه ماغيّره ، بل استحسن بهذا القول عمله و قرّره [1] .

١- ولا تعجب من كلام مصحح «العواصم» حيث استصح كسروية **معاوية** بما قال :

←

- ٢٥ -

اعتاد اهل الشام من ازمنة قديمة بهذا النحو من الامارة ، وكان اطلاعهم عن الدين و احكامه ، و معرفتهم بالرسول و اقاربه و اقوامه ، وخبرهم عن سيرته وسيرة من آمن به ، محدوداً حسب ما تلقوا عن **معاوية** فى ايامه ، و مقدراً بقدر مااقتضت سياسته لبيانه و اعلامه . فلما قتل **عثمان** و بويع **على** وكان **معاوية** على يقين من ان **علياً** لايتحمل الكسروية والقيصرية ، فلا يدعه و امارته الغاشمة العاثية ، و لا يتقبل منه اعذاره الواتية الواهية ، فلا محالة يعزله عن حكومته ، المنحرفة عن سنن الاسلامية - السامية .

على انه يرى ان **علياً** من بنى هاشم و ان ابنيه ، ابنا رسول الله ، فان استقرت خلافته ، انتقلت منه الى ابنيه ، و تبقى فى بيت هاشم ، وفى اهل البيت مابقى الدهر ،

→

«وقد يظن من لانظر له فى حياة الشعوب و سياستها ان الحاكم يستطيع **ان يكون** كما يريد **ان يكون ، حيثما يكون** ، وهذا خطاء فللبيئة من التأثير فى الحاكم ! و فى **نظام الحكم** ! اكثر مما للحاكم و نظام الحكم من التأثير على البيئة ! ..» و ذلك لانه واضرابه ينظرون الى الاسلام نظر من لايرى ان **الحكومة** المطلقة فى جميع **الشئون** و فى كل المناطق والبيئات لابد و **ان تكون** لله ولرسوله و للقرآن **و الاسلام** ، فلا حكومة الا حكومة الاسلام ، ولانظام الا نظامه . الاسلام يصوغ البيئة ، و يسوق الناس **على وفق احكامه** ، و لا معنى لتأثيرها فى حكامه . ثم كان المصحح نسى اوتناسى ماقال للدفاع عن **معاوية** فقال فى التعليق الطوال الذى علقه على كلام المصنف (وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية - ص ٢٠٧) : «والذين لايعرفون سيرة **معاوية** ! يستغربون اذا قلت لهم : انه كان من الزاهدين ! و الصفوة - الصالحين !) ثم روى عن **ابى حملة** انه قال : «رايت **معاوية** على المنبر بدمشق يخطب - الناس وعليه ثوب مرقوع ! واكد ذلك برواية اخرى عن **يونس بن ميسر** انه قال : «رايت **معاوية** فى سوق دمشق وهو مردف ورائه و صيفا ! و عليه قميص مرقوع الجيب ! يسير فى اسواق دمشق !» فانظر هذه الروايات و تأسف و قل : «ويحك يا مسكين ! يا كسرى - العرب» الدهر انزلك حتى اردفت وصيفك ! ولبست قميصاً مرقوع الجيب ! كانك نسيت انك فى الشام و فى بيئة لابد ان يحكم عليك نظامه القيصرى ! »

ولايبقى لبنى اميّة فيها مدّ ولاجزر . وهذا ماكانت تخاف منه قريش ، وكان احدى الجهات الّتى سعت فى صرف الامر عن **علىّ** ، فشمّر عن ساعد الخلاف و الثّوار و جعل قتل الخليفة **عثمان** وسيلة للانتصار .

يظهر من التّاريخ جليّاً انّ همّ **معاوية** فى اوّل امره و بادىء بدء خلافه ، كان مقصوراً على الاخلال بخلافة **علىّ** و لم يكن له طمع فى الخلافة ، لا لمعرفته سوابق مكانه فى الاسلام فقط ، و العلم بدنوّ مقامه و شانه عند المسلمين فحسبُ ، بل لانّه كان يعرف انّ امر الخلافة ، على ماسبق من الرّويّة لايتمّ الّا بانتخاب الاصحاب من المهاجرين و الانصار ولاينفذ الّا باتفاق اكابر اهل المدينة الاخيار ، و يعلم ما فى ذلك من الابتعاد و انّ دون البيعة له بالخلافة خرط القتاد فاين هو ، و هو عندهم هو ، من ذاك الاتّفاق و الاتّحاد ؟

بايع **عليّاً** المهاجرون و الانصار ، و من بقى حيّاً من البدريّين الكبار ، فنال مااستحقّه من الخلافة و فاز محبّوه و معتقدوه بما اعتقدوا له من الامامة و الولاية ، و **علىّ** كان يومئذ على ماكان عليه فى مامضىٰ ، و رضى بما قدّرالله له و قضىٰ ، فلم يُحدث خلافاً لمن سلف ، ولم ير حينئذ الّا ماكان يريه بعد وفاة النّبىّ ولاجله بايع وائتلف وهو كما قال :

« . . . انَّ الصَّبْرَ علىٰ ذٰلِكَ اَفْضَلُ من تَفْريقِ كلمةِ الْمُسْلِمينَ و سَفْكِ دِمائِهِم . . . وَالدّينُ يُفْسِدُهُ اَدْنىٰ وهْنٍ وَ يَعْكِسُهُ اَقَلَّ خَلَقٍ فَوَلّى الاَمْرَ قَوْماً لَمْ يَاْلُوا فى اَمْرِهِم اجتهاداً . . . »

- ٢٦ -

لم يظهر فى مدّة خلافة **علىّ** مخالفة منه لمن كان قبله ، و لم يكن المسلمين التّابعين له الّا على ماكانوا عليه ، و ما عملوا الّا مثله ، و لم يوجد هناك اختلاف و تفرّق ، الّا ماحدثته مطامع **معاوية** و بنى اميّة ، واورثته مكايدهم باسم **عثمان** الخليفة ، اذ جعلوا ذلك ذريعةً للضّربة على **علىّ** (ع) و نقض امره ، وكسر شوكته و شانه ،

و تفريق الجماعة عن حوله ، و التوسّل بذلك الى عزله بل و قتله .

رسم **معاوية** لنيل ذلك الغرض الفاسد ، والوصول الى ذاك الهدف و المقصد ، بعد «التّحريض» الّذى ، كما عبّر هو نفسه فى كتاب كتبه الى **عبدالله** بن **عامر** ، احدّ السّلاح : «... واجعل اكبر عُدّتك ، الحذر و احدّ سلاحك ، التّحريض ...» ان يُهيّأ اسباباً يضطرّ بها **علىّ** على الخروج عن مدينة الرّسول ، مركز الخلافة ، فكتب الى **يعلى** بن **مُنْيَة** فى ما كتب صبيحة ورود كتاب **مروان** اليه ، يخبره بقتل **عثمان** :

«... وقد كتبتُ الى **طلحة** بن **عبيدالله** ان يلقاك بمكّة حتّى يجتمع رايكما على اظهار الدّعوة ...»

وكتب فى ما كتب **الى الزّبير** ، بعد عنوان الكتاب «لعبدالله **الزّبير**، امير المؤمنين !»

«... فانّى قد بايعتُ لك اهل الشّام ! فاجابوا ! ... فدونك الكوفة والبصرة لايسبقك اليهما **ابن ابى طالب** ... و قد بايعتُ **لطلحة** بن **عبيدالله** من بعدك ...»

- ٢٧ -

فاز **معاوية** ببُغيته ، و صار الى اُمنيّته ، واضطرّ **علىّ** (ع) بما مهدّه **معاوية** ، و اعدّه له ، بالخروج عن المدينة ، و انجرّ الامر الى حرب الجمل فاشتدّ الاختلاف والتّفرّق ، و حصل التحزّب و التّشعّب باسم **عثمان** و بعنوان «شيعته» و تميّز هذا - العنوان من تابعى **علىّ** و شيعته ، لكنّه لا **علىّ** ولاشيعته و تابعوه ، لم يُظهر و اخلافا للخلفاء السّابقين ، ولم يتكلّموا بمايتوهّم منه اختلاف مع المسلمين الاوّلين ، ولم يعملوا عملاً يقطعهم عن المتقدّمين (وان كان فى شيعة علىّ من يعتقد بكون علىّ احقّ بالخلافة وانّ غيره استبدّ بحقّه) .

استفاد **معاوية** لتشديد الاختلاف ، و الاخلال بامر **علىّ** من ايّة وسيلة يرشدها الى التوسّل بها نكْراؤه و دَهاؤه ، فامر بالقاء قميص **عثمان** على المنبر فى مسجد الشّام و باجتماع النّوائح عليه بالضجّة والعويل والبكاء ، للتّهييج والتّحريض لاهل الشّام ، فلمّا تمّ كيده ، و تهيّأ اهل الشّام لاخذ الثّار ، خرج الى صفّين وقابل **عليّاً** وقاتل ،

وصار سببا لقتل **عمّار بن یاسر** ، وقتل سبعین الف او ازید من المسلمین ، ولمّا احسّ باقتراب غلبة الحقّ وظهوره علی الباطل ، اوحی شیطانه الیه بمکیدة اخریٰ ، و القی في رُوعه ان یأمر برفع المصاحف علی الرّماح و القنیٰ . فوصل الی ما احبّ ، و ادرك ماارادہ ، من وقوع الاختلاف فی جند **علیّ** والتّشتّت لكلمتهم ، والتفرّق من جماعتهم والخلل فی اطاعتهم (و قدکان من قبل ذلك خادع بعض المنافقین و المستضعفین من رؤساء جند علیّ واطمعهم ببذل المال و وعد الجاه) .

و لم یطُل الزّمان بعد ذلك حتّی قُتل **علیّ** [1] و بویع **الحسن** ، ابنه ، فرایٰ **معاویة** انّه لایمکن له ان یتّهم **الحسن** بقتل **عثمان** ، كما صنع بالنّسبة الی ابیه، ولا انّ یطالب عنه قتلة **عثمان** ، الّذین لعلّه لم یکن احد من المتّهمین به فی قید الحیاة ، فلابدّ و ان یدخل من باب آخر للفوز بما یتمنّاه ، فتوسّل بمکائد سُوایٰ و تعمّل دسائس اُخری حتّی اضطرّ **الحسن** الی القاء حبل الخلافة علی غاربها، وقبول الصّلح من غاصبها .

- ۲۸ -

وحینئذ، آل الامر الی ماآل ، و نال **معاویة** بما لم یکد یتصوّر ان ینال، واتّسم لقب خال المؤمنین ، واغتصب عنوان خلیفة المسلمین ، فعلیه ان یسعی لتشیید مبانی سلطنته ، و یجتهد فی تحکیم قواعد حکومته ، باسم الاسلام ، و تحت عنوان خلافته ، فما ذا علیه ان یفعل ؟

۱- و یعجبنی ان اوردهنا ماافاد ، واجاد فی ماافاد المسیحی اللبنانی، **جبران خلیل** فی حق **علی** حیث قال :

«مات **علی بن ابی‌طالب** شهید عظمته ، مات والصلوة بین شفتیه ، مات وفی‌قلبه۔ الوثوق الی ربه **ولم یعرف العرب حقیقة مقامه ومقداره حتی قام‌من جیرانهم الفرس، اناس یدرکون الفارق بین الجواهر و الحصی ،** مات شان جمیع الانبیاء الباصرین - الذین یأتون الی‌بلد لیس ببلدهم و الی قوم لیس بقومهم و فی زمن لیس بزمنهم ، و لکن لربك شانا فی ذلك و هو اعلم».

اوّل امرٍ يهمّه هو ان لا يُبقيَ و لا يَذَرَ احداً ممّن كان مخالفه و لا يهواه ، اوكان محبّاً لعليٍّ و يهواه .

امّا الفرقة الاُولى فامرها سهلٌ هيّن ، اذ النّاس عبيد الدّرهم و الدّينار و يُستَعبَدون بالعطيّة والاحسان «فَطالمَا اسْتَعْبَدَ الإنسانَ اِحْسانٌ» و بيت مال المسلمين تحت قبضته ، يتصرّف فيه كيف يشاء و على مايشاء من جانبٍ[1] ، و البلادُ الواسعة الاسلاميّة تحت قدرته ، و طَوْع رغبته ، يُعْمِل فيها من يشاء ، و يستعمله

١ـ قال **الطبرى** فى تاريخه (الجزء الرابع ـ الصفحة ال ١٨٠ـ) .

«... وفد **الاحنف** بن **قيس** ، و **جارية** بن **قدامة** من بنى **ربيعة** بن **كعب** بن **سعد** ، و **الجون** بن **قتادة العبشمى** ، و **الحتات** بن **يزيد** ابومنازل ... الى **معاوية** بن **ابى سفيان** فاعطى كل رجل منهم مأة الف ! واعطى **الحتات** سبعين الفاً :

«فلما كانوا فى الطريق ، سأل بعضهم بعضا فاخبروه بجوائزهم ، فكان **الحتات** اخذ سبعين الفاً فرجع الى **معاوية**.

فقال ما ردك يا ابامنازل ؟

قال : فضحتنى فى بنى‌تميم ، اما حسبى بصحيح ؟ او لست ذاسن ؟ او لست مطاعاً فى عشيرتى ؟

فقال **معاوية** : بلى.

قال : فما بالك خسست بى دون القوم ؟

فقال : انى اشتريت من القوم دينهم ! ووكلتك الى دينك و رايك فى **عثمان** بن **عفان** ، و كان عثمانياً.

فقال : و انا فاشتر دينى ! . فامر له بتمام جائزة القوم ! . . .»

و فى «الاستيعاب» لابن **عبدالبر** بالاسناد عن **حسن البصرى** (كمافى كتاب النصائح الكافية . . .» انه قال : «كتب **زياد** بن ابيه الى **حكم** بن **عمرو الغفارى** ، عامله بخراسان:

ان اميرالمؤمنين كتب الى ان الذهب و الفضة من الغنائم ، له خاصة و ليس لغيره فيهما حق ، فلا تقسمها بين المسلمين . . .» و نقل صاحب كتاب «النصائح» ، عن **ابن حجر** بأسناد رجاله ثقات : ان **معاوية** قال فى خطبة يوم الجمعة :

« انما المال مالنا و الفيىء فيئنا فمن شئنا اعطيناه ! و من شئنا منعناه ! . . . »

كيف يشاء من جانب آخر وهو يعلم بدهائه، و بعمل لبقائه، فيصير المخالف موافقاً، و ان لم يكن فى الواقع الّا منافقاً .

و امّا الفرقة الثّانية وهم اصحاب **على** (ع) العارفون بشأنه، المحبّون له لعلوّ مقامه، و رفعة مكانه، و كثرة فضائله، **الّذين آمنوا بكلام النّبى** (ص) : «علىٌّ مَعَ الحق والْحقّ مَعَهُ يَدُورُ اَيْنَما دارَ» .

و سمعوا منه (ص)، او ممّن سمع منه (ص)، **ما قال فى شأن علىّ كقوله** : «مَنْ اَحَبَّ عليّاً فى مَحْياه وَ مماتِه كَتَبَ اللهُ لَهُ الاَمْنَ و الامانَ»[1].

و كقوله : «لايُحبّ عليّاً منافقٌ ولايُبْغِضُهُ مؤمِنٌ»

و قوله : «عَلِىٌّ مِنّىْ كَنَفْسى، طاعَتُهُ طاعَتى وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتى» الى غير ذلك ممّا ورد عن الرّسول (ص) فى حقّه (وستمرّ عليك نبذة منها فى الكتاب منقولةً عن الكتب المعتبرة لاهل السّنّة، مسندةً) .

فالدّاء فى هذه الفرقة على اعضال، والامر معهم مشكل غاية الاشكال، لانّهم لايبيعون الدّين بالدّنيا، ولا يشرون انفسهم المطمئنّة بالايمان، و قلوبهم الممتلئة من حُبّ يورث الامن و الأمان، بتلك الاثمان وتلك الدّرجات السّفلى .

شرع **معاوية** بتصفية مملكته ممّن خالفه، فاشترى من الفرقة الاولى بالمال والعمل (الامارة والرّئاسة) انفسهم واستراحت نفسه بهذه السّياسة . و امّا الفرقة الثّانية، و هم محبّوا علىّ، و مُفدّوه بانفسهم، و مبغضوا **معاوية** و سلطنته الباغية العاتية، فعزم على ان يُفنيهم و يستاصلهم، فصمد للمخالف من هذه الفرقة نحو عنوان «شيعة علىّ» و استغلّه لمقصوده، فامر عمّاله فى جميع البلاد ان يُضيّقوا على من يتّسم، او يتّهم، بالتّشيّع، و يعذّبوهم بالحبس، والزّجر، والقتل، و يمتحنوهم بالبراءة عن **علىّ** (ع) وعن حبّه و يحملوهم على لعنه و سبّه! و الويل ثمّ الويل لمن استنكف و ابى، و استعاذ بربّه و وفى .

١- و فى المحكى عن كتاب فضائل **على** للامام **احمد بن حنبل** «. . . ان السعيد كل السعيد، حق السعيد، من احب علياً فى حياته و بعد موته»

فصار عنوان «الشّيعة» كالعناوين الّتى يتّخذها السّاسة، فى هذا العصر، وسيلةً لان يكبتوا بها من يخالفهم فى السّياسة، و يعارض سلطتهم و قدرتهم و شوكتهم بالمنافسة، و عنواناً لان يقهروه و يدمّروه بل و يستأصلوه.

استقصاء شيعة علىّ واستأصالهم وان كان مهمّاً عند معاوية، شاغلاً باله، ولكنّه لدهائه، و الابتداع فى اهوائه وكياسته لحفظ مقامه و رئاسته لم يكن غافلاً عن مهمٍّ آخر فى سياسته.

قال علىّ فى ماكتب اليه: «فَسُبْحانَ اللهِ ما اَشَدَّ لُزومَكَ لِلاَهْواءِ الْمُبْتَدَعَة والْحيرة المتّبعة، مع تَضْييع الحقائق وَاِطْراح الوَثائِق الّتى هى للهِ طَلِبَة و على عِبادِهِ حُجَّة ...» فشدّة لزومه للاهواء، حمله على الابتداع لتضليل الخلائق، و تضييع الحقائق، بوضع الاحاديث و جعل الاكاذيب، وحتّى بتحريف اسباب نزول الآيات، و تبديل الرّوايات، و نقل الأراجيف فى حقّ علىّ، كى يلتبس الامر على الغبىّ، ولا سيّما على اهل الشّام، مركز سلطنته و عاصمة حكومته على اهل الاسلام، و تشتبه الحقيقة على الامّة فى ما صدر فى شأن علىّ عن نبىّ الرّحمة، حتّى ينسى الكبير فضائله، و يكبر الصّغير على ماوضعه و افتعله.

وقعت المخاويف و كثرت الاراجيف فى زمن **معاوية**، و عُذّبت نفوس زكيّة و قُتلت اُخرىٰ ابيّة، بامره و بيد عمّاله و امرائه، باسم «شيعة علىّ» **كعمرو بن حَمِق و حُجْر بن عدىّ الصّحابى**. «فصارت هذه السّياسة الآثمة الغاشمة، و هذه المعاملة الجائرة الجابرة، على خلاف شيعة علىّ و تابعيه، باضطهادهم، و ايذائهم، وحبسهم، و قتلهم، علّة للفُرقة و سبباً لان يُنظر اليهم، وهم فى الاسلام من الاقطاب، وفيهم بقيّة من الأصحاب، كانّهم، والعياذ بالله، ليسوا من المسلمين، اوماهم الّا فرقة خارجة من الدّين! وهذا ماشار علىّ (ع) اليه لقوله: «وَاِنَّ اَخْوَفَ الفِتَنِ عَلَيْكم عِنْدى فِتْنة بنى اُمَيَّة ...»

وقال بعده :

«... وَ ایْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنی اُمَیَّةَ لکُمْ اَرْبابَ سُوءٍ بَعْدی کالنّابِ الضَّروسِ تَعْذِمُ بِفیها و تَخْبِطُ بیَدِها و تَزْبِنُ بِرِجْلِها، و تَمْنَعُ دَرَّها، لا یَزالُونَ بِکُمْ حَتّی لا یَتْرُکُوا مِنکُمْ اِلّا نافعاً لَهُمْ اَوْ غَیْرَ ضائِرٍ بِهِمْ، تَرِدُ عَلَیْکُم فِتْنَتُهُمْ شَوْهاءَ مَخْشِیَّةً[1]، وَ قِطَعاً جاهِلیَّةً لَیْسَ فیها مَنارُ هُدیً وَ لا عَلَمٌ یُری ...» (نهج البلاغة).

کان معاویة راس الفتنة و رکنها و امّ الفساد و قطبها، فمن کان بعده من بنی امیّة اقتدیٰ به فی الفتنة والفساد، و بنیٰ امر الحکومة والسّیاسة علی اساسٍ اسّسها مقدّمهم (معاویة) فی التّضییق علی محبّی علیّ و شیعته الامجاد، و ابعادهم عن امور الحکومة تأسیاً به فی البغی و العناد. فصارت الشّیعة حیثما تمکّنت و بحسب ماامکنت، تتکلّم فی المعروف والمنکر، و تتذکّر کیف صار الامر فیها من حیث الامر والنّهی مخالفاً لماامر به الشرع، معکوساً لما بیّنه الدّین و قرّر، و تُدافع عن حقّها و کیانها، و تُمانع عن معتقدها فی محبوبها و امامها، و تتاسّیٰ به فی مااعتقده واظهره، و تتادّیٰ له من حقّه بمابیّنه واخبره، کقوله : «انّ الائمّة من قریش غُرِسُوا فی هذاالبطنِ من هاشم لا تَصْلُحُ علی سِواهُمْ ولاتَصْلُحُ الوُلاةُ مِن غیرِهِمْ».

وکقوله : «... و انّما طَلَبْتُ حَقّاً لِیْ ...»

وکقوله : «... واَجْمَعُوا عَلیٰ مُنازَعَتی اَمْراً هُوَ لِیْ ...»

وکقوله : «مازِلْتُ مظلوماً مُنْذُ قَبَضَ الله رسولَهُ حَتّی یَوْمَ النّاسِ هذا»

وکقوله : «مازِلْتُ مُسْتَاثَراً عَلَیَّ، مَدْفُوعاً عَمّا اَسْتَحِقُّهُ واَسْتَوْجِبُهُ»

اورد الطّبری فی تاریخه (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٤٧٦ـ) بالأسناد، قضیّة منزل ذی‌قار فی طریق البصرة وخطبة علیّ و مکالمته مع ابنه الحسن (ع) الی ان قال (ع):

١ـ الناب : الناقة المسنة. الضروس : السیئة الخلق، تعض حالبها. تعذم (بالعین المهملة و الذال المعجمة) من عذم الفرس اذا اکل بجفاء او عض. تزبن (بالزاء المعجم) تضرب. شوهاء : قبیح المنظر. مخشیة (بالخاء المعجمة) : مخوفة، مرعبة.

«انّ النّبيّ (ص) قُبِضَ وما أرى احداً أحقّ بهذا الامرِ منّي، فبايعَ النّاسُ ابابكرٍ فبايعتُ كما بايعوا!

«ثمّ انّ ابابكر هلكَ و ما أرى أحداً احقّ بهذا الامرِ منّي فبايعَ النّاسُ عمرَ بن الخطّاب فبايعتُ كما بايعوا.

«ثُمّ انّ عمر هلكَ و ما أرى أحداً أحقّ بهذا الامرِ منّي فجعلَني سهْماً من ستّة اسهُم، فبايعَ النّاسُ عثمانَ فبايعتُ كما بايعُوا!

«ثمّ سارَ النّاسُ الى عثمانَ فقتلُوه ثُمّ أتَوني فبايعُوني طائعينَ غيرَ مُكْرَهينَ... » و اشباه هذه الكلمات الّتي ستمرّ على النّاظر في الكتاب ان شاءالله.

خلاصة الكلام كان الامر على ماكان عليه المسلمون بلا اختلاف عمليّ بينهم حتّى اغتصب معاوية امور المسلمين، وانتصب نفسه للخلافة و امارة المؤمنين، وتسلّط عليهم باسم الخلافة و خضعوا له خوفاً و طمعاً، واجتمعوا حوله رغبة و رهبة، وقامت راية ضلالٍ على قطبها، فكالتهم لصاعها و خبطتهم بباعها، و ظهر ماقاله عليّ (ع) في حقّ معاوية واخلافه من بني اميّة حيث قال (ع):

«... رايةُ ضَلالٍ قدْ قامتْ على قُطْبِها و تفرّقتْ بشعبِها، تَكيلُكُم بصاعِها، وتَخبِطُكُمْ بباعِها قائدُها خارجٌ مِن المِلّة، قائمٌ عَلى الضِّلّة فلايبقى يومئذٍ مِنكُم الّا ثُفالةٌ كثُفالةِ القِدْرِ اوْ نُفاضةٌ كنُفاضةِ العِكْمِ، تَعرُكُكُم عركَ الاديمِ، و تدُوسُكُم دوْسَ الحَصيدِ، و تستَخلِصُ المؤمنَ من بينِكُم استخلاصَ الطّيْرِ، الحبّةَ البَطينَةَ من بيْنِ هزيلِ الحبّ... »[1]

فاصبحت الشّيعة فرقة مخالفة، لا لمن سبق من الخلفاء بل لمن اسمى نفسه خليفة، و ادّعى انّ افعاله على ما رضى الله و رسوله (ص) و على سيرة السّلف من-

---

١- تكيلكم: تاخذ كم للهلاك جملة كالكيال يأخذ من الحب. تخبطكم بباعها: من خبط الشجرة اى ضربها ليتناثر ورقها. و التعبير بالباع لافادة استطالتها عليهم و تناولها للقريب منهم والبعيد. النفاضة: مايسقط بالنفض. العكم: كالعدل، بالكسر، لفظا ومعنى وايضا نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها. العرك: الدلك الشديد والحكة الى ان يعفى. الاديم: الجلد. البطينة: السمينة.

من الرّاشدين ، واضطرّت من خوف معاوية وجور عمّاله الى التّقيّة والاختفاء[1] وكانت على كلّ حالٍ ، وفى كلّ امرٍ من امور الدّين، اصوليه وفروعه متبعّة بعد **علىّ** ، اهل البيت و عترة النّبىّ ، مقتدية بهُدى ابناء الرّسول و ذرّيّة **علىّ** ، الّذين قرنهم الرّسول (ص) بالكتاب، و تركهما لحفظ الامّة عن الضّلال بلاارتياب ، و اعتقدت الشّيعة طهارتهم و عصمتهم ، و عرفت علمهم و حكمتهم .

- ٣١ -

والقول الجُملى انه لا اختلاف بين الشّيعة وبين سائر المذاهب الاسلاميّة (اللّهمّ الّا مذهب من يتّبع بنى اميّة و يصدّق احاديثهم الموضوعة) فى الاصول: من التّوحيد والنّبوة والمعاد. ولا اختلاف بينهم فى انّ ماجاء به الرّسول (ص) حقّ لاريب فيه و كلّهم يؤمنون بصدقه ويعتقدون وجوب العمل على وفقه . ولا اختلاف بينهم فى تحقّق الخلافة خارجاً على ماضبطه التّاريخ و مضى و فى عدم ثمرة على الاختلاف لمستقبل الاسلام فى مامضى وانقضى (الّا ضعف الاسلام و ذُلّ المسلمين) . ولا اختلاف بينهم فى انّ الامام **عليّاً** ابن عمّ الرّسول و صهره ، و ابو ذريّته و آله، و انّه بمنزلة نفسه ، و انّه كان اوّل ذكرٍ (او رجل) آمن و صلّى ، وكان وصيّه و خليفته كهرون من موسى ، وانّه (ع) كان جامعاً لجميع ماتفرّق من المكارم والفضائل فى سائر الاصحاب من السّخاء والوفاء والزّهد والعلم والشّجاعة والقرابة و اشباهها وانّه فردٌ لايدانيه فرد و ماجدٌ لا يُساجلُه احدٌ فى ان يملأ الدّلو الى العقد .

---

١ - قال الشاعر الشيعى ، الكميت فى ماقال من بائيته :

« الم تر نى من حب آل محمد — اروح و اغدو خائفاً اترقب
« كانى جان محدث وكاننى — بهم اتقى من خشية العار اجرب
«على اى جرم؟ ام باية سيرة ؟ — اعنف فى تقريظهم و اؤاب »

و فى ماقال فى لاميته :

« فتلك ولاة السوء قد طال ملكهم — فحتى م ؟ حتى م العناء المطول ؟
«رضوا بفعال السوء فى اهل دينهم — فقد ايتموا طوراً ، عداء، و انكلوا »

ايّها الاخوان، الاسلام دين الوحدة و الاتّحاد، دين الالفة والوداد، دين القوّة، دين العظمة والشّوكة، دين العزّة والرّفعة، لا دين التعصّب والتفرّق. حَسْبُ الاسلام و كفاه هذه الاختلافات والمشاحنات، الاترون ماصنع الاختلافات؟ اما تشاهدون انّ الاختلاف قسّم الاسلام وصيّره بِقاعاً و رُقعاً ولكلّ رقعه حكومة، ولكلّ حكومة طريق خاصّ لادارة رقعته، و نظام حكومته، و نظم مملكته و بلدته: من الدّيموقراطيّة والمَلكيّة والجمهوريّة و... وعلى كلّ يجرى عليها حكم الدّول الجانية المستعمرة! اين الاسلام الّذى كان فى صدر الاسلام و اين ماعليه المسلمون و يدّعونه فى هذاالزّمان؟ اين تلكث العظمة والعزّة للمسلمين؟ واين هذه الحقارة والذّلّة للمدّعين؟ انّالله وانّا اليه راجعون.

تذكّرتُ هنا كلاماً من عمر اذكره هنا عسى ان يكون له اثر.

قال الطّبرى فى تاريخه (الجزء الثّالث - الصفحة ال ٢٨١ -) بالاسناد عن ابن عبّاس.

«انّ عمر قال لناسٍ من قريش: بلغنى انّكم تتّخذون مجالس، لايجلس اثنان معاً حتّى يقال: مِن صحابة فلان، مِن جلساء فلان، حتّى تَحَوميَت المجالس (اى حدثت العصبيّة و حصلت الحميّة و الحماية).

« و ايْمُ الله انّ هذا لسريعٌ فى دينكم، لسريع فى شرفكم، لسريعٌ فى ذات بينكم.

«ولكأنّى بمن ياتى بعدكم يقول: هذا راى فلان. قد قسّموا الاسلام اقساماً. افيضوا مجالسكم بينكم و تجالسوا معاً فانّه ادوم لالفتكم، و اَهْيَبُ لكم فى النّاس»

فيااخوانى «اِعْتَصِمُوا بحَبْلِ الله جَمِيعاً، وَلا تَفَرَّقُوا» وكونوابالحقيقة اخوة «واذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ» وَلاتَكُونوا كَالّذِيْنَ تَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰائَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتِ» و «اَقِيْمُوا الدّيْنَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فيه»

«يا اخوان الاسلام تهيّأوا للاقدام، فقوموا من رقدتكم، وهبّوا من هجدتكم،

فقد طالت الهجعة والصبح سافر ، و امتدّت الهجدة و اليوم زائل نافر .

افيقوا ، واضربوا العصبيّة المفرّقه على الجدار . افيقوا و كونوا رُحَماء بَيْنَكم اشِدّاءَ علَى الكُفّار . افيقوا وَ لا ترْكَنُوا الى الّذِيْنَ ظَلَمُوا فتَمَسّكُمُ النّارُ و تصير عاقبتكم الى دارالبوار .

افيقوا و ذروا تلك الاسماء الّتى سمّيتموها ، والالقاب الّتى نابزتموها : من الحنفيّة والمالكية والشّافعيّة والحنبليّة ، والتسنّن والتشيّع ، والاشعريّة والاعتزال ، و الّتى ماانزل الله بها من سلطان ، و لا اعلمه الله فى القرآن ، و الّتى منها نشأ التّقسيم فى الدّين ، واليها يؤل ضعف الاسلام و ذُلّ المسلمين .

اخوانى ايّها الاعزّة الكرام ، والا ماجد العظام ، اسمعوا ممّن يحبّكم فى الاسلام ذرُوا التّشعّب و الافتراق و خذوا ماانعم الله عليكم و اراد منكم ، من الالفة و الاخوّة و الاتّحاد ، فى ظلّ الايمان و التمسّك بالقرآن ، فانّ فيه « دَواءُ دائكم و نَظمُ مابَيْنَكم » وانّه هو « الهادى الّذى لايضِلُّ » و « ... انّه لَيْسَ على احَدٍ بعْدَ القرآن مِنْ فاقَةٍ وَ لا لِاحدٍ قبْلَ القرآنِ مِنْ غِنىً ، فاسْتَشفُوهُ مِنْ ادوائكم ، فانّ فيه الشّفاء مِنْ اَكْبَرِ الدّاءِ ، و هُوَ الكُفْرُ والنِّفاقُ ، وَ الْغَىُّ والضّلالُ » و انّه يعصمكم من التّشتّت و الاختلاف ، و كونوا ، بالحقيقة ، مسلمين كماكان آباؤكم الاوّلين .

تذكّروا ماكان عليه آباؤكم الاوّلين ، و اعتبروا كيف كانوا غالبين قاهرين . كانوا لاتّحاد همّتهم ، و وحدة كلمتهم ، و بسط الفضل و نشر العدل ، والاستقامة فى سبيل الحقّ بحيث يتّهاب اقوى الملوك والسّلاطين عن قدرتهم و شوكتهم و صولتهم ، واليوم صار المسلمون ، للتّخاذل و التفرّق والتشعّب ، يُغزَوْن فى ديارهم و يُخرجون ولاحول ولا قوّة الّا بالله ، من ديارهم .

« اَيْنَ تَذْهَبُ بكُمُ الْمَذاهبُ ، وَ تَتيهُ بكُمُ الْغياهبُ ، وتَخدَعُكُمُ الكَواذِبُ ؟ و مِنْ اَيْنَ تُؤتَونَ ؟ وَ انّى تُؤفَكُونَ ؟ » (نهج البلاغة)

ايّاكم ، ايّاكم والاختلاف بالعصبية « فَاِنْ كانَ لابُدّ مِنَ الْعَصَبيّةِ فَلْيَكُنْ

تَعَصُّبُكُم لِمَكارِمِ الاَخْلاق ومَحامدِ الاَفْعال ومَحاسِنِ الاُمُور» والتمسك بحبل الايمان والايتلاف فى ظل عنوان «الاسلام».

وعليكم بالاعتبار يا اولى الابصار اذكروا ماضيكم الاغرّ، وانظروا الى حاضركم وما احاط به من الخطر، واجعلوا «الاسلام»، نَعَمْ «الاسلام»، لتجديد مجدكم الشعار و دَعُوا هذه العناوين المختلفة و الافانين المختلفة الّتى كانت بادئتها الذلّة و تكون عاقبتها التبار والبوار، ولا تغزوا بينكم لاجلها فى عقر الدار «فوَاللهِ ما غُزِىَ قَوْمٌ قَطُّ فى عُقْرِ دارِهِمْ الّا ذُلُّوا» ولاتواكلوا ولاتخاذلوا ولاتجادلوا، وانظروا كيف شُنّت عليكم الغارات و مُلكت عليكم الاوطان[1].

- ٣٣ -

و لنتوجّه اخيراً الى ماكنّا بصدده من **بيان الدّاعى لتأليف الكتاب**، و الباعث لتسويد الاوراق، **و بيان ماروعى فيه و لنلخّص بيان الدّاعى** بالاشارة الى سببين:

١- انّ الفصل الّذى كتبته لكتاب «الاسلام صراط المستقيم» كان مختصراً جدّاً واقتصرفيه بنقل المعتقَد من دون اتيانٍ بالدّليل و المستند. ولذلك من ترجمه بالعربيّة طالب غالباً فى ماعلّق عليها بالحجّة، ولم يدر انّ المسئول والمنظور لم يكن الّا صرف بيان الاعتقاد لاالاستدلال والاستناد فوجب ان يُكتب مايشتمل على ماتستند اليه الشيعة فى الاعتقاد.

٢- ان التعصّبات الّتى اشرت الى انموذج منها حدانى الى تاليف مختصرٍ يشتمل على ما يثبت به ان الشيعة فى ما تعتقد و تقول تستند بالمعقول والمنقول، و لهم القدم الرّاسخ فى الفروع و الاصول، و ما نسبه او ينسبه اليهم بعض الجاهلين و المعاندين بهتان مبين وافتراء غيرمقبول. والمسئول ممّن يريدالحقّ و يحبّ الحقيقة ان يراجع لكشف معتقدات الشيعة اصولا و فروعاً، فى كتب القدماء منهم، **كالسيّد المرتضى و الشيخ ابى جعفر الطّوسى و المحقّق الحلّى** (رحمهم الله تعالى) واضرابهم من علماء الشيعة.

١- مقتبس من كلام على (ع).

ولمّا كان اكثر مايشاهد من تلك النّتائج للعصبيّة، كُتب بلسان العرب واكثر المتعصّبين منهم، اوممّن يعرف لغتهم فرايت ان اكتب هذه الاوراق بذلك اللّسان، مع اعترافي بالضّعف والقصور والنّقصان في هذا الميدان على انّ ذلك لسان القرآن المجيد ويجدران يتبرّك به كلّ مفيد ومستفيد.

وامّا ماروعي في هذا التّأليف فعدّة امور.

منها : انّ مانقل فيه، منقول كلّه، من الكتب المعتبرة للمعتمدين الاثبات، من اهل السّنة، وذكر غالبا في المتن اوفي الذّيل[1]، موضع المنقول من الكتب.

ومنها : انّ ماجعل بين علامة « » ولم يُصرّح بالمأخذ فهوعلي الاغلب ماخوذ من تاريخ ابي جعفر **محمّد** بن جرير **الطّبري**، او منقول من « الكامل » **لابن اثير الجزري**.

ومنها : انّ جانب الادب والاحترام روعي فيه ولو بالرّمز فحين ذكر اسم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والائمّة والخلفاء، جيء بمثل «ص» و «ع» و «رض» واذاكان احدالاسماء المذكورة طيّ عبارة منقولة عن كتابٍ جيء الدّعاء اوالسّلام فيه بالصّراحة لابالرّمز، آتينا بعين لفظه وان تكرّر.

ثمّ استُوفِيَتْ مقاصدُ الكتاب طيّ ثلاثة اجزاء : الجزء الاوّل (هذا الجزء) يحتوي على البحث حول عشرين مطالب : اوّل المطالبَ حولَ « التوجّه الى المبدء والمآل» واخرها ينتهي بانتهاءِ خلافة عثمان (رض). والجزء الثّاني يتكفّل البحث عن فضائل **علي**ّ (ع) ابتداءً والبحث حولَ الامام المهديّ المنتظر انتهاءً. والجزء الثّالث يحتوي على امّهات مايترائى منه الاختلاف بين الشّيعة واهل السّنة اصولا وفروعاً.

١ـ واما الكتب: فالطبري مطبوع في مطبعة «الاستقامة» بالقاهرة، و«الكامل» مطبوع ادارة الطباعة المنيرية بمصر و«الحلية» مطبوع بمطبعة « السعادة » بجوار محافظة مصر. وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مطبوع دار الكتب العربية الكبرى وصحيح البخاري الطبع الذي صححه محمد ابن مالك في زمانه، ونظر فيه عدة من علماء المذاهب بامر السلطان **عبدالحميد**، ثم طبع بامره باسلامبول.

و فی الختام لابدّ و اَنْ اعتذر من النّاظرین الکرام ، ولا سیّما من جهابذة ـ الادب والاساتذة فی لسان العرب ،من قصورالباع و کُسُود المتاع . والمرجوّ من جودهم ـ العمیم اذا نظروا الیه و شاهدوا فیه اغلاطاً و اخطاءً من حیث اللفظ و الترکیب ، ان یصلحوه و ان عثروا علی زلّة و عثرة و وقفوا علی کبْوة و هفْوة ، ان یعفوا عنه و یغفروه فانّی نُشئتُ علی غیر هذا اللسان و انّ الانسان قلمّا اَنْ لا یعترضه السّهو و النّسیان .

حَمدْتُ اللهَ رَبّی اِذْهَدانی
لِما اَبْدیْتُ مَعْ عَجْزی وضَعْفی
فَمَنْ لِی بالخطاء فاَرْدَ عَنْهُ
وَمَنْ لِی بالْقَبول وَلَوْ بحَرْف

رَبّنا اغفِرْ لَنا وَ لِإخْوانِنا الّذینَ سَبَقُونا بِالایمان ، وَكَفِّرْ عَنّا سَیّآتِنا وَ تَجاوَزْ عَنْ ذُنُوبِنا ، یا قدیم المنّ و الاحسان .

کتبتُ هذه المقدّمة حین تشرّفی بمشهد الامام ابی الحسن علیّ بن موسی الرّضا (ع) فی ایّام شهر الصّیام من سنة سبع و تسعین و ثلاثماة بعد الالف الاوّل من الهجرة النّبویّة بالشّهور القمریّة (وَفْق «شهریور ماه» من سنة ستّ و خمسین و ثلاثماة بعد الالف ، بالشهور الشّمسیة) .

و انا الضّعیف الفانی
محمود ـ الشّهابی ـ الخراسانی

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّين حَنِيفاً
فِطرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ...»
(سورة الروم) (الآية الـ ٢٩)

١ ـ حول التوجّه الى المبدء والمآل
و
ما يقتضيه الحال من الأعمال

١ ـ من أين والى أين؟
٢ ـ الأنسان و شوقه الذّاتى .
٣ ـ كمال الانسان، الخاصّ به.
٤ ـ سرّ التوجّه الى الدّين .
٥ ـ المجهول الانسانىّ الأهمّ .
٦ ـ طريق الفلاسفة : الماديّين والألهيّين .
٧ ـ الأنسان عندالفريقين .
٨ ـ طريق الأنبياء والرّسل .
٩ ـ المام ببعض ما استند اليه لأثبات المبدء .
١٠ ـ الطّرق الصّناعيّة .
١١ ـ تذييل فيه برهان للمؤلّف على اثبات المبدء.
١٢ ـ اشارة ، فيها اصول .
١٣ ـ الطّرق الفطريّة .
١٤ ـ آيات من القرآن المجيد بعنوان النّموذج .
١٥ ـ تكملة وتذكرة .
١٦ ـ الدّين والمتديّن .

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الحمد على الدوام . وعلى رسوله الخاتم محمد، صلى الله عليه وسلم، وآله الطاهرين الكرام ، وأصحابه الراشدين العظام ، الصلوة والسلام الى يوم القيام .

١ ــ من أين والى أين؟

مما لا يكاد يرتاب فيه ان للانسان مجهولات كثيرة متنوعة هامة ، اهمها باعتبار الواقع وأعمها من حيث الخلجان فى جميع الضمائر فى اكثر المواقع هو هذا :

من أين جئنا؟ والى أين نذهب ؟

يمكن ان يكون لأنسان ، بل لكل انسان ، مجهول مسدول عليه غطاء الخفاء من كل ناحية ومن كل جهة بحيث لايوجد له فيه وجه مكشوف ، بل كان مستوراً عليه فى انحاء جهاته ومجهولاً له ، على نحو الأطلاق ، مدى حياته ، لكنه من الغريب المستبعد جداً ان يوجد انسان ، يصح عليه اطلاق هذه الكلمة ، وهو لايتوجه الى هذا المجهول ولايخطر بباله فى مدة حياته ، ولو مرة واحدة ، هذا الموضوع :

من اين جئنا ؟ والى أين نروح ؟

٢ ــ الأنسان وشوقُه الذّاتی

اختلاف ا
الانسان
عدة جه

الأنسان تختلف افراده فی نواحٍ شتّی من کیانه: تختلف فی الألسنة والألوان، تختلف فی العادات والاحوال، تختلف فی الأطوار و الأفکار، تختلف فی الأبدان والأرواح، تختلف فی الآداب والأخلاق، تختلف فی الأهواء والأمیال، تختلف فی الأمانی والآمال، تختلف فی العقول والألباب و بالجملة تختلف فی الصّورة والسیرة والظّاهرة والخافیة: فبعض الأفراد یمیل الی شیءٍ وآخر یذهب الی طریقٍ و ثالثٌ یتّخذ مسلکاً ورابعٌ یسلک فی طریق حبّه وعشقه وهواه ومیله سبیلاً رابعاً، وهکذا، فیکون للنّاس فی مایعشقون مذاهبٌ ولهم بحسب طبائعهم، طَوْعَ تُراثهم وبیئتهم اکنان و غرائز واغراض وعلائق:

«لاتَحْسَبَنَّ النّاسَ طبعاً واحِداً فَلَهُمْ
غرائزٌ لَسْتَ تُحْصِیْها واَکْنانٌ[١]»

ولکنّها مع تلک الأختلافات کلّها، کما تتّفق تلک الأفراد فی کونها انساناً، تتّفق باقتضاءٍ من انسانیتها المشترکة الجامعة فی غریزةٍ خاصّةٍ و سجیّةٍ مختصّةٍ وفضیلةٍ ذاتیّهٍ و مزیّةٍ نوعیّةٍ الاوهی حبّها الذاتی للعلم بحقائق الأُمور وشوقها ـ

---

١ ـ لابی الفتح علی بن محمد البستی (المتوفی ، فی حدود سنة الـ ٤٠٠ هـ) فی قصیدته المشهورة التی مطلعها :

« زیادة المرء فی دنیاه نقصان »

وقد ترجمتها بالفارسیة منظومة، منها فی ترجمة البیت المنقول فی المتن :

« نپنداری تو یکسان طبع مردم   که بیمر هست طبع و خوی ایشان »

ق افراد
ن فی حبهم
تی للعلم

الفطری النوعی الی كشف المساتير و تحرّيها الطّبعی لدرك الاشياء وفهم المسائل والمشاكل .

فلا يكاد يوجد فردٌ توجّه الی جهاه بأمرٍ الّا و هو يحب من صميم خاطره وعمق ضميره ان يزول عنه هذا الجهل ويتحرّیٰ من سويداء قلبه ان ينكشف لدی فكره ذلك المجهول .

فكلّ فردٍ فی كلّ حالٍ اذا توجّه الی امرٍ وخطر بباله شیءٌ يشتاق شوقاً طبيعياً ان يكون هذا الأمر مكشوفاً عنده فی رُمّة نواحيه، معلوماً له جملة خوافيه ، مرفوعاً من منظره ماستّره من حُجُبه وغواشيه . بل كلّ فرد يحبّ حبّاً فطرياً ان لايكون له مجهول اصلاً ، و يشتاق ان تصير المجهولات بحذا فيرها معلومةً له، مكشوفةً لديه مطلقاً .

هذا امرٌ خُمّربه طينة الأنسان ، وسُجّل فی صفحة سجيّته وارتكز فی فُسحة طبيعته وجبلّته ، فهو بفطرته السّاذجة وطبيعته السّليمة متوجّه الی رفع السّتار عن المجهولات وكشف الغطاء عن المخفيّات والمستورات .

ولعلّه كان بيّناً انّ من بين تلك المجهولات المحيطة به اقدمها خطوراً بباله واكثرها استحقاقا للعناية منه والذّها ادراكاً له وآثرها كشفاً عنده واعظمها شأناً لديه هو هذا المجهول :

مِنْ اَيْنَ سِرْنا ؟ والی اَيْنَ نَصِيْرُ ؟

٣ ــ كمال الأنسان الخاصّ به

لكلّ نوع من انواع الموجودات كمالٌ يختصّ به ويحصل السّعادة له اذا وصل

اليه ويكون جميع تطوّراته الطّبيعيّة و تحوّلاته النّوعيّة، بالحقيقة، سيراً طبيعياً نحو ذلك الكمال وللوصول الى تلك السّعادة .

كمال الانسان النوعى

النّوع الأنسانى أيضاً يختصّ به كمالٌ خاصّ يتحرّك كلٌّ من افراده حركةً طبيعيّة فى سبيل ادراكه واحرازه حتّى وافق سعدُ التّوفيق لمن وافق فاهتدى الى صراطه المستقيم وسلك هذا الطّريق السّوىّ من دون ان يحدث عائق له يصرفه عن الطّريق او يوجَد مانع يمنعه عن السّلوك، فيصل الى ما ارتضاه شخصه واقتضاه نوعه واراد وامْضاه لَه ربُّه وهو كما له النّوعىّ الّذى بوجْدانِه يتحقّق له سعادته الشخصيّة . قوله تعالى.

«والّذينَ جاهَدوا فِينا لَنَهدِيَنّهُمْ سُبُلَنا وان الله لمع المحسنين ٦٨»[1]

وممّا أطبقت عليه عقول اولى الألباب انّ الأكمل من الأنواع كلّها هو نوع الأنسان فلاجرم يكون كمان هذا النّوع بالنّسبة الى سائر الأنواع ارقىٰ و أشرف وسنخ سعادته، المتوقّعة حصولها لأفراده، اعلىٰ واجلّ .

اَجَلْ : الأنسان نسخة الهيّة جامعة لجميع ما سُطر فى كتاب الكيان، ومرآة صافية انعكس فيها مجموع ما تفرّق من الكمالات، فهو بوجوده الكامل جامعُ شتات الكمالات و واجدٌ لجميع مراتب الخيرات و السّعادات، لُفّت فى حقيقته الكاملة ما نُشرت من الحقائق والفضائل وحُفّت سعادةُ ذاته بشقاوة مانُشرت على سائر الموجودات من المكارم والمواهب.

ثم يخرج الأنسان من مرحلة تلك القوّة الكامنة ويبرز الى مقام الفعليّة الرّاقية الرائقه **اذا سلك فى مدارج العمل** ارقيها و **وصل الى معارج العلم** اسنيها فحينئذٍ يفوز بسعادته النّوعيّة ويتمّ لشخصه خلافته الألهيّة .

والمراد من «العمل» ، اللّائق به السّلوك الى مدارجه، هو العمل الصّالح وهو الّذى يكون بهداية من العقل السّليم وارشاد من الفكر القويم منطبقاً على ما اثبته العلم الصّحيح واخبر به المخبر الصّادق الفصيح .

---

١ ـ من السورة الـ ٢٩ (سورة العنكبوت).

العلم والعمل

والمراد من « العلم » ، الّلازم له اكتسابه ، هوالعلم الّذى ينبغى لكلّ فردٍ أن يتوجّهاليه ويتحقّق بهوهو بالحقيقة مايكون أساس سعادته وقوام خيره ومصلحته وليس هو الّا ان ينكشف لدى عقله العمّال حقيقة هذا السّئوال :

من اين جئنا ؟ والى اَين نَرُوْحُ ؟ وَلِمَ جِىءَ بِنا ؟ فما علَيْنا اَنْ نَفعَلَ ؟

٤ ـ سرّ التّوجُّه الى الدّين

هيهنا نتوقّف هنيهة فنتوجّه انّ توجُّه النّاس الى ما يعبر عنه باسم « الدّين » وتعلّق خاطرهم به انّما هولأمر مرتكزٍ فى طبيعتهم فهو معلول عن حبّهم الطّبيعىّ لنيل كمالهم النّوعى ومولود عن توجّههم الغريزى الى الأطّلاع على بداية حالهم والألتفات الى ما سيصير الأمر اليه فى مآلهم و يتحصّل لهم من نقصهم أوكمالهم . فكلّ فردٍ ، بحسب فطرته وباقتضاء طبيعته ، يريد أن يعلم ما ينبغى ان يَعْمَلَ و يحبّ أن يعيش على نحوٍ يقرّبه الى كماله المطلوب ويوصله الىسعادته المبتغاة: سعادة النّشأتين والفوز بسموّ المقام فى المرحلتين .

توجيه توجه الانسان الى من ادعى النبوة

ومن هنا يظهر سرّا قبال الناس فى كلّ دورةٍ وكوْرة،وفى كلّ زمان و مكان، وفىجميع الأعصار والامصار،الىدُعاةٍ ادّعَوا معرفة طريقٍ يوصل الأنسان الىمبتغاه الفطرىّ من سعادته وقرّروا انظمة قدّروا لزوم رعايتها وتطبيق العمل عليها لمن اراد ان يعيش فى حياته عيشاً يصلح لسلوكه سبيل هدايته ويناسب وصوله الىٰ غرضه وغايته .

وبالجملة كلّ انسان مجبول على حبّ الكمال: مطبوع على التوجّه الىالخير، مركوز فى عمق وِجدانه وضميره طلب السّعادة،ومقطوع عنده انّ وصوله الى ذلك المطلوب المحبوب لايتحقّق الّا اذا عاش على نظامٍ خاصٍّ فى حياته ، وعمِلَ على

وَفق منهاجٍ منظّمٍ لسكوناته وحركاته. ثمّ هومأخوذ بانصافه واعترافه انّ وضع ذلك النظّام وتنظيم هذا المنهاج والقرار، امر خارج عن طوق قدرته وفكرته فحينئذ بالطّبيعة يتحرّك نحو من يدّعى البعث لهدايته و ارشاده و بالفطرة يتوجّه شطر من يأتى بشرعٍ يزعُم انّه ممّا أوحى اليه به لتعيين منهاجه .

فالأنسان بفطرته السّليمة يُقبِل الى مدّعى النّبوّة ، سواء اكان صادقاً فى الواقع ام كاذباً ؟

وباقتضاءِ من طبيعته القويمة يتحرّىٰ شرعه الّذى يدّعى انّه منهاج الحياة وبرنامج العمل وينظر الى دينه الّذى يقول انّه دستور العمل للفوز بالسّعادة فى الحال و المآل والنّيل الى الكمال فى المعاش والمعاد .

يُقبل اليه ويطّلع عليه حتّى يميّز الحقّ من الباطل والصادق من الكاذب والهادىَ من المضلّ فيَعْمَلَ ما ينبغى ان يعمل و يعيش على ما ينبغى ان يعيش .

« فَأَقِمْ وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطرَةَ اللهِ الّتى فَطَرَ النّاسَ عَلَيها، لاتَبديلَ لِخَلقِ اللهِ ، ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ،وَلكِنَّ اَكثَرَ النّاسِ لايَعلَمُونَ. ٣٠ »[1] .

٥ ـ المجهول الانسانى الأهمّ

قد تقدّم انّ من اقدم مجهولات الأنسان ، واهمّها و أعمّها ، مجهولـه الّذى يتعلّق بمبدئه ومآله ومايجب عليه ،أو يليق به ،من اعماله وافعاله فى حاضر حاله فالأنسان من اقدم عصور وجوده وكيانه توجّه الى هذا المجهول الهامّ و ترنّم مع نفسه بمفاد هذا الكلام : « مِنْ اَينَ جِئنا ؟ والى اَينَ نَذْهَبُ ؟ وَما عَلَينا اَنْ نَفعَلَ؟ »

١ ـ من السورة المكملة للثلاثين (سورة الروم) .

فلننظر الآن الى اولئك الّذين تكلّموا حول هذا الموضوع و ادّعوا كشف الغطاء واماطة السّتار عن ذلك المجهول . فاعلم :

انّ من استخلص نفسه للتكلّم حول هذا المطلوب ، بادّعاء الأطّلاع عليه ، واستعطف اعنّة النّظر والتدبّر من ابناء نوعه اليه فريقان :

١ ـ الفلاسفة والحكماء (ومنهم العرفاء والمتكلّمون، هنا) .

٢ ـ الرّسل والأنبياء .

فعلى ذمّة الفحص و التفتيش ان ننظر الى ما ادّعاه كلّ من الفريقين و نبحث، بالاختصار ، عمّا اعتمد واعليه واستدلوّا به عسى ان نجد ضالّتنا المنشودة فى استطراق ذينك الطريقين .

٦ ـ طريق الفلاسفة

الفيلسوف ، حين توجّه الى ذلك المجهول واراد كشف الغطاء عنه اعتمد على عقله واستند الى فكره و تكلّم حول الموضوع بمنطقه و برهانه فأبان بزعمه ، انّ الأنسان من اين جاء؟ والى اين يروح؟ وماذا ينبغى له ان يعمل؟ .

والفلاسفة افترقوا فى هذه المسئلة فرقتين اصليتين .

١ ـ المادّيّون .

٢ ـ الالهيّون .

والأُولى منهما فرقة لم يتجاوز اشعّة ابصارهم عن افق المادّة ولم يخرق اضواء افكارهم حجب المادّة فما نفذت انظارهم الى ماوراء حدودها و ثغورها وماخرجت عن محيطها الضّيّقة المنحطّة الى عالى مقام وجودها فلم تقدر ان تدرك حقيقة « الوجود »

على ما هو عليه من السّعة والأحاطة فلاجرم تـوَحّلَتْ افكارهم فى مَوْحِل «المادّة» الغاسقة و تورّطت البابهم فى ورطتها ، فلم يقدروا ان يتخلّصوا منها و يخرجوا الى عرصة النّور ، فتوهّموا ان كلّ شيءٍ موجودٍ ، بُدِء « من المادّة» ويعود اليها .

فعند هؤلاء لاشيىء فى الوجود سوى المادّة و شئونها اى حالاتها و تطوّراتها و تبدّلاتها فمنها المسير واليها المصير وفيها التّحوّل ومنها التّحويل واليها التّغيّرُ وعنها التّغيير ! هو المبدء وهوالمنتهى وفيها النُّشُوُّ والأرتقاء .

المادیون و الالهیون من الفلاسفة فى اعتقادهم للمبدء

تلكَ الفرقة هى التى كان التّعبير عنها فى الدّهور الخالية باسم «الدّهريّين» وفى عصرنا يعبّر عنها غالبا باسم «المادّيّين» .

والثّانية منها فرقة نظروا بابصار نافذة و بصائر واسعة و عقول ناقدة و قلوب واعية وصدور منشرحة فنظروا الى عالم الوجود ونظام الكون من اعلىٰ شاهقٍ يمكن ان يهوى الانسان بجناح عقله وطائرفكره اليه ويقدر ان ياوى له ويصعد عليه فشاهد وامن عالم « الوجود » محيطاً اوسع و منظراً ارفع واقليماً افسح ، تكون المادّة بحدودها الفسيحة وثغورها الوسيعة فيه كَحلَقةٍ فى فلاةٍ وادركوا رفعةً وعلوّاً تكون « المادّة » ومامنها اخسّ وارذل وادون وانزل من ان يبدء منه « الوجود » ويعود اليه وتجلّى لهم الحقيقة بانّ الموجود ابتدء من « الوجود » واليه ينتهى ويعود وباشراق نورالوجود على « المادّة » استحقّت ان يطلق عليها عنوان « الموجود»

فهذه الفرقة عرفوا انّ المبدء الأعلىٰ موجود مجرّد عن المادّة ، مقدّم عليها ، علّةٌ لتحقّقها ونشأتها ، موجب لتطوّرها وتحوّلها وتنوّعها ، وهوحىّ ، عالم ، مريدٌ ، قادرٌ ، ازلىّ ، ابدىّ ، سرمدىّ ، فيّاض ، منزّه عن التبدّل والتّغيّر والتحوّل والتنقّل ، وكما هوالمبدء المفيض للكلّ يكون هوالمرجع الوحيد للكلّ هويَرِثُ الأرضَ ومن عَلَيْها وَكُلٌّ اليه يِرْجِعُون [1] وهوابْدَعَ العقول وانشأ النّفوس وفَطَرَ الارض

---

١ ـ اشارة الى الاية الشريفة : « نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون » (الاية المتممة للاربعين من السورة الـ١٩ ـ سورة مريم ـ)

والسّماء وخلَق الخلق على اصلح نظام واحسن طرازوا كمل وجه واتقن صنع. «صُنْعَ اللهِ الَّذِي اَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ـ ٨٨» [1]

٧ ـ الأنسان عندالفريقين

الانسان فى نظر الماديين الالهين

وممّايجب ان لايُغفل عنه هوانّ حال الأنسان على زعم الفريق الأوّل وباقتضاء مبانيهم و بحسب عقائدهم و مباديهم حال سائر الموجودات المادّيّة من حيث الكمال والسّعادة فليس له كمال مخصوص ولاسعادة خاصّة حقيقيّة ينبغى له، فضلاً عن ان يجب عليه، ان يسعى لتحصيلها كى يجتهد فى سبيل معرفتها و يجدّ و يكدّ فى سبيل تطبيق حركاتها وسكوناتها الأراديّة على سيره الطّبيعى نحوكما له النّوعى.

وذلك لانّ المادّى يتطوّر فى المادّة و يتحوّل فيها ولا يصيرشيئاً خارجاً عن اقليمها مفارقاً عن تأثيرها فهو مادّىٌ كيف كان و بأيّه صورة تحصّل و باىّ لباس تلبّس: مادّىٌ فى البداية، مادّىٌ فى النّهاية، و مادّىٌ بينهما على كلّ حالة فاذا مات فات.

لكنّ الأنسان عند الفريق الثّانى موجود شريف مكرّم، مقامه من حيث روحه ونفسه فوق المادّة والمادّيات وله كمال فوقَ الكمالات الموجودة لسائرالموجودات فله سعادة تختصُّ به ان عاش فى حياته على ماينبغى له وشقاوة خاصّةٌ اذا انحرف عن صراطه المستقيم، الموصل الى كماله المقرّر لنوعه، الممكن المقدّر لشخصه، وهو لايفنىٰ بفوات جسمه ولايبطل بانحلال جسده.

هذهالفرقة قدّرت لوصول الانسان الى كماله اللّائق بهوسعادتهالخاصة له نَهْجاً علمياً وسَنَناً عملياً و قرّرت لسلوك تلك الطّرق و اجراء هذه المقرّرات والسُّنَن

---

١ ـ السورة الـ٢٧ (النمل)

برنامجاً منطقياً .

۸ ـ طريق الأنبياء والرّسل

الرّسول بادّعاء ارتباطه بعالم الغيب و اتّصاله بنشأة الملكوت و اتّجاهه شطر قدس الحقّ واستفاضته من مبدء الكلّ واستناده بالألهام والوحى يقول:

انّ للموجودات مبدءً منزّهاً عن المادّة و غواشيها لايعتريه نواقص الطّبيعة ولا يشوبه نقائص المادّة والمادّيّة وهو بقدرته الكاملة خلق كلّ شيء وبحكمته الفائقة اتقن كلّ ما خلق .

المادّة وما من صقعها والمفارق وما من سنخه، كلٌّ من رشحات فيضه و من آثارصنعه . فكلّ ماسواه قائم بهموجود بايجاده وهوقائم بنفسه، موجود بذاته. وهوعلى كلّ شيىء قديروبكلّ شيىء عليم خبير . هوالمبدء الاعلىٰ واليه المرجع فى الأخرىٰ لا اله الّا هوالحىّ القيّوم المبدع المنشيء ، الخالق المدرك المريد القادر هوالأوّل والآخر والظّاهر والباطن . دعوى الانبياء والرسل

النّبى يقول :

الله الّذى خلق الأشياء بعنايته ، خمّر طينة الأنسان بيدى قدرته ونفخ فيه من روح عظمته فشرّفه بذلك وكرّمه وفضّله على كثير من خلقه، وقدّرله سعادةً وكمالاً وقرّر فى جبلّته حبّ الكمال اللّائق به واعدّله طريق الوصول اليه فارشده الى ذلك الطّريق كى يسعى فيه فيفوز بخيره وصلاحه فى معاشه و بسعادته فى معاده و يرجع الى مبدئه فانياً عن ذاته باقياً ببقائه ، تعالى شأنه ،

قوله الحق :

«وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ على كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضيلاً ـ ٧٠»[١].

٩ ـ المامٌ، ببعض ما استند اليه لاثبات المبدء

لانريد، فى هذه الوُرَيقات، استقصاءَ الأدلّة لكلّ فريق ولاالبحث التحليلىّ عن عن كلّ دليل بل نريد ان نشير الى بعض ما استند اليه كل فريق به ليكون طريقاً الى معرفة طريقه. فنقول:

هيهنا طرق مختلفة يجمعها عنوانان:

طرق اثبات المبدء

١ ـ فنّىٌّ صناعىّ.

٢ ـ فطرىٌّ ارشادىّ.

فالأوّل هو ما يكون التّعبير عنه وَفق مصطلحات القوم فى المنطق الصّناعىّ والعلم الألهىّ البرهانى وسائر العلوم العقليّة وفنونها ويكون التّنسيق فى قوالب القواعد المقرّرة فى تلك العلوم وعلى اسلوبها. فيكون البيان، لأهل الأصطلاح انسب والأسلوب الى درك الخواصّ اقرب.

والثّانى ما يكون التّوجّه فيه، فى مقام التّعبير و البيان، الى الشّعور الذّاتى والدّرك الفطرىّ والفهم العمومىّ العرفىّ والمنطق الطبعىّ والايمان القلبىّ فيكون الخاصّة والعامّة فى التأثّر عنه، تصديقاً والتّحقّق به، ايماناً وتسليماً، على شرع سواء وعلى منهج الأستواء.

---

١ ـ السورة الـ١٧ (الاسراء)

فالمتكلّمون والفلاسفة، طبيعيّهم[1] والهيّهم، مشّائيهم واشراقيّهم، **بل والعرفاء** ايضا، لكون مقامهم مقام الاثبات على امثالهم، وهم الخواصّ، بل وللتّحقيق والثّبوت عند انفسهم، **يسلكون الطّريق الأوّل**.

والأنبياء و الرّسُل، لكونهم مبعوثين على كافّة النّاس و مرسلين الى عامّة الخلق تكون دعوتهم متوجّهة الى العالم و الجاهل و العارف والعامى و الحاضر و البادى والكاتب والأمىّ، **يركنون الى الطّريق الثّانى**.

١٠ ـ الطّرق الصّناعيّة

نشيرهنا الى ما استدلّ بهالمتكلّم وما استدلّ به الفيلسوف الطّبيعى وما استدلّ به الفيلسوف الالهىّ ولانطيل الكلام بالشّرح والنّقد والحلّ والعقد فى كلماتهم فانّ لها مقام آخر. فنقول، تلخيصاً من كلماتهم : **دليل المتكلمين لاثبات الصانع**

المتكلّمون، فى مقام الاستدلال على وجود الخالق، **يقولون** :

« انّ العالم (اى الاجسام و الأعراض) حادث فلابدّ له من محدِث . فان كانٍ هوايضا حادثاً دارّ او تسلسل فلا مُحالة يكون المحدث قديماً قائماً بذاته، وهو خالق الكلّ ومُوجد ما سواه » .

ودليلهم هذا ، كما ترى، يبتنى على امور:

١ ـ كون العالَم حادثاً ، اى موجودا بعد ما لم يكن .

٢ ـ افتقار الحادث الى ما يُحْدِثه .

---

١ ـ اريد بالفيلسوف الطبيعى هنا من يتحرى اثبات الواجب القديم من طريق مباحثه الطبيعية و ليس المراد به الفيلسوف الطبيعى المادى الذى ينكر الصانع الواجب و يقابل الفيلسوف الالهى، المعتقد بالاله المبدع الخالق.

٣ ـ وجوب الأنتها ، الى محدِثٍ لم يكن حادثاً بل كان قديماً ازلياً .

٤ ـ استحالة الدّور والتّسلسل .

وهذه الامور بعضها ضروريّ وبعضها نظريّ استدلّوا على صحّتها واثباتها فان تمّت هذه الأمور وصحّت ، تمّ الدّليل وثبت المدلول .

ثمّ يستدلّون على صفات الخالق واحدة فواحدة بالنّظر فى احوال المخلوق .

١١ ـ طريق الفيلسوف الطّبيعى

دليل الفيلسوف الطبيعى لاثبات وجود الصانع

الفيلسوف الطّبيعى استفاد ممّا تسلّمه فى العلم الطّبيعى **ويقول** :

« وجود الحركة يدلّ على وجود محرِّكٍ فأن كان هذا المحرّك متحرّكاً ايضا يحتاج الى محرّكٍ آخر ، وهكذا ، و من الممتنع اتصال المحرّكات لاالى نهايةٍ فلا محالة هناك محرِّكٌ غيرمتحرّك ، هوالمحرّك الأقدم والمبدء الاوّل . »

هذا الدّليل ايضا يبتنى على امور:

١ ـ استلزام وجود الحركة وجودَ محرِّك .

٢ ـ عدم كون الحركة ذاتيّة للمتحرِّك .

٣ ـ استحالة اتّصال المحرّكات لا الى نهاية .

٤ ـ استحالة كون اتّصالها على وجه دائر .

هذه الامور ايضا بعضها بديهيّ لايحتاج الى كسب ونظر والبعض الآخر نظريّ احتجّوا لها ، فان تمّت تمّ ما اُفيد وثبت بها ما اريد .

فالفيلسوف الطّبيعيّ ، **وكذا المتكلّم** ، ينظر الى المادّى والمحسوس ويتدرّج منه الى معرفة المفارق والمجرّد و بتعبير آخر **يستدلّ بالمعلول على العلّة** و بالأثر على

المؤثّر . وامّا الحكيم الفيلسوف الألهىّ فينظر ابتداءً الى الوجود **ويتوجّه من العلّة الى المعلول .**

١٢ – طريق الفيلسوف الألٰهى

الفيلسوف الألهى يقول :

دليل الفيلسوف الالهى لاثبات الصانع

« كلّ موجود من حيث ذاته وبلا اعتبار غيرٍ معه امّا ان يكون بحيث له الوجود من نفسه اولايكون .

« فان كان فهو قائم بنفسه قيّومٌ لغيره واجب بذاته من ذاته لذاته .

« وان لم يكن يجب ، فلامحالة لم يكن ممتنعا ايضاً ، ضرورة كونه مفروض الوجود ، فهوفى ذاته وبحسب نفسه سواسيَةُ النّسبة الى الوجوب والأمتناع فليس بواجب ولا ممتنع .

« ولكنّه بحسب نسبته الى علّته و بشرطها ، اذا كانت علّةٌ ، يصير واجبا واذا لم تكن ، يكون ممتنعا . وامّا مع قطع النظر عن النّسبة والشّرط فلا وجوب ولا امتناع بل له الامكان بالذات كماكان باعتبار وجود علّته واجبا بالغير و باعتبار عدمها ممتنعا بالغير .

« فالموجود امّا واجب وامّا ممكن والممكن لايوجَد الّا بالغير .

« ولا يمكن ان يكون ذلك الغير ممكناً لاينتهى الى واجب ، لاستلزامه تقوّم الممكن بمثله فى الأمكان ، ان دار وعدم تحقُّق ممكنٍ ان فرض ذهاب سلسلة الممكنات لاالى انتهاءٍ » .

بل كما يقولون :

«كلّ سلسلة مرتّبة من علل ومعلول، سواء كانت متناهية [1] اوغيرمتناهية، لابدّ لها من طرف لايكون معلولاً لأنالسّلسلة ان كانت شاملة لعلّة غيرمعلولة فلها الطّرف وان لم تكن شاملة فتحتاج الى علّة خارجة عنها وهي تكون بالضرورة غيرمعلولة والّا كانت داخلة في السّلسلة المفروضة وكان الأحتياج بحاله ، وقد فرضت خارجة، فعلى كلّ تقدير لابدّ من طرف والطّرف واجب بنفسه .

«فكلّ سلسلة ، ينتهي الى موجود واجب بذاته ومن ذاته.»

ثمّ يستدلّ الفيلسوف بالنّظر في ما يلزم الوجوب والأمكان ، على صفاته ، وبصفاته على كيفيّة صدور افعاله عنه،واحدا بعد واحد.

١٣ ـ تذييل

دليل من المؤلف لاثبات المبدء القيوم

اوردت في بعض رسالاتي [2] الّتي دوّنتها لتحقيق بعض المسائل من الحكمة العالية المتعالية بياناً يناسب هذا المقام وهو ان تمّ يكون برهاناً آخر بلسان الحكمة الألهيّة ، من المؤلّف على المطلوب، وهوان لم يكن اوثق من غيره، يكون اخفّ مؤنة للنّظر واقرب تناولاً لمن استبصر . وتقريره هكذا:

« الموجود، في وجوده، على قسمين :

---

١ ـ ومن هذا القبيل يكون الامر اذا فرضنا ان وجود الممكنات على وجه دائر، لان الاشتمال فيه على جملة متناهية كل واحد منها معلول و وجود المعلول من دون طرف ، هوالعلة، غير معقول .

٢ ـ عنوان هذه الرسالة « النظرة الدقيقة في مسئلة بسيط الحقيقة » كتبتها في سالف الايام لتحقيق ما لهج به الحكماء من قولهم : « بسيط الحقيقة كل الاشياء »

١ ـ ناقص .

٢ ـ كامل .

وليس بينهما واسطة ،حقيقة ، اى ليس حدٌ بين ما هو كامل ، بقول مطلق ، و بين ما هوناقص .

« وذلك لانّ مالا يصدق عليه انّه كامل بقول مطلق فهو ناقص .

تقسيم الوجود الى قسمين

« والكامل ، بقول مطلق ، لايكون الّا بسيطاً ضرورة ان التركّب مناط الافتقار والأفتقار رباط النّقصان و كيف لاوالمركّب لايتحقّق الّا باجزائه والأجزاء لايتركّب الّا بتركيبٍ عن فاعل ولغاية.

« والنّاقص لايكون ، بالحقيقة ، الّا مركّبا ولا اقلّ من كونه مركّبا من امر وجوديٍّ به قوامه وتحقّقه ومن امرعدميّ يكون لديه فناء وجوده و نفاده وعليه يترتب له مرتبة خاصّة بها حدّه وعماده .

« والى هذا يشير كليّتهم المشهورة ، « كلّ ممكن زوج تركيبي له ماهيّة ووجود[1] »

« فكلّ ممكن ، كماقالوا ، مركّب و كلّ مركّب ناقص. »

« ثم بعد ما اوردت انّ ممّا يلازم « الكامل المطلق » امور من « الواجديّة لكلّ الأشياء » و « الواحديّة » و « الأحديّة » و « الأزليّة » و « الأبديّة » و من « انّه عين الاوصاف الوجوديّة الكماليّة ، كالعلم والأرادة والقدرة واضرابها من الصفات الحقيقيّة والنّعوت الذّاتيّة » و بعد ما استدللت على اثبات كلّ واحد منها ببيان وافٍ تفصيليّ واجبت عمّا يمكن ان يتشكّك فى تقسيم الموجود الى قسميه ويتوهّم عدم صحّته بجواب شافٍ كافٍ قلتُ :

« ان قلتَ : سلّمنا انّ ذلك التّقسيم صحيح صادق وانّ كلّ واحد من

---

١ ـ وعندى فى هذه الكلية مناقشة تستلفت النظر وهى ان موضوع الكلية بعمومه بظاهرها حتى نفس « الوجود » و « الماهية » من الممكن المركب منهما ، وليس كل منهما مركباً والا لتسلسل والجواب عنها ان الكلية من قبيل العام المخصوص بالمخصص العقلى .

القسمين يمكن ان يكون فى الخارج متحقق واقع ولكن امكان الشيء اعم من وقوعه.

« نعم قسم الناقص ثابت مشهود لايمكن ان ينكر وقوعه وتحققه الا من انكر كل شيء حتى نفسه بل وانكاره : واما الكامل بقول مطلق ، فليس مشاهد وقوعه ولايكون بتلك المثابة من الظهور والثبوت وجوده فاثباته بهذا النحو من البيان والمناظرة لايكون الا من باب المصادرة .

« فما هو الدليل على وقوعه؟ وبما ذا يستدل على تحققه ووجوده؟

« قلت : قدتقرر فى مقره ان « الأصالة فى التحقق والتقرر » امر سجل للوجود وليس لما سواه ، وهو ما يعبر عنه بـ« المهية » سوى حظ الأعتبار والأنتزاع من الحدود واما العدم البحت فليس له حظ حتى من اعتبار الحظ .

« وقددريت ان المناط فى تقسيم الوجود الى الناقص والكامل هونقصه اوكماله فى نفسه وذاته وعلى هذا فلايعقل ان يوجد ناقص الا ان يكون وجوده مستفاداً من الكامل وقوامه به وتحققه منه . وجود الناقص لابدوان يستفاد من الكامل

« وذلك لانه لايخلو إما ان يكون وجود الناقص من ذاته وبذاته ولذاته فيكون غنياً بنفسه ازلياً ابدياً فى وجوده فلايكون ناقصا وهذا خلاف المفروض واما ان يكون وجوده من غيره ، ولا محالة ، يكون بغيره ايضا .

« فان كان ذلك الغير مما ثلاله فى النقصان يكون حاله كحاله فى الأحتياج . فلامناص الا وان ينتهى الى غير يكون ذلك الغير كاملاً ، قائما بذاته ، غنياً عن غيره وهو ليس الا نفس الوجود وصرفه ومطلقه الذى لاثانى له ولاغير تجاهه . ليس كمثله شيء والموجودات طراً لوجوده كفيء وهو الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد .

« هو الذى ليس له ند يعادله ولا ضد يعانده و يقابله ولا كفو يشاركه و يماثله وهو القيوم الذى بجوده قام كل وجود و من فيضه حدث كل موجود كما ورد فى الحديث « يا مَنْ كلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ »

«اَللهُ نُوْرُ السَّمٰوات ِ وَالْاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكٰوة ٍ فيها مِصْباحٌ ، المِصْباحُ فى زُجاجَةٍ ... نُورٌ على نورٍ يَهْدِي الله لِنُوْرِهِ مَنْ يَشاءُ ... -٣٥» [١]

١٤ ـ اشارة

رايت ان انقل [٢] فى هذا المقام ولاثبات هذا المرام ماانتجه فكرى القاصر فى جملة «اصول» اسّستها فى بعض مزبوراتى النّاقصة بلسان الحكمة و العرفان لعلّه كان نقله واقعا فى محلّه و صار مرجعاً مفيداً لأهله . وهاهى ثلاثة اصول من تلك الاصول يستبصر بها من تيسّر له الوصول الى المأمول :

اصول نافعة لاهلها جدا

« **اصلٌ** : وعاء «الواقع » اوسع الأوعية المتصوّرة واشملها . فهو يَسَع ما يقع فى ایّ وعاءٍ ، مكاناً كان او زمانا اودهراً اوسرمداً ، وعيناً خارجياً كان اوظلّاً ذهنياً ، بل يَسَع نفسَ الأوعية و يشملها .

« **اصل** : الوجود المطلق ، واعنى به هنا مطلق الوجود ، مقدّم على العدم فى متن «الواقع» سابق عليه فى نفس الأمر وحاقّ التّحقّق وكيف لاوفرض تأخّره عنه ومسبوقيّته به مستلزم لعدم تحقّقه من راس .

« **اصلٌ** : الوجود بقولٍ مطلق لايعقل ان يكون مسبوقا بالعدم ، لا لمجرّد انّ الشيىء لايقبل ضدّه بل لامتناع ان يوجَد بعدُ حيث لاوجود لشيىء يوجِده من قبل

١ ـ السورة الـ٢٤ (النور) .

٢ ـ والمرجو من فضل الناظر فى هذا المنقول و ما قبله ان يعذرنى فى خروجى من طور هذا التأليف حرصاً على تبيين هذا الموضوع المهم .

ولا اقتضاء لذاته ان يكون موجودا والا لم يكن يسبقه العدم»[١].

١٥ ـ الطُّرُق الارشاديّة الفطريّة

استناد الأنبياء والرّسل واعتمادهم فى دعوتهم الى الله[٢] ليست بالحقيقة الا بطريقٍ واحد ومن وجه فارد وهو ارشاد النّاس الى فطرتهم المستقيمه وايقاظهم من الرّقدة والغفلة وانقاذهم من ورطة الهلكة والظّلمة وهدايتهم الى عرصة النوروالبهْجة.

«قالَتْ رُسُلُهُمْ: اَفِى اللهِ شَكٌّ، فاطِرِ السّمواتِ والارْضِ؟ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِنْ ذُنُوبِكُمْ...١٠»

كيفية استدلال الأنبياء والرسل «قالَتْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَحنُ اِلا بَشَرٌ مِثْلُكُم وَلكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ،وَماكانَ لَنا اَنْ نَاتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ اِلا بِاِذْنِ الله...١١»[٣]

١٦ ـ آيات القرآن المجيد

ولنورد من القرآن المجيد انموذجاً ممّا يشير الى ما اعتمد عليه بعض الأنبياء العظام فى هذا المقام فانظرواعتبر :

---

١ ـ هذا الاصل يؤكد الاصل الثانى ويعاضده.

٢ ـ لا فى ادعائهم الرسالة من جانبه فانهم فى هذه الدعوى يستندون الى المعجزة ويعتمدون غالبا على اتيان الاية واما فى دعوتهم الى الله قد يذكرون المعجزة ايضا فتدبر.

٣ ـ من السورة الـ ١٤ (ابراهيم)

ورد في قصّة شيخ الأنبياء ، ابراهيم :

« فَلَمّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَاٰى كَوْكَباً قالَ : هذا رَبّى.

« فَلَمّا اَفَلَ قالَ : اِنّى لا اُحِبُّ الآفِلِيْن٧٦.

« فَلَمّا رَاٰى الْقَمَرَ بازِغاً قالَ : هذا رَبّى.

« فَلَمّا اَفَلَ قالَ : لَئِن لَمْ يَهْدِنِى رَبّى لاَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالِّيْنَ ٧٧ .

طرز احتجاج ابراهيم لاثبات الصانع

« فَلَمّا رَاٰى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ : هذا رَبّى ، هذا اَكْبَرُ .

« فلمّا اَفَلَتْ قالَ : يا قَوْمِ اِنّى بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ ٧٨

« اِنّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذى فَطَرَ السَّمواتِ وَالْاَرْضِ حَنِيفاً ، وَما اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ٧٩ »[1].

وفي قضيّة محاجتّه ايضاً :

« اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذى حاجَّ اِبراهيمَ فِى رَبِّهِ اَنْ آتاهُ اللهُ الْمُلْكَ؟ اِذْ قالَ ابراهِيْمُ :

« رَبِّىَ الَّذى يُحْيِى وَيُمِيْتُ .

« قالَ : اَنَا اُحْيِى واُمِيْتُ .

«قالَ ابراهِيْمُ فَاِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ : فَبُهِتَ الَّذى كَفَرَ . . .٢٥٨»[2]

---

١ ـ من السورة الـ٦ (الانعام).

٢ ـ من السورة الثانية (البقرة).

١٧ - وورددت فى كيفيّة دعوة موسى لفرعون وقومه :

طرز احتجاج موسى فى دعوته الى الله

«قال : فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى؟ ٤٩

«قالَ : رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ .

«قالَ : فَما بالُ الْقُرُونِ الأُولَى؟ ٥١.

«قالَ : عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسى ٥٢ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى ٥٣ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعامَكُمْ . إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى ٥٤»[١]

وفيها ايضا وردت :

«قالَ فِرْعَوْنُ : وَما رَبُّ الْعالَمِينَ ؟ ٢٣

«قالَ : رَبُّ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤

«قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : أَلا تَسْتَمِعُونَ ؟ ٢٥ .

«قالَ : رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٦ .

«قالَ : إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ[٢] ٢٧

«قالَ : رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨

«قالَ : لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ٢٩

---

١ - من السورة الـ ٢٠ (طه)

٢ - هذا الكلام اى نسبة الجنون الى موسى صار مطرحاً للانظار توجيهاً و اعتراضاً وقد كتبت رسالة سميتها « راى العقل السليم فى ماجادل فرعون به الكليم » نقلت فيها ماقيل فى هذا الموضوع وشرحت الموضوع بما هوالحق عندى شرحاً وافيا .

« قالَ : اَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ؟ ٣٠

« قالَ : فَاْتِ بِها اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادقين ٣١

« فاَلْقىٰ عَصاهُ فَاذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُ فَاذا هِيَ بيضاءُ للنّاظرين ٣٣ [1]

١٨ – وممّا ورد فى دعوة نبىّ الاسلام

طرز احتجاج رسول الاسلام و دعوته

« قُلْ : مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْاَرْضِ ؟ اَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْاَبْصارَ ؟ وَمَنْ يُخرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرُجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ ؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ ؟

« فَسَيَقُولُونَ : اللهُ فَقُلْ : اَفَلا تَتَّقُونَ ؟ ٣١

« فَذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقّ فَماذا بَعْدَ الْحَقِ اِلّا الضَّلالُ فَاَنّىٰ تُصْرَفُونَ ؟ ٣٢ [2]

ومنها :

« اولم يَتَفَكَّروا فى انفسهم ما خَلَقَ اللهُ السَّموات وَالْاَرضَ وما بينهما اِلّا بالحقّ ...٨ » [3]

« اللهُ يبدؤالخلقَ ثُمَّ يُعيده ثمّ اليه تُرجَعُون ١١ » [3].

« يُخرجُ الميّتَ عن الحىّ ويُحيى الارض بعد موتها ١٩ »

« ومن آياته اَنْ خَلَقَكم من ترابٍ ٢٠ »

---

١ ـ من السورة الـ٢٦ (الشعراء).

٢ ـ من السورة الـ١٠ (يونس).

٣ ـ آيات من السورة الـ٣٠ (سورة الروم) .

«ومن آياته انْ خلَق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنُوا اليها وجعل بينكم مودّةً ورحمةً انّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ٢١

«ومن آياته خلْق السّموات والارض واختلافُ ألسنتِكم والوانِكم... ٢٢

«ومن آياته منامُكم بالليل والنّهار... ٢٣ [1]

ومنها ايضا :

«هُوَ الَّذى يُسَيِّرُكُمْ فِى البَرِّ والبَحْرِ حتّى اذا كُنْتُمْ فى الفُلْكِ، وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بها، جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا انَّهُمْ اُحيطَ بِهِم، دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدّينَ.

«لئِنْ انْجَيْتَنا مِنْ هذهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكِرِيْنَ ٢٢

«فَلَمّا انْجاهُمْ، اِذاهُمْ يَبْغُونَ فِى الارْضِ بِغَيْرِ الحقِّ يا ايُّها النّاسُ اِنّما بَغْيُكُمْ على انْفُسِكُم... ٢٣» [2]

ومنها :

«قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ؟ قُلْ : اللهُ يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ، فَانّى تُؤفَكُون ٣٤

«قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِى اِلَى الحَقِّ؟ قُلْ : اللهُ يَهْدِى لِلحَقِّ، اَفَمَنْ يَهْدِى اِلَى الحَقِّ اَحَقُّ انْ يُتَّبَعَ امْ مَنْ لايَهِدِّى اِلّا انْ يُهْدى؟

«فَمالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ ٣٥» [3]

---

١ ـ آيات من السورة الـ ٣٠ (سورة الروم)

٢ ـ الايات من السورة الـ ١٠ (سورة يونس)

٣ ـ من السورة الـ ١٠ (يونس)

ومنها :

« اَللهُ الَّذِی رَفَعَ السَّماءَ بغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها، ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى العرش وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجرى لاجلٍ مُسمَّىً يُدَبِّرالامْرَ، يفَصِّلُ الايات لَعَلَّكُم بِلقاءِ رَبِّكُم تُوقِنُونَ ٣٢ »[1]

ومنها :

« قُلْ مَنْ رَبُّ السَّموات وَالارْضِ ؟ قُلْ : اللهُ . قُل : اَفاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِه اَوْلِياءَ لايَمْلِكُونَ لِأنفُسِهِمْ نَفعا وَلا ضرّا ....

دلائل التوحيد بلسان القرآن المجيد

« اَمْ جَعَلُوا لله شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِه ، فتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ : قُلْ : اللهُ خالِقُ كل شیء ١٦ »[2]

ومنها :

« وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَهُمْ ؟ لَيَقُولُنَّ : اللهُ . فَاَنّىٰ يُؤْفكون ؟ ٨٧ »[3]

ومنها فی بيان صفاته :

« هُوَ اللهُ الَّذِی لا اِلٰهَ اِلا هُوَ ، عالمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ ، هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ ٢٢

« هُوَ اللهُ الَّذِی لا اِلهَ اِلا هُوَ، الْملِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلامُ، الْمؤمِنُ، الْمُهَيْمِنُ الْجَبّارُ، الْمتَكَبِّر، سُبْحانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ ٢٣

« هُوَ الْخالِقُ ، البارِیءُ ، الْمُصَوِّرُ ، لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ، يُسَبِّحُ له ما فی السَّموات والْأَرْضِ ، وَهُوَ العزيزالْحكيم ٢٤ »[4]

---

١ ـ من السورة الـ ١٣ (الرعد).

٢ ـ من السورة الـ ١٣ (الرعد).

٣ ـ من السورة الـ ٤٣ (الزخرف).

٤ ـ الايات ٢٢-٢٤ من السورة الـ ٥٩ (الحشر).

١٩ ـ تكملة

التوحيد من طريقين

ممّا يناسب الأشارة اليه هنا انّ القرآن المجيد وان كان فى مقام الدّعوة الى الله سلك طريق الارشاد الى فطرة النّاس كما هو دَيْدن سائر الانبياء و دأبهم ولكنّه اشار فى بعض آياته الى طريقى الأحتجاج كليهما : الأحتجاج من المعلول الى العلّة ومن المحسوس الى المجرّد ومن الطّبيعة الى ماورائها ، كما كان طريق المتكلّم والطّبيعى ، و الأحتجاج من نفس العلّة و الأنتقال النّظرى منها الى المعلول ، كما كان مسلك الصّدّيقين من الحكماء الألهيّين والعرفاء الواصلين الكاملين :

«سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَفِى اَنْفُسِهِمْ حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ».

«اَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ»[١].

٢٠ ـ تذكرة

فى كلمات ائمّة الشيعة المعصومين ، اولياء الله العارفين المكرّمين ، وفى خطبهم ولاسيّما فى «نَهْجِ البلاغة» لعلىّ اميرالمؤمنين ويعسوب العارفين وفى «الصّحيفه» للامام سيّدالسّاجدين وزين العارفين والعابدين فى هذا الاسلوب ، مقتبسةً من القرآن الحكيم والنّور المبين ، ما ينشرح منها الصّدور و يتنوّر بها الألباب والعقول فيتجلّى الحقّ فى الأرواح

١ ـ من السورة ٤١ (فصلت).

وعلى النّفوس وتطمئنّ بعرفان الله وذكره، القلوب .

وهكذا فى مباحثاتهم مع منكرى الألوهيّة فنتبرّك هنا بنقل مارواه شيخ مشايخنا، **الصّدوق** (ره) فى كتابه «التّوحيد» - باب القدرة الصفحة الـ ١١٥ -

٢١ - نقل حديث

حدّث **الصّدوق** بأسناده عن **ابى منصور** المتطبّب انّه قال اخبرنى رجل من اصحابى قال : كنت انا و **ابن ابى العوجآء** و **عبدالله بن المقفّع** فى المسجد الحرام فقال **ابن المقفّع** : ترون هذا الخلق واومى بيده الى موضع الطّواف ما منهم احد اوجب له اسم الأنسانيّة الّا ذلك الشّيخ الجالس ، يعنى **جعفر بن محمّد** (ع) امّا الباقون فرعاعٌ وبهائم .

مناظرة ابن ابى العوجاء

«فقال له **ابن ابى العوجآء**: وكيف اوجبتَ هذا الأسم لهذا الشّيخ دون هؤلاء؟ قال : لأنّى رايت عنده ما لم ارعندهم ، فقال **ابن ابى العوجآء** : لابدّ من اختبار ما قلت فيه ،منه .

فقال له **ابن المقفّع** : لاتفعل ، فانّى اخاف ان يفسد عليك ما فى يدك . فقال : ليس ذلك رايك ولكنّك تخاف ان يضعف رايك عندى فى احلالك ايّاه المحلّ الّذى وصفت . فقال **ابن المقفّع** : امّا اذا توهّمت علىّ هذا ، فقم اليه وتحفّظ ما استطعت من الزّلل ولاتثن عنانك استرسال يسلّمك الى عقال وسمه مالك اوعليك.

قال : فقام **ابن ابى العوجآء** وبقيتُ و **ابنُ المقفّع** فرجع الينا فقال :

يا **ابن المقفّع** ما هذا ببشر ، وان كان فى الدّنيا روحانىٌّ يتجسّد اذا شاء ظاهراً ويتروّح اذا شاء باطناً فهو هذا .

«فقال له: وكيف ذاك؟ . فقال: جلستُ اليه، فلمّا لم يبق عنده غيرى ابتدأنى . فقال : ان يكن الأمرعلى ما يقول هؤلاء ، وهوعلى ما يقولون، يعنى اهل الطّواف، فقد سلموا وعطبتم وان يكن الأمرعلى ما تقولون، وليس كما تقولون، فقد استويتم وهم .

فقلت له : يرحمكَ الله واىّ شيىءٍ يقولون؟ ما قولى وقولهم الّا واحد . قال: فكيف يكون قولكَ وقولهم واحداً وهم يقولون : انّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً و يدينون بانّ للسّماء الهاً وانّها عُمران وانتم تزعمُون انّ السّماء خراب ليس فيها احد؟

قال: فاغتنمتُها منه ، فقلت له: ما منعه ، ان كان الأمر كما تقول، ان يظهرلخلقه ويدعوهم الى عبادته حتّى لايختلف منهم اثنان.؟ ولِمَ احتجب عنهم وارسل اليهم الرّسل، ولوباشرهم بنفسه كان اقرب الى الأيمان به ؟

اثبات الامام التوحيد على ابن ابى العوجاء

فقال لى: ويلكَ: وكيف احتجب عنكَ من اراكَ قدرتَه فى نفسكَ، ونشوءكَ ولم تكن، وكبركَ بعد صغركَ، وقوّتكَ بعد ضعفكَ وضعفكَ بعد قوّتكَ، وسقمكَ بعد صحّتكَ وصحّتكَ بعدسقمكَ، ورضاكَ بعدغضبكَ ،وغضبكَ بعدرضاكَ وحزنكَ بعد فرحكَ و فرحكَ بعد حزنكَ ، وحبّكَ بعد بغضكَ و بغضكَ بعد حبّكَ ، وعزمكَ بعد اِبائكَ و اِبائكَ بعد عزمكَ و شهوتكَ بعد كراهتكَ و كراهتكَ بعد شهوتكَ، ورغبتكَ بعد رهبتكَ ورهبتكَ بعد رغبتكَ، و رجاكَ بعد يأسكَ ويأسكَ بعد رجائكَ ، وخاطركَ بما لم يكن فى وهمكَ وعزوب ما انت معتقده عن ذهنكَ.؟

وما زال يعدّ علىّ قدرتَه الّتى هى فى نفسى الّتى لا ادفعها حتّى ظننت انّه سيظهر فى مابينى وبينه» .

٢٢ ــ حديث آخر

وحدّث الصّدوق ايضا بالأسناد عن هشام بن الحكم (فى باب انّ الله ،

عزّ وجل ، لايُعرف الّا به ـ ص ٣٠٠ ـ) « انّه قال : قال لى ابوشاكر الدّيصانى :

« انّ لى مسئلة تستاذن لى على صاحبك فانّى قد سألت عنها جماعة من العلماء فما اجابونى بجواب مشبع .

« فقلت هل لك ان تخبرنى بها فلعلّ عندى جواباً ترتضيه؟ فقال : انّى احبّ ان القى بها اباعبدالله(ع) . فاستأذنت له . فدخل . فقال له : اتأذن لى فى السؤال ؟ فقال له سل عمّا بدالك. فقال له : ما الدّليل على انّ لك صانعاً؟ . فقال (ع) :

كلام الامام فى اثبات الصانع

« وجدتُ نفسى لاتخلو من احدى جهتين : امّا ان اكون صنعتُها انا، اوصنعها غيرى. فان كنتُ صنعتها فلا اخلو من احد معنيين : امّا ان اكون صنعتها و كانت موجودة، اوصنعتها وكانت معدومة فان كنت صنعتها و كانت موجودة فقداستغنت بوجودها عن صنعتها وان كانت معدومة. فانّك تعلم انّ المعدوم لايحدث شيئاً .

« فقد ثبت المعنى الثّالث انّ لى صانعا وهوالله ربّ العالمين[1] .

« فقام وما احارَجوابا »

٢٣ ـ الدّين

ما ارشدالانبياء اليه لوصول الانسان الى كماله وسعادته

الأنبياء والرُّسُل يعتقدون انّهم مبعوثون من جانب الخالق مأمورون لأرشاد الخلق وهدايتهم ويقولون :

لايمكن لأحدٍمن افراد الأنسان انيفوز الى كما له المطلوب وسعادتهالمبتغاة وان يلتذّ فى الآخرة باللّذات الحقيقيّة ، الّتى لاعينٌ رأت ولا اُذُنٌ سمعت، الّا ان يعيش فى هذه النّشأة الدّنياويّة على نهج خاصّ و اسلوب مخصوص وهو ان يجعل اعماله

١ ـ لان غيرالله يكون مثلها فيعودالكلام فيه كماكان فى نفسه فيدور الامراويتسلسل.

واقواله وافكاره، بل و كلّ حركةٍ تصدرمنه اوسكونٍ يسكن اليه، منطبقاً على ما قرّروا له من برنامجهم الدّينيّ و تشريعهم الألهيّ بحيث يأتى بما أُمر به و يجتنب عمّا نُهى عنه فكان عاملاً لكلّ ما سُطر فى برنامج حياته مطيعاً لرُمّة ما قرّر له فى تنظيم حركاته وتقويم سكوناته .

الأنبياء والرّسل يرشدون النّاس الى :

برنامج الانبياء و منهاجهم لمن اراد السعادة

انّ الله الّذى خالق كلّ شيءٍ و ربُّ كلّ شيءٍ هو اعلمُ بمنافع كلّ شيءٍ وبمضارّه واعلمُ بمصالح كلّ فعلٍ ومفاسده ومع هذا هو اشدّ رافة واكثر حبّاً ورحمةً للانسان من نفسه بنفسه ولنفسه وهويحبّ ان يُدرك الانسان خيره وكماله وان يُحرز صلاحه و سعادتَه فهو بحسب عنايته الأزليّة و باقتضاء تلك المحبّة الذاتيّه الأبديّة يكون مريداً لهداية الأنسان بتوسيطٍ من افرادٍ من نوعه، كاملين فى ذواتهم، صالحين بنفوسهم، مستعدّين لأرشاد ابناء نوعهم ولأصلاحهم فى جميع شئونهم وهؤلاءالصّالحين المصلحين هم السّفراء الكرام والأنبياء العظام .

فيوحىٰ من ناحية القدس الى صدورهم الطّاهرة المنشرحة آياتٌ بيّنات وينفث روح القدس بامره تبارك و تعالى فى قلوبهم الزكيّة النّقيّه سُننا قائمات و يُنزل على ارواحهم الطّيّبة السّامية فرائض محكمات ثم يبعثهم الله لتلاوة آياته على النّاس ويأمرهم بهدايتهم الى منافعهم و مضارّهم و ارشادهم الى مصالحهم و مفاسدهم ويرسلهم لتزكيتهم ولتعليمهم الكتاب والحكمة واخراجهم الى النّور من الظّلمة .

وبالجملة يرسلهم الله الى عباده بكتابٍ مبين يحتوى على برنامجٍ مبين ليكون دستوراً لهم لشؤن حياتهم ومنهاجاً فى فنون معاشهم باعتبار صلاح فردهم ونظام جمعهم ومن حيث كيان جسمهم وعلاء روحهم كتاباً كافلاً لبيان ما يصلح لهم فى حياتهم الفانية العاجلة ويُصلحهم للحياة الطّيّبة الباقية فى الآجلة بحيث لايغادر ذلك الكتاب والمنهاج صغيرة ولا كبيرة، نافعة ولاضارّة، جليلة ولاحقيرة، الّا احصيٰها وارشداليها واوصيٰها: قوله تعالى.

«كَما اَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُم يَتْلُوا عَلَيكم آياتِنا وَيُزَكّيكُم

وَيُعَلِّمُكم الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمكُم مالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُون ۱۵۱»[1]

فمن آمن بهم و صدّق قولهم وعمل وَفْق منهجهم واتى بما اُمِروا به فى كتابهم وانتهى عمّا نَهَوا عنه ببيانهم يفوز فوزَه وخيرَه ويُؤتى سعادتَه واجره .

«وَالَّذِيْنَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ اُولئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ اُجُورَهُم وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ۱۵۲»[2]

* * *

حقيقة الدين والمتدين الحقيقى

فالدّين هومنهاجٌ الهىّ وبرنامج سماوىّ نزل به الرّوح الأمين المقدّس على قلب الرّسول المطهّر يشتمل على كلّ ما يرشد البشر الى صراطه المستقيم و ينفعه فى سلوك سبيل وصوله الى خيره اللّائق وكما له الفائق و سعادته الحقيقيّة ولذّاته المعنويّة .

والمتديّن هو من كان خاضعا تجاه هذا المنهاج المتين، مطيعاً لما ثبت من هذا الدستور القويم، عاملاً وَفْق موادّ هذا البرنامج الأتمّ ، مُسْلماً وجهَه لمن احسن اليه وانعم فأرسل اليه الرّسل وانزل لهدايته الكتب .

«وَمَنْ اَحْسَنُ دِيْناً مِمَّنْ اَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ ابراهِيمَ حَنِيفاً ۱۲۵»[3]

---

۱ ـ من السورة الثانية (سورة البقره)

۲ ـ من السورة الـ ٤ (النساء)

۳ ـ من السورة الـ ٤ (سورة النساء)

«كانَ النّاسُ اُمَّةً واحدةً
فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّينَ مُبَشّرينَ وَمُنْذِرينَ
وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بالحقّ...»
(الآية الـ ٢١٢) (سورة البقره)

٢ـ حول الرّسول والرّسالة والمعجزة:

١ ـ الرّسول.
٢ ـ الرّسالة.
٣ ـ دلائل لزوم الرّسالة العامّة.
٤ ـ دليل خاصّ للمؤلّف سمّى «الشؤن الستّة» للرّسالة العامّة.
٥ ـ وضع القوانين واكمل غاياتها (تبصرة).
٦ ـ تلخيص الكلام
٧ ـ بماذا يُعرف صدق الرّسول فى دعوى الرّسالة؟.
٨ ـ ما هو المعجزة؟
٩ ـ عرفان الرّسُول بنفس الرّسالة.
١٠ ـ خواصّ الرّسول الثّلاثة.

٢٦ ـ الرّسالة ودلائلها

اتّفقت كلمة ذوى البصائر النافذة، وانعقدت عقيدة اولى الألباب الناقدة، الّذين عرفوا نظام الوجود ومبدئه واعترفوا بانّ للوجود مبدءٌ عالياً متعالياً عالماً مريداً قادراً حكيماً واعتقدوا بانّ الخلق لم يكن عبثاً وانّ الانسان لم يُترك سُدىً وهَمَلاً بل فيه الكرامة والشّرف وله الكمال والسّعادة، **على انّ الرّسالة لهداية النّاس** الى تحصيل كماله وشرافته **امرضرورىّ** لنظام الكلّ وبعث الرّسل شان الهىٌّ لأرشاد الانسان طريق خيره و سعادته ودّلالتهم على ما استقام من الطّرق واستوىٰ من السّبل لطف رحمانىّ يجب عن مبدء الكلّ.

«وَاَنَّ هذا صِراطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاتَتَّبِعُوا السُّبُل فَتَفَرَّقَ بكُم عن سَبِيله...١٥٣»[1]

دلائل النبوة العامه

استند هؤلاء الأكابر لاثبات هذا المدّعىٰ، لزوم البعث والرّسالة، بدلائل كثيرة تصدّى لنقلها و نقدها و شرحها و جرحها الكتبُ المربوطة، ولاسيّما كتب الفلسفة والكلام وطائفةٌ من كتب الحديث الاسلامىّ، ومن اهمّ ما استندوا اليه من تلك الدّلائل دليلان :

١ ـ دليل «اللّطف»

٢ ـ دليل «المَدَنِيّة الطّبعيّة»

والأوّل هوما استدلّ به المتكلّمون و يستفاد مُفاده من بعض الاحاديث والاخبار. والثّانى هوالّذى استند اليه الحكماء والفلاسفة الألـهيّون. وقديُترائىٰ من بعض ظواهر السّنن والآثار.

---

١ ـ من السورة الـ ٦ (الانعام)

٢٧ ـ دليل خاصّ

قد اوردتُ ما احتُجَّ بها لهذا الموضوع فى مقدّمة كتابى المسمّى باسم « ادوار فقه » [١] واوضحت فيها ما اراد المستدلّ به منه واشرتُ الى ما أورد به اعتراضاً عليه او ما يمكن ان يُتوجّه اليه ثمّ اردفتُها بذكر دليل خاصّ كان فكرى ابوعذرة طرحها وخاطرى ابن بجدة نظمها ، وفى زعمى انّه اسدّ واقوىٰ لأثبات ذلك المدّعىٰ من غيره ممّا احتُجّت بها واستُدّت اليها ولو لم يكن بهذه المثابة من القوّة والسّداد فيكون، باليقين ، لأدراك ابناء زماننا واقناعهم انسب والى ذوق اخوان عصرنا وطباعهم اقرب .

وهيهنا ، و بِناء هذه الوُريقات على الأختصار ، لايسعنا المجال ولا يقتضى البناء ولا الحال ان نطيل المقال بنقل تلك الادلّة و الأقوال و ان نذكر نقدها و نتعرّض لاستقصاء قاطبة ما احتُجّت بها وفحصها كمالاينبغى ان نُعرض عن نقل الكلّ صفحاً فوجه الجمع ان نقتصر هنا بايراد ذلك الدّليل الخاصّ الذى اطلقتُ عليه عنوان دليل « الشّؤن السّتّة » مراعياً التلخيص والأختصار راجياً من الناظر ، الدّقّةَ والأعتبار . فأعر بصرك واجِلْ بصيرتك وانظر الى مايتلى عليك واستبصر .

---

١ ـ كتاب بديع فى موضوعه غير مسبوق بما يجاريه فى اصله و اسلوبه و هو تاريخ حدوث الفقه الاسلامى ، تشريعا و تفريعا ، وتطوره من زمان صدور احكامه الى زمان التصدى لاستنباطها بالاجتهاد والتفريع الى زماننا ، فى اطوارها المختلفة و شئونها المتكثرة ، الناشئة عن طور الاستنباطات من الفقهاء وائمة المذاهب الفقهية ، البائدة منها والخالدة ، وقد طبع منه المجلدان ويكون تحت الطبع المجلد الثالث ، الذى ينتهى البحث فيه بانتهاء القرن الثالث ، والمرجو من الفياض الرحمن التوفيق لاتمام الكتاب بتمام مجلداته (البالغة الى عشرة مجلدات)

٢٨ ـ الشئون السّتّة

قدنبّهنا على انّ النّوع الأنسانى له كمال خاصّ تكون سعادة كلّ فرد منه فى ان يناله ويفوز به ولا يناله احدٌ الّا بالسّعى فى طريقه، وليس السّعى الّا العمل، والعمل لابدّ وان يكون مناسباً لتحصيل ذلك المطلوب وملحوظا فيه الوصول الى ذاك الغرض والمقصود وتلك المناسبة و الملاحظة لاتتمّ الّا برعاية شئون وجهاتٍ يجب ان تعتبر فى كلّ فرد وشخص، ولا تكمل الّا بالتّوجّه الى مناسبات واضافات تكون لكلٍّ من هذه الجهات مع الجهة الأُخرى منها .

دليل للمؤلف على النبوة العامه

وتلك الشّئون والجهات هى هذه:

١ ـ مايكون لكلّ شخص باعتبارجسمه .

٢ ـ مايكون لكلّ شخص باعتبار روحه .

٣ ـ مايكون لكلّ شخص باعتبار عيشه فى هذه النّشاة الفانية الدّنيا .

٤ ـ مايكون لكلّ شخص باعتبار حياته الطّيّبة الخالدة فى الأُخرى.

الشئون الستة للانسان

٥ ـ مايكون لكلّ شخص باعتبار انّه فرد من المجتمع الأنسانى وعضوٌ له.

٦ ـ مايكون للمجتمع باعتبار انّه مجتمع للأفراد والأشخاص.

هذه ستّة شئون وجهات تؤثّر كل واحدة منها فى الأخرى كما تتأثّر هى ايضا منها بحيث يمكن ان يتقوّى كلّ شأن منها بالآخر او يضعف منه فهى متفاعلة ابداً، تكتسب كلّ واحد من كلّ واحد قوّةً اوضعفاً . ثمّ تكون لهذه الشّئون من حيث ذلك التأثير والتأثّر والفعل و الأنفعال والكسر والانكسار روابط خاصّة ، و مناسبات مخصوصة ، واضافات متعاكسة ، ومداخلات متقابلة ، ومعاملات متعارضة اومتعاوضة ، فعلى من اعتقد انّ له كمالاً ، يكون على ذمّته السّعى لان يفوز به ثمّ ان اراد ان يسعى نحو ذلك الكمال

ويسلك طريق كسبه وكسب سعادته، يجب ان يعرف تلك الرّوابط والمفاعلات كي يتمكّن من رعاية جانبها والعمل على وفق مايقتضيها وتعديل افراطها وتفريطها، ويتيسّر له الوصول الى الصّراط المستقيم ومعرفة الحدّ المعتدل القويم فيتجاوز بالسّلامة عن ذاك الصّراط ويقف بالطّمأنينة عند هذا الحدّ فينال من سعادته حظّه الأوفى و يفوز بكماله نصيبه الأعلى.

٢٩ ـ روابط الشّئون

ثمّ معرفة تلك الرّوابط و النّسب والأحاطة على تلك الأضافات و الرُّتب ومعرفة كيفيّة التاثير والتأثُّر، والتّفاعل، النّاشي عن الاحوال المختصّة بكلٍّ، في كلٍّ او في بعضٍ ومعرفة كميّتها ولاسيّما مع التّوجّه الى الأختلافات التّي تحدث في الأحوال والأوضاع وتتحقّق بحسب اقتضاء ظروف الأمكنة والأزمان ليست امراً مقدوراً ميسّراً الّا لمن فطر الخلق وخلق البشر واحاط بكلّ شيء وكلّ وضع وكلّ حال وكلّ شأن وكلّ عمل و اطّلع على كلّ ما لكلٍّ من نفعٍ و ضرّ و خير و شرّ. وهذا امرٌ لاسبيل لانكاره بل يعترف به كلّ من راجع وجدانه واتّبع انصافه ويذعن لشخصه، بما لايرتاب فيه، من قصوره ونقصه.

[...] الشئون الستة [...] روابط كل منها مع الاخر

فالله، جلّ جلاله، هوالذّي له ما في السّموات وما في الأرض، يعلم ما بين ايدي النّاس و ما خلفهم ولايحيطون بشيءٍ من علمه، وسع كرسيّه السّموات والأرض ولا يؤده حفظهما، وهوالعالم المحيط بكلّ شيء في ايّ حال، وعلى ايّ وضع، ومع كلّ شأنٍ كان الشّيء عليه، ومن كلّ ناحيةٍ وكلّ وجه، وهواللّطيف الخبير الّذي لايخفى عليه خافية ولايعزب عن علمه مثقال ذرّة، يعلم لطيف الأشياء ودقيقها كما يعلم كبيرها وجليلها، ويحيط بالكلّ وبالكليّات كما يحيط بالأجزاء والجزئيّات و يطّلع على ادقّ

انحاء الرّبط والمناسبة وارقّ جهات التّفاعل والمضايفة وهو خبير يضع كلّ شيء موضعه وحكيم يُتقن ما وضعه وصنعه .

٣٠ – معرفة الرّوابط

اجل، ان الله، عظُم شانه وتعالى مجده، لاسواه، كائنا من كان، يقدران يقدّر منهاجاً صحيحاً وافياً و يقوىٰ ان يقرّر برنامجاً وسيعا كاملاً لجميع الشّئون والجهات، ناظرالى سائر النّسب والأضافات، معتبراً كلّ مايتصوّر فيها من الرّوابط المتضائفات المتعاكسات، محقّقاً لرعاية ما يتحقّق بينها من التّفاعلات بحيث يؤدّى العمل على وفقه الى نيل الكمال ويصير السّالك على نظامه مُدركاً للخير والصّلاح فائزاً بالسّعادة و الفلاح فى المآل .

الدليل على تعيين واضع المنهاج

وهو، تعالى شانه، برأفته الكاملة ورحمته الشّاملة الواسعة وارادته النّافذة وحكمته المتقنة قرّر للنّاس مناهج و قدّرها ان تكون لهم الى ذروة كمالهم طرقاً والى اوج سعادتهم معارج ومدارج فأمر ان ينزل بها الرّوح الامين على الزّاكيات من قلوب اصفيائه وصدور اوليائه، وبعث الأصفياء ليَتْلُوْن تلك الآيات الباهرات والمناهج المحكمات على كافّة عباده وامائه لعلّهم يتعلّمون الكتاب والحكمة و يعلمون فيعملون فيزكّون فيسعدون .

المنهاج الألهى قانون روعى فيه تلك الشّئون وروابطها وكيفيّة تفاعلها فلوحظ فيه صلاح الجسم وكمال الروح و رفاه العيش فى الدّنيا وطيب الحياة فى النّشأة العليا العقبى وصيانة الحقوق المتقابلة للافراد و وظائفهم وتكاليفهم ونظم المجتمع وما يصلحه ويكمّله بحيث ينتج صلاح الفرد ورفاهه وعلائه وفلاحه .

تلك الرّعاية وذلك اللّحاظ ممّا يختصّ بالقوانين الالهيّة ومنهاجها و يكون

من خواصّ الأحكام السّماويّة و شرائعها ولا يمكن ان يوجد في ايّ قانون من الموضوعات البشريّة وان كان اكمل هذا السّنخ من الموضوعات والمشروعات والمناهج بل ليس ولا واحد من وَضَعَةِ هذه المناهج والقوانين يجترىء ان يدّعي كون مشروعه بهذه المثابة وذلك لأنّ الاحاطة والعلم بجميع تلك الشئون والجهات والتّفاعلات والمناسبات لايمكن لغير الله جلّ جلاله، كما اشرنا.

«ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَىْءٍ ، لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ فَاَنّىٰ تُؤفَكُوْنَ ٦٢ هُوَالْحَىُّ لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ،فَادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنُ . اَلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ ٦٥ قل : انّى نُهِيْتُ ان اعبُدَ الّذين تدعون من دون الله لمّا جائنى البيّنات من ربّى واُمرت ان اسلم لربّ العالمين ٦٦ »[١]

٣١ ـ تبصرة

القوانين الموضوعة البشريه و نقصها

لعلّه لايخفى على احدٍ ممّن راجعَ القوانين الموضوعة البشريّة و تأمّل فيها وتوجّه الى الغرض من وضعها، انّها ما وُضعت الّا لأجل تنظيم المجتمَع نظماً يوجب دفع الهَرْج، اورفعه ، او يوجِد ، مضافا على نقض الهرج ، كمالاً مّا فهذه القوانين ناظرة الى حال المجتمع ، بما هو مجتمع ، وليست الشئون الخمسة الباقية الأخرى بنفسها معلومة لواضعي تلك القوانين فضلاً عن ان تكون منظورة لهم ، ملحوظة عندهم ، وفضلا عن ان تكون روابطها كلٌّ مع الآخر وكيفيّة التّفاعل بينها مرعيّةً معتبرة .

فلوفرض وجود كمالٍ ورعايته فى قانونٍ بشرىٍّ او ادّعى مدّعٍ ذلك فبالقطع

---

١ ـ من السورة ال ٤٠ (سورة المؤمن)

واليقين يكون ذلك بالنظر الى شأن الاجتماع والمجتمع من هذا الحيث ولا يتعدّاه الى شئون اخرى تختصّ الافراد، من حيث هُمْ افراد، بها فضلاً عن ان يتجاوز الى الغرض الأسنىٰ من المراتب الّتى ينبغى ان يكون مرعيّاً للمقنّن و ملحوظاً للشّارع فى مقام وضعه القانون .

اشارة الى الاغراض المرتبةعلى وضع القوانين

وذلك لأن اخسّ الاغراض و اخصّها ، و ادون الغايات وانقصها فى مقام التّشريع ووضع القانون، هوان يترتب عليه دفع التّشاجر والهَرْج والتّكالب، او دفعه، واشرفها واسنٰيها ان يفوز الأنسان، بماله من الشّئون والجهات، بكماله الأتمّ الأعلى، فى تلك الشّئون ، فيصير بمراعاة ذلك القانون والعمل به واتّباعه، فى جسمه صحيحاً سالماً نقيّاً ، قويّاً ، وفى روحه زكيّاً حكيما عظيما قويّاً تقيّاً ، ويصير عيشه فى الدّنيا هنيئاً مريئاً بهيّاً ، وحياته فى العقبى طيّبة راضية مرضيّة، وتكون نفسه باعتبار شخصه مستريحةً مكرّمة محترمة ، ومجتمعه منظّما راقياً معتدلاً ، وما تقع بين تينك المرتبتين: الأخسّ والأشرف ، من الأغراض متوسّطة من حيث الخسّة والشرف ، كما بيّنّاه فى محلّه .

وقد بيّنّاهنا ايضا ان للاجتماع ، اى المجتمع ، كمالاً اوّلياً وله كمالاً ثانوياً وما لعلّه يمكن ان يدركه ويحرزه القوانين الموضوعة البشريّة ، اذا فرضت كونها كاملة، هوالقسم الأوّل من الكمال ولايمكن ان يتجاوزه الى القسم الثّانى فهى بالنّسبة الى هذا الشّان الواحد النّاظر اليه من الشّئون السّتّة ايضاً ناقص غير وافٍ وامّا القوانين الألهيّة فهى ناظرة الى قسمى الكمال محرزة لهما اى اذا عُمِل على وَفقها يتمّ الكمال بقسميها. فراجع واغتنم .

٣٢ ـ تلخيص الكلام

ويناسب ان يلخّص ما ذُكر ويُجمع ما بُسط فنقول :

ملخّص القول ومجمله :

انّ الأنسان مطبوع على حبّ الكمال، مفطور على طلب الخير، مجبول على ارادة السّعادة فيلزمه ان يسعى ويجاهد و يجب عليه ان يسلك فى طريق سعيه وسلوكه طريقا يوصله الى مراده و مطلوبه فعليه ان يعمل فى حياته على نَهْجٍ يناسب هذا المرام وان يعيش عيشاً يوافق هذا المقصود والمراد .

ثمّ انّ ممّا لامرية فيه ولاريب يعتريه انّ ذلك لايتمّ له الّا اذا كان له منهاج يشتمل على موادّ مفصّلة يتبيّن له منها ما يجب عليه ان يعمله او يجتنب عنه ومن جعل الوجدان قُدوتَه والأنصاف اُسْوتَه يذعن اذعاناً باتّاً بانّ رسم منهاج صحيح كامل وطرح برنامج وسيع كافل لبيان كلّ مايجعل العمل على وَفْقه بهذا الشّأن المطلوب غير مقدور للانسان بنفسه، كائنا من كان .

وضع القانون الكامل غير مقدور للانسان

اَوَ يمكن ان يحيط انسان على ما يحيطه من شئون افعاله و اقواله و افكاره وحركاته وسكوناته حتّى يتيسّر له ان يُحصيَها و ينظر اليها نظراً يمكّنه من ان يعرف منها ما يصلح له وينفعه بلحاظ جسمه ومن جهة عيشه فى النّشأة الدّنيا ثم يعلم علما يقينياً بانّه لايحدث من ناحيته ايّ ضرر بالمجتمع او بشخصه من حيث روحه ونفسه او من حيث حياته الخالدة فى الدار الآخرة كى يصلح له ان يجعله بذلك الاعتبار، اعتبار انتفاع جسمه منه، من موادّ برنامجه ويثبته من انظمة منهاجه فيعمل بثبات القلب وشرح الصدر على وَفْقه؟ .

ام هل يمكن لأنسان ان يعلم مايمكن ان يضرّه فى شان من الشئون السّتّة المزبورة ويحيط على جوانبها وعلى باقى الشّئون ويقطع بانّه لايوجد منه نفع له، ارجح واكثر وآثر فى شأن واحدٍ من الشّئون الأُخر، او ازيد ، حتى يلاحظه فى رسمه و طرحه الموادّ ويراعيه فى قرارات المنهاج ويحكم قطعياً بعدم المصلحة فيه ولزوم ترك العمل به؟

٣٣ ـ سرُّ التّوجُّه الى مدّعى الرّسالة

فمن توجّه واعتقد بانّ للافعال البشريّة باعتبار الشّئون السّتّة المذكورة وجهَ خيرٍ ووجهَ شرٍّ وجانب نفع وجانب ضرّ وحيث صلاح وحيث فساد يعتقد جزماً فى نفسه ووجدانه ، بل ويعترف بلسانه وبيانه ، بعدم احاطته ، بل وعدم وقوفه ، على نواحى تلك الشّئون و جوانبها و عدم معرفته كيفيّة التّفاعُل الواقع بينها وحيث الكسر والانكسار ، الواقع فى المصالح والمفاسد الكامنة فيها ، ووجه الرّاجح والمرجوح والغالب و المغلوب منها .

الانسان المفكر بالفطرة يتوجه الى مدعى الرسالة

وحينئذ فبالضّرورة يتوجّه الى من ادّعى الرسالة عن جانب الخالق العالم المحيط بكلّ تلك الشّئون وجهاتها ، البصير الخبير بجميع الجوانب وكافّة الكيفيّات ، القادر الحكيم فى صنعه وحكمه ، الرّؤف الرّحيم بخلقه وعباده ، فاذا شاهد من مدّعى الرسالة ، المطلوبة ، دليلاً مؤمِّناً على صدق دعويه ، وبيّنةً قائمة على ما ادّعاه ، يؤمن به ويصدّقه ويأخذ منه ضالّته المنشودة ويتلقّى بوساطته شرعته المطلوبة المقصودة ويعتزم على السّعى والجهد بان يجعل اعماله منطبقة على موادّه المنضودة اى يتديّن بشرعه ، ودينه و يتّبعه فى احكامه وقوانينه ، فيعتنق خيره وكماله ويُحرز صلاحه وسعادته ويفوز فوزه ونجاحه .

« فَاَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ . مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ٤٣ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلاَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ٤٤ » (١) .

---

١ ـ السورة الـ ٣٠ (سورة الروم).

٣٤ - بماذا يُعرف صدق الرّسول؟

خُلق الانسان وارتكز فى طينته حبّ الّذات، الّذى نشأ منه حُبّ الجاه وحُبّ المقام وحبّ السّمعة والّشهرة، بل وحبّ الحرّيّة و الأستقلال والأستبداد، وحبّ عدم رئاسة الغير عليه، وشذّ ان يوجد انسان شاعر ولايوجد فى سويداء قلبه وسرّ ضميره حب الأستيلاء على غيره وحُبّ السُّلطة والرّئاسة على بنى قومه، وارادة الحكومة ونفوذ الأمر فى ابناء نوعه، فيمكن ان يحدث منه فيه داعية الرّسالة فتصير الدّواعى بحسب تكثّر افراد الأنسان فى ادوار وجوده واقطار بروزه وسكونه متوافرة متكاثرة .

ضرورة وجود ميزان لميز الحق من الباطل فى دعاوى الرسالة

فينشأ من تلك الدّواعى دعاوٍ مختلفة متهافتة متعارضة : حقّة وباطلة، فيقع الخلط والأمتزاج بين الحقّ والباطل، اذا فُرض حقٌّ بينها ، و يتحقّق الشكّ و الأرتياب فى مقام ميْز الصّادق عن الكاذب، ويخفى الحقّ المرغوب، ويشتبه الأمر المطلوب على الطالب المحجوب، وينسدّ باب الوصول الى الخير والكمال و يضلّ السّالك عن طريق الحقّ وادراك الصّواب :

هذا مع غمض العين ممّا يحدث عنها من التّزاحُم و التّشاجر بين الأفراد ويترتّب عليها من التّنافر والتّباعد والأفتراق فى المجتمع فيصير الاجتماع الّذى اقتضاه طباع البشر، و يلزمه بقاء النوع وحياة الأشخاص ، مَعْرِضاً للزّوال و يقوم الأفتراق والأختلال والأنحلال، محلّ مازال .

وعلى هذا فلامناص عن وجود «ميزانٍ» يوزَن به تلك الدّعاوى فيُمتاز الحقّ ويجب ان يكون هنا دليل يُستدّل به على صدق الصّادق ومِحكّ يُعرف به المُموّه والمغشوش، الّا وهو ما اصطلح عليه عنوان **المعجزة** .

فالمعجزة معيارٌ يعرف به الصّدق **وبرهان يُحتجّ** به للحقّ **ومِحكٌّ** يمتاز

به الخالص من المشوب و الخليط ، **واصل ثابت** يحق ان يُستند اليه لعرفان الحق واثبات الحقيقة ، **وهى الوسيلة الوحيدة الوثيقة لمعرفة حقية دعوى المدعى والمعيار المعتمد الدقيق لتميز النبى من المتنبى .**

ولعل البشر من اقدم ازمنة وجوده وحياته كان متوجهاً الى ذلك كما انه بلاشك عرف اولو الالباب منهم، هذا الميزان الفصل والمعيار الجذل وعرفوه للناس فاستندوا اليه واعتمدوا عليه وعرفوا الرسالة الحقة به واذعنوا للرسول الصادق باتكائه فخضعوا لأدعائه ، باطاعته واتباعه .

٣٥ ـ ما هى المعجزة؟

اذا ادعى شخص انه رسول من الله[١] الى العباد ، مبعوث لهداية الخلق والأرشاد ، وادعى ايضاً ان الله ، تعالى شانه ، مكنه ان يفعل ما لايقدر ان يفعله غيره من افراد

---

١ ـ وعلى هذا فتقييد « المعجزة بكون المدعى ، ممكن الصدق فى دعواه ، كى يخرج منها ما اذا امتنع صدقه بحكم العقل ، كما اذا ادعى انه اله ، او بحكم النقل الثابت كما اذا ادعى احد النبوة بعد نبى الأسلام المقطوع بالنقل الثابت خاتميته » (كما وقع عن بعض اجلة المعاصرين فى مقدمة تفسيره) قيد زائد مستغنى عنه بل قد يكون مفسدا ولا يصلحه القول بانه « واذا كانت الدعوى باطلة قطعاً فماذا يفيد الشاهد اذا اقامه المدعى؟ ولا يجب على الله ، جل شأنه ، ان يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه وشهادة النقل ببطلانها » وذلك لان المعجزة ، اصطلاحاً ، تختص بما يأتى به مدعى الرسالة ، لاغيره ممن يدعى غيرها ، وتلك الدعوى ممكنة الصدق مطلقا لانه لوسلم انه « لايجب على الله جل شانه ، ان يبطل ذلك بعد شهادة النقل . . . » فلايسلم انه يجوز على الله ان يمكنه من ذلك و يقدره عليها بل ان مكنه بشرائطها و مقوماتها تكون حجة قطعا ولابد ان يتصرف فى النقل الثابت ويؤول كما هو شأن التعارض بين العقل والنقل مطلقاً والا لم تكن المعجزة حجة اصلا فتدبر.

الانسان ، خرقاً للعادة ، فيقدر ان يشفى باذن الله مريضاً ، من دون ان يتوسّل لعمله هذا بوسائل عاديّة يعتادالتوسّل بها للتوصّل اليه، او انْ يُحيِىَ ميتاً، وامثال ذلك من خوارق العادة، كذلك . فيقال لادّعاء هذا التمكّن والأقتدار : **التّحدّي** ولعمله الخارق للعادة، عقيب هذا التّحدّي : **المعجزة .**

فالمعجزة عملٌ يصدر عن مدّعى الرّسالة على خلاف مجارى العادة عقيب «التّحدى» موافقاً لما ادّعاه نفس الرّسول، اواقترح عليه غيره ، وتحرّىٰ منه للتّسليم لقوله والقبول ، مشروطاً فيها عدم تمكّن غيره من معارضته بأتيان مثله و بهذه المناسبة سُمّيت المعجزة: «معجزة» لأنّ من شرطها ان يكون غيرالرّسول عاجزاً عن معارضته، غيرمتمكّن على الأتيان بمثل ماجاء به الرّسول من معجزته .

٣٦ ـ فقوام المعجزة بأمور :

عناصر المعجزة واركانها

١ ـ ادّعاء البعث عن جانب الله بالرّسالة .

٢ ـ ادّعاء القدرة على اعمالٍ خارقة للعادة (التّحدّى) .

٣ ـ صدور تلك الاعمال منه بعد الأدّعاء .

٤ ـ كون العمل الخارق موافقاً لما ادّعاه نفسه، او لما اقتُرح عليه وتحرّى منه .

٥ ـ عدم تمكُّن غيره على معارضته وعلى الأتيان بما يكون مماثلاً لعمله وعلى شاكلته .

فاذا تمّت هذه الأمور تحقّقت «المعجزة» فيظهر صدق الرّسول و تطمئنّ النّفوس و تخضع للايمان به والاعتراف برسالته والتّسليم للعمل على وَفْق منهاجه ولزوم الأطاعة عن دُستوره وبرنامجه .

ومن هذا الباب ماورد فى كتاب الله، القرآن، فى شأن نفسه وفى بيان كونه معجزةَ الرّسول وبيّنةً صريحة لرسالته وبعثه، بل وفى مقام الأشارة الى كون هذه الرّسالة ، لتمامها

وكمالها ، باقية دائمة لأجل كون معجزتها قائمة خالدة . قوله تعالى :

«وَاِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَائَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَاِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ... » ٢٤ [1]

٣٧ ـ عرفان الرّسالة بنفسها

يعجبنى ان اذكرهنا ما تذكّرته ، بعد ما ذكرت حقيقة المعجزة وكونها دليلاً معتمداً مستنداً للعموم ، بها يمتاز الصّادق عن الكاذب و يُعرف الرّسول الحقّ وقبل ان اذكرواشيرالى خواصّ الرسول الثلاثة ، وهوامرجليل ينبغى ان يُعَدّ التّصريح به ، ان صُرّح به فى دين ، كما صُرّح به فى دين الأسلام ، اقوىٰ من ايةّ معجزةٍ وادلّ من ايّ دليل عند الخواصّ وهوعلى ما رُوى من طريق محدّثى الشيعة[2] عن علىّ اميرالمومنين فى طىّ حديثٍ :

ادق الموازين واوفقها لمعرفة الرسول

« اِعْرِفُوا اللهَ بِاللهِ وَالرَّسُوْلَ بالرّسالة واُولى الأَمْرِ بالعَدْلِ والأحسان »

فانظر الى هذا الميزان القويم والمعيار الدّقيق السّليم لمعرفة الرّسول .

اَتُرى ، واريٰكَ اهلاً للتدبّر والتفكّر ومن اولى الألباب وذوى الانصاف ، ان يوجَد ميزان للخواصّ انسب وادقّ وارغب واقرب من هذا الميزان ؟

اَوْهل تظنّ ان يكون هنا عاقل لبيب ، لايحصل له كمال الأطمينان بصحّة دعوىٰ من ينادى جهاراً وبصوته العالى : « اِعْرِفُوا الرَّسُوْلَ بِالرّسَالَة » مشيراً به الى متانة

---

١ ـ من السورة الثانية (البقرة) .

٢ ـ رواه ثقة الأسلام محمد بن يعقوب الكلينى (المتوفى ٣٢٩) فى الكافى ص ٤١ بأسناده عن المفضل بن السكن عن ابى عبدالله(ع) قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام ...» ورواه صدوق الرواة والمحدثين محمد بن على بن بابويه القمى (المتوفى ٣٨١ هـ.ق) فى كتاب التوحيد ص ٢٩٧ بأسناده عن فضل بن شاذان عن ابى عبدالله...»

برنامجه وصحة منهاجه وحقية رسالته؟

او هل يتصور ان يقترح من لايطمئن بصدق دعواه ، فضلاً عن اطمينانه بكذبه في ما ادعاه ، لمن يدعوه الى نفسه باسم الرسالة ، سلوك هذا الطريق والتمسك بهذا المحك الدقيق وان يأمر الناس لمعرفة صدقه في دعوته بقوله لهم :

« اعرفوا الرسول ، بالرسالة »؟ كلا ثم كلا .

ثم اعد النظر الى دين الأسلام وانظر كيف يسوق الناس ويرشدهم الى التفقه والتدبر والتعقل والتفكر والعلم ولايبالى ان يتفرع عليه ان يحدث منه توهم نقص وفتور في ناحية مما جاء به وارشد اليه بل يكون مطمئناً بان الألباب القويمة والعقول السليمة والأفكار الناقدة والبصائر النافذة تجد عند الغور في احكام منهاجه ، ومواد دستوراته ، ضالتها المنشودة بالفطرة وتكسب برنامجه الذى يفوز الانسان بمتابعته واطاعته خيره وسعادته المطلوبة المقصودة .

نعم ، الاسلام يذكر الناس بما في الدين والقرآن المبين :

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧ »[1] .

ويعير من يغفل عن التدبر في الرسالة ويوقظه بما يقول :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ٢٤ »[2] .

ويأمرهم صريحاً بعرفان اكمل الموازين و ادقها واقومها ، لأهلها ، ومتابعته : « اعرفوا الرسول بالرسالة » .

فانظر هل ترى في منهاج الحق ودين الرحمن واحكام القرآن من تفاوت وارجع البصر هل ترى فيه من نقص وفتور؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير . فاستبصر واتبع الحق وكن من الموقنين .

---

١ ـ من السورة الـ ٥٠ (سورة ق) .

٢ ـ من السورة الـ ٤٧ (سورة محمد «ص») .

٣٨ - خواصّ الرسول الذّاتيّة

ماذكرناه من « المعجزة » للعموم و « عرفان الرّسالة » للخواصّ ، فى مقام معرفة الرّسول وتحقيق رسالته وتصديق شريعته والأيمان بدينه ، يكون طريقاً انيّـاً لمعرفة ما يجب ان يكون فى الرّسول بما هو رسول وبحسب رسالته اى يكون نتيجة لما هو فى شخص الرّسول ، بما هو رسول ، من الخواصّ والصّفات الّلازمة قصارى الأمر أن «المعجزة» ، الّتى هى من الآثار الخاصّة العمليّة ، الّتى هى القدرة على الأتيان بما ادّعى عليه ، وتحدّى به ودعا اليه ، طريق عامّ ينتفع به العامّى والخاصّى لكن « عرفان الرّسالة » ، الّتى هى من الآثار الخاصّة العمليّة ، الّتى هى معرفة حقائق الاشياء والعلم بتوابع الأعمال وروابط الأفعال وآثار الحركات ونتائج السّكونات ، طريق خاصّ لايتمكّن من سلوكه والأستفادة منه و الأستدلال به والغور فيه الّا من كان له عقل سالم و فهم واسع و فكر صائب ودرك غائر ونظر نافذ راسخ .

و امّا ما يجب ان يكون الرّسول ، فى ذاته ولذاته ، متّصفاً بها كى يصحّ باستنادها اتّصافه بالرّسالة و كانت بالحقيقة كالمبدء لصدور «المعجزة» منه والمنشأ لتمكّنه عن الأتيان بـ « الرّسالة » الصّادقة الصّحيحة المستقيمة الكاملة كى يصحّ لمن عرف وجودّها فيه ان يستدلّ بها بطريق « اللمّ » على صدقه فى دعواه وعلى حقّيّة الرّسالة وما ادّعاه. فهى كما تقرّر فى الحكمة الايمانية والفلسفة البرهانيّة خواصّ ثلاثة :

الأُولى - ان يكون بحسب قوّته «المتصرّفة»[1] الّتى تسمّى بقوّة «المفكّرة»[1]

---

١ - هذه قوة مشتركة بين الانسان وغيره من الحيوانات فاذا استعملها الانسان باستخدام عقله اياها تسمى بـ « المفكرة » و اذا استعملها اليحوان او الانسان باستخدام « الوهم » اياها تسمى « المتخيلة ».

كاملاً غاية الكمال بحيث يتحقّق، بل يتيسّر له ويسهل عليه، شهود ما نزل من باطنه المقدّس، من الصّور والهيآت الشّريفة الملكوتيّة الى حسّه المشترك فيرى ويسمع مانزل فيه وبرز عليه كما يرى و يسمع ما يصعد اليه من الخارج ومن عالم النّاسوت بلاتفاوت فى تلك المشاهدة والسّماع (١).

الثّانية ـ ان يكون بحسب قوّته العـلّامة فى غاية الاشتداد والكمال بحيث يتجلّى له الاشياء بحقائقها و بنسبها و روابطها، فيرى العلل والمعلولات مترتّبة والأسباب ومسبّباتها منظّمة والملزومات ولوازمها متوالية متّسقة فتكون الأمور كلّها مكشوفة لديه ولا يخفى عليه شىء ولايغيب عنه امر، الّا ما استأثرالله تبارك و تعالى علمه لذاته من مساتير غيبه.

الخواص الثلاثة الجوهرية للرسول

الثّالثة ـ ان يكون بحسب قوّته العمّالة بمرتبة يتمكّن معها من التّصرف فى عالم الطبيعة واقليم المادّة بماشاء واراد، اذا شاء واراد، فكان كلّ جسم ومادّة، بل وجسم الكلّ ومادّة الكلّ، تحت ارادته وطوع رغبته ومشيّته، وهذا كما يكون جسم كلّ شخص وكلّ اعضاء بدنه تحت قدرته وارادته مطيعا لمشيّته ورغبته.

هذه هى الخواصّ الّتى لابدّ وان يكون لأنسان حتّى يصدق عليه انّه رسول ويجب على غيره ان يصدّقه، لمصلحة نفسه، ويتلقّى ماآتاه من الرّسالة بالقبول والتسليم ويتحرّى للعمل بما قرّر له النّبىّ الكريم.

فبالخاصّة الأولى ينزل روح القدس الامين بما ينبغى له على قلبه المكين فيبصر

---

٢ ـ مناط الاحساس فى جميع الحواس، على ما تقرر فى محله، هو حضور المحسوس فى «الحس المشترك» (بنطاسيا) ليس الا، فالمحسوس، مرئياً كان او مسموعا او غيرهما لا تصير محسوسة الابصعودها من باب حاسته المخصوصة الى القوة المسماة بالحس المشترك فالمحسوس محسوس لكونه فى تلك القوه ولتقررها فيها لالكونها فى حاستها الخاصة. وعلى هذا فما يدركه الانسان فى حسه المشترك فهو يكون محسوساً له حقيقة سواء اصعداليه من الخارج و من ابواب حواسه الظاهرة فتقرر فيه، ام هبط اليه من الداخل ومن طريق حواسه الباطنة فتوطن فيه. فتبصر.

ويشاهد الملائكة المقرّبين ويسمع كلام الله المبين فيأخذ بالوحى من الخالق، ويُعطى بالرّسالة للمخلوق ويصير بهذه الخاصّة ممتازاً عن سائر البشر فيحق له ان يقول: «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مثلُكُم يُوْحىٰ إِلَىَّ ...»

وبالخاصّة الثّانية يعلّم الكتاب والحكمة ويطهّر ويزكّى الأُمّة ويعطيهم الثّقل الاكبر والمنهاج الاعظم و يشرع لهم الدُستور الأتمّ الاكمل كى يعرفه الخواصّ بنفس «الرّسالة» فيتّبعونه فيفوزون بما قُدّر لهم من السّعادة.

وبالخاصّة الثّالثة ياتى بـ «المعجزة»، حتّىٰ يتمّ على العوام ايضا الحجّة ولايبقى لأحد سبيل الى العذر والمجمجة بل الكلّ يعرفون صدقه فيؤمنون به ويطيعونه.

٣٩ ـ ختام

قد اشرت فى اوائل البحث عن «الرّسالة ودلائلها» بانّ المستفاد من بعض الأحاديث والأخبار ما يناسب «دليل اللُّطف» فلنجعل ختام هذا البحث حديثاً منها.

قال الصّادق عليه السّلام، فى حديث طويل اجاب فيه عمّا سئله عنه بعض الزّنادقة ومنه «فمن اين اثبتّ انبياء و رسلاً»:

«انّا لمّا اثبتنا انّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصّانع حكيما لم يجز ان يشاهده خلقه، لايلامسُوهم ولايلامسوه ولايباشرُهم ولايباشروه ولا يحاجّهم ولا يحاجّوه فثبت انّ له سفراءً فى خلقه وعباده يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه فناؤهم فثبت الآمرون والنّاهون عن الحكيم العليم فى خلقه ويثبت عند ذلك انّ له معبّرين وهم الانبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للنّاس فى احوالهم على مشاركتهم لهم فى الخلق والتّركيب، مؤيّدين من عند الله الحكيم العليم، بالحكمة والدّلائل والبراهين والشّواهد من احياء الموتىٰ وابراء الأكمه والأبرص، فلاتخلو ارض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقال الرّسول ووجوب عدالته».

«وَاِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلىٰ عَبْدِنا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه.
وَادْعُوا شُهَدائَكُم مِنْ دُونِ اللهِ اِنْ كُنْتُم صادِقينَ
فَاَنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النّارَ الَّتى
وَقُودُها النّاسُ وَالْحِجارَةُ...»

٣ ـ حول الأديان الفاضلة والكتب المنزلة والأشارة الى اهمّ مزايا القرآن الكريم :

١ ـ الأديان المشهورة الفاضلة .
٢ ـ الكتب المعروفة السّماويّة .
٣ ـ القرآن المجيد .
٤ ـ احياء القرآن ذكر الانبياء .
٥ ـ نمازج ممّا نزل فى القرآن بشأن موسى وعيسى .
٦ ـ نبذة ممّا نزل فى القرآن فى شان القدّيسة، مريم .
٧ ـ تصريح القرآن ببشارة الانبياء السالفة فى كتبهم .
٨ ـ عموميّة دعوة القرآن .
٩ ـ اهمّ مزايا القرآن (فيه اشارات) .
١٠ ـ اسلوب التّحدّى بالقرآن .
١١ ـ وجوه اعجاز القرآن .
١٢ ـ وجه خاصّ للمؤلف .

٤٠ - الأديان المشهورة الفاضلة والنّظر فيها

« كَانَ النَّاسُ اُمَّةً واحِدةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الكتابَ بالْحقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيْهِ ... ٢١٣ »[١].

فرق بين الرسول وبين النبى

وردت فى الكتب الدّينيّة ، ولاسيّما الأسلاميّات منها ، تلويحات وتصريحات الى ظهور اديان عديدة فى العالم والى اسامى انبياءَ ورُسُلٍ كثيرة حتّىٰ اشتهر بين النّاس ودارعلى الألسنة والأفواه ان عدّة الأنبياء تبلغ مأه الف واربعة وعشرون الف نبىّ .

قال البيضاوى[٢] فى تفسيره ذيل آية « وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوْلٍ وَلاَ نَبِيٍّ ... » من سورة الحجّ :

« الرّسول من بعثه الله بشريعةٍ مجدّدة يدعوالنّاس اليها .

« والنّبىّ يعمّه ومن بعثه لتقرير شرع سابق ، كأنبياء بنى اسرائيل الّذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السّلام ، ولذلك شبّه النّبىّ صلى الله عليه وسلّم علماء امّته بهم.

عدة الانبياء

« فالنّبىّ اعمّ من الرّسول . و يدلّ عليه انه عليه الصّلاة والسّلام سُئِل عن الأنبياء فقال :

« مأة الف واربعة وعشرون الفاً .[٣]

---

١ - من السورة الـ ٢ (البقره).

٢ - القاضى عبدالله بن عمر بن محمد بن على الفارسى الاشعرى الشافعى صاحب التفسير المشهور (انوار التنزيل وحقائق التاويل) (المتوفى سنة ٦٨٥ هـ.ق).

٣ - وفى « العقد الفريد » الجزء السابع ص ٢٠١ و من حديث ابى رافع عن ابى ذر قال: قلت: يارسول الله صلى الله عليك ، كم عدد النبيين ؟ قال : مأة الف واربعة وعشرون الفا».

« قيل : فكم الرّسل منهم ؟ قال : ثلاثمأة وثلاثة عشرجمّاً غفيرا ».

وكيف كانت تلك الكميّة وايّة عدّة كان عدد الأديان الحقّة فلسنا فى هذا المقام بصدد التّحقيق والتّعيين وانّما نريد ان نشير الى الأفضل الأشهر الأقوم منها ، بحسب ما يعتقده اهل الاسلام ، فنقول :

انّ اشهر الأديان الفاضلة التى تكون لكلّ منها اتباع يعتدّ بها من حيث الكميّة والكيفيّة واعترف بها المسلمون ثلاثة :

١ ـ دين اليهود .

٢ ـ دين النّصارىٰ.

٣ ـ دين الأسلام .

والرّسول الّذى جاء باوّل هذه الثّلاثة هو موسى بن عمران، الكليم ، وبثانيها هو عيسى بن مريم، المسيح ، وبثالثها محمّد بن عبدالله، الحبيب .

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّيْنِ مٰا وَصّىٰ بِهِ نُوحاً، وَالَّذِى اَوْحَيْنٰا اِلَيْكَ وَمٰا وَصَّيْنٰا به اِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وعيسىٰ اَنْ اَقِيْمُوا الدينَ، وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيْهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ ماتَدْعُوهُمْ اَلَيْه ... ١٣»[1].

٤١ ـ الكتب المنزّلة

الكتب الّتى ارسل الله هؤلاء الرّسل بها الى النّاس ، وهى الاساس لأديانهم وشرائعهم والمنهاج لهدايتهم ، هى بترتيب اساميهم المزبورة :

١ ـ التّوراة.

٢ ـ الأنجيل .

---

١ ـ من السورة الـ ٤٢ (سورة الشورى).

٣ - القرآن المجيد .

فتلك هى امّهات الشّرائع الألهيّة المشهورة وهؤلاء هم اساطين الأنبياء الحقّة والرّسل الصّادقة وهذه هى المهمّات من الكتب السّماويّة الّتى لكلٍّ منها اتباع كثيرة تتجاوز الآن عن مآت ملايين .

من بين تلك الكتب المذكورة الموجودة الدّينيّة يختصّ القرآن بأمرٍ هامٍّ يجب على طالب الشّرع القويم والفاحص عن الدّين الحقّ والسّاعى فى سبيل تحصيل البرنامج السّوىّ والمنهاج المستوى ان لايغفل عنه وان يتأمّل فيه تأمّلاً عميقاً دقيقاً وهو الفارق الّذى بينه وبينهما من حيث الأستناد و باعتبار السّند .

التوراة غير الالواح

فالتّوراة الموجودة ، باعتراف من اليهود انفسهم ، ليست عين الألواح النّازلة على الرّسول المصدّق ، موسى بن عمران الكليم ، بل هو كتاب جُمع بعد وفاة موسى بمدّة تتجاوز عن خمسين سنة وقد يوجد فى نفس هذا الموجود من التّوراة شواهد بيّنة تنادى بهذه الحقيقه .

قال الفاضل المعاصر المصرى . محمد فريد وجدى ، فى كتابه « دائرة المعارف » بعد ما قال : « يطلق اسم التّورية على الخمسة الكتب الاولىٰ من « الكتاب المقدّس » عند المسيحيّين ومعنى « التّوراة » ، « القانون » باللّغة العبريّة » :

« جاء فى دائرة معارف لاروس تحت كلمة « توراة » ما يأتى :

تعدد التوراة كالانجيل ، والاختلاف فى نسخها

« العلم العصرى ولاسيّما النّقد الآلمانى قد اثبت بعد ابحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتّاريخ وعلم اللغات ان التّورية لم يكتبها موسى وانّها عمل احبارٍ لم يذكروا اسمهم عليها ، الّفوها على التّعاقب ، معتمدين فى تأليفها على رواية سماعيّة سمعوها قبل اسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء الى انّ هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كلّ الروايات الاسرائيليّة ولكنّها يحتوى فقط على اشارات و رموز و حكايات وانّ هجرة مصر ، ما هى الّا قصّة وهميّة ، او حادثة رمزيّة ، ليس لها ادنى اصل حقيقىّ » انتهى.

« السّامرة ، لهم توراة تخالف تورية اليهود وليس يعرف زمن ظهور هذه التّوراة

السّامريّه وقداجتهد العلماء فى تحديد زمانها فلم يوفّقوا له .

« والّذى يُعرف انّه كان الى القرن السّادس عشر مجهولاً و فى السّابع عشر جلب العالم ابسريوس نُسخاً منه من الشّرق وفى الوقت نفسه جلب المسيوهارلى دوسانس سفير فرنسالدى تركيا ، نسخة منه مع كتب آخر » انتهى ما قاله محمد فريد وجدى .

وكذا الأناجيل الموجودة المتداولة ليس ولا واحد منها نفس الأنجيل الّذى نزّل على الرّسول المعظّم ، عيسى بن مريم ، بل جُمعت هذه الأناجيل بعد ان رُفع عيسى الى بارئه تعالىٰ ، و تأخّر الجمع عن الرّفع بسنين كثيرة لايقلّ اقلّها تأخيراً ، عن مدّة ثلاثين سنة .

قال الفاضل المعاصر فى كتابه المذكور آنفاً ذيل كلمة « الانجيل » :

« الأنجيل عندنا هو الكتاب الّذى انزله الله على رسوله الأمين عيسى .... امّا عند المسيحيّين يطلق على الكتب الأربعة ، الّتى هى انجيل متّىٰ وانجيل مرقص وانجيل لوقا وانجيل يوحنّا الّتى هى تَراجِمُ حياة عيسى (ع) وفيها اقواله وآدابه واعماله . تاريخ جمع الأناجيل الاربعة

« انجيل متّىٰ هو اقدم الأناجيل الأربعة كُتب بعد عيسى (ع) بثلاثين سنة فى اورشليم باللغة العبريّة .

« انجيل مرقص كُتب باللّغة اليونانيّة فى روما بعد انجيل متّى و نشر حوالىٰ سنة ٦٦١ اى بعده بنحو ثلاثين سنة .

« انجيل لوقا هو الثّالث ، وكُتب بعد السّابقَيْن .

« انجيل يوحنّا كُتب بعد موت المسيح (ع) بستّين سنة اى سنة (٩٣) (يعنى بعد الميلاد) .

« هذه الأناجيل هى الّتى اصطلحت عليها الكنيسة المسيحيّة واعتبرتها وحياً الى كاتبيها من الله تعالى ولكن وجدت اناجيل اخرىٰ . منها :

« انجيل : ميلاد مريم وطفولة المسيح » نشره العلّامة نهيلو ....

« انجيل « توما الاسرائيلى » .

« انجيل « جاك الاصغر » .

« انجيل « نيكوديم » قالت دائرة المعارف القرن التّاسع عشر : يصعب ان يتصوّر الانسان اليوم ماكان لهذا الانجيل من الاقبال فى كلّ الأجيال الوسطىٰ الى القرن الخامس عشر .

اناجيل اخر غير الاربعة المشهور

« انجيل « الطّفولة » هذا الأنجيل قديم جدّاً . . . . وكان منسوباً للحوارىّ بطرس . . . .

« انجيل « برنابا » وترجم للانكليزيّة وطبع بها مرارا . . . . وهو موافق لماجاء فى القرآن من ناحية عدم صلب عيسى (ع) وغير ذلك .

« انجيل « مرسيون » هذا الأنجيل تعتبر عند الطّائفة المرسيونيّة . . .

« اوجزنا هذا الفصل من دائرة معارف القرن التّاسع عشر الفرنسيّة » انتهى ما اورده محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف .

هذا كلّه مع انّ الإنجيل ، كما علمت ، تعدّدت مجاميعه و اختلفت مضامينه وصار متعدّداً بعد ما كان واحدا فالموجود المعروف منها ما نُسب جمعه الى متّى ثمّ مانسب الى مرقس ثمّ ما نسب جمعه الى لوقا ثمّ ما نسب جمعه الى يوحنّا ثمّ الخامس منها الّذى ينسب الى برنابا وهكذا عدّة اناجيل اُخر نسب جمعها الى آباء عُمَد ولكن المشهور المعتمد عند المسيحيّين فى عصرنا من تلك الأناجيل هو الأربعة الأُوَل .

وكيف كان فممّا لامرية فيه ان ما جاء به عيسى لم يكن الّا واحداً ، لااربعا تختلف كلّ مع الآخر فى بعض العبارات والمضامين والمقاصد ، وهذا امر ظاهر لمن راجع اليها .

اضف الى هذه كلّها انّ فى هذه الأناجيل توجد ما ينادى بأصرح تعبير واعلىٰ صوت بانّها حكاية حال المسيح (ع) بعد رفعه وصعوده الى الملكوت الاعلى وقراره عند ربّه فى رحمته العليا .

هذا حال التّوراة والأنجيل الموجودين بين ايدى الفريقين ومع هذا ينسب ان الى

الرّسولين العظيمين فلننظر الأن الى القرآن .

٤٢- القرآن المجيد

امّا القرآن فقد اتّفق الكلّ على انّه هوالّذى امر بجمعه ونظمه وحفظه بعينه، محمّدبن عبدالله، الجائى به من عند ربّه، وتحقّق التّواتر المفيد للقطع واليقين بانّه هو الّذى حفظه وضبطه و كتَبه فى حياة خاتم النبيّين، بل وحين ما نزل به الرّوح الأمين، جمعٌ من صحابته المقرّبين .

فالقرآن الموجود بايدى المسلمين هوعين ما جاء به محمّد ، الرّسول الصّادق الامين ، وادّعىٰ انّه نزل بهالرّوح الامين من عالم الملكوت ، ونشأة القدس ومقام الفيض الاقدس ، على قلبه الزكىّ الطّاهر المقدّس.

فانتساب القرآن ، هذا الكتاب المنتشر فى كلّ الاقاليم و فى جميع البلاد وتمام الاصقاع من العالم بعينه ، المحفوظة ، الى الرّسول الصّادق الأمين ، محمّد بن عبدالله خاتم النبيّين ، امرٌ ضرورىّ مقطوع به لا عند المسلمين فقط بل عند اتباع التّوراة والأنجيل ايضا .

هذا مع عدم توهّم تحريف اوتخيّل تصحيف فيه ومع عدم زيادة اونقص يعتريه.

وليُضَف الى هذه الميزة والخصوصيّة خصوصيّات اُخر تمتاز بها القرآن من ذينك الكتابين وتتفوّق عليهما تفوّقا جليّاً ينبغى لمن يتوخّى الحقّ و يتحرّى الحقيقة ويتصدّىٰ للتّحقيق ان يتوجّه اليها ويتدبّر فيها واعتبر بها واستبصر منها .

فالضّعيف المسوّد لهذه الوريقات خدمةً لسُلّاك طريق التّحرّى و اجابةً لملتمس طلّاب السعادة والخير والترقّى، ودعايةً لأداء مايجب على ذمّة العلم من لزوم ادائه الى الغير المتلقّى يُشيرهنا الى ثلاثة منها .

١ - احياء القرآن ذكر الأنبياء بالقداسة والتمجيد .

٢ - تصريح القرآن ببشارة الأنبياء السالفة لبعثة رسول الإسلام .

٣ - عمومية دعوة القرآن لجميع النّاس فى كلّ مكان و كلّ زمان الى يوم القيام .

٤٣ - احياء القرآن ذكر الانبياء والرّسل

ممّا يتجلّى فى القرآن المجيد من خصوصيّاته السّامية هو انّه احيى ذكر الأنبياء و الرُّسل السّالفة وعدّ منهم عدّة من اولى العزيمة و غيرهم و عرّفهم ومجّدهم وبجّلهم وصدّقهم بل وامر المؤمنين بالايمان بهم فاتلُ ما يُتلى عليك من الآيات:

فممّا نزّلت فى شأن جمع منهم على سبيل الإجتماع قوله تعالى :

« وَاذْكُرْ عبادَنا ابراهيمَ واسحقَ ويعقوبَ اولى الأيدى والأَبْصار ٤٥ انّا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدّار ٤٦ وانّهُمْ عندنا لمن المُصْطَفين الاخيار ٤٧ وَاذْكُر اسمعيلَ والْيَسَعَ وذا الكِفْل وكلّ من الأخيار ٤٨ » [1] .

وممّا نزّلت فى شأن بعضهم على سبيل الانفراد قوله تعالى :

« ... وَاذْكُر عَبْدَنا داودَ ذا الأَيْد ... الآيات [2] .

وقوله تعالى : « يا داود انّا جعلناك خليفةً فى الارض ... الآية [3] .

وممّا نزّلت فى شأن الإيمان بهم :

« قُولُوا : آمنّا بالله وما اُنزل الينا وماانزل الىٰ ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما اُوتى موسىٰ وعيسىٰ وما اُوتىَ النّبيُّون من ربّهم لانُفَرّقُ بَيْنَ احدٍ منهم ونحن له مُسْلمُون ١٣٦ » (٣) .

---

١ - السورة ال ٣٨ (ص) .

٢ - السورة ال ٣٨ (ص).

٣ - السورة ال ٢ (البقرة) .

اشارات القرآن الى الانبياء ومعجزاتهم

اشار القرآن الى قصة حياة الأنبياء والى امّهات معجزاتهم وكيفيّة دعوتهم وابتلائهم بجهالة اُممهم العادية الجائرة .

فذكر نشأة موسى ودعوته ومعجزاته، من بده البيضاء وصيرورة عصاه حيّة تسعى، وبيّن كيفيّة تكوّن عيسى ووضع ولادته وحالة تكلّمه فى مهده واتيانه النبوّة والحكمة صبيّاً، وصرّح بمعجزاته، من شفائه الأكمه والأبرص واحيائه الموتى، وبالجملة ذكّر القرآن ، النّاسّ بايّام الله لعلّهم يعقلون فيهتدون .

وردت فى القرآن المجيد آيات عدّة فى شأن موسى واخيه هٰرون وكيفيّة دعوتهما والأتيان بالمعجزة وفق الدّعوة . وكذا فى شأن عيسى وامّه ، وطهارة ذيلها وقداسة ذاتها و برائة ساحتها ممّا تُوُهّم او تُفُوّه فى حقّها . نورد هنا انموذجاً من الآيات الشريفه .

٤٥ ـ آياتٌ من القرآن فى حقّ موسى وشأن عيسى

ما نُزّلت فى القرآن المجيد فى حقّ الكليم وشأن الكلمة (المسيح) على انحاء بعضها يكون مشتركاً بينهما وبعضها يكون مختصّاً بكل واحد منهما :

فممّا نُزّلت فى شأنهما وفى شان ما اُنزل عليهما من الكتاب مشتركاً :

الايات النازلة من القرآن فى حق موسى وعيسى وكتابيهما

١ ـ قوله تعالى : «ولقد آتينا موسى الكتابَ وقفّينا من بعده بالرّسل ، وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وايّدناه بروح القدس ... ٨٧»[١] .

٢ ـ قوله تعالى : «تلكَ الرُّسل فضّلنا بعضهم على بعض، منهم من كلّم الله و رفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بنَ مريمَ البيّنات وايّدناه بروح القدس ... ٢٥٣»[٢]

٣ ـ قوله تعالى : «وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التّوراة وآتيناه الأنجيل فيه هُدىً و نورٌ ومصدّقاً لما بين يديه من التّوراة وهُدىً

---

١ و ٢ ـ السورة الثانية (البقره) .

وموعظة للمتّقين ٤٦ »[1] .

وممّا نزّلت مختصّة بشأن موسى وشأن ما انزل اليه:

١ ـ قوله تعالى : « واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلّكم تهتدون »[2] .

٢ ـ قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات فاسئل بنى اسرائيل اذجائهم ... ١٠١ »[3] .

٣ ـ قوله تعالى : « واذاستسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلّ اُناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ... ١٦٠ »[4] .

وممّا نزّلت مختصّة بشأن عيسى و كتابه ومعجزاته :

١ ـ قوله تعالى :

« اذقال الله : يا عيسى بن مريم ، اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايّدتك بروح القدس تكلّم النّاس فى المهد و كهلاً ، واذ علّمتك الكتاب والحكمة والتّوراة والأنجيل ، واذ تخلق من الطّين كهيئة الطّير بأذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بأذنى وتبرئ الاكمه والأبرص بأذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذجئتهم بالبيّنات فقال الّذين كفروا منهم إن هذا الّا سحر مبين ١١٠ »[5] .

٢ ـ قوله تعالى :

« واذ اوحيت الى الحواريّين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا : آمنّا ، واشهد باننّا مسلمون ١١١ واذ قال الحواريّون : يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربّك ان ينزّل علينا مائدة من السّماء قال : اتّقوا الله ان كنتم مؤمنين ١١٢ قالوا : نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من

١ ـ السورة الخامسة (المائدة) .

٢ ـ السورة الثانية (البقرة) .

٣ ـ السورة ال ٢ (البقرة) .

٤ ـ السورة السابعة (الاعراف)

٥ ـ السورة الخامسة (المائدة) .

مِنْ الشَاهِدِيْنَ ١١٣» .

«قال عيسى بنُ مريم: اللّهمّ ربّنا أنزِلْ علينا مائِدةً من السّماء تكونُ لَنا عِيداً لأولِنا وآخرِنا وآيةً منك وارزقنا وأنتَ خيرُ الرّازقين ١١٤» [١] .

٣ ـ قوله تعالى :

« واذ قال اللهُ : يا عيسى بْنُ مريم ءأنت قلتَ للنّاس : اتّخِذُوني وامّيَ الهَيْنِ من دون الله ؟ قال : سبحانَكَ مايكونُ لِيْ أنْ اقولَ ماليْسَ لى بحق ، ان كنتُ قُلْتُه فقد علِمتَهُ تعْلَمُ ما فى نفسى ، ولا اعْلَمُ ما فى نفسكَ ، إنّكَ انت علّامُ الغيُوب ١١٦ ما قلتُ لهُمْ الّا ما امَرْتَنى به : انِ اعبُدُوا اللهَ ربّى وربّكُمْ وكنتَ عليهم شهيدا ، فلمّا توَفَّيْتَنى كنتَ انْتَ الرّقيبُ عليْهِمْ وانت على كلِّ شيْءٍ شهِيدٌ ١١٧ » [٢] .

٤ ـ قوله تعالى :

عيسى روح من الله وكلمته

«يا أهْلَ الكتابِ لاتغلُوْا فى ديْنكُم ولا تَقُوْلُوا على الله الّا الحقَّ ، انّما المسيح عيسى بن مريم ، رسولُ اللهِ وكلمتُه ، القيٰها الى مريمَ ، وروحٌ منه ، فآمِنُوا بالله ورسُله ، ولا تقولُوا : ثلاثةٌ ، انتهُوا خيراً لكم ، انّما اللهُ الٰهٌ واحدٌ سبحانَهُ ان يكونَ له وُلدٌ ، له مافى السّموات ومافى الأرضِ وكفىٰ بالله وكيلاً ١٧١ لَنْ يَسْتَنْكِفَ المسيحُ ان يكونَ عبْداً لله ولا الملائكةُ المقرّبونَ ومَنْ يَسْتَنْكِفْ عن عبادته ويستكبر فسَيَحْشُرُهُمْ اليه جميعاً » (٣) .

٤٦ ـ اشارةٌ

هيهنا نكتة ينبغى ان نشير اليها وهى :

انّ رسول الاسلام فى هذا التّجليل والتّبجيل للأنبياء السّالفة والتّصريح بكونهم

---

١ و ٢ ـ السورة الخامسة (المائده) .

٢ ـ السورة الرابعة (النساء) .

اولى الكرامات وذوى المعجزات كانّه يدّعى لزوم صدور الآيات والمعجزات عمّن يدّعى النبوّة والرّسالة ، وهوايضا منهم ، فكانّه يتحدّى[١] بذلك ويذكّرهم بانّه ايضا يقدر ان يفعل مثل ما فعلوا ويتمكّن ان يؤتِيَ بمثل ما آتَوا به من المعجزات .

وهذا دليل قوىّ على كونه مؤمناً بما يقول مطمئناً بأنّه مؤيَّدٌ من عندالله مُحِقٌّ صادق فى دعوىٰه فلهم ان يقترحوا عليه بما شاؤا من نظائر ماجاء به هؤلاء الرّسل وان يلتمسوا منه الأتيان بامثال ما اعترف للانبياء وعليه ان يجيب مسئولهم ويحقّق مأمولهم ويجيىء بملتمسهم بلاعذر ولاخلاف .

٤٧ ـ نبذةٌ ممّا نُزّلت فى شأن القدّيسة مريم

كانت عناية القرآن المجيد بشأن القدّيسة ، مريم ، وبشأن ابنها عيسى شديدة كثيرة وكيف لا وقد انزلت فى حقّها سورة ُخاصّة بها فيه ، تسمّى بسورة مريم وفى هذه السّورة نُزّهت ساحة قدسها وقدّست من كلّ مالايليق بشأن مريم الطّاهرة الزّكيّة ،نزاهةُ ذيلها .

وفى غيرهذه السّورة ايضا نُزّلت آيات تدلّ على نزاهة مريم وقداستها وطهارة ذيلها و شرافة ذاتها . منها ما نُزّلت فى سورة آل عمران بأحسن تعبير وابلغ بيان :

قوله تعالى :

« واذقالت الملائكة : يامريم انّ الله اصطفاكِ وطهّركِ ،واصطفاكِ على نساء العالمين ٤٢ يا مريم اقنتى لربّكِ واسجدى و اركعى مع الرّاكعين ٤٣ ذلكَ من انباء الغيب نوحيه اليكَ . . . ٤٤ اذقالت الملائكة : يا مريمُ انّ الله يبشّركِ بكلمةٍ منه ، اسمه المسيح ،عيسى بنُ مريم وجيهاً فى الدّنيا والآخرة ومن المقرَّبين ٤٥ ... »[١] .

مريم القديسة مطهرة صديقة

ومنها ما نزّلت فى سورة المائدة :

---

١ ـ السورة الثالثة (ال عمران).

«ماالمسيحُ بن مُريم الّا رسولٌ قدخلَتْ من قبله الرّسل وامّه صدّيقة...٧٥».

فتَرى ان مريم الّتى فى القرآن هى الّتى طهّرها الله من الأدناس والأرجاس الواقعيّة والوهميّة واصطفاها، بل واصطفاها على نساء العالَمين ووصفها بانّها «صدّيقة» وانّ عيسى، الرّسول الحقّ الصّادق، الّذى ذكره القرآن الكريم، هو كلمة الله الوجيه فى الدّنيا والآخرة وعبدُالله المقرّب عنده بالرّسالة و رسولُه الذى كلّم الناس فى المهد وعلّمه الله الكتاب و الحكمة و التّوراة والانجيل و ارسله الى بنى اسرائيل.

قوله تعالى:

«ويُكلّم النّاسَ فى المهدو كهلاً ومن الصّالحين٤٦ قالت ربّ انّى يكون لى ولدٌ ولم يَمْسَسْنى بشر؟ قال: كذلك الله يخلق ما يشاء، اذا قضى امراً فانّما يقول له: كُنْ فيكون٤٧ ويعلّمه الكتاب والحكمة والتّوراة والانجيل ٤٨ ورسولا الى بنى اسرائيل انّى قدجئتكم بآية من ربّكم انّى اخلق لكم من الطّين ... ٤٩»[1]

وقوله تعالى:

«... انّما المسيح، عيسى بن مريم، رسولُ الله وكلمتُه القيٰها الى مريم وروحٌ منه فآمِنُوا بالله ورُسُله، ولاتقولوا: ثلاثةٌ، انتهُوا، خيراً لكم انّما اللهُ اِلٰهٌ واحد، سبحانه ان يكون له ولدٌ، له مافى السّموات ومافى الأرض وكفىٰ بالله وكيلاً١٧١ لن يَسْتَنْكِفَ المسيح ان يكون عبداً لله...١٧٢»[2].

* * *

هذا شأن القرآن باعتبارميّزته الأُولىٰ فهو احييٰ ذكر الأنبياء والرّسل بالقداسة والطّهارة والاتيان بالآيات والمعجزات ولايوجد فى القرآن شىءٌ ممّا ورد فى التّوراة، الّتى بايدينا، من نسبة بعض الأعمال المنكرة القبيحة الّتى لايليق ان يصدر عن آحاد النّاس وسَفَلَتِهم فكيف، عن الأنبياء العظام والسّفَرة البررة الكرام، الى الأنبياء القدّيسين كشرب الخمر المزيل للعقل وجمع الأب المخمور ببناته (حاشاهم ثمّ حاشاهم عن ذلك)

تبرئة القرآن ساحة قدس الأنبياء وتنزيههم

١ ـ السورة الثالثة (ال عمران).
٢ ـ السورة الرابعة (النساء).

بل القرآن ينزّه ساحتهم المقدّسة عن امثال تلك التُّهَم الفاضحة و يبرّئ ناحيتهم الطّاهرة عن ادناس هذه النّسب الكاذبة .

«قُلْ آمنّا بالله وَمَا اُنْزِلَ عَلَيْنا وَمَا اُنْزِلَ علىٰ ابراهيمَ واسمعيلَ واسحقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما اُوتِيَ موسى وعيسى والنّبيّونَ، من ربّهم، لانُفَرِّقُ بَيْنَ احَدٍ منهمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٨٤» .

٤٩ ـ تصريح القرآن ببشارة الأَنبياء السّالفة

صرّح القرآن الكريم بانّ فى الرّسل الحقّة والأنبياء الصّادقة السّالفة ، كموسى ابن عمران الكليم وعيسى بن مريم المسيح من بَشّر برسالة محمّد بن عبدالله الحبيب لاتلويحاً الى اوصافه وكمالاته وحالاته فقط بل تصريحاً باسمه وعنوانه .

ففى القرآن المجيد آيات عديدة فى مقام تعيير اتباع التّوراة والأنجيل وتوبيخهم لكتمانهم البشارة وتلبيسهم الحقّ بالباطل وعدم تصديقهم الرّسول الأمين الصّادق . منها :

١ ـ قوله تعالى :

« انّ الّذين يكتمون ما انْزَلَ الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما فى بطونهم الّا النّار ولايُكلّمُهُمُ الله يوم القيامة ولايزكّيهم ولهم عذاب اليم »[١].

٢ ـ قوله تعالى :

ياأهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون؟ ٧٠ يا اهل الكتاب لِمَ تلبسون الحقّ بالباطل وتكتمون الحقّ وانتم تعلمون؟ ٧١»[٢] .

و فى بعض الآيات تصريح بانّ « اهل الكتاب » يعرفون رسول الأسلام كما يعرفون ابنائهم ويعرفون رسالته ومع هذا يكتمون الحقّ ويُنكرونه . فمن هذاالقبيل :

---

١ - السورة الثانية (البقره) .

٢ ـ السورة الثالثة (ال عمران) .

١ ـ قوله تعالى :

نبي الاسلام ومعرفة اهل الكتاب اياه

« الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم وانّ فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون ١٤٦ »[١] .

٢ ـ قوله تعالى :

« الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم ... ٢٠ »[٢] .

٣ ـ قوله تعالى :

« لمّا جائهم كتاب من عندالله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جائهم ما عرفوا ، كفروا به ... ٨٩ »[٣] .

و فى بعض منها تصريح بانّ اهل الكتاب شهداء على كونه صادقا فى رسالته كقوله تعالى :

« واذ اخذ الله ميثاق النّبيّين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جائكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه قال :

« ا أقررتم واخذتم على ذلكم اصرى؟

« قالوا: اقررنا .

« قال : فاشهدوا وانا معكم من الشّاهدين ٨١ ، فمن تولّى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ٨٢ »[٤] .

وبهذه الشّهادة اشارت الآية ال ٣٤ من سورة الرّعد .

قوله تعالى :

« ويقول الّذين كفروا : لست مرسلاً قل : كفى بالله شهيداً بينى و بينكم ومن عنده علم الكتاب ٤٣ »[٥] .

---

١ ـ السورة الثانية (البقره) .

٢ ـ السورة السادس (الانعام).

٣ ـ السورة الثانية (البقره).

٤ ـ السورة الثانية (آل عمران).

٥ ـ السورة ال ١٣ (الرعد) .

وممّا صرّحت بالبشارة وبكون الرّسول مكتوباً صراحةً في التّوراة والأنجيل عدّةُ آيات.

منها :

١ - قوله تعالى :

« الّذين يتّبعون الرّسولَ النّبيَّ الأُمّيَّ الّذي يجدونه مكتوبا عندهم في التّوراة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهٰهم عن المنكر ويُحلّ لهم الطّيّبات و يحرّم عليهم الخبائث ويَضَعُ عنهم اِصْرَهم والأغلال الّتي كانت عليهم فالّذين آمنوا به و عزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي اُنزل معه اُولئك هم المفلحون ١٥٧ »[٢].

٢ - قوله تعالى :

بشارة عيسى برسالة رسول الاسلام مصرحا باسمه

« اذ قال عيسى بن مريم : يا بني اسرائيل اِنّي رسول الله اليكم ، مصدّقاً لما بين يَدَيَّ من التّوراة ، و مبشّراً برسولٍ ياتي من بعدي ، اسمه احمد ، فلمّا جاؤا بالبيّنات قالوا : هذا سحرٌ مبينٌ ٦ »[٣].

٥٣ - اشارةٌ

ويُناسب هٰهنا اشارة الى نكتة لطيفة وهي انّه : يمكن ان يستدلّ بالآيات ، الواردة في هذا الشّأن نفسها ، على صدق رسول الأسلام في دعويٰه الرّسالة.

وذلك لأنّه لايعقل من عاقل ان يجترىءَ علىٰ ادّعاء امرٍ و يدعَو مَنْ خالَفه في هذه الدّعوى الى تصديقه ولزوم الايمان واتّباعه ويصرّح بانّ كتابهم الّذي آمَنوا به يُلزمهم ذلك التّصديق والأيمان والأتّباع ويحتجّ بان نبيّهم الّذي قوله حجّة عندهم صرّح في ذلك الكتاب بانّه صادق في دعواه وانّه رسول حقٌّ من عندالله.

٢ - السورة السابعة (الاعراف) .

٣ - السورة ال ٦١ (الصف).

او يمكن ان يجترىء على مثل هذا الأدعاء من لم يكن قاطعاً بصحة مايقول، مطمئناً بصدق ما يدعيه ؟

ولعمر العلم وشأن العقل انه لاسبيل حتى للوهم ان يتوهم ، لمن يعترف بعقله ويعتقد شعوره، انه يتمشى[1] منه الأستناد بسندٍ يكون عند مخالفيه وتحت ايديهم يرونه ويشاهدونه يتلونه ويقرؤنه فيسأل عنهم المراجعة اليه ويطلب منهم الأنصاف والأعتراف ثم يعيرهم على كتمان حقه وعدم الأقرار بصدقه ومع ذلك لم يكن على بينةٍ من ربه ولم يقطع بشاهد صدق فى ادعائه ولم يتحقق على كمال طمأنينة نفسٍ من امره فتدبر ولا تغفل .

٥٤ ـ عمومية دعوة القرآن

مما يجدران يتوجه اليه ويتدبر فيه هو ان دعوة القرآن عامة ، لااختصاص لها بفرقة من الناس وقوم من الاقوام و جيل من الأجيال ولا بزمان خاص بل دعوته تتوجه الى الناس كافة و تشتمل الأمم والأقوام قاطبة : ابيضهم واسودهم واحمرهم واصفرهم ،فى كل الأمكنة وجميع الأزمنة الى قيام الساعة .

قوله تعالى :

« قل : يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً ، الذى له ملك السموات والأرض لااله الا هو يحيي و يميت . رسالة الاسلام عامة

« فآمنوا بالله ورسوله ، النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ١٥٨ »[1] .

وقوله تعالى ايضا :

« وماارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن اكثر الناس لايعلمون ٢٨ »[2].

---

١ ـ السورة السابعة (الاعراف).

٢ ـ السورة ال ٣٤ (سبأ).

فالرّسالة الأسلاميّة عناية الهيّة عامّة لجميع النّاس و كافتهم ورسالة كافلة لهداية كلّ قوم وجيل فى ازمنتهم وامكنتهم وبشارة قائمة بسعادة قاطبة من آمن بها وعمل الصّالحات.

قوله تعالى :

« انّ هذا القرآن يَهْدى لِلّتى هى اقوم و يبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات انّ لهم اجراً كبيراً »[١].

ويتّضح ذلك كمال الوضوح اذا توجّهنا الىٰ انّ الله اعطى رسوله الأمين، مضافا الى معجزاته المشابهة لمعجزات غيره من الأنبياء والرّسل، معجزة خاصّة تناسب عموم الدّعوة زمانا و مكانا و عنصراً و نجارا وهوالقرآن ، المعجزة الخالدة ، كما سيتّضح لك الآن فى المطلب التّالى الّذى انعقد لبيان « اهمّ مزايا القرآن » فانظر وتدبّر .

٥٥ ـ اهمّ مزايا القرآن

للقرآن مزيّة هامّة وخصوصيّة عامّة لاتوجد نظيرها لغير نبىّ الاسلام من الرّسل الألهيّة ولاتُشاهَد فى غيره من الكتب السّماويّة ولها شأن كبير جدّاً يجب ان يتدبّر فيها اولوالبصائر و يتبصّر منها ذو والأبصار وهى انّها بنفس ذاته وجوهر جُمَلِه و كلماته معجزة باقية خالدة .

فقد وقع « التّحدّى » لرسول الأسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقرآن فى نفس القرآن لامرّة بل مرّات ، ولا باعتبار زمان حيات الرّسول بل باعتبار عمود الزّمان الى يوم التّناد ، ولا باعتبار مكان صدوره و محيط وروده بل باعتبار جميع الأقاليم و سائر الآفاق ولا باعتبار العنصر العربىّ النّاطق بالضّاد بل باعتبار كلّ عنصر ونجار ، متى وُجد انسان و اينما وُجِد وكيف كان ، بل ولا باعتبار شخص واحدٍ بالأنفراد بل ولو على سبيل الاجتماع ومعاضدة الأفراد للمقابلة والمعارضة للقرآن ولوكان بعضهم لبعضهم ظهيراً فى الأنشاء والأتيان .

---

٢ ـ السورة ال ١٧ (الاسراء - بنى اسرائيل -) .

٥٦ ـ التّدريج فى التّحدّى

كلّ من سمع بالقرآن وراجع اليه ونظر فيه يرىٰ آياته الواردة فى مقام «التّحدّى» ويتجلّىٰ له انّ القرآن كيف يتدرّج فى هذا المقام الى الأسهل فالأسهل .

فتارةً يتحدّىٰ بقوله :

درجات التحدى بالقرآن فى القرآن

« قُلْ : لئن اجْتَمعَتِ الأنسُ والجنُّ على اَنْ يأتُوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ٨٨ »[١] .

ومرّةً يقول فى مقام التّحدّى :

« قل فأتُوا بكتابٍ من عندالله هو اَهْدىٰ منهما (اى من التّوراة والأنجيل) اَتّبِعهُ ان كنتُمْ صادِقينَ ٤٩ »[٢] .

ومرّةً ثالثة يتحدّىٰ ويُفْحمُهم بقوله :

« ام يقولُونَ : افترٰيه .

« قل : فأتُوا بعشرسُوَرٍ مثله مُفْتَرَيات ، وادعوا من استطعتم من دون‌الله ان كنتم صادقين ١٣ فان لم يَسْتَجِيْبُوا لكم فاعلمُوا انّما اُنزل بعلم‌الله وان لااله‌الّاهو فهَلْ اَنتم مُسْلِمُونَ ١٤ »[٣] .

ومرّةً رابعة يتحدّىٰ بأسهل‌امر ، على‌ظاهر الامر ، ويقتنع عنهم ان يأتُوا بسورةٍ مثله فيقول :

« ام يقولون : افتراه .

« قل : فأْتُوا بسورةٍ مثله ، وادعُوْا من استَطَعْتُم من دون الله ، ان كنتم

---

١ ـ السورة ال ١٧ (الاسراء) .

٢ ـ السورة ال ٢٨ (القصص) .

٣ ـ السورة ال ١١ (هود) .

صادقين ٣٨ »[1] .

ومرّة خامسة يجعل التّحدّى بألزامهم ان يأتوا سورةً واحدةً من مثله ثمّ يذكّرهم ويرشدهم بتاتا بانّ ذلك خارج عن طوق قدرتهم فهم لايقدرون على الأتيان وليس لأحد منهم سبيل اليه بأمكان .

قوله تعالى :

« وان كُنْتُمْ فى رَيْبٍ ممّا نزّلْنا على عبدنا فأتُوا بسورةٍ من مثله وادعُوْا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين ٢٣ فان لم تَفْعَلُوا، ولَنْ تَفْعَلُوا، فاتّقوا النّار الّتي وَقُوْدُها النّاس والحجارة، اُعدّت للكافرين ٢٤ »[2] .

٥٧ ـ اشاراتٌ

الأُولى ـ لعلّ المراد من «المماثلة» ، الواردة فى الآية الأُولى من هذه الآيات حيث وقع التّحدّى فيها باتيان «مثل هذا القرآن » ، المماثلة من حيث الفصاحة والبلاغة . المماثلة وما يظهر منها

فصرّح بانّ الأنس والجنّ وان اجتمعوا فهم مع مشاركتهم و مظاهرة بعضهم لبعض لايقدرون على ان يأتوا بقرآنٍ مثل هذا الّذى جاء به شخصٌ واحد بلاظهيرٍ ولامعاضد .

الثّانية ـ الظّاهر من « التّحدّى » فى الآية الثّانيه ، التّوجّه الى ما هو المقصود الاصلى من الرّسالة وهو الأرشاد والهداية لا التّوجّه الى الفصاحة والبلاغة .

---

١ - السورة العاشرة (يونس) .

٢ ـ السورة الثانية (البقره) . وليعلم ان غير هذه الاية التى هى فى سورة مدنية ، سائر الايات التى تحدى الرسول بها فى القرآن للقرآن ونقلنا كلها ، فى سور مكية وهذا امر يرشد المنصف الى ان مشركى مكة وهم اكابر قريش واعاظم العرب و فيهم امراء اللسان و فصحاء الكلام وبلغاء البيان يسمعون كراراً وفى زمان ممتد هذا التحدى ولم يقدر وا على معارضته بل وصرح بعضهم على عظمة شأن القرآن رغما لانفه وانف موافقيه في الخلاف كما نقل عن وليد .

فكأنّه اشار الى المعيار الحقيقى و هو « اعرفوا الرّسول بالرّسالة » وقال انظروا الى هذا البرنامج والمنهاج ووازنوه مع غيره من المناهج ولاسيّما الافضل من الكلّ وهو التّوراة والأنجيل فباليقين تشاهدون ما له من الكمال فى نظمه و تطّلعون على احصائه لما يحتاج اليه النّاس ، من ضروريّاتهم ، ويفيدهم او ينفعهم اويناسبهم ويزينهم ، فى اوامره ونواهيه فتعرفون عظم شانه وارشاده وتجدونه بحيث لايوازيه منهاج ولايساويه ، فى الأحتواء على الموادّ المنظّمة السّائقه الى السّعادة، الهادية الى الخير والكمال، برنامج و كتاب بل ولايتمكّن احد ان يأتى بمثله، فى هذه الحيثيّة له، بنظير ومثال .

كمال القرآن للهداية

ولعلّ فى تنكير لفظ « كتاب » فى هذه الآية (بكتاب) اشارة الى ما قلنا . فكأنّه اكتفى فى هذا المقام من « التحدّى » بانّ الجائى بالمثل ليس مقيّدا من حيث اللّفظ و باعتبار العبارة ان يراعى الفصاحة والبلاغة فهو فى سعة من ذلك ولكنّه لابدّ له ان يكون ما ياتى به ، مثلاً ونظيراً باعتبار الارشاد و الهداية ومن حيث المنهاجيّة الّتى ، كما اسلفناه ، يكون كمالها، او قل كاملها ، منحصرا بان يكون نازلاً من لدن عليم حكيم كى يكون ناظراً الى جميع الأطراف وجهات الامور ، جامعا لتمام السّتّ من الجهات والشّئون ، فى الكمال للقرآن الّذى هو اهدى من التّوراة والأنجيل واكمل وارقى واقوم من كلّ منهاج ودليل فتدبّر.

كلمة من مثله والتحقيق فيها

الثّالثة: طال البحث والكلام فى كتب التّفاسير وغيرها ، كالكشّاف وغيره ، فى كلمة « من مثله » الواقعة فى الآية الخامسة ، من الآيات المزبورة هنا، ولامجال لى الآن لمراجعتها ولا ضرورة هنا لنقلها ونقدها ولكنّى ، خلافاً لما زعمه بعضهم، اظنّ انّ كلمة « مِنْ » فى هذا المورد ليست بزائدة (كما زعمه) بل ولااظنّ وقوع زيادة ، ولو كانت بحرفٍ ، فى القرآن المجيد الّذى بهر بفصاحته و بلاغته عقول الفصحاء والبلغاء وعلى هذا فكأنّه كان يَتَهَجِسُ فى انفسهم امكان الأتيان بمثل القرآن .

ولعلّه ، كما اشرت ، كان بين هؤلاء الّذين يقولون مالايفعلون . . . من كان مدّعياً باللسان ايضاً بأمكان الأتيان بمثل القرآن فكان يتفوّه به كما يَظْهَر من القرآن المجيد ايضا .

قوله تعالى :

« واذا تُتلىٰ عليهم آياتنا قالوا :

« قد سمعنا ، لو نشاء لَقُلْنا مثل هذا ... ٣١ » [١].

وحينئذٍ فحقٌّ ان يقال لهم :

ايُّها المتوهّمون المتفوّهون ان كنتم محقّين في وهمكم ، صادقين في قولكم ، فاعلموا انّا لا نُلزمكم بأتيان مجموع ذلك « المثل » الهاجس في صدوركم بل نكتفي ان تأتوا بسورة واحدة من مجموع ذلك « المثل » ، المتوهّم امكان الأتيان به ، فان لم تكونوا فعلتم ذلك ، اى اتيان مثلٍ له من قبل حتّىٰ تكونوا قادرين على اتيان سورة من ذلك المثل في الحال ، ولن تقدروا البتّة الى الأبد ان تأتوا بمثله ، فكونوا على اتّقاءٍ من النّار التي . . . واعلموا ايضا :

« . . . . واُمِرتُ ان اكون من المسلمين ٩١ وان اتلوا القرآن ، فمن اهتدىٰ فأنّما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فقل : انّما انا من المنذِرين ٩٢ ».

« وقل : الحمد لله ، سيُريكم آياته فتعرفونها ... » [٢].

٥٨ ـ اسلوب التّحدّى في القرآن بنفس القرآن

انظر الى هذا الأسلوب الأنيق المتين في مقام التّحدّى ، من التّدرّج والتّنزُّل ، بالمداراة مع النّاس والعناية بتسهيل الأمر على المخالفين : فطلب منهم مرّةً اتيان قرآنٍ مثل هذا القرآن وطلب منهم مرّةً اُخرىٰ اتيان « كتاب اهدىٰ منه » وسهّل عليهم الأمر وطلب ممّن ادعى الأفتراء حيناً ، اتيان عشر سور مثله ، وبالغ زمانا في المداراة والمساحة والمساهلة حتّى قنع ان يأتوا : « بسورةٍ من مثله ». تسهيل الامر في التحدى

١ ـ السورة الثامنة (الانفال).

٢ ـ السورة ال ٢٧ (النمل).

ولعلّه كان بين هؤلآء الّذين يقولون ما لايفعلون ، وينطقون بما لايريدون ولا يفهمون ، ويدّعون بألسنتهم وافواههم ما ليس فى قلوبهم وافئدتهم ، من كان يجازف بدعوى امكان الأتيان بمثل القرآن فلزم على النّبى الصّادق ان يُلزمه ويُفحمه ، فى ذلك الأدّعاء الباطل و القول الجزاف الكاذب ، بالمداراة معه والتفضّل عليه بان يقول له :

ان كان الأمر فى امكان الأتيان بمثل القرآن، كما تتوهّم و تزعم ، فأتِ انت بسورة واحدة ، لااكثر من ذلك المثل الّذى تتخيّل ، او تتكلّم احياناً ، وتدّعى بصرف اللّسان امكان الأتيان به .

ثمّ ارجع البصر فى تلك الآيات كرّتين و اعتبر ممّا يشار اليها منها ، لتبصّرك واعتبارك ، فى الذّيل :

١ ـ كيفيّة امتلاء قلب الرّسول من كثرة الطّمأنينة بنفسه وشدّة الأعتماد بصدقه وقوّة الوثوق بصحّة دعويٰه وكمال الأطمينان بعدم امكان معارَضته فى ما ادّعاه .

فينادى باعلىٰ صوته ويقول ، بأمر ربّه ، مرّةً :

« لئن اجتمعت الأنس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ... الآية » .

ويشير مرّةً اخرىٰ ، بعد جملة « وان لم تفعلوا » ، بكمال الأطمينان ، قاطعاً بعدم امكان معارضة ماتحدّىٰ به بجُملة « ولن تفعلوا » على سبيل التّأبيد فى النّفى والتّعجيز الدّائم عن الأتيان بمثل القرآن .

نفى القدرعن الاتيان بسورة من مثل القرآن تأبيداً

وقد تحقّق صدقه صلّى الله عليه وآله وسلّم فى ادّعائه التّأبيد والدّوام الى يومنا هذا مع كثرة مخالفيه ومعانديه واهتمام اكثرهم للاتيان بما يماثله ويساويه فان عُدّت نفس هذا الأخبار من قبيل الأخبار بالغيب واحتُسب فى ما يعجز عنه البشر كان فى محلّه بلاريب .

٢ ـ كيفيّة انذاره ايّاهم فى ما اذا استمرّوا على الأنكار ، حيث يوقظهم من نومهم ويرشدهم من جهلهم بهذا التّهديد والأنذار : متابعتكم ذلك المنهاج الالهى والمنهج السّوىّ يكون نافعة لكم لالى ومخالفتكم ايّاه ، وانحرافكم عنه ، تَضُرُّكم لابى لأنّكم اذا لاتؤمنوا به

ولاتطيعوه ولاتخضعُوا له ولاتطبقوا اعمالكم في حياتكم وَفْق ما ثبت فيه تكونون انتم كافرين خاسرين فتطّلع على افئدتكم نارالله الموقدة التّى وقودها الناس والحجارة وتهبطون انتم عن شامخ مقامكم الانسانى الى محطّ ادنى واسفل من الطّور الحيوانى فتصيرون فيجميع الشئون السّتّة، جمعاً و فرداً ، جسماً و روحاً ، دُنيىّ وعقبىّ ، سائرين سير الأنحطاط او السّقوط والنّقص والهبوط والجهل والفتور والدّنائة والفساد فيدارالغرور والشّقاوة والهلاك يوم النشور .

٣ ـ كيفيّة دعوته ، بعد التّحدّى والتعجيز ،او ابتداءً، الى الصّلاح والخير .

قوله تعالى :

«فَاِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوْا لَكُمْ فَاعْلَمُوْا اَنَّما اُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَاَنْ لا اِلٰه اِلّا هُوَ فَهَلْ اَنْتُمْ مُسْلِمُونَ »[1]

وقوله تعالى :

« قُلْ: يا اَيُّهَا النّاسُ قَدْ جائَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَاِنَّما يَهْتَدِىْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها،وَما اَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ١٠٨ »[1]

وبعد النّظرالغائر وارجاع البصر النّافذ والتّدبّر الّلائق فيالقرآن والإعتباربآياته فكن باردَ الصّدر ثلج الفؤاد ساكن الجنان مطمئنّ القلب واعلم انّما انزل القرآن بعلم الله وان لا الهاّلا هوالمفيض الرّحمن و اَسْلِم لله وآمِنْ بقرآنه المجيد وصدّق رسوله الصّادق الامين صلّى الله عليه وآله و سلّم واعتقد بصميم العقيدة وخالص الاعتقاد والطويّة بانّ :

«لِلَّذِيْنَ اسْتَجابُوْ لِرَبِّهِم ، الحُسْنى ، وَالَّذِيْنَ لَمْ يَسْتَجِيبُوْا لَه لَوْاَنَّ لَهُمْ ما فِي الْاَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلُه مَعَه ، لافْتَدَوْا بِهِ اُوْلئِكَ لَهُمْ سُوْءُ الحِسابِ ...١٨»

---

١ ـ السورة العاشره (يونس)

«اَفَمَنْ يَعْلَمُ اَنَّما اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ اَعْمىٰ اِنَّما يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْاَلْبابِ ١٩

«اَلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ ٢٠ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما اَمَرَ اللهُ بِهِ اَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ ٢١.

«اَلَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِم وَاَقامُوا الصَّلٰوةَ وَاَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ ، السَّيِّئَةَ اُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبىَ الدّارِ ٢٢» [1]

٦١ ـ وجوه اعجاز القرآن

تصدّىٰ لبيان كيفيّة اعجاز القرآن وتشخيص وجوهه ، قديما وحديثاً ، كثيرمن العلماء والافاضل فالّفوا فى هذا الموضوع كتبا كثيرة قيّمة [2] ولعلّه جاوزالوجوه المهمّة منها عشرة وجهاً بعضها يتعلّق بما هو من شئون الالفاظ من جزالة اللّفظ واسلوب التّعبير ونظام العبارة وافادة المراد وبعضها يرجع الى مايستفاد منه من المعنويّات ، كبيان المعارف والحقائق وتشريع الأحكام من العبادات والمعاملات والاحكام والسّياسات ، وكتأثيره فى الهداية والارشاد وكأخباره عن المغيبات وما يُشبه هذه الامور.

فمن قبيل الاوّل كون القرآن فى اعلىٰ ذروةٍ من مراتب الفصاحة و البلاغة بحيث عجز عن الأتيان بمثله ، بل « بمثل سورة من مثله » ، الفصحاء والبلغاء من زمن التّحدّى بقوله : «وَاِنْ كُنْتُم فِى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا . . .الآيه» الى زماننا هذا

---

١ ـ السورة ال ١٣ (الرعد)

٢ ـ منها ما الفه السيد المحقق المعاصر صديقنا الفقيد العلامه هبةالدين الشهرستانى ولعل تاليفه هذا كان او فى لجمع تلك الوجوه وتحقيقها واحوى لميزات القران وتوضيحها.

وهو آخر القرن الرّابع عشر من الهجرة .

ومن قبيل الثّاني قوله تعالى فى بيان حقيقة التوحيد وعرفان الحقّ : «شَهِدَ اللهُ اَنَّه لا اِلٰهَ اِلّا هُوَ ... ١٨»[1] وقوله: «قُلْ هُوَ اللهُ اَحَدٌ ... السّورة» مثلاً .

ولا يلزمنا هنا اطالة المقال بتكثير المثال لقسم المعارف ، من بيان المبدء والمعاد وشأن النبوّة ومقام الأنبياء ، ولا لغيره ممّا اشير اليه من سائر انواع هذا القبيل ، من تشريع انظمة الأحكام ومن الأخبار بالمغيبات[2] وغير ذلك ، كما لا يلزمنا اطالة الكلام فى تشريح الأمثلة للقبيل الاوّل ، وذلك لانّ الكتب المربوطة مشحونة بتفصيل هذه الأمور مكفولة بتشريح هذه الشّئون .

٦٢ ـ وجهٌ خاصٌّ للاعجاز

لكنّه يعجبنى ان اشير الى وجه يزيد على تلك الوجوه شرّفنى الله بالهامه والهمنى باحسانه واكرامه ويختصّ بادراكه ، ثمّ الاذعان بأنّه بمنزلة الاعجاز ، من كان من الخواصّ وهو انّه :

قد توجد فى القرآن جملة مكرّرة بعبارة واحدة فى مواردها كلّها الّا فى مورد وقعت فيه زيادة بحرف واحد[3] فالخبير المتامّل والبصير المتدبّر يقف هنا و يتفكّر ويناجى

---

١ ـ السورة الثالثة (آل عمران)

٢ ـ عد « الاخبار بالمغيبات » وما يشبه ذلك ، مما ذكر ، من المعجزات ليس بمعنى « المعجزة» الاصطلاحي الذى اعتبر فيه « التحدى » بل بمعنى كون الملاك وهو عجز اتيان الناس بالمثل موجود فيها فاطلاق لفظ المعجزة على امثالها من باب التوسع باعتبار وجود الملاك اللهم الا ان يقال « ابهام وجه التحدى » فى القرآن يورث العموم والشمول لكل ما كان من هذا القبيل فيكون اطلاق عنوان « المعجزة» عليها بمعناها الاصطلاحي فتدبر.

٣ ـ وهكذا قد يوجد فى موضوعات متشابهة متماثلة، يقتضى تشابهها ، ظاهراً ، وحدة التعبير، تعبيرات مختلفة و تغييرات متنوعة فى كلمة على خلاف اقتضاء ذلك الظاهر. من امثلة ذلك ماورد فى قصة موسى واسئلته الثلاثة ، المتماثلة فى الموضوع ، المقتضية ظاهراً وحدة التعبير فى الجواب ، من تغيير التعبير عند الجواب عن كل سئوال فتارة وقع فى الجواب كلمة « اردت » و ثانية كلمة « اردنا » واخيراً كلمة « اراد ربك » ففى هذا التبديل والتغيير مايرشد العارف، الخبير بمراتب السلوك، الفائز بمقام الشهود وشهد الوصول، الى ان القرآن « ان هو الاوحي يوحى » وانه معجزة لامثل له يؤتى.

نفسه: لما ذا اختصّ هذا المورد بهذه الزّيادة وماذا اريد من هذه الزّيادة والأضافة؟ وبعد التّدبّر الفاحص يتعجّب و يدهش ممّا يشاهد ويدرك من الاشارات الدّقيقة والأسرار الأنيقة المطويّة فى هذه الزّيادة (اوالتغيير فى التعبير) فيذعن اذعاناً باتّاً بانّ امثال هذه العبارة لايكاد يكون الّا نازلاً من سماء افاضات العليم الحكيم وارداً بالوحى على القلب الطّاهر الكريم صادراً عن لسان الرّسول الأمين.

ولنذكر انموذجاً لذلك:

قوله تبارك وتعالى فى السّورة ال ٤٠ (سورة المؤمن - الآية ال ٦٧)

« هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ .

« ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ .

« ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ .

« ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً .

« ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ .

« ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً .

« وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى مِنْ قَبْلُ .

« وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً .

« وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

واظنّك تعلم ان فى القران المجيد آيات كثيرة جدّا (نحواً من سبعين ٧٠ آية) ختمت بكلمة التّرجّى (لعلّ) واردة على ضمير الجمع المخاطب مسندةً اليه التّعقل اوالتّفكّر او التذكّر او الشّكر وما تُضاهى هذه الامور، كالأتّقاء والأهتداء والأفلاح والأيقان والاسلام، كقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » وقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ » و قوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » وقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » وقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » وقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تُوقِنُونَ » وقوله تعالى: « لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ».

فاعلم انّ نحواً من عشرة موارد منها تكون من النّوع الاوّل ، اى يكون تعلّق التّرجّى فيها بالتّعقّل ، ولاتكون الجملة فى تلك الموارد مصدّرة بالواو العاطفة الّا فى مورد واحد وهو فى الآية المزبورة من سورة « المؤمن » كما انّ فى غير هذا النّوع ايضا ماصُدّرت الجملة بالواو الّا فى موارد معدودة تقلّ عن عشرة ، وهى الموارد الّتى يكون وجه العطف فيه ظاهرا بيّناً كقوله تعالى : « . . . ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون ٧٢ »[1] .

ايراد وجه خاص لاعجاز القرآن من المؤلف

وحينئذٍ يتوجّه النّاظر المتفكّر ويتنبّه السّامع المتدبّر الى كشف النّكتة ووجه زيادة حرف « الواو » فى خصوص ذلك المورد الواحد من بين تلك الموارد الكثيرة فيرى من الأشارة الـلّائحة الى الحقيقة الكامنة فى الآية ما يتواضع العلم والفلسفة والعرفان لها ويخضع تجاه ما جاء به النّبىّ الأمىّ ، الّذى كانت نشأته بين الجاهليّين ، اقوىٰ عقل نظرىّ لأكبر شخص كان متضلّعاً بالفلسفة والعرفان متّصفاً بالأنصاف والوجدان .

وكيف لا والعقل النّظرى من الفيلسوف العبقرىّ بأرشاد من البرهان المنطقىّ والميزان الفكرىّ يعتقد و يرى انّ لكلّ نوع من الانواع الموجودة كمال يختصّ به وكمال الخاصّ بالانسان هو وصوله الى كمال العقل فهو يسير فى سلوكه سَنَن الحيات لاستكمال العقل ويتطوّر فى اطواره و مدارجه من نقطة القوّة الصّرفة وظلمة الهيولانيّة البحتة ، درجةً بعد درجة ومرحلةً بعد مرحلة ، الى ان يرد منزل الفعليّة ، بل يصل الى غايتها ، ويشتدّ فى فعليّتها فيصير عقلاً محضا فى الأشتداد ويصحّ ان يطلق عليه عنوان « العقل المستفاد » .

٦٣ ـ الانسان والعقل

الفيلسوف (والحكيم والعارف) فى كلّ مباحثه ومطالبه وغاياته و مآربه يسعىٰ لتحصيل هذا الكمال ويكدح للوصول الى ذاك المقام والمآل ولذاتريٰه فى تعريف الفلسفة

---

١ ـ السورة ال ٢٨ (القصص).

والحكمة تارة يصفها بانّها :

« هوالعلم بحقائق الأشياء على ما هى عليها بقدرالطّاقة البشريّة ».

وتارةً اخرىٰ بانّها هى :

« صيرورة الأنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العينى »

وفى كلمات الأنبياء ، مَعالم الشّهود ومشاهد الأيحاء ، ايضا ما يشير الى ذلكَ بل يصرّح به ولاسيّما فى كلمات الكامل التامّ ، رسول الاسلام، فقد رُوى عنه عليه السلام عدّة روايات ترشد الى ذاك المقام، منها قوله (ص) لعلىّ :

كمال الانسان بكماله فى العقل

« يٰا عَلِىُّ اذا عَنَّى النّاسُ اَنْفُسَهُم بتكثيرالعبادات فَعَنِّ انت نَفْسَكَ بتكثيرالمعقولات تَسْبِقهُم »[١] .

ومنها قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« اذا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنَ حالٍ ، فانْظُرُوا فِى حُسْنِ عَقْلِهِ ، فانّما يُجٰازىٰ بعَقْلِهِ » .

ولعلّه الى هذه الحقيقه يشير عدّة روايات وردت عن اهل بيت النبوّة ، آل خاتم الرّسالة ، والسّفارة ، اولى العصمة والطّهارة .

منها ما فى « الوافى » عن « الكافى » ، فى حديث طويل ، عن هشام بن الحكم عن الامام ابى الحسن ، موسى بن جعفر (ع) ذكر فيها عدّة آيات منها هذه الآية ، آية سورة المؤمن وقال (ع) فى ما قال لهشام :

---

١ - نقلها بهذه العبارة السيدالدامادمن رسالةفى المعراج منسوبة الى ابى على ابن سينا ورايتها فى بعض الكتب لغيره من علماء الشيعة ايضا بهذه العبارة ولكنها فى المجلد الاول من حلية الاولياء لابى نعيم الاصفهانى (الصفحة ١٦) باسناده عن عاصم بن ضمرة عن على ابن ابى طالب وردت هكذا :

« قال (يعنى عليا) : قال النبى : يا على اذا تقرب الناس الى خالقهم فى ابواب البر فتقرب عليه بانواع العقل تسبقهم بالدرجات والزلفى عندالناس فى الدنيا وعندالله فى الاخرة» وكيف كان فالاستشهاد فى محله والاستناد واضح لاهله .

« . . . يا هشام ما بَعَثَ اللهُ انبيائَه و رسلَه الى عباده الّا لِيَعْقِلُوْا عن الله . فاحسنهم استجابة احسنهم معرفة . وَاَعْلَمُهُمْ بِأمْرِاللهِ اَحْسَنُهُمْ درجةً فى الدّنيا والآخرة » .

ومنها ماروا شيخ مشايخنا العظام، اوّل الشّهيدين السّعيدين، قُدّست اسرارهم، فى المسئلة الأُولى من البحث الثّامن ، الّذى عقده للبحث عن « البرزخ » فى كتابه «الذّكرى » ما عين عبارته :

« ... وروى الكُلَيْنى بعدّة اسانيد عن الصّادق(ع) : انّما يُسأل فى قبره من محض الأيمان والكفر وامّا ما سوى ذلك فيُلْهىٰ عنه ورواه محمد بن مسلم و . . . وعن الباقر(ع) مثله بطريق ابى بكر الحضرمى.....»

ومنها ، وهى كالصّريح فى هذا المعنى مارُوى فى المجلّد الاوّل من « بحار الانوار » عن الباقر(ع) :

« انّ الله تبارك وتعالى يحاسِب النّاسَ على قَدْرِ ماآتاهُمْ مِنَ الْعُقُوْل فى دارالدّنيا » .

اطوار حيات الانسان وادوار وجوده

ولنكتف بهذه الأشارات ونرجع الى ماكنّا بصدده من بيان ما يُترائى من النكتة و وجه زيادة « حرف الواو » فى الآية وما يستفاد منها من الأشارة الى حقيقة خافية فنقول :

انّ الآية كما هو ظاهر ، تكون فى مقام بيان اطوار الأنسان فى وجوده وتحقّقه من بادى بدىء تكوّنه وخلقته الى قصوى نشأته ودرجاته واطواره: فتشير الى جميع مراتب سيره وسلوكه فى مدارجه والى هبوطه فى مناهجه ثم صعوده الى معارجه .

العقل آخر المدارج

فاوّل ما انشقّت به ظلمة عدمه وفطر له الخلق باريه بقدرته وكرمه، على ما فى تلك الآية، خلقهُ من تراب، ثمّ تحوُّله منه الى نطفة، وانحداره من الصّلب الى الرحم ثمّ تطوّره طوراً صار فيه علَقة. ثمّ اخرجه الله طفلاً. ثمّ، ليبلغ اشدّه ويفوز بكماله فى القوّة والعدّة . ثمّ، ان لم يكن ممّن قدّرله التّوفّى من قبل، ليكون شيخا و، كيف كان،

ليبلغَ اجلاً مسمىً بالوفاة، سواء اكان الأجل قبل الشّيخوخة ام كان بالبلوغ الى الشّيخوخة، وليَبْلغَ مقامَ التعقّل فيصل الى آخر المقامات والمنازل ويصعد الى ارقى المدارج من المعارج وحينئذ فيُلقِي جرانه ويتمّ سيره و سلوكه و هبوطه وصعوده في نشأته الدّنيا ويصير من زمرة من اتّصل بالملكوت الاعلى وتقرّب الى مبدء النّور الأبهىٰ . فيكون من جهة جامعيّته عالماعقلياً وباعتباروصوله وتقرّبه نورالهياً . والحمدلله ربّ العالمين .

هذا انموذج لما قلنا من الأشارات البليغة واللّطائف الأنيقة وكم لها من نظائر في القرآن المجيد فتبصّر .

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِنْ
رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّيْنَ . . .
(سورة الاحزاب)

هُوَ الَّذِيْ اَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِيْنِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ ،
وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيْداً مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللهِ . . .
(سورة الفتح)

٤ ـ حول كون الأسلام خاتم الأديان فمنهاجه اكمل المناهج واهديها الى ـ الرّشاد :

١ ــ دين الأسلام خاتم الأديان الحقّة .
٢ ــ القرآن وعرفان المبدء
٣ ــ القرآن وبيان المعاد والمرجع
٤ ــ القرآن ودستوره العملى للانسان
٥ ــ آيات وخُطب
٦ ــ اشعار فى وصف القرآن للشبلىّ المصرىّ ـ الطبيعىّ ، اوالمسيحى .

٦٥ ـ دين الاسلام خاتم الأديان وباتّباعه يكتمل الأنسان

المزيّة الأخيرة التى اشرنا اليها للقرآن المجيد، تناسب كمال المناسبة لما ادّعاه الرّسول الأمين (ص) من كون شرعه اكمل الشّرائع و رسالته بالهدى خاتمة الرّسالات ونبوّته خاتم النبوّات ودينه الحقّ آخر الأديان وغالب على كلّها .

« هُوَ الَّذِىْ اَرْسَلَ رَسُوْلَه بِالْهُدٰى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّه ... »

وذلك لأنّه اتى ، لهداية النّاس و ارشادهم ، بمعجزة مُتَحَدٍّ بها مِنْ زمانه الى ان ينقضى العالم وهى موجودة تكون بمرأىً ومسمعٍ من كلّ احدٍ الى يوم القيام، وتدعو النّاس فى كلّ زمان و فى كلّ مكان و بكلّ مشاركة ومظاهرة اختيار احدالأمرين :

اِمّا الأتيان بمثل هذا القرآن، بل بمثل سورةٍ من مثله ، وبكتاب اَهْدىٰ منه.

و اِمّا الأعتراف بانّ هذا القرآن يَهْدِىْ لِلَّتى هى اقوم لانّ « اِنَّما اُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ الَّذِىْ لا اِلٰهَ اِلاّ هُو » والتّصديق بشأنه والأيمان ببقائه والتّسليم لأمره والعمل وَفْق منهاجه واحكامه ، اتّقاءً من النّار الّتى وقودها الكافرين وابتغاءً لجنّات عدنٍ الّتى اُعدّت للمتّقين .

٦٦ ـ القرآن وبيان المسألة المجهولة

انّ القرآن يمتاز عن جميع الكتب الّتى اختصّت ببيانه المسئلة المجهولة على الانسان، المطلوبة معرفتها له،اوتعرّضت لتحقيقها وآثرت تاثيرها فى النّفوس والأرواح سواءٌ اَكانت تلك الكتب سماويّة الهيّة ام فلسفيّة بشريّة .

تصدّى القرآن لبيان تلك المسئلة الهامّة للانسان ، (من اين جاء ؟ والى اين يروح؟ وما عليه ان يفعل فى هذه الحياة) وادّيٰه بأحسن طراز وعلى اوفىٰ واتمّ بيان

ففيه لكلّ شيء تبيان ومنه هدىً ورحمة وبشرى لكلّ من اتبعه بتسليم و ايمان وجعله امامه للعمل بما فيه من العدل والاحسان والاجتناب من المنكر والفحشاء والبغي ونقض الأيمان . قوله تعالى :

القرآن وحل المسائل المجهولة

« نَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلمُسْلِمين ٨٩ اِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَاِيْتاءِ ذِي الْقُرْبىٰ وَيَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْي ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَاَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ .... ٩١ »[1].

هذا الكتاب يُخرج من آمن به وعمل وَفق دُستوره من ظلمات الجهل والظلم الى نور العلم والعدل ويهديهم صراط المستقيم ، صراط العزيز الحميد . قوله تعالى :

« كِتابٌ اَنْزَلْناهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ اِلَى النُّورِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ ، اِلىٰ صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدْ ١ »[2].

ايضا قوله تعالى :

« هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ على عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ اِلَى النُّورِ وَاَنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ ٩ »[3].

القرآن برهانٌ قاطع جاء النّاس من ربّ العالمين ليعرفوا به المبدء ونور مبين سطع على سطح الاشياء والأفعال ليكشفوا به ، فيها ، عن وجه الخير والصّلاح وصراط سَوِيّ ليسلكوا فيه الى السّعادة والكمال والفلاح .

قوله تعالى :

« قَدْجاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَاَنْزَلْنا اِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ٧٤ »[4].

---

١ ـ السورة النحل (النحل)

٢ ـ السورة ال ١٤ (ابراهيم)

٣ ـ السورة ال ٥٧ (سورة الحديد)

٤ ـ السورة الرابعة (النساء)

وبالجملة اتىٰ هذا النّور المبين الألهى فى تحقيق تلك المسئلة وتنقيتها وتوضيحها وانارة سبيلها واثارة النّفوس المستعدّة لقبولها وتسليمها بما لامثيل له وليس ولاواحد من الكتب التى تصدّىٰ لهذا الموضوع يعادلُه بالبيان وفى التّأثير ويوازيه فى فسحة الأداء والتّعبير فآمِنُوا بالله و رسوله والنّورِ الّذى انزله اليكم والله بما تعملون خبير[1] واعلموا انّه :

«قَدْجاءَكُمُ الرَّسُوْلُ بالحقّ من ربّكم فآمِنُوْا خيراً لكم، وان تكفُرُوْا فانّ لله ما فى السّمواتِ والارض وكانَ اللهُ عليماً حكيماً ١٧٠»[2].

تلك المسئلة الهامّة ، كما ترىٰ، تشتمل على اجزاء ثلاثة وفى القرآن المجيد تجد العناية بالتّكلّم فى كلّ واحدٍ من هذه الأجزاء الثّلاثة با حسن بيان وامتن كلام وافصح تعبير وابلغ تبيان وتقرير.

واليك البيان :

٦٧ ـ القرآن وعرفان المبدء

امّا فى الشّأن الجزء الأوّل من المسئلة، وهو معرفة المبدء (من اين جئنا ؟) فقد اتى القرآن بدقائق عقليّة وحقائق عرفانيّة لايصل الى دركها وشهودها الّا الأوحدىّ من الحكماء المحقّقين والعرفاء الواصلين و يباهى باستنباطها من آياته اقوى العقول الفعّالة من اولياء الحكمة والفلسفة واولى الألباب النافذة فى العلم والمعرفة .

اضف الى هذا انّ تلك الدّقائق والحقائق قدصيغت للتّصريح اوالتّلويح بها، فى القرآن قوالب ممتازة من الفاظ رائقة تكون فى اعلى شواهق الفصاحة وجُمل لايقدر ان يرقىٰ الى ذرىٰ بلاغتها طائر الاوهام الطيّارة : فالكلمات منها رائقة فائقة موجزة وعباراتها انيقة ، رقيقة معجزة، قابلة لأن يدركها العارف ويفهمها العامّى كلٌّ بحسب

---

١ ـ مقتبس من الاية الثامنه من السورة ال ٦٤ (التغابن).

٢ ـ السورة الرابعة (النساء)

قابليته وبقدر استعداده «فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا»[١] ميسّرة حلاوة فهمها لكل من شاء ان يتذكّر منها طريق سعادته ورشاده «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ»[٢].

ونعمّا هي الّتي جرت على لسان **وليد بن المغيرة** احد رؤساء المشركين بمكّة في وصف القرآن من حيث حلاوته وعلوّه وحطمه غيره.

قال **محمّد** بن **جريرٍ الطّبرى** في تفسيره (ذيل سورة المدثّر - ال ١٥٦ -) بأسناده عن **عِكْرِمة**:

«انّ **الوليد** بن **مغيرة** جاء الى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقرأ عليه فكانّه رقّ له فبلغ ذلك **اباجهل** فقال:

«اى عمّ: انّ قومك يريدونَ ان يجمعوا لك مالاً.

«قال: لِمَ؟ قال: يعطونكه، فانّك اتيت محمّداً تتعرّض لما قِبَلَه.

«قال: قد علمت قريش انّى اكثرها مالاً.

«قال: فقل فيه قولاً يَعْلَم قومك انّك منكرٌ لما قال وانّك كارهٌ له.

«قال: فما اقول فيه، فوالله ما منكم رجل اعلم بالأشعار منّى، ولا اعلم برجزه منّى، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ. والله مايُشبه الّذى يقول شيئاً من هذا.

«ووالله انّ لِقوله لَحلاوةً وانّه لَيَحْطِمُ ماتحته، وانّه لَيَعْلُوْ ولايُعلى.

«قال: والله لايرضى قومك حتّى تقول فيه.

«قال: فدعنى حتّى افكّر فيه.

«فلمّا فكّر. قال: هذا سحر....»

وفى رواية اخرىٰ حدّث به **الطّبرى** فى التّفسير:

«دخل **وليد بن المغيرة** على **ابى بكر بن ابى قحافة** (رض) يسأله عن القرآن فلمّا اخبره خرج على قريش فقال:

---

١ - الاية ال ١٧ من السورة ال ١٣ (الرعد)

٢ - ثلاث آيات في السورة ال ٥٥ (القمر)

« يا عجبا لما يقول ابن ابى كَبْشة [١] .

« فوالله ما هو بشعر، ولاسحر، ولا بهذْيٍ من الجنون .

« وانّ قوله لمن كلام الله .

« فلمّا سمع بذلك النّفر من قريش ائتمروا وقالوا، وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبأنّ قريش..... »

والقرآن كما بهر عقول الفصحاء والبلغاء بكلماته وعباراته واسلوبه وبهتهم، بهر عقول اولى الالباب بدقائقه و رقائقه ومقاصده وحقائقه فعجب من احتواء القرآن على ارقّ الحقائق وادقّ المقاصد كلّ فيلسوف خبير وبُهت وتحيّر فى اشاراته الى اهمّ الدّقائق كل متفكّر بصير .

والآن فلنرجع الى ماكنّا بصدده من ايراد نبذ من الآيات الواردة فى شان الجزء الأوّل (عرفان المبدء) فنقول :

اوَ يستطيع بشر ان يصوغ كلاماً فى هذا الشّأن بحيث تصل صياغته فى الجزالة والمتانة والدّقّة والصّحّة والسّهولة والمناعة كعب هذا التعبير ؟ :

« قُلْ هُوَ اللهُ اَحَدٌ اَللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ »

اوكانت على شاكلة قوله الحقّ : ؟

« شَهِدَ اللهُ اَنَّهُ لا اِلٰهَ اِلاّ هُوَ..١٨ » [٢]

اوكانت عديلاً لقوله تعالى؟ :

« قُلِ اللّٰهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءَ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءِ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦

« تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ وَتُخرِجُ الْحَىَّ

---

١ ـ « ... كان المشركون ينسبون النبى الى ابى كبشة، وكان ابو كبشة رجلا من خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان ، وعبدالشعراء ، فلما خالفهم النبى فى عبادة الاوثان شبهوه به . وقيل : هى نسبة الى جد النبى (ص) لامه فارادوا انه نزع اليه فى الشبه » (مجمع البحرين)

٢ ـ السورة ال ٣ (آل عمران) .

مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧ [١]

أَو يتصوّر كلام فى هذا الشأن ابلغ وافصح من قوله الجامع الكامل، تعالى شانه؟:

«هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٤ [٢]

أَوَليس بكاف لمن اراد عرفان الحقّ الأوّل، تعالى شانه، حقّ الكفاية ان يتامّل فى هذه الآيات؟:

«قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟.

«فَسَيَقُولُونَ: اللهُ.

«فَقُلْ: أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١؟

«فَذٰلِكُمُ الحقّ، فماذا بَعْدَ الْحقّ إلّا الضَّلال فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢....

«قُلْ: هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَءُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٣٤.

«قُلْ: اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٥ [٣]

هذه نبذة ممّا وردت فى القرآن الأجلّ حولَ الشأن الاوّل.

ولعلّه لايخفى على الناظر المتدبّر ما فى الآية الأخيرة من الأشارة الى ماذكرناه

---

١ ـ السورة الثالثة (آل عمران)

٢ ـ السورة ال ٥٩ (الحشر)

٣ ـ السورة العاشرة (يونس)

سابقا من انّ تنظيم المنهاج الكامل للهداية والبرنامج الكافل لجميع مايرشد الانسان الى طريق الخير وكسب الكمال وتحصيل السّعادة لايمكن لأحدٍ غيرالله فهوالحقّ وكلامه بان يتّبع احقّ.

«....قَدْ اَنْزَلَ اللهُ اِلَيْكُمْ ذِكْرا ۱۰ رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ الى النُّورِ. . . . ۱۱» ۱

۷۰ ـ القرآن وبيان المعاد

واما فى الشّأن الجزء الثّانى وهو كيفيّة المعاد (الى اين نروح ؟) فقد وردت فى القرآن الحميد لبيان المعاد والنّشأة الآخرة والأشارة الى الدّرجات المتفاضلة والمراتب المتكثّرة فى تلك النّشأة تبعاً للدّرجات المتفاوته فى العقل والعلم والمراتب المختلفة فى العمل فى هذه النّشأة الأولى، كلمات فصيحة وعبارات بليغة واشارات انيقة وتنبيهات موقظة موجزة وآيات بيّنة ليعقل من تدبّر فيها ويفهم منها من نظر اليها كلٌ على ما يُسِّرَ لما خُلق لها.

القرآن، اماط اللّثام عن وجه مجهولات نشأة الآخرة، وكشف الغطاء عن مبهماتها، فاشار الى الموت وكيفيّة تحقّقها، وبيّن حقيقة الحياة الطيّبة الخالدة وحقيقة الكمال والسّعادة، وهدىٰ الى المستقيم من سُبُل تحصيلها، وافصح عن التّهلُكة والنّقص والشّقاوة وارشد الى لزوم التجنّب عن سلوك مسالك المهالك والاقتحام فى مفاوزها.

بيّن القرآن مايرتبط بالموت ومايترتّب عليه بياناً لايكاد يوجد له فى هذه الفسحة مثل و نظير مراعياً فى البيان والأفصاح اختلاف مدارك الأشخاص و افهام الأصناف وعقول النّاس من حيث مقامهم فى التّدبّر والتّعقل والأستعداد.

---

۱ ـ السورة ال ٥٦ (الطلاق)

٧١ ـ معرفة المعاد فى القرآن

فمما وردت فى هذا الشأن:

١ - قوله تعالى : «زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَنْ لَنْ يُبْعَثُوْا : قُلْ : بَلىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بما عَمِلْتُمْ ، وَذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْر ٧»[1] .

٢ - قوله تعالى : «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوْءٍ تَوَدُّ لَوْ اَنَّ بَيْنَها وبَيْنَه اَمَداً بَعِيْداً.... ٣٠»[2] .

٣ - قوله تعالى : «ااِذامِتْنٰا وَكُنّٰا تُراباً ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيْدٌ ٣ قَدْعَلِمْنٰا مٰا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيْظٌ ٤»[3] .

حيات الانسان بعد مماته

٤ - قوله تعالى : «اَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ اَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَاِذا هُوَ خَصِيْمٌ مُبِيْنٌ ٧٧ وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَه قال : مَنْ يُحْيِى الْعِظامَ وَهِىَ رَمِيْمٌ؟ ٧٨ قُلْ : يُحْيِيْها الَّذِىْ اَنْشَأَهٰا اَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌ ٧٩ . الَّذِىْ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَاِذا اَنْتُمْ مِنْهُ تُوْقِدُوْنَ ٨٠ اَوَلَيْسَ الَّذِىْ خَلَقَ السَّموٰاتِ وَالْأَرضَ بقادِرٍ عَلىٰ اَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بلىٰ وَهُوَ الخَلّاقُ الْعَلِيْمُ ٨١ اِنَّما اَمْرُهُ اِذا اَرادَ شَيْئاً اَنْ يَقُوْلَ لَه : كُنْ ، فَيَكُوْنُ ٨٢»[4]

٥ - قوله تعالى : «وَقٰالُوا : اِنْ هِىَ اِلّا حَيٰاتُنٰا الدُّنْيٰا وَمٰا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ ٢٩ وَلَوْتَرىٰ اِذْ وُقِفُوا عَلىٰ رَبِّهِم قال : اَلَيْسَ هٰذا بِالْحَقِّ ؟ قالُوا: بَلىٰ وَرَبِّنٰا. قال : فَذُوْقُوا الْعَذابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ ٣٠ قَدْخَسِرَ الَّذِيْنَ

---

١ - السورة ال ٦٤ (التغابن)

٢ - السورة الثالثة (ال عمران)

٣ - السورة ال ٥٠ (ق)

٤ - السورة ال ٣٦ (يس) .

كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ حَتّى اِذا جائَتْهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا : يا حَسْرَتَنا عَلى
ما فَرَّطْنا فيها وَهُمْ يَحْمِلُونَ اَوْزارَهُم عَلى ظُهُورِهِم، اَلا ساءَ ما يَزِرُونَ ٣١
وَما الْحَياةُ الدُّنْيا اِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ. وَلَلدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذينَ يَتَّقُونَ
اَفَلا تَعْقِلُونَ ؟ ٣٢ »[1]

هذه نماذج ممّا ورد فى القرآن الحكيم لهذا الشأن العظيم وسيتلى عليك آيات أخرى تناسب هذا الموضوع حين البحث عن الأصول الأعتقاديّة وسيجيء هنا بعض ما اُنزل فى شأن الجنّة والنّار ومعاد الأبرار والاشرار .

« يا ايتها النَّفْسُ المُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي اِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَةً فَادْخُلِي فى عِبادِي وَادْخُلي جَنَّتي » .

٧٢ ـ القرآن ومنهاج العمل

وامّا فى الشّأن الجزء الثّالث (ما يجب على الأنسان فى مقام العمل) وهو الّذى له شأن من الشّان وهو ، بالحقيقة ، امّ الشئون واهمّها وأسّ قوائم الحياة واتمّها ولأجله يتحرك ويسير كلّ فرد ، ان يصطاد منهاجاً وميزاناً بل وباتّباعه يصير الأنسان انسانا .

القرآن المجيد شامل لبيان جميع ماينفع الناس

ماورد فى هذا الشّأن الخطير فى القرآن الحميد ، هو ، بالحقيقة ، برنامج استوفى تكاليف الأنسان وافصح عن وظائفه ايّام حياته فى هذه النّشأة الدنيويّة وهو شرعة انتظم فيها جميع الشّرائع والشّعائر واشتملت على تمام الموادّ الّتى ينفع العمل بها للمعاش وفى المعاد ومنهاجٌ اندرج فيه كيفيّة العمل فى هذه الحياة بحيث يستتبع الكمال وصراط حقٍّ سَوىٍّ يترتّب على سلوكه الوصول بالخيرات والسّعادات .

القرآن المجيد، وهو اساس التّشريع الاسلامى ومبدؤه ومآله وفيه انطوى الأحكام: حرامه وحلاله، كاملٌ شامل محيط جامع .

الشّارع الاسلامى احاط بنظره النّافذ الوسيع المحيط الى جميع شئون الفرد البشرى

---

١ ـ السورة السادسة (الانعام)

ورمّة نواحي المجتمع الأنساني في كل مراحل الكيان والتحقق وباعتبار تمام الأوضاع والاحوال و من حيث جميع شتات الظروف و المقتضيات ، زماناً و مكانا وقابليةً واستعداداً ، و ، بالجملة ، نظر الشارع الى كل ما له تأثيرما في سوق البشر الى الكمال وايصاله الى السّعاده ثم شرع للناس من المنهاج والدّين مالايمكن ان ينسب وضعه الّا الى الله العالم الخبير القادر المحيط بكل شيءٍ من كل ناحيةٍ ولكل شأنٍ يتصوّر فيه .

فالله تبارك وتعالى اتمّ نعمته على النّاس وهديٰهم سبيل الرّشاد وانزل عليهم القرآن وعلّمهم الكتاب والحكمة وعلّمهم بالقرآن مالم يكونوا يعلمون . قوله الحق :

« . . . وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٠ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ١٥١ » [١]

٧٣ - كمال المنهاج الاسلامى

شرع الاسلام حاوٍ لكل ما يصلح الفرد والمجتمع

الشرع الأسلامي ، كمالا مثيل له في الشّرائع الموضوعة البشريّة من حيث الكاملية والجامعيّة ، وبلحاظ مراعاة الشئون السّتّة المذكورة ، فهكذا لانظير له في الشّرائع السّماويّة ، فهو يمتاز عن جميعها بالفضيلة والكمال وكيف لا وهو يحتوى على كليّاتٍ جامعةٍ لأصلاح المجتمع ولأكمال الفرد وهذا سواءٌ اكان لصيانة جسمه وطهارة بدنه ونقاوة جسده ام كان لتزكية روحه وقداسة باله وخلده وسواءٌ اكان لرفاهٍ في معاشه ام لصلاحٍ لمعاده .

على انّ تلك الكليّات الموضوعة والقواعد الكاملة المشروعة روعى فيها تناسبها لكل زمانٍ ولوحظ انطباقها ، على كل مكانٍ وصلوحها لأرشاد كل انسان كائناً من كان وفي ايّ مصرٍ وعصرٍ بانَ .

المشروع الأسلامي باحتوائه الأصول والكليّات ونفوذ نظره في جميع نواحي الأشياء

---

١ - السورة الثانية (البقرة) .

و انحاء الموضوعات و رعايته رُمّة مقتضيات الأحوال و الأوضاع و توجّهه الى عامّة الظّروف والأرجاء و بتشريعه حكماً مناسباً لأئقا لكلّ موضوعٍ فى كلّ وضعٍ وحالٍ ، سواءٌ أكان ذلك الحكم على وجه الأختصاص ام كان بنحو العموم والأشتمال (الأوّل ما يطلق عليه ، « المسئلة الفقهيّة» والثانى ما اصطلح له « القاعدة الفقهيّة ») وسواءٌ أكان ذلك الموضوع منظوراً بعنوانه الأوّليّ الذّاتى ام مأخوذا بعناوينه الثّانية الطّارية ، شرعٌ وحيدٌ لايوازيه شرع و منهاج الهيّ ، يصلح لارشاد البشر و هدايته الى سعادته ليوم الجمع ، وهو يضمن للانسان ، الحياة الطيّبة الخالدة و الفوز بالخيرات وكمالاته اللّائقة . من اتّبعه وعمل به رشد فى الحال وفاز بسعادته فى المآل .

المشروعات الاسلامية لضمن للانسان الحيوة الطيبة الخالدة

« اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِیْ اَنْزَلَ عَلٰی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَلَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ١ قَیِّماً لِیُنْذِرَ بَأساً شَدِیْداً مِن لَدُنْه وَیُبَشِّرَالْمُؤْمِنِیْنَ الَّذِیْنَ یَعْمَلُونَ الصالِحاتِ اَنَّ لَهُمْ اَجْراً حَسَناً ٢ » [1]

نعم قدانزل الله القرآن ، تلك الآيات البيّنات ، ليخرج الناس ، من آمن منهم وعمل الصّالحات ، من الظّلمات الى النّور .

« ... قَدْ اَنْزَلَ اللهُ اِلَیْکُمْ ذِکْراً ١٠ رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْکُم آیاتِ اللهِ مُبَیِّناتٍ ، لِیُخْرِجَ الَّذِینَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ اِلَی النُّورِ . . . ١١ » [2]

٧٤ ـ القرآن وارشاده الى العمل الصالح

والآن فانظر الى مايتلى عليك نماذج من الآيات النّازلة فى شان مايجب ، او ينبغى ، ان يُعمل بها فى هذه الحيات الدّنيا واسمع قوله الحقّ :

« وَما تَکُونُ فِی شَأْنٍ وَما تَتْلُوا مِنْه مِنْ قُرآنٍ وَما تَعْمَلُونَ

١ ـ السورة ال ١٨ (الكهف) .
٢ ـ السورة ال ٦٥ (الطلاق) .

مِنْ عَمَلٍ إلاّ كُنّا عَلَيْكُم شُهُوداً إذْ تُفِيضُونَ فيه وَمَا يَعزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ إلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ ٦١ » [1]

ثمّ تدبّر الآيات قوله تعالى :

آيات في الارشاد الى الاعمال الصالحة

١ ـ « لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ وَلكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ والمَلائِكَةِ وَالكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المالَ ، عَلَى حُبِّهِ ، ذَوِي القُرْبَى ، واليَتامَى ، والمَساكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَالسّائِلِينَ ، وَفِي الرِّقابِ ، وَأَقامَ الصَّلوةَ وآتَى الزَّكوةَ ، وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ اذا عاهَدُوا ، وَالصّابِرِينَ فِي البَأْساءِ وَالضَّرّاءِ وَحِينَ البَأْسِ ، أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وأُولئِكَ هم المُتَّقُونَ ١٧٧ » [2]

٢ ـ قوله تعالى :

« وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمواتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ ، وَالكاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعافِينَ عَنِ النّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ١٣٤ وَالَّذِينَ إذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا اللهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ١٣٦ » .

٣ ـ قوله تعالى :

« إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ ، وَإِيتاءِ ذِي القُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٥ وَأَوْفُوا

---

١ ـ السورة العاشرة (يونس)

٢ ـ السورة الثانية (البقرة)

بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ ، وَلا تَنقُضُوا الأَيْمانَ ... ٩١ »[1]

٤ ـ قوله تعالى :

« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ٨ »[2]

وعليكَ بالتّدبّر والغور فى هذه الآية الأخيرة فيا لها من البيان الموجز الجامع الكامل الكافل للارشاد الى الكمال والخير والسّعادة .

الانسان رهين عمله ان خيرا فخيرا وان شرآ فشرا

أجل من يعمل مثقال ذرّة خيراً فى هذه الحياة الدّانية يراه بعينه فى الدّار العالية الآخرة وهكذا من يعمل مثقال ذرّة شراً يريه وكيف لا و« كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ »[3]

ولعلىّ باب مدينة العلم ، عليه السلام ، فى هذا المضمار كلمات بليغة نجعل نبذاً منها ختام الكلام عن « الرّسالة » ثمّ نتبرّك بالفحص عن حال شخص « الرّسول » محمّد ابن عبدالله ، رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ونشير الى بعض ما كان له من المجد والعظمة والكرامة والجلالة[4] وعلى الله التّكلان ومنه التّوفيق وهو المُستعان .

قال عليه السّلام على ما فى نَهج البلاغة :

« اَلْحَمْدُ لله الّذى شَرَعَ الإسلام فَسَهَّلَ شرائعه لِمَنْ وَرَدَه ، واَعزّ اركانه على مَنْ غالبَه فجعلهُ اَمْناً لمن عَلِقه ، وسِلْماً لمن دَخَلَه ، وبرهاناً لِمَنْ تكلّم به ، وشاهداً لمن خاصَمَ به ، ونُوراً لمن استَضاء به ، وفَهْماً لمن عَقَل ، ولُبّاً لمن تدبّر ، وآيةً لمن تَوَسَّمَ ، وتبصرةً لمن عَزَمَ ، وعبرةً لمن اتّعَظَ ، ونَجاةً لمن صَدَّقَ ، وثِقَةً لمن توكّل ، وراحةً لمن فَوَّضَ ، وجُنّةً لمن صَبَرَ ، فَهُوَ ابلجُ الْمَناهِجِ ،

---

١ ـ السورة ال ١٦ (النحل) .

٢ ـ السورة ال ٩٩ (الزلزلة) .

٣ ـ السورة ال ٧٤ (المدثر) .

٤ ـ وسنورد هنا ايضا نبذة من الآيات التى تناسب هذا الموضوع اى منهاج العمل .

واوضح الولائج، مشرف المنار، مشرق الجواد، مضيء المصابيح، كريم المضمار، رفيع الغاية، جامع الحلبة، متنافس السبعة؛ شريف الفرسان، التصديق منهاجه، والصالحات مناره ... الخطبة» (ص ٩١٠)

وقال عليه السلام ايضا :

«بعثه بالنور المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي... ارسله بحجة كافية، وموعظة شافية ودعوة متلافية، اظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة، فمن يتبع غير الإسلام دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته، ويكون مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل»

افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ٨٣[١] ان الدين الجامع لكل خير وصلاح، الكافل للسعادة والفلاح عندالله، الاسلام .

«ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه (من وقت ظهوره الى يوم النشور) وهو في الآخرة من الخاسرين ٨٥»

رفعة مقام القرآن وسموه حتى في نظر المنكرين والماديين

وههنا وقدحان حين ختم الكلام عن القرآن المجيد يعجبني ان اورد ما تذكرتها من الابيات التي انشأها في شان القرآن المجيد، المصري الكافر بالإسلام، بل بكل دين، شبلي شميل صاحب كتاب «النشوء والارتقاء» وهي هذه :

«دع من محمد في سدى قرآنه ما قد نحاه للحكمة الغايات
«اني وان اك قد كفرت بدينه هل اكفرن بمحكم الآيات؟
«ومواعظ لو انهم عملوا بها ما قيدوا العمران بالعادات
«نعم المدبر والحكيم وانه رب الفصاحة مصطفى الكلمات

---

١ - من السورة الثالثة (آل عمران).

«رجُل الحِجى رجُل السِّياسة والدَّهاء[١] بَطَلٌ حليف النّصر فى الغارات
« ببلاغة القرآن قد جَلَبَ النُّهى[١] وبسيفه انْحَنى[١] على الهامات
«مِنْ دُونِهِ الأبطال [٢] فى كلّ الورى[١] من غائبٍ او حاضرٍ او آتِ

«يا ايُّها النّاسُ قدْ جاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينْ ٥٧ »[٣]

صدق الله العظيم

---

١ ـ هذا على مذهبه المادى الطبيعى الذى لايخضع للوحى والالهام.

٢ ـ لعله يشير بهذه الكلمة الى ابطال كتاب « الابطال » للفيلسوف الانكـريزى ، كارليل توماس.

٣ ـ السورة العاشرة (يونس)

«لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المؤمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً من اَنفُسِهِمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِم آيَاتِه وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكتابَ وَالْحِكْمَةَ . . . . »

(القرآن المجيد)

« . . . حتّى اَفْضَتْ كرامةُ الله ، سبحانه وتعالى ، الى محمّد صلّى الله عليه وآله فأخْرَجَهُ مِنْ اَفْضَلِ الْمعادِنِ مَنْبِتاً وَاَعزِّ الأُرُوْمات مَغْرِساً . . . . عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ واُسْرَتُه خيرُ الأُسَر . . . . . »

(نهج البلاغه)

٥ ـ حولَ شخصيّة الرّسول ، العُظمى صلّى الله عليه وآله وسلّم :

١ ـ رسول الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم .

٢ ـ اُسرة الرّسول المكرّمة .

٣ ـ اوصافه فى خلقته وحِليته وشمائِله .

٤ ـ خُلقه العظيم .

٥ ـ بعثته المباركة .

٦ ـ دعوة الرّسول .

٧ ـ نماذج ممّا دعا اليه الرسول.

٧٧ـ رسول الإسلام صلّى الله عليه و آله وسلّم

لا اظنّ ان يوجد فى طول التّاريخ البشرى وعرضه تاريخ حياة فرد من افراد الإنسان، رسولاً كان اوغيره، كتاريخ حياة رسول الاسلام **محمّد** بن **عبدالله** مضبوطاً بجزئيّاته : فى استقصاء جميع شئونه واستقراء كلّ ما يتعلّق به من حالاته، فى حياته وصفاته وسماته فى ذاته واحصاء حركاته و سكوناته واقواله وافعاله وكلّ ذلك على النّحو الجلىّ الّذى لا ريب فيه ولاخلاف يعتريه.

تاريخ حيات نبى الاسلام اشمل تاريخ للحيات واكمله

استوفِىَ تاريخ **محمّد** بن **عبدالله**، رسول الإسلام صلّى الله عليه و آله وسلّم، فى رُمّة نواحِى حياته وفى كلّ شئونه وجهاته، سواء اكان من حيث اُسرته السّامية ـ الشّريفة ام كان باعتبار خصوص والده الماجد او والدتها المكرّمة ام كان من حالاته الشّخصيّة وحياته الفرديّة من بادى بدء تكوّنه فى الأصلاب الشّامخة والأرحام الطّاهرة ومن فاتحة امره وطلوعه الى حين وفاته ورجوعه وذلك لكونه مطمحاً للانظار، مورداً للتّوجّه والأعتبار مضبوطاً فى الخواطر و الأذهان تتداوله الألسنة و الأفواه وتتناقلته القراطيس والأقلام وتتناولته الأسماع والأبصار.

ضبط التّاريخ، تاريخ، الرّسول مبتدءً من آبائه وامّهاته وزواج والديه الى يوم تولّده ورضاعه وفطامه الى يوم تَرَعْرُعِه الى يوم رشده ونُشُوئِه الى يوم بعثة ونُبُوُّته الى حين رجوعه الى رَبّه كلّ يوم من ايّام حياته، بل كلّ لحظةٍ من لحظات وجوده، سواء اكان فى حركاته ام سكوناته وسواء اكان فى افعاله ام اقواله، فى جَلَواته ام خَلَواته حتّى فى كيفيّة معاشَرته مع نسائه ومحاوَرته مع زوْجاته.

فانظر الى شرذمةٍ منها نوردها، هنا مراعياً جانب الأختصار والتّلخيص واعتبر.

٧٨ ـ أُسْرة الرّسول المكرّمة

كانت قبيلة قريش اشرف قبائل الّتى استوطنت من سوالف الاعصار بمكّة،

خيربلاد الحجاز وامّ قربـٰها ، وكانت اسرة بنى هاشم اشرف سُلالة انسَلّت من تلك القبيلة والسّلالة وكان من هذه الأسرة والفخذ ومن مشاهير هذه العشيرة والبطن [١] بل ورئيسها المعظّم وشيخها المكرّم **عبدالمطّلب** بن هاشم وكان لعبد المطّلب عدّة ابناء احبّهم الى الوالد الماجد اصغرهم **عبدالله** ، والد **محمّدٍ** ، الرّسول الكريم [٢] .

تُوُفّى **عبدالله** وكان ابنه ، **محمّد** حملاً ، على اصحّ القولين ، اوله سبعة اشهر على قولٍ ، وماتت امّه بالأبواء (الأبواء موضع بين المدينة وبين مكّه) حين انصرافها من زيارة اخواله ولمّا استكمل **محمّد** بعدُ وقتئذٍ سبعَ سنين ، وكان كفيلُ امره جدّه **عبدالمطّلب** . وتُوُفّى جدّه وله ثمان سنين ، على المشهور ، او ستّ ، او عشر على قولين آخرين .

تكفل ابى طالب للنبى (ص)

وحين ما قربت وفاة جدّه **عبدالمطّلب** او صىٰ به الى عمّه **ابى طالب** فكفلّه عمّه ، **ابوطالب** و استمرّت كفالته . فلمّا بلغ اثنتى عشرة سنة خرج به عمّه الى الشّام وفى هذا السفر رآه الرّاهب ، بحيراء ، واسرّ ببعض شأنه الى عمّه **ابى طالب** و امَرَه ان لا يذهب به الى الشّام وعرّفه عداوة اليهود له وحذّره منهم فأرجعه عمّه مع بعض رجاله الى المدينة .

---

١ ـ « الفخذ فى العشائر اقل من البطن ، اولها الشعب ، ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ » (صحاح اللغة)

٢ ـ « نذر عبدالمطلب ، حين لقى من قريش العنت فى حفرز مزم ، كما نذكره ، لئن ولد له عشرة نفر وبلغواسعه حتى يمنعوه لينحرن احدهم عند الكعبة لله تعالى . فلما بلغوا عشرة وعرف انهم سيمنعوله اخبرهم بنذره....» (الكامل)

« فجملة التى تزوجهن عبدالمطلب خمس فولدن له اثنى عشر ابناً ، على ما فى الصفوة او ثلاثة عشر ، على ما فى « ذخائر العقبى » او عشرة ، على ما فى « سيرة بن هشام .... » (تاريخ الخميس)

وكيف كان ، كان عبدالله اصغرهم حين اراد عبدالمطلب ، النحر والا فالعباس وبعده حمزة كانا اصغر سناً من عبدالله ولعلهما ولدا بعد وفاة عبدالله ولم يدركا زمانه وعلى هذا فكان عبدالله اصغر الموجودين وقتئذ .

قال عليّ في خطبة يذكر فيها الأنبياء :

«فاستودَعَهم في افضل مُستودَع واَقرَّهم في خيرِ مُستقَرّ تناسختهم كرائم الاصلاب الى مُطهَّراتِ الأرحام . كلّما مضى منهم سَلَفٌ قام منهم بدين الله خَلَفٌ . حتى اَفضَت كرامةُ الله ، سبحانه وتعالى ، الى محمدٍ صلى الله عليه وآله . فأخرجَهُ مِن افضل المعادن مَنبِتاً واَعزّ الأرومات مَغرِساً ، من الشّجرة - التي صَدَعَ منها انبيائه ، وانتخبَ منها اُمنائه ، عِترَتُه خيرُ العِتَر ، واُسرَته[1] خير الأُسَر ، وشجرته خيرُ الشّجر ، نَبَتَت في حَرَمٍ ، وسَبَقَت في كَرَمٍ ، لها فروعٌ طِوال ، وثمرٌ لايُنال . فهو امامُ مَن اتّقى وبصيرةُ مَن اهتَدى ، سراجٌ لَمَعَ ضَوئُه وشِهابٌ سَطَعَ نُورُهُ وزَندٌ بَرَقَ لَمعُه ، سيرَتُه القَصد ، وسُنّتُه الرُّشد ، وكلامُه الفَصل ، وحكمُه العَدلُ » .

مغرس النبي وعترته وسيرته وسنته

وقال عليه السّلام في خطبة اخرى له :

« مُستقَرُّه خيرُ مُستقَرّ ، ومَنبِتُه اشرفُ مَنبِت في معادن الكرامة ومَماهِدِ[2] السّلامة . قد صُرِفَت نحوه افئدةُ الأبرار ، وثُنّيَت اليه ازمّةُ الأبصار ... »

وقال في موضعٍ آخر :

« . . . اختارَهُ مِن شَجَرةِ الأنبياء وذُؤابةِ العَلياء وسُرّةِ البَطحاء ومَصابيحِ الظُّلمة وينابيعِ الحِكمَة » .

٨٠ ـ اوصافه في خلقته وشمائله وحليته

عن امالي الشيخ ، على ما في بحار الأنوار ، عن ابن الصّلت عن ابن عُقدة بإسناده عن الأمام عليّ بن موسى الكاظم عن آبائه عن جدّه عليّ ، عليهم السّلام ، حين قالوا

---

١ ـ اسرة الرجل رهطه و رهط الرجل قومه وقبيلته .

٢ ـ جمع « مهد » على خلاف القياس نظير « محاسن » في جمع «حسن» و « مساوى» في جمع « سوء » .

له : صِفْ لنا نبيّنا (ص) كأنّنا نراه فأنّا مشتاقون اليه .

فقال عليه السّلام :

«كان نبيُّ الله ابيضَ اللّون مُشرَباً حمرةً [١] اَدْعَجَ العينين [٢] سَبِطَ الشَّعْر [٣] كَثَّ اللّحية ذاوَفْرَة [٤] دقيقَ المَسْرُبة [٥] كأنّما عُنقه ابريقُ فضةٍ يجرى فى تراقيه الذّهب . له، شَعْرٌ من لَبّته [٦] الى سُرّته كقضيب خيط الى السُّرّة، وليس فى بطنه ولاصدره شَعْر غيْرُه ، شَثْنُ الكفَّيْن والقدمَيْن شَثْن [٧] الكَعْبَيْن . اذا مَشى كأنّه ينقلع من صخرٍ ، اذا اقبل كأنّما ينحدِرُ من صَبَب [٨] . اذا التَفَتَ ، التفتَ جميعاً بأجمعه كلّه . ليس بالقصير المُتَرَدِّد [٩] ولا بالطّويل المُمَّغِط [١٠] وكان فى الوجه تداوير، اذا كانَ فى النّاس غَمَرَهم [١١] كأنّما عَرَقَه فى وجهه اللّؤلؤ، عَرَقُه اَطْيَبُ من ريح المُسْكُ . ليْسَ بالعاجز ولاباللّئيم . اكرمُ النّاس عشرة [عشيرة خ ل] والينُهم عريكةً واجودُهم كفاً، مَنْ خالَطَهُ بمعرفة اَحَبَّه ومن رآه بديهةً هابَه ، عِزُّه بين عيْنَيْه يقولُ باغِتُه : لم اَرَقَبْلَه ولا بَعْدَهُ مثله [١٢] صلّى الله عليه وآله » .

اوصاف النبى (ص) على ماوصفه على (ع)

ووصفها امّ معبد الخزاعيّة لزوجها ، **ابومعبد**، حين هجرته ، صلّى الله عليه وآله

---

١ - عالياً حمرته على بياضه.
٢ - شديدة السواد فى شدة بياضها.
٣ - خلاف الجعد. اى كان مسترسل الشعر .
٤ - كان يصل شعر رأسه الى شحمة الاذن .
٥ - الشعر وسط الصدر الى البطن.
٦ - موضع القلادة من الصدر .
٧ - مثل شثل ، لفظا و معنى ، يقال :فلان شثل الاصابع اى خشن الاصابع وغليظها .
٨ - من فوق.
٩ - المتناهى فى القصر .
١٠ - تمغط وامغط الشيء امتد وطال. اصله منمغط (والانمغاط هوالتمادى فى الطول) قلبت نون المطاوعة وادغمت فى الميم فصارت ممغط.
١١ - كان فوق كل من كان معه.
١٢ - اى يظهر عزه فى وجهه اولا قبل ان يعرف فمن رآه بغتة لايخفى عليه عزه.

وسلّم، الی المدینة ومروره فی مسیره نحوها بخیمتها فی قصة ٍستجیء الیها الأشارة فقالت فی ما وصفته صلّی الله علیه وآله وسلّم لزوجها :

« ظاهرُ الوَضاءَة ، ابلج ، مُشرقُ الوجه ، حَسَنُ الخُلق ، لم تَعِبهُ نَجلَهُ [۱] ولم تزریه صَعلَهُ (دقّة الرّاس والعنق) وَسیمٌ قَسیمٌ ، فی عَینَیه دَعَجٌ [۲] و فی اَشعاره وَطَف (کثرة شعرالحاجبن) .

وفی صوته صَحَلٌ (ای خشونة) وفی عُنُقه سطح ، اَحوَر، اَکحَل، ازجُّ [۳] اَقرَنُ [٤] ، شدید سَوادالشَعر ، اذا صَمَتَ علاه الوَقار، وان تکلّم علاه البَهاء . اَجمَلُ النّاس واَبهاهُم من بعیدٍ ، واحسنُهم، واحلاهم من قریبٍ . حُلوُالمَنطِق فصل ، لانزرٌ ولاهَذِرٌ [٥] کأنَّ مَنطِقَهَ خَرَزاتٌ نُظِمنَ یَتَحدَّرنَ . رَبعَةٌ [٦] لاتقحم عینٌ مِنٌ قصرٍ ،ولاتَشنَئُوه من طُوْلٍ، غُصْنٌ بینَ غُصنَین فهو اَنضَرُ الثّلاثه منظراً واَحسَنُهم قدراً . له رفقاء یَحفُوْن به ، اذا قال استَمَعُوا لقوله، واذا اَمَرَ تَبادَرُوا الی اَمرِه محفود [۷] . »

فقال زوجها ، **ابومعبد** :

« والله هذا صاحب قریش الّذی ذکروا من امره ما ذکروا ، لقد هممتُ ان اصحبه، ولأفعلنَّ ان وجدتُ الی ذلکَ سبیلاً » .

اوصاف النبی (ص) علی ما وصفه ام معبد

۸۲ــ وصف هند بن ابی هالة حلیة النّبی

قد ورد فی کتب «العامّة» و «الخاصّة» المعتبرة بأسنادهم عن الامام **الحسن** بن

---

۱ ـ سعة العین و حسنه.

۲ ـ شدة سواد العین مع سعتها.

۳ ـ « ازدج حاجبه : رق فی طول فهو ازج » .

٤ ـ « مقرون الحاجبین » .

٥ ـ فصل بین الحق والباطل . لانزر . بطئی ولاهذر: متکلم بمالاینبغی.

٦ ـ « الوسیط القامة » .

۷ ـ مخدوم.

على بن **ابيطالب** انه قال :

« سألتُ خالى **هند** بن **ابى هالة** التميمى (ابو هالة ، هذا ، كان زوج خديجة - الأول قبل تزويجها برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فولدت له **هنداً** و**هالة** ولذا عبّر الأمام (ع) عن **هند** بن **خديجة** بالخال) عن حِلية رسول الله (ص) وكان وصّافا للنّبى (ص) فقال :

اوصاف النبى على ماوصفه هند ابن ابى هالة

« كان رسول الله فخماً مُفخّماً يتلألؤ وجهُه تلألؤَ القمر ليلةَ البدر، اطول من المربوع واقصر من المشذب، رجِل الشّعْر، ان انفرقت عقيقته فرق وإلّا فلايجاوزُ شعْره شحمةَ اذنيْه اذا هو وفره، ازهر اللّون ، واسع الجبينين ازجّ الحاجبَيْن سوابغ غيرقرن بينهما ، له عِرق يدرّه الغضب ، اَقنى العِرْنينْ [١] ، له نورٌ يعلوه ، يحسبه مَنْ لَمْ يتأمّلْه اشم [٢] ، كثّ اللّحية، سهل الخدّين، ضليع الفم، اشنب [٣]، مفلّج الأسنان دقيق المسرُبة ، كأنّ عنقه جيد دُمْيَة [٤] فى صفاء الفضّة ، معتدل الخلق ، بادناً مُتَماسِكاً سواء البَطْن والصّدر ، بعيد ما بَيْنَ الْمَنكِبَيْن ، ضخم الكراديس [٥] ، انور المتجرّد، موصول مابين اللُّبَّة والسُّرّة بشَعْر بجرى كالخطّ، عارى الثّديين والبطن ممّا سوى ذلك ، اشعَر الذّراعين والمنكِبَيْن واعالى الصّدر، طويل الزّندين، رحب الرّاحة، شثْن الكفَّيْن والْقدَمَيْن، سائل الأطراف، سبط القصب ، خُمْصانُ الأخمصين، مسيح القدمين ينبوعنهما الماء، اذا زال زال قلعاً، يخطو تكفّؤاً ويمشى هونا، ذريع المشية ، اذا مشى كانّما ينحطّ فى صَبَب [٦] ، واذا التفتَ التفتَ

---

١ - قنى الانف : « ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه » - العرنين : « جمع عرانين ، الانف كله او ما صلب منه ».

٢ - « شم الانف : ارتفع اعلاه ».

٣ - « شنب الرجل : كان ابيض الاسنان حسنها »

٤ - « دمية، جمع دمى : الصور المزينة فيها حمرة كالدم »

٥ - « الكردوسة ج كرادس وكراديس : كل عظم تكردس اللحم عليه ».

٦ - فى استقرار قدماه.

جميعاً . خافض الطّرف ، نظره الى الأرض اَطْول من نظره الى السّماء، جُل ّ نظره الملاحَظة . يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَهُ بالسَّلام ِ » .

« قال قلت له : فصِف لي منطقه . فقال :

« كانَ واللهِ نَبِيُّ اللهِ اَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرَبّاً حُمْرَةً . . . . . »

الى آخرما نقلناه آنفاً عن « بحارالأنوار » عن عليّ اميرالمؤمنين(ع) .

٨٣ ـ خُلْقُه العظيم

اتّفق كلام المخالف والمؤالف واجمع المنازع والمتابع على انّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم كان في جميع اطوار حياته ممتازاً بالكمال عن سائر ابناء النّوع فكان متخلّياً عن الرّذائل متحلّياً بجميع الفضائل وكان صديقا اميناً بحيث اشتهر عندهم بوصف الأمانة واعترف له الدّاعدائه بأنّه صادق امين حتّى لقبّوه بينهم بمحمّد « الأمين » . كان النبي(ص) كاملا في جميع الاوصاف الكمالية

لمّا كان صلّى الله عليه وآله وسلّم مسدّدا مؤيّداً من عندالله، مكرّماً مقرّباً لديه ، كانت شِيَمَه شريفة زكيّة طاهرة، واخلاقه حميدة عظيمة فاضلة، واعماله سديدة مرضيّة صالحة . نَعَم كلٌّ من في الوجود يعمل على شاكلته ويرشح بمااستُودع في وعاء سجيّته وارتكز في اناء طويّته .

قال عليّ (ع) في بعض خطبه آمراً للتّأسّي بالرّسول (ص) :

« فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر ـ ص ـ فأنّ فيه اُسْوةً لمن تأسّى وعزاءً لمن تَعزّى . واَحَبُّ العباد الى الله ، الْمُتَأَسِّيْ بنبيّه والمقتصّ لاثره قَضَمَ الدُّنيا قَضْماً ولم يُعِرْها طَرْفاً ، أَكْضم اهل الدنيا كَشْحاً واَخْمَصُهم من الدّنيا بَطْناً ، عُرِضَتْ عليه الدّنيا فأبى ان يَقْبلها ، وعلم انّ الله سبحانه ، ابغض شيئاً فأَبغضه وحَقَّرَ شيئاً فحقّره وصغّر شيئاً فصغّره . . . . ولقدكان (ص) يأكُلُ على الأرض ويجلِسُ جلسة العبد ، ويَخْصِفُ بيده نَعْلَه ، ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمارَ العاري ، ويَرْدف خلْفَه ، ويكونُ السّتْرُعلى باب بيته فتكون فيه التّصاوير ، فيقول :

« يا فلانة - لأحدىٰ ازواجه - غَيِّبِيه عَنّي فَانّي اِذا نَظَرْتُ اليه ذَكَرْتُ الدُّنيا و زَخارِفَها .

« فأعْرَضَ عن الدّنيا بقلبه ، و اماتَ ذِكرَها من نفسه ، و احبَّ ان تغيب زينتُها عن عينه . . . ، خرج من الدُّنيا خَميصاً و ورد الأخرةَ سليماً ، لَمْ يَضَعْ حَجَراً على حجرٍ حتىٰ مضىٰ لسبيله و اجاب داعِيَ ربّه . . . » [1]

٨٤ - جامعيّة الرسول لجميع الكمالات

و لأجل كونه (ص) خيرَ البريّة طفلاً و انجبَها كَهْلاً ، اطهرَ المطهّرين شِيْمةً واجودَ المستمطرين دِيْمةً توجّهت اليه النّفوس «فصُرِفت نحوَه افئدةُ الأبرار و ثُنِيَت اليه ازِمّةُ الأبصار ، دفن الله به الضّغائنَ و اطفأ به الثّوائِرَ ، الّفَ به اِخْواناً و فرّق به أقراناً ، و اَعزَّ بِهِ الذِّلّةَ و اذلَّ به العزّةَ ، كلامه بيان و صَمْتُه لسان [1] » .

كان رسول الله (ص) فى كلّ صفات الكمال فوقَ كلّ كامل حتّى كان فى شَجاعته فوق كلّ شجاع فاصغ الى علىّ ، اشجع الشّجعان، وما قاله فى شان شَجاعة الرّسول (ص) .

قال الطّبرى (الجزء الثّانى - الصفحة ١٣٥-) فى تاريخه لبيان شَجاعته (ص) :

« . . . عن علىّ قال :

كان رسول الله من اشدّ الناس بأسا

« لمّا ان كان يوم بدر و حضر الناس اتّقينا برسول الله فكان من اشدّ الناس بأساً وما كان منّا احدٌ اقرب الى العدوّ منه »

وقال ايضا :

« عن علىّ يقول :

« ماكان فينا فارس يوم بدر غير مقداد بن الأسود ولقد رأيتنا ومافينا الّا نائمٌ

١- نهج البلاغة.

ألا رسول الله قائماً الى شجرة يصلّى و يدعو حتّى الصبح » .

٨٥ - بعثته المباركة

اكتمل محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم اربعين سنة فبعثه الله بالرّسالة و امره بالدّعوة وكان الجهل و قتئذٍ حاكماً على البسيطة ، و لا سيّما على جزيرة العرب ، مشرق الرّسالة و مطلع الدّعوة ، وكان سوء الخلق فاشياً فى قاطنيها و قبح العمل مستحسناً عند عاكفيها : كانوا ينكرون الله و يعبدون الأوثان ، انحطّت افكارهم وتدنّت عقولهم بحيث كانوا يصنعون من الخشب و الحجر اصناماً و يسمّونها باسماء يبتدعونها ثمّ يعبدونها و يدعونها لقضاء حاجاتهم و يلتمسون منها الخير و يطلبون بها دفع الشّر ويترقّبون من تلك المجسّمات الجامدة المصنوعة بايديهم نيل النّفع ودفع الضرّ ! ! .

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعلُبان[1] برأسِهِ ؟!

لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بالَتْ عَلَيْهِ الثَّعالِبُ

جهالة العرب الجاهلى

بلغ توغّل طائفةٍ منهم فى الجهالة و تحصّلهم بالدّنائة و الرّذالة ، بل و السّفاهة والحماقة الى ان كانوا يصنعُون من التّمر صنماً فيعبدونه و يدعونه لحاجتهم ويتضرّعون عنده و يتوسّلون اليه و يخضعون لديه ثمّ اذا جاع احدهم هجم الى معبوده المصنوع وا كله لسدّ الجوع ! !

هكذا كان حال بعض الأفخاذ والبطون والقبايل والشّعوب فى الجاهليّة

و هذا انموذج من رداءة عقلهم و شناعة رايهم و دنائة فكرهم و فظاعة عملهم و رذالة خُلقهم فكانت عاداتهم سيّئة واخلاقهم رذيلة وآدابهم منحطّة واعمالهم خسيسة دنيّة : يفتخرون بالغارة ، والقتل ، والظّلم ، والتّعدّى بالأعراض والنّواميس ، والتّجاوز بحقوق الضّعفاء ، فى انديتهم ، و يرتجزون بتذكار رذائلهم المزبورة فى حروبهم و يباهون بها فى اشعارهم حين تجمّعهم فى اسواقهم .

١- «الثعلب معروف قال الكسائى : الانثى ثعلبة و الذكر ثعلبان...» (صحاح اللغة)

يتعصّبون على بناتهم عصبيّة عمياء فيدفنونها احياءً و يتجاوزون حقوق النّساء فيكرهونهنّ على البغاء و يأخذون منهنّ اجورهنّ من البغى و الفحشاء و يبتغون بهذه الوسيلة الخسيسة الفاضحة عرَض الحياة الدّنيا و يطلبون بهذا الكسب الدّنى زيادة المال والثّراء، و يقولون بانّهم يتّبعون فى ذلك الآباء.

دفن البنات حياً

« واذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْهِ آبائنا . . . ٢٨» بل وقد ينسبون ذلك الى امر الله و يقولون : « . . . وَ اللهُ اَمَرَنا بِها ، قُلْ : اِنَّ اللهَ لا يَاْمُرُ بِالْفَحْشاءِ . . . ٢٨ »[1] تبّاً لتلك العقائد والأقوال وتعْسا، وترحاً لذيّات الأخلاق و العادات والأعمال وقُبحاً. «قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ قَتَلُوْا اَوْلادَهُمْ سَفَهاً ١٤٠»[2]

٨٦ – جزيرة العرب فى الجاهليّة

و خلاصة القول انّه استولى على الجزيرة ، الفساد فى جميع نواحى حياة القاطنين بها و ظهرت الدّنائة والرّذالة من قاطبة شئون اكثر ساكينها .

فنفذ الفساد فى العقول و الأراء و الأخلاق و برز الفسوق من الاعمال والعادات و الأداب و صارت آثار الجهل و اطوار الجاهليّة فاشية راسخة فى عرصة حياتهم ، ولا سيّما بمكّة ، كظُلمات فى بحرٍ لُجىٍّ يغشاه موجٌ ، من فوقه موجٌ ، من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض ، ذلك هو الضّلال المبين .

قال علىّ (ع) فى بعض خطبه[3] :

«اَرْسَلَه عَلىٰ حينَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ و هَفْوَةٍ عن العمل وغَباوةٍ من الأُمم. بَعَثَهُ والنّاسُ ضُلّالٌ فى حَيْرَة و حاطِبُوْنَ فى فتنةٍ .

« قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأهواءُ و استَزَلَّتْهم الكِبْرِياء واسْتَخَفَّتْهُم الجاهليّةُ الجَهْلاء، حَيارىٰ فى زَلْزالٍ من الأمرِ و بَلاءٍ مِنَ الجَهْل. فبالَغَ (ص) فى النّصيحة

١- السورة السابعة (الاعراف).
٢- السورة السادسة (الانعام).
٣- نهج البلاغة.

ومَضىٰ على الطَّريقة ِ وَدَعا الى الحكمة والموعظة الحَسَنَة»

وقال (ع) فى كلام ٍ آخرَ له [١] :

«و اَرْسَلَه على حين فَتْرة ٍ مِنَ الرُّسل و طُوْل هَجْعَة ٍ من الأُمم واعتزام ٍ من الفِتَن و انتشار ٍ من الأمور ، و تَلَظٍّ من الحُرُوْب ، و الدُّنيا كاسِفَة ُ النور ، ظاهرة ُ الغُرُور ، على حين ِ اصفِرار ٍ من وَرَقِها و اِياس ٍ من ثَمَرِها و اغْوِرار ٍ من مائها .

لمر الدنيا و طعامها

« قد دَرَسَتْ منارُ الهُدى ، و ظهرت اَعْلامُ الرَّدىٰ ، فهى متهجّمة ٌ لأهلها عابِسَة ٌ فى وجه طالبها ، ثَمَرُها الفتنة ُ ، وَ طَعامُها الجيفَة و شِعارُها الخوفُ ، و دِثارُها السَّيف .

« فاعتَبِروا عبادَ الله و اذكرُوا تِيْكَ الَّتِىْ اباؤُكُم و اِخوانكُم بها مُرتَهِنُوْنَ و عَلَيْها مُحاسَبُوْن . . . الخطبة»

وقال (ع) فى موضع آخر [٢] .

«اِنَّ الله َ بَعَثَ محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم نذيراً للعالَمين و اميناً على التَّنزيل و اَنتُم معشرُ العرب على شرِّ دين ٍ وفى شرِّ دار ٍ .

حال العرب قبل الاسلام

« مُنِيْخُوْنَ بَيْنَ حجارة ٍ خُشْن ٍ ، و حيّات ٍ صُمٍّ ، تَشرَبُوْنَ الكَدِر و تأكُلُوْنَ الجَشْب ، و تَسفِكُوْن دمائكُم و تقطعون ارحامكم ، الأصنامُ فيكُمْ منصوبة ٌ ، و الآثامُ بكم مَعْصوبة ٌ» [٣]

« لَقَدْ مَنَّ الله ُ على المؤمنِيْنَ اِذْ بَعَثَ فيهِم رَسُولاً من اَنفُسِهِم

---

١ و ٢ - نهج البلاغة.

٣- « الاناخة ، المقام . الخشن جمع خشناء : و وصف الحيات بالصم لانها اخبثها اذ لا تنزجر بالاصوات كانها لاتسمع ... و الجشب ، الطعام الغليظ ، او ما يكون منه بغير ادم . معصوبة اى مشدودة تمثيل للزومها لهم وقد جمع فى وصف حالهم بين فسادالمعيشة و فساد العقيدة و الملة » (محمد عبده)

يَتلُوا عَلَيهِم آياتِه وَ يُزَكّيهِم وَ يُعَلِّمُهُم الكتابَ و الحكمةَ ، و ان كانُوا مِن قَبلُ لفِي ضَلالٍ مُبِين ١٦٤»[1]

٨٧ ـ دعوة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

شدّ الله تبارك و تعالى ، بأعباء الرّسالة كاهلَ عبده الحبيب ، محمّدٍ الأمين ، و قوّى عضده لأداء تلك الأمانة فشمّر الرّسول عن ساعد الجهد للارشاد و الهداية ، حين كان قومه على مادريت من الغواية و الجهالة ، و قام بينهم بتعليم الكتاب و الحكمة و بتزكية نفوسهم و تطهير قلوبهم من أدناس الجاهليّة و أرجاس الشّرك والعصبيّة .

توجّه الرّسول اوّلا الى اصلاح العقول وتصحيح العقائد الباطلة بصرف افكارهم عن صناعة الأصنام و عبادة الاوثان و بعطف بصائرهم و ابصارهم شطر الحقّ المطلق تعالى شأنه ، و بتوحيد آرائهم للتوجّه بعبادة الله الواحد الاحد الصّمد ، عظم مجده .

فاوّل مادعا النّاس اليه كانت هذه الكلمة :

« قُولُوا : «لا إلهَ الا الله» تُفلِحُوا »

و كرّر هذا الدّعوة ، دعوة الأيمان بالله وحده وعدم عبادة غيره ، بعبارات مختلفة

استهزاء الكفار و المشركين للانبياء والرسل

و كان كلّما يدعو كفّار مكّة و مشركي قريش الى التّوحيد و الأيمان بالله يسخروا منه و يستهزؤا به و يؤذوه والله تعالى يأمره بالصّبر و يذكّره انّ هذه الدّعوة دارت على هذا المنوال فكانت الأحزاب و الأقوام في جميع الأزمنة و الأيّام يكذّبون انبيائهم و يستهزؤون بهم و يسخرون منهم و يؤذونهم فاصبر على مايقولون ولا تفترّ في دعوتك لما يعملون . قوله تعالى :

«. . . جُندٌ مّا هُنالِكَ من الأحزاب ١١ كَذَّبَتْ قبلَهُم قومُ نوحٍ وعادٌ وفرعونُ ذوالأَوتادِ ١٢ وثمودُ وقومُ لوطٍ واصحابُ الأَيكَةِ اولئك الأحزاب ١٣ انْ كُلٌّ الا كَذَّبَ الرّسُلَ فَحقّ عقاب ١٤ . . .

١- السورة الثالثة (آل عمران).

«اِصْبِرْ عَلىٰ ما يَقُولُونَ وَاذكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذاالأَيْدِ انه اوّاب» ۱۷.[۱]
كان الكافرون فى استهزائهم قد ينسبونه الى الجنون و الى السّحر وقد يُظهرون التّعجّب من دعوته الى التّوحيد : قوله تعالى :

« و عَجِبوا ان جائَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الكافِرُونَ : هذا ساحِرٌ كذّابٌ ٤ اَجَعَلَ الإِلٰـهَةَ الٰهاً واحداً ؟! اِنَّ هذا لَشَيْئٌ عُجابٌ ٥ و انْطَلَقَ المَلأُ مِنهُمْ اَنِ امْشُوا ، وَاصبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ . . . ٦[۲] . و هو (ص) يقول بامرالله :

«قُلْ : اَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالاٰ يَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً ولانَفْعاً ٧٦»[۳]

و توجّه ثانيا الى لَفْتِ انظارهم نحوَ عاداتهم السيّئة و آدابهم الدّنيّة واخلاقهم الذّميمة الرّذيلة و اعمالهم الطّالحة القبيحة ، فدعاهم الى الصّدق والعدل و اداء الأمانة و الوفاء بالعهد والترحّم و صلةالارحام و رعاية جانب الوالدين والاحسان بهما ، والعفّة والشّجاعة ، والمُرُوْئة ، و الأنفاق ، و حماية الضّعفاء ، و حسن السّلوك مع الأُسَراء والعبيد و الإماء ، و ايتاء المال بذوى القربىٰ واليتامىٰ والفقراء والمساكين وابناءالسّبيل و اشباه هذه من الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصّالحة و الآداب الرّاقية .

درجات الدعوة و التعليم و التربية

و رَدَعَهُم عن الكذب و الظّلم و الخيانة و الغدر و نقض العهد و القساوة و قطع الأرحام وعقوق الوالدين ، وحتّى قول الأُفّ لهما ، وعن الفحشاء والبغى والجبن والحرص والبخل والوئد والغيبة والنّميمة و النّفاق و الشّقاق و البهتان و الأفتراء و اضرابها من الأخلاق المرذولة و الأداب المنكَرة و الأعمال المذمومة و العادات السيّئة و الرّسوم المنحطّة الجاهليّة .

ثمّ قرّر لهم نظامات روعى فيهاحفظ حقوق كلّ واحدمن الرّجل والمرئةوالزّوج والزّوجة والوالدين والاولاد والصّغير والكبير والعالم و المعلّم والعارف والجاهل والفقير

۱ـ السورة ال ۳۸ (ص)
۲ـ السورة ال ۳۸ (ص)
۳ـ السورة الخامسة (المائده)

و الغنىّ و الوالى و الرّعيّة بحيث ان جُعلت برنامج الحياة و عُمل بها تحصل العدالة الحقيقيّة بين قاطبة الطّبقات وصنوف الأصناف و جميع الأفراد فى اىّ شأنٍ من الشئون الإجتماعيّة ، فتحقّق السّعادة الدنيويّة والأخرويّة لكلّ فردٍ من افراد الأنسان .

٩٠ ـ منهاج الدّين ناظر الى الفرد والجمع

ممّا ينبغى ان لايغفل عنه انّه (ص) توجّه فى مرحلة وضع الأنظمة و شرع الأحكام و نظم المنهاج الى جهتين :

جهة الأفراد باعتبار الذّات بلحاظ كونها فى المجتمع كجزء له .

وجهتها باعتبار العناوين والصّفات الخاصّة بها .

فجعل النّاس من ناحية الجهة الأولىٰ اى بما انّهم ابناء نوع و اجزاء جمع ، اكفاءً تجاه الشّرع سَواسيةَ الوضع و الحكم قبال القانون .

شرع الاسلام ينظر الى الفرد كنظره الى المجتمع

ومن ناحية الجهة الثّانية و بلحاظ اتّصافهم بعناوين ثانية واوصاف سامية قيّمة ، اصناف تدور فى الأهمّ الأتمّ مدار العلم و العمل ويكون مناط الفرق و الأعتبار الاسنىٰ هذين الأمرين فقال ، تبارك و تعالىٰ ، باعتبار العلم :

« . . . هَلْ يَسْتَوِى الّذِيْنَ يَعْلَمُونَ والّذِيْنَ لا يَعْلَمون . . . ٩ »[١]

وقال ، عزّ وجلّ ، باعتبار العمل :

« . . . اِنْ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله اَتْقيٰكُمْ . . . ١٣ »

فمن ناحية الجهة الثّانية :

« لَيْسُوا سَواءً مِنْ اَهْلِ الكتاب اُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُوْنَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُوْنَ ١٣ »[٢]

١- السورة ال ٣٩ (الزمر)

٢- السورة ال ٤٩ (الحجرات)

«يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين ١١٤»[١]

صدق الله العظيم : أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأويه جهنم وبئس المصير١٦٢ هم درجات عند الله . . . ١٦٣»[٢]

«ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ١٩٣»[٣]

٩١ ـ نماذج مما دعا اليه الرسول

نختم الكلام فى هذا المقام بايراد نماذج مما يناسب ذاك الشأن العظيم من آى القرآن الحكيم :

منها قوله تعالى :

«ان الله يأمر بالعدل والأحسان وأيتاء ذى القربى حقه وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم به لعلكم تذكرون ٩٠»[٤]

ومنها قوله تعالى :

آيات من القرآن المجيد بعنوان المثال للدعوة

«قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ، الا بالحق ، ذلكم ما وصيكم به لعلكم تعقلون ١٥١»

ومنها قوله تعالى :

١و٢و٣ـ السورة الثالثة (آل عمران)

٤ـ السورة ال ١٦ (النحل)

«وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتيمِ، الّا بالّتي هِيَ اَحْسَنُ، حَتّىٰ يَبْلُغَ اَشُدَّهُ وَاَوْفُوا الْكَيْلَ و الميزانَ بالقِسْطِ، لانُكَلِّفُ نَفْساً الا وُسْعَها، وَاِذا قُلْتُم فاعْدِلُوا، وَلَوْكانَ ذاقُرْبىٰ، وَبِعَهْدِ اللهِ اَوْفُوا ... ١٥٢»[1]

ومنها قوله تعالى :

«لاتُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ، اِنْ اَرَدْنَ تَحَصُّناً، لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنيا ....»[2]

ومنها قوله تعالى :

«يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاتَاْكُلُوا اَمْوالَكُم بَيْنَكُمْ بالباطِلِ، اِلّا اَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ، وَلا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ، اِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحيماً ٢٩»[3]

ومنها قوله تعالى :

«وابْتَلُوا الْيَتامىٰ حَتّىٰ اِذا بَلَغُوا النِّكاحَ. فَاِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدا فادْفَعُوا اِلَيْهِمْ اَمْوالَهُمْ وَلاتَأكُلُوها اِسْرافاً و بِداراً أن يَكْبَروا ومَنْ كانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقيراً فَلْيَأْكُلْ بالْمَعْرُوفِ فَاِذا دَفَعْتُمْ اِلَيْهِمْ اَمْوالَهُمْ فَاَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ... ٦»[4]

من حقوق النساء حسن المعاشرة معهن

ومنها قوله تعالى :

«يا اَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لايَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً، وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ، اِلّا اَنْ يَأْتينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ ... ١٩»[5]

١- السورة السادسة (الانعام).

٢- السورة ال ٢٤ (النور).

٣- السورة الرابعة (النساء).

٤- السورة الرابعة (النساء).

٥- السورة الرابعة (النساء).

ومنها قوله تعالى :

«ولا تَتَمنّوا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ علَى بَعْضٍ ، لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمّا اكْتَسَبْنَ وَ اسْئَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ ٣٢ . . . الرِّجالُ قَوّامُونَ علَى النِّساءِ ، بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ علَى بَعْضٍ ، وَ بِما أنْفَقُوا مِنْ أمْوالِهِمْ .

«فالصّالِحاتُ قانِتاتٌ ، حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفَظَ اللهُ . . ٣٤»[1]

هذه نماذج من موادّ البرنامج العمليّة الّتى نزّله روح القدس من الرّب بالحقّ لهداية النّاس و ارشادهم الى سعادتهم المبتغاة و لتكميل نظامهم الأجتماعيّ فى هذه الحياة .

«قُلْ : نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِ لِيُثَبِّتَ الَّذينَ آمَنوا وَ هُدىً و بُشْرىٰ للمُسْلِمينَ ١٠٢»[2]

١ـ السورة الرابعة (النساء).

٢ـ السورة ال ١٦ (النحل).

«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ *
وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ : إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ
(سورة الشّعراء ٢٦)

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ
(سورة الحِجْر ١٥)

٦ــ حولَ كيفيّة الدّعوة بمكّة وسبب التجاء الرّسول الى الهجرة:

١ـ اوّل من آمن بالرّسول و صلّى معه
٢ـ قيام الرّسول بدعوة عشيرته وبيان مقام علىّ منه (ص).
٣ـ دعوة الرّسول كافّة الناس .
٤ـ نشر الدّعوة و آثارها .
٥ـ شِعْب ابى طالب .
٦ـ خروجه (ص) الى الطّائف .
٧ـ بيعة العَقَبَتين .
٨ـ مؤامَرة قريش لقتله (ص) .
٩ـ مبيت علىّ فى مضجعه (ص) .

۹۲ - اوّل من آمن بالرّسول و صلّى معه

لمّا اكرم الله **محمّداً** صلّى الله عليه و آله و سلّم بكرامة الرّسالة و بعثه لدعوة النّاس الى طريق الهداية والسّعادة كان اوّل من لبّىٰ دعوته وآمن به وصدّقه من النّساء **خديجة**، زوجته، البارعة على اترابها، الّتى عاشت معه قبل البعثة نحواً من خمس عشر سنة، ورات من صفاته و اخلاقه و حالاته و اعماله فى تلك المدّة مايطمئنّ به القلب و تسكن اليه النّفس، و شاهدت منه الملكات الفاضلة و الأداب الفائقة الّتى لايمكن لمن شاهدها و تدبّر فيها و نظر بعين الأنصاف اليها الّا التّصديق لما قال و الايمان بما جاء و الأطاعة لما اراد و شاء.

خديجة، ام المؤمنين، اول من آمنت من النساء

صدّقه من النّساء اقربهنّ اليه و اعرفهنّ به واعلمهنّ بحاله، زوجته، **خديجة**، ومن الرّجال **علىّ** بن **ابى طالب** الّذى كان اقربهم اليه و آثرهم لديه و اعرفهم بظاهرته و خافيته و سرّه و علنه و ابصرهم بمشاهدة الأنوار الألهيّة عليه وآنسهم بأدراك الاحوال الملكوتيّة منه واسبقهم فى سماع الاذكار الربّانيّة، من التّسبيح و التّوحيد و التّهليل والتّكبير والتّمجيد والتّعظيم لله، تعالى شأنه، و الآيات النازلة، عن لسانه.

۹۳ - انتخاب النّبىّ (ص) عليّاً من وُلْد ابى طالب

كان لأبى طالب، شيخ بنى هاشم وكبيرهم، عمّ رسول الله و كافله بعد جدّه، اولاد كثيرة و عائلة ثقيلة وكانت تلك السّنون سنين مُجدبة والأزمة شديدة و المؤنة آزِمة فأشار **محمّد** صلّى الله عليه و آله وسلّم الى عمّه الآخر، **عباس بن عبدالمطّلب** وكان من ايسر بنى هاشم و آثريهم، و **الى حمزة بن عبدالمطّلب**، عمّه الثالث، بان يذهبوا جميعا **الى ابى طالب** و يسأل كلّ واحد منهم عنه، واحدا من اولاده ليأخذه معه و يتكفّل تربيته فلمّا وردوا عليه و التمسوا منه، استثنى **ابوطالب، عقيلاً**، لشدّة

اختيار الرسول (ص) علياً كولد له و تربيته فى حجره

حبّه ايّاه ، لنفسه و خيّرهم فى اختيار من ارادوا من باقى اولاده فاختار محمّدٌ ، علياً وجاء به الى بيته ، ولم يتجاوز سنّه و قتئذٍ ستّ سنين فكان صلّى‌الله عليه و آله و سلّم ينظر اليه نظر الوالد الرّؤف الى ابنه المطيع المحبوب فربّاه فى حِجْره الأطهر و روّاه من فيض بحره الأزخر بالتّعليم والتّكميل والتّزكية والتّهذيب .

فكان الامر ، كما عبّر الطّبرى فى تأريخه (الجزء الثّانى الصفحة ٥٧) :

«وكان ممّا انعم‌الله به على علىّ بن ابى‌طالب عليه‌السّلام انّه كان فى حِجْر رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم قبل الاسلام»

٩٤- تربية النّبى عليًّا و تعليمه كولدٍ له

و لَعَمْر الحقّ حقيق ان يقال :

على فى الكمال مثل اعلى للرسول (ص)

صاغ محمّد ، ببراعته فى صياغته ، من ذلك الذّهب الأحمر و الصّبىّ المستعدّ الاطهر صياغة الهيّة لامثيل له فى التّأريخ البشرى و عمل بحذاقته البارعة فى عمله و مهارته الكاملة فى صناعته ، و هو صناعة الأنسان بالتّربية و التّعليم ، انسانا كاملاً راقيا ربّا نيّالا يُشبهه فى حالاته العجيبة و كمالاته العليّة و مقاماته الرّفيعة و مشاهده الذّوقية و معارجه الرّوحية و مدارجه العمليّة و عواطفه الرّقيقة و معارفه الدّقيقة العميقة ، بعد معلّمه و مربيّه الأوحد، احد فهو المثَل الاعلى لنفس الرّسول الخاتم والأنموذج الأسنىٰ الأتمّ للانسان الألهىّ الكامل الاعظم .

٩٥ - سِنُّ علىٍ وقت ايمانه

آمن علىٌّ برسالة الرّسول و صدّق بما جاء به من عندالله بعد خديجة و قبل جميع من آمن به و صدّقه وكان سنّه اذ ذاك على اصحّ الأقوال واكثرها [1] ثلاث عشر

١- شهرةً والافالقول بخمسةعشر، بل ستة عشر ايضا ، مروى منقول فى الكتب المعتمدة

بقية الحاشية فى الصفحة الاتية

سنة فكان على هذا القول مع رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله و سلّم فى‌بيته وتحت تكفّله و تربيته قبل بعثته سبع سنين .

و هو «اوّل ذَكَرٍ» او «اوّل رجل» صلّىٰ مع الرّسول بدعوته و امره [1] .

قال الطّبرى فى تاريخه :

« . . . فقال بعضهم :

«كان اوّل ذكرٍ [2] آمن برسول‌الله صلّى‌الله عليه و سلّم و صلّى معه و صدّقه بما جاء به من عندالله علىّ بن ابى‌طالب»

اول رجل آمن بالله وصدق الرسول فى دعوبه على(ع)

وقال ايضا ، بأسناده عن ابن عباس ، :

«اوّل من صلّىٰ علىّ»

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

ففى «العقدالفريد» للفقيه‌المالكى (الجزء الخامس - الصفحه ال٦٨-) تحت عنوان «فضائل على بن ابى‌طالب ، كرم‌الله وجهه» :

«... ابوالحسن قال : اسلم على وهو ابن خمس‌عشرة سنة ، وهو اول من شهد ان لااله الاالله وان محمداً رسول‌الله»

وفى«الاستيعاب» (الجزءالثالث - الصفحه‌ال ٣٠-) لابن عبدالبر المالكى (المتوفى ٤٦٣) بأسناده عن‌الحسن قال: «اسلم على رضى‌الله عنه ، وهو ابن‌خمس عشرة سنة» وعن طريق محمد بن مسعود عن الحسن ايضا قال : « اسلم على وهو اول من اسلم ، و هو ابن‌خمس اوست عشرة سنة» ثم‌قال ابن‌عبدالبر : قال ابن‌وضاح : مارايت احداًقط اعلم بالحديث من محمد بن مسعود.. »

١- ومن هذا يعلم ان علياً كان بالغا مكلفا يحسن من الرسول دعوته الى الاسلام و امره بالصلوة .

٢- الجزءالثانى - الصفحة ال٥٦-٥٧- من التاريخ الطبرى . ونقل«الفقيه‌المحدث الحافظ» ابن‌عبدالبر فى «الاستيعاب» رواية عن ابن‌فضيل بأسناده عن حبة بن جرير العرنى قال : سمعت علياً رضى‌الله عنه يقول : لقد عبدت‌الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة خمس سنين» وقال ابن‌الاثير فى‌الكامل (الجزءالثانى - الصفحة ٣٧ -) : «اختلف العلماء فى اول من اسلم مع الاتفاق على ان خديجة اول خلق‌الله اسلاماً فقال قوم : اول ذكرآمن على ، روى عن على عليه‌السلام انه قال : انا عبدالله واخو رسوله وانا‌الصديق الاكبر لايقولها بعدى الا كاذب مفتر ، صليت مع رسول‌الله (ص) قبل‌الناس بسبع سنين »

و بأسناده عن جابر بن عبدالله :

«بُعثَ النبى (ص) يوم الأثنين و صلّى علىٌ يوم الثُلثاء»

و بأسناده عن زيد بن ارقم :

«اوّل رجل صلّى مع رسول‌الله (ص) علىّ عليه‌السلام .»

و بأسناده عن علىّ (ع)

«انا عبدالله واخو رسوله و انا الصدّيق الأكبر لايقولها بعدى الّا كاذبٌ مفترٍ صلّيتُ مع رسول‌الله قبل‌النّاس بسبع سنين»

قال «الفقيه الحافظ المحدّث» ابن عبدالبرّ المالكى فى كتابه « الاستيعاب فى اسماء الاصحاب» :

«وقال ابن شهاب و عبدالله بن محمّد بن عقيل و قتادة و ابن‌اسحق :

«اوّل من اسلم من الرّجال علىٌ»

«واتّفقوا على انّ خديجة اوّل من آمن بالله و رسوله و صدّقه فى ماجاء به ثمّ علىٌ بعدها»

٩٦ ـ قيام الرّسول بدعوة عشيرته الأقربين ومقام علىّ فيها

بَدَءَ الرّسول (ص) فى‌دعوته بأهل بيته و بمن‌هو اعرف‌النّاس بحالاته وصفاته وكان منحصرا اذذاك فى شخصين : زوجته‌الطّاهرة ، خديجة ، و ابن‌عمّه الّذى‌كان منه بمنزلة ولده ، علىٌ ، فاستقبلا دعوته و صدّقاه فى دعوته و اظهرالأيمان به و بما جائه من عند ربّه فصلّيا معه .

ثم قام ، بأمرالله و وحيٍ منه اليه ، بدعوة عشيرته الأقربين ، قوله تعالى :

«وَاَنْذِرْ عشيرتَكَ الأَقرَبِينَ ٢١٤ وَاخفِضْ جنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبعَكَ مِنَ المؤمنين ٢١٥»[1]

١- السورة ال ٢٦ (الشعراء).

نقل ابن الأثير فی «الكامل» (الجزء الثانی - الصفحة ٤٠-٤١-) عن ابن عبّاس : صعود الرّسول بعد نزول آية الإنذار و هتافه «يا صباحاه» و اجتماعهم اليه ... الخ .

ونقل ايضا عن جعفر بن عبدالله بن ابی الحكم : كيفيّة دعوة الرّسول عشيرته بعد النّزول وحضور خمسة واربعين رجلاً ومبادرة ابی لهب بماقال من الزّور وسكوت رسول الله فی ذلك المجلس و دعوتهم ثانية وقوله :

«اَلْحَمْدُ لِله اَحْمَدُهُ و اَسْتَعينُهُ و اُوْمِنُ به و اَتَوَكَّلُ عَلَيْه . و اَشْهَدُ اَنْ لا اِلـهَ اَلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَه . اِنَّ الرّائدَ لايَكْذِبُ اَهْلَه . وَ اللهِ الَّذی لا اِلـه اَلا هُو اِنّی رَسُولُ الله اِلَيكُم خاصَّةً و الی النّاس عامَّةً والله لَتَموُتُنَ كماتَنامُونَ ولَتُبْعَثُنَ كما تَسْتَيْقِظُونَ ، ولَتُحاسَبُنَ بِما تَعْمَلُونَ ، وَ اِنّها الْجَنَّة اَبَداً وَ النّارُ اَبَداً »

تصديق ابی طالب دعوة الرسول

و حينئذ فقال ابوطالب :

ما احبَّ الينا مُعاوَنَتَكَ ! و اقبَلنا لنصيحتك ، وَ اَشَدَّ تَصْدِيقَنا لحديثك . وَ هؤلاءِ بَنُو اَبِيكَ مُجتمعون وَ اِنّما اَنا اَحَدهم ، غير انّی اسرعهم الی ما تُحِبُّ فامْضِ لما اُمِرْتَ به ، فَوَالله لا اَزال احُوطُكَ وَاَمْنَعُكَ . . . »

٩٧ - النصّ بالخليفة فی دعوة العشيرة

قال محمّد بن جرير الطّبری فی تاريخه (الجزء الثانی - الصفحة ٦٢ - ٦٣ -) بأسناده عن ابن عبّاس عن علیّ بن ابی طالب قال :

« لمّا نَزَلَتْ هذه الآية علی رسول الله (ص) : « وَ اَنْذِرْ عِشيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ » دعانی رسول الله فقال :

« يا علیُّ انّ الله امرنی ان اُنْذِرَ عشيرتیَ الأقربين . . . فاصنع لنا صاعاً من طعامٍ و اجعل عليه رجلَ شاةٍ و املأ عُسّاً[1] من لَبَنٍ ثم اجمع لی بنی عبدالمطّلب

١- القدح العظيم و الرفد اكبر منه .

حتى اُكلّمهم وابلّغهم ما اُمرتُ به .

« ففعلتُ ما اَمَرَنى ، ثمّ دَعَوتُهم له، وهم يومئذ اربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً او ينقصونه، فيهم اعمامه: ابوطالب وحمزة و العبّاس و ابولهب فلمّا اجتمعوا اليه دعانى بالطّعام الّذى صنعتُ لهم فجئت به . فلمّا وضعته تناول رسول الله (ص) حِذْيَةً[١] فشقّها بأسنانه ثمّ القيٰها فى نواحى الصّحفة ثم قال :

خُذُوْا بِاسْمِ اللهِ .

فأكَلَ القوم حتّى مالهم بشىءٍ من حاجة وما ارىٰ الّا موضع ايديهم .

واَيْمُ اللهالّذى نفس علىّ بيده وان كان الرّجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم .

ثمّ قال :

اسق القوم فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا منه حتّى رَوَوْا منه جميعا .

واَيْمُ الله ان كان الرّجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلمّا اراد رسول الله (ص) ان يكلّمهم بَدَرَهُ ابولهب الى الكلام فقال :

لَقِدْماً سَحَرَكم صاحبُكم .

فتفرّق القوم ، ولم يكلّمهم رسول الله (ص) .

---

١ - بالحاء المهملة والذال المعجمة (على زنة جزية) على ما فى الصحاح « قطعة من اللحم قطعت طولا » و بمعناها « حزة » بالحاء المهملة والزاء المعجمة (على زنة قذة) التى وردت مكان « الحذية » فى كتاب الكامل (الجزء الثانى الصفحة ٤١ - ٤٢) وورد فيه ايضاً مكان « شقها باسنانه » كلمة « تنفها باسنانه » ومكان « لقدماً سحركم » كلمة « لعلما سحركم » كما ورد فى تفسير الطبرى (الجزء التاسع عشر - سورة الشعراء - الصفحة ١٢٢) عند نقل الرواية بعينها مكان « لقدماً سحركم » كلمة « لهدما سحركم » ونقل المحشى عن « اللسان »: « وفى الحديث ان ابا لهب قال « لهدما سحركم صاحبكم » وهى كلمة يتعجب بها يقال: لهد الرجل اى ما اجلده» ثم قال المحشى هو كقولنا لشد ما قال فلان اى ما اشد .

نقل ابن الأثير فى «الكامل» (الجزء الثانى - الصفحة ٤٠-٤١-) عن ابن عبّاس :
صعود الرّسول بعد نزول آية الإنذار و هتافه «يا صباحاه» و اجتماعهم اليه ... الخ .

ونقل ايضا عن جعفر بن عبدالله بن ابى الحكم : كيفيّة دعوة الرّسول عشيرته بعد النّزول وحضور خمسة واربعين رجلاً ومبادرة ابى لهب بماقال من الزّور وسكوت رسول الله فى ذلك المجلس و دعوتهم ثانية وقوله :

«اَلْحَمْدُ لِلّهِ اَحْمَدُهُ وَ اَسْتَعِينُهُ وَ اُوْمِنُ بِهِ وَ اَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ . وَ اَشْهَدُ اَنْ لاَ اِلَـهَ اِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ . اِنَّ الرّائِدَ لاَيَكْذِبُ اَهْلَهُ . وَ اللهِ الَّذِى لاَ اِلَهَ اِلاّ هُوَ اِنّى رَسُولُ اللهِ اِلَيْكُمْ خاصَّةً وَ اِلى النّاسِ عامَّةً والله لَتَمُوتُنَّ كَما تَنامُونَ وَلَتُبْعَثُنَّ كما تَسْتَيْقِظُونَ ، وَلَتُحاسَبُنَّ بِما تَعْمَلُونَ ، وَ اِنّها الْجَنَّةُ اَبَداً وَ النّارُ اَبَداً»

تصديق ابى طالب دعوة الرسول

و حينئذ فقال ابوطالب :

ما اَحَبَّ الينا مُعاوَنَتَكَ ! و اقبلنا لنصيحتك ، وَ اَشَدَّ تَصْدِيقَنا لحدِيثك . وَ هٰؤلاءِ بَنُو اَبِيكَ مُجتمعون وَ اِنَّما اَنَا اَحَدهم ، غير انّى اسرعهم الى ما تُحِبُّ فَامْضِ لما اُمِرْتَ به ، فَوَ الله لا اَزال اَحُوطُكَ وَ اَمْنَعُكَ . . . »

٩٧ - النصّ بالخليفة فى دعوة العشيرة

قال محمّد بن جرير الطّبرى فى تاريخه (الجزء الثانى - الصفحة ٦٢ - ٦٣ -) بأسناده عن ابن عبّاس عن علىّ بن ابى طالب قال :

« لمّا نَزَلَتْ هذه الآية على رسول الله (ص) : « وَ اَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ » دعانى رسول الله فقال :

« يا علىُّ انَّ الله امرنى ان اُنْذِرَ عشيرتىَ الأقربين . . . فاصنع لنا صاعاً من طعامٍ و اجعل عليه رجلَ شاةٍ و املأ عُسّاً[1] من لَبَنٍ ثم اجمع لى بنى عبدالمطّلب

١- القدح العظيم و الرفد اكبر منه .

حتى اُكلّمهم وابلّغهم ما اُمرتُ به .

« ففعلتُ ما اَمَرَنى ، ثمّ دَعَوتُهم له، وهم يومئذٍ اربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً او ينقصونه ، فيهم اعمامه: ابوطالب وحمزة و العبّاس و ابولهب فلمّا اجتمعوا اليه دعانى بالطّعام الّذى صنعتُ لهم فجئت به . فلمّا وضعته تناول رسول الله (ص) حِذْيَةً [١] فشقّها بأسنانه ثمّ القيٰها فى نواحى الصّحفة ثم قال :

خُذُوْا بِاسْمِ اللهِ .

فَأَكَلَ القوم حتّى مالهم بشىءٍ من حاجة وما ارى الّا موضع ايديهم .

واَيْمُ اللهالّذى نفس علىّ بيده وان كان الرّجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم .

ثمّ قال :

اسق القوم فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا منه حتّى رَوَوْا منه جميعا .

واَيْمُ الله ان كان الرّجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلمّا اراد رسول الله (ص) ان يكلّمهم بَدَرَهُ ابولهب الى الكلام فقال :

لَقَدِمْا سَحَرَكم صاحبُكم .

فتفرّق القوم ، ولم يكلّمهم رسول الله (ص) .

---

١ - بالحاء المهملة والذال المعجمة (على زنة جزية) على ما فى الصحاح « قطعة من اللحم قطعت طولا » و بمعناها « حزة » بالحاء المهملة والزاء المعجمة (على زنة قذة) التى وردت مكان « الحذية » فى كتاب الكامل (الجزء الثانى الصفحة ٤١ - ٤٢) وورد فيه ايضاً مكان « شقها باسنانه » كلمة « تنفها باسنانه » ومكان « لقدما سحركم » كلمة « لعلما سحركم » كما ورد فى تفسير الطبرى (الجزء التاسع عشر - سورة الشعراء - الصفحة ١٢٢) عند نقل الرواية بعينها مكان « لقدماً سحركم » كلمة « لهدما سحركم » ونقل المحشى عن « اللسان »: « وفى الحديث ان ابا لهب قال « لهدما سحركم صاحبكم » وهى كلمة يتعجب بها يقال: لهد الرجل اى ما اجلده» ثم قال المحشى هو كقولنا لشد ما قال فلان اى ما اشد .

فقال الغد :

« يا علىُّ انَّ هذا الرَّجل سبقنى الى ما قد سمعتَ من القول ، فتفرّق القوم قبل ان اكلّمهم فَعَدِّلنا من الطّعام بمثل ما صنعتَ ثمّ اجمعهم الىّ .

« قال : ففعلتُ ، ثمّ جمعتهم . ثمّ دعانى بالطّعام فقرّبتُ لهم . ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتّى ما لهم بشىءٍ حاجة .

« ثمّ قال : اسقهم. فجئت بذلك العُسّ فشربوا حتّى رَوَوْا منه جميعاً .

« ثمّ تكلّم رسول الله فقال :

« يا بنى عبدِالمطّلب انّى وَالله ما اعلمُ شاباً فى العرب جاء قومَه بافضل ممّا جئتكم به انّى قد جئتكم بخيرالدّنيا والآخرة . وقدامرنى الله ان ادعوكم اليه .

نص الرسول (ص) بخلافة على واخائه له

« فَاَيُّكُمْ يُوازِرُنى عَلىٰ هذَا الأَمْرِ عَلىٰ اَنْ يَكُونَ اَخِىْ وَوَصِيِّىْ وَخَلِيْفَتِىْ فِيْكُمْ .

« قال : فاحجم القوم عنها جميعاً .

« فقلت، وانّى لَاَحْدَثُهُم سناً و.... :

« انا يا نبىَّ الله اكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتى ثمّ قال :

« انّ هذا اخى ووصيّى وَخَلِيفَتِىْ فِيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَاَطِيْعُوْا .

« قال :

« فقام القوم يضحكون ويقولون لإبى طالب:

« قَدْ اَمَرَكَ اَنْ تَسْمَعَ لابْنِكَ وَتُطِيْعَ [١] » .

٩٨ ـ الوراثة من الرسول

وقال ايضا فى تاريخه (ذلك الجزء ـ الصفحه ٦٣) بأسناده عن ربيعة بن ماجد:

---

١ ـ لايذهب عنك ما فى قوله (ص) « ان هذا اخى وصيى وخليفتى » : « فاسمعوا له واطيعوه » ثم تدبر فى قول القوم لابى طالب ، ضاحكين « قد امرك ان تسمع لابنك و تطيع » فانصف للشيعة فى مايقول من كون هذه القضية مما اشتملت النص بالخلافة لعلى.

« انّ رجلا قال لعلىّ عليه السّلام يا امير المؤمنين بم ورثت ابن عمك [١] فقال علىّ .

« هاؤم ، ثلاث مرّات ، حتّى اشرأبّ النّاس ونشروا آذانهم . ثم قال :

« جمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، اودعا رسول الله ، بنى عبدالمطّلب ، منهم رهطه ، كلّهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق [٢] .

« قال : فصنع لهم مُدّاً من طعام ، فاكلوا حتّى شبعوا وبقى الطّعام كما هو ، كأنّه لم يُمَسّ ، قال :

« ثمّ دعا بغُمَر فشربوا حتّى رَوَوْا وبقى الشّراب كأنّه لم يمسّ ولم يشربوا. قال : ثم قال :

« يا بنى عبدالمطّلب انّى بُعِثْتُ اليكم بخاصّةٍ والى النّاس بعامّة وقد رايتم من هذا الأمر ماقدرايتم فايّكم يبايعنى على ان يكون اخى وصاحبى ووارثى؟

« فلم يقم اليه احد .

« فقمت اليه ، وكنت اصغر القَوْم ، قال : فقال :

« اجلس .

« قال : ثم قال ثلاث مرّات ، كلّ ذلك اقوم اليه فيقول لى : اجلس . حتّى كان فى الثالثة فضرب بيده على يدى .

« قال فبذلك ورثتُ ابن عمّى دون عمّى [٣] » .

٩٩- من النّصوص بخلافة علىّ

قضيّة انذار الرّسول عشيرته وردت فى الكتب المعتبرة المعتمدة من كتب العامّة

---

١ - اى بما ذا تقدمت فى الوراثة عن النبى على عمك العباس .

٢ - الجذعة محركة اثنى جذع محركة ايضا وهو قبل الثنى « والفرق مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا والغمر ايضا : القدح الصغير » ، وقد يحرك . . . » (صحاح اللغة) .

٣ - اى وما ورثه عمى العباس.

والخاصّة ولاخلاف بين علماء المسلمين في اصلها وروَى الطّبرى وغيره تنصيص الرّسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، بخلافة اوّل من صدّق، في ذلك اليوم، رسالته وقبل وزارته ومعاونته على ذلك الأمر واراد وراثته وصحابته.

وكذا لاخلاف في احجام الحاضرين المدعوّين بل وفي استهزاء بعضهم الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كما لاخلاف في انّ عليّاً هو الّذى آمن وصدّق، وفي انّ الاكثر اثبتوا انّ الرسول (ص) امرهم باطاعتهم عنه.

وان كان هنا اختلاف يسيرٌ في النّقل فيكون في بعض الكلمات والعبارات كما وقع في بعض المنقولات تكرير الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قولَه «ثلاث مرّات» وتصديق عليّ، لاغيره، ايّاه في كلٍّ من تلك المرّات.

وكيف كان تكون ما نقلت من قول الرّسول في تلك القضيّة «انّ هذا اخى ووصيّى وَخَلِيفَتِي فيكم فَاسْمَعُوا لَه وَاَطِيعُوا» وقول القوم ضاحكين مستهزئين لأبى طالب: «قَدْ اَمَرَكَ اَنْ تَسْمَعَ لِابْنِكَ وتُطيعَ» تكون عند الشّيعة من النّصوص الصّادرة عن الرّسول لخلافة عليّ و ولايته و لزوم متابعته واطاعته.

١٠٤ ـ ابدال لفظ الحديث

بعد ماكتبت كيفيّة قيام الرّسول بدعوة عشيرته على مادريتَ، في مسوّداتى الى هنا وختمت الكلام فيها اتّفق لى الآن، حين نقلها الى هذه المبيّضة، وكان ذلك بعد سنوات، مراجعة كتاب «اعيان الشّيعة» تأليف العالم الخبير الثّقة البصير المجاهد بعلمه وعمله في سبيل اعلاء الدّين **السيّد محسن الأمين**، الحسينى العاملى، عامله الله بلطفه العميم فرايت فيه ما يناسب نقله هنا تتميماً لأنتفاع النّاظرين:

قال، قدّس سرُّه، بعد ما نقل رواية **الطّبرى** عن تاريخه، كما نقلناه:

«ورواه **الطّبرى** في تفسيره مثله سَنَداً و متناً الّا ان الطّابِعِين ـ جرياً على الشّنشنة الأخزميّة ـ ابدلوا قوله: «على ان يكون اخى ووصيّى وخليفتى فيكم» بلفظ تحريف عجيب

«على ان يكون اخى وكذا وكذا» وأبدلوا قوله: «انّ هذا اخى ووصيّى وخليفتى فيكم» بلفظ «انّ هذا اخى وكذا وكذا» وابقوا قوله: «فاسمعوا له واطيعوا» وفيه كفاية، وماحذفوه وابدلوه اشارة الى ماصرّح به فى التّاريخ يقيناً، لاتّحاد السّند والمتن فيهما الّا فى كلمتى «كذا وكذا» وعلمتُ انّ الدكتور **محمّد حسنين هيكل المصرى** اثبته فى كتابه **حياة محمّد** فى الطّبعة الأولى وحذفه فى الطّبعة الثّانية، نزولاً عند ارادة من ضغط عليه؛ فانظر، واعجَبْ.

«ولمّا كان تصحيح هذا الحديث من الأهميّة بمكان فلا بأس بالاشارة الى جملة ممّن رواه من اجلّاء علماء المسلمين، ليُعلَم بذلك اشتهاره واستفاضته بينهم.

فرواه **محمّد بن جرير الطّبرى** فى تاريخه وتفسيره، كما سمعتَ، ورواه، منهم، **البغوى**، كما ستسمع. ورواه منهم **الثّعلبى** فى تفسيره. قال:

«اخبرنى **الحسين بن محمّد** بن **الحسين**: حدّثنا موسى بن **محمّد**: حدّثنا **الحسن بن على بن شعيب العمرى**: حدّثنا **عبدالله** بن **يعقوب**: حدّثنا **علىّ** بن **هاشم** عن **صباح بن يحيى المزنى عن زكريّا بن ميسرة عن ابى اسحق عن البرّاء** قال:

«لمّا نزلت «وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ» جمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بنى عبدالمطّلب، وهم اربعون رجلاً، الرّجل منهم يأكل المسنّة ويشرب العُسّ فامر عليّا برجل شاة فأدَمَها [١] ثمّ قال: ادنوا باسم الله.

«فدنا القوم عشرة عشرة فاكلوا حتّى صدروا. ثم دعا بقعب [٢] من لبن فجرع منه جرعة ثمّ قال: اشربوا باسم الله فشربوا حتّى رَوَوْا. فَبَدَرَهُم ابولهب فقال: هذا ما [٣] سحركم به الرّجل. فسكت رسول الله (ص) ثمّ دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطّعام والشّراب ثم انذرهم، فقال:

---

١ ـ «والادام مايؤتدم به تقول منه: أدم الخبز باللحم يأدم، بالكسر، » (صحاح).

٢ ـ «القعب قدح من خشب مقعر».

٣ ـ وفى هذا النقل وردت مكان «لعلما» و «لقدما» و «لهدما» جملة «هذا ما سحركم» والله العالم بحقيقة الامر.

« يا بنى عبدالمطّلب انّى انا النّذير اليكم من الله، عزّوجلّ ، والبشير فاسْلموا واطيعونى تهتدوا .

« ثمّ قال :

آخاعلى،الرسول ووازره ويكون وليه ووصيه وخليفته بعده

« مَنْ يُواخينى و يُوازرنى و يكون وليّى و وصيّى بعدى وحليفتى فى اهلى ويقضى دينى؟ .

« فسكت القوم .

« فأعادها ثلاثاً ، كلّ ذلك يسكت القوم ويقول علىّ عليه السّلام : « انا » .

« فقال فى المرّة الثّالثة: «انت» فقام القوم و يقولون لأبى طالب : « اطع ابنك فقد اُمّرعليك» واورد هذا الحديث ، النّسائى فى«الخصائص » قال :

« اخبرنا الفضل بن سهل : حدّثنى ابن عفّان بن مسلم : حدّثنا ابو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن ابى صادق عن ربيعة بن ماجد انّ رجلا قال لعلىّ بن ابى طالب :

« يا اميرالمؤمنين لم ورثت دون اعمامك؟ . قال :

« جمع رسول الله (ص) ، اوقال : دعا رسول الله (ص) بنى عبدالمطّلب فصنع لهم مُدّاً من الطعام فأكلوا حتّى شبعوا وبقى الطعام كما هو ، كأنّه لم يُمسّ ، ثم دعا بعُسّ فشربوا حتّى رووا وبقى الشراب كأنّه لم يمسّ ،او لم يُشرب .

« فقال : يا بنى عبدالمطّلب ، انّى بُعثت اليكم خاصّةً والى النّاس عامّةً وقدرايتم من هذه الآية [1] ما قدرايتم ، وايّكم يبايعنى على ان يكون اخى وصاحبى ووارثى؟ .

« فلم يقم اليه احد . فقمت اليه ، وكنت اصغر القوم .

« فقال : اجلس .

« ثمّ قال ثلاث مرّات ، كلّ ذلك اقوم اليه فيقول : اجلس حتّى اذا كان فى الثّالثة ضرب بيده على يدى . ثمّ قال : فبذلك ورثتُ ابن عمّى دون عمّى» .

---

١ ـ ولعلك تكون على ذكر مما اوردته عن الطبرى آنفاً حيث كان فى ذلك النقل والايراد مكان هذه الكلمة (من هذه الاية) كلمة « من هذا الامر » واظن ان الانسب فى فى المقام كلمة « من هذا الاية » فهو الاصح فتدبر.

«اقول (السيّد محسن الأمين) هذا التّعليل فى الميراث لايصحّ ان اريد ارث المال: امّا عندنا فلانّ الميراث للبنت بالفرض والرّدّ وامّا عند غيرنا فلأنّ الأنبياء لايُورَّث الّا ان يراد ارث العلم ولكن ظاهر السياق خلافه [1].

« واورد هذا الحديث صاحب « السّيرة الحلبيّة » بنحو ما مرّ عن الطّبرى الى ان قال:

« يا بنى عبدالمطّلب، انّ الله قدبعثنى الى الخلق كافّة وبعثنى اليكم خاصّة فقال: وَأَنْذِرْ عشيرتكَ الاقربين ، وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللّسان ثقيلتين فى الميزان: شهادة ان لا إلٰهَ إلّا الله وإنّى رَسُولُ الله. فمن يجيبنى الى هذا الامر ويوازرنى على القيام به؟ قال علىّ: انا يا رسول الله.

« قال (يعنى صاحبَ السّيرة الحلبيّة): وزاد بعضهم فى الرّواية « يكن اخى ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى فلم يجبه احد منهم فقام علىّ وقال: انا يا رسول الله. قال: اجلس ثم اعاد القول على القوم، ثانياً فصمتوا. فقام علىّ وقال: انا يا رسول الله. فقال: اجلس. ثم اعاد القول ثالثا فلم يجبه احد معهم فقام علىّ فقال: انا يا رسول الله.

« **فقال: اجلس، فانت اخى و وزيرى و وصيّى و وارثى وخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي** ».

---

١ - اقول: والظاهر عندى ان التعليل صحيح و المراد بالوراثة و راثة المولوية وهى بالحقيقة، الخلافة. وذلك لان الرجل السائل على ما هو الظاهر يعلم ان الوراثة المالية عن الرسول، اذا اعترف بانه يورث، تكون خاصة لبنته فليس لاحد مع وجودها حق فى ماله وان الوراثة العلمية لامعنى لها عندالتحقيق فأن العلم المنتقل من النبى الى على انتقل اليه فى زمان حياته فصار على فى زمان حياة الرسول « باب مدينة العلم » وفتح الرسول عليه الف باب من العلم وزقه الرسول العلم زقا فالذى يصح فيه الوراثة هو خلافة المولوية (من كنت مولاه فعلى مولاه) وهذا ظاهر السياق ايضا لان السائل سئل عن « اميرالمؤمنين » فى موقع خلافته ولعل سمع من على فى بعض خطبه احقيته بالخلافة فسئل عنه ما سئل واجاب عليه السلام بما اجاب والله العالم.

«ثم حكى (اى صاحب السيرة) عن ابن تيميّة انه قال فى الزيادة المذكورة :

« انّها كذب وحديث موضوع ، من له ادنى معرفة فى الحديث يعلم ذلك وقد رواه مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوى بأسناد فيه ابومريم الكوفى وهو مُجْمَعٌ على تركه وقال احمد: انه ليس بثقة، عامّة احاديثه بواطيل وقال ابن المدينى : كان يضع الحديث» .

١٠١ - كلام للسيّد الأمين مع ابن تيميّة

«اقول (السيّد محسن الامين) :

كلام للسيد محسن العاملى مع ابن تيمية

«لاشىء اعجب من قدح ابن تيميّة ، المجسّم (بشهادة ابن بطوطة مشاهَدةً) والّذى مات سجيناً ، بيد اهل نحلته ، على الاقوال والعقائد المنافية لملّة الأسلام ، فى الأحاديث المستفيضة عند جميع المسلمين بالهوىٰ والغرض وقوله « انّ من له ادنىٰ معرفة بالحديث يعلم ذلك» .

« مع انّ من عنده ادنى معرفة يعلم انّ قدح ابن تيميّة فيه لم يستند الى معرفةٍ ، بل الى التّحامل على علىّ واهل بيته والنّصب ، فقد سمعتَ سند هذا الحديث فى الرواية الطّبرى فى تاريخه وتفسيره ورواية الثّعلبى له فى تفسيره وليس فيه ابومريم الكوفى ، على فرض صحّة ما قاله فى رواية البَغَوِى وانّ فى سندها ابومريم الكوفى وانّه ضعيف فهل اذا كان الحديث مرويّاً بعدّة طرق بعضها ضعيف يكون قدحاً فى سنده؟ بل الرّواية الضّعيفة ان لم تكن معتضدة ومتقوّية بالروايات الصّحيحة غيرها لايكون ضعفها موجبا للقدح فى الصّحيحة . وكلّ من كان له ادنىٰ معرفة بالحديث يعلم ذلك .

«ورواه من مشاهير علماء الشيعة وثقات محدّثيهم ...»

ثم نقل السيّد الامين روايتين من طرق الشّيعة احديٰهما من الشّيخ الصّدوق محمّد بن علىّ بن ابى الحسين ، بابويه (المتوفىٰ سنة ٣٨١) بأسناده وثانيتهما من الشّيخ الطّوسى ابوجعفر محمّد بن الحسن (المتوفىٰ سنة ٤٦٠) فى مجالسه باسناده ، مثل رواية الطّبرى بعينها (مع تفاوت يسير فى بعض الألفاظ) ثم قال:

« وبعد توافق علماء الفريقين على هذه الرواية لم يبق لما ذكرابن تيميّة قيمة. »

انتهى ما اردت نقله من «اعيان الشيعة» - الجزء الثانى - الصفحة ٩٧-١٠١) وعليك بالتدبّر التام والأنصاف.

١٠٢ - دعوةُ الرّسول (ص) النّاس كافّةً

بعث الله رسولَه بالحقّ فصدّقه زوجته، خديجة، وآمن به ابن عمّه ومَنْ رُبّى فى حُجْره، علىّ. ثمّ مكث الرّسول ثلاث سنين وانْذرَ عشيرته الأقربين فلم يصدّقه منهم فى تلك الدّعوة الّا من صدّقه بادىءَ بدء من قبل، مع حداثة سنّه، الّذى كان منه بمنزلة ابنه وهو ابن عمّه و«اخيه» و«وصيّه» و«وزيره» و«خليفته» (على مانصّ صلّى الله عليه وآله وسلّم به فى كلامه) وهو علىّ. فكان علىّ، فى تلك المدّة، فى الرّجال امّة واحدة!

بعث الرسول وكان على له امة واحدة فى الرجال

فمحمّد، صلّى الله عليه وآله وسلم، كان الرّسول وعلىٌّ بوحدته وانفراده فى الرّجال، كان الأمّة!

ثمّ بعد مضىّ ثلاث سنين من مبعثه، والحال هذه من خفاء الدّعوة العامّة والقيام بدعوة العشيرة الأقربين، امر الله رسوله، صلّى الله عليه وآله، بتعميم الدّعوة واعلان الرسالة ودعوة النّاس كافّة فأوحى اليه:

« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٩٦ »[1].

حينئذٍ قام الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بدعوة المشركين وانذار المستهزئين واعلن ما امره الله به من امر الدين.

قام الرّسول (ص) وهو على اخلاقه العظيمة وصفاته السّامية و فضائله الكاملة الحميدة واعماله الصّالحة الفاضلة يدعو عامّة اهل بيته وقاطبة طائفة قريش وكافّة النّاس

١ - من السورة ال ١٥ (الحجر)

الى الله الواحد الأحد الفرد الصّمد ويعلّمهم الأداب الفاضلة والأعمال الصّالحة ويهديهم الصراط المستقيم الى الخيرات و يرشدهم طريق الوصول الى الكمالات والسّعادات ويردعهم عن عبادة الأوثان و يزجرهم عن الشرك و ينهيٰهم عن اعمالهم الرّذيلة وافعالهم السيّئة الشّنيعة .

لكنّ القوم ، ولاسيّما اكابر قريش منهم ، وهم اولئك الّذين خُمّرت طينتهم بالعصبيّة والجهالة الجهلاء والتكبّر والخُيلاء وحبّ المال وحبّ الجاه وطلب الرّئاسة والاعتلاء وكانت شيمتهم اللّجاج وشنشنتهم الجور والعناد ودَيْدنهم البغى والفساد ، لايتوجّهون الى الرّسول (ص) الّا بالأنكار والأستهزاء والأيذاء واذا لم يتمكّنوا هؤلاء الأكابر من ايذائه ولم يجترؤا على الأستهزاء به خوفاً من شيخ البطحاء وكبير العشيرة ، عمّه المكرّم اوغروا انسائهم بل اغروا صبيانهم على ايذائه فكان الصّبيان احيانا يترصّدونه فى السّكك والمعابر فاذا طلع (ص) فيها يشتمونه ويستهزؤن به ويرمونه بالحجارة ويؤذونه :

والرّسول الرّؤف الرّحيم يحتمل كلّ ذلك بحفاوة قلبٍ وطلاقة وجهٍ وسعة صدرٍ وشدّة رأفةٍ تفوق رافة الوالد الودود الكريم ويشتغل بما أُمر به من هدايتهم وارشادهم ونُصحهم رجالا ونساءً كباراً وصغاراً ، شأن الأنبياء والرّسل ، اولى العزيمة والرأفة والرّحمة ، صلّى الله عليه وآله وسلّم .

ملازمة على للرسول

كان علىّ فى تلك الاحوال فى اكثر الأحيان ملازماً لابن عمّه الرّسول لايفترّ عن مراقبته ولايفترق عن ملازمته وكان بالنسبة اليه كظلّه يتّبعه ويدور اينما دار فيراقبه ويدافع عنه مع الأمكان حتّى قيل : حين يتعدّى الصبيان والغلمان ، باغراء اكابر قريش ، حدود الأدب ويتجاسرون على رسول الرّبّ فعلىّ يذبّ عنه ويفرّقهم ايادى سبا فيفرّون منه فرار الحمر المستنفرة من القسورة .

١٠٣ ــ نشر الدّعوة وآثاره

طالت واستمرّت مدّة اقامة الرّسول (ص) بمكّة ، بعد ان بعثه الله بالرّسالة ، ثلاث

عشرسنة واجاب فى تلك المدّة دعوته ، بعد زوجته ، **خديجة** المكرّمة ، و ابن عمه **على** عدّة من مشركى اهل مكّة كان اسبقهم عتيقه **زيد بن حارثة** او العتيق **ابوبكر** ، الصّديق (رضى) اوغيرهما على اختلاف الاقوال والرّوايات فى ذلك .

دخل فى تلك المدّة من اهل مكّة ، فى دين الله ، افراد معدودة ، واحداً بعد واحد ، وخرج صيت الدّعوة المباركة من داخل مكّة الى خارجها فجاء نفر من اهل يثرب الى مكّة وتشرّفوا بلقاء الرسول (ص) وسمعوا منه وآمنوا به وبايعوه .

سير الدعوة ونشرها

صارت الدّعوة حينئذٍ سائرة نحو الشّياع والتقدّم سالكة سبيل الأعتلاء والتّفوّق فاحسّ قريش و سائر المشركين بانشقاق قمر الدّعوة و انشعاب انوارها الباهرة وانبساطها الى خارج مكّة وادركوا اقتراب ساعة خذلانهم وتضعضع كيانهم .

على انّ الرّسول (ص) كان يُعيّرهم على اتخاذهم من دون الله آلهة ، لاتضرّ ولاتنفع ، ولاتنطق ولاتسمع ، ويردعهم عن اعمالهم السيّئه وعاداتهم المنكرة ويطعنهم فى اخلاقهم المرذولة . فيقول :

« وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لايَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ولا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً ولا يَمْلِكُونَ مَوْتاً ولا حَياةً ولا نُشُوراً ٣ »[1].

ويقول :

تضييق المشركين على الرسول واصحابه

« . . . فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، اِنْ اَرادَ بِكُمْ ضَرّاً اَوْ اَرادَ بِكُمْ نَفْعاً ؟ بَلْ كانَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً ١١ »[2].

تلك الأوضاع والأحوال كبُرت على المشركين و بعثتهم للتّضييق على الرّسول وعلى تابعيه المعدودين اشدّ التّضييق بحيث الجاؤهم الى ترك موطنهم ، مكّة ، فاضطرّوا الى الخروج منها والهجرة الى غيرها .

---

١ ـ السورة ال ٢٥ (الفرقان) .

٢ ـ السورة ال ٤٨ (الفتح) .

١٠٤ ـ هجرة المؤمنين الى الحبشة

ضاقت ارض مكّة على المؤمنين المعدودين بما رَحُبَتْ فاشار الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، بخروجهم عن مكّة، بلد الأمن، واذن لهم بالهجرة الى الحبشة فخرجوا خائفين مترقّبين وتسلّلوا هاربين خائفين وهاجروا الى الحبشة لاجئين جالين. فبقى الرّسول بمكّة مهجورا عن عدّة من اصحابه واقربائه ويحميه الشّيخ الشّهم ابوطالب عمّه الشّريف المكرّم، وكان يفديه بنفسه وولده وعشيرته. فى مدّة حياته وقد صرّح نفسه بذلك فى موارد عديدة وانشد قصائد فى ذلك ضبطها التّاريخ الصّحيح فى صفحاته. منها، من قصيدته اللّاميّة:

ابيات من لامية ابى طالب فيها تصريح بكون الاسلام حقا غير باطل ودليل على ايمانه

« ولمّا رأيتُ القَوْم لاوُدَّ فيهم
وقد قطعوا كلّ العُرىٰ والوسائلِ

« الَمْ تعلموا انّ ابنْنا لا مكذَّبٌ
لَدَينا، ولا يَعْنى بقول الأباطِلِ

« وابَيْضَ يُسْتَسقَى الغمامُ بوجهه
ثِمالُ اليَتامىٰ عصمةٌ للأرامِلِ

« يطوف به الهُلّاك من آل هاشم
فهُم عنده فى نعمةٍ و فواضلِ

« كَذِبتم و بيتِ الله يُبزىٰ محمّدٌ
ولَمّا نُطاعِن دونَه و نُقاتِلُ

« ونُسلم حتّى نُصَرّعَ دونَه
ونُذهِل عن ابنائنا و الحلائِل

« لَعَمْرى لقد كُلِّفْتُ وَجْداً باحمد
واَحْبَبْتُه حُبَّ الحبيب المُواصلِ

« وَجُدْتُ بنفسى دُونه وحَمَيْتُهُ
ودارَئْتُ عَنْهُ بالذُّرىٰ والكلاكلِ
« فلا زال فى الدّنيا جمالاً لأهلها
وَشَيْناً لمن عادىٰ وزين المحافلِ
« حَليماً رشيداً حازماً غير طائشٍ
يُوالىٰ الهَ الحقّ لَيْس بماحلِ
« فأيَّدَهُ رَبُّ العباد بنَصْرِهِ
واَظْهَرَ ديناً حقّه غيْرَ باطلِ

١٠٥ ـ معاقدة قريش على مُعاداة الرسول

امتدّ مَدَى التّضييق على الرّسول و على اصحابه المؤمنين واشتدّ ايذائهم حتّى اجتمع المشركون فتعاقدوا على بنى هاشم وبنى عبدالمطّلب بان يقطعوا عنهم : فلاينا كحوهم ولا يعاملوهم ولا يكالموهم ولا يجالسوا معهم حتّى يسلّموا اليهم رسول الله. و كتبوا تلك المعاهَدة والمعاقَدة على صحيفة وعلّقوها فى الكعبة .

ضاقت الأرض على الرّسول وحُماته بما رحُبت ، بعد هذه المعاقَدة القاسية المشئومة ، فاضطرّ حامى الرّسول ، ابوطالب ، الى ترك البلد الأمين والأنحياز الى الشّعب ، شِعْب ابى طالب ، فخرج من مكّة واقبل و بنوهاشم و بنوعبدالمطّلب معه ، والرّسول فيهم بمنزلة الكعبة يطوفون حوله ، نحو الشّعب ولجأوا اليها و مكثوا فيها نحواً من ثلاث سنين ، اوّلها ليلة اوّل المحرّم من السّنة السّابعة للبعثة .

واقعة شعب ابى طالب والضيق المشركين على الرسول

كان الشّعب لهؤلاء اللاجئين بالحقيقة كالمنفىٰ بل كمحبس حُبسُوا فيها وابتلوا فى تلك المدّة الطّويلة اشدّ البلاء : فالميرة عنهم مقطوعة ، ومعاشرتهم مع غيرهم ممنوعة ، لايتمكّنون من الخروج عن الشعب الّا ايّاماً قلائل فى المواسم للمناسك ، ولايمكن لأحد من الخارج ، خوفاً من المشركين المعاقدين ، ان يدخل عليهم فضلاً عن ان

يساعدهم بشيء من الطّعام وسائر الحاجيّات .

اشتدّ الامرفي الشِعب على المحصورين واشتدّ حتّى بلغ الأمر حدّاً كبيراً جدّاً فكان يُسمع اصوات صبيانهم من الجوع ، و مع تلك الحالة والشدّة كان الرّسول بينهم معزّزاً مكرّماً معظماً يفديه عمّه الماجد العظيم بماله ومهجته ووُلده واخوانه وعشيرته ولاسيّما بوَلَده **عليّ** فكان يوصي ابنه الشابّ الشجاعَ المؤمن المخلص علياً بالتّضحية في سبيل الرّسالة ولازال يشجّعه ويقويّه ويؤكّد عليه القيام بطاعته والثّبات في حفظه وحراسته وكان يأمر علياً في اللّيل ان ينام مضجع **محمّد** بعدتحويل منامه (ص)، حتّى لايظهر على الاعداء مبيته (ص) فأن كان شقيٌّ هناك راصداً للفتك به جوف اللّيل مريداً لقتله يسلم ابن اخيه **محمّدٌ** الرّسول وان ترتّب عليه قتل ابنه **عليٍّ** !

١٠٦ ــ امر الصّحيفة ونهاء الحصر

صارَ امرالشِعب للمحصورين بحيث اثر في اهل مكّة فصاروا يتذاكرون هذا الظلم الموجع ويستبشعونه و يتآمرون لذلك العقوق و يستنكرونه فتوجّه بعض اكابرهم وهم « **هشام بن عمروالعامري** و **زهير بن ابي اميّة** ابن **المغيرة المخزومي والمطعم بن عدي** بن **نوفل** بن **عبدمناف** و **ابوالبختري** بن **هشام** و **زمعة بن الاسود الأسدي** » الى شدّة القساوة فرقّت قلوبهم ولانت نفوسهم وعزموا على حماية المحصورين واطلاق سبيلهم وخرق الصّحيفة الملعونة فعقدوا ليلاً مجتمعاً سرّياً ودبّروا امرتمزيق الصّحيفة فأصبحوا ذاهبين الى اندية قريش فأقبل **زهير بن اميّة** اليهم وقال بصوت عال :

« انَأكُلُ الطّعام و تلبس الثيّاب وبنوهاشم هلكى لايُباع ولايُبتاع منهم؟! والله لا اقعد حتّى تُشقّ هذه الصّحيفة القاطعة الظّالمة . . . »

وكان ذلك بعدما كان الرّسول اخبر عمّه **اباطالب** بضياع الصّحيفة واكل الأرَضَة ماكان فيها ، من ظلم وجور وقطعية رحم ، وبقاء ماكان فيها من ذكرالله وبعد إنباء **ابي طالب**، المشركين بمااخبره الرّسول وبعد مشاهدة المشركين انّ ما انبأ الرّسول دفع الحصر عن بني هاشم

من النبأ الغيبى، الألهى كان حقاً وصدقاً، على ما فُصّل فى كتب السّير والتّواريخ . واذ ليس بناء هذه الاوراق على الاستقصاء والتفصيل فمن اراده فليراجع تلك الكتب .

وكيف كان تمّ دَوْر الشّعب والحصار فخرج منه المحصورون المحبوسون بعد تحمّلهم ما تحمّلوا من الشّدائد والمكاره والآلام .

ابيات من ابى طالب فى امر الصحيفة

ولأبى طالب ابيات فى هذه الواقعة، منها فى قصيدته البائيّة:

« وقد كان فى امر الصّحيفة عبرةٌ
متىٰ ما يُخَبّر غائبُ القوم يُعْجِبُ
« مَحَا الله منها كُفرَهُمْ وعقوقهم
وما نَقَموا من ناطق الحقّ مُعْرِب
« وأَصْبَحَ ماقالُوْا مِنَ الأمرِ باطِلاً
وَمَنْ يَخْتَلِقْ ماليْس بالحقّ يَكْذِبُ »[١]

والمعروف من ابى طالب فى امر الصّحيفة قصيدتُه الدّاليّة المفصّلة الّتى منها:

« ألا هَل أتىٰ بحريّنا[٢] صُنعَ ربّنا
على نَأْيِهِمْ واللهُ بالنّاسِ أرْوَدُ
« فيُخْبِرُهُمْ أنّ الصّحيفَةَ مُزّقَتْ
وأنْ كلّ ما لم يَرْضِهِ اللهُ مُفسِدٌ »

وقال ابوطالب بعد الخروج عن الشّعب وقُبَيْلَ وفاته ابياتاً يُوصِىْ فيها بنى-هاشم عموماً وابنيه علياً وجعفراً واخويه حمزة وعبّاسا، خصوصاً بحراسة الرّسول ونصرته والذّود عن حريمه . منها هذه:

---

١ - الجزء الثانى من « الكامل » (الصفحه ٦٢) ولابى طالب قصيدة بائية اخرى ضبطها ايضاً اهل السنة فى كتبهم فيها تصريح بتصديق ابى طالب للنبوة اولها :

« الا ابلغا عنى على ذات بيننا — لؤياً و خصا من لؤى بنى كعب
« الا تعلموا انا وجدنا محمدا — نبياً كموسى خط في اول الكتب . . .»

٢ - اراد المهاجرين الى الحبشة، لكونهم و راء البحر.

ايصاء ابي طالب بنصر نبي الخير، الرسول(ص)،

« اُوصِيْ بنصر النَّبِيِّ الْخَيْرِ مَشْهَدُهُ
عليّاً ابنِيْ وَعَمَّ الخير عبّاساً

« وحمزةَ الأسدَ المَخْشِيَّ جانبُه
وجعفراً ان يَــذُودُوْنَه النّاساً

« وهاشِماً كلَّها اُوصِيْ بنصرته
انْ يأخذوا دُوْنَ حرب القوم امْراساً

« كُوْنُوا، فدىً لكُمُ نَفْسِيْ وماوَلَدَتْ،
من دون احْمَدَ عند الرّوع اتْراساً

« بكلّ ابيضَ مَصْقُوْلٍ عوارِضُهُ
تَخالُهُ فِي سوادِ اللّيل مِقْباساً

١٠٧ - خروج الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الى الطّائف

انقضىٰ دورالحصر فى الشّعب، كما دريت، ولكنّه لمّا ينقضِ دورُالأِبتلاء بالأيذاء فجاء دورٌ على الرّسول امرّ واشدّ.

لم يمض من خروج المحصورين من الشّعب ورجوعهم الى مكّة اكثر من ستّة اشهر[1] حتّى تُوفّى عمّ الرّسول، وحاميه الشّهم الفذّ، ابوطالب، «وعمره بضع وثمانون سنة» وبعد موته بثلاثة ايّام توفّيت امّ المؤمنين، خديجة زوجة الرّسول، الصّدّيقة الكريمة الحفيّة فأثّر موتهما فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم اثراً عميقاً واغتمّ على تينك الفاجعتين غمّاً شديداً. ومَنِ الّذى يعلم ان موتهما لم يكن من مقاساتهما الشّدائد والمكاره والآلام، فى الشّعب وهما من حيث الشيخوخة وتكلّف الحفظ والحراسة عن غيرهما، من المحصورين وتكفّل شئون معاشهم وحياتهم فكانا لشيخوختهما ابتلاؤهما اكثر ومقاساتهما الآلام اشدّ.؟

---

١ - هذا احدالاقوال فى تاريخ وفاتهما وهيهنا، كما فى امثاله، اختلاف كثير لسنا فى هذه الاوراق بصدد البحث عنها وتحقيق ما هو الحق منها. والله العالم.

وحينئذ تجاسرت قريش على مكاشفة الرّسول بالأيذاء واجترء عليه القوم بالتّجاهر في الأعتداء. وقد اشار الرّسول الى ذلك بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«مَانالَتْ مِنّي قريشُ شَيْئاً اَكرَهُه حتّى مَاتَ اَبُوطالب [1]».

ذهاب الرسول الى الطائف للدعوة وايذاء اهلها اياه

لمّا اشتدّ الأمر على الرّسول، عزَمَ ان يخرج الى الطّائِف ويدعوَ اهلَها الى الله عسى ان يجد من قلوبهم انفتاحاً ويرىٰ من صدورهم انشراحاً فان لم يكونوا ان يقبلوا الدّعوة و يؤمنوا بالله وحده فلعلّهم يجيروه و ينصروه و يؤْوُوْه ويمنعوه من قومه، الجاهلين الجائرين.

ولكنّ اهل الطّائِف لم يقبلوا دعوته ولم يستجيبوا له نصرته ولم يجيروه ولم يؤووه بل آذوه اكثر واشدّ، ممّا آذوه سفهاء قريش بمكّة «... واغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبّونه و يصيحون به حتّى اجتمع عليه النّاس والجأوه الى الحائط...» [1] و الزموه الخروج من الطّائف ورموه بالحجارة حتى دُميت قدماه فاضطرّ الى الخروج منها الى مكّة.

عود الرسول (ص) من الطائف واستجارته بمطعم بن عدى

خرج من الطّائف كئيباً حزيناً ردّه الطّائف وهو يعلم انّه لاتقبله مكّة فأقام بنخله خارج مكّة واستجار للدّخول بمكّة اخيراً الى مطعم بن عدىّ حتّى يبلّغ رسالة ربّه فأجاره وامر بنيه وقومَه ان يلبسوا سلاحهم وقال لهم: «كونوا عند البيت فأنّي قد اَجرت محمّداً».

«واصبح المطعم بن عدى قد لبس هو وبنوه وبنو اخيه فدخلوا المسجد. فلمّا رآه ابوجهل قال: امُجيرٌ ام متابع؟.

قال: بل مجير.

قا: فاَجرْنا مَنْ اَجرتَ.

فدخل النّبى (ص) مكّة واقام بها ....» [2]

---

١ - الجزء الثانى من تاريخ الطبرى - الصفحة ٨٠

٢ - الجزء الثانى من الطبرى (الصفحة ٨٢).

١٠٨ ـ بيعة العقبتين

دخل النبيّ (ص) مكّة في جوار مطعم واقام بها، وكان يعرض نفسه في الموسم اذا كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم انّه نبيّ مرسل ويسألهم ان يصدّقوه ويمنعوه حتّى يبيّن عن الله ما بعثه به» .

و «يقف على منازل القبائل من العرب فيقول:

« يا بني فلان انّي رسولُ الله اليكم ، يأمُرُكم ان تَعبُدُوا الله ولا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وانْ تَخلَعُوا ماتَعبُدُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ هٰذِهِ الأَندادِ وانْ تُؤمِنُوا وتُصَدِّقُونِي وتَمنَعُوني حتّى اُبَيِّنَ مِنَ الله مابَعَثَني بِهِ »

وفي احدى «المواسم» .

« عرض نفسه على قبائل العرب . . . . فبَينَما هو عند العقبة اذ لقي رهطاً من الخزرج . . . .

«قال : افلا تجلسون حتّى اكلّمكم ؟

« قالوا : بلىٰ . . . .

« فدعاهم الى الله وعرض عليهم الأسلام وتلا عليهم القرآن . . . .

«فاجابوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الأسلام . . . . ثمّ انصرفوا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اجمعين الى بلادهم . . . . فلمّا قَدِموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم و دعوهم الى الأسلام حتّى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار الّا وفيها ذكر من رسول الله (ص) حتّى اذا كان عام المقبِل، وافى الموسم من الأنصار اثنى عشر رجلاً فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على بيعة النّساء وذلك قبل ان يفترض عليهم الحرب . . . . »

بيعة النساء في العقبة الالى

قال عبادة بن الصّامت :

« كُنتُ في من حضر العقبة الأولى وكنّا اثنى عشر رجلاً فبايَعنا رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم على بيعة النّساء ، وذلك قبل ان يفترض الحرب ، على ان لانشرك بالله شيئاً ولانسرق ولانزنى ولا نقتل اولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولانعصيه فى معروف......»

وبعد ذلك :

« فلمّا انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله (ص) **مصعب بن عمير** بن هاشم ابن **عبدمناف** وامره ان يُقرِئهم القرآن و يعلّمهم الأسلام ويُفقّهم فى الدّين . وكان يسمّى **مصعب** بالمدينة : « المُقرِيء » وكان منزله على **اسعد** بن **زرارة** بن **عدس** ، ابى اُمامة، ..... فأقام عنده يدعوا النّاس الى الأسلام حتّى لم تبق دار من دُورالأنصار الّا وفيها رجال ونساء مسلمون .... »

فكان بعد العقبة الأولى و بيعة ستّة نفرمن الخزرج ، وان كان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فى ضيقٍ من اذى المشركين ولكنّ الرّسالة نهضت تمشى نحوالأمام رويداً ويتقدّم بالنّشر و النفوذ يوماً فيوماً و تدخل من بيت الى بيت و تخرج من الدّاخل الى الخارج حتّى انتشر صيتها الى يثرب ، مدينةِ الرسول ، فاعتنق الاسلام نفرٌ من اهلها وفشافيها سريعا فلم يبق فيها دارمن الانصار الّا وقد دخلها الاسلام .

« ثمّ انّ **مصعب** بن **عمير** رجع الى مكّة ، وخرج من الأنصار من المسلمين الى الموسم مع حُجّاج قومهم من اهل الشّرك حتّى قَدِمُوا مكّة فواعدوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العقبة ، من ايّام التّشريق .... »

فمضوا بعدمُضىّ الثّلث من اللّيلةِ المُواعَدة متسلّلين مستخفّين حتّى اجتمعوا فى الشّعب عند العقبة ، وهم سبعون رجلاً ومعهم امرئتان ، فجائهم رسول الله (ص) ومعه عمّه **العبّاس** ، وهو بعدُ على دين قومه ، فتكلّم **العبّاس** بماحاصله اتمامه الحجّة عليهم فى القيام بحفظ الرسول و منع المخالفين عنه . ثمّ تكلّم النبىّ (ص) فتلا القرآن ودعا الى الله ورغّب فى الاسلام ثم قال :

« اُبايعكم على ان تمنعونى ممّا تمنعون منه نسائكم وابنائكم » .

فبايعوه وهذه البيعة فى العقبة الثانية «فى ذى الحجة واقام الرسول بعدها بمكة بقية ذى الحجة والمحرم والصفر وخرج مهاجراً منها الى المدينة فى شهر ربيع الأول وقدمها يوم الأثنين لأثنتى عشرة ليلة خلت منه» .

بيعة الحرب فى العقبة الثانية

« و بايع رسول الله من بايع من الأوس والخزرج فى العقبة الآخرة ، وهى بيعة الحرب ، حين اذن الله عزوجل فى القتال بشروط غير الشروط فى العقبة الأولى[1] . واما الأولى فانها كانت على بيعة النساء . . . و كانت بيعة العقبة الثانية على حرب الاحمر والاسود» .

١٠٩ ـ اذن القتال

بعد تمام هذه البيعة (البيعة الثانية) اذن الله لرسوله (ص) فى القتال بقوله تعالى :

« وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ »

وبعد تضييق قريش على المسلمين بايذائهم بالحبس والفتنة « امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار وقال :

امر الرسول (ص) بالهجرة الى المدينة

« إِنَّ اللهَ ، عزوجل ، قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وداراً تأمَنُونَ فيها :

« فخرجوا أرسالاً[1] واقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج والهجرة الى المدينة ... ولم يتخلف معه بمكة احد من المهاجرين الا أُخِذَ فحُبِسَ او فُتِنَ الا علي بن ابى طالب و ابوبكر بن ابى قحافة. . . . »

---

١ ـ « اول من هاجر الى المدينة ابوسلمة بن عبدالاسد « هاجر الى المدينة قبل بيعة اصحاب العقبة رسول الله بسنة و كان قدم على رسول الله بمكة من ارض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه اسلام من اسلم من الانصار خرج الى المدينة مهاجراً .

ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة معه امرئته ، ثم عبدالله بن جحش و ابواحمد بن جحش و كان رجلا ضرير البصر و كان يطوف مكة اعليها واسفلها بغير قائد.

« ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ارسالا . . »

١١٠ - مؤامَرَة قريش لقتل الرّسول

وحينئذٍ هَبّ المشركون، بزعمهم، من هَجْعَتهم وانتبهوا من غفلتهم و تيقّظوا من رقدتهم فشمّروا عن ساعدالعداوة وتهيّأوا لأطفاء نورالله بكلّ مالهم من القوّةوالحيلة والقساوة.

وذلك لماكانوا يعرفون انّ يثرب دار مَنعة وانّ القوم ذووشوكة واولو بأس ونجدة فاذا خرج الرّسول اليها ولحق بمن فيها اشتدّ ظهره وظهَرَامره ولعلّه صارالأمر الى مالايمكن دفعه، فقاموا وقعدوا، وقالوا وسمعوا، فعزموا على ان يدركوالامر قبل ان لايقدروا.

اجتماع قريش في دارالندوة

فاجتمعوا في «دارالنّدوة»، نادِي المؤامَرة، للتّأمّر، فقالوا واستمعوا، وتذاكروا وتشاوروا، وبعدمحاورات كثيرة اتّفق رأيهم على مااقترحه قُدوتهم في العصبيّة والجهل، **ابوجهل**، وكان رأيه ان يختاروا من كلّ بطن من المشركين، من قريش ومن غيرها من القبائل والأفخاذ، «فتىً جلَدا نسيباً وسيطاً فيهم» فيأخذكلّ منهم سيفاً صارماً ويذهبون ليلاً الى بيت **محمّدٍ** فيضربونه باسيافهم المسلولة ضربة رجل واحدكي لايعرف قاتلٌ بعينه فيتفرّق الدّم في القبائل وصارالأمر مشتبها على بني‌هاشم فلايتمكّنون من اخذالثّار من شخص‌واحد اوقبيلة معيّنة ولايجترئون ان يحاربوا تلك القبائل المتّحدة المتكثّرة فيتحيّرون ولا يدرون كيف يصنعون و بالضّرورة بالعقل منهم يرضون و باخذ الدّية عنهم يقنعون.

في محكيّ «الأمالي» عن ابي‌عبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر:

اتفاق قريش على راى ابي جهل

«.... فقال **ابوجهل**: لكن اریٰ لكم ان تعمدوا الى قبائلكم العشرة فتنتدبوا من كلّ قبيلة رجلاً نَجِلاً (اي اصيلاً) ثمّ تُسَلِّحُوه حُساماًعَضْباً وتمهل الفتية حتّى اذا غسق اللّيل وغوّر، يبيّتوا بابن ابي كبشة [1] بياتاً فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً

---

١ - «في الخبر قال ابوسفيان: لقد عظمتم ملك ابن ابي كبشة.

«كان المشركون ينبسون النبي الى ابي كبشة وكان ابوكبشة رجلا من خزاعة... الى آخر مانقلناه ذيل مطلب ٦٨ سابقاً عن مجمع البحرين.

فلايستطيع بنوهاشم وبنو المطّلب مناهضة قبائل قريش فى صاحبهم فيَرْضَوْن حينئذٍ بالعقل منهم » .

١١١ ـ العدّة المنتخبة

اختلف الأقوال فى تعيين العدّة المختارة لذلك الشّأن الخطير ، فالاقلّ لاتقِلّ عن عشرة ، كما يترائى من محكيّ الأمالى آنفا (وفى صريح بعضها انّها لاتقِلّ عن خمسة عشر رجلاً) والأكثر لاتتجاوز عن خمسين .

وفى بعض الأخبار : كانت العدّة تلك اللّيلة خمسة وعشرين . وعن « الخرائج » :

« لمّا كانت اللّيلة الّتى خرج فيها رسول الله (ص) الى الغار كانت قريش اختارت من كلّ بطنٍ منهم رجلاً ليقتلوا محمّداً فاختارت خمسة عشر رجلا من خمسة عشر بطناً ، كان فيهم ابولهب من بطن بنى هاشم ، ليتفرّق دمه فى بطون قريش فلايمكن بنى هاشم ان يأخذوا بطناً واحداً فيَرْضَوْن عند ذلك بالدّية فيُعْطَوْنَ عشر ديات »

وحُكِيَ عن امالى الشّيخ بالأسناد عن ابن عباس :

خيبة المهاجمين على الرسول (ص) فى بيته

« .... فلمّا اجتمع اولئك النّفر من قريش يطيفون ويرصدونه ويريدون قتله ، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وهم جلوس على الباب خمسة وعشرون رجلاً فأخذ حَفْنَةً من البطحاء ثمّ جعل يُذِرّ على رؤسهم ... »

وفى كتاب « البدء والتّاريخ » المنسوب الى ابى زيد احمدَ بن سهلٍ البلخى[١] .

« .... فتفرقوا على هذا (يعنى راى ابى جهل فى المؤتمر) وجمعوا من فتيان قريش اربعين شاباً واعطوهم السّيوف وامروهم ان يغتالوا النبىّ (صلعم) ويقتلوه . . . فأتوا داره واحاطوا به يرصدونه حتّى ينام فيبيّتون به ، واتاه الخبر من السّماء فثبت حتّى امسىٰ ثمّ اضطجع على فراشه وتجلّل رَيْطَةً لهُ خَضْراء والرُّصَّد يرَوْن

---

١ ـ المجلد الثانى ـ الصفحة ١٧٠ ـ طبعة باريز .

ماصَنَعَهُ و يرقُبُون نومَه . فدعا عليّاً وقال:

« نَمْ على فراشي . . . . وان اتاك ابوبكر فأخْبره انّي قد خرجت الى ثور اَطْحَل ، وهو غار باسفل مكّة ، ومُرْهُ فَلْيَلْحَقْ بي .

« و خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله و قد اخذ حَفْنةً من التّراب فجعل يَنْثُرُ على رؤسهم . . . . »

«وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ اللهِ
وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ »

(فی تفسیر «التّبیان» : ورُوی عن ابی جعفر علیه السّلام انه
قال : نزلت فی علیٍّ حین بات علی فراش رسول الله
صلّی الله علیه وآله .... وبه قال عمر بن شبّة)

« وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا وَهاجَرُوا فی سَبِيْلِ اللهِ وَالَّذِيْنَ
آوَوْا وَنَصَرُوا اُولئكَ هُمُ الْمؤمنون، لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيْمٌ »

(الآیة ال ۷۵ من السورة ال ۸)

« قال رسول الله لعلیٍّ :
« اَنْتَ اَخِيَ فی الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ »
« وَوَزِيْرِيْ وَوارِثِيْ »
(الأربعین الخوارزمی)

۷ـ حولَ الهجرة الی المدینة و ماجریٰ فیها وترتّب علیها:

۱ـ بدء الهجرة الی المدینة .

۲ـ فی طریق المدینة .

۳ـ وروده (ص) بالمدینة.

۴ـ اوّل خطبة خطبها حین وروده .

۵ـ فی المدینة .

۶ـ اصطفاء الرّسول علیّاً اخاً لنفسه .

۷ـ غزوات الرّسول وسرایاه .

۸ـ شأن علّی فی تلک الغزوات .

۹ـ سرعة نشر الاسلام وشدّة تأثیره .

۱۰ـ الاسلام خارق للعادة فی التّعلیم والتّربیة .

١١٢ ـ بدء هجرة الرسول صلّى الله عليه و آله وسلّم وافتداء عليّ له بنفسه

اتّفقت كلمة قريش على ذلك الرّأى فتفرّقوا لتعبية ما اجتمعوا عليه فأجمعوا امرهم، وابدعوا كيدهم، واسرعوا مكرهم، احضروا من فتيان القبائل وشبّانهم من اختاروا واعلموهم مادبّروا وواعدوهم اللّيلة، الأجتماع حول بيت الرّسول والأحاطة بمضجعه ثمّ ضَرْبُه باسيافهم دفعةً واحدةً ضربةً قاطعة.

فأوحى الله عزّوجلّ الى رسوله الأجلّ ونبّأه بما ازمعُوا عليه وامرّه بان لاينام تلك اللّيلة فى منامه واذن له ان يخرج من بيته مهاجراً الى يثرب فاسرّ النبى (ص) بذلك لعليّ، مخزن سرّه الفريد، وعيبة علمه الوحيد، وزيره وخليفته، واستقرّ الامر على ان ينام عليّ تلك الليلة فى بيت الرّسول و يخلفه فى مبيته ويراقب كمال المراقبة فى اخفاء هذا الأمر كى لاينشأ للمهاجمين اخفّ تخيّل، واضعف توهّم، واوهن تفرّس فى امره حتّى يتمكّن الرّسول من الخروج بالسّلامة و الصحّة، و يتيسّر له المسافَرة و المهاجَرة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ.

« نَمْ على فراشى واتّشح ببُردى الحَضْرَمىّ الأخضر فَنَمْ فيه [1] ».

---

١ ـ تاريخ الطبرى (الجزء الثانى انصفحة ٩٩).

وفيه ايضاً (الصفحة ٩٩) « . . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك اذا نام... قال ابوجعفر: زاد بعضهم فى هذه القصة فى هذا الموضع « وقال له: ان اتاك ابن ابى قحافة فأخبره انى توجهت الى ثور، فمره فليلحق بى وارسل الى بطعام واستاجرلى دليلا يدلنى على طريق المدينة...» وفيه ايضا (الصفحة ١٠٠)

« وقد زعم بعضهم ان ابابكر اتى علياً فسأله عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فاخبره انه لحق بالغار من ثور، ان كان لك فيه حاجة فالحقه. فخرج ابوبكر مسرعاً فلحق نبى الله فى الطريق فسمع رسول الله (ص) جرس ابى بكر فى ظلمة الليل فحسبه من المشركين... »

وكان الرّسول ينام فى برده ذلك حين ينام .

۱۱۳ ـ علىّ (ع) فى مضجع الرسول (ص)

نام علىّ ، مظهر الأيمان والأخلاص والوفاء والمثل الأعلى للبطولة والشّجاعة والفتوّة و المروئة و الصّفاء فى مضجع الرّسول و منامه وقام بأعباء التّضحية و الأفتداء باحسن قيام فى مقامه .

نيام على(ع) منام الرسول(ص)

كان علىٌّ تلك اللّيلة نائباً عنه،خليفةً له،قائماً مقامه،بل كان نفسه وعينه عندمن انصف وفتح عينه .

اتّشح علىٌّ بالبُرد الحضرمىّ الأخضر و نام فى فراش الرّسول الأطهرصلّى الله عليه وآله وسلّم وغطّى وجهه الأكرم الأنور وخرج الرّسول ودخل المشركون ، وهم على يقينٍ من انّ النائم فى الفراش هونفس محمّد . واراد واحين ماوردوا ان يُتمّوا ماقصدوا ، فيهجموا عليه باسيافهم المسلولة ويضربوه ضرباً بل ويقطعوه ارباً ارباً ولكنّ الله، تعالى شأنه، اراد غيرذلك فاقترح بعضهم ان لايُسرعوا فى ما ارادوا ويتريّثُوا فى فى ما قصدوا حتّى اذا نامت العيون واستولى على الأرجاء، السّكون، حين استدبر اللّيل واستقبل الفجريحملون عليه بسيوفهم فيشفون بقتله قلوبهم .

صادف هذا الرّاى و الأقتراح مورد قبول الكلّ فأحاطوا حول الدّار والمنام، واشتدّوا المراقبة،وترقّبوا اقتران الفجر ولاريب انّ عليّاً كان يعلم ما يريدون،ويسمع مايقولون ، ويترصّد مايقصِدون ومع هذا كان رابط الجاش ، مطمئنّ البال ، ساكنَ القلب ، متملك النّفس ، منشرحَ الصّدر،لاحراك له ولااضطراب،ولاایّ عمل يورث ادنى شكّ لهم و ارتياب كان قلبه الملىء بالأيمان ممتلئاً بالسّرور والنّشاط وصدره متوسّعاً بالفرح والأنبساط وكيف لا وهو يرى انّه فى افتدائه هذا وتضحيته صارباعثا لنجاة من هو اعزّ عليه من نفسه ، وهو الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم فالآن وقد تخلّص الرسول من شرّ هذه الفئة الشّريرة ونجا،من الخطرالمحدّق به وراح واستراح فدع الهلاك والفناء يتوجّه ، الى اىّ شخص يتوجّه، علىٌّ كان هو اوغيرعلىّ ، كلّ

الأشخاص عند عليّ سواسية لاقدر لحياتهم تجاه حياة الرسول ولاقيمة لوجودهم اذا توجّه خطر على ذلك الوجود.

سكينة علي، ورباط جاشه

هذا كلّ ما يخطر ببال عليّ، و يجتاز على خاطره و يرتكز في نفسه ويتسرّب الى ضميره.

اجل: انّ عليّاً فرحان بانّه شرىٰ نفسه ابتغاء رضاء الله وعوّض منها ببقاء رسول الله، قوله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ. واللهُ رَؤُوفٌ بالعبادِ ٢٠»[١].

١١٤ - كشف الحقيقة

كانت الحالة في تلك اللّيلة على مادريت: المشركون على اُهْبَة الهجوم وعُدّة الفتك بالرّسول وعليٌّ في فراشه (ص) على طمأنينة قلب وسكون نفسٍ ورباط جأش وهو مسرورٌ مبتهج يترقّب فرج الرّسول ورفع البلاء عنه.

اقترب السّاعة واضطربت النّفوس المهاجمة والقلوب القاسية وحان حين العمل ونيل الأمل فكشف عليٌّ عن قمر وجهه وقام عن الفراش على ساقه. القى الغطاء فارتفع الخفاء فظهر لهم الخطاء فبهتوا في دهشة و وقفوا من وحشة، اخذتهم الحيرة وغلبتهم الحسرة، وفاجئتهم الشكّ والرّيبة، فارتابوا: أهُم اَيقاظٌ ام رُقّد؟ وهذا الّذي يرونه عليٌّ ام محمّد؟! متىٰ جاء عليٌّ ونام؟ وكيف راح محمّد واين راح وقام؟!!

---

١ - من السورة الثانية (البقرة). في تفسير «التبيان»:

«قال قتادة: نزلت هذه الاية في المهاجرين والانصار وقال عكرمة: نزلت في ابي ذر الغفاري...

«و روى عن ابي جعفر(ع) انه قال: نزلت في علي حين بات على فراش رسول الله(ص) لما ارادت قريش قتله حتى خرج رسول الله (ص) وفات المشركين اغراضهم. وبه قال عمر بن شبة...»

وما طالت الرّيبة اكثر من بُرهة حتّى[١] رجعوا الى انفسهم وعلموا انّهم ايقاظ ومايرونه حقيقةٌ يرونها باعينهم و حقٌ يشاهدونه بابصارهم وايقنوا انّ من قام بأزائهم عليٌّ لامحمّد فليس لهم الآن عليه سُلطة ولايد.

فالآن، وفتوّة عليّ وشهامته وبطولته ومروئته ابطلت ماكانوا يترصّدون، وافتداؤه وتضحيته نقضت ما يقصِدون، فما عليهم ان يفعلوا؟! فما يفعلون؟ وكيف يصنعون؟ واين يذهبون؟!

انكشاف الامر على المشركين

سألوا عليّاً عن الرّسول و محلّه والحّوا عليه واصرّوا بل وهدّدوه فما عرفوا منه شيئاً فلاجرم حرصاً على الوقت ان لايفوت وطمعا في الوصول الى الرّسول خرجوا من البيت وذهبوا مع القافة المهرَة يقوفون الأثَر لعلّهم يقفون عنه بخبر.

١١٥ ـ قفو اثر الرسول (ص)

تتبع القائفين اثره الى غار ثور (نقبٌ في جبل ثور بأسفل مكّة) الّذى التجأ اليه الرّسول وخفى مع ابى بكر فيه[١] وهناك انقطع الأثر واشتبه الخبر. فوقفوا يتذاكرون وتوقّفوا يتشاورون و حينئذٍ اضطرب الصّاحب في الغار، وحزن فانزل الله سكينته على رسوله وسكن، وايّده الله بجنود لم يروها.

وقع الخلاف بينهم وتحيّروا فتحاوروا: هل دخل محمّدٌ الغار وغار! ام ذهب الى السّماء وطار!؟

---

١ ـ اختلف كلمات الشيعة في صحابة ابى بكر للرسول في تلك الليلة فبعض قال:

« ان الرسول اخبر ابابكر وهند ابن ابى هالة، القضية وامرهما بالجلوس والانتظار في موضع معين فلاقاهما الرسول حين خرج من البيت في ذلك الموضع واستصحب ابابكر معه واذن لابن ابى هالة ان يرجع الى مكة ».

وقال صاحب « الخرائج » بعد ذكر خروجه (ص) من البيت:

« فراى ابابكر قد خرج يتجسس عن خبره وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم فاخرجه معه الى الغار... »

رأوا على باب الغار بيت العنكبوت ولم يتفطّنوا انّه من او هن البيوت فارتابوا وتردّدوا في افكارهم وصرف الله عقولهم فارتدّوا على ادبارهم . انصرفوا آيسين خائبين، ورجعوا الى مكّة تاعسين خاسرين قوله تعالى :

«إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا، ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا . فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا . وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا . وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ [١]» .

١١٦ ـ فى طريق المدينة

استخفى الرّسول من الكافرين بغار ثور ويئس المشركون، بعد عدم تفطّنهم بوجوده فى الغار، من ان يظفروا به فانصرفوا لى مكّة بالخيبة والحسرة .

لبث الرّسول ثلاث ليال ثمّ خرج نحو المدينة وكان فى صحبته **ابوبكر ابن ابى قحافة** و **عبدالله** بن **اُريقط** [٢]، وهو الّذى جاء لهما براحلتين وكان دليل الطّريق فى هذا السفر .

ظهرت عن الرّسول (ص) فى هذا الطريق كرامات صارت سبباً لهداية من كان التوفيق رفيقاً له ولعلّه يناسب ان تذكر تلك الكرامات هيٰهنا ولكنّه رعايةً للاختصار المنظور فى هذه الوريقات يُكتفىٰ بذكر قضيّة واحدة ضبطها اكثر التواريخ والأخبار وهى ملخصةً : علىٰ ما فى الكتب المعتمدة :

---

١ ـ من السورة التاسعة (التوبة).

٢ ـ فى الاصابة وعبدالله بن اريقط و يقال : اريقد بالدال بدل الطاء المهملتين . . . دليل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وابى بكر لما هاجرا الى المدينة ثبت ذكره فى «الصحيح» وانه كان على دين قومه . .. و لم ارمن ذكره فى الصحابة الا الذهبى فى « التجريد » وقد جزم عبدالغنى المقدسى فى السيرة له : بانه لم يعرف له اسلاماً وتبعه النووى فى تهذيب الاسماء » .

« . . . ثمّ مرّ فى سيره بخيمة امّ معبدٍ الخزاعيّة فسألاها هل عندها شيء ؟

« فقالت : والله لوكان عندنا شيء ما أعوزكم القِرىٰ ، والشّاءُ عازب (بعيدة غيرحاضرة) ، وكانت سنةٌ شهباء .

« فنظر رسول‌الله الى شاةٍ فى كِسْر الخيمة (جانبها) فقال : ما هذه الشّاة يا أُمّ معبد ؟

« قالت : شاة خلّفها الجهد عن الغنم .

« فقال : هل لها من لبن ؟

« قالت : هى اجهد من ذلك .

« فقال : اتأذنين لى ان احلبَها .

« قالت : نَعَمْ ، بأبى وامّى ، ان رايت به حلبا فاحلُبها .

« فمسح رسول‌الله (ص) بيده ضرعها وسمّى‌الله ودعا فتفاجَتْ عليه (فرجت بين رجليها واعدّت للحلب) ودرّتْ فدعا بأناء لها يربض الرّهط (يريد ظرفا كبيرا واناءً وسيعا) فحلب فيه حتّى علَتْه الرّغوة . فسقاها فشربت حتّى روّت وسقىٰ اصحابه حتى رُوّوا ثمّ شرب وحلب فيه‌ثانياً حتّى‌ملأالأناء . ثمّ غادره عندها. فقَلّ ما لبث ان جاء زوجها ابومعبد يسوق أعنزاً عِجافاً يتساوكن هزالاً فلمّا راى اللّبن عجب . فقال :

« من اين‌لكِ هذا . والشّاة عازب ، ولاحلوبة فى‌البيت ؟ :

« فقالت : لاوالله، الّا انّه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كَيْتَ وكَيْتَ ومن حاله كذا وكذا .

« قال:والله،انّى لأَراه صاحب قريش‌الّذى تطلبه . صِف لى يا امّ معبد...[١] »

---

١ ـ ومن‌طرق الشيعة: فى‌البحار ، نقلا عن « اعلام‌الورى » فى‌باب معجزاته صلى‌الله عليه وآله وسلم : « من معجزات النبى (ص) حديث شاة ام معبد و ذلك ان النبى (ص)

بقية الحاشية فى‌الصفحة الاتية

فوصف شمائل جماله الانور الاطهر على ما اسلفنا نقله .

۱۱۷ ـ وروده (ص) بالمدينه

كان من كيفيّة وروده (ص) المدينةَ انه بعد ارتحاله يوم الجمعة من قُبآء وتجميعه باصحابه الجمعةَ فى اليوم الذى ارتحل فيه من قُبآء فى بطن وادٍ لبنى سُليم بن عوف ، وكانت هذه الجمعة اوّل جمعة جمّعها الرّسول فى الاسلام كما انّ الخطبة الّتى خطبها فى هذه الجمعة كانت اوّل خطبة خطبها بالمدينة ، عمَد نحو المدينة فعلى ما فى الطّبرى :

اول جمعة جمعها الرسول (ص) فى الاسلام

« ركب ناقته وارخىٰ لها الزّمام فجعلت لاتمرّ بدارٍ من دُور الأنصار الّا دعاه اهلها الى النّزول عندهم و قالوا له : هلمّ يا رسول الله الى العدد و العُدّة والمَنْعة . فيقول لهم : خلّوا زمامها فانّها مأمورة . حتّى انتهىٰ الى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده ، وهو يومئذٍ مِربَدٌ لغلامين يتيمين من بنى النّجار فى حَجْرِ مُعاذ بن عفراء .

« فلمّا بركت لم ينزل عنها رسول الله (ص) ثمّ وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لايُثنيها به ثمّ التفتت خلفها ثمّ رجعت الى مَبْرَكها اوّل مرّة فبركت فيه ووضعت جرانها ونزل عنها رسول الله (ص) فاحتمل ابو ايّوب رحلَه فوضعه فى بيته فدعته الأنصار الى النّزول عليهم فقال (ص):

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

لما هاجر من مكة ومعه ابو بكر و عامر بن فهيرة و دليلهم عبيدالله بن اريقط الليثى . . . » ثم نقل القضية ، مع اختلاف يسير فى بعض الكلمات لما اوردناه فى المتن ، . وكيف كان فالمراد من لفظة « المعجزات » مايشملها و يشمل « الكرامات » لاخصوص « المعجزة » بمعنيها ـ الاصطلاحى المعتبر فيه « التحدى » ولعل المعجزة و الكرامة كانتا من قبيل « الفقير » و « المسكين » اذا اجتمعتا افترقتا واذا افترقتا اجتمعتا .

« المرء مع رحله . فنزل على ابى **ايوب**، **خالد بن زيد بن كليب**، فى بنى غنم بن النجار .

« وسأل رسول الله (ص) عن المربَد : لمن هو؟ فأخبره **معاذ بن عفراء** وقال : هو ليتيمين، لى سأرضيهما . فأمر به رسول الله (ص) أن يُبنىٰ مسجداً و نزل على **ابى ايوب** حتىٰ بنى مسجده ومساكنه. . . . وتولىٰ بناء مسجده صلى الله عليه وسلم هو بنفسه واصحابه من المهاجرين والأنصار... »

اول مسجد بنى المدينة

كان اول عمل منه صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، بناء هذا المسجد وبعدهما مسجدا بالذبحة والشهقة .

١١٨ - تاريخ الهجرى

ممّا حدث اوّل قدومه (ص) المدينة امره بالتاريخ. قال **الطبرى** (الصفحة ال١١٠ من الجزء الثانى) فى تاريخه :

«ولمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة امر بالتاريخ فى ما قيل ، حدثنى . . . عن **ابن شهاب** : ان النبىّ (ص) لمّا قدم المدينة، وقدمها فى شهر ربيع الاول، امر بالتاريخ (قال ابوجعفر:) فذكر انهم كانوا يؤرّخون بالشهر والشهرين من مقدمه الى ان تمّت السنة . وقد قيل: انّ اوّل من امر بالتاريخ فى الاسلام **عمر بن الخطّاب** رحمه الله . »

يقول مؤلف هذه الأوراق و يؤيد قول الأول فى امر التاريخ، ماجاء فى كتاب « **مجمل التواريخ والقصص** »[١] فيناسب ان نوردها ترجمته عن الفارسية :

قال فى الفصل الذى عقدها لبيان الحوادث الواقعة بعد الهجرة فى السنة الأولى:

---

١ - كتاب فارسى نسختها المنحصرة بخزانة الكتب الملية بباريس تحت رقم (فارسى ٦٢) اخذ عكسها العلامة **محمد القزوينى** ثم طبع بتهران بتصحيح الشاعر الفاضل ملك الشعراء، **بهار**، والكتاب يشتمل على التاريخ الى سنة ال٥٢٠ الهجرية القمرية ولعله توفى المؤلف فى تلك الاوان.

«وفي هذه السّنة اشترى النّبي عليه السلام **سلمانَ الفارسي** . . . . هكذا قرأت في تأليف **حمزة بن الحسن** ، ربّ التاريخ ، قالوا :

« كان **سلمان** من قرية « جيان » بأصبهان وكان اسمه **ماهبذ بن بدخشان بن آذرجشنس** (آذرگشسب) ابن **مردسالار** وينتهي نسبه الى **منوچهر**، ملك العجم، وفرّ، لأمر جزائيّ صدر منه ، الى دير راهب بالشّام و دخل في المسيحيّة وكان ينتقل من صومعةٍ الى اخرىٰ حتّى استعبده يهوديّ يُسمّى **عثمان** بن **الأشهل** .

ولمّا هاجر النّبيّ (ص) ابتاعه من اليهودي واعتقه وكتب له عهداً كتبه **عليّ** بن **ابي طالب** عليه السلام وهذه عين النّسخة لفظاً بلفظ :

كتاب عهد شراء رسول الله سلمان الفارسي

« بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا ما افدىٰ **محمّد** بن **عبدالله**، رسول الله، **سلمان الفارسي** من **عثمان** بن **الأشهل** اليهوديّ ، ثمّ القُرَظي ، بغرس ثلاثمأة نخلة واربعين اوقية [1] ذهباً . وقد برىء **محمد** بن **عبدالله** ، رسول الله، لثمن **سلمان الفارسي**، و ولاؤه لمحمّد بن عبدالله ، رسول الله، واهل بيته . لاسبيل لأحد على **سلمان** .

« شهد على ذلك **ابوبكر** بن **ابي قحافة** و**عمر** بن **الخطّاب** و**عليّ** بن **ابي طالب** و **حذيفة** بن **سعد** بن **اليمان** و **ابوذرِ الغِفاري** و **المقداد** بن **الأسود** و **بِلال** مولى **ابي بكر** و **عبدالرحمن** بن **عوف** .

« وكتب **عليّ** بن **ابي طالب** يوم الأثنين في جُمادَى الأُولى من سنة مُهاجَر محمّد بن عبدالله ، رسول الله . »

« وكان لسلمان ابن اخ اسمه **ماه آذر** بن **فروخ** بن **بدخشان**، و اسرتهم بشيراز ولهم عهد من النبيّ بخطّ اميرالمؤمنين **عليّ** ، على اديم ابيض و عليه خاتم الرّسول و **ابي بكر** و **عمر** و **عثمان** و **عليّ** . وهذا العهد وان كان في السّنة التّاسعة من الهجرة ولكنّه اثبتناه هنا للمناسبة . وهذه نسخته بخطّ **عليّ**، كرّم الله وجهه، لفظاً بلفظٍ :

---

١ ـ « . . . والاوقية ، في الحديث ، اربعون درهماً . وكذلك كان في مامضى فاما اليوم في مايتعارفها الناس و يقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم ، وهو استار وثلثا استار ، والجمع الاواقي » (صحاح اللغة).

« بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا كتاب من **محمّد** رسول الله سأله **سلمان** باخيه **ماه‌آذر فروخ** و اهل بيته و عقبه من بعده ، ما تناسلوا ، من اسلم منهم ومن اقام على دينه سلم الله [1] .

كعاب عهد الرسول لابن اخي سلمان وسائر اسرته

« احمد اليكَ الّذى امَرنى ان اقول: لااله الّا الله وحده ، وحده ، لاشريكَ له ، اقولها وآمُرُ النّاس بها وانّ الخلق خَلقُ الله والأمرَ كلمةُ الله ، خلَقَهم واماتَهم وهو ينشرهم و اليه المصير ، وانّ كلّ امرٍ يزول ، وكلّ شيءٍ يبيد ويَفنىٰ ، وكلّ نفس ذائقة الموت . مَنْ آمَنَ بالله و رسوله كان له فى الآخرة دَعَةُ الفائزين ، ومن اقام علىٰ دينه تركناه فلا اكراه فى الدّين .

« فهذا كتابٌ لأهل بيت **سلمان** : انّ لهم ذمّة الله ، على دمائهم واموالهم فى الأرض الّتى يقيمون فيها ، سهلها و جبلها و مَراعيها و عيونها ، غير مظلومين ، ولا مضيّق عليهم .

« فمن قُرِىءَ عليه كتابى هذا ، من المؤمنين و المؤمنات ، فعليه ان يحفظهم و يكرمهم و يسرّهم ولا يتعرّض لهم بالأذىٰ والمكروه . وقد رفعتُ عنهم جزّ النّاصية والجزية والخمس والعشر الى سائر المؤَن والكُلَف .

« ثمّ ان سألوكم فاَعطُوهم ، وان استعانوا بكم فاعينوهم ، وان استجاروا بكم فاَجيروهم ، وان اساؤا فاغفروا لهم ، وان اُسيىءَ اليهم فامنعوا عنهم ، ولهم ان يُعطَوْا من بيت مال المسلمين فى كلّ سنة مأتى حلّة فى شهر رجب ومأة فى الأُضحيّة فقد استحق سلمان ذلكَ منّا ، ولأنّ فضل **سلمان** على كثير من المؤمنين ، و اُنزل فى الوحى علَىَّ «اِنَّ الْجنّةَ اَشْوَقُ مِنْ سَلْمانَ الَى الْجَنَّةِ » وهو ثِقَتِى واميني وتقىٌّ و نقىٌّ ، ناصحٌ لرسول الله والمؤمنين ، و **سلمان** منّا اهل البيت .

---

[1] ـ هكذا فى النسخة المطبوعة ، واظن ان السطرين الى « سلم الله» زيادة ممن كانت النسخة بيده و كانت نسخة العهد من كلمة « بسم الله » التى **صحف** بكلمة « سلم الله » .

« فلا يخالفنّ احد هذه الوصيّة في ما امرت به من الحفظ والبرّ لأهل بيت **سلمان** وذراريهم ، من اسلم منهم ومن اقام على دينه ، ومن خالف هذه الوصيّة فقد خالف الله ورسوله وعليه اللّعنة الى يوم الدّين، ومن اكرمهم فقد اكرمني وله عند الله الثّواب، و من اذاهم فقد اذاني وانا خصمه يومَ القيامة ، جزاؤه نارُ جهنّم ، و برئت منه ذمّتي والسلام عليكم .

« و كتب عليٌّ ابن ابي طالب بامر رسول الله في رجب سنة تسع من الهجرة وحضر **ابوبكر** و **عمر** و**عثمان** و **طلحة** و **الزّبير** و **عبدالرّحمن** و **سعد** و **سعيد** و**ابوذر** و **عمّار** و **عيينة** و **بلال** و **المقداد** وجماعة اُخر من المؤمنين » .

ثم قال مؤلّف الكتاب (مجمل التواريخ والقصص) ما ترجمته :

« انّ هذا العهد موجود بيد اولادهم في هذا الزّمان (سنة ٥٢٠ ـ تاريخ تأليف الكتاب ـ) وقد استحضره بعينه من شيراز **سلطان محمد** (**ابن ملكشاه السّلجوقي** ـ ٤٩٨ ـ ٥١١ ـ هـ. ق.) فلمّا رآه قبّله وبكى ثم امر باستنساخه وردّ الأصل الى صاحبه بعد ما اكرمه وخوّله عطاءً كثيرا » انتهى ما اردنا نقله من الكتاب .

كلام المؤلف في شأن الثاني من العهدين

اوردت العهدين بتمامهما واطلت الكلام بنقلهما في هذه الوُرَيقات ، مضافاً لما يظهر منهما من تاييد ذلك القول في بدء حدوث التّاريخ الهجري ، راجياً لأن يصير سببا للفحص والبحث عن وجودهما لعلّ الله يسّر العثور عليهما .

واتّفق لي قبل عهدي بما في الكتاب المذكور من العهدين بما لايقلّ عن عشرة سنين انّ ليلة كنت بمجلس كان منعقداً لمهرجان الغدير بتهران (وهي ليلة الثّامنة عشر من شهر ذي الحجّة) فعرّف صاحب المجلس ، كما هو المعمول ، جمعاً من الحاضرين لي وكان فيهم رجلاً زرادشتياً فعجبت من حضوره في المهرجان المذهبي و سألت عنه فقال : لاتعجب فأنّي من آل **سلمان** وعندنا عهد بخطّ **عليّ** بن **ابي طالب** وصّى به الرسول (ص) لنا ونحن نحبّ **عليّاً** وحضرت مجلس مهرگانه مفتخراً به .

فاستبعدت ذلك وانكرته باطناً ولمّا رايت العهدَيْن بعد مدّة في الكتاب اسفت على ماجرى لي من المسامحة في التفتيش و التّحقيق و ارجو من الله ان يحدث بعد ذلك امرا .

۱۱۹ - ورود علیّ بالمدينة

ورد الرّسول (ص) المدينة ، بتلك الكيفيّة ، ثمّ جاء علی ؑ ولحق به فی المدينة وقد تحمّل فی طريقه من المشقّة والتّعب ما ابکت الرّسول ، شفقةعليه و رحمةً له . قال **ابن الاثير** فی کتابه « الکامل » :

« و امّا علی ؑ فانّه لمّا فرغ من الّذی امره به رسول‌الله (يعنی ردّ الودائع والأمانات) هاجر الى المدينة . فکان يسير اللّيل ويکمن النّهارحتّى قدم المدينة وقد تفطّرت قدماه . فقال النبیّ (ص) : ادعوالی عليّاً . قيل : لايقدران يمشى فأتاه‌النّبی صلّی‌الله‌عليه‌وسلّم واعتنقه وبکیٰ ، رحمةً لما بقدميه من الورَم وتفل فی يديه وامرّها علی قدميه فلم يشتکهما بعدُ حتیٰ قُتل » .

۱۲۰ - خطبة الرّسول (ص) بالمدينة

اوّل خطبة خطبها الرّسول (ص) فی اوّل جمعة صلّيها بالمدينة فی بنی **سالم بن عوف** ، علی ما اورده **الطّبری** :

« اَلْحَمدُ للهِ اَحْمَدُهُ واَستَعينُهُ وَاَستَغْفِرُهُ واَستهديه واُومِنُ به ولا اَکفُرُهُ واُعادِیْ مَنْ يَکْفُرُهُ .

اول خطبة خطبها النبی(ص) فی اول جمعة صليها بالمدينة

« وَاَشْهَدُ اَنْ لا اله اَلا اللهُ وَحْدَهُ لاشريكَ لَهُ و اَنَّ محمّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، اَرْسَلَه بالهُدیٰ والنّورِ والمَوْعِظَةِ علیٰ فَتْرةٍ مِنَ الرُّسُل ، وقلّةٍ مِنَ العِلْمِ ، وضَلالةٍ من النّاسِ ، وانْقطاعٍ من الزّمان ، ودُنوٍ مِنَ السّاعةِ ، وَقُرْبٍ من الأَجَل .

« مَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَه فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهما فقَدْ غوىٰ وفرط وضَلّ ضلالاً بعيداً .

« واُوصيكُمْ بتَقْوی اللهِ فاَحْذَرُوا ماحَذَّرَكُمُ اللهُ من نَفْسِهِ ولا-

افضل من ذلك نصيحة ولا افضل من ذلك ذكراً .

« وان تقوى الله لمن عمل به ، على وجل و مخافة من ربه ، عون صدق على ماتبتغون من امر الآخرة .

اصلاح النفس و تقوى الله

« ومن يصلح الذى بينه و بين الله من امره فى السر و العلانية لاينوى بذلك الا وجه الله يكن ذكراً فى عاجل امره، وذخراً فى مابعد الموت حين يفتقر المرء الى ماقدم ، وما كان من سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه ، امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد . والذى صدق قوله وانجز وعده لاخلف لذلك فانه يقول ، عزوجل ، « ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد » .

« فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله ، فى السر والعلانية ، فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجراً . ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً .

« وان تقوى الله يوقى مقته ، ويوقى عقوبته ويوقى سخطه ، وان تقوى الله يبيض الوجوه ، ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة .

« خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله . قد علمكم الله كتابه ، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين .

« فاحسنوا كما احسن الله اليكم . وعادوا اعدائه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة . ولا قوة الا بالله .

« فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فأنه من يصلح مابينه وبين الله يكفه الله مابينه وبين الناس ، ذلك بان الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه . الله اكبر ولا قوة الا بالله العظيم » .

١٢١ ـ فى المدينة

ورد الرّسول (ص) المدينة وقدهاجر قبل وروده وبعده جمع من المسلمين اليها. وجاء على ولحق به فى المدينة فكان المسلمون بالمدينة فريقين: مكيّين ومدنيّين، وان شئت فقل: المهاجرين والانصار. كانت تسكن بالمدينة قبل هجرة الرّسول قبيلتان:

١ ـ الخزرج.

٢ ـ الأوس.

وكان بينهما عداوة عريقة ومنافسة قديمة شديدة تفضى غالباً الى الحرب والمقاتلة وكان ينتهز كلّ منهما الفرصة للغلبة على الأخرى وتذليلها حتّى ظهر الأسلام واعتنقته اولاً عدّة من قبيلة الخزرج وبعدها عدّة من الأوس.

نزل الرّسول (ص) بالمدينة فأنعم الله عليهم والّف بين قلوبهم وجعلهم اخواناً بعد ماكانوا اعداء قوله تبارك وتعالى:

الاسلام الف بين قلوب الاعداء وصيرهم اخوانا

« واعتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جميعاً ولا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ اِخْواناً ...١٠٣ »[١].

فاتّفقوا جميعاً على نصرة الأسلام و مساعدة الرّسول، ومن ورد عليهم من مسلمى مكّة، وكانوا يؤْوُنَهُم فى بيوتهم، ويشاركونهم بأموالهم، ويؤثرونهم على انفسهم، ولوكانت بهم خصاصة، ويتسابقون فى النّصرة والمعاضدة، فسمّاهم الله باسم «الأنصار» كما سمّى الواردين عليهم من مسلمى مكّة باسم «المهاجرين».

انزل الله تعالى فى حقّ الفريقين، ومن اتّبعهم بأحسان:

« وَالسّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عَنهُ، وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى

---

١ ـ السورة الثالثة (آل عمران).

تَحتَها الأنهارُ خالِدين فيها أبَداً ذلِكَ الفَوزُ العَظيمُ ١٠٠ »[١] .

استقرّ الرّسول (ص) ، والمهاجرون بالمدينة واستقبله اهلها خير استقبال فأمن الأذى واطمئنّ واستراح وانقطعت يد قريش والمشركين عن ايذائه و تمكّن من انفاذ ما امره الله به و اجرائه فآخى بين المهاجرين والأنصار و جعل الله بعضهم اولياء بعض يتشاركون ويتناصرون ويتوارثون .

قوله تعالى :

«إنّ الَّذينَ آمَنوا وهاجَروا وجاهَدوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم في سَبيلِ الله ،والَّذينَ آوَوا ونَصَروا أُولئِكَ بَعضُهُم أولياءُ بَعض ...٧٢»[٢]

ومدحهم الله بحقيقة ايمانهم وخلوص اعتقادهم ، ووعدهم جنّة النّعيم والرّزقَ الكريم فقال ،تبارك وتعالى :

« والَّذينَ آمَنوا وهاجَروا وجاهَدوا في سَبيلِ اللهِ والَّذينَ آوَوا ونَصَروا أُولئِكَ هُمُ المُؤمِنونَ حَقّاً لَهُم مَغفِرَةٌ ورِزقٌ كَريمٌ ٧٤ »[٣].

١٢٢ ـ اصطفاء الرّسول عليًّا للأخاء

آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بين اصحابه من المهاجرين والأنصار كلٌّ مع الآخر ، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين والنّصف الآخر من الأنصار على المواساة في الحيات والتّوارث بعد الممات[٤] .

وآخى ايضا بين المهاجرين بعضهم مع بعض و في هذه المؤاخاة اتّخذ عليّاً اخاً لنفسه ولم يؤاخ احداً غيره .

---

١ ـ السورة التاسعة (التوبة) .

٢ ـ السورة الثانية (الانفال) .

٣ ـ السورة الثامنة (الانفال) .

٤ ـ نسخ حكم ذلك التوارث بعد واقعة بدر بقوله تعالى « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ... ٧٥ . الاية » سورة الانفال .

فعليٌّ، بعدما كان له شرف نُشُوْءِه فى حجرالرّسول (ص)، وشرف تربيةالرّسول ايّاه كولده، وبعد شرفه بسبقه فى الأسلام فى الصّلوة والأيمان، وبعد شرفه بافتدائِه عن الرّسول وخلافته له فى مبيته وفى قضاء ديونه واداء اماناته بمكّة وغيرذلك ممّا شرّفه الله و رسوله بها وكرّم الله وجهه لها، صار متشرّفاً بأخائِه للرّسول المختار، من بين سائرالمهاجرين والأنصار.

ولعَمرُ الحقّ والأنصاف هذا شرف لايوازيه شرف، ومنزلة لايعادلُها منزلة، ومقام يدرك ولايوصف فكن ممّن تدبّر وانصف.

فى المحكىّ عن المنتقى للكازرونى:

كيفية المؤاخات بين المؤمنين

« وفى هذه السّنة (يعنى السّنة الأُولى) آخى بين المهاجرين والأنصار. وذلك انّه لـمّا قدم المدينة آخى بين المهاجرين و الأنصار على الحقّ والمواساة، يتوارثون بعد الممات، دون ذوى الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً: خمسة و اربعين رجلاً من الأنصار. وقيل: كانوا خمسين ومأة من الأنصار وخمسين ومأة من المهاجرين. وكان ذلك قبل بدر .... »

١٢٣ ـ اخوّة الدّنيا والآخرة لعلىّ مع النّبى (ص)

و فى محكىّ « المناقب » عن تاريخ البلاذرى و السّلامى، وغيرهما، عن ابن عبّاس، وغيره:

« لمّا نزل قوله تعالى « اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ اِخْوَةٌ ١٠ » [١] آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بين الأشكال والأمثال فآخى بين ابى بكر و عمر، وبين عثمان و عبدالرّحمن، وبين سعد بن ابى وقّاص و سعيد بن زيد، وبين طلحة و الزّبير، و بين ابى عبيدة و سعد بن معاذ، و بين مصعب بن عمير و ابى ايّوب الأنصارى، وبين ابى ذر و ابن مسعود، وبين سلمان و حذيفة، وبين حمزة و زيد بن حارثة، وبين ابى الدّرداء

١ ـ السورة ال ٤٩ (الحجرات).

و بلال، وبين جعفر الطيّار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمّار، وبين عائشة وحفصة، و بين زينب بنت جحش و ميمونة، و بين ام سلمة و صفيّة، حتّى آخا بين اصحابه باجمعهم على قدر منازلهم، ثمّ قال (ص):

آخى النبي (ص) عليا

« اَنْتَ اَخِي وَ اَنَا اَخُوكَ يا عَلِيُّ »

وفى « المناقب » ايضا:

« الترمذى و السمعانى و النطنزى انّه قال ابن عمر و زيد بن حارثة:

«آخى رسول الله بين اصحابه وجاء علىّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخيتَ بين اصحابك ولم تؤاخ بينى وبين احد! فقال النّبىّ: اَنْتَ اخى فى الدّنيا والآخرة».

وفى المناقب ايضا:

« وفى فضائل احمد: انّما تركتُكَ لنفسي، اَنْتَ اَخِي وانا اَخُوكَ. وفيه برواية زيد بن اوفى: وَالّذى بعثني بالحقّ ما اخّرتُكَ الّا لنفسى، وانْتَ منّى بمنزلة هرونَ من موسى الّا انّه لانبىّ بعدى.... الخبر.

« و فى « الأربعين » عن الخوارزمى قال ابورافع: انّ رسول الله التفت الى علىّ فقال:

« انت اخى فى الدّنيا والأخرة ووزيرى ووارثى [1].

منزلة على من الرسول

« وفى «اعتقاد اهل السنّة» : روى مخدوج بن الذهلى انّ النّبى (ص) لمّا آخا بين المسلمين اخذ بيد علىّ فوضعها على صدره وقال:

« يا علىّ اَنْتَ مِنّي وَ اَنَا مِنكَ بمنزلة هرون من موسى..... الخبر».

---

١ - هاتان الكلمتان عين ما وقعتا فى قضية انذار العشيرة وقد اشرنا هنالك، ذيل الصفحة: انه لايصح ان يراد من الوراثة هنا الا المولوية، وهى الخلافة، لان وراثة المال، ان كان هنا مال ولم يكن حديث « نحن معاشر الانبياء لانورث » مسلما، لاتكون الا لفاطمة والزوجات و وراثة العلم كما عرفت لاتصح الا على التوسع والتجوز لان ما استفاد على من علم الرسول كان قبل وفاته (ص) لابعده حتى يصح ان يطلق عليه الارث فبقى ان يكون المراد منه المولوية. فتدبر.

وفى المناقب ايضا :

« فى « زيادات المُسند » بسنده عن **سعيد بن المسيَّب** قال :

« آخا (ص) بين اصحابه فى مكة فآخا بين **ابى بكر و عمر**، رضى الله عنهما ، وقال لعلىّ : انت اخى » .

وفيه ايضا :

« **احمد** فى مُسنده ، بسنده عن **حذيفة بن اليمان**، رضى الله عنه ، قال :

« آخا رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار وكان **يؤاخى** بين الرّجل **ونظيره** ، ثم اخذ بيد **علىّ** فقال : هذا اخى »

وفى سيرة **ابن هشام** :

« قال **ابن اسحق** :

« وآخا رسول الله، صلّى الله عليه و آله وسلّم ، بين اصحابه من المهاجرين **والأنصار** فقال ، فى ما بلغنا ، ونعوذ بالله ان نقول عليه مالم يقُل ، :

« تآخوا فى الله اخوين اخوين .

« ثمّ اخذ بيد **علىّ** بن **ابى طالب** فقال : هذا اخى .

« فكان رسول الله ، سيّد المرسلين ، و امام المتّقين ، ورسول ربّ العالمين ، الّذى ليس له خطير ولانظير من العباد ، **وعلىّ** بن **ابى طالب** ، رضى الله عنه ، اخوين » .

وفى المناقب :

« **موفّق** بن **احمد** بسنده عن **جابر** بن **عبدالله الأنصارى** قال سمعت **علياً** يقول :

مما انشأه على (ع) فى المفاخرة

اَنَا اَخُو الْمُصْطَفَى لاشَكَّ فى نَسَبِى

رُبِّيتُ مَعَهُ وَسِبْطاهُ هُما وَلَدِى

جَدِّى وَجَدُّ رَسُولِ اللهِ مُتَّحِدٌ

وَفاطِمُ زَوْجَتِى لاقَوْلِ ذِى فَنَدِ

صَدَّقْتُهُ وَجَمِيعُ النَّاسِ فى بُهَمٍ
مِنَ الضَّلالَةِ و الأشراكِ فى نَكَدِ
فالحَمْدُ لِلّهِ شُكراً لاشريكَ لَهُ
البَرُّ بالعَبْد ، والباقى بلا امَدِ »

١٢٤ ـ المدينةُ والأسلام

ورد الأسلام بعد نزول الرّسول (ص) بالمدينة واستقراره فيها فى دور جديد من الحياة : دورالمسارعة فى النّفوذ والتقدّم والشّياع، دورالأنبساط والنُّشُوء والنّشاط.

فما لبث حيناً الّا وقدتجلّت للعرب حقيقته فعرفتها القبائل، واقبل النّاس على التّصديق به، والايمان بآدابه، وعرفوا ماتمّ واكتمل فيه منهاجاً ، فتسابقوا للدّخول فى دين الله وقبول منهاجه افواجاً .

كان زمن اقامة الرّسول (ص) بالمدينة ومدّة حياته فيها، مدّة قصيرة لاتتجاوز عن عشر سنين الّا بشهورٍ واتّفقت له فى هذه المدّة غزوات ، اذا فُحص عن عللها و اسبابها وبُحث عن مجارى الاحوال و الأوضاع عند حدوثها يظهر على المحقّق الخبير المنصف انّ جلّ تلك الغزوات ، ان سامحنا ولم نقل كلّها ، كانت بالحقيقة دفاعيّة لاتعرّضيّة ولعلّه لايتجاوز عددكلّ من قُتل فى سبيل هذه الدّعوة من المؤمن والمشرك فى تلك المدّة وفى هذه الغزوات لاتتجاوز عن الف نسمة الّا بقليل !.

وكيف كان مع كون التّفوّق البيّن عِدّةً وعُدّةً فى جميع غزواته الأوّليّة للعدوّ، كان النّصر والظّفر للمسلمين على المشركين والكافرين .

فتلك غزوة بدر كانت فيها عدّة المشركين المهاجمين تسعمأة وخمسين، على قولٍ ،والف ومأتا وخمسين ،على قول آخر ، وثلاثة آلاف ،على قولٍ ثالثٍ وكان لهم مأتا فرس يقودونها ولم تكن للمسلمين عدّة تتجاوزعن ثلاثمأة الّا ببضعة عشر ولم يكن لهم اكثر من فرسين وسبعين بعير وستّة ادرع وثمانية سيوف ! !

اشارة الى الغزوات والسرايا

وهذه غزوة اُحُد لم تكن عدّة المسلمين فيهاء تتجاوز عن سبعمأة وفيهم خمسون فارساً وكانت عدّة المشركين من قريش، بقيادة ابى سفيان، ثلاثة آلاف، اوالفين، فيهم مأتا فارس وباقيهم رَكْبٌ ولهم سبعمأة درع وحملوا نسائهم معهم للتحريض والتهييج فكنّ يحرّضن الرّجال بمااشتهرت من ارجوزة **هند** زوجة **ابى سفيان**، الّتى يعرف منها مقدار ثرائهم وحدّ غنائِهم، وهى على ما فى «الكامل»:

نَحْنُ بَنَاتُ طارِقْ[١] نَمْشى عَلَى النّمارِقْ
مَشْيَ الْقِطَا الْبَوارِق والمُسْكُ فى الْمَفارِقْ
وَالدُّرُّ فِى المَخانِق اِنْ تُقْبِلُوا نُعانِقْ
وَنَفْرِش النّمارِقْ اَوْ تُدْبِرُوْا نُفارِق
فِراقَ غَيْرَ وامِقْ[٢]

هذه العدّة غير من استأجرها **ابوسفيان** من الأحابيش والمتطوّعة الّتى قيل فى عدّتهم: انّها كانت الفين فى هذه الهَجْمة للقتال مع النّبىّ والمسلمين.

وهى غزوة خندق كانت عدّة المشركين فيها على قولٍ ثمانيةَ عشر الف رجل والمسلمون لم تتجاوز عدّتهم عن ثلاثة آلاف.

اصطلاح «الغزوة» و «السرية»

ارباب السِّير والتّواريخ اصطلحوا على ان يسمّوا ما حضره النّبىّ (ص) من المقاتل والحروب بنفسه باسم «الغزوة» وما ارسل اليها عدّة من المسلمين بأمارة واحد من الأصحاب باسم «السريّة».

كان جميع غزوات الرّسول صلّى الله عليه وآله و سلّم، على ما ضبطوها ستّ وعشرين غزوة وجميع سراياه ستّ وثلاثين سريّة.

---

١ - ارادت بلفظة «طارق» النجم وفى القرآن المجيد «والسماء والطارق، وماادريك ما الطارق، النجم الثاقب.»

٢ - فى تاريخ **الطبرى** ضبط هكذا: نحن بنات طارق ان تقبلوا نعانق و نبسط النمارق.... الخ

١٢٥ ـ شأن عليّ فى تلك الغزوات

ممّا يجب ان لايغفل عنه ، بل لابدّ وان يذكر ، ولوكان بالأشارة والأجمال ، انّ فى كلّ تلك المعارك والغزوات كان لعليّ (ع) بفتوّته و مروئته وشجاعته و ايمانه واخلاصه وافتدائه لحفظ الرّسول ، وتضحيته فى سبيل الدعوة ونشر الرّسالة ، سهمٌ لنصر المسلمين وكسر المشركين واعداء الدّين ، سهمٌ يفوق كلّ السّهام ولايُقاس بسهم احدٍ منهم كائناً من كان .

كان **عليّ** قطب الرّحىٰ والبطل الفذّ فى الوغىٰ ، مبارزته فى بدر وابتلاؤه فى اُحُد وافتداؤه لابن عمه واخيه ، الرّسول (ص) فى هذه الأخيرة مشهورة ، بل متواترة ، وفيها قيل فى حقّه :

« لاسَيْفَ اِلّا ذُوالْفَقارِ ولافتىٰ اِلّا علىٌّ » .

قال **ابوالفرج الأُمَوى** فى «الأغانى» (الجزء ال ١٤ ـ الصّفحة ال ١٧) :

« قال **محمّد بن جريرالطّبرى** : وحدّثنا .... قال :

« لما ولى اصحاب الالوية يومَ الأحد ، قتلهم **على بن ابىطالب** عليه السّلام [١] ابصر رسوالله صلّى الله عليه وآله وسلّم جماعةً من مشركى قريش فقال لعليّ : احمل عليهم .

« فحمل **عليّ** ففرّق جمعهم وقتل **عمرو بن عبدالله الجُمَحِى** .

« ثمّ ابصر جماعةً من مشركى قريش فقال لعليّ : احمل .

« فحمل ففرّق جمعهم وقتل **شيبة بن مالك** ، احد بنى عامر بن لؤىّ .

« فقال جبريل عليهالسّلام :

« انّ هذه لَلْمواساة .

---

١ ـ فىالطبرى (الجزءالثانى ـ الصفحة ١٩٧ ـ) « لما قتل علىبن ابىطالب اصحاب الالوية ابصر رسولالله ... الى آخر ما نقله صاحب الاغانى.

مواساة على يوم الاحد

« فقال رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم :

« هُوَ مِنّي وَاَنَا مِنْهُ .

« فقال جبريل : وانا منكم .

« فسمعوا صوتاً : لاسَيْفَ اِلّا ذُوالفَقار وَلافَتىٰ اِلّا عَلِيّ .

و فى تلك الحرب قتل علىٌّ **طلحة** بن **عثمان** ، صاحب لواء المشركين ولم يُجْهِزْ عليه [1] .

وفى الأغانى ايضا [2] :

« ثمّ انّ **طلحه** بن **عثمان** ، صاحب لواء المشركين قام فقال :

« يا مَعاشر اصحاب **محمّد** ، انّكم تزعُمُون انّ الله عزّوجلّ يُعَجِّلُنا بسيوفكم الى النّار ويعجّلكم بسيوفنا الى الجنّة فهل منكم احد يعجّله‌الله بسيفى الى الجنّة اويعجّلنى بسيفه الى النّار؟

« فقام‌اليه **علىّ** بن **ابى‌طالب** رضى‌الله عنه ، فقال :

والّذى نفسى بيده لاافارقك حتّى يعجّلك [3] الله عزّوجلّ بسيفى الى النّار او يعجّلنى [4] بسيفك الى الجنّة .

فضرب **علىٌّ** فقطع رجله فبدت عورتُه . فقال :

اَنْشُدُكَ الله والرّحِيم يا ابن عمّ . فتركه .

« فكبّر رسول‌الله صلّى‌الله عليه وسلّم وقال لعلىّ : مامنعك ان تُجْهِزَ عليه ؟

قال :

« ابن عمّى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييتُ منه » .

---

١ - « اجهزت على الجريح اذا اسرعت قتله وقد تممت عليه » (صحاح‌اللغة) .

٢ - واصله من الطبرى ايضا .

٣ - فى‌الطبرى : حتى اعجلك .

٤ - فى‌الطبرى : حتى تعجلنى .

١٢٦ ـ عليّ وغزوة الخندق

وناهيك فى ذلك ان تتذكّر غزوة الخندق و مبارزة عليٍّ، الشجاعَ العِرْبَدْ، عمرو بن عبدِوَدّ ، الّذى بألفِ فارس يُعدل فى الشّجاعة ويُعَدّ [1] ولذا صدر فى عليّ ومبارزته هذه من النّبىّ الأمجد :

« بَرَزَ الأيمانُ كُلُّه الى الشِّرْكِ كُلِّهِ » .

وصدر ايضا لبيان عظمة تلك المبارزة عنه صلوات‌الله وسلامه عليه :

«ضَرْبَةُ عليٍّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ افْضَلُ مِنْ عِبادَةِ الثَّقَلَيْنِ » .

مبارزة على وضربته يوم الخندق

فى كتاب « ينابيع المودّة » عن « المناقب » مسنداً عن زياد بن مطرف قال :

« كان ابن مسعود يقرء :

« وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ بِعَلِيٍّ [2] ».

«وسبب نزوله انّ عمرو بن عبدوَدّ وكان فارساً مشهوراً يعدل بالف فارس ، قد شهد بدراً ولم يَشْهَدْ اُحُداً. ويوم‌الخندق نادىٰ هل‌من مبارز؟ فلم يُجِبْهُ اَحَد.

« فقام عليّ عليه‌السّلام وقال: انا يا رسولَ الله .

« فقال : انّه عمروٌ. واَجْلَسَهُ.

« فنادىٰ ثانية فلم يُجبه اَحد.

« فقام عليّ عليه‌السّلام وقال : انا يا رسولَ‌الله وان‌كان عمرواً .

---

١ ـ وفيه قال مسافع بن عبد مناف :

عمرو بن عبدٍ كان اول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل

(جزع : قطع . المذاد : موضع بالمدينة وهوالموضع الذى حفر الرسول فيه الخندق. يليل . موضع).

٢ ـ الاية ال ٢٥ من سورة الاحزاب (٣٣) وفى التبيان فى تفسير الاية « وقيل : وكفى‌الله المؤمنين القتال ، بالريح والملائكة وقيل : وكفى الله المؤمنين القتال ، بعلى عليه‌السلام ، وهى قرائة ابن مسعود ، وكذلك هو فى مصحفه ، فى قتله عمرو بن عبدود وكان ذلك سبب هزيمة القوم » .

« فاستأذن النّبىّ صلّى‌الله عليه وسلّم .

« قال **حذيفة** بن **اليمان** : البسه رسول‌الله دِرعَه ، الفضول ، وعمّمه عمامته ، السّحاب ، على راسه تسعة ادوار وقال : تَقَدَّمْ .

« فلمّا ولى قال النّبىّ :

« بَرَزَ الأيمانُ كُلُّه الى الشِّرْكِ كُلِّه » .

« وقال : رَبِّ لاتَذَرْنِى فَرْداً . . . . . »

وفى المحكىّ عن المناقب عن حذيفة ، رضى‌الله عنه : قال رسول‌الله(ص) :

« ضَرْبَةُ **عليٍّ** يَوْمَ الْخَنْدَقِ اَفْضَلُ مِنْ اَعْمال امتِىْ الى يَوْمِ الْقِيامَةِ » .

وحدّث المؤرّخ المحدّث، الخطيب البغدادى (المتوفّى٤٦٣ هـ. ق.) فى ترجمته عن «لؤلؤ القيصرى » بأسناده عن النّبىّ (ص) .

«لَمُبارَزَةُ **علىّ** بن **ابى‌طالب** ، **لعمرو** بن **عبدوَدّ** يَوْمَ الْخَنْدَق افضل مِن عبادة اُمّتى الى يَوْم الْقِيامَة » .

١٢٧ ـ علىّ وغزوة خيبر

نجعل ختام الكلام فى بيان مقام **علىّ** فى «الغزوات »، ما ثبت واشتهر منه فى قضيّة «خيبر » وما صدر فى شانه فى هذه الواقعة من‌الرّسول الأكرم (ص) وماقدّرالله لعلىّ من قتله « البطل المجرّب » [1] اليهودىّ المشتهر باسم« **مرحب**» و من‌فتحه ذاك الحصن المشيّد .

قال **الطّبرى** فى تأريخه بأسناده الى **بُريدة الأسلمى** (الجزء الثّانى ـ الّصفحة ـ ال ٣٠٠ ـ) انّه قال :

«لمّا كان حين نزل رسول‌الله بحصن اهل خيبر ، اعطى رسول‌الله صلّى‌الله عليه وسلّم

---

١ ـ كما ادعى نفسه فى ارجوزته واشتهر .

اللّوآءَ[١] عمر بن الخطّاب و نهض من نهض معه من النّاس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر واصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يُجَبِّنُه اصحابُه ويُجَبِّنُهُم .

على يحب الله ورسوله ويحبانه

« فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

« لأُعطينّ اللّوآء غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه و يُحبّه اللهُ ورسولُه.[٢]

« فلمّا كان من الغد تطاول لها ابوبكر و عمر .

« فدعا علياً عليه السّلام ، وهو ارمد ، فتَفَل فى عَينَيه واعطاه اللّوآء ونهض معه من النّاس مَنْ نهض .

« فلقى اهلَ خيبر . فاذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ انّى مَرْحَبٌ
شاكى السّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبَ
اَطْعَنُ اَحْياناً وَحِيناً اَضْرِبُ
اِذا اللُّيُوثُ اَقْبَلَتْ تَلَهَّبَ

« فاختلف هو و علىّ ضربتين . فضربه علىٌّ على هامَته حتّى عضّ السّيف منها باضراسه وسمع اهل العسكر صوت ضربته فماتَتامّ آخر النّاس مع علىّ عليه السّلام حتّى فتح الله له ولهم » .

وقال الطّبرى ايضا (الجزء الثانى الصفحه ٣٠١) بأسناده « عن ابى رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم » انّه قال :

---

١ - العلم وهو دون الراية . قيل : سمى باللواء لانه يلوى لكبره فلاينشر الا عند الحاجة.

٢ - وفى الجزء الرابع من صحيح البخارى (الصفحة ٥٢) وفى الخامس منه (الصفحة ال ١٣٤) باسناد عن سهل بن سعد « رضى الله عنه » (و باسناده عن سلمة بن الاكوع) قال: « كان على رضى الله عنه تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خيبر و كان به رمد . فقال: انا اتخلف عن رسول الله ؟ ! فخرج على فلحق بالنبى (ص) فلما كان مساء الليلة التى فى صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم « لاعطين الراية ، او قال : ليأخذن غداً رجل يحبه الله ورسوله ، او قال : يحب الله ورسوله : فاذا نحن بعلى ، و ما نرجوه ، فقالوا : هذا على فاعطاه رسول الله ففتح الله عليه » .

« خرجنا مع **عليّ** بن ابى طالب حين بعثه رسول‌الله (ص) برايته[١] فلمّا دنا من الحصن خرج اليه اهلُه فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول **عليٌّ** رضى‌الله عنه ، باباً كان عند الحصن فتترّس به عن نفسه . فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتّى فتح‌الله عليه . ثمّ القاه من يده حين فرغ . فلقد رايتُنى فى نفرٍ سبعة ، انّا ثامنُهُم نَجْهَد على ان نَقْلِبَ ذلك الباب فما نقلبه » .

مبارزة على مرحب

لمّا بارز **علىٌّ** عليه‌السّلام **مرحبَ** وسمع ما يرتجز به ارتجز مجيباً له بقوله :

انَا الّذِىْ سَمَّتْنِى اُمِّىْ حَيْدَرَة

كَلَيْثِ غاباتٍ كَرِيْهِ الْمَنْظَرَة

اُوْفِيهُمُ بالصّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَة[٢]

ولمّا دنا **علىٌّ** عليه السّلام من حصون خيبر اَطْلَعَ يهودىٌّ من علا الحصن وقال: من انت؟ فقال: على بن ابى‌طالبٍ فقال‌اليهودىّ: عَلَوْتُم وما اُنزِل‌على‌موسى.

هكذا كان شأن **علىّ** فى سائر الغزوات وكان فى‌الجُلّ ، بل فى الكلّ ، حامل راية رسول‌الله(ص) ، وصاحب لوائه وحامى حوزته والملبّى لدعوته والمسارع لنصرته والمفدى بمهجته .

١٢٨ ـ سرعة نشرالاسلام

كانت مدّة اقامة الرّسول (ص) بمدينة ،مدّة قصيرة جدّاً وهذه المدّة القصيرة هى تمام ما تمكّن الرّسول فيها من اظهار ما اُمر به ، بلا معارض يمنعه من‌اهلها،ومن ابلاغ الأحكام وتلاوة آيات الله على النّاس و تزكيتهم و تعليمهم الكتاب و الحكمة ولأخراجهم من الضّلالة ولتنظيم الأمور و تأليف القلوب و تعديل المعاملات وتحسين-

---

١ ـ الراية : علم الجيش وهى اكبر من اللواء .

٢ ـ مكيال كبير واسع .

الأداب والمعاشرات وتجهيز المؤمنين للمدافعات والتعرّضات وتعبيتهم للسّرايا والغزوات واعدادهم للرّشاد والأرشاد، كلّ ذلك على احسن نظام، واكمل دستور، و اعدل قانون، وامتن برنامج، واصلح قرار، وابين شرعةٍ ومنهاج.

اشرقت شمس الرّسالة على تلك النواحي الغاسقة فتنوّرت ارواح اولئك الأفراد الجاهلة المنحطّة فى مدّة قصيرة واثّرت فيها تأثيراً سريعاً عميقاً لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشر. وبحقّ كان هذا التاثير بحيث لو كان «التّحدّى» وقع به، لكان جديراً به ان يُعدّ «معجزة» ويُدعى بهذا العنوان والسّمة.

تأثير الاسلام السريع فى التربية والتهذيب

انظر الى العادات الدّنية السّابقة والآداب الرّديّة الخسيسة و الرّسوم القبيحة الشّنيعة والأعمال الذّميمة والعصبيّة الجاهلية العريقة والى تلك القلوب القاسية والعقول الجافّة الجافية المظلمة كيف زهقت ومحقت وكيف لانت ورقّت.

ثمّ ارجع النّظر الى الحالات الحادثة والتّحولات اللّاحقة من الآداب الساميّة و الرّسوم الحميدة والأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة والعواطف الرّقيقة الشّريفة و الأفكار النّيّرة المنيرة كيف نشأت؟ وكيف رسخت فى القلوب القابلة وتمكنّت من النفوس المستعدّة وتملّكت الأرواح وتسيطرت على الجوارح وتسلّطت على الظّواهر والسّرائر؟.

راحت عنهم حكومة الكبر والخيلاء وزالت عن بينهم سيادة الظّلم وسلطة الجور والعدوان ولاحت فيهم محبّة التّواضع والخشوع ودالت ايّام الأمن ودور العدل والأخاوة والمساواة والمواساة.

تجلّت على النّفوس المستعدّة انوار الأيمان فتنوّرت ارواحهم بشروق اليقين والأخلاص والعرفان، وانشرحت صدروهم بسطوع الحقّ والحقيقة، واستولت على قلوبهم محبّة الله ورسوله، واحاطت على جميع جوارحهم وعلى شراشر كيانهم حال المطاوعة والأطاعة لِما اراد الله منهم وامرهم بها من احكام الدّين.

صارت تلك النّفوس بحيث يتجلّى سرّهم فى سرائرهم ويظهر ما فى ضمائرهم

من ظواهرهم فزالوا عن طريق الفساد والخلاف، و ما زالوا فى كلّ امرٍ وكلّ عملٍ ناظرين الى وجه الحقّ منه، عاكفين على حيث الخير و الصلاح عنه، حافظين لطور الصّدق والخلوص فيه، مخلصين قصدالقربة والزُّلفىٰ، قاصدين للفوز بسعادة رضوان الله تبارك وتعالىٰ فى العقبىٰ.

وحَقّ ان يقال فى حقّهم.

«كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ... ١١٠» [١].

١٢٩ ـ الأسلام خرق العادة فى التّربية والتّعليم

وُجدت فى العالم الانسانى قادة غفيرة ونشأت بين الأمم والملل ساسة جمّة كثيرة، سواء كانوا داعين باسم الله، مدّعين للاتّصال بعالم الغيب، هادين الى الفضائل وسائقين الى المكارم، ادلّاء الى السّعادة والكمال ام ناظرين الى اصلاح الملك، مدّعين التولّى للاشتغال بنظم المجتمع ونظام الاجتماع، وساعين فى اعلاء شئون المشهود من عالم الشهود؟ ،وكيف كانوا، رُزقوا التّوفيق، قلّ ام كثر، فى سبيل مادّعوا وادّعوا.

لكنّه ممّا لاينبغى الأرتياب فيه انه لم ترعين الدّهر و ما سمعت اذن التّاريخ قائداً يُشبه رسول الأسلام فى توفيقه باعتبار سرعة نفوذه فى افراد كثيرة وقوّة رسوخه فى قلوبهم الحجريّة القاسية بحيث صاغ من تلك العناصر السّاقطة هيآت فاضلة واشكال معتدلة قاسطة قيّمة.

بدّل الأسلام، بالحقيقة، تلك الأفراد المتكاثرة الفاسدة فى جميع شئون حياتها الى افراد صالحة راقية فاضلة فى زُمّة اطوار كيانها.

هل اتّفق لقائدٍ، الهيّاً كان او عاديّاً، ان لايكون وارثاً لرئاسةِ نظام، ولايكون صاحب ثروة وغناء، ولايكون له عشيرة توافقه، وقبيلة تعاضده وتساعده ولاتكون له عُدّة

---

١ ـ السورة الثالثة (آل عمران).

وسلاح، ولايكون متخرّجاً من مكتب او مدرس و معهد، ولايكون كاذباً منافقاً محيلاً خدّاعاً يتكلّم على ما يهويه مخاطبوه، و ينطق مكراً ومكيدةً بما يرضيه سامعوه بل كان محيط حياته مغلوباً للهرج والمرج، محكوماً باستيلاء الجور والعدوان، معتاداً للتّجاوز على حقوق الضّعفاء، مسيطراً على الأفراد، الجهل والعصبية والخيلاء واللّجاج والأستبداد والأستعلاء وحبّ السّيادة والرّئاسة، مرتكزاً فيهم الأعتقاد بالأوثان والاصنام وكان ذلك القائد الوحيد في ذلك الجمع العنيد صفر الكفّ وكانت في قومه وقبيلته، بل في اقربائه وعشيرته، من خالفه وعانده، اعداءٌ الدّاءٌ له اشدّاءٌ عليه ومع تلك الأوضاع والأحوال غلب واستولى على اولئك الأشخاص الّذين كانوا متصلّبين في الكبرياء والخيلاء، متعرّقين في الأستبداد واللّجاج، متعصّبين بالجهالة، متّسمين بالقساوة، اشدّاء في العداوة، الدّاء في اللّجاجة، الّذين قست قلوبهم فهي كالحجارة او اشدّ قسوة ؟

تبديل الاسلام الافراد المنحطة و توجيهه

اجَلْ، غلب عليهم باخلاقه الفاضلة، واعماله الصّالحة، وكلماته الفصيحة، وبياناته البليغة الجذّابة المعقولة، المقبولة، وعواطفه الكاملة العالية، ورافته المتجليّة بالخلوص والوفاء، ومحبتّه المتحليّة بالعناية لكلّ فرد، من الرّجال والنّساء والصّغار والكبار و من وافقه على دعواه وتابعه اوخالفه عليها ونازعه، وبسعة قلبه في الحلم والصّبر على الأذى، وشرح صدره في كظم الغيظ والعفو عمّن اساء اليه والصّفح عمن جار عليه واعتدى وبأيمانه بما جاء به من الرّسالة، وبمراعاته الحقّ والعدالة.

«هُوَ الَّذِيْ اَرْسَلَ رَسُوْلَه بالهُدىٰ وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ وَكَفىٰ بِهِ شَهِيْداً ٢٨ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ اَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَريٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً سِيْماهُمْ فِي وُجُوْهِهِمْ مِنْ اَثَرِ السُّجُود .... ٢٩»[١]

استولى الرسول بتلك الوسائل المعنويّة، والكمالات النفسية، والفضائل الشّخصيّة، والتّاييدات الألهيّة، والأسباب الغيبيّة، على اولئك الطّغام الألدّاء والخصام الأشدّاء

---

١ - السورة ال ٤٨ (الفتح).

بحيث صاروا من صميم قلوبهم انصاره واودّائه واتباعه واحبّائه .

فهو بتلك الصّفات السّامية ، والسّمات الرّاقية ، والخصال الفاضلة خلب عقولهم وجذب قلوبهم وغلب نفوسهم حتّى بدّلهم من شخصيّتهم السّابقة الفاسدة اشخاصاً صالحة يُفدونه لا بأموالهم فحسب بل بنفوسهم ونفوس آبائهم ونفوس ابنائهم ونفوس اخوانهم واقاربهم ، ويعظّمونه فى صدورهم اعظم مايتصوّر ، ويكرّمونه ويطيعونه بشراشر اعضائهم وجوارحهم .

فهم ، وهم ، بعدماكانوا على ارذل الأخلاق صاروا على افضلها .

اليس من خوارق العادات انّ شخصا على فقره ، الّذى يفتخر به ، وعلى وحدته وانفراده ، وعلى كثرة اعاديه ، الألدّاء الأثرياء ، يؤثّر فى هؤلاء الأعادى الأقوياء بحيث يغيّرهم فى كل ما اعتادوا بها من الرّذائل والسّخائف و كبروا عليها من العادات والأهواء ويبدّلهم لا فى ظواهر الشّئون ومجارى الأمور فقط بل ، فى الاكثر ، فى اكنان الضّمائر واعماق الغرائز والسّرائر ، وفى سويداء القلوب و الصّدور ، وفى اغوار العقول وتخوم النّفوس . ؟

اليس من العجب ، العُجاب ان يُصاغ من تلك الموادّ الخسيسة الدّنيّة الدّنيويّة هذه الهيآت الشّريفة و يصوَّر فى تلك الهيوليات الضّعيفة النّاقصة الطّاغية هذه الصّور العليّة الملكوتيّة الألهيّة الطّائعة !؟

١٣٠ ـ من الوقائع العجيبة لتاثير الاسلام

وحسبك للاذعان لما ذكرنا من تذكّر حالاتهم ومراجعة تاريخ حياتهم ماحكاه **الطّبرى فى تاريخه بأسناده عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال :**

« خرجنا مع رسول الله (ص) فى غزوة ذات الرّقاع من نخلٍ فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين . فلمّا انصرف رسول الله (ص) قافلاً اتى زوجها ، وكان غائبا ، فلمّا اُخبر الخبر حلف ان لاينتهىَ حتّى يهريق فى اصحاب محمّد (ص) دماً

فخرج يتّبع اثر رسول‌الله (ص) فنزل رسول الله (ص) منزلاً فقال : مَنْ رَجُلٌ يَكْـلاُنا ليلتنا هذه ؟ . فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول‌الله. قال : فكونا بفم الشّعْب ، و كان رسول‌الله(ص) واصحابه قدنزلوا الشّعب من بطن الوادى .

رسوخ الاسلام فى القلوب

« فلمّا خرج الرّجلان الى فم الشّعب ، قال الأنصارى للمهاجرىّ : اىّ اللّيل تحب ان اكفيكه : اوّله اوآخره ؟ قال : بل اكفنى اوّله . فاضطجع المهاجرىّ فنام وقام الأنصارى يصلّى . واتى زوج المرأة فلمّا راى شخص الرّجل عرف انّه ربيئة القوم . فرمىٰ بسهم فوضعه فيه‌فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً يصلّى ! ثمّ رماه بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه، وثبت قائماً يصلّى . ثمّ عادله بالثّالث فوضعه فيه فنزعه‌فوضعه ، ثمّ ركع وسجد . ثمّ اهبّ صاحبه فقال : اجلس فقد اُتيتُ .

« قال : فوثب المهاجرىّ . فلمّا رآهما الرّجل عرف انّهم قد نذِروا به .

« ولمّا راى‌المهاجرى مابالأنصارى من‌الدّماء قال : سبحان‌الله : افلا اَهْبَبْتَنى اوّلَ مارماك!؟ قال : كنت فى اوّل سورة اقرأها فلم احبّ ان اقطعها حتّى انفذها! فلمّا تتابع علىّ الرّمى ركعتُ فآذنتُكَ .

« وايْمُ الله لولاان اضيع ثغراً امَرنى رسوالله ، صلّى اللّه‌عليه وسلّم ، بحفظه لقَطَعَ نفسى قبل ان اقطعها او انفذها ! » .

١٣١ - ختام لبيان التّاثير

هكذا كان رسوخ الأيمان فى قلوبهم‌ونفوذ التّعاليم‌فى‌نفوسهم فيحقّ ان يقال :

وحقّ العدل والحقّ لقدوُفّق ذلك الصائغ الألهى فصاغ بمهارته فى التّزكية والتّهذيب ، وبحذاقته فى‌التّربية والتّعليم ، وبشدّة علاقته بصنعته ،وكثرة محبّته للخلق ، وقوّة اطاعته للخالق ، وبخلوص مجاهدته فى طريق ارشاد النّاس وهدايتهم ، اشخاصاً استولوا بأيمانهم و روحانيّتهم و اخلاصهم و اخلاقهم واعمالهم و اعتدالهم و عدالتهم

لاعلى محيط الجزيرة ولا على نجار العرب فقط بل على اكثر الأقاليم والبلاد، وعلى ارقى ـ العناصر واقوى الأقوام والملل، وفى اقصر مدّة واقل ّ زمان.

كان رسول الأسلام من الصّفاء والأخلاص والرّحمة و الرأفة والأيمان، وتجلّى الحق ّ والحقيقة فى اقواله و افعاله و اطواره و احواله، على شأن لم يتّفق ان يلاقيه احد ويستمع منه ويطّلع على مقصِده ومرامه الّا ان يخضع تجاه عظمة ايمانه، و يعتقد من صميم قلبه بصداقته فى دعوته فيؤمن به و يصدّقه فى رسالته (اللّهم الّا افرادا نادرة شاذّة ران على نفوسهم رين اللّجاج والعناد، ورسخ فى قلوبهم وسخ التكبّر ودَرَنُ الخُيَلاء والتجبّر وهم الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وضرب على ابصارهم غشاوة، لايرون الّا انفسهم الخسيسة الخبيثة، ولايمشون الّا مكبّين على وجوههم المنكوسة، لهم قلوب لايفقهون بها وآذان لايسمعون بها واعين ٌ لايبصرون بها، امثال ابى جهل و ابى لهب، وما اقل ّ ان يوجد لهما فى الجهالة والعصبيّة والغرور والأستكبار نظير ومثال).

« مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاه

« اَللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ »

(قالها ثلاثا، كما نقل ابن المغازلى الشافعى،

او اربعا، كما حُكى عن الامام ابن حنبل،)

يُنادِيهِمُ يَوْمَ الْغَديرِ نَبِيُّهُمُ
بُخُمٍ فأَسْمِعْ بالرَّسُولِ مُنادِياً
الىٰ
فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهٰذا وَلِيُّهُ
فَكُونُوا لَهُ انْصارَ صِدقٍ مُوالِياً
هُناكَ دَعا : اللّهُمَّ والِ وَلِيَّهُ
وَكُنْ لِلَّذِىْ عادىٰ عَلِياً مُعادِياً

(نسب الى حسّان بن ثابت)

٨ ـ حَوْلَ ماجرت فى سفره الأخير الى مكّة للحجّ :

١ ـ حجّة الوداع .
٢ ـ الخطبة فيها .
٣ ـ اكمال الدّين واتمام النّعمة .
٤ ـ غديرخم .
٥ ـ بيان المولويّة لعلىّ .
٦ ـ كلمات مع المنكرين .
٧ ـ حول غديرخم .
٨ ـ ترك الرسول، الثّقلين للامّة .

١٣٢ ـ حجّة الوداع

ايّدالله رسوله لبيان احكامه و تبليغ رسالاته فشمّر الرّسول عن ساعد الرّسالة بالبيان والبلاغ وقرّر للناس ما اوحى‌الله تعالى اليه من الأحكام و شرائع الأسلام وتدرّج فى ذلك من زمن بعثته الى حين رحلته فكانت الاحكام صدوراً كنزول القرآن نجوماً، مبدؤها بدايته ومنتهاها نهايته كلّ ذلك بحسب ما يقتضيه الأوضاع ويرتضيه الاحوال.

تجهّز الرّسول للحجّ واداء مناسكه وتعليم احكامه وآدابه وتعيين سُنَنه ومواسمه وامر النّاس بالجهاز له، وخرج اليه لخمس ليال بقين من ذى القعدة من السّنة العاشرة ومعه عدّة كثيرة من اصحابه و اتباعه، لعلّها لاتقلّ من مأة الف، وقد قيل بكون العدّة : نحواً من مأة الف وثلاثين الف .

اراد الرّسول (ص)، فى هذا السّفر، ان يعرّف النّاس سُنَن الحجّ، ويبيّن الفرائض ويعلّمهم ما شرع لهم من المناسك، ويُريَهم المواقف والمواسم ويبلّغهم ماحان حين ان يبلّغهم .

قال الطّبرى فى تاريخه :

«فحين وقف بعرَفة قال : هذا ، الموقف ، للجبل الّذى هوعليه ، وكلّ عرفة موْقِفٌ . وقال حين وقف على قُزَح ، صبيحة المزدلفة :

«موقفٌ .

«ثمّ لما نَحَر بالمَنْحر قال :

«هذا المنحر وكلّ مِنىً منحر .

«فقضىٰ رسول‌الله (ص) الحجّ وقد اریٰ مناسكَهُم وعلّمهم ما افترض عليهم فى حجّهم فى الموقف ورمْى الجمار والطّواف بالبيت وما أحلّ لهم فى حجّهم وماحُرّم عليهم فكانت حِجّة الوداع و حِجّة البلاغ ، وذلك انّ رسول‌الله (ص) لم يحجّ بعدها» .

ارائة الرسول مناسك الحج وتعليمه الفرائض

١٣٣ ـ الخطبة

وفى هذا اليوم خطب على النّاس خطبته الّتى بيّن لهم فيها ما بيّن وهى على مانقله الطّبرى :

« نَحْمَدُ اللهَ وَاُثْنِى عَلَيْهِ ثُمّ قال :

« اَيُّهَاالنَّاسُ . اِسْمَعُوْا قَوْلِىْ فَاِنّىْ لا اَدْرِىْ لَعَلّىْ لا اَلْقاكُمْ بَعْدَ عامِى هٰذا بِهٰذا الْمَوْقِفِ اَبَداً .

« اَيُّهَاالنَّاسُ اِنَّ دِمائَكُمْ وَاَمْوالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرام، اِلىٰ اَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذا وَحُرمة شَهْرِكُمْ هذا . وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْاَلُكُمْ عَنْ اَعْمالِكُمْ وَقَدْ بَلَّغْتُ .

« فَمَنْ كانَتْ عِنْدَهُ اَمانَةٌ فَلْيُؤَدِّها اِلىٰ مَن اسْتَأْمَنَهُ عَلَيْها .

« وَاِنَّ كُلَّ رِباً مَوْضُوْعٌ وَلَكُمْ رُؤُسُ اَمْوالِكُمْ ، لاتَظْلِمُوْنَ ولا تُظْلَمُونَ . قَضَى اللهُ اِنَّهُ لارِباً . وَاِنَّ رِبَا الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِب مَوْضُوْعٌ كُلُّهُ . حرمة الربا

«وَاِنَّ كُلَّ دَمٍ فِى الجاهِلِيَّةِ مَوْضُوْعٌ . وَاِنَّ اَوَّلَ دَمٍ اَضَعُ ، دَمَ رَبيعة بن الحارث بن عبدالمطّلب وكانَ مُسْتَرْضِعاً فى بنى ليث فَقَتَلَهُ بنى هذيل ، فَهُوَ اَوَّلُ ما اَبْدَءُ بِهِ مِنْ دِماء الجاهلية . . . امّا بَعْدُ اَيُّهَا النّاس فَاِنَّ لَكُمْ عَلىٰ نِسائِكُمْ حَقّاً وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقّاً : لَكُمْ عَلَيْهِنَّ اَنْ لا يُوْطِئْنَ فُرُشَكُمْ اَحَداً تَكْرَهُوْنَه ، وَعَلَيْهِنَّ اَنْ لا يَأْتِيْنَ بفاحشة مُبَيِّنَة، فَاِنْ فَعَلْنَ فَاِنَّ اللهَ قَدْ اَذِنَ لَكُمْ اَنْ تَهْجُرُوْهُنَّ فى الْمَضاجِعِ وَتَضْرِبُوهنَّ غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَاِنِ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف وَاسْتَوْصَوْا بالنِّساء خَيْراً فَاِنَّهُنَّ عِنْدَكُم عَوانٍ [1] لايَمْلِكْنَ حق الرجال على النساء وحقهن عليهم

---

١ ـ جمع « عانية» المراد منها ، المقيدة الاسيرة .

اعيصاء الخير بالنساء

لِأَنفُسِهِنَّ شَيْئاً، وَإِنَّكُمْ إِنَّما أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكلمة الله.

« فاعْقِلُوا أيُّها النّاسُ و اسْمَعُوا قَوْلِي فأنّي قَدْ بلَّغْتُ وَتَرَكْتُ فِيكُمْ ما إن اعتَصَمْتُمْ به فَلَنْ تَضِلُّوا أبَداً كتابَ اللهِ وَسُنَّةَ نبيه [1].

« أيُّهَا النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فأني قَدْ بلَّغتُ واعْقِلُوا تعلَمُنَّ.

العلم اخ العلم

« إنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أخُ المُسْلِمِ وإنَّ المُسْلِمِينَ إخْوَةٌ فَلايَحِلُّ لامْرِيءٍ مِنْ أخيه إلّا ما أعطاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَلاتَظْلِمُوا أنْفُسَكُمْ. أللّهُمَّ هَلْ بَلَّغتُ ؟ ».

وحينئذٍ.

« قالوا :

« أللّهُمَّ نَعَم.

« فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

« أللّهُمَّ اشْهَدْ »

١٣٤ ـ اكمال الدّين واتمام النّعمة

فرغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم من الحجّ وبلّغ ما بلّغ ثمّ ودّع بيت ربّه وقفل راجعاً نحو المدينة مع صحابته.

فلمّا وصل « غديرخم » من « الجُحْفَة » [2] (هي مرحلة تتشعّب فيها الطّرق:

---

١ ـ في هذا الموضع لم يذكر الامرين (الثقلين) بل امراً واحدا منهما وهو القرآن المجيد و ما من سنخه وشأنه، وهوالسنة، وفيه اندرج الامرالثاني لانه مستفاد من الاول وبيان له.

٢ ـ « في الحديث : « وقت لاهل الشام، الجحفة » بضم الجيم، هي مكان بين مكة والمدينة محاذية لذي الحليفة من الجانب الشامي قريب من رابغ بين بدر و خليص. سميت بذلك لان السيل اجحف باهلها اى ذهب بهم وكان اسمها قبل ذلك، مهيعة . . . »
(مجمع البحرين).

فطريق منها الى المدينة وطريق الى العِراق . تفترق هناك القوافل فيأخذ كلّ قوم طريقه) وقف وامر بأرجاع من تقدّم من القوم سالكاً طريقه الى بلده و مقصِده وبأيقاف من تأخّر منهم واراد ورود طريقه، حتى رجع السّابق الى الّلاحق ولحق الّلاحق بالسّابق واجتمع الجميع فى ذلك الموضع فصلّى، صلّى الله عليه وآله وسلّم، بهم الظّهر وكان اليوم فى شدّة الحرارة ثمّ قام خطيبا، على اقتاب الجمال و قال، بعد حمدالله والثّناء عليه، :

« فانْظُرُوا كَيْفَ تخلفوني فى الثَّقَلَيْنِ؟ »

ونادىٰ مناد : ما الثّقَلان يارسول الله؟ . قال :

التمسك بالقرآن وبالعترة

« الثَّقَل الأكبر ، كتابُ الله طرفٌ بيدالله و طرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به لاتضلّوا » .

« والآخر الاصغر، عترتى .

« وانّ اللّطيفَ الخبير نبّأني انهما لن يَتَفَرَّقا حتّى يردا علَيَّ الحَوض .

« فسَأَلْتُ ذٰلِكَ لَهُمٰا رَبّىْ فلا تَقَدَّمُوْهُما فتَهلَكُوا ولاتَقَصّرُوْا عنهما فتَهلَكُوْا » .

ثمّ اخذ بيد عليّ فرفعها حتى رؤى بياض آباطهما وعرفه القوم اجمعون فقال :

« ايّها النّاس مَنْ اَوْلى النّاسِ بالمؤمنين من انفسهم؟

قالوا : الله ورسوله اعلم . قال :

« اِنَّ اللهَ مَوْلٰايَ وَاَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَاَنَا اَوْلىٰ بِهِمْ مِنْ اَنْفُسِهِمْ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلٰاهُ فَعَلَىٌّ مَوْلٰاهُ .

« اَللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وَعٰادِ مَنْ عٰاداهُ » .

قال، صلّى الله عليه وآله وسلّم، الجملة الأخيرة الدّعائيّة ثلاث مرّات ، كما فى المحكىّ عن ابن المَغازِلِيّ الشّافِعي، بأسناده عن زيد بن ارقم ، اواربع مرّات ، كما فى المحكىّ عن « الفضائل » لأحمد بن محمّد بن حنبل ، رابع الأئمة الأربعة المشهورة .

ثمّ قال :

« وَاَحِبَّ مَنْ اَحَبَّه وابْغِضْ مَنْ اَبْغَضَهُ وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاَخْذُلْ من خَذَلَهُ واَدِرِ الْحَقّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ .

« اَلا فَلْيبلغ الشاهِدُ ، الغائبَ » .

وبعد هذا قبْلَ اَنْ يَتَفَرَّقَ الجمع نزلت آية : اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ واَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الأسْلامَ دِيْناً . . . الآية ٣ »[1].

١٣٥ - نزول الآية يوم الغدير

قال الخطيب البغدادى (المتوفى سنة ٤٦٣هـ.ق.) فى ترجمة حَبْشون بن موسى من تأريخه ، بأسناده عن ابى هُريرة انّه قال :

« من صام يوم ثمان عشرة من ذى الحجة كُتب له صيام ستّين شهراً وهويوم غديرخم ، لمّا اخذ النبىّ (ص) بيد علىّ بن ابى طالب فقال : استحباب صيام يوم غدير

« اَلَسْتُ ولىّ المؤمنين؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال مَنْ كُنْتُ مَوْلِيه فَعَلِيٌّ مَوْلٰه .

« فقال عمر بن الخطّاب : بَخٍ بَخٍ لكَ يا ابن ابى طالب . اَصْبَحْتَ مولاىَ ومولىٰ كلّ مسلم[2] فانزل الله : اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ . تهنئة عمر وتحيته لعلى على مولويته

---

١ - من السورة الخامسة (المائدة) .

٢ - قال الشيخ سليمان الحنفى فى « ينابيع المودة » :

« وفى « مشكوة المصابيح » عن البراء بن عازب قال : « ان النبى(ص) لما نزل بغديرخم اخذ بيد على فقال : الستم تعلمون انى اولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى . فقال : اللهم من كنت مولاه فعلي موليه . اللهم وال والاه وعاد من عاداه .

بقية الحاشية فى صفحة الاتية

«ومن صام یوم سبعة وعشرین من رجب كتب له صیام ستین شهراً و هو اول یوم نزل جبرئیل علی محمد(ص) بالرسالة»[1] اشتهر هذا الحدیث من روایة **حبشون.**» انتهی كلام **الخطیب** .

١٣٦ ـ آیة التبلیغ

ونزلت فی ذلك الیوم ، قبل قیام الرسول ، صلی الله علیه وآله وسلم ، بالصلوة والخطبة وابلاغ مولویة **علی** فیها ، آیة التبلیغ قال الله تبارك وتعالی:

«یَا اَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا اُنْزِلَ اِلَیْكَ مِنْ رَبِّكَ وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ یَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . . . . الآیة ٤٧»[2] .

صرح الرسول ، صلی الله علیه وآله وسلم ، بذلك حیث قال فی تلك الخطبة ، علی ما نقل عن كتاب «الولایة فی طرق حدیث الغدیر» تالیف ابی جعفر **محمد بن جریر الطبری** (المتوفی سنة ٣١٠ هـ. ق.) :

نص الرسول(ص) علی خلافة علی وامامته

« ان الله تعالی : بلغ ما انزل الیك من ربك . . . .

« وقد امرنی جبرئیل عن ربی ان اقوم فی هذا المشهد واُعْلِمَ كل ابیض واسود: ان **علی** بن **ابی طالب** اخی ووصیی وَخَلِیفَتِی وَالامامُ بَعْدِی ....

بقیة الحاشیة فی صفحة الماضیة

« قال : فلقیه **عمر بن الخطاب** «رض» قال : هنیئاً لك یا **ابن ابی طالب** ، اصبحت مولی كل مؤمن و مؤمنة . رواه **احمد** ایضا . اخرجه **احمد** فی مسنده عن **زید بن ارقم** بطریقین : عن **عطیة العوفی** عن زید بن ارقم ، و عن **ابن میمون** عن زید بن ارقم . ایضاً اخرجه **احمد** عن **عمر بن الخطاب** «رض».

---

١ ـ عسالـ ان تتوجه من اتحاد قدر اجر الصیام فی الیومین (یوم البعث بالرسالة ویوم النصب بالخلافة) و تتفطن منه الی النسبة بینهما والمناسبة لهما.

٢ ـ السورة الخامسة (المائدة).

«إنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فهذا عليٌّ مولاه . . . . أَلا وقد اديتُ . أَلا وقد بلّغت . . . .»

انكار المخالف

انكر بعضهم نزول الآيتين (آية الأكمال و آية التّبليغ) فى ذلك اليوم وفى هذا الشّأن ولكنّ الخبير بالأخبار والجدير منه الانصاف لايرى فى ميزان الاعتبار لهذا الأنكار وزن ومقدار كيف لا وقد صرّح جمّ غفير وجمع كثير من اكابر علماء اهل السّنّة بنزولها يوم الغدير وفى شأن على عليه السّلام .

منهم على ما فى كتاب «الغدير» ، وغيره ، :

محمد بن جرير **الطّبرى** فى «كتاب الولاية» والحافظ **ابن مَرْدَوَيْه الأصفهانى** (المتوفى سنة ٤١٠) والحافظ **ابونُعَيْم الاصفهانى** (المتوفى سنة ٤٣٠) فى «كتاب ما نُزِّل من القرآن فى علىّ » و **ابن المغازلى الشافعى** (المتوفى سنة ٤٣٨) والحافظ ابوبكر **الخطيب البغدادى** (المتوفى سنة ٤٦٣) فى تاريخه ، والحافظ **ابوسعيد السجستانى** (المتوفى ٤٧٧) وغير هؤلاء الأكابر من اعاظم العلماء .

وهكذا انكر بعضهم نزول آية التّبليغ فى ذلك اليوم بغديرخمّ وهذا الأنكار ايضا ممّا لا اعتداد به ولا اعتبار له ، بعد تصريح الأعلام من علماء اهل السّنّة بنزولها فى غديرخمّ . منهم (ايضا على ما فى كتاب «الغدير» ، وغيره) :

محمّد بن **جرير الّطبرى** والحافظ ابن ابى حاتم ، **ابومحمّد الحنظلى** الّرازى (المتوفّى سنة ٣٧٧) والحافظ **ابوعبدالله المحاملى** (المتوفّى سنة ٣٣٠) و الحافظ **ابوبكر الّشيرازى** (المتوفّى سنة ٤٠٧) والحافظ **ابن مَرْدويه** و **الّثعلبى النّيسابورى** (المتوفّى سنة ٤٢٧) و الحافظ **ابونعيم الأصبهانى** و الحافظ **ابوسعيد السّجستانى** و الحافظ **ابوالقاسم ابن عساكر الشّافعى** (المتوفّى سنة ٥٧١) و **فخرالدّين الّرازى الشّافعىّ** (المتوفّى سنة ٦٠٦) والحافظ **عزالدّين الرّسْعَنِى** (نسبة الى المدينة راس عين بديار بكر) **المَوْصِلىّ الحنبلىّ** (المتوفّى سنة ٦٦١) و **بدرالدّين العينىّ الحنفىّ**

(المتوفّى سنة ٨٥٥) ونور الدّين الصبّاغ المالكيّ (المتوفّى سنة ٨٥٥) و غيرهم الى ثلاثين من اكابر العلماء الّذين سمّاهم مؤلّف «الغدير» وسمّى كتبهم ونقل عين عباراتهم وعيّن ارقام صفحات كتبهم المنقولة عنها. فمن شاء فليرجع المجلّد الأوّل من كتاب «الغدير» (مطبوع تهران الصفحة ال ٢١٤ ـ ال ٣٣٨) .

١٣٧ ـ كلمات مع المنكرين

ولولم يشاء المنكر ان يرى ما فى كتب هٰؤلاء الأعاظم من التصريحات فليراع جانب الأنصاف و الحقّ و ليتفضّل بالجواب لنفسه عمّا لعلّه يخطر ببال شخصه ، ايضا ، هنا من الأسئلة . منها:

١ ـ ماذا هو الأمر الهامّ الّذى امرالله رسوله بتبليغه بهذه الشدّة والتأكيد بحيث ان لم يفعل كان كلّ ما فعله من تبليغ الأحكام و الدّين و الرّسالة كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً وكان كأنّه ما بلّغ رسالته ؟

اسئلة ينبغى ان يتدبر فيها

٢ ـ اَوَ يصحّ ان يذهب الى وهمٍ انّ الرّسول ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كان (والعياذ بالله) سامح قبل نزول هذه الآية فى دعوة النّاس الى التّوحيد او الى تبليغ حكم من الأحكام الفرعيّة حتّى يصحّ ان يهدّد وينزل فى شأنه «وان لم تفعل ...» ؟

٣ ـ اَوَليس هذه الآية فى سورة المائدة وهى سورة مدنيّة ، نزلت بعد فتح مكّة (فى رمضان سنة ثمان) وقبول اكابر الكافرين ، واعاظم المشركين ، الدّعوة ودخول العرب من اقطار الأرض ، ارض الجزيرة ، افواجاً افواجاً فى الدين وقبول الشرعة باليقين؟

ثمّ اَليس فى نفس هذه السّورة وقبل هذه الآية ، فى التّوحيد والنبوّة والمعاد ، من الأصول ، وفى العبادات والمعاملات والعقود و الاحكام والسّياسات و المحلّلات والمحرّمات ، من الفروع ، بلاغات صريحة ، و بشارات و انذارات بيّنة ، وآيات واضحة فصيحة ، من دون مجاملة و مساهلة ؟

اولا يكفى المنصف صراحة هذه الآية وصرامتها ؟ « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ ...... الآية ١٧ » فى حقّ المسيحيّين ؟ و هذه الآية الأخرى و صراحتها فى حقّ اليهود « وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ

يَدُاللهِ مَغلُولةٌ غُلَّتْ اَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِما قالُوا . . . الآية ٦٦ » وهذه الآية «فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم . . . الآية ١٣٠ » ؟ وتلك الآية وماصُرّحت بها فى حقّهما « وَقالَتِ اليَهُودُ والنَّصارىٰ نَحنُ اَبْناءُ اللهِ وَاَحِبّاؤُهُ قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ . . . . الآية ١٨ » .

وانظر الى صراحة الكلام فى حقّ الكافرين والمنافقين والّذين هادُوا « يااَيُّها الرَّسُولُ لايَحزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فى الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنّا بِاَفْواهِهِم وَلَم تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هادُوا ، سَمّاعُونَ للكَذِبِ ... ٤١ سَمّاعُون للكذب اَكّالُونَ لِلسُّحْتِ . . . ٤٢ »

ثمّ انظر الأحكام الفرعيّة فى هذه السّورة الشّريفة من وجوب الوفاء بالعقود واحلال بهيمة الأنعام الّا ماخرج وعدم جواز احلال شعائر الله ولا الشّهر الحرام و... وتحريم الميتة والدّم و... والأستقسام بالأزلام واحلال الطيّبات ومامسكن المعلّمة من الجوارح واحلال المحصنات وعدّة من الاحكام الأُخر ، كالوضوء والتّيمم و وجوب العدل و جزاء المُحارِب والمفسد فى الأرض وقطع السّارق والسّارقة والقصاص وعدم اتّخاذ اليهود والنصارى اولياء ، وغير ذلك .

وبعد ذلك كلّه : هل ينبغى ان يُتوهّم انّه صلّى الله عليه وآله وسلّم سامح ، خوفاً من احدٍ ، فى تبليغ الأصول او الفروع كى يحتاج الى التّشجيع بالعصمة ، والتّهديد بعدم تبليغ الرّسالة ؟ .

١٣٨ ـ تجاهر الرّسول بالدعوة

عدم خوف النبى من اصل الدعوة ولا من تبليغ المنهاج والشرعة

كلّا ثمّ كلّا ، كان الرّسول حين كان بمكّة وبُعث للرّسالة ، وحيداً فى بادىء الأمر ضعيفاً من حيث التّابع والنّاصر حتّى اضطرّ الى الألتجاء بشعب ابى طالب والحصر فيه ، ومع تلك الأوضاع والأحوال لايخاف احدا . يجاهر بالدّعوة ، ويُعلن ما اُنزل اليه و اُمر به من الهداية والأرشاد و التّبليغ ، فيقرأ من دون خوف « تَبَّتْ يَدا اَبِىْ لَهَبٍ وَتَبَّ » فى حق **ابى لهب** و يتلو على رؤس الأشهاد « ذَرْنِىْ وَمَنْ

خَلَقْتُ وَحِيداً . . . . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لاتُبْقِي وَلا تَذَرُ ٢٨ » [١] فى حق الوليد بن المغيرة الّذى وصفه فى آيات اُخر بمايقول ابن عبّاس « لانعلم انّ الله وصف احداً بما وصفه به من العيوب ....» [٢] وهى: « . . . . حَلَّافٍ مَهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ١١ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ١٣ » [٣] ويقرأ « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى ١٠ . . . . كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨ » [٤] فى حقّ ابى جهل حيثُ « قال للنبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لما انتهره حيث نهاه عن الصّلوة : لقد علمتَ ما بها رجل اكبر نادياً منّى لأملانّ عليك هذا الوادى ان شئتُ خيلاً جُرْداً ورجلاً مُرْداً » [٥] وهؤلاء الثّلاثه من اعاظم قريش واكابرهم .

هكذا كان حاله صلّى الله عليه وآله وسلّم فى عدم خوفه فى التّبليغ والدّعوة وهو بمكّة فى قلّة النّاصر و قوّة المعاند فكيف وهو بالمدينة وقد فتح قلوب عرب ـ الجزيرة واستولى على بلادهم وتسلّط على نفوسهم وغلب على امّ البلاد، مكّة، وخضع له جبابرتها،وصدّق برسالته طوعاً وكرهاً اكثر الطّوائف والقبائل .

فممّن كان يخاف؟ وممّ يحترز و يحتاط حتّى يسامح ولايفعل ماامره الله!؟

اذاكان ذلك الأمر من سنخ الدّعوة الى التّوحيد والرّسالة او كان من قبيل ابلاغ الشّرائع والأحكام العمليّة الفرعيّة اَوَليس قد بلّغها من ذى قبل؟ اَوَليس جائها فى السُّوَر النّازلة قبل فتح مكّة وفى نفس السّورة الّتى هذه الآية فيها ؟ اَوَ بقى حكم مهمّ

---

١ ـ السورة ال ٧٤ (المدثر) .

٢ ـ تفسير الجلالين .

٣ ـ السورة ال ٦٧ (القلم) .

٤ ـ السورة ال ٩٦ (العلق) .

٥ ـ تفسير الجلالين .

من هذا القبيل لم يكث يبلّغها قبل نزول الآية فبلّغها بعدها ؟

و بالجملة فممّا كان يخاف الرّسول فيتعلّل فى الأبلاغ حتّى يؤل الأمر الى التّقوية والتّشجيع من الله تبارك وتعالى بقوله «... وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاس...»؟ بل من جليّات الامور حتى لدى العقل الّضعيف ، فضلاً عن المضاعف منه، انّ الرّسالة والمخافة من الدّعوة ، ضرّتان لا تقترنان وضدّان لا تجتمعان فكيف يختار الخبير، العليم القدير من هو خائف من الأنذار والتّبشير وليس للرّسالة جدير .

اجل ، ما كان الرّسول يخاف من المشركين والكفّار ولا من احد فى تبليغ اصول الأسلام وفروع الاحكام ، ولابدّ له من حيث انّه رسول ان لايخاف ، ولكنّه كان يخاف فى امر خلافة علىّ ويحتاط فى ابلاغها ، على الأسلام[1] . اضف الى ذلك ما كان يعرفه الرسول من بعضٍ حبّهم للرئاسة وطمعهم فى الزّعامة ومن بعضٍ بغضهم لعلىّ قاتل المشركين والكفرة .

١٣٩ - وهم وحسم

كأنّ بعضهم توجّه الى بعض ما اشرنا اليه من الأسئلة و عرف انّ مصبّ نزول آية التّبليغ امر جليل هامّ وسياقها يأبى أن يكون لأمر من الأمور الأعتقاديّة الاصليّة او العمليّة الفرعيّة ولم يشأ اولم يقدر ان يعترف بأنّ نزولها كان فى غدير خم و كان فى امر الخلافة لعلىّ كما صرّح به جماعة من علماء اهل السنة ، على ما عرفت ، وتقوله الشيعة فعاذ من الحرّ بالرّمضاء ولاذ الى السّواد من البيضاء فقال فى تفسيره :

« يا ايّها الرّسول بَلِّغْ) جميع (ما اُنْزِلَ اِلَيْكَ) ولاتكتم منه شيئاً خوفا من ان تنال بمكروه (وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ) اى لم تبلغ « جميع » ما انزل اليك (فَما بَلَّغْتَ رسالَتَه) بالافراد والجمع لأنّ كتمان بعضها ككتمان كلّها (وَاللهُ يَعْصِمُكَ

---

١ - ولعل فى التعبير بكلمة « من الناس » (فى خصوص هذا الموضع) فى قوله « والله يعصمك من الناس دون « الكافرين » او « المشركين » كان اشعارا بذلك .

منَ النّاسِ) ان یقتلوك . وكان صلّیٰ الله علیه وسلّم یحرس حتی نزلت فقال : انصرفوا فقد عصمنی الله . رواه الحاکم » [1] وجعل الامر الهامّ الّذی خاف الرّسول فی اظهاره من ان ینال بمکروه تبلیغ «جمیع » ما انزل الیه بـ« الأفراد و « الجمع » فعلیه ان لایخاف احداً ولایکتم منه شیئاً .

وانت تریٰ ما فی هذا الرّای فی التّفسیر ، والوهم للتقدیر . وذلك لأنّ تقدیر لفظ « جمیع » لایسمن ولایغنی من جوع بل یفسد المعنی و یخالف حقیقة الأمر اذ ممّا لایخفی علی احد انّ ما انزل الی النّبی (ص) من ربّه نزّل نجوماً فی مدّة تتجاوز عن عشرین سنة ولم یتنزّل جمیعه الی النّبی کی یصحّ امره بتبلیغه وكلّ ما انزل الیه من - الآیات والأحکام کان بالأفراد لا « الجمع » وبلّغه الرّسول حین نزوله وما خاف احداً ولاکتم شیئاً وآیة التبلیغ هذه فی سورة المائدة الّتی قال المفسّر فی اوّل السورة بانّها «مدنیّة وآیاتها ۱۲۰ نزلت بعدالفتح » وقد بلّغ الرّسول قبل نزولها فی مدّة لاتقلّ عن عشرین سنة جُلّ ما انزل الیه من القرآن وما أمر به من الأحکام فماذا یفید تقدیر لفظ « الجمیع » ؟ :

ایصحّ ان یتوهّم انّ الرسول (ص) ، بحکم هذا التّقدیر ، أُمر بتبلیغ ما بلّغه سابقاً ممّا انزل الیه من القرآن و اعادة ما بیّنَ من الأحکام و ضمّها مع ما بقی منها حتّی کان عاملا بما امر من تبلیغ الجمیع؟ کلّا ولا اراده المفسّر ایضا . فلابدّ وان یکون المراد ان یبلغ ماسیقرّر من الاحکام و ما ینزل من القرآن نجوما و افراداً حین تقریرها ونزولها . وحینئذ فیعود السّؤال جذعاً وهو :

ما هو الأمر الهامّ الّذی کان بینه و بین سائر المنزلات والاحکام الّتی نزلت فی مدّة تربو علی عشرین سنة هذا الفرق العظیم الّذی « کتمه الرسول خوفاً من ان ینال بمکروه » و وعده الله العصمة من « ان یقتلوه » و اوعده و هدّده بضیاع تبلیغ رسالته وکونه کأن لم یکن ؟

الشّیعة ، وجمع من غیرها ایضا ، تقول بنزول هذه الآیة فی حجة الوداع بغدیرخم ،

---

۱ - تفسیر الجلالین .

و فى شأن الخلافة التى بها يتمّ الرسالة، وبعدم تبليغها كأنّه مابلّغ الرّسالة لأنّ حفظ الرّسالة على ماينبغى وعلى ماارادهالله وقصده الرّسول يتوقّف على خلافة من اصطفاهالله وارتضاه الرّسول .

بلّغ الرّسول (ص) ما امرهالله بتبليغه من الأحكام نجوماً نجوماً ومابقى من جميع ما يجب عليه ان تبلّغه الّا امر الخلافة والوصاية وهذا امر يناسب تبليغه فى آخر عهد الرّسالة و اقتراب ارتحال الرّسول ويكون هذا الأمر للرّسالة بمنزلة آخر لبنة لأكمال البناء واتمامه فبوضعها فى محلّها ، يكمل الدين و تتم النّعمة و يتحقّق تمام التّبليغ فيحق يوم وضعها وتبليغها ان ينزّل « اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ ... »

١٤٠ ـ اسئلة ، على المخالف ان يجيب عنها

لَوْ اَغْمَضْنا عن الحق واَصْررنا على انّ نزول الآية فى يوم آخر لا فى يوم غدير خم (كما تعتقده الشّيعة عامّة وقال به بعض اكابر العلماء من اهل السّنّة) بل فى يوم سابق على يوم الغدير (كما يدّعيه العامّة من اهل التّسنّن) فلننظر اىّ حكم من الاحكام وضع فى ذلك «اليوم » السّابق او فى غير ذلك اليوم وقبله؟ ثمّ فى اىّ شأن كان ذلك الحكم حتّى صار بحيث كان مكمّلاً للدين ومتمّما للنّعمة؟

اكان ذلك يوم بلّغ فيه الرّسول (ص) حكم الصّلوة او الصّوم او الحجّ او الجهاد او غيرها ممّا يُشبهها من الأحكام الفرعية ؟ اكان ابلاغ هذه الأحكام فرادىٰ فرادىٰ بهذا المكان من الجدارة ان ينزل فى شانه « اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ ...الآية »؟

ثمّ ايوجد بين الاحكام المنجّمة فى الصدور فرق من حيث الفرعيّة حتّى يستحقّ واحد منها بان ينزل فى حقّه حين صدوره وابلاغه : « اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ ...»؟

وبعد اللّتيّا والّتى لو زعم زاعم انّ المراد من اكمال الدّين واتمام النّعمة فى ذلك اليوم انّ جميع ما ارادهالله وضعه من الأحكام و ابلاغه تمّ فى ذلك اليوم وخُتم فما بقى فى مقام الوضع وكتاب الشّرع حكم الّا وقد نزّل و بلّغ فبهذا الاعتبار ، اى

اعتبار الجمع والتمام والوضع والختام، كمل الدّين وتمّت النعمة.

اليس على هذا الزّعم يجب ان يكون آخر حكم يتمّ به الجمع، صادراً و اصلاً قبل نزول الآية او قُبيلها؟ و انت ممّن تكون فی ذكره ان الآية فی سورة المائدة وهی على ما نقلنا نزّلت بعد فتح مكّة وقد صَدرت و بُلّغت بعد الآية احكام حتی ولعلّه فی نفس تلك السّورة وبعد هذه الآية.

وبأخَرة هل يوجد بين تلك الموضوعات والمشروعات مايكون بمنزلة الخلافة-الحافظة للدّين، الحامية عن حمی الشّرع، الّتی تعتقد الشيعة انّ الآية ناظرة اليها، نازلة آخِر ايّام النّبیّ، وبغدير خم؟

ثمّ كما اسلفنا، هل يتصوّر انّه كان فی المسلمين من يخالف تبليغ حكم او دستور كائنا ماكان من الاحكام الشرعيّة حين صدور آية التبليغ؟ فلا محالة يجب ان يعتقد انّه كان حكماً لايوافق ما يهويه ويميل اليه بعض الناس وامراً لايناسب ما يريده-بعض النّفوس والأشخاص وليس امر بهذه المثابة سوی[1] امر الخلافة والوصاية.

علی انّه بناء علی نزول آية التّبليغ يوم غدير خم، كما عليه الشّيعة عامّة والخواصّ من اعاظم اهل السنّة، بلّغ الرّسول، الأحكام كلّها قبل ذلك اليوم (يوم الغدير) وعصمه الله من النّاس فی تبليغها سابقا فعلی ماذا ينبغی ان يحمل قوله تشجيعا لرسوله وتقوية له: «وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»؟

١- «وقوله: اليوم اكملت لكم دينكم، فی تاويله ثلاثة اقوال: احدها قال **ابن عباس** و **السدی** واكثر المفسرين: ان معناه اكملت لكم فرائضی وحدودی امری ونهيی و حلالی وحرامی.... قالوا ولم ينزل بعد هذا علی النبی(ص) شیء من الفرائض فی تحليل شیء ولا تحريمه وانه عليه السلام مضی بعد ذلك باحد و ثمانين ليلة..... وقال **الحكم** و **سعيد بن جبير** و **قتادة**: معناه اكملت لكم حجكم و افردتكم بالبلد الحرام دون المشركين... وهوالذی اختاره **الطبری** قال: لان الله قدانزل بعد ذلك قوله: يستفتونك فی الكلالة قل الله يفتيكم فی الكلالة... وقال **الفراء** هی آخر آية نزلت....»

(التبيان للشيخ الطوسی)

هذه اسئلةٌ كانت تختلج بالبال وعلى المنصف المتدبّر ان يتأمّل فيها و يختار للجواب عنها طريقةً تقنعهُ ومسلكاً يرتضيه ويُشبعه :

١٤١ ـ حولَ غدير خم

القى النّبىّ خطبة بغديرخم ، وكلّم بما كان عليه ان يتكلّم ، وبلّغ ما اُمر به وبشّر بما اُنزل اليه من اكمال الدّين واتمام النّعمة على المسلمين ، و يرضى الرّب عن كون الاسلام لهم الدّين و بأنّ الله مولاه وهومولى المؤمنين و بأنّه اولى منهم بأنفسهم وان ابن عمّه وصهره واخيه ، علياً ، بعده مولى من كان هومولاه .

ثمّ استاذن شاعر رسول الله ، صلّى الله عليه و آله وسلّم ، حسّان بن ثابت الأنصارى ان ينشد فى علىّ وشأنه ، فى هذا اليوم فأذن له الرّسول فأنشأ وانشد :

يُناديهُمُ يَومَ الغَديرِ نَبِيُّهُم
فأَسْمِع بِالرَّسُولِ مُنادِياً
يقول : فَمَنْ مَولاكُمُ وولِيُّكُمْ ؟
فقالوا ، ولَمْ يبدُوا هناك التَّعاميا :
الٰهُكَ مَولٰينا وَانْتَ وَلِيُّنا
وَلَمْ ترَمِنا فِى الوِلايَة عاصِياً
فَقالَ لَهُ : قُمْ يا عَلِىّ فأنَّنِى
رَضِيتُكَ مِنْ بَعْدى اِماماً و هادِياً
فَمَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَهذا وَلِيُّهُ
فكُونُوا لَهُ انْصارَ صِدْقٍ مُوالِياً
هُناكَ دَعا : اللّهُمَّ والِ وَلِيَّه
وَكُنْ للّذِى عادىٰ عَلِيّاً مُعادِياً

١٤٢ ـ طرق حديث غدير

قال الشّيخ سليمان البلخى الحنفى النقشبندى فى كتابه القيّم ، « ينابيع المودّة »،

فی الباب الرابع الّذی عقده لنقل حدیث « سفینة نوح » و « حدیث باب حِطّة بنی اسرائیل » و « حدیث الثَّقَلَیْن » و « حدیث یوم الغدیر » (الصّفحة ال ٣٠ طبع تهران) :

« وفی المناقب : اخرج **محمد** بن **جریر** الطّبری صاحب التاریخ خبر « غدیر خم » من خمسة وسبعین طریقا وافرد له کتابا سمّاه « کتاب الولایة » .

« ایضا اخرج خبر « غدیرخم » ابوالعبّاس **احمد** بن **محمد** بن **سعید** بن **عُقدة** وافرد له کتاباً وسمّاه « الموالاة » وطُرُقه من مأة وخمسة طریقٍ .

« حکی العلّامة **علیّ** بن موسی :

« وعلی بن **محمّد** ، **ابی المعالی الجُوَیْنی** ، الملقّب بـ « امام الحرمین » استاذ **ابی حامد الغزّالی** رحمهما الله یتعجّب ویقول :

« رایت مجلّداً فی بغداد فی ید صحّافٍ فیه روایات خبر « غدیرخم » مکتوبا علیه : « المجلّدة الثامنة و العشرون من طرق قوله صلّی‌الله علیه وآله و سلّم : « مَنْ کُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِیٌّ مَوْلاهُ » و یتلوه المجلّد التّاسعة والعشرون » انتهی ما فی ینابیع المودّة [١] .

قال **الخطیب** فی تاریخ بغداد (ذیل ترجمة ابی عمرو **یحیی** بن **محمد** الأخباری ـ الصفحة ٢٣٦ من المجلد ال ١٤ ـ) :

---

١ ـ یقول مؤلف هذه الاوراق : و فی کتاب « صراط المستقیم الی مستحقی التقدیم» **لابی محمد نورالدین** (او زین الدین) **علی بن محمد بن یونس** العنفجوری البیاضی ـ العاملی النبطی (المتوفی سنة ٨٧٧ هـ . ق) :

« صنف **الحسین بن جبیر** کتابا سماه « نخب المناقب لال ابی طالب » اختصره من کتاب الشیخ **محمد بن شهر آشوب** .... الی ان قال : « فقد وردت فی خبر الغدیر واسانیده ، الطوامیر . قال **ابن شهر آشوب** : قال جدی : سمعت الجوینی یقول : شاهدت مجلداً ببغداد فی رواة هذا الخبر مکتوباً علیه « المجلدة الثامنة و العشرون و یتلوها التاسعة والعشرون .... »

« اخبرنا ابن بكير : اخبرنا ابو عمرو يحيى بن محمد بن . . . . الأخباری، فی منزله بدرب السّاج ، فی جوار ابن الشّونيزی فی سنة ثلاث وستّين وثلاثمأة، حدّثنا ابوجعفر احمد بن محمد عبدالرحمن بن ابی ليلی قال:

« سمعت علياً ـ بالرّحبة ـ يَنْشُدُ النّاس: من سمع رسول الله ، صلّی‌الله عليه وسلّم، يقول :

«مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاه اَللّهُمّ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ

استشهاد علی من الصحابة لحديث غدير خم

« فقام اثنی عشر بدرياً فشهدوا انّهم سمعوا رسول الله صلّی‌الله عليه و سلّم يقول : من كنتُ مولاليه فعلیٌّ مولاه . اللّهمّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه ».

وقال ابوالفرج عبدالرحمن ، المعروف بابن الجوزی ، (المتوفیٰ سنة ٥٩٧) فی كتابه « صفة الصّفوة » :

« وعن زاذان قال : سمعت علياً ـ بالرّحبة ـ و هو ينشد النّاس : من شهد رسول‌الله (ص) فی يوم غدير وهو يقول ما قال .

«فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا انّهم سمعوا رسول‌الله صلّی‌الله عليه وسلّم يقول: مَنْ كنتُ مولاه فعلیّ موليه رواه الأحمد » ـ يعنی ابن حنبل ـ

و فی ينابيع المودّة للشيخ سليمان الحنفی (الصفحة ٣٢ ـ ٣٣ ـ طبع الحجری بتهران ـ) .

« اخرج ابونُعَيْم فی الحلية ، وغيره، عن ابی الطفيل انّ علياً قام فحمدالله واثنیٰ عليه ثم قال :

« اَنْشُدُالله من شهد يوم غدير خم، الّا قام . ولايقوم رجل يقول: «نُبِّئْتُ » او « بلغنی » الّا رجل سمعتْ اذناه ووعاه قلبه .

شهادة سبعة عشر صحابياً بسماعهم الحديث عن الرسول(ص)

«فقام سبعة عشر رجلاً ،منهم خزيمة بن ثابت وسهل بن سعد وعدیّ بن حاتِم وعُقْبة بن عامر و ابوايّوب الأنصاری و ابويَعْلی الأنصاری وابوالهيثم بن التّيهان، ورجال من قريش .

«فقال علیّ: هاتوا ما سمعتم. فقالوا:

«نشهد انّا اقبلنا مع رسول‌الله (ص) من حجّة الوداع نزلنا بغدیرخم. ثمّ نادیٰ بالصّلوة فصلّینا معه. ثمّ قام فحمدالله واثنیٰ علیه ثمّ قال: ایّها النّاس ما انتم قائلون؟ قالوا: قد بلّغت. قال: اللّهمّ اشهد، ثلاث مرّات، ثمّ قال:

«انّی اُوشِکُ اَنْ اُدْعیٰ فأجیب وانّی مسئول وانتم مسئولون. ثم قال:

«ایُّها النّاس انّی تاركٌ فیکم الثَّقَلَیْن: کتابَ الله وعترتی، اهل بیتی، ان تَمَسَّکْتُم بهمالَنْ تَضِلّوا فانظروا کیف تخافونی فیهماوانّهما لَنْ یَفترقاحتّی یَرِدا علیّ الحوضَ نبّأنی بذلکَ اللّطیف الخبیر. ثمّ قال:

«انّ الله مولای وانا مولی المؤمنین. اَلَسْتُم تعلمون انّی اَوْلیٰ بکم من انفسکم؟ قالوا: بلیٰ. قال ذلک ثلاثا. ثمّ اخذ بیدك یا امیرالمؤمنین فرفعها وقال:

«مَنْ کُنْتُ مَوْلاهُ فَهٰذا عَلِیٌّ مَوْلاهُ. اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه.

«فقال علیّ: صدقتم وانا علی ذلك من الشاهدین».

١٤٣ – تواتر حدیث غدیر

یقول المؤلّف لهذه الوریقات ابن‌العارف العلامة **الحاج‌شیخ‌عبدالسلام**، قُدّس سرّه، **محمود الشّهابی الخراسانی**:

لیس فی‌جمیع‌الأحادیث حدیث یُشبه حدیث «الغدیر» فی کثرة السند والطّریق (اللّهمّ الّا حدیث‌الثّقلین) فی کثرة عنایة اهل‌العلم‌من کلّ فریق به، فما اعرف حدیثا وصل الأهتمام به والعنایة بشأنه بحیث ان یؤلّف فی خصوصه، بل فی خصوص‌رواته، تألیفاً مشتملاً علی ما یقرب، او یبلغ ثلاثین مجلّدة وقد الّفوا قدیما وحدیثا فی شان حدیث الغدیر وبیان طرقه واَسناده واستفاضته، بل وتواتره، وتوضیح مفاده کتبا کبیرة ورسائل کثیرة.

واخيراً الّف فى هذا الشأن ، الفاضل المتتبّع المعاصر **الأمينى** النّجفى كتاباً سمّاه باسم « الغدير » وهذا الكتاب ، فى ما رأيت واعلم ، اوفىٰ كتاب اُلّف فى هذا الموضوع[1] واجمع تأليف قام مؤلّفه الخبير بهذا الشأن .

فالمؤلّف المتتبّع ادام‌الله توفيقه[2] احاط بمسئلة الغدير فى جميع ارجائها وبرُمّة ما يتعلّق بأطرافها ، من الكتاب والسنّة والأثار و الأقوال والأشعار والحكايات والأخبار والكتب المؤلّفة فى هذا المضمار .

قال فى المجلّد الأول فى الصّفحة ال ١٤ .

اذعان اهل السنة بعوالر الحديث

« ولا احسب انّ اهل السّنّة يتأخّرون من الأماميّة فى اثبات هذا الحديث والبخوع لصحّته والرّكون اليه والتصحيح له ، والأذعان بتواتره ، اللّهمّ الّا شُذّاذ ... فأنّ المثبتين المحقّقين للشأن ، المتولّعين فى الفنّ لاتخالجهم ايّة شبهة فى اعتبار اسانيدهم الّتى انهوها متعاضدة متظافرة ، بل متواترة ، الى جماهير من الصّحابة والتّابعين . واليك اسماء جملة وقفنا على الطّرق المنتهية اليهم على حروف الهجاء . . . »

ثمّ نقل اسمائهم و انهىٰ عدد الّذين انتهت الطّرق اليهم من الصّحابة الى مأة وعشرة صحابياً وقال :

« هؤلاء مأة وعشرة من اعاظم الصّحابة الّذين وجدنا روايتهم لحديث الغدير . ولعلّ فى ما ذهب علينا اكثر من ذلك بكثير . و طبع الحال يستدعى ان تكون رُواة الحديث اضعاف المذكورين لأنّ السّامعين الوُعاة له كانوا مأة الف او يزيدون.... »

كثرة طرق الحديث

و فى ذيل تلك الصّفحة علّق على قوله فى المتن : « بل متواترا » ما عين لفظه و عبارته :

---

١ ـ وان سبقه فى هذا الموضوع صاحب كتاب « عبقات الانوار » السيد السند المتتبع الجليل المعتمد **ميرحامد حسين الموسوى** اللكهنوى الهندى (المتوفى ١٣٠٦ هـ.ق.) رحمه‌الله تعالى ، فى ذلك الكتاب ، كما اعترف نفسه بالاستفادة من علومه المودعة فيه واظهر الشكر المتواصل له و لولده (راجع الصفحة ال ١٥٧ من المجلد الاول من «غدير») .

٢ ـ توفى رحمه‌الله فى هذه الاواخر بتهران (سنة)

« رواه **احمد بن حنبل** من اربعين طريقا وابن عُقدة من مأة وخمس طُرُق وابن**السّعيد السّجستانى** من مأة وعشربن وابو بكر الجعابى من مأة وخمس وعشرين طريقاً. و فى تعليق هداية العقول (الصّفحة ال٣٠) عن الأمير **محمّدالـيّمنى** (احد شعراء الغدير فى القرن الثّانى عشر) انّ له مأة وخمسين طريقا ».

ثمّ اتبع اسامى الصحابة بنقل اسامى « الرواة لحديث الغدير من التابعين » الى ان انهىٰ عددهم الى اربعة وثمانين .

ثمّ ذكر طبقات الرواة من العلماء قرناً بعد قرن من القرن الثّانى الى القرن الحاضر (القرن الرّابع عشر من الهجرة النبويّة) على ترتيب و فياتهم حتّى انهيٰهم الى ستّين وثلاثمأة عالم .

ثمّ ذكر اسامى المؤلّفين فى خصوص حديث الغدير من العلماء الأعاظم كابن **جرير الطّبرى** (٢٢٤-٣١٠) والحافظ ابوالعبّاس **احمد بن محمد بن سعيدالهمّذانى** المعروف بـ « **ابن عُقدة** » (المتوفّى ٣٣٣) وانهىٰ عددهم الى ستّ وعشرين مؤلّفا .

ونقل عن كتاب « الهداية والنّهاية » لابن كثير (المجلد ال ٥ ، الصفحة ٢٠٨) :

« وقد اعتنىٰ بأمر هذا الحديث ابو جعفر **محمّد بن جرير الطّبرى**[1] صاحب -

---

١ - قال **ياقوت الحموى** فى المجلد ال ١٨ من كتابه معجم الادباء (على ما فى«الغدير » ايضا) فى ترجمة **محمد بن جرير الطبرى** : « له كتاب فضائل **على بن ابى طالب** رضى‌الله عنه تكلم فى‌اوله بصحة‌الاخبار الواردة فى غدير خم ثم‌تلاه بالفضائل ولم يتم .... »

وقال (فى‌الصفحة ال ٧٤) : وكان اذا عرف (يعنى‌الطبرى) من انسان بدعة ابعده واطرحه. وكان قدقال بعض الشيوخ ببغداد : بتكذيب غديرخم وقال : ان **على بن ابى طالب** كان باليمن فى‌الوقت الذى كان رسول الله صلى‌الله عليه وسلم بغدير خم .... وبلغ **اباجعفر الطبرى** ذلك ، فابتدء بالكلام فى فضائل **على بن ابى طالب** و ذكر طرق حديث‌خم فكثر الناس لاستماع ذلك.... »

وفى «الغدير» ايضا (ج١ص ١٥٢) « وقال الذهبى فى‌طبقاته (ج ٢ - ص٢٥٤) لما بلغ **محمد** بن **جرير** ان **ابن ابى داود** تكلم فى حديث غديرخم ، عمل « كتاب الفضائل» و تكلم فى‌تصحيح الحديث ثم‌قال (يعنى الذهبى):قلت ، رايت مجلدامن طرق الحديث لابن **جرير** فاندهشت له و لكثرة تلك الطرق...»

التّفسير والتّاريخ فجمع فيه مجلّدين اورد فيهما طرقه والفاظه. . . »

رواية الحديث من مأتي وخمسين طريقا!

ونقل ايضا عن الحافظ ابى العلاء العطّار الهمَدانى انّه قال:
« اروى هذا الحديث بمأتى و خمسين طريقا » !

۱٤٤ ـ دلالة الحديث

و بالجمله: شأن حديث غديرخمّ اعظم واجلىٰ من ان يحوم حول صدورها ريب وشبهة و كيف لا واتفق عليه اكابر علماء الفريقين من السنّة والشيعة فى الأزمنة السّالفة اللّهمّ الّا من نصب العداوة وطلب الغواية واتّبع الهوىٰ والعصبيّة وكان ممّن ختم الله على سمعه وكان على بصره غشاوة ووقع تحت تأثير الحكومة الأمويّة المروانيّة الباغية الغاشمة وامّا فى عصرنا هذا والكتب منشورة، والمراجعة اليها ميسورة، والأفكار حرّة منيرة، والأنظار حول حرم الحق بالتحقيق، وتمييز الحقيقة ودرك الواقع، طائفة دائرة فلايكاد يوجد بين ابناء العلم و اخوان الدّين و اولياء النَّصفة و اولى التحقيق والمعرفة من يأذن لوهمه، بعد المراجعة والمطالعة، ان يقرع باب شكّ وارتياب.

تمحلات باردة

نَعَم قد ارتكب بعض من تقدّم زمانا، فى معنى العبارة و دلالتها (لا فى اصل صدورها و عبارتها) مايمجّ منه الطّباع و يعجّ عنه العلم و العدل و الأنصاف وهو انّ لفظة « مولى » استعملت فى اللّغة لمعان كثيرة مثل «ابن العم» و « النّاصر » و « القريب » وغير ذلك ممّا يقرب هذه المعانى فتكون الكلمة، فى الحديث، محتملة مجملة ولا يصحّ ان يحمل على خصوص الولاية والأمامة والخلافة التى تعتقدها الشيعة وتحملها عليها.

ولكنّك، وانت ممّن فى ذُكره نواحى الواقعة، واظنّك ممّن تدبّرت مطاوى الكلمات الواردة واحطت بالمطالعة على تلك الأحوال والأوضاع، لا ارايك الّا وان غمرك العجب ممّا افتُعِل فى ساحة العلم والأدب ولَهزّك الأسف على مااستُحلّ من انتهاك حرمة العدل.

اليست ذمّة الأنصاف رهينةَ التوجّهِ الى خصوصيات الواقعة و عرضها على الفاحص من التدبّر و الغائر من التامّل؟ ثمّ اما كان الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

لمّا وصل الی الجُحفة (وهی ملتقی الطّرق : طریق مصر و طریق العراق وطریق المدینة) واوشك ان تتفرّق الرُّفقة وتتشعّب الشّعوب من القبائل ومن فی الصّحبة فیاخذ کل منها طریقه و یسلك سبیله ، وقف (ص) فی المحلّ کی یلحقه من تأخّر ، و امر بارجاع من سبق وتقدّم؟

فلمّا اجتمع الکلّ فی الموضع ، فی هاجرة ذلك الیوم القائظ الحارّ ، امَر بأن ینادیٰ « الصّلوة جامعة » ولما فرغ من الصّلوة قال للجماعة ما قال .

اتُریٰك تزعم ، و اظنّك من اهل التّدبّر و الأنصاف ، انّ ذلك الأهتمام بالأجتماع ثمّ القاء الخطبة فی هذا الوضع من شدّة الحرارة واضطراب القلوب وانتظار النّفوس کان لأن یُعلن : بانّ علیّا « ابن عمّه » او «قریبه» او «ناصره» ؟ ثمّ ما ذا؟.

المولویة فی الحدیث ومایصح ان یکون مراداً فیه‌منه

حاشا العقل والعدل عن مثل هذا الزّعم وحاشا الرّسول الّذی ما ینطق عن الهویٰ، ثمّ حاشاه ، عن ارتکاب مثل هذا العمل اللّهو والقول اللّغو .

ثمّ اَو ما قدّم الرسول (ص) فی تلك الخطبة مسئلة عن النّاس : « مَنْ هُوَ اَوْلیٰ بالمؤمنین من انفسهم »؟ وبعد ذلك اَوما اجاب عنهم فی بیان السّؤال وتوضیحه:

« اِنّ الله « مَوْلایَ » وانا «مَوْلیٰ» المؤمنین ، وانّا اَوْلیٰ بهم من انفسهم» ؟

وامّا عبّر عن اولویّة الله ورسوله بلفظة « مَوْلایَ » و « مَوْلیَ المؤمنین » عین تلك اللفظة الّتی عبّر بها فی حقّ علیّ وعقبّها بفاء التّفریع؟

فهل یُستساغ فی مشرب الذّوق والأدب ان یکون المراد من لفظة «المَوْلیٰ» فی المتفرّع غیر ماکان اُرید منه فی المتفرّع علیه؟ اللّهمّ الا ان یتحامق معاند ویتجاسر فیقول تلك اللفظة فی المتفرّع علیه یکون ایضا بمعنی « ابن عمّ » او « القریب » او «الناصر» .

دَعِ الذّوق و الأدب یذهب سبیله وقل: علی هذا فما معنی قول عمر (رض) المنقول سابقاً عن تاریخ بغداد للخطیب مسنداً الی ابی هریرة بعد تلك الخطبة فی ذلك المحل :

«بَخٍ بَخٍ لكَ يا ابن ابى طالب. اصبحتَ مَوْلايَ ومولى كلّ مسلم» ؟

ثمّ اَوَ ما انبأ الرّسول (ص) فى هذه الواقعة، او فى هذه السّفر، باقتراب اجابته دعوة ربّه بقوله:

«انّى يوشِكُ اذا دُعِیَ فأُجيب وانّى تارك فيكم الثّقلَيْن كتاب ربّنا وعترتى، اهلَ بيتى، فانظروا كيف تحفظونى فيهما»؟

ثمّ اَوَ ما عبّر بلفظ الماضى بقوله: «من كنتُ مولاه فعلىّ مولاه»؟

وَ اَليس فى هذه الصّياغة للكلام اشارة الى انقضاء مولويّته الشخصيّة واقتراب دورخليفته فى المولويّة، للمولويّة؟.

وبعد ذلك هل يليق بشأن من كان من العلم والأدب بمكان ومن العدل والنّصفة فى مرحلة، ان يتجاسر و يقول: انّ لفظة «مولى» فى تلك الخطبة اريد منها «ابن العمّ» او «القريب» او «النّاصر» او ما يقرب منها. ؟

وفى الخاتمة: اَوَلا يكون فى الدّعاء المؤكّد، ثلاثا، او اربعا، (اللّهم وال....) عقيب اثبات المولويّة اشعاراً بيّناً بأن مقام المولى مقام العصمة فيجب موالاته و يحرم معاداته واِلّا فكيف يدعوالنّبى، النّاطق بالوحى، الداعى الى الحق لابن العمّ و«الناصر» او «القريب» المحتمل منه الخطاء والأنحراف عن الحق، بمثل هذا الدّعاء؟ فتامّل جيّداً.

١٤٥ ـ تذكرة فيها تبصرة

وهيهنا نكتة أخرى ينبغى التّوجه اليها والتّدبّر فيها وهى انّ:

التقدم على العترة كالتقصير فى حقها يورث الهلاك

فى عدّة من الرّوايات الواردة فى هذا الموضوع بل فى كلّها ابتدء الرّسول بشأن الثّقلين (كتاب الله والعترة) وتركهما فى الأمّة لها وصرّح بعدم افتراقهما حتّى يردا عليه الحوض و نهى عن التقدّم عليهما و انّه يورث الهلكة كما انّ التّأخّر و القصور

عنهما بترکهما، ایضاً، یوجب الهلاك [١] ثمّ عقّب ذلک بقوله : « من کنت مولیٰه فعلیّ مولاه» ثمّ کرّر اخیراً قوله : « اللّهمّ وال من والاه وعاد مَنْ عاداه» ثلاثاً ، کماحُکی عن **ابن المغازلی الشّافعی**، او اربع مرّات، کما حکی عن الامام **احمد بن حنبل** (رض).

اَوَ یبقی، بعد التّوجّه الی هذه الکیفیّة من الابتداء والتّوسّط والأنتهاء فی المقال، ریب فی مارامه الرّسول [٢] (ص)؟ اَوْ یجوز ان یستأذن الوهم خطوره فی بال احد بأن یکون المعنیّ من لفظة «مولی» فی عبارة الخطبة غیر المولویّة التابعة لمولویّة الله ورسوله والتّی هی شانٌ من شئونها؟

« اِنّما وَلِیُّکُمُ اللهَ ورَسُوْله وَالّذِیْنَ آمَنُوا، الّذِیْنَ یُقِیْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَیُؤْتُوْنَ الزّکٰوةَ وَهُمْ راکِعُوْن [٣] »

فی «ینابیع المودّة» للشّیخ **سلیمان الحنفیّ** عن **ابن المغازلیّ الشّافعیّ** بأسناده الی **زید بن ارقم** انّه قال : «اقبل النبیّ، صلّی الله علیه وسلّم، من مکة فی حجّة الوداع حتّی نزل بغدیر الجُحفة وخطب . قال :

«ایّها النّاس اسألکم عن ثقلیّ کیف خلّفتمونی فیهما : الأکبر منهما کتاب الله سبب طرفه بیدالله وطرفه بأیدیکم فتمسّکوا به ولا تضلّوا والآخر منهما عترتی»

---

١ - « ان اللطیف الخبیر نبأنی انهما لن یتفرقا حتی یردا علی الحوض . فسألت ذلک لهما ربی . فلاتقدموهما فتهلکوا ولا تقصروا عنهما فتهلکوا . . . »

٢ - ولا سیما اذا توجهنا الی ما رواه **الحاکم** فی « المستدرك » ، و غیره فی غیره ، بسند صحیح عن ام المؤمنین ، **ام سلمة** ، قالت : سمعت رسول الله (ص) ، یقول : **علی** مع القرآن و القرآن مع **علی** لن یفترقا حتی یردا علی الحوض » و الی ما ذکره **ابن مردویه** فی کتاب المناقب من ماة وثلاثین طریقا : « ان العترة **علی وفاطمة والحسن والحسین** » .

٣ - الاکثرون علی ان الایة نزلت فی حق علی . و ان شئت الاحاطة علی ما قیل فیها نقلا فعلیک بمراجعة تفسیر **محمد بن جریر الطبری** و تفسیر التبیان للشیخ ابی جعفر **محمد بن حسن الطوسی** .

« ثمّ اخذ بيد عليٍّ فرفعها فقال :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ . اَللّهُمَّ وَالِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ » . قالها ثلاثا » .

وفيه ايضا عن موفّق ابن احمدَ الخوارزمى عن الأعمش . . . . الى زيد بن ارقم قال :

« نزل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بغدير خم فقال فيه :

« تَرَكْتُ فيكمُ الثَّقَلَيْن ، اَحَدُهُما اَكْبَرُ مِنَ الآخر :

« كتابُ الله وعِتْرَتِي ، اهلُ بيتى ، فانظُرُوا كَيْفَ تَخَلَّفُونى فيهما فأنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الْحوضَ »

« ثمّ اخذ بيد عليّ وقال :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلاه فَعَلِيٌّ مولاه وَمَنْ كُنْتُ وَلِيَّه فَهذا وَلِيُّهُ »[1].

« ثمّ قال :

« اَللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ »

«فقلتُ (يعنى الراوىَ) :

« انت سمعت هذا ؟ قال ماكان هناك احدٌ الّا وقدرآه بعينه وسمعه بأُذنه. »

فيحقّ ان يتمثّل هنا بما نُسب الى علىّ من قوله :

« ولم اَرَ مثلَ ذاكَ اليوم يوماً
ولم اَرَ مثلَه حقّاً اُضيعا »[2]

---

١ ـ فى تغيير التعبير عن كلمة « مولى » بكلمة « ولى » فى مقام الب‌ن‌ين ما يزيل كل وهم فى معنى كلمة مولى.

٢ ـ فى بعض المجاميع القديمة ما هذه خلاصته :

« قال الكميت : لما قلت قصيدتى :

« و يوم الدوح دوح غدير خم ابان له الولاية ، لو اطيعا »

رأيت علياً فى المنام فقال لى : انشد قصيدتك العينية فأنشدتها فقال : « ولم ار مثل ذاك اليوم يوما . . . . . » البيت.

قال ابوالفرج الأموى الأصفهانى فى كتابه «الأغانى»[1] بأسناده عن يزيد بن عيسى بن مورق.

قال:

«كنتُ بالشام زمن ولىّ عمر بن عبدالعزيز وكان بـ«خناصرة» وكان يعطى-الغرباء مأتى درهم.

قال:

«فجئته. فأجده متكأً، على ازار وكساءٍ من صوفٍ. فقال لى:

«ممّن انت؟ قلت: من اهل الحجاز. قال: من ايّهم؟. قلت: من اهل المدينة قال: من ايّهم؟. قلت: من قريش. قال: من اىّ قريش؟ قلت: من بنى هاشم. قال: من اىّ بنى هاشم؟. قلت: مولى علىّ. فسكَتَ. قال: مَنْ؟ فقلت: ابن ابى طالب.

«فجلس فطرح الكساء ثمّ وضع يده على صدره وقال: «اَنَا وَالله مَوْلىٰ علىٍّ»

ثمّ قال:

«اُشهِد على عددٍ ممّن ادرك النّبىّ (ص) يقول: قال رسول الله (ص): من كنت مولاه فعلىّ مولاه....»

١٤٦- ختام الكلام فى حديث غدير

ولنختم الكلام هنا بما اورده اليعقوبى (احمد بن ابى يعقوب الكاتب. المتوفىٰ بعد سنة ٢٩٢ هـ. ق.) فى تاريخه.

قال بعد ما نقل خطبة الرسول (ص) فى حجة الوداع حين وقوفه عند زمزم:

«... ولم ينزل صلّى الله عليه وآله وسلّم مكّةَ وقيل له فى ذلك: لو نزلتَ يا رسول الله بعض منازلك. فقال: ماكنتُ لأنزل بلداً اُخرجتُ منه....

«وخرج (ص) ليلاً منصرفاً الى المدينة فصار الى موضعٍ بالقرب من الجحفة يقال

١- الجزء الثامن. الصفحة ١٥٠.

له: «غديرخم» لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

«وقام خطيبا واخذ بيد عليّ بن ابي طالب (ع) فقال: الستُ اَولىٰ بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: بلىٰ يارسول الله قال: فمن كنتُ مولاه فعليّ مولاه. اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه . ثمّ قال (ص) : ايـّها النـّاس انـّي فرطكم وانتم واردون عليّ الحوض ، انـّي سائلكم حين تردون عليّ ، عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثَّقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيدالله وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضلـّوا ولاتبدلوا ، وعترتي ، اهل بيتي» .

١٤٧ ــ ترك الرسول الثـَقلَين للأمّة

حجّ الرسول (ص) بأصحابه قـُبـَيْل وفاته وبلـّغ في رجوعه عن الحجّ ما امرالله ان يبلـّغه فاكمل الله دينه واتمّ نعمته ذلك اليوم فقد اقام الرّسول بأمرالله تعالى من يجب ان يلي امور المسلمين من بعده على ما بيّن له وعلـّمه واعدّه فأخبر، صلـّى الله عليه آله ، بانّ علياً يكون مولى لمن كان الرّسول مولاه، ولمن كان هو اولى بهم من انفسهم من المؤمنين .

وكأنـّه لمـّا عبـّر عمـّا اراد ذلك اليوم ابلاغه من الخلافة ، بصيغة الماضي وقال: «من كنتُ مولاه...» ، اشار الى انقضاء حياته، وانصرام امده ، واقتراب اجله ، ووصول نوبة خليفته . وهكذا وقعت الواقعة وصدقت الأشارة فلم يَعش بعد ذلك بأزيد من شهرين ، الا بقلائل من ايـّام .

قال «الفقيه الحافظ المحدّث ، ابوعمرو يوسف ، المشهور بابن عبدالبرّ ، المالكي» (٣٦٣-٤٦٣) في كتاب «الأستيعاب» (الجزء الثـّالث ، الصـّفحة ٢٨) :

«وروى ابوداود الطـّيالسي قال : اخبرنا ابوعوانة عن . . . عن ابن عبـّاس : انّ رسول الله (ص) قال لعليّ ابن ابي طالب : اَنـْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِيْ» .

وكلمة «بعدي» الواقعة في هذه الرّواية (وهكذا كلمة «كلّ») ممـّا يجب ان

يتدبّر فيها ويتوجّه منها الى مناسبتها لِما اشرنا اليه من التعبير بصيغة الماضى فى الحديث.

١٤٨ ـ القرآن مع السُّنّة، والعترة

لبّى الرسول (ص) دعوة ربّه وقد فرغ من اداء رسالته بحذا فيرها وبلّغ ما أُمِر بتبليغه.

فخلّف : اوّلاً دستورا دينيا، وقانوناً الهيّاً، ومنهاجاً سماوياً.

الّا و هو القرآن الكريم الّذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن شئون القرآن وفروعه، السّنّة التى قام (ص) بها قولا او فعلاً او تقريراً.

ولا مرية انّ السُّنّة شأن من القرآن وفرع له وهو شرع من الله وقدامر، جلّ وعلا، بأخذها و متابعتها.

فقال، تعالى . . . وَمَا آتاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوْا ... ٧ ١

و قالَ تبارك و تعالىٰ : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِىْ رَسُوْلِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَه....٢١» ٢

وقال، عزّ مِنْ قائل : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣ اِنْ هُوَ اِلا وَحْىٌ يُوْحىٰ ٤ ٣.

واستخلف **ثانياً**، من نفسه واهله وعترته، من ربّاه فى حُجْره، وكمّله بتربيته، وعلّمه مجامع حكمته، وقوّمه بمكارم اخلاقه، وعرّفه بأنّه من علمه باب مدينته، كى يبيّن بعد رحلته (ص) مقاصدَ الدين ويرشد الامة الى حقائق الشّريعة و يُقيمَهُمْ على العمل بالمنهاج. وان شئت فقل : استخلف من يفسّر القرآن و يقرّر السّنة كى يكون بأقامة التفسير والتّقرير، على ما ينبغى ويليق، حافظاً ناشراً للدّين عوناً غوثاً للمسلمين.

---

١ ـ السورة ال ٥٩ (الحشر).

٢ ـ السورة ال ٥٣ (النجم)

٣ ـ السورة ال ٣٣ (الاحزاب).

فكمّل (ص) ماكان عليه اكماله، من تأسيس الاصل و تعريف الفرع، وتمّم ما ارادا تمامه، من اعطاء المنهاج والارشاد، الى من به الأبقاء والروّاج .

وحقّ له ان يصرّح بما تواتر عنه :

«إنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْن : كتابَ الله وَعِتْرَتِي»

وصحّ عنه ان يرشد الأمّة الى ما لهذين الثّقلين من النّفاسة والعظمة وعلوّ القدر وجلالة التأثير ويقول :

«.... مَنْ تَمَسَّكَ بِهِما لَنْ يَضِلَّ أَبَداً ...»

ويؤكّد ذلك بأنّهما :

«لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْض....»

قال صاحب ينابيع المودّة فيه :

«وفي الصّواعق المحرقة: روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً وانّ كثيراً من طرقه صحيح وحسن».

فهنيئاً لمن انصف من الأمّة، فحمدالله تعالى على ما اكرم النّاس في ذلك اليوم من اكمال الدّين واتمام النّعمة، بتعريف العترة.

صدق الله الحكيم العظيم :

«اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلامَ دِيْناً» .

« قُلْ اَطِيعُوا اللهَ وَاَطِيعُوا الرَّسُولَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّما عَلَيْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُم . وَاِنْ تُطِيعُوه تَهْتَدُوا ، وَما عَلَى الرَّسُولِ اِلاّ البَلاغُ الْمُبِيْن »

(سورة النور الآية ال ٥٤)

« فانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِيْ فِي الثَّقَلَيْن.... فلاتَقَدَّمُوهُما فتَهْلِكُوا ولا تَقْصُرُوا عَنْهُما فتَهْلِكُوا

(من النّبوىّ المستفيض ، بل المتواتر)

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ اَمْرِهِ ... »

(سورة النور ٣٦)

٩ ـ حول ماجرىٰ فى مرض الرّسول صلّى الله عليه و آله وسلّم وحين وفاته :

١ ـ مرض الرّسول (ص)

٢ ـ امره بأتيان اللّوح والدواة .

٣ ـ مخالفة امره و حدوث الاختلاف .

٤ ـ انصراف الرّسول عما امر به .

٥ ـ ماذا الّذى اراد (ص) كتابته .

٦ ـ الشّرعة والعترة هما تَرِكة الرّسول .

١٤٩ ـ مرض الرّسول (ص)

مرض النّبى صلّى الله عليه وآله وسلّم واشتدّ مرضه، فأراد ان يترك للامّة كتاباً يوصيهم فيه بأمرٍ مهمّ يشغل باله في تلك الحالة فقال لمن كان حولَه:

« ايتُونِى باللّوحِ والدَّواة اكتُب لكُم كتاباً لا تَضِلُّون بَعْدَه »[١].

فقال بعض من حضر، وبئسما هَذَروهجر، « انّ رسول الله يهجر »[١]!!.

وكثر اللّغَط والأختلاف عند النّبى (ص) فقال (ص): « قُومُوا ».

وكان ابن عبّاس يقول:

« الرّزيّة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولَغَطِهم ».

قال الطّبرى فى تأريخه (الجزء الثانى ـ الصفحة ال ٤٣٦) بأسناده عن سعيد بن جُبَيرعن ابن عبّاس انّه قال:

« يوم الخميس وما يوم الخميس؟ »

« قال (اى ابن جبير): ثم نظرت الى دموعه تسيل على خدّيه كأنّها نظام اللّؤلؤ.

قال: قال رسول الله (ص):

« ائتونى باللّوح والدّواة، او بالكتف والدّواة، اكتب لكم كتابا لاتضلّون بعده ». امر الرسول باتيان اللوح والدواة

« قال (اى ابن عباس): فقالوا: انّ رسول الله (ص) يهجر».

١٥٠ ـ صحيح البخارى وحديث الكتابة

اوردالبخارى هذا الحديث فى صحيحه بأسناده عن طرقٍ متعدّدة فى مواضع

---

١ ـ فى تاريخ **الطبرى** (الصفحة ٤٣٦ من الجزء الاول) بأسناده عن **سعيد بن**

بقية الحاشية فى الصفحة الاتية

كثيرة من صحيحه ١ .

منها (الجزء الاول ـ الصفحة ال ٣٤) : بأسناده عن ابن عبّاس قال :

« لمّا اشتدّ بالنّبىّ (ص) وجعه قال :

« ايتونى بكتاب اكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعده »

« قال عمر : « انّ النّبىّ غلبه الوّجع ، وعندنا كتابُ الله ، حسبُنا . »

« فاختلفوا و كثرُ اللّغط . قال :

« قوموا عنّى ولا ينبغى عندى التّنازع » .

مخالفة عمرلامره الرسول (ص) على ما حدث به البخارى ايضا

فخرج ابن عبّاس يقول :

« انّ الرّزيّة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول‌الله و بين كتابه » .

ومنها (الجزء الرّابع ـ الصفحة ال ٩٩ ـ باب اخراج اليهود من جزيرة العرب) بأسناده عن سليمان الأحول سمع سعيد بن جبير سمع ابن عبّاس ، رضى‌الله عنهما ، يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحصىٰ . قلت : يا ابن عبّاس ما يوم الخميس؟ قال : اشتدّ برسول الله (ص) وجعه فقال : « ايتونى بكتف اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده ابدا » .

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

جبير عن ابن عباس قال : « يوم الخميس و ما يوم الخميس ؟ » قال : ثم نظرت الى دموعه تسيل على خديه كانها نظام اللؤلؤ . قال : قال رسول‌الله (ص) : « ايتونى باللوح والدواة ، اوبالكتف والدواة ، اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده . وقال : فقالوا : ان رسول‌الله يهجر » .

---

٢ ـ نقلنا هذه‌الاحاديث من نسخة صحيحة عن‌الصحيح ، صححها جمال‌الدين محمد بن مالك واعربها ، و كانت فى‌خزانة كتب بمصر فأمرسلطان عبدالحميدالعثمانى عدة من‌العلماء من المذاهب الاربعة لمراجعة النسخة و مقابلتها ثم بعد تمام الامر طبعت بأمر السلطان فى مطبعة بولاق بمصر المحمية وجعلها وقفا عاما . ودورة من مجلداتها الاربعة موجودة بخزانة كتب كلية الحقوق بجامعة تهران .

«فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: ماله؟ أهَجَرَ!؟ استفهموه فقال:

« ذَرُوْنِيْ فالّذِيْ أنَا فِيْهِ خَيْرٌ مِمّا تَدْعُو نَنِيْ اليه »[1].

ومنها (الجزء السادس ـ الصّفحة ال ٦) بأسناده عن ابن عبّاس، رضى الله عنه، قال:

« لمّا حُضِر رسول الله (ص)، وفي البيت رجال، فقال النبيّ (ص).

« هلمّوا اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده ».

« فقال بعضهم: انّ رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتابُ الله.

« فاختلف اهل البيت (يعنى من كان فى البيت من الرّجال) واختصموا فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لاتضلّوا بعده. ومنهم من يقول غير ذلك.

«فلمّا اكثروا اللّغو والأختلاف قال رسول الله (ص): قُوْمُوْا.

« .... فكان يقول ابن عبّاس: انّ الرّزيّة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول الله وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولَغَطِهِم.

ومنها (الجزء السابع ـ الصّفحة ال ١٢٠) بأسناده عن طريق الزُّهْرى ... عن عبدالله بن عبّاس قال[2]:

« لمّا حُضِر رسول الله (ص)، وفى البيت رجال، فيهم عمر بن الخطّاب، قال النّبىّ (ص):

« هلمّ اكتبْ لكم كتاباً لاتضلّوا بعده ».

«فقال عمر: انّ النّبىّ قدغلب عليه الوجع وعندكم القرآن. حَسْبُنا كتابُ الله.

---

١ ـ نقل البخارى ايضا (فى الجزء السادس ـ الصفحة ال ٩) من صحيحه عين هذه الرواية باختلاف يسير كحذف كلمة « بكتف » وتبديل كلمة « لاتضلوا » بكلمة «لن تضلوا» وكلمة « ماله؟، اهجر؟» بكلمة « ما شأنه؟ اهجر؟ » وامثال ذلك.

٢ ـ نقل البخارى ايضا هذه الرواية بعين الفاظها فى الجزء التاسع باب كراهية الخلاف من صحيحه (الصفحة ال ١١١).

«فاختلف اهل البيت فاختصموا .... » الى آخرما مرّ نقله .

١٥١ ـ الحديث من غير كتاب البخاری

وفی كتاب البَدْءِ والتاريخ، المنسوب الی ابی زيد احمد بن سهل البلخی :

«وروی الواقدی عن الشَّعبی عن ابن عباسّ (رض) قال :

«لمّا اشتدّ وجع رسول الله (ص) قال : ايتونی بدواة وصفحةٍ اكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده ابدا .

« فتنازعوا . فقال بعضهم : مالكم؟ أهَجَرَ ؟ فاستعيدوه . وقال عمر: قدغلبه الوجع، من لفلانة وفلانة؟ حسبُنا كتاب الله . فلمّا لغطوا عنده قال : دَعُونِی . . . . قُومُوا . فَقَامُوا »[1].

١٥٢ ـ ماذا ارادالرّسول(ص) ان يكتب؟

والآن ننظر ونری الأمر الّذی كان ينبغی ان يشغل خاطره الشريف فی تلك الحالة ويهمّه اظهاره وتقريره فی تلك الحين حتّی امرهم باتيان مايكتب فيه، ويبيّن لهم ما ان قبلوا منه وعملوا به، فازوا بالرّشاد وحُفظوا عن الضلال ابدالآباد .

افترُی ماذا كان ذلك الأمر الهامّ المهمّ ؟

منظورالرسول (ص) تعيين على للخلافة

هنا نری الشيعة تعتقد انّ ما اهمّه (ص) لم يكن شأنه شان الأحكام الفرعيّة الجزئية بل كان امراً اساسياً اصلياً خطيراً ذا بالٍ جدّا وليس ذلك الّا تعيين من يخلفه بعده كتباً . ولم يكن هو الّا ابن عمّه وصهره علیٍّ ، الّذی يدور مع الحق اينما دار ولا

---

١ - قال السيد محسن العاملی (ره) فی الجزء الاول من كتابه اعيان الشيعة (الصفحة ال ١٠٧) : «... ولكن فكرة الرجعة اول من قال بها عمر بن الخطاب روی ابن سعد فی « الطبقات » بسنده عن ابن عباس: ان النبی(ص) قال : ايتونی بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا قال عمر: من لفلانة و فلانة؟ مدائن الروم، ان رسول الله ليس بميت حتی نفتحها، ولومات لانتظرناه كما انتظرت بنواسرائيل موسی (الحديث) » .

ولا يفترق من الثقل الاكبر ويكون التمسك به، لدورانه مع الحق، عصمة عن الضلال الى الأبد كما صرح بذلك شفهياً بغدير خم و اشار اليه في حديث الثقلين، و في مواضع اُخر.

تؤيد الشيعة ذلك الاعتقاد والنظر بما خلاصته:

هل يصح ان يتوهم ان ما اراد الرسول (ص) كتابته، كان امرا مخفيا على الحاضرين، مستوراً على المستمعين[١]؟ او كان في نظرهم وبحسب تصورهم، امراً راجعاً بشأن موضوع جزئي شخصي لايضر بشخص خاص من الحاضرين، او بغرض مخصوص منهم، ومع هذا بادر بعض من خالف ممن حضر بقوله في حق من نزل في شأنه:

« مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » وانه:

« مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »

بانه (ص) « هَجَرَ » (نعوذبالله) كما نُقل على طريق الخبر، او « أَهَجَرَ » على سبيل الأنشاء والاستفهام، كما رايت في ما نقل عن صحيح البخاري، فصار بهذا القول الزور والكلام الساقط المرذول، سبباً للاختلاف واللغط وباعثاً لأنضجار النبي (ص) وانصرافه عما اراد وقصد. ؟

١٥٣ ـ ملاحظة كلام المانع

نذرُ ذلك القول الزور والكلام الباطل يموت بترك ذكره و ننظر الى ذلك الكلام الذي صدر بتعبير، اعله بحسب الظاهر، برعاية حريم الأدب اقرب على انه قائله في الصحاح و المسانيد معين بشخصه مصرح باسمه ففي المسند « للامام، ابن حنبل، (حديث ٣١١١) بأسناده «.... عن ابن عباس قال:

---

١ ـ وكيف يتوهم ذلك وكان ذلك معروفاً عندالناس معمولا وحسبك ما ترى من عمل **ابي بكر** (رض) عندموته من احضاره الكاتب واملائه عليه عهده في استخلافه عمر (رض) فاعتبر.

« لمّا حُضر رسول‌الله (ص) و فی البیت رجال و فیهم **عمر بن خطّاب** قال النّبیّ (ص) :

«[هلُمَّ] اکتب لکم کتاباً لن تضلّوا بعده ابداً .

« **فقال عمر** : انّ رسول‌الله قد غلب علیه الوجع . و عندکم القرآن . حسبنا کتاب الله .

« فاختلف اهل البیت فاختصموا فمنهم من یقول : قرّبوا یکتب لکم کتاباً لاتضِلُّوا بعده. وفیهم من یقول: ما قال عمر .

«فلمّا اکثروا اللغووالأختلاف....» الی آخرالحدیث وَفْق ماراَیت عن صحیح ـ **البخاری** آنفاً ، و ورد فی صحیح مسلم وغیره ، .

فعلی ماذا ینبغی ان‌یحمل صدور هذا القول «انّ رسول‌الله قدغَلَب علیه‌الوجع ! وعندکم القرآن ! جسبنا کتابُ الله !» وقد صدرعن رجل کان فی سامی مراتب‌السّیاسة والدّرایة والدّهاء والعقل والتّدبیر واظهارالأیمان والأخلاص؟

١٥٤ ـ توضیح المقال

هل کان الرّجل یحتمل انّ الرسول (ص) اذا اُطیع امره وجییء بکتاب ودواةله یأمر بکتابة شیءٍ فی شأن الأمور العادیّة ! او یوصی برعایة شأن ذلک الرّجل اواحدٍ من اصدقائه ،او یُملِی علیْهم بخلافته او خلافة من‌لایخالفه ، من بعده ، ومع هذاالنحو من‌الأحتمالات بادَرَ بما قال وحال بین الرسول وبین ما اراد بما حال؟

تحلیل کلام عمر

اَوَ ینبغی ان یُتوهّم ان الرّسول صلّی‌الله‌علیه و آله وسلّم اَهمّه فی تلک‌الحالة ان یأمرهم بکتابة امرٍ یتعلق بالفروع ، کالطّهارة والصّلوة والصّوم و الخمس والزکاة واشباهها ، من‌قسم‌العبادات ،اوأمرٍیرتبط بقسم‌العقودوالمعاملات ، کالبیع والصلح والمزارعة والمساقاة والقراض والنّکاح واضرابها ، اوأمرٍ یرتبط بالأیقاعات ، کالطّلاق و امثالها ، اوأمرٍ یرتبط بالأحکام ، کالغصب والأرث والأقرار ، اوبالسّیاسات ، کالحدودو الدّیات

والتّعزيرات ؟ فأمرهم الرسول صلّى الله عليه وآله بأتيان الكتاب والدّواة ليكتب لهم مالن يضلّوا بعده ابدا ، فمنعهم عن اطاعة الرّسول من منع ، ولهج بما لهج حتّى حصل الغوغا ، وحدث الأختلاف والبغضاء ، وتأثّر عن ذلك من عصمه الله عن الزّلل والخطل والخطاء ، حتّى اظهر انصرافه عمّا أمرهم بالقيام من عنده والخروج من بيته .

ثمّ انّه لو فُرض انّ ذلك الامر الّذى اراد الرّسول كتابته كان من قبيل الأمور المذكورة فما الّذى حمل الرّسول على كتابة خصوص هذا الحكم وقد جرت العادة فى ابلاغ الاحكام كلّها شفهياً لا كتبياً ؟ وماذا يمكن ان يكون ذلك الحكم الجزئى المقيّد المحدود المفروض كونه من تلك الأحكام كى يعصم الأمّة من الضلالة الكليّة المطلقة؟ و بعد الّلتيّا والّلتى لو كان منها وكان امر امصرّحاً فى كتاب الله وكان حسْب الأمة ذلك و يكفيهم ، فكيف خفى على الرسول ولم يعرف (والعياذ بالله) انّ الأمّة عندهم كتاب الله وهو حسبهم وهم فى فى غُنْيَةٍ عن ان يكتب لهم مالا يضلّون بعده ابدا ، وظهر ذلك على فرد من الأمّة ، بعد ماكان خافيا على الرسول ، فنبّه الأمّة وعرّفهم ذلك؟

أوَ يُتَصوّر ان يكون امرٌ بهذا الشأن ، الخطير الذى يكون العلم به موجبا لعدم الضلال المطلق الى ابد الآباد ويكون بحيث يقول ابن عباس ، حبر الأمة وفقيهها ، بعد الواقعة: «.... الرّزيّة كل الرّزيّة .... الخ » ، من مقولة ما عرفت وقلنا ؟

ثمّ لو كان كذلك وماكانت ارادة الرسول ناظرة الى الكتابة فى شأن الخلافة وكانت الخلافة عند ابن عباس قبل خلافة علىٍّ واقعةً موقعها مستقرةً فى قرارها وموضعها فماذا اراد ابن عباس من قوله «الرّزيّة .....» ؟

١٥٥ ـ سؤالٌ عمّا يرتفع به الضّلال

وكيف كان يختلج بالبال هنا سؤالٌ وهو انّه هب ان يتسامح فى كلام عمر او اىّ رجل كان ، وذر ما اراد و رام ممّا لهج وقال ، كى يكون مشكوك الصّدور ، مشكوك المراد ، اليس كلام الرّسول فى طلبه اللوح والدّواة ، لحفظ الامّة عن الضّلالة مقطوع الصدور ، منصوص المفاد ؟ وألَيْس المنع عن الكتابة وانصراف الرّسول امر

معلوم؟مقطوع وحينئذ يقال: كلام الرّسول ظاهر فى انّ عدم الضّلال للامّة ابداً منوط بما يريد ان يكتب فاذا لم يتحقّق ما اريد لم يتحقق ما اُنيط .

وعلى هذا فغير الشّيعة، الّتى تعتقد دركها مراد الرّسول والاطاعة له والعمل به، وهومنكرلما تعتقده الّشيعة من مرادالّرسول ولايعرف ايضا شيئاً آخر لما اراده فيطيعه و يوافق عمله عليه كى لايضلّ ابدا ، كيف يكون له الحال من حيث عدم الضّلال ؟ فتدبّر جيّداً .

١٥٥ - غرض المانع

ممّا تعتقده الشّيعة، عصمة الانبياء والرّسل ولاسيّما سيّدهم وخاتمهم وسيّد الكلّ، محمّد بن عبدالله. وتعتقد اعتقاداً راسخاً باتّاً بانّه، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ما ضلّ و ما غوىٰ لا فى حال السّلامة ولا فى حال غلبة الوجع ! وما ينطق عن الهوىٰ لا بالطّمع ولا للفزع، وتعتقد انّ اطاعة الّرسول و الأنقياد لأوامره واجبة فى كلّ حال «يٰا اَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوْا اَطِيعُوااللهَ وَرَسُوْلَهُ ولاتَوَلَّواعَنْهُ وَاَنتم تَسْمَعُونَ ٢٠»[١] فتقف عندقول الرّجل، ولوبُدّل بالأنشاء، الخبر واستصح بلفظة «اَهَجر» ، وتكل امرالقائل الى ماقضى الله له وقدّر ثمّ تنظر الى مانقل، حتّى فى صحاحهم عن عمر من تلك العبارة السّاقطة-السّاخطة المستبشعة : «انّ الرّسول قد غلب عليه الوجع» ، ولاسيّما مع اردافها بقوله « وعندكم القرآن . وحَسْبُنا كتاب الله» ، و ترىٰ فيها ما دُبّر من السّياسة وتتعجّب فتقول :

اذا فرض ان النّاطق بها كان لايحبّ خلافة علىّ، اويحبّ ويريد استخلاف غير علىّ، او كان يتوقّعها لنفسه، ويتيقّن ان امر الكتابة لوتمّ لايتمّ الّا باستخلاف علىّ ولاتضرّ تلك الكتابة احداً الّا من كان مائلا الى الخلافة ، آملاً لها ، آيساً ان تكون الكتابة بشأنه و فى حقّه، او بشأن من يريده ويحبّه، فماذا على ذلك المتيقّظ العارف بالحال ان يفعل اويقول فى ذلك المجال كى يدفع او يرفع ما رامه الرّسول (ص) واراد؟

هل يوجد فى شرع السّياسة و عرف التّدبير طريق اقصر و آثر مما سلكه

---

١ - من السورة الثامنة (الانفال).

واشاد؟ اوقول" انفذواعرق فی المخادعة ممّا خادع به و كاد؟

اَوَليس فی استعمال تلك الكلمة اوالتّعبير بهذه العبارة استنتاج احدى النّتيجتين ضروريّا لامناص منه؟:

١ ـ فأن اثّر المنع والتّكلّم بذاك الكلام البشع الكريه و تلك العبارة المرذولة ، فی النّفس النّبويّة المعصومة وحدث منه اللغط والأختلاف فصار سبباً لانصراف الرّسول عمّا اراد وامر، كما اثّر وانصرف ورفض [١] فهو المطلوب المؤثّر .

٢ ـ وان لم يؤثّر فی نفسه الزّكيّة الطّاهرة فألحّ واكّد ما اراد، واصرّ وابرم ما رام، واظهر ما خفی من قصده، وكشف عن مستور ضميره، وامر بكتابة ما اُمِر به، فلهذا الكلام المرذول اثره الّلازم المقصود وهو انفصام العروة بألقاء الشّبهة وحلّ العقدة باحداث الشّكّ والرّيبة .

وفی مانقلناه عن كتاب «البدء والتّاريخ» آنفا، مسندا عن الشّعبی عن ابن عباس: «... وقال عمر : قدغلبه الوجع ، مَنْ لفلانة ؟ ... » ولعلهما كانتا من الرواقی ای صاحبات الرقی [٢]، تظهر على المتأمّل المنصف جليّة الحال فی ما فعل المانع وقال ،

---

١ ـ فی المسند للامام احمد بن حنبل (الجزء الخامس) بأسناده عن جابر : « ان النبی دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لايضلون بعده. قال: فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها » اقول : كان عمر (رض) على ما يرى فی مواضع متفرقة يرى جواز مخالفة الرسول(ص) بحسب اجتهاده ورايه سواء فی حياته (ص) او بعد وفاته ! . قال الشيخ الامام ابوعبدالله الدمشقی الحنبلی، المعروف بابن القيم الجوزی، (٦٩١-٧٥١هـ.ق.) فی المجلد الاول (الصفحة ٢٦٢) من كتابه (زاد المعاد فی هدی خير العباد) : «..وان المغيرة بن شعبة يكنى بابی عيسى فقال له عمر : اما يكفيك ان تكنى بابی عبدالله؟ فقال : رسول الله (ص) كنانی. فقال : ان رسول الله قد غفر له من ذنبه ماتقدم وما تأخر وانا لفی جلجلتنا . فلم يزل يكنى بابی عبدالله حتى هلك ». و فی الاغانی (الجزء الثالث عشر ذيل ترجمة المغيرة بن شعبة وردت هذه الحكاية مع اختلاف يسير. فراجع .

٢ ـ فی الصحاح « الرقية معروفة والجمع رقى ... وقول الراجز : لقد علمت والاجل الباقی* ان لن ترد القدر الرواقی. كأنه جمع امرأة راقية ... »

وفى ما اكّد الرسول (ص) من قوله: دَعُوْنِيْ دَعُوْنِيْ... قُوْمُوْا....»، كما فى البدء والتاريخ، او قوله (ص) : «ذَرُوْنِيْ فَالَّذِيْ اَنَا فيه خَيْرٌ ممّا تَدْعُوْنَنِيْ اِلَيْهِ» كما فى الصّحيح للبخارى ، فتدبّر .

١٥٦ ـ مخرج الكلام المانع!

قال عزّالدين ، عبدالحميد بن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغة :

«وقال (يعنى عمر) : «مُتْعَتَانِ كانتاعلى عهد رسول الله (ص) ، وَاَنَامُحَرِّمُهُمَا ومُعَاقِبٌ عليْهما: مُتْعَةُ النّساء ومُتعةالحجّ» وهذا الكلام وان كان ظاهره مُنْكراً فله عندنا مَخْرجٌ وتأويل وقد ذكره اصحابنا الفقهاء فى كتبهم .

« وكان فى اخلاق عمر ، والفاظه جفاء وعَنْجَهيَّةٌ ظاهريّة يحسبها السّامع لها انّه اراد بها ما لم يكن قد اراد : او يتوهّم من تُحْكىٰ له انّه قصدها بها ظاهراً ما لم يقصده » .

ثمّ قال :

« فمنها الكلمة الّتى قالها فى مرض رسول الله (ص) ومعاذالله ان يقصد بهاظاهرها ولكنّها ارسلها على مقتضىٰ خشونة غريزيّة ولم يتحفّظ منها، وكان الأحسن ان يقول: مغمورٌ او مغلوبٌ بالمرض » وحاشاه ان يعنى به غير ذلك »[1].

---

١ ـ هذا القول « الاحسن » المقبول عند ابن ابى الحديد ايضا مرذول مردودعند الشيعة لان الشيعة لاعتقادها « العصمة » للرسول،صلى الله عليه وآله، بمعناها الذى تعتقده، لايسلم ، بل ولا يتوهم ، ان يكون للمرض امكان ان يغلب الرسول او يغمره بحيث يصير جائزاً لمسلم ان لايصغى الى قوله ولايطيعه فى امره. ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق فى اية حالة عن الهوى. ثم كيف يمكن ان يحمل ذلك القول على غير ظاهره مع ان حجية ظواهر الالفاظ مما لايكاد ان ينكر ولاسيما هذا القول المقرون بالعمل وهو «المنع»؟فتدبر.

١٥٧ - اعتراف عمر بمنعه عن الكتابة

قال ابن ابى الحديد ايضا (الجزء الثانى عشر من شرحه فى ذيل كلامه عليه السّلام «لله بلاد فلان فقد قوّم الأمد...») :

« عن ابن عباس رضى الله عنه انّه قال :

« دخلت على عمر فى اوّل خلافته وقد القىٰ له صاعٌ من تمر على خصفة. فدعانى الى الأكل فاكلتُ تمرةً واحدةً واقبل يأكل حتّى اتىٰ عليه ثمّ شرب من جرّةٍ كانت عنده واستلقىٰ على مرفقة له وطفق يحمد الله، يكرّر ذلك . ثمّ قال :

« من اين جئت يا عبدالله ؟

« قلت من المسجد .

« قال : كيف خلّفتَ ابنَ عمّك؟ فظننته يعنى عبدالله بن جعفر . . . .

« قال : لَمْ اَعْنِ ذلك . انّما عنيْتُ عظيمكم اهل البيت .

« قلت : خلّفتُه يمتَتِحُ بالغَرْب (الدّلو العظيمة) على نخيلات من فلان ، وهو يقرأ القرآن .

« قال : يا عبدالله عليك ماء (؟) (مأة) البُدْن ان كتمتنيها . هل بقى فى نفسه شىءٌ من امر الخلافة ؟

« قلت : نعم .

« قال : اَيَزْعمُ اِنَّ رسول الله نصّ عليه ؟

« قلت : نعم . واَزيدك : سألتُ ابى عمّا يدّعيه فقال : صدق .

« فقال عمر : لقد كان من رسول الله، ولقد اراد فى مرضه ان يصرّح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقاً وحيطة على الاسلام ! لاوربّ هذه البِنية لاتجتمع عليه قريش ابداً ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها. فعلم رسول الله انّى علمت ما فى نفسه فأمسك وابى الله اّلا امضاء ماحتم ».

ثمّ قال ابن ابی الحدید:

« ذکر هذا الخبر احمد بن ابی طاهر صاحب کتاب تاریخ بغداد فی کتابه [١] مسنداً » .

و کیف کان خالف عمر (رض) رسول الله فی امره (ص) باتیان اللّوح والدّواة وانجرّ الخلاف الی اللّغط والأختلاف بحیث « رفض » النّبی (ص) ما قصد واراد ونال عمر بما شاء و کان له المراد .

ففی المسند للامام احمد بن محمّد بن حنبل بأسناده الی جابر.

---

١ - کتاب تاریخ بغداد هذا الذی ذکره ابن ابی الحدید هنا ، غیر تاریخ بغداد المعروف تالیف ابی بکر احمد بن علی الخطیب البغدادی (المتوفی سنة ٤٦٣ ه.ق.) وکان ذلک مقدماً بالزمان علی هذا . فقدنقل الخطیب عن ذلک الکتاب فی تاریخه فقال (فی المجلد الاول) عند « ذکر مقدار ذرع جانبی بغداد » : « اخبرنا محمد بن علی الوراق ... قال : ذکر احمد بن ابی طاهر فی « کتاب بغداد » ان ذرع ... الخ » وعلی هذا کان عنوان الکتاب وسمته « کتاب بغداد » لا « کتاب تاریخ بغداد » کما ورد فی عبارة ابن ابی الحدید ولعله کانت زیادة کلمة « تاریخ » من ابن ابی الحدید و یؤید ذلک ماذکره ابن الندیم فی « الفهرست » (فی تعدید مؤلفات احمد بن ابی طاهر بقوله : « وله من الکتب ... کتاب بغداد » هذا ، ولکن یاقوت الحموی قال فی معجم الادباء (ذیل ترجمة ابی الفضل احمد بن ابی طاهر): « واسم طاهر طیفور ، مروزی الاصل ، احد البلغاء الشعراء ، الرواة ، من اهل الفهم ، المذکورین بالعلم ، و هو صاحب کتاب « تاریخ بغداد » فی اخبار الخلفاء والامراء وایامهم . مات سنة ثمانین وماتین .... »

ونقل یاقوت فی ما نقل عن ابن الندیم ، فی تعدید کتب ابن ابی طاهر « کتاب بغداد » وعلی هذا یحتمل زیادة کلمة « تاریخ » فی کلام یاقوت ایضا ویحتمل ان یکون الکتاب معنونا بکلا العنوانین ولعله کان عنوانه الحقیقی « کتاب اخبار بغداد » کما ورد فی « مروج الذهب » للمسعودی (٣٤٦) فانه فی اول الجزء الاول منه (بعد ما قال : « وقد الف الناس کتبا فی التاریخ والاخبار ... » وعد عدة من المؤلفین وسمی کتبهم فی هذا الباب) قال : « و احمد بن ابی طاهر صاحب کتاب المعروف ب « اخبار بغداد » ... » وقال فی الجزء الثانی منه (الصفحة ٤٨٩) ، ذیل ترجمة المعتضد : « و کانت وفاة احمد بن ابی طاهر الکاتب صاحب کتاب اخبار بغداد سنة ثمانین و مأتین » .

«ان النبى دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لايضلون بعده. قال (يعنى جابر) : فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها » .

١٥٨ – توجيه انصراف الرسول

ولعل زاعم يزعم ان ماارامه الرسول (ص) ان كان امراً له هذا الشأن الجليل فكيف رفضه الرسول وانصرف عنه؟ فليتذكر ان الامرصار دائراً بين المهم والأهم ولاريب فى حكم العقل بان اختيار الأهم، اقوم والزم . وذلك لأنه لما راى رسول الله (ص) خلاف من خالف ، وهو رأس اهل الحل والعقد و رئيسهم ، خاف ان ينجر الخلاف فى الخلافة الى الخلاف فى اصل الرسالة [١] لأن القوم كانوا حديثى عهد بالأسلام فاذا حدث الأختلاف بين اكابرهم يرتدون و يرجعون القهقرى و ينبذون سائر الأحكام والأوامر ايضا وراء ظهورهم العوجاء .

وكأنه كان الأمر منه (ص) بأتيان ما امر ، مع كونه عارفا بالأوضاع والأحوال وما سيحدث من المخالفة والأمتناع ، لملاحظة امور :

---

١ - وقد صرح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، كما نقله ابن ابى الحديد (شرح نهج البلاغة - الجزء الثانى - الصفحة ٧٨ -) ، و سنذكره فى محل آخر من حديث ذهاب عائشة الى ام سلمة « لمخادعتها على الخروج للطلب بدم عثمان ....» و وقوع تذكيرات من امسلمة لعائشة و اعترافها بها: «... قالت ام سلمة : واذكرك ايضا: كنت انا وانت مع رسول الله (ص) فى سفر له ، وكان على يتعاهد نعلى رسول الله (ص) فيخصفها ويتعاهد اثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فاخذها يومئذ يخصفها وقعد فى ظل سمرة وجاء ابوك ومعه عمر فاستأذنا عليه. فقمنا الى الحجاب ودخلا يحادثاه فى ما ارادا. ثم قالا : يارسول الله انا لاندرى قدرما تصحبنا فلوا علمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا. فقال لهما: اما انى قدارى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كماتفرقت بنواسرائيل عن هرون بن عمران فسكتا. ثم خرجا. فلما خرجنا الى رسول الله (ص) قلت له وكنت اجرا عليه منا ، من كنت يارسول الله مستخلفاً عليهم ؟ فقال: خاصف النعل. فنزلنا فلم نر احداً الا علياً. فقلت يارسول الله ما ارى الا علياً . فقال : هو ذاك فقالت عائشة : نعم اذكر ذلك... »

١ - لعلّ من يبطن الخلاف لايتجرّىٰ ، والحال تلك الحال ، على اظهار ما كان يكمنه ويبطنه من المخالفة .

٢ - تمييز المخالف من الموافق ، والمطيع عن غيره .

٣ - تنبيه الأمّة وايقاظهم لمعرفة من خالف .

٤ - لفت الأنظار الى مكانة المخالفة لمكان شأن المخالف والدّلالة على وجه العذر فى الأنصراف والرّفض .

١٥٩ ـ فائدة امر الرّسول

ممّا ينبغى ان يتوجّه اليه و يتذكّر هنا هو انّ امر النبىّ (ص) بأتيان الكتاب والدّواة كان له اثره المطلوب على اىّ حال وذلك لأنّه لو كان الأمر يؤدّى الى الموافقة والأطاعة منهم ، فيملى الرّسول عليهم ما اراد فالمطلوب حاصل وان كان يُفضى الى الخلاف ، كما حدث ، فلامحالة ينعكس صديٰه فتطّلع الأمّة فى الأزمنة الّلاحقة الّتى تغيّرت تلك الاوضاع والأحوال وزهقت الأطماع والأميال والأهوال ، فيتوجّه من ليس له نظر الّا الى استخراج الحقائق من المتون واستظهار الوقائع من البطون والكمون ، ويتدبّر فى تشخيص ارادة الرّسول و توجيهها و يتفكّر فى تعليل المخالفة وتحليلها فيعرف مراد الرّسول (ص) ويخضع له بالأطاعة والقبول وهو المطلوب .

« وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقاً ٦٩ »[1] .

١٦٠ ـ ماترك الرّسول للأُمّة

ولنرجع الى ماكنّا فيه ، من حديث وفاة الرّسول (ص) :

تُوُفّى النّبىّ ، وقد وفّقه الله تعالى وايّده لأداء الرّسالة وتمام الدّعوة كمال التوفيق

---

١ - السورة الرابعة (سورة النساء) .

فقد خلف لهداية الناس و تزكيتهم وتعليمهم منهاجاً قويماً وبرنامجاً مستقيماً بل ترك، فيهم نوراً مبيناً وسراجاً مُنيرا: « القرآن وما من شئونه وفروعه، هى السنّة ».

ثمّ خلّف لبيان هذا المنهاج ، الهادى للّتى هى اقوم، ولتفسيره وتاويله وحراسة مآربه و مقاصده السّامية العليا و ارشاد الخلق اليها ، قادةً هداةً وساسةً دُعاةً وائمّةً كُفاةً : « اهل بيته المكرّمة وعترته الطيّبة الطّاهرة، وعلىٌّ اصل العترة ورأسها» ونصّ على انّهما لايفترقان حتّى يردا عليه الحوض :

كتاب الله والعترة

وبعد ذلك فالأمّة واختيارها فان عرفت شأنهما وتمسّكت بهماسلكت طريق الرّشاد و الهداية، وفازت بالكمال والصّلاح، ونالت بالسّعادة والسّداد و ان رفضت جمعهما تورّطت فى الغواية والضّلالة وتخبّطت فى الهلكة والشّقاوة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « . . . وانّى تركت فى ما بينكم اثنين لن تضلّوا ما ان تمسّكتم بهما من بعدى : كتاب الله وعترتى »[1].

١٦١ ـ علىّ هو الهادى

قال محمّد بن جرير الطّبرى فى تفسيره (ذيل آية « اِنّما اَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ » ـ سورة الرّعد) :

« حدّثنا احمد بن يحيى عن ... عن عطاء بن السّائب عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال :

علي يهتدى المهتدون بعد الرسول (ص)

« لمّا نزلت « اِنّما اَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ » وضع صلّى الله عليه وسلّم يده على صدره فقال :

« اَنَا الْمُنْذِرُ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ واوما بيده على مَنْكِب علىّ فقال :

« اَنْتَ الهادِىْ يا عَلِيُّ ، بِكَ يَهْتَدِى الْمُهْتَدُوْنَ بَعْدِىْ »[2].

---

١ ـ ترجمة تفسير محمد بن جرير الطبرى (سورة محمد ،ص،).

٢ ـ وفى كلمة « بعدى » وفى كلمة « من بعدى » فى الرواية المذكورة آنفا مالايخفى على المنصف المتدبر.

كانت وفاة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الأثنين بلاخلاف و لليلتين بقيتا من شهر صفر الخير على المشهور بين الشّيعة والمحكىّ عن التّهذيب [١] من السنة العاشره وهو ابن ثلاث وستّين سنة .

١- وفى الكافى «... وبقى بمكة بعد مبعثه ثلاثه عشر سنة ثم هاجر الى المدينة ومكث بها عشر سنين ثم قبض لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين ...»

وفى تاريخ الطبرى «اما اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاخلاف بين اهل العلم بالاخبار، فيه انه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الاول غير انه اختلف فى اى الاثانين كان موته، صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم فى ذلک .... عن فقهاء اهل الحجاز قالوا : قبض رسول الله (ص) نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول ... وقال الواقدى: توفى يوم الاثنين لثنتى عشره ليلة خلت من شهر ربيع الاول ...»

« إِنَّما يُرِيدُاللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »
(الآية ال ٣٣ - من سورة الاحزاب -)

« و سُئِلت عائشة ، رضى الله عنها عن امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه، فقالت :
« وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فيه وَهُوَ أَحَبُّ النَّاسِ الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قَدْجَمَعَ شَمْلَتَه على علىٍّ وفاطمة والحسن والحسين و قال : هٰؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِى ، اَللّٰهُمَّ اذْهَبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُم تَطْهِيراً .
« قيل لها :
« فكيف سرتِ اليه ؟ قالت انا نادمة وكان « ذلك قَدَراً مقدوراً » .
(المَحاسن والمَساوى للبيهقى)

١٠ - حَوْل العترة واهل البيت :

١ - من هى عترة الرسول الطاهرة ؟ .
٢ - آية التّطهير .
٣ - مقام اهل البيت .
٤ - موضع علىّ فى العترة .
٥ - علىٌّ فى نشأته وتكوّنه الذّاتى .
٦ - نبذة ممّا صحّ فى شأن علىٍ .

١٦٢ـ من هى عترة الرّسول الطّاهرة؟

كانت للرّسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ازواجٌ عدّة، اولهنّ زواجاً، واكملهنّ شرفاً وكرامة، واشرفهن نتاجاً، سيّدة نساء مكّة و «سيّدة نساء الجنّة» **خديجة بنت خويلد**.

اسلام خديجة

سبقت **خديجة** باسلامها على غيرها من النّساء والرّجال، وصلّت قبل كلّ احدٍ مع الرّسول، وانفقت ثروتها الوفيرة فى سبيل اعلاء كلمة التّوحيد وتأييد الأسلام والمسلمين، وجدّت واجتهدت لحفظ الرّسول ونشر الرّسالة وبثّ الأيمان، واصطبرت فى الشّدائد والنّوائب كلّها مع الرسول، وتجرّعت الغُصص والهموم حتّى رفعها الله الى ملكوته العليا، واختارلها القرب بجواره الاعلىٰ، فى العاشر من شهر رمضان المبارك من السّنة العاشرة للبعثة، بمكّة، وهى بنت خمس وستّين سنة.

كانت **خديجة** حبيبة رسول الله فهو، صلّى الله عليه وآله وسلّم، يُحبّها، ويُكثر مِن ذكرها، ففى حديث **عائشة**، كما فى صحيح **البخارى** و **مسلم**:

«ماغِرْتُ على احدٍ من نساء النّبىّ (ص) ماغِرْتُ على **خديجة**، ومارايتُها ولكنّ النّبى يُكثِرُ ذِكرَها وربما ذبح الشّاة ثمّ يقطعها اعضاءً ثمّ يبعثها فى صدائِق **خديجة**.

ام المؤمنين خديجة وحب النبى(ص) لها

«فقلت له: كأنّه لم يكن فى الدّنيا الّا **خديجة**! فيقول:

«انّها كانت حبيبةً لى، وكانت عاقلةً، وكان لى منها ولد».

وزادَ مسلم «وانّى رُزِقتُ حُبَّها».

اولاد خديجة من النبى(ص)

رُزقتْ **خديجة** من رسول الله عدّة اولاد: **القاسم و عبدالله**، الملقّبين بالطّيب والطّاهر، ومن البنات: **زينب و رقيّه و امّ كلثوم**، ثمّ **فاطمة الزّهراء**، وهى اصغر بناتها.

١٦٣ ـ فاطمة الزّهراء

كان الرّسول (ص) يحب ابنته فاطمة اشدّ الحب، **يحبّها لأنّها** تذكار لزوجته الجليلة الحبيبة، التى فدت بنفسها وبما لها، الوفير فى سبيله، وسبيل دعوته، **يحبّها لمكان** فضائلها النّفسيّة ومكارمها الذّاتيّة [1]، فهى كما اعلن الرسول (ص) فى حقّها بَضْعَةٌ منه مَنْ اذيٰها فَقَدْ اذيٰه، ولذلك هى سيّدة نساء العالمين، **يحبّها لأنّها** اُمّ الذُّرّيّة واصل العترة، منها انسلّت سُلالة النّبويّة وبها انتشرت سادة الطّاهرين اولاد سيّد المرسلين، الأئمة المعصومين، والهُداة المَهْديّين.

فى صحيح **البخارى** باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبة **فاطمة** عليها السّلام بنت النّبىّ، صلّى الله عليه وسلّم:

فاطمة بضعة من رسول الله وسيدة نساء اهل الجنة

« وقال النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم:

« **فاطمة** سيّدة نساء اهل الجنّة » (الجزء الخامس ـ الصفحة ٢٠ ـ).

وفيه ايضاً، فى الباب المذكور (الصّفحة ال ٢١) : بالأسناد عن **المِسْوَر بن مَخْرَمَة** انّ رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم. قال :

« **فاطمة** بَضْعة منّى فمَنْ اَغْضَبَهٰا اَغْضَبَنى ».

وفيه، ايضا (الجزء الرّابع ـ الصّفحة ال ٢٠٣ ـ) بأسناده عن **عائشة** (رض) : **قالت** :

« اقبلت **فاطمة** تمشى كأنّ مِشْيَتَها مَشْىُ النّبىّ (ص) فقال النّبىّ (ص):

---

١ ـ نقل **الخطيب البغدادى** (المتوفى سنة ٤٦٣ ه. ق.) فى تاريخه (فى ترجمة **حسين بن معاذ**) بأسناده عن **عائشة**، ام المؤمنين، انها قالت : قال رسول الله :

« اذا كان يوم القيامة نادى مناد : يامعشر الخلائق طاطاوا رؤسكم حتى تجوز **فاطمة بنت محمد** » ونقل بسند آخر عنها عن النبى (ص):

« ينادى مناد يوم القيامة: غضوا ابصاركم حتى تمر **فاطمة بنت محمد** ».

« مرحباً بابنتى » ثمّ اجلسها عن يمينه ، او عن شِماله ، ثمّ اَسَرَّ اليها حديثاً فبكت .

« فقال لها : لِمَ تبكين؟ .

« ثمّ اَسَرَّ لها حديثاً فضحكَتْ .

« فقلت : مارايتُ كاليوم فرحاً اقربَ من حزن .

« فسألتُها عمّا قال. « فقالت: ماكُنْتُ اُفشِىْ سرَّ رسول الله » . حتّى قبض النّبى فسألتُها. فقالت:

« اَسَرَّ الىَّ انّ جبريلَ كان يعارِضُنى القرآنَ كُلَّ سَنَةٍ مرّةً وانه عارَضَنى العام مرّتَيْن ، ولا أُراه الّا حَضَرَ اَجَلِىْ وَاِنّكِ اوّل اهل بيتى لِحاقاً بِى .. فبكيتُ. فقال: اَمَا ترضَيْنَ ان تكونَ سيّدةَ نساءِ اَهْلِ الْجَنّة؟ ، ، اونساءِ المؤمنين ، فضحكت لذلك » .

وعن صحيح مسلم [1] :

ايذاء فاطمة ايذاء النبى(ص)

« انّما فاطمة بَضْعَةٌ مِنّى ، يؤذينى مَنْ اذاها ويُسرُّنى مَنْ اَسَرَّها »

وعن الترمذى [1] :

« اِنّها بَضْعَةٌ مِنّىْ يُريبُنى مارابَها ويُؤْذِيْنى ما آذاها .

« وعن عائشة ، وقد سُئِلَتْ : اىُّ النّاس احبّ الى النبى (ص)؟ قالت : فاطمة. قيل : مِنَ الرّجال؟ قالت : زوجُها. »

« اخرجه الترمذى .

« وعنها قالت: ما رَاَيْتُ رجلاً اَحَبَّ الى النّبِى مِنْ علىّ ولا اَحَبَّ اليْه مِنْ فاطِمَةَ » [1] .

١٦٤ ـ علىٌّ وفاطمة

لمّا كانت فاطمة من ابيه الرّسول (ص) بهذه المكانة من المحبّة الفائقة ،

---

١ ـ ينابيع المودة.

اختار الرّسول لها اَحَبَّ الخلق لديه ، و اقربهم اليه ، وآثرهم عنده ، اوّلهم اسلاماً ، واصدقهم ايماناً ، واكملهم علماً وفقها ، وافضلهم خُلقاً ، واسخيٰهم نفساً ، واشجعهم قلباً ، وامزرهم [1] شجاعة ، واشدّهم جهاداً ، واسدّهم اقداماً ، وازيدهم اخلاصاً ، واخلصهم عملا ، واغزرهم اجتهاداً ، واعرقهم حسبا ونسباً و ادباً ، واشبهم بنفس الرسول كمالاً ، وانسبهم له اسرةً و نجارا ، و اكثرهم له طاعة و حبّاً و وداداً ، الا وهو ابن عمّه ، الّذى ربّاه من اوان صباه ، كولدٍ له فى حُجره ، وارتضاه اخاً لنفسه ، بل واصطفاه ، على ما فى آية المباهلة ، عَيْنَ نَفْسِهِ .

١٦٥ ـ الحسن والحسين ابنا رسول الله

ابنا رسول الله سيدا شباب اهل الجنة

اختار ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لبَضْعته الحبيبة ، حبيبه الفذّ ، وزوّجها منه ، فقرن السّعدين بزواج الحبيبين ، وصارت نتيجة ذاك القران السّعد ، والزّواج المبارك ، منهما عدّة اولادٍ ذكوراً واِناثاً منهم ابنان سمّى الرسول (ص) اكبرهما باسم «**الحسن**» واصغرهما باسم «**الحسين**» وكان ينظراليهما نظرالوالد الرّؤف الرّحيم الى ولده الصّميم ويحبّهما حبّاً شديداً يتجاهر به ، وكثيراً مّا يعبّر عنهما بلفظة « ابناى » ، ويعرّفهما بانّهما سيّدا شباب اهل الجنة وهما امامان قاما او قعدا .

١٦٦ ـ حُبّ النّبىّ (ص) الحسنين وابويهما (ع)

نقل الشّيخ **سليمان الحنفى** فى « الباب الرابع والخمسون ـ فى فضائل **الحسن والحسين** رضى الله عنهما » من كتابه القيّم « ينابيع المودّة » ، عدّة احاديث «صحيحة» و«حسنة» فى حبّ النبىّ (ص) لهما ، يناسب ان يُورَدهنا بعض منها .

---

١ ـ « المزير ، الشديد القلب ... قال العباس بن مرداس :

ترى الرجل النحيف فتزدريه و فى اثوابه رجل مزير

ويروى اسد مزير » .

(صحاح)

فمنها :

« فى سنن الترمذى : حدثنا . . . . (بأسناده) انّ رسول الله (ص) اخذ بيد **الحسن والحسين** وقال:

حب النبى(ص) فاطمة و ابنيه و اباهما

« مَنْ اَحَبَّنِي وَاَحَبَّ هٰذَيْنِ وَاَبَاهُمَا وَاُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي درَجتي يوم القيامة » .

« ايضا اخرج هذا الحديث **احمد** فى «المسند» **وموفق الخوارزمى و الترمذى عن انس بن مالك** قال :

« سُئل عن رسول الله (ص) : اَيُّ اهل بيتِكَ اَحَبُّ اِلَيْكَ؟ قال (ص) : « **الحسنُ والحسينُ** » .

« وكان، صلّى الله عليه وآله وسلّم، يقول لفاطمة :

« اُدْعُوِي لِيْ ابْنَيَّ . فَيَشُمُّهُما وَيَضُمُّهُمَا اِلَيْهِ » .

ومنها :

« اخرج **الطبرانى** عن **ابى هريرة** قال :

« خرج علينا رسول الله(ص) ومعه **حسن و حسين** ، هذا على عاتقه وهويلثم هذا مرةً وهذا مرةً حتى انتهى الينا فقال :

« مَنْ اَحَبَّهُما فَقَدْ اَحَبَّنِي وَمَنْ اَبْغَضَهُما فَقَدْ اَبْغَضَنِي » .

وروى **الخطيب** فى تاريخ بغداد (بأسناده) **عن ابى هريرة** قال :

« سمعت رسول الله (ص) يقول :

على خيرمن ابنيه

«مَنْ اَحَبَّ الْحَسَنَ والحسينَ فَقَدْ اَحَبَّنِي وَمَنْ اَبْغَضَهُمَا فَقَدْ اَبْغَضَنِي » .

وروى ايضا فيه (بأسناده) : قال رسول الله (ص):

« اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدا شَبَابِ اَهْلِ الْجَنَّةِ . وَاَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا » .

١٦٧ ـ حديث الكساء وآية التّطهير

قال « شيخ الاسلام ، امام الحفّاظ » ابن حجر العسقلانى الشّافعى (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ. ق.) فى كتابه « الأصابة » .

« ... واخذ رداثه فوضعه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين وقال:

« اِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ٣٣ »[١] .

وفى « المسند » للامام احمد بن محمّد بن حنبل (الجزء الثالث) بأسناده عن انس بن مالك :

« انّ النبىّ (ص) كان يمرّ ببيت فاطمة ستّة اشهر ، اذا خرج الى الفجر ، فيقول: « الصّلوة يا اهل البيت . انّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس اهل البيت ويطهّركم تطهيرا » .

خبر مجيئ النبى تسعة اشهر كل يوم باب فاطمة وقرائته آية التطهير ، مروى عن ثلاثمأة من الصحابة

وفى ينابيع المودّة (كتاب مودّة القربىٰ) (بأسناده) عن انس بن مالك :

« كان النبىّ (ص) يأتى كلّ يوم باب فاطمة عند صلوة الفجر فيقول: « الصّلوة يا اهل البيت . انّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس اهل البيت ويطهّركم تطهيرا » تسعة اشهر (وفى موضع ستّة اشهر) بعد ما نزلت : « وَاْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلوٰةِ وَاصْطَبِرْ عليها ١٣٢ »[٢] .

« وَروى هذا الخبر عن ثلاثمأة من الصّحابة »[٣] .

---

١ ـ السورة ال ٣٣ (الاحزاب) .

٢ ـ السورة ال ٢٠ (طه) .

٣ ـ هكذا فى مودة القربى وقد اشرنا سابقاً ان فى محكى « المناقب » لابن مردويه انه ذكر من مأة وثلاثين طريقا : « ان « العترة» **على وفاطمة والحسن والحسين** »

و فى ينابيع المودّة (الباب الرابع و الخمسون فى فضائل **الحسن و الحسين** رضى‌الله عنهما) :

« وفى مسند احمد من حديث امّ سَلِمَة قالت :

« دخل علىّ و فاطمة ومعهما **الحسن والحسين** فوضعهما فى حُجْره فقبّلهما واعتنق علياً باحدىٰ يدَيْه و فاطمة بالأخرىٰ فجعل عليهم خميصةً (ثوب مربّع) سوداء . . . »

« وله طرق وفى بعض طرقه « كساء » بدل « خميصة » .

« واصله فى صحيح مسلم عن **عائشة** قالت :

« خرج النّبىّ غداة وعليه مرط مرجّل من شعر اسود فجاء **الحسن بن على** فأدخله . ثمّ جاء **الحسين** فأدخله معه . ثم جائت **فاطمة** فأدخلها . ثم جاء **علىّ** فأدخله . ثمّ قال :

« انّما يريدالله ليُذهب عنكم الرّجس اهل البيت ويطهّركم تطهيرا »

اصحاب الكساء وطهارتهم

وفى كتاب « المحاسن والمساوى » للبيهقى :

« و سُئِلتْ **عائشة** ، رضى الله عنها ، عن اميرالمؤمنين **علىّ بن ابى‌طالب** ، رضى‌الله عنه فقالت :

« فما عسيتُ ان اقول فيه و هو احبّ الناس الى رسول‌الله، صلّى‌الله عليه وآله وسلّم . لقد رايت رسول‌الله صلّى‌الله عليه وسلّم وقد جمع شملته على **علىّ و فاطمة والحسن والحسين** وقال :

« هؤلاء اهل بيتى . اللّهم اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا »

« قيل لها :

« فكيف سرتِ اليه؟ قالت : انا نادِمةٌ . وكان ذلكَ قَدَراً مقدوراً .

وفى « تاريخ الخلفاء » للسّيوطى (الصّفحة ال ١٦٩) .

« واخرج مسلم عن **سعد بن ابى وقّاص** قال :

« لمّا نزلت هذه‌الآية « ... نَدْعُ ابنائَنا وابْنائَكُمْ ... ٦١ » دعا رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم عليّاً و فاطمة و حسناً و حسيناً فقال:

« اللّهمّ هؤلاء اهلى » .

١٦٨ - العترة هى اهل البيت

قال ابن ابى‌الحديد فى شرحه بياناً لقوله عليه‌السلام « ... وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وبَيْنَكُم عِتْرَةُ نبيِّكُمْ » :

اهل بيته اهل الكساء وهم العترة واصلهم على (ع)

« وقد بيّن رسول‌الله (ص) عترته من هى ؟ لمّا قال : « انّى تارِكٌ فيكمُ الثَّقَلَيْن » فقال :

« عِتْرَتِى ، اَهْلُ بَيْتى » .

« وبيّن فى مقام آخر : مَنْ اهلُ بيته ؟ حيث طرح عليهم الكساء وقال حين نزلت «انّما يريدالله ليذهب ...» :

« اَللّهُمَّ هؤلاء اَهْلُ بَيْتِى فاَذْهب الرِّجْسَ عَنْهُمْ »

« فان قلتَ : فمن هى العترة الّتى عناها اميرالمؤمنين عليه‌السّلام بهذاالكلام؟

« قلتُ : نفسَه و وُلْدَه . والاصل ، فى الحقيقة ، نفسه لأن ولدَيْه تابعان له ونسبتهما اليه كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشّمس المشرقة . وقدنبّه النبىّ (ص) على ذلك بقوله :

«واَبُوكُما خَيْرٌ مِنْكُما ... »

وفى ينابيع المودّة (الصفحة ال ٢٥) عن مسلم بالاسناد « عن يزيد بن حبّان عن يزيد بن ارقم » :

« قال : دخلنا عليه (يعنى على زيد بن ارقم) فقلنا : لقد رايتَ خيراً لقد صاحبتَ رسول‌الله صلّى‌الله عليه و سلّم و صلّيتَ خلفه، حدّثنا يا زيد ما سمعت عن

رسول‌الله (ص) . . . الى ان قال (ص) : الا وانّى تاركٌ فيكم الثّقلين احدهما كتاب‌الله عزّوجلّ ... وعترتى اهل بيتى ... فقلنا: من‌اهل بيته؟ نساؤه.؟ قال: ايْمُ الله انّ المرأة تكون مع الرّجل ،العصر من الدّهر ثمّ يطلّقها فترجع الى ابيها وقومها ، واهل بيته صلّى‌الله عليه وسلّم اصله وعصبته الّذين حرموا الصّدقة بعده » .

قد تحصّل ممّا وَرَدَتْ فى‌هذا الشّأن واوردنا نبذةً منها انّ المراد من«العترة» و«اهل‌البيت» باتّفاق الشّيعة وموافقة الأكابر من‌علماء اهل السّنّة :هو **علىٌّ وفاطمةُ والحسن والحسين** والذّريّة الطّاهرةالمعصومين من وُلد **الحسين** (المنصوصة اسمائهم والمعروفة اشخاصُهم) .

١٦٩ ـ الصّلوة على آل محمّد، وهم‌العترة فى‌الصّلوة

كان رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم يحبّ ابنته ،**فاطمة** ،وزوجها ،**عليّاً**، وابنَيْهما ،**الحسن والحسين** ، حُبّاً يَلْهج به ،ويُفصح عنه ،ويبتهج بتذكاره ،ويلتذّ من تكراره ،فصرّح بذلك مرّات متعدّدة وبعبارات‌مختلفة تؤدّى معنىً واحداً وهوانّ هؤلاءهم منه و«مَنْ آذاهم فقدآذاه ومن ابغضهم فقد ابغضه» و « مَنْ والاهمْ فَقَدْ والاه ومَنْ عاداهمْ فَقَدْ عاداه » وهم احد الثّقلَيْن الّذين تركهما لحفظ الأمّة عن الضّلال .

وكلّ ذلك لم يكُ لوجود النّسبة البحتة ،بل لمكانتهم الفاضلة ،وفضائلهم ـ السّاميّة ، ومناسبتهم الذّاتيّة وسنخيّتهم الجوهريّة ، وكيف لا وهم الّذين طهّرهم‌الله واذهب عنهم الرجس ،وكرّمهم وشرّفهم فجعل **عليّاً** والرّسول تحت عنوان « انفسنا » فى‌آية‌المباهلة **وفاطمة** بَضْعة منه **والحسن والحسين** ابنيه ،سيّدى شباب اهل‌الجنّة .

فهم«اهل‌بيت» الرّسول (ص) و«عترته»، وهم آله المنتجبُون وصفوتُه ،الّذين يتوقّف على اتّصال ذكرهم بالرّسول ،للتّصاية فى التّشهّد، كمال الصّلوة بل صحّته. **الصلوة على الال فى الصلوة**

وهم هُداة الأمّة وقادتُها وسُراة الأمّة وساستها .

وقد صرّح الرّسول (ص) فی ما صرّح به فی غدیرخم وفی غیره بانّ « العترة » مع القرآن ، وهما الثّقلان تَرَكَهما و خلّفهما لحفظ الأمّة عن الضّلال ، فهما لایفترقان الی یوم القیام ومن تمسّك بهما فی ایّ عصر وزمان وایّ بلد ومکان کانا له کافیان فیکون من السّعداء ولن یضلّ ولن یشقی[1] .

الصلوة علی الآل فی الصلوات

فی صحیح مسلم بن الحجّاج (باب الصّلوة علی النّبیّ صلّی الله علیه وسلّم بعد التّشهّد) :

« عن ابی مسعود الأنصاری قال : اتانا رسول الله صلّی الله علیه وسلّم ونحن فی مجلس سعد بن عبادة فقال له : بشیر بن سعد : امرنا عزّوجلّ ان نصلّی علیك یا رسول الله فکیف نُصَلّی علیك یا رسول الله ؟ قال : فَسكتَ رسول الله (ص) حتّی تمنّینا انّه لم یسأله ثمّ قال رسول الله (ص) : قولوا :

« اللّهمّ صلّ علی محمّد وعلی آل محمّد کما صلّیت علی آل ابراهیم و بارك علی محمد وعلی آل محمد کما بارکت علی آل ابراهیم فی العالمین انّك حمیدٌ مجید. والسّلام کما قد علمتم » .

١٧٠ ــ خطبة الحسن (ع) وتصریحه بانّهم العترة وأحَد الثقلین

خطب الحسن بن علی علیهما السّلام ، بعد بیعة النّاس له بالخلافة ، (علی ما حُکی فی کتاب ینابیع المودّة عن کتاب « المناقب » لابن مَرْدَوَیْه) فقال فی ما قال:

« نَحْنُ حزبُ الله الغَالِبُونَ . ونَحْنُ عِتْرَةُ رَسُولِهِ الأقْرَبُونَ .

---

١ - قد تکرر، حکایة عن المناقب لابن مردویه ، انه ذکر فیه من مأة وثلاثین طریقاً ان العترة ، التی امرت الامة بالتمسك بها کی لن یضلوا ، هم **علی وفاطمة والحسنان.**

ونَحنُ اَهلُ بيتِه الطيّبون . ونَحنُ اَحدُ الثقلَينِ الذين خلّفهما جدّى صلى الله عليه فى اُمته . ونَحنُ ثانى كتابِ الله، فيه تفصيلُ كلّ شىء لا يأتيه الباطلُ مِن بين يدَيه ولا مِن خلفه فالمُعوّلُ علينا تفسيرُه ... »

١٧١ – مَثَل اهل البيت

العترة، واهل البيت، وآل محمّد، هم الّذين يعرفون القرآن ويفسّرونه ويرشدون الى سبيل الهدى والسّعادة ويسلكونه ولهذا قال الرّسول فى حقّهم :

« انّ مَثَلَ اَهلَ بيتِى فيكم مَثَلُ سفينةِ نُوحٍ مَنْ رَكبها نَجا وَمَنْ تَخلّفَ عنها هلكَ [1]، اَوْ غرِقَ [2] » .

وايضا قال صلّى الله عليه وآله وسلّم :

« وانّما مَثَلُ اَهلِ بيتِى فيكُمْ مَثَلُ « باب حِطّة » فى بنى اسرائيل من دَخله غُفِرَ لَه » .

الى غير ذلك ممّا قال (ص) فى شأنهم واشار به الى حقّهم وابان لبيان مقامهم وفضلهم . كلّ ذلك لكونهم اكمل و افضل واتقى وازهد من كلّ من سواهم فانّهم من الرّسول بَضعة، خُلقوا من طينته ونوره، ونَشأوا فى بيت الوحى والرّسالة، ورُضعوا من ثدى الكرامة و الأمامة ، ورُبّوا فى حُجرْ الطّهارة والسّفارة ، لا يُقاس بهم من الأمّة احد، ولا يوازيهم فى صفاتهم وكمالاتهم الحَسَبيّة والنّسَبيّة بشر .

فهم بتلك الفضائل والكمالات، رضيعا لبان مع الحقّ، يدور معهم اينما داروا، وبتلك المكارم والصّفات استحقّوا اقتران ذكرهم فى التّصلية بالرّسول (ص) .

قال **الخطيب** فى تاريخ بغداد (فى ترجمة **حسين بن نصير**) بأسناده عن **بريدة الخزاعى** قال :

---

١ - « كما عن مشكوة المصابيح » .

٢ - « كما عن جمع الفوائد رواية عن **احمد بن حنبل** » (ينابيع المودة) .

« قلنا: يا رسول‌الله قدعلمنا كيف « السّلام » عليك. فكيف « الصّلوة » عليك ؟

قال (ص) :

« قُولُوا : اَللّهُمَّ اجْعَلْ صَلَواتِكَ و رَحْمَتَكَ عَلىٰ محمّدٍ وآلِ محمّدٍ كَمَا جَعَلْتَها علىٰ اِبراهيمَ اِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ »

۱۷۲ ـ علیٌّ لايُقاس به احد

فی « مودّة القُربیٰ » علی ما فی ينابيع المودّة :

عن ابی وائل عن ابن عمر ، رضی‌الله عنه ، قال :

مقام علی واهل البیت علی ما قال ابن عمر واحمد بن حنبل

« كنّا اذا عدّدنا اصحاب النبیّ قلنا : ابوبكر و عمر و عثمان « فقال رجل : يا ابا عبدالرّحمن ! فعلیٌّ ؟ قال : علیٌّ من اهل البيت ، لايُقاسُ به احد . هو مع رسول‌الله فی درجته . انّ الله يقول : « اَلَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإيمانٍ اَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيّاتِهِمْ » ففاطمة مع رسول‌الله فی‌درجته وعلیٌّ معهما».

وفيه ايضا : « وعن احمد بن محمّد الكرزوی البغدادیّ، رضی‌الله عنه، قال : سمعت عبدالله بن احمد بن حنبل قال :

« سألت ابی عن « التّفضيل » فقال : ابوبكر و عمر و عثمان . ثمّ سكت . فقلت :

« يا اَبَتِ : اين علیّ بن ابی طالب ؟ »

« قال : هو من اهل البيت، لايُقاسُ به هؤلاء .

قال علیٌّ نفسُه فی كلام له نَقَلَه عنه، الفقيه المالكی ابن عبد ربّه (المتوفی ۳۲۸ هـ. ق.) فی كتابه القيّم «العِقْدالفريد » (الجزء الرّابع ـ كتاب‌العسجدة ـ) :

« ألا انّ الأبرارَ عِتْرتی ، واَطائِبَ اُرُومَتِی ، اَحْلَمُ النّاس صِغاراً واَعْلَمُ النّاسِ كِباراً . اَلا وَ اِنّا اهلَ البيت ، مِن عِلْمِ اللهَ عَلِمْنا وبِحُكْمِ الله حَكَمْنا وَمِنْ قولِ صادِقٍ سَمِعْنا فأن تَتَبَعُوا آثارَنا تَهْتَدُوا بِبَصائِرِنا ،

مَعَنا رايَةُ الحقِّ مَنْ تبعَها لَحِقَ ومَنْ تأخَّرَ عنها غَرِقَ الا وَبِنا تُدْرَكُ تِرَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ وبِنا تُخلَعُ رِبْقَةُ الذُّلِّ مِنْ اعناقِكُم وَبِنا فُتِحَ وبِنا خُتِمَ » .

جَعَلَنَا اللهُ وايّاكُم مِمَّنْ عَرَفَ للعترة ، الحقَّ ، وآمن بما قال فى شأنهم الرّسول المصدَّق ، و عمل بما اُمِرَ به من التمسُّك بهم و صَدَّق . فنفوز بسعادة النّشأتين ، بتمسكنا بذيل الثَّقَلين .

١٧٣ ـ موضع علىّ من الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

كان علىٌّ ابن عمّ الرّسول (ص) و تحت كفالته و تربيته فى بيته وفى حُجره ، وكان اقربَ النّاس اليه ، وآنسهم به ، واخلصهم للاقتداء فى سبيله ، و احبّهم لديه ، ولذا زوّج ابنته المحبوبة و بَضْعته الطّاهرة منه واتّخذهُ صهراً له .

لم يكُ يتجاوز سنّ علىّ ستّة سنة حين ذهب الرسول (ص) مع عمّيه ، عبّاس وحمزة الى بيت عمّه الأكبر ابى طالب لتخفيف كاهله عن اعباء العائلة باستصحاب بعض وُلده فارتضى النّبى (ص) علياً و اتى به الى بيته المبارك كابنٍ له ، فجعله تحت تربيته وتكفّله .

كان ذلك قبل بعثته (ص) بالرّسالة بسنين (سبع ، او اكثر) فكان علىٌّ فى حُجره وتحت مراقبته وتربيته حين بعثه الله تعالى[1] .

قال علىّ ، عليه السلام ، فى بعض كلماته المنقولة فى نَهج البلاغة :

« وَقَدْ عَلِمتُمْ مَوْضِعِى مِنْ رَسُولِ الله (ص) بِالقَرابَةِ القَرِيْبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِى فى حُجْرِه وَاَنا وَلِيدٌ يَضُمُّنى الى صَدْرِه وَيَكْنُفُنِى فى فِراشِهِ وَيَمَسُّنِى جَسَدَه وَيَشُمُّنى عَرْفَه وكان يَمْضغ الشىء ثمّ يُلْقِمُنِيه . نشؤ على فى حجر الرسول وفى دار الوحى و بيت التنزيل

وَما وَجَدَ لِى كَذْبَةً فى قولٍ ولا خَطْلَةً فى فعلٍ .

وَلَقَدْ قَرَّبَ الله به ، صلّى الله عليه وآله، مِن لَدُنْ كانَ فَطِيماً اَعْظَمَ مَلَكٍ من مَلائِكَتِهِ يَسْلُكُ به طَرِيقَ المَكارِمِ ومَحاسِنَ اَخْلاقِ العالَم، لَيْلَه و نَهارَه .

وَلَقَدْ كُنْتُ اَتَّبِعُهُ اِتِّباعَ الْفَصِيلِ اَثَرَ اُمِّهِ يَرْفَعُ لِيْ فى كلِّ يومٍ علماً من اخلاقه وَيَأْمُرُنى بالاِ قتداءِ به » .

هكذا كان موضع عليٍ من رسول‌الله (ص) كما افصح عليٌّ نفسه عنه و يعرفه النّاس منه . بعث‌الله محمّداً بالرّسالة فكان عليٌّ اوّل من آمن به وصدّقه وصلّى معه واتّبعه فهو كان كما صرّح نَفْسُهُ فى الخطبة القاصعة:

« . . . فلم يَجْمَعْ بَيْتٌ فى الاسلام غَيْرَ رَسول‌الله وخديجةَ واناثالثهما . اَرىٰ نُورَ الوَحْىِ والرِّسالَة وَاَشُمُّ رُوْحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْىُ عَلَيْه (ص) » .

١٧٤ - عليٌّ والقرآن

كان عليّ (ع) مع الرسول (ص) فى بيته حين البعثة واوّل نزول الوحى : «وَاستَسقىٰ عُرُوْقَه من مَنْبَعِ النّبوّة وَرَضَعَتْ شَجَرَتُه ثَدْىَ الرِّسالةِ و تَهَدَّلَتْ اغصانُه مِنْ نَبْعِ الاِمامَةِ وَنَشَأَ فى دار الْوحى و رُبِّىَ فى بَيْتِ التَّنزيلِ وَلَمْ يُفارِقِ النَّبىَّ فى حال حياتِهِ اِلىٰ حالِ وَفاتِهِ »[1].

لم يكَد يفارقه قبل البعثة و بعدها ، لا فى الحضر ولا فى السّفر ، لافى السّهل ولا فى الحزن ، لافى البرّ ولا فى الجبل لافى الضّيق ولا فى السّعة ، لافى الحرب ولا فى الصلح والدّعة لافى السرّ ولا فى العلن ، ولا فى الشّدّة ولاٰ فى الرّخاء .

وقد اشارعليه السلام بذلك حيث قال :

« وَاللهِ ما من آيةٍ نزلت فى برٍّ او سَهْلٍ او جبلٍ فى ليلٍ او نهارٍ الّا وَاَنا اَعْلَمُ فى مِن نُزِّلَتْ وفى اىّ شىء نزلت » .

---

١ - مقتبس من كلامه المنقول فى نهج البلاغة.

وحيث قال بعد قدومه الكوفة (على ما فصّل فى الباب التّاسع و الثلاثين من كتاب الينابيع)[١]:

«... إِنِّي لَأَعْرِفُ ناسخَه ومنسوخَه ومحكَمه ومُتشابِهَهُ.

وَمَا مِنْ حَرْفٍ نُزِّلَ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ فِي مَنْ أُنْزِلَ وَفِي أَيِّ يَوْمٍ وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ أُنْزِلَ....

أَنَا الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ» فَإِنَّا كُنَّا عِنْدَ رسول‌الله (ص) فَيُخْبِرُنَا بالْوَحْيِ فَأَعِيهِ وَيَفُوتُهُمْ فَإِذا خَرَجْنا قالُوا: ماذا قال؟....[١]»

١٧٥ ـ عليّ مع القرآن لن يفترقا

«وفى رواية طويلة[٢] رواها، فى من رواها، الحاكمُ فى المستدرك بسند صحيح عن امّ المؤمنين ام سلمةَ قالت: «سمعت رسول‌الله (ص) يقول:

«عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَفْتَرِقا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحوضَ».

«رواها ايضا احمد بن موسى بن مَرْدويه فى كتابه «المناقب» من عدّة طرق. منها بأسناده عن محمّد بن ابى‌بكر قال:

الحق مع على وعلى مع الحق

«حدّثتنى عائشة انّ رسول‌الله (ص) قال:

«اَلْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَفْتَرِقا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

«وروى اخطب خُطباء خُوارزم بأسناده عن ثابت مولى ابى‌ذر عن امّ سَلِمَة قالت: سمعتُ رسول‌الله (ص) يقول:

---

١ ـ نقلا عن «شرح المواقف» للمدقق الشريف بهذه‌العبارة: «قوله تعالى: وتعيها اذن واعية اى حافظة، اكثر المفسرين على انه على...»

٢ ـ بناء المقالة.

«عَلِيٌّ مَعَ الْقُرآنِ وَالقُرآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوضَ».

كتب عليه السلام فى جُملة ما عهد به الى مالك الأشتر حين ولّاهُ مصرَ:

«وَلَوْ رَدُّوهُ اِلى الرَّسول وَاِلىٰ اُولِى الأَمْرِ منهمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونه مِنهمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطان اِلّا قليلاً».

اهل الرسول هم اولوالامر وهم الذين يستنبطون

«فَالرَّدُّ الىَ الله، اَلأَخْذُ بِمُحكم كتابه. وَالرَّدُّ الى الرَّسول، اَلأَخْذُ بسنَّتِه الجامعة الغير المتفرّقة. وَنَحنُ اَهْلُ الرَّسُوْلِ، صلّى الله عليه وآله، الَّذِيْنَ نَسْتَنْبِطُ الْمُحْكَمَ مِنْ كِتابِهِ وَنُمَيِّزُ الْمُتَشابِه مِنهُ وَنَعْرِفُ النّاسِخَ مِمّا نَسَخَ اللهُ ...»

هذه الرّوايات واضرابها المتواترة تُشير كلّها الى مقام عليٍّ و مرتبته فى الدّين واحكامه، وبالنسبة الى القرآن ومقاصده و اغراضه، وتشير بانّ عليّاً «رأس العترة» واصلها.

١٧٦ - اشارة الى نكتة

وفى ختام هذه الرّوايات يناسب ان نشير الى نكتة تختلج بالبال وهى:

انّ جملة «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (او «لايفترقان الى.....») صدرت عن الرّسول، فى موضعين، لعلّه لايوجد لهما ثالث: احدهما فى هذه الرّوايات الواردة بشأن عليّ مع القرآن وثانيهما ماوردت بشأن «العترة» والقرآن.

وكذلك جملة «لن تضلّوا بعده» (او لاتضلّوا بعده ابداً»، صدرت عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم فى موضعين، لعلّه لاثالث لهما بهذا الاسلوب ايضاً: احدهما فى ما وردت بشأن التمسّك بالقرآن والعترة. وثانيهما فى ما وردت بشأن الأمر بأتيان كتابٍ ودواةٍ عند احتضاره، صلّى الله عليه وآله.

اَوَليس في ذلك تنبيه و ايماء الى كمال ارتباط هذه الموضوعات في تلك المواضع بل بالحقيقة اتّحادها ووحدتها عندالرّسول وفي نظره صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ فتدبّر .

١٧٧ ـ عليّ في نُشْأه الدّيني

كان عليّ (ع) كما تعلم اوّل من سمع القرآن وعَلِمَه، وعمل به ، و تحقّق بحقيقته ، و تشرّف بمعرفته ، و تخلّق باخلاق الرّسول العظيمة ، و استضاءَ من انوار علومه العميمة ، واطّلع على بعثه بالرّسالة ، فتأدّب بآدابه اقدم واكثر من ايّ فرد من الصّحابة ، و تأثّر من ارشاده وهدايته ، لااسبق واقدم تأثّرٍ فحسبُ ، بل اشدّ وانفذوادوم تأثّرٍ يمكن ان يتأثّر به غيره ، ممّن فاز بعده بشرف الأسلام و كرامة الصُّحبة .

شدة تاثير تربية الرسول(ص) في علي

و كيف لا؟ وهوالّذي ، مع سبقه بقبوله الاسلام على الكلّ ، باتّفاق الكلّ ، كان قلبه الشّريف لحداثته و طهارته كمرآةٍ صافية خالية عن كلّ نقش و رقش ، الّا ممّا انتقش فيه ، من جلَوات جمال الله الواحد الأحد ، واشراقات جلاله و عظمته و قدرته وكبريائه و جبروته ، والّا ممّا علّمه الرّسول ، صلّى الله عليه وآله و سلّم ، من حال مبدئه ، ومن برنامج حياته ، وكيفيّة ما ينبغي له ان يختاره من اطواره واقواله واعماله وافكاره ، ومن عاقبة حاله في معاده ، وصيرورة امره اليه في مآله ، والّا ممّا كان يرى ويعرف من الرّسول من خلوصه وايمانه وافعاله وصفاته وسائرحالاته .

فتلك التّجلّيات الألهيّة ، والتّعاليم النّبويّة والمشاهَدات العينيّة ، رسخ في سويداء خاطره ونفذ في اعماق قلبه ، واثّر في مكنتون نفسه وروحه ونوّر شراشر وجوده بحيث صحّ له وحقّ ، ان يكشف عن تلك النورانيّة العريقه العميقه ، في الأزمنة الّلاحقة بما اشتهر من قوله :

« لَوْ كُشِفَ الغِطاءُ ما ازْدَدْتُ يَقيناً »

١٧٨ - مولدُ عليّ ومماتُه

وُلد عليٌّ، على ماهوالمشهور، فى بيت‌الله، مهدالأيمان، (الكعبة) وعاش ممسوساً بنورالأيمان، وانتقل الى جوار ربّه الأعلى من بيت‌الله (مسجد الكوفة) بكمال الأيمان و تمام الأخلاص و فاز بسعادته العظمى كما لهج به حين ضربه الشقىّ المرادىّ، عبدالرحمن بن الملجم، فقال:

مطلع على(ع) ومغربه بيت‌الله

« فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ »

فطلعت شمس وجوده (ع) من شرق بيت‌الله (الكعبة) وغربت حين افولها فى بيت‌الله. (مسجد الكوفة) فكان موضع ولادته كموضع شهادته. نعم طلع علىّ(ع) من الحقّ ودارمعه حيثما دار ورجع الى الله الحقّ ولحق بالمكرّمين الفائزين بالحقّ.

١٧٩ - اخلاص علىّ

كان ايمان علىّ غير مسبوق بالشّرك و الألحاد، غير مشوب بدرَن الشّبهة والأرتياب، غير مقرون بالتّزلزل والأضطراب، فهو فى ايمانه خالص مخلص، ثابت كالجبل الرّاسخ لايحرّكه العواصف والقواصف، ولذا كان يقى الرّسول بنفسه و يفديه بحوبائه ومهجته.

صرّح علىّ بذلك بعد قول الرّسول(ص) له بأخائه، (على ما فى المناقب):

« انّما اخترتُكَ لِنَفْسى اَنْتَ اَخِىْ وَاَنَا اَخُوْكَ فى الدُّنْيا والآخِرة »

وبكائه شوقاً وفخراً باخائه، فقال:

« اَقِيكَ بِنَفْسِى اَيُّهَا الْمُصْطَفَى الَّذِىْ

هَدانا بِهِ الرَّحْمٰن مِنْ عَمَةِ الْجَهْلِ

وَاَفْدِيكَ حَوْبائى، وَمَا قَدْرُ مُهْجَتِى ؟

لِمَنْ اَنْتَمى مِنْه الى الْفَرْعِ والأَصْلِ

وَمَنْ ضَمَّنِي مُذْكُنْتُ طِفْلاً و يافعاً
وَ انْعَشَنِي بالبــرِّ و النَّعَلِ و النَّهْلِ
وَمَنْ جَدُّهُ جَدِّي وَمَنْ عَمُّهُ عَمِّي
وَمَنْ اَهْلُهُ اُمِّي وَمَن بِنْتُهُ اَهْلِي
وَمَنْ حِينَ آخا بَيْنَ مَنْ كانَ حاضراً
دَعَانِي وآخاني وَبَيَّنَ مِن فَضْلِي

ومما نُسب اليه و نُقل عنه حتّى فى كتب المعاصرين من فضلاء اهل السنّة قوله : مفاخرة على(ع)

مُحمَّدٌ النَّبيَّ اَخي و صِهْري
وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُهداءِ عَمِّي
وَجَعْفَرٌ الَّذِي يُمسِي و يُضْحِي
يَطِيرُ مَعَ الملائِكَةِ ابْنُ اُمِّي
وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وعِرْسِي
منوطٌ لَحْمُها بِدَمِي و لَحْمِي
وَسِبْطا احمدٍ وَلَدَاي منها
فأَيُّكُم لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي؟
وَصَلَّيْتُ الصَّلوةَ وَكُنْتُ فَرْداً
فَمَنْ ذايَدَّعِي يَوْماً كَيَوْمِي؟

١٨٠ ـ الرّسول، صلّى الله عليه و آله وسلّم، وعليّ من اصل واحد

كان عليّ فى جميع اوصافه وفضائله و كمالاته ، من العبادة والعدالة و الشّجاعة والفتوّة و المروئة والسّخاء والوفاء والورع والزّهد والتّقوىٰ والعلم واضرابها، من الكمالات والفضائل، شخصاً فارداً ،متميّزا عن سائرالّصحابة ، وكان قمراً تالياً لشمس الرّسالة

متأسيًا بالرّسول ، متأدّبًا بآدابه ، متابعا له في اقواله وافعاله ، مطيعاً لأوامره ولذلك حين آخا الرسول (ص) بين المؤمنين ، اتّخذه اخاً لنفسه فأشار بذلك الى انّ عليّاً انسب به (ص) من غيره واشبه له في كمالاته واقرب اليه في فضائله وصفاته فهو وعليّ(ع) من اصل واحد لايوازيهما احد في مراتب العرفان والأيمان ولايؤاخيهما من حيث كمال الفضيلة والكمال والأخلاص ، كائناً من كان .

وللاشارة الى ذلك التّناسب والتّشابه قرنه الله ، تعالى ، برسوله (ص) وجعله كنفسه في قضية المباهلة الّتي هوذا يتلى عليك .

١٨١ ـ تاكيد لما سبق من مقام عليّ من الرّسول (ص)

اتّفقت كلمة ارباب التاريخ ، واهل السّيرة ، وعلماء التّفسير ، على انّ اساقفة نجران وعلمائها حين وفدوا الى مدينة الرّسول للمناظرة معه (ص) و انتهى الأمر الى قرار المباهلة معهم غداً انزل الله :

« قل تعالَوْا نَدْعُ اَبْنائَنا وَاَبْنائَكُمْ وَنِسائَنا وَنِسائَكُمْ وَاَنْفُسَنا وانْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلَ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكاذِبِينَ ٦١»[1].

جاء الرّسول صباح الغد ولم يكن معه الّا ابن عمّه ، صهره واخاه عليّ(ع) ، وابنته ، فاطمة ، وابناه منهما ، الحسن والحسين[2] .

فلمّا رأى الاساقفة والعلماء انّ الرّسول (ص) جاء ، واتى معه بأعزّ الأنفس لديه وأنفسها ، وباحبّها عنده وآثرها ، علموا انّه على يقين من ربّه ، واطمئنان من نفسه ، و ايمان راسخ من امره ، فانصرفوا عن المباهلة ، و اقترحوا المصالحة ، واقتنعوا بالمسالمة . علي من الرسول بمنزله نفسه

---

١ ـ من السورة الثالثه (آل عمران) .

٢ ـ « واخرج مسلم عن **سعد بن ابي وقاص** قال : لما نزلت هذه الاية « ندع ابنائنا . . . الايه » دعا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، **علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً** فقال : اللهم هؤلاء اهلي » (تاريخ الخلفا للسيوطي ـ الصفحة ١٦٩).

فجعل الله علياً في آية المباهلة هذه داخلا في كلمة « أَنْفُسِنا » و وضعه في اعلىٰ موضع يليق به، وادرجه في ما عبّر به عن رسوله .

عقد الشيخ سليمان الحنفي في كتابه « ينابيع المودّة » باباً لبيان « انّ علياً ، كرّم الله وجهه ، كنفس رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم » وهو السّابع من ابواب الكتاب واورد فيه عدّة احاديث في هذا المعنى من «الصّحاح» و «المسانيد» وغيرها من الكتب ـ المعتبرة المعتمدة عند علماء السّنّة، نورد بعضا منها هنا :

منها :

« عن مسند احمد بن حنبل عن عبدالله بن حَنْطب قال : قال رسول الله (ص) لوَفْدِ ثقيف حين جائه :

«لَتسلِمُنَّ او لَابعثنّ اليكم رجلاً كَنَفْسِيْ ليضربنّ اعناقكم وليَسْبِيَنّ ذراريكم وليأخذنّ اموالكم .

« فالتفتَ الى عليّ واخذ بيده فقال :

« هُوَ ، هٰذا . مرّتين » [١] .

ومنها :

« عن زوائدِ المسند عبدالله بن احمد بن حنبل عن. . . . عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله لأمّ سَلِمَة ، رضي الله عنها :

« يا امّ سَلِمَة عليٌّ منّي وانا من عليّ : لَحْمُهُ مِنْ لَحْمِي وَدَمُهُ من دَمِيْ وَهُوَ مِنّيْ بمنزِلَةِ هٰرُوْنَ مِنْ مُوْسىٰ .

---

١ - و في شرح ابن ابي الحديد (المجلد الاول ـ الصفحة ٩٧ ـ) : « ... وفي هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله (ص) قال لبني وليعة : لتنتهن يا بني وليعة او لابعثن عليكم رجلا عديل نفسي يقتل مقاتلكم ويسبي ذراريكم .

« قال عمر بن الخطاب : فما تمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت انصب له صدري رجاء ان يقول : هو هذا . فأخذ بيد علي وقال : هذا » .

«يا أُمَّ سَلِمَةَ ، اِسْمَعِي و اشْهَدِي ، هذا عَلِيٌّ سَيِّدُ المُسْلِمِين»

١٨٢ - حديث المنزلة

ممّا ينادى بعلوّ منزلة علىّ وفضل مقامه وسُمُوّ موضعه وشدّة اتّصاله بالرّسول و قربه منه، حديث «المنزلة».

رُوى حديث المنزلة عن طرق كثيرة معتمدة اوردها مشيخة اهل الحديث واساطينهم فى صحاحهم و مسانيدهم ومناقبهم، وماشبهها من كتبهم الموثوقة بها عندهم، المعتمدة عليها لديهم.

جمع صاحب ينابيع المودة عدّة منها و اوردها فى الباب السّادس من الكتاب وهو الباب الّذى « فى ذكر الأحاديث الواردة فى انّ حب علىّ من الأيمان و حديث فتح خيبر و حديث المنزلة» ننقل هنا ايضا بعضا منها من ذلك الكتاب :

منها :

«عن صحيح **البخارى** بأسناده عن **سعد** بن **ابى وقّاص** قال: قال النّبىّ (ص) لعلىٍّ :

«اَمَا تَرْضىٰ اَنْ تَكُوْنَ مِنّىْ بِمَنْزِلَةِ **هرون** مِن **مُوْسى** ؟»[1]

«وعن صحيح **مسلم** بأسناده عن **سعيد** بن **المسيّب** عن **عامر** بن **سعد** بن **ابى-وقّاص** عن ابيه ، قال :

«قال رسول الله (ص) لعلىٍّ :

«اَنْتَ مِنّىْ بِمَنْزِلَةِ هٰرونَ مِنْ مُوسىٰ اِلّا اَنَّه لا نَبِىَّ بَعْدِىْ»

«قال **سعيد** : فاحببتُ ان اُشافهه بها **سعداً** . فلقيتُ **سعداً** ، فحدثتُه بماحدّثنى به **عامر** .

١- فى الجزء الخامس (الصفحة ال ١٩ من طبع بولاق بامر السلطان عبدالحميد) هذه الرواية مسندة عن **البخارى** عن **ابراهيم** بن **سعد** بن **ابى وقاص**.

فقال : اناسمعته . قلت : انت سمعتَه ؟ فوضع اصبعه على اُذُنيه فقال : نَعَمْ و الّا فاستَكَتا »[١] .

و منها :

« عن **احمد** بن **حنبل** و عن **ابى المؤيّد موفّق بن احمد الخوارزمى** بنديهما عن **زيد** بن **ابى اوفى** قال :

« دخلتُ على رسول‌الله (ص) فى مسجده و قد آخا بين اصحابه فقال **علىّ** : يا رسول‌الله فعلتَ باصحابك وما فعلتَ بى فقال صلّى‌الله عليه وآله :

« وَ الَّذِى بَعَثَنِى بِالْحَقِّ نَبِيّاً اَخَّرْتُكَ لِنَفْسِى ، فَأَنْتَ مِنِّى بمنزلة هٰرُون من مُوسىٰ الّا انه لا نَبِىَّ بَعْدِىْ ، فأنتَ اَخِىْ و وارِثِىْ وَ اَنْتَ مَعِىْ فى قَصْرِى فى الْجَنَّةِ مَعَ ابْنَتِىْ **فاطمة** و اَنْتَ رفيقى .

ثمّ قرأ : اِخْوَاناً عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِين »[٢]

و منها :

« عن صحيح **ابن ماجة** ، بأسناده عن **سعد** بن **ابى وقّاص** ، قال :

«قدِمَ **معاوية** فى بعض حجّاته فدخل عليه **سعد** فذكروا **عليّاً** فنال منه ، فغضب **سعد** فقال : تقول لهذا الرّجل ؟ ! سمعتُ رسول‌الله (ص) يقول :

«مَنْ كُنْتُ مَوْلاه فَعَلِىٌّ مَوْلاهُ »

و سمعته يقول :

« اَنْتَ مِنِّىْ بمنزلة هٰرون من موسى ، الّا انه لانبىّ بعدى »

و سمعته يقول :

١- استك : صم . قال ابن‌سبحان على مافى‌الاغانى :

فان كان نادىٰ دعوةً فسمعتُها
فشلّتْ يدى واستكّتْ منّى المَسَامِعُ

٢- الاية ال٤٧ من السورة ال١٥ (الحجر) .

«لأعطين الراية اليوم (غداً) رجلاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله»[1].

وفى صحيح البخارى[2] بأسناده عن مصعب بن سعد عن ابيه : انّ رسول الله (ص) خرج الى تبوك واستخلف علياً فقال : اتخلّفنى فى الصّبيان والنّساء ؟ قال (ص) :

« الا ترضى ان تكون منّى بمنزلة هٰرون من موسى ، الا انّه ليس نبىٌّ بعدى ؟ »

وفى صحيح البخارى ايضاً[3] فى «باب مناقب علىّ بن ابى طالب القرشىّ الهاشمى ابى الحسن رضى الله عنه » : و قال النّبى لعلىّ عليه السّلام : « انت منّى و انا منك » .

و روى البخارى ايضا عين هذه الجملة فى باب عمرة القضاء (الجزء الخامس الصفحة ال ۱٤۱) فى قضية ابنة حمزة .

ولنجعل ختام الكلام فى هذا المقام مارواه ابن حجر العسقلانى الشافعىّ (۷۷۳ ـ ۸۵۲هـ . ق) (الجزء الرابع الصفحة ال ۱۷۰) بالأسناد عن ابى ليلى الغفارى، انّه قال :

«سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول :

« سيكون من بعدى فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علىّ بن ابى طالب فانّه اوّل من آمن بى واوّل من يصافحنى يوم القيامة ، وهو الصّدّيق الأكبر ، وهو فاروق هٰذه الأمّة ، وهو يعسوب المؤمنين و المال

على يعسوب المؤمنين

۱ـ قد اوردنا بعض ماورد فى الصحيح (الجزء الخامس) فى هذا الشأن. و فيه ايضا بأسناد البخارى « عن سلمة ، رضى الله عنه ، قال : كان على ، رضى الله عنه ، تخلف عن النبى (ص) فى خيبر وكان رمداً. فقال : انا اتخلف عن النبى ؟! فلحق فلما بتنا الليلة التى فتحت قال : «لاعطين الراية غداً ، او ليأخذن الراية غداً ، رجل يحبه الله و رسوله ، يفتح عليه» فنحن نرجوها. فقيل : هذا على. فأعطاه ففتح عليه» .

۲ـ الجزء السادس ـ الصفحة ال ۳۱ ـ (طبع بولاق) .

۳ـ الجزء الخامس .

يَعْسُوبُ الْمُنافِقِيْن»[١].

١٨٣- تلخيص المقال فى هذا المجال

والآن، وقدكنّا فى بيت النبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم حال احتضاره وامره باتيان الكتاب و الدّواة و شاهدنا ما وقع هنُا من اللّغط و الجدل فقادنا نظم الكلام الى الأشارة بنبذة يسيرة ممّا وردعنه (ص) فى شأن علىّ توطئة لماسنراه من حديث السّقيفة و بعده ، فلنلخّص المقال و نرجع الى سرد حديث وفاة النبى (ص) وما حدث بعدها فنقول :

لم يجعل النبى (ص) احداً اميراً على على

خلاصة القول : انّ الرّسول قد اكمل التّعريف بمقام علىّ عندالله وعنده وفى الأمّة و بموضعه منه ، و باختصاصه به ، و بأنّه شأن من شأنه ، و حسنة سامية من حسناته ، كلّ ذلك فى مَدىٰ حياته ولا سيّما قُبيل وفاته بعد رجوعه من حجّة وداعه فى موضع غدير خُم ، و اشار بانّ ذلك التّعريف والتّعيين من اكمال الدّين ، واتمام النّعمة ، و ابلاغ ما اُنزل اليه من الرّسالة واتمّ التّعريف بالأيصاء اليه بأن يؤدّى دينه و ان يتولّىٰ غسله وكفنه و دفنه .

و بالجملة انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم اعلن فى موارد متعدّدة متناسبة و باساليب مختلفة فى التعبير ، متفقة فى الوصف و التّعريف ، موضعَ علىّ من نفسه (ص) ، واظهر علوّ شأن علىّ فى مقام القرب الى الله و قرابته ، فى الجسم والرّوح منه (ص) ، و امتيازه فى الفضل و الفضيلة عمّن سواه ، و استحقاقه لأن يكون له المولويّة و الخلافة .

و لذلك كما تعتقد الشّيعة و تصرّح به لم يجعله مَدىٰ حياته تحت امارة غيره

١- و فى جمع الجوامع (المعروف بالجامع الكبير) لجلال الدين السيوطى : «ان هذا اول من آمن بى ، وهذا اول من يصافحنى يوم القيامة ، و هذا الصديق الاكبر ، و هذا فاروق هذه الامة ، يفرق بين الحق و الباطل ، و هذا يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب الظالمين» (قاله لعلى)

ولم يُدخله فی جيش اُسامة الّذی اَدْخل فيه اکابرَ الصّحابة کأبی‌بکر وعمر (رض) و غيرهما و امرهم بالخروج معه تحت امارته [۱].

ختام الکلام

و لنجعل الختام فی هذا الباب ما اورده جلال الدين السيوطی (۸۴۹ - ۹۱۱ ه . ق) فی کتابه جمع الجوامع (المعروف بالجامع الکبير) عن النبی صلّی‌الله عليه وآله وسلّم:

«انّ وصيّی وموضعَ سرّی وخيرَ من اَترک بعدی و ينجِزُ عِدَتی و يقضی دَيْنی علیٌّ بن ابی‌طالب» و نقل الحديث عن:

«مجمع‌الزوائد (ج۹ الصفحةال ۱۱۳) کتاب المناقب، مناقب علیّ‌باب، فی مااوصی به رضی‌الله عنه» وقال: و عن سلمان قال: قلت:

«يا رسول‌الله انّ لکلّ نبی وصيّاً فمن وصيُّک؟ فسکت عنّی. فلمّا کان بعدُ رآنی فقال:

«يا سلمان فاسرعت اليه. قلت لبّيک قال:

«تعلم من وصیّ موسی؟ قلت نعم، يوشع بن نون. قال: لِمَ؟ قلت: لأنّه کان اعلمهم يومئذٍ. قال:

«فانّ وصيّی وموضع سرّی . . . و ذکر الحديث. وقال رواه الطبرانی . . .)

۱- انتخاب **اسامة** وهو شاب لم يتجاوز سنه ثمانية عشر سنة، لهذا المهم و امارته علی شيوخ الصحابة واکابرهم مثل **ابی‌بکر** و **عمر** و اضرابهما مضافاً الی ماتعتقده‌الشيعة فی توجيهه من اخلاء المدينة عن من يحتمل ان يطمع فی الخلافة و يصير مانعاً لخلافة **علی** يحتمل ان يکون لاخضاع الاکابر و الشيوخ لمن کان سنه اقل منهم فاذا وقع لهم الانقياد و الخضوع لاسامة، وسنه سنه، فلعله يسهل عليهم الانقياد لعلی و سنه ينيف علی ثلاثين سنة و يقرب من اربعين ولايعتذرون بأنه اقل سناً منهم.

«إنَّ بَيْعَةَ أبى بَكْرٍ فَلْتَةٌ وَقَى اللهُ شَرَّهَا .
فَمَنْ عَادَ الىٰ مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ »
(مأثور عن عمر ، رض ،)

خلافة ابى بكر و ماوقع فى ايّامها

١١ـ حول الخلافة والخليفة :

١ـ السّقيفة و تعيين الخليفة .
٢ـ الاجتماع فى السّقيفة .
٣ـ السّقيفة تحت المداقّة.
(وفيها ايراد امور سبعة جديرة بالتأمّل)
٤ـ اجتهاد القوم.
٥ـ اهل البيت احقّ بالأمر .
٦ـ الأتّفاق للأبتزاز .
٧ـ البيعة او الاجماع .
٨ـ حديث الفلتة .
٩ـ كتمان امر السقيفة.
١٠ـ اباحة قتل الصّحابى .
١١ـ قتل سعد بن عبادة (الصحابى المكرّم)

١٨٤ـ السّقيفة و تعيين الخليفة

وردت عن النّبى (ص) ، كما دريت ، تلويحات و تصريحات بتعريف علىّ ، و وصف شأنه و تعيين حقّه ، و شاعت بين النّاس و دارت على الألسنة والأفواه فكان يحقّ لعلىّ ان يؤكّد فى نظره و رايه انّه لا يكاد يخطر ببال احد ان ينازعه فى ما هو حقّه فكيف بارادته ان ينتزع عنه ماخوّله الله و رسوله من الحقّ و يصرف عنه الولاية والخلافة ولاسيّما بتلك السّرعة والعجلة اى حين كان جسد الرّسول المطهّر بين ايديهم لم يُغسل ولم يُدفن بعدُ ! (كما صرّح بذلك نفسه فى بعض خطبه)

ولكنّ الدّهر ذوشئون فيأتى بعجائب لا يكاد تصدّقه العقول ، و لا يوشك ان يتصورها الصافيه من القلوب .

قال **ابن ابى الحديد** فى شرحه على «نَهج البلاغة» بعدَ مانقل تأكيد الرّسول و تشديده لخروج **اسامة** و جيشه فى مابعثه ، و تثاقُل **اُسامةَ** و تساهُل بعض الصّحابة واشتداد غضب رسول الله (ص) لذلك و رجوع اسامة مع **ابى بكر** و **عمر** و**ابى عبيدة** لمّا ظهر لهم آثار وفاة الرّسول . صلّى الله عليه وآله و سلّم ، الى المدينة :

« فانتَهَوا الى رسول الله ، صلّى الله عليه و آله ، حين زالت الشّمس من يوم الأثنين وقد مات، واللّواء مع **بُرَيْدَةَ** بن **الخصيب** . فدخل باللّواء فركزه عند باب رسول الله، وهو مغلَق و **علىّ** و بعض بنى هاشم مشتغلون بأعداد جهازه (ص) وغُسله .

اقتراح العباس لعلى، البيعة وكيفية المكالمة بينهما

« فقال **العبّاس** لعلىّ ، و هما فى الدّار .

« اُمْدُد يدَك ، ابايعك فيقول النّاس : عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلايختلف عليك اثنان [1] .

١ـ **هذا الاقتراح من العباس** وهو ، هو ، فى عقله و تدبيره و تحنكه وشيخوخته

بقية الحاشية فى الصفحة الاتية

«فقال له :

«اَوَ يَطْمَعُ فيها طامعٌ غيرى ؟

«قال : ستعلم !

« فلم يلبثا ان جائهما الأخبار بانّ الأنصار اَقعَدَتْ **سعداً** لتبايعه و انّ **عمر** جاء بابى‌بكر فبايعه و سبق الأنصار بالبيعة . »

١٨٥ـ علىّ (ع) و اشتغاله بتجهيز الرسول (ص)

اجابَ الرّسول داعىَ الحقّ ولبّاه ، و فاز بما يتمنّاه من الأنتقال الى جوار الله و لُقياه ، وكان **علىٌّ** مملوء القلب من الحزن و الغمّ ، مشغول البال بمااصابه من عظيم المصيبة ، لايكاد يخطر بباله موضوع الخلافة ولا يُهِمّه الّا خطر فقد الحبيب . . .

على انّ مثله مع ذلك المقام الشّامخ الطّاهر ، و تلك الكلمات الواردة من الرّسول بشأنه و فى حقّه ، لابدّ و ان يكون ، بحسب العادة ، فى اطمئنان القلب ، و انشراح الصّدر ، و فراغ البال من ذلك الجانب ، جانب الخلافة .

و كيف كان فتولّى ماكان عليه ان يتولّية فاشتغل بتجهيز الرّسول بالغُسل والكفن و الدفن .

كان **علىّ** فى شغل شاغل من امر التّجهيز و لا يخطر بباله ماكان فى سقيفة

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

وقربه من رسول‌الله (ص) وعلاقته بالاسلام وكونه اسن من على **يرشد الى امور:**

منها استحقاق على للخلافة عن الرسول.

و منها اولويته من غيره.

و منها عدم مانع لقبول العرب ، اوالقوم خلافتها ، بعذرالسن او بعذر الثار اوبعذر عدم جواز اجتماع الخلافة والنبوة فى بيت كما تفوه بذلك.

و لعمر العدل و الانصاف لو قدمه من اخره و خضع له من منعه و ساعده من عانده لتمايلت القلوب اليه و تمالات القوم عليه بل و خضعت رقاب العرب و العجم لديه.

بنى ساعدة فى حال التكّون والتحقّق فقد تمالأت فيها عدّة لا يخلو جمعهم ممن لم يؤثر الأسلام بعدُ فى طبائعهم الجاهليّة القاسية اثره العميق الرّاسخ ولم يستأصل عروق الغرور و الخُيلاء و النخوة من نفوسهم ، ولم يَبْرَح بقايا حبّ النفس والجاه و ارادة العُلوّ و الرئاسة و الأستكبار فى قلوبهم ، فاجتمعوا للبحث عن الخلافة و تعيين الخليفه و دار البحث بينهم و انجرّ الكلام الى المجادلة والمشاحنة حتى اوشك ان ينجرّ الأمر الى مالا تُحمَد عاقبته .

۱۸٦ـ اجتماع الأنصار فى السقيفة

خلاصة القول : لمّا اجتمعت الأنصار فى السّقيفة وصل خبر السّقيفة و ماكان يجرى فيها الى **عمر** (رض) فهتف **بابى بكر** (رض) فأسرعا الى السّقيفة و لقيا **اباعبيدة الجرّاح** (رض) فذهبوا اليها وكانت غاصّةً باهلها من الأنصار ، فارغة عن المهاجرين الابرار وكان ظاهر الامر انّهم يريدون ان يبايعوا **سعد بن عبادة** رئيس الخزرج وكبيرهم . وكانوا «اخرجوه اليهم» ، وهو مريض لايقدر على الحركة وعلى الأسماع ، «فأقعدته الأنصار ليبايعه» و او شك الامر ان يتمّ له ففاجاهم ورود المهاجرين الثلاثة : **ابى بكر و عمر و ابى عبيدة** . ورود المهاجرين الثلاثة بسقيفة

قال **الطّبرى** فى تاريخه[1] :

«فتكلّم **ابوبكر** فلم يترك شيئاً نزل فى الأنصار و لا ذكره رسول الله صلّى الله عليه و سلّم من شأنهم الّا وذكره . وقال : لقد علمتم انّ رسول الله (ص) قال :

۱ـ قال الطبرى فى تاريخه (بعد قضية غزوة حنين و اعطاء الرسول (ص) الغنائم فى قريش و قبائل العرب دون الانصار ، و بعد ذكر تأثر الانصار و تألمهم من ذلك ، و امر الرسول **سعد بن عبادة** ان يجمع قومه ، و اجتماعهم بأمر الرسول (ص) لاستماع كلامه (ص) : قال فى آخر ماقال لهم : « فوالذى نفس محمد بيده ، **لولا الهجرة لكنت** امرأ من الانصار. ولو سلك الناس شعباً و سلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار. اللهم ارحم الانصار و ابناء الانصار و ابناء ابناء الانصار . . . »

« لَوْ سَلَكَتْ النّاسُ وادياً وَسَلَكَتِ الأنْصارُ وادِياً سَلَكْتُ وادِيَ الأنْصار »
ولقد علمتَ يا **سعد** انّ رسول‌الله قال ، وانت قاعد ، : قريش وُلاةِ هٰذا الأمر . . . »
ثمّ بعد مجادَلات بويع **ابوبكر** .

قال **الطّبرى** ايضا فى تاريخه :

« . . . فقالت الأنصار ، او بعض الانصار ، لا نُبايِعُ اِلّا عَلِيّاً »

و فى رواية من **الطّبرى** بأسناده :

«وا ُتى **عمرُ** الخبرَ (يعنى خبر الأجتماع فى السّقيفة) فأقبل الى منزل النّبىّ (ص) فارسل الى **ابى بكر** ، و **ابوبكر** فى الدّار و **علىّ** بن **ابى طالب** عليه‌السّلام دائبٌ فى جهاز رسول‌الله ، فأرسل الى **ابى‌بكر** ، ان اخرُج الىّ . فأرسل اليه انّى مشتغل . فأرسل اليه : انّه قد حدث امر لابدّ لكَ من حضوره . فخرج اليه .

« فقال : امّا علمتَ انّ الأنصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى‌ساعدة ، يريدون ان يولّوا هذا الأمر **سعد** بن **عُبادة** ؟ و احسنهم مقالةً من يقول : منّا امير ومن قريش امير . فمضيا مسرِعَيْن نحوهم فلقيا **ابا عبيدة** بن **الجرّاح** . فتماشَوْا اليهم ثلاثتهم... »

١٨٧- السّقيفة تحت المداقّة

ممّا يجدر بالمنصف ان يتوقّف عنده ويتأمّل فيه من ماجرايات قضيّة السّقيفة امورٌ اوردها ابوجعفر **محمّدبن جريرٍ الطّبرى** (مرجع المؤرّخين ومعتَمَدُ المفسّرين) فى تاريخه و نحن نوردها هنا مراعياً فى نقلها عين الفاظها وهى هذه :

الأوّل :

«انّ الأنصار ، او بعض الأنصار ، قالت : لانبايع الّا علياً»

هذاما نقله **الطّبرى** ويناسبه مانقله **ابن ابى الحديد** عن كتاب « السّقيفة » لابى بكر **احمد** بن **عبدالعزيز** الجوهرى انّه روىٰ عن **حباب** بن **يزيد** عن **جرير** بن **المغيرة** :

«ان سلمان و الزبير والأنصار كان هويٰهم ان يبايعوا علياً عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه و سلم . . . »

ارادة الشيخين ان يبايعا علياً

بل و نقل عن ابى بكر الجوهرى ايضا انه قال فى ذلك الكتاب :

« وسمعت ابازيد عمر بن شبة يحدث رجلا بحديث لم احفظ أسناده قال :

« مر المغيرة بن شعبة بأبى بكر و عمر ، وهما جالسان على باب النبى (ص) حين قبض . فقال :

«ما يقعد كما ؟

«قالا :

«ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه ، يعنيان علياً ،

«قال :

« اتريدون ان تنظروا حبل الحبلة [١] من اهل هذا البيت ؟ ! وسعوها فى قريش تتسع [٢] .

١- «ونهى عن بيع حبل الحبلة» ، بتحريكهما : اى فى مابطن الناقة، اوحمل الكرمة قبل ان تبلغ او ولد الولد الذى فى البطن ، وكانت العرب تفعله»

(قاموس)

و فى « الصحاح » : «و حبل الحبلة نتاج النتاج و ولد الجنين . و فى الحديث: نهى عن حبل الحبلة ... و ربما جاء بالتسكين» .

قال ابو نعيم ، فى الحلية بعد ما قال عن مالك عن نافع عن ابن عمر « ان النبى (ص) نهى عن بيع حبل الحبلة»: مشهور من حديث مالك فى الموطأ .

٢- لايخفى على الناظر ان هذا النقل لايوافق مانقلوه وما اوردناها من حديث السقيفة فى هذه الاوراق ولايلائم ايضاً مايراه الصاحبان ، ولا سيما الثانى منهما فى امر الخلافة .

فان كان النقل صدقا و الحديث صحيحاً يمكن ان يكون هناك امر رآه الشاهد ولايراه الغائب كان بحسبه لازماً ان يراقب و يتدارك .

وكيف كان فما نسب الى المغيرة من القول لايخلو عن سلائمة شديدة لما عرف فى التاريخ من طور فكر هذا الصحابى الداهى و ظهوره فى اعماله و اقواله .

«قال : فقاما الى سقيفة بنى‌ساعدة»

الثاني :

انه كان الاحتجاج على من اراد الولاية من الأنصار ، للانصار ، بأن النسبة الى قريش والقرابة من النبى (ص) تكون لها شأنها الخاص ، و اثرها اللائق بها فى امر الولاية و الخلافة ، فعلى رواية انه (ص) قال : الأئمة من قريش، وعلى رواية اخرى قال : «قريش وُلاة هذا الأمر»[1]

احتجاج ابى بكر وعمر لصرف الامر عن الانصار

وقال **ابوبكر** (رض) فى تقرير الأحتجاج و تأكيده :

« . . . فهم اول من عبدَ الله فى الأرض و آمن بالله و بالرسول و هُم اولياؤه و عشيرته ، و احقُ الناس بهذا الأمر من بعده ، و لا ينازعهم ذلك الا ظالم . و انتم يا معشر الأنصار من لايُنكَر فضلُه فى الدين . . . »

وقال **عمر** (رض) فى كلام عارَضَ به **حباب** بن **المنذر** فى السقيفة فى ماقال :

١- لايذهب عليك ان مفاد امثال هذه الروايات (ان فرضت صحة صدورها) ليس انشاء حكم ايجابى بل يكون مصاغها الاخبار و يظهر ذلك مما رواه **الخطيب البغدادى** فى تاريخه (ذيل **عبدالله** بن **محمد** بن **ابى‌الاسود** (المتوفى سنة ٢٢٣هـ. ق) - الجلد العاشر- الصفحة ال٨٢ ١ -) بأسناده عن **عمرو** بن **العاص** قال النبى صلى الله عليه وسلم : «الناس تبع لقريش فى الخير و الشر» و مما رواه ايضا (فى المجلد العاشر- ٣١٥ -) ذيل ترجمة **عبدالله** بن **ابى‌مقاتل**) بأسناده « ... ثم قال النبى (ص) « . . . اما بعد يا معشر قريش فأنكم ولاة هذا الامر » . و اظهر من الروايتين فى الاخبار ما ورد فى تاريخ **الطبرى** (الجزء الثاني - الصفحة ال٤٤٤ -) فقد روى بأسناده (قضية سقيفة) :

«... فتكلم ابوبكر فلم يترك شيئاً نزل فى الانصار ، ولا ذكره رسول‌الله من شأنهم الا و ذكره.

«وقال : لقد علمتم ان رسول‌الله قال : لو سلك الناس وادياً و سلكت الانصار واديا سلكت وادى الانصار.

«ولقد علمت ياسعد ان رسول‌الله قال ، وانت قاعد ، : قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم و فاجرهم تبع لفاجرهم...»

«. . . ولنا بذلك على مَنْ ابىٰ من العرب، الحجّة الظاهرة والسّلطان المبين.
«مَن ذا ينازعنا سلطانَ محمّد و إمارتَه [١] ونحن اولياؤُه وعشيرتُه الّا مُدْلٍ بباطل او متجانفٍ لأثم او متورّط فى هَلَكَة ؟»

١٨٨ - اسئلة حول الاحتجاج

ولا على الباحث المنصف ان يمكث هنا هُنَيْهةً و يتأمّل الأحتجاج ويحلّلها فيرىٰ بما ذا يصحّ ان يجاب علىٌّ و شيعتُه ان سألوا :

اولاً : امّا قال الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على مانقله ابوبكر نفسه :
«لَوْ سَلَكَتْ النّاس وادياً . . . لسلكتُ وادىَ الانصار . . .» ؟

النظر فى الاحتجاج

ثمّ اماّ اجتمعت الأنصار على **سعد** بن **عبادة** ؟ بل اما اجتمعت على **علىٍّ** فقالت : «لانُبابيع الّا علياً»؟ فلِمَ لم يسلكوا سبيل الأنصار وماعذرهم فى عدم الأُسوة بالنّبىّ المختار ؟

هَبْ انّ لهم العذر بالنّسبة الى **سعد** بن **عبادة** بانّه لم يكن من قريش و صحّ عندهم انّ «الائمّة من قريش» فماعذرهم بالنّسبة الى علىّ و سلوك الأنصار وادىَ بيعته بقولهم «لانبايع الّا عليّا» اماكان هو ايضا من قريش ؟!

و ثانياً : اذاكان الملاك فى الأحتجاج و الأستدلال لزوم كون الخليفة من قريش و لزوم كونه « اوّل من عبدالله و اوّل من آمن بالله و بالرّسول ، وكان مناط الأحقيّة بهذا الأمر كونه من اوليائه و عشيرته ، فهل كان فى قريش احد اولىٰ و احقّ من علىّ

١- و فى المنقول عن كتاب السقيفة **لابى بكر الجوهرى** :
«... لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا و السلطان على من نازعنا. من ذا يخاصمنا فى سلطان محمد و ميراثه و نحن اولياؤه؟...».
و مما يستلفت النظر فى هذا المنقول كلمة «و ميراثه» وكلمة «سلطان محمد» وكلمة «و نحن اولياؤه» فيه و فى مانقل فى المتن.

بهذا المناط ؟ اماكان هو اوّل من آمن و صدّق ؟ اما كان هوالّذى عبد و صلّىٰ سنين لم يكن احد غيره وغير **خديجة**، امّ المؤمنين، ؟ وهل كان فى عشيرة الرّسول واوليائه احد اقرب رحماً منه اليه (غير **العبّاس** ، الّذى يقترح على **علىّ**، البيعة) واخصّ به منه ، و آثر واحبّ لديه عنه ، و اقرب عنده ، كى يكون بخلافة الرّسول احقّ منه ، ولا يكون فى منازعته له ، فى حقّه « مُدْلٍ بباطل » ، او « متجانف لأثم » ، او ظالم متجاوز و متعدّ متجاسر ؟

و لْنَذَرْ ما تقوله شيعة **علىّ**، او يصحّ ان تقول هنا ، فى سنبله ، و ننظر الى **علىّ** نفسه ، و نصغى مايقوله فى هذا المقام :

فمن كلام له (ع) لمّا انتهت اليه انباء السّقيفة بعد وفاة رسول الله (ص) ، قال عليه السّلام :

« ما قالت الأنصار ؟

قالوا : قالت : منّا امير و منكم اميرٌ .

قال :

فهلّا احتججتُم عليهم بانّ رسول الله وصّىٰ بأنْ يُحْسَن الى محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ؟

الاحتجاج بالشجرة واضاعة الثمرة

قالوا : وما فى هذا من الحجّة عليهم ؟

فقال : لوكانت الأمامة لهم لم تكن الوصيّة بهم .

ثمّ قال : فما ذا قالت قريش ؟

قالوا : احتجّت بانّها شجرة الرّسول .

فقال : احتجّوا بالشّجرة و اضاعوا الثّمرة » .

فليُنظر الى هذا الكلام « احتجّوا بالشّجرة . . . » و ليتأمّل فيه كيف احتجّ عليهم بعين مااحتجّوا لهم فاستدلّ لنفسه بعين ما استدلّوا ، بامتن تعبير . فما الطفه و اظرفه استدلالاً ؟ .

و فى نَهْج البلاغة ، بعد كلام طويل له عليه السلام ، :

« و اعَجَباه اتكون الخلافة بالصَّحابة والقرابة . . . ؟» قال الشَّريف الرَّضى ، رحمه الله ، : و رُوى شعر له فى هذا المعنى :

« فإن كنتَ بالشُّورىٰ ملَكْتَ امورهم
فكَيْفَ بهذا و الْمُشيرونَ غُيَّبٌ ؟
وان كنتَ بالقُرْبىٰ حَجَجتَ خَصيمهم؟
فَغَيْرُكَ اَوْلىٰ بالنَّبِىِّ و اَقْدَمُ »

١٨٩ - السّؤال الثّالث هل كانت البيعة سالمة عن الأغراض الفاسدة ؟

وثالثاً :

انّه اما كانت فى صرف الأمر عن **سعد بن عُبادة** ، سيّد الخزرج ، بعد ماكاد ان يتمّ له ، وفى عطفه الى **ابى بكر** وتمامه له ، عوامل قويّة من الحسد والعصبيّة والمنافسة القوميّة والسّياسة الشّخصيّة ؟!

ابن عم سعد وحسده عليه

وذلك انّ **بشير بن سعد** ، وهو ابن عمّ **لسعد بن عبادة** ، كان حاسداً عليه فى رئاسته ، ومنافساً له على مقامه و مكانته ، لايكاد يتحمّل رئاسة ابن عمّه على خاصّة قبيلته ، الخزرج ، فكيف يرضى ويتحمّل ان يريٰه خليفة الرّسول واميرالمؤمنين و رئيساً على عامّة القبائل من المسلمين ؟

هذا ، ومن جانب آخر كانت الأوس و الخزرج فى الجاهليّة اعداءً فالّف الله بينهما بالأسلام واصبحتا بنعمته اِخواناً فلمّا رات «الأوس» فى السّقيفة « ما تطلب الخزرج من تأمير **سعد بن عبادة** قال بعضهم لبعض ، وفيهم **اُسَيْد بن حُضَيْر** ، وكان احد النّقباء : وَالله لئِن وليتها الخزرج عليكم مرّةً لازالت لهم عليكم بذلك ، الفضيلة ولاجعلوا لكم معهم نصيباً ابدا » .

كان الأمر على ما علمتَ فى قبيلة الخزرج نفسها من التّنافس والتّحاسد وهكذا كان الأمر بين القبيلتين : الخزرج والأوس ، ولذلك لمّا تمّ كلام **ابى بكر** فى السّقيفة وتكلّم **حباب بن المنذر**[1] من الأنصار بكلامه المشهور :

---

١ - « **الحباب المنذر** الجموح ... شهد بدراً و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة . . .

←

« يا معشر الأنصار املكوا عليكم امركم... اناجُذَيْلها المحكَّك وعُذَيْقها المُرجَّب فأنتم والله احقّ بهذا الامرمنهم . . . »[١] وعارضه **عمر** على ذلك وقال في ما قال :

«ولنا بذلك على من ابىٰ من العرب، الحجّة الظاهرة....الخ» ودار الكلام بينهما وصار الى الخشونة والغلظة حتى قال **عمر** له: « اذاً ليقتلك الله » وقال هولعمر: « بل ايّاك يقتل » وحينئذ فقال **ابوعبيدة**:

« يا معشر الأنصار انّكم اوّل من نصر وآزر فلاتكونوا اوّل من غيّر»[٢].

١٩٠ - اوّل من بايع ابابكر

هيهنا انتهز **بشير بن سعد**، ابن عمّ **سعد بن عبادة**، الفرصةَ واغتنمها فتكلّم ونصح الأنصاروحذّرهم من مخالفتهم ومنازعتهم وقال في ما قال :

←

وكلهم ذكره في البدريين، الا **ابن اسحق** في رواية **سلمة** عنه. وكان يقال له: «ذوالراى» وهوالذى اشار على رسول الله ان ينزل على ماء بدر للقاء القوم . قال **ابن عباس** فنزل جبريل عليه السلام فقال : « الراى ما اشار به **حباب** » وشهد احد والخندق و المشاهد كلها مع رسول الله (ص) وهو القائل يوم السقيفة « انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير » مات **الحباب المنذر** في خلافة عمر... » (الاستيعاب).

---

١ ـ الجزء الثاني من « الكامل » (الصفحة ال ٢٢٣) والطبرى.

٢ ـ وفي تاريخ **اليعقوبي** « وقام **عبدالرحمن** بن **عوف** (بعد **ابي عبيدة** - وعلى هذا كان المهاجرون اربعة -) و تكلم فقال :

« يامعشرالانصار انكم وان كنتم على فضل فليس فيكم مثل **ابي بكر وعمر وعلى**.

« وقام **المنذر بن الارقم** فقال :

« ماندفع فضل من ذكرت، وان فيهم لرجلا لوطلب هذا الامر لم ينازعه فيه احد، يعني **على بن ابي طالب**. »

التنافس والتحاسد فى الخزرج وبينها وبين الاوس

«الا ان محمداً من قريش وقومه احق به واولى وايم الله لايرانى الله انازعهم فى هذا الأمر ابداً».

وحينئذ اُتيح لأبى بكر (رض) ما يركن اليه و يتقوى به فى ما دبّر واراد فأشار الى صاحبيه، **عمر** و **ابى عبيدة**، ودعى الانصار الى بيعة من اختاروه منهما وردّ الصاحبان عليه بأنه احق لتولى الأمر وقالا له:

«ابسط يدك نبايعك».

«فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما اليه **بشير بن سعد** فبايعه.

«فلما راى **الحباب بن منذر** ذلك من بشير، وكان يُعرف الحسد والمنافسة منه لسعد، ناداه:

«يا **بشير بن سعد** عققت عقاقاً ما احوجك الى ماصنعت؟ انفست على ابن-عمك الأمارة؟».

هكذا روى **الطبرى** فى تاريخه (وابن الأثير فى كتابه «الكامل») و روى **ابن ابى الحديد** عن كتاب السقيفة لأبى بكر الجوهرى، بعدنقل قول **ابى بكر** لعمر (رض): «هلم نبايعك» وقول **عمر** له «بل اياك نبايع»:

«**قال عمر**: فكنت اول الناس مدّيده الى ابى بكر فبايعه، الا رجلا من الأنصار، ادخل يده بين يدى ويد ابى بكر فبايعه قبلى».

فكان **بشير بن سعد الخزرجى** من الأنصار هوالذى فتح باب البيعة و بعد بيعته وصل دور **اُسيد الاوسى**.

فلما راى **اُسيد بن حضير** ما فعله **بشير** من مبادرته الى البيعة، وهو من الخزرج وابن عم للمترشح للأمارة والخلافة، سهل عليه الأمر فقام وبايع **ابابكر**.

و فى الأغانى (الجزء ال ١٤ ـ الصفحة ال ١٤ ذيل ترجمة **نعمان بن بشير بن سعد**:

«... وله صحبة بالنبى صلى الله عليه وسلم ولأبيه **بشير بن سعد** ... وابوه **بشير بن سعد** اول من قام بوم السقيفه من الأنصار الى **ابى بكر**، رضى الله عنه، فبايعه ثم توالت الأنصار فبايعته ...»

قال ابوبكر **احمد بن عبدالعزيز** ، على ما نقل عنه **ابن ابى الحديد** :

« فلمّا راىٰ **بشير بن سعدالخزرجي** ما اجتمعت عليه الأنصارمن تأمير سعد بن عُبادة ، وكان حاسداً له وكان من سادة الخزرج قام فقال :

« ايّها الانصارانّا وان كنّا ذوى سابقة ... انّ محمّدا رجل من قريش وقومه احقّ بميراث امره . وايْمُ الله لايرانى الله اُنازعهم فى هذا الأمر . فاتّقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم ».

مبايعة بشير واسيد حسد او منافسة

« فقام **ابوبكر** وقال :

« هذا **عمر** و **ابوعبيدة** [1] ايّهما شئتم ....

« فلمّا بسط يده وذهبا ليبايعانه سبقهما اليه بشير بن سعد.

« فنادىٰ **حباب المنذر** :

« يا بشيرعقّكَ عقاقاً ، والله ما اضطرّك الىهذا الأمرّالا الحسد لأبن عمّك.

« ولمّا رأتالأوس انّ رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايعَ قام **اُسيدبن حُضير** ، وهورئيس الأوس فبايع حسداً لسعد ايضا ومنافسةً له ان يلى الامر ، فبايعت الأوس كلّها لمّا بايع **اُسيد**».

وقال **الزّبير بن بكّار** فى كتابه «الموفّقيّات» (بنقل **ابن ابى الحديد** ايضاعنه) :

« وذكر **محمد بن اسحق** انّ الأوس تزعمُ انّ اوّل من بايع ابابكر **بشير بن سعد** . وتزعمُ الخزرج انّ اوّل من بايع **اُسيد بن حُضَيْر** » .

وكيف كان فقالت الأنصار بعضهم لبعض : « فقوموا فبايِعوا **ابابكر** فقاموا اليه فبايَعوه فانكسر على **سعد بن عبادة** وعلى الخزرج ماكانوا اجمعوا له من امرهم » .

---

[1] - يظهر من هذه العبارة ان **عبدالرحمن بن عوف** ، او غيره من المهاجرين ، لم يكن فى السقيفة.

١٩٣ - السّؤال الرّابع كيف اكتملت البيعة مع عدم حضور الأكابر؟

و رابعاً:

اليس ممّا اتّفق عليه الكلّ انّه وقعت البيعة على ما وقعت ولم يكن فى السّقفية وقتئذٍ من المهاجرين عدّة من الأكابر؟

فما كان هناك **علىّ**، ابن عمّ الرّسول وصهره واخوه، وماكان ايضاً **عبّاس**، عمّ الرّسول، **وعثمان** ذوالنّورين، **والزّبير**، حوارىّ الرسول، **وطلحة وسعد بن ابى وقّاص و عبدالرحمن بن عوف** (على اكثر الرّوايات وعلى ما يستظهر من كلام ابى بكرحين اقتراح البيعة) وغيرهم من قريش واكابرهم وماكان هناك **سلمان وابوذر ومقداد وعمّار** و اضرابهم العظماء من اصحاب الرّسول، المهاجرين البدريّين، والّذين قام بجهدهم وجهادهم، النّاشى من خلوص ايمانهم عمودالأسلام، ولم يكن فى السّقيفة ايضا **أسامة بن زيد** الّذى كان بأمرالرّسول اميراً عليهم وكان عليهم ان لايتخلّفوا عنه.

كانت عدّة من حضر فى السّقيفة من المهاجرين ثلاثة: **ابوبكر و عمر و ابوعبيدة** (او اربعة على روايةٍ) وهُم وان كانوا من كانوا ولهم شأنهم ومقامهم، ولكنّه يبقى هنا للسّؤال مجال، فيقال: الحاضرون فى السقيفة من المهاجرين

هل نزلت آية اوصدرت رواية تفرض على سائر المهاجرين و عموم المسلمين فضلاً عن القرشيّين، ولاسيّما بنى هاشم، عشيرة الرّسول الأقربين، وفيهم عمّه وابن عمّه، اتّباع تلك العدّة فى ما رأوه من امر الخلافة وعملوا به من فعل البيعة؟

ثمّ اوَ يصحّ عند العقل انْ يُحكَم بأن سائر الأكابر (غيرهؤلاء الثلاثة، وهُم، هُم فى الفضل والفضيلة والنسبة والقرابة والصّحبة، يلزمهم ان يتّبعوا اولئك الثلاثة فى ما رأوه فى مثل هذا الأمرالهامّ فيجب عليهم الأطاعة فى هذا الشأن الخطير، الواقع فلتةً (كما ادّعوا)، والتّسليم بلامناقشةٍ ولانكير؟!

اَوْهل يقتضى العدل انْ لايُراعَ للغائبين ، وهم اكثر المجاهدين ، وفيهم اقربهم الى الرّسول ، واحبّهم لديه ، حُجتَهم وان يُجْبَرُوا على امرٍ غابوا هُم عنه و ما حصل من الحاضرين ، الأتفاق عليه؟ فهذا **سعد بن عُبادة** واولاده واقرباؤه ، ولعلّ **ابن المنذر** واصحابه ، استنكفوا فى السّقيفة عن البيعة .

ولعلّكَ تكون ممّن لايشكّ فى ان العقل و الشّرع و الأنصاف و العدل على التّطابق والتّوافق فى انّ الجواب عن هذه الأسئلة لايصحّ الّا باختيار جانب النفى .

١٩٤ ـ الأعتذار بالأجتهاد وما فيه من الأيراد

ان قيل :

اجتهادهم اجاز لهم الورود فى هذا الموضوع ، والأقدام بما رأوا من الرّأى وزعموا فيه من المصلحة .

فليتأمّل فى ذلكَ الأجتهاد وفى هذه الأسئلة التى تتوجّه اليه :

١ ـ هل يجوز الأجتهاد مع وجود النّصّ ؟

٢ ـ هل كان الأجتهاد خاصّاً بفئةٍ ولم يكن جائزاً لغيرهم ؟.

٣ ـ هل كان الغائبون عن السّقيفة ، وفيهم **علىٌ** و اكابر الصّحابة ، جاهلين بما يقتضيه الدّين من مصالح المؤمنين والمسلمين ، عاجزين عن الأجتهاد قاصرين؟ .

٤ ـ بماذا ثبت اعتبار ذاك الأجتهاد : بدّلالة آيةٍ او اشارة روايةٍ ؟ ان كانت فاين هى ؟ .

وكيف اختصّت باعتبار بعض الأجتهادات دون بعضٍ او باعتبار اجتهاد بعض المجتهدين دون غيره؟ .

وما مناط التّرجيح فى الأعتبار؟ .

وبأىّ دليل يجب على من لم يكن اهلَ الأجتهاد ان يتّبع بعض المجتهدين دون بعضٍ ، وهم سواسيةٌ ، من حيث الأطّلاع على المدارك ، والعلم بالمبانى والدّلائل ، والعلاقة

برعاية الخيرات والمصالح ؟.

اللّهمّ الّا ان يقال : اعتبار اجتهاد دون غيره ، وان لم يكن هنا مرجّح او كان وكان مع غير المعتبر، ايضا بالاجتهاد!

کلمات على الاجتهاد للبيعة و ما يتلوها

و بالجملة اَما كان الغائبون من المهاجرين امثال الحاضرين فى الاجتهاد، ان لم يكونوا افضل واقوى؟ فكما انّ اجتهاد الحاضرين جوّز لهم الأقحام فى هذا الأمر الخطير الهامّ جاز ان يكون اجتهاد الغائبين ادّى الى خلاف ما رآه الحاضرون فارشدهم الى وجود الاحجام عمّا أوه ورامو، والى ترك الأقدام على ما دعوا اليه وارادوه، ولزوم التريّث والتلبّث والتّشاوُر لا ارتكاب البغتة والفلتة والتّبادُر.

هَبْ انّ درك المصلحة لنقض ما كان ان يُبرَم من بيعة **سعد** فى السّقيفة، حملهم، بل واضطرّهم الى السُّرعة والفلتة لبيعة من بايعوه، فهلّا تركوها بعد النّقض ودفع **سعد** باختيار الأُمّة ومشاورتهم؟ اللّهمّ الا ان يُدّعى انه وجب شرعاً ولزم عقلاً على من بويع بتلك الكيفيّة ان يحفظ تلك البيعة ويُجبر الغائبين و يُلزمَهم بها!!

ثمّ اذا صحّ ان يستند فى لزوم البيعة ووجوب التّبعيّة، على من كان حاضرا فى السّقيفة ولم يبايع ، **كسعد بن عُبادة** واولاده و اقربائه ومن كان رأيه معه، اوعلىٰ من لم يكن حاضراً فيها ، بوقوع البيعة فى السّقيفة (اوكما يعبّر عنه بـ«الأجماع» من اهل الحلّ و العقد) و انعقادها فماذا هوالّذى يصحّ ان يستند اليه شرعا (سوى الرأى الشّخصى - الأجتهاد! -) لتصحيح بيعة اوّل من بايع فيها؟ و ما هى الحجّة الشّرعية على صحّة البيعة من باديها؟.

فهل يجوز ان يتوهّم بيعته كانت مستندة بآية ناصّة او رواية، عامّة او خاصّة، بل او بيعة او اجماع، بل او وحتّى مشاورة ومؤامرة من اهلها؟.

ولعلّ الى هذا المعنى اشار الفاروق (رض) حيث عبّر عن تلك البيعة بانّها «كانت فَلْتَة» وشدّد فى القول حتّى امر بقتل من عاد الى مثلها [1]، كما ستعرف عن قريب.

---

۱ - وليس لاحد، ولو كان من القائلين بالقياس الفقهى او بالقانون العقلى المشهور:
←

وكيف كان، اذا كان، ولم يكن هنا لك سوى الرأى الشّخصى فالأشخاص فيه شرع سواء و افراد المسلمين كلّهم، من الحاضرين و الغائبين، ولاسيّما المهاجرين - السابقين، و البدريّين المجاهدين، سواسية الحق فى الرّأى و النّظر، متماثل الأختيار فى القبول او الردّ، ولو وُجدهنا فرق فيكون بالبيعة اى بعدها و بتمام شرائطها لاللبيعة وقبل تحقّقها وتمامها من اهلها فتدبّر.

١٩٥ ـ عدم مبايعة علىّ ستّة اشهر

قُضى امر البيعة و تمّ شأن ذاك الحدث الجلَل فرُفع لواء الخلافة و انتخبت الخليفة، على ما عبّرعنه علىّ (ع)، بالأستبداد لا بالأستشهاد، و بالمبادرة لابالمشاورة و، على ماصرّح به عمر (رض)، على نحو «الفلتة» والبغتة لاعلى وجه التريّث والمهلة.

قال علىّ لأبى بكر فى ماقال:

←

« حكم الامثال فى ما يجوز ولا يجوز، من جهة المماثلة الثابتة، واحد» ان يقول اذا كان قتل الداعى او القائد واجبا فقتل البادى اوجب. وذلك لان « الاجتهاد » على ما وسعوا فى تفسيره يجوز ان يصير رافعاً للنص كما صار كذلك فى عدة موارد منها فى قضية **مالك بن نويرة** الذى قتله **خالدبن الوليد** و تزوج من امراته ايلة قتله فتكلم **عمر**، **ابابكر** و « اكثر عليه فى ذلك. فقال: هيه! يا عمر، تأول فأخطأ. فارفع لسانك عن **خالد** فانى لاشيم (يعنى لاغمد) سيفاسله الله على الكافرين. وودى **مالكا** ...» (الكامل - الجزء الثانى، الصفحة ٢٦٣ ،-).

وقال **عمر** (رض) مخاطبا **لخالد** بعد ان قام اليه ونزع اسهماً كان مغروزاً فى عمامة **خالد** وحطمها: «ارئاء؟! قتلت مسلما ثم نزوت على امراته! والله لارجمنك باحجارك...» (الجزء الثانى من الكامل - الصفحة ٢٦٣ - فانظر الى القول فى الاجتهاد وسعته كيف يبرىء **خالداً** لقتل المسلم و نزوه على زوجته؟ ثم كيف يجوز للخليفة ان يحمل عمل **خالد** على التأويل والاجتهاد بحيث يأمر **عمر** ان يرفع لسانه عنه مع انه يعلم ان **خالداً** قتل مسلماً (لانه ودى عنه) ونزا على امراته و **عمر** نفسه يحلف باستحقاق **خالد** للرجم و مع ذلك لايرجمه بعدالقدرة عليه، وهذا ايضا بالاجتهاد.

« اَفسَدتَ علينا امرنا لم تستشر ولم ترعَ حقّنا » .

ذهاب ابی‌بکر الی بیت علی

اورد الطّبری فی تاریخه نقلاً عن الزُّهْری ، بعد سئوال رجلٍ عنه « اَفَلَمْ يبايعه علیٌ سنة اشهر؟ » وبعد قوله فی جوابه : « لا ولا احد من بنی هاشم حتّی بايعه علیٌ »[۱] ، كيفيّةَ ذَهاب ابی‌بکر الی بيت علیٍ وقدجمع بنی هاشم عنده :

« فقام علیٌ وبعد حمدالله والأثناء عليه قال :

كُنّا نَریٰ لَنا فی هذا الأَمْرِ حَقّاً فاَستَبْدَدْتُمْ بِهِ عَلَيْنا » .

قال الفقيه المالكی الأندلسی ، ابن‌عبد ربّه ، فی الجزء الخامس من كتابه « العِقد الفريد » بعد ما سمّی « الّذين تخلّفوا عن بيعة ابی بکر ، علیٌ و العبّاس و الزُّبير... فقعدوا فی بيت فاطمة حتّی بعث اليهم ابوبکر ، عمرَ بن الخطّاب ليخرجوا من بيت فاطمة و قال له :

مجییء عمر لاحراق دار فاطه وفیها علی والعباس والزبیر

« ان ابوا فقاتِلهم .

فأقبل بقبس من نارٍ علی ان يَضرِمَ لهم الدار . فلقيتْه فاطمة فقالت :

يا ابن‌الخطّاب اَجِئتَ لِتُحرِقَ دارَنا؟ !

قال : نَعَم اَوْتَدْخلوا فی ما دخلتْ فيه الأُمّة.... »

وقال ايضاً :

« ومن حديث الزُّهْری عن عروة عن عائشة قالت : لم يبايع علیٌ ، ابابكر حتّی ماتت فاطمة وذلك لستّة اشهر من موت ابيها فأرسل علیٌ الیٰ ابی‌بکر فأتاه فی منزله فبايعه وقال :

« والله ما نَفِسنا عليك ما ساق الله اليك من فضل وخير . ولكنّا نریٰ انّ لنا فی هذا الأمر شيئاً فاَستَبْددتَ به دُونَنا وما ننكر فضلك » .

صرّح علیٌ فی هذه الجملة وحلف علی ما صرّح به ، بانّ تخلّفه عن البيعة لم يكن ناشئاً عن حسدٍ ، او حبّ جاهٍ ، اوهویٰ نفس ، او بخل ، او عداوة له ، او رذيلة

---

۱ - و فی « الكامل » لابن‌الاثیر (الجزءالثانی - الصفحة ۲۲۰ -) : « ... والصحيح ان اميرالمؤمنين ما بايع الابعد ستة اشهر » .

يريٰها فيه، اوغيرذلكك، من الدّواعى النفسانيه بل كان لاعتقاده ان **ابابكر** استبدّ فى ما كان الحق لعليٍّ فيه، وافسد عليه ما كان له، تصدّيه وتولّيه.

١٩٧ ـ البيعة خارج السّقيفة

نقل ابن ابى‌الحديد عن كتاب السّقيفة **لأبى‌بكر بن عبدالعزيز** ما نصّ الفاظه :

«اجتمعت بنواميّه الى **عثمان بن عفّان** واجتمعت بنوزهرة الى **سعد وعبدالرحمن** فأقبل **عمر** اليهم و **ابوعبيدة** فقال : مالى اراكم ملتاثين! قوموا فبايعوا **ابابكر** فقدبايع له النّاس وبايعه الأنصار.

« فقام **عثمان** و من معه و قام **سعد** و **عبدالرحمن** ومن معهما فبايعـُوا **ابابكر** وذهب **عمر** ومعه عصابة الى بيت **فاطمة**، منهم **اُسَيْد بن حُضَيْر** و **سلمة بن اسلم** فقال لهم :

«انطلِقوا فبايِعـُوا. فأبـَوا. عليهم. وخرج اليهم **الزّبير** بسيفه.

فقال **عمر** : عليكم الكلب! . فوثب عليه **سلمة بن اسلم** فأخذ السّيف من يده فضرب به الجدار. ثم انطلقوا به وبعليّ، ومعهما بنوهاشم، و**عليٌّ** يقول: « اَنا عَبْدُالله وَاَخو رسول‌الله » حتّى انتهوا به الى ابى‌بكر. فقيل له : «بايِـع» فقال : تصريح على بانه احق للخلافة

« اَنَا اَحَقُّ بهذا الأمرِ منكم ، لااُبايِعكُمْ. وَاَنتُمْ اولىٰ بالبَيْعَة لِىْ. اَخَذْتُمْ هٰذا الأمْرَ مِنَ الأنصار وَاحتَجَجتُمْ عَلَيْهِم بالقرابة من رسول‌الله فأَعْطَوْكُمُ المقادَة وَسَلَّمُوا اليكم الأَمارَة، وَاَنا اَحتَجُّ عليكُم بمثل ما احْتَجَجْتُمْ به على الأنصار فأَنْصِفُونا، ان كنتم تخافون الله، من اَنْفُسِكُمْ وَاعْرِفُوا لَنا مِن الأمرِ مثلَ ما عَرَفَتِ الأنْصارُ لكم. وَاِلّا فَبُوؤُا بالظّلم وانتم تَعْلَمُوْنَ ».

« فقال **عمر** :

« انّكَ لستَ متروكاً حتّىٰ تبايع!

« فقال له عليّ :

« أُحلُبْ يا عمر حَلْبا لَكَ شَطْرُه ، اُشدُدْ له اليَوْمَ اَمْرَه لِيَرُدَّ عليكَ غداً . لا وَاللهِ لا اَقبَلُ قولَكَ ولا اُبايِعُه . »

فقال له ابوبكر : « فأن لم تبايعنى لم اكرهك » .

« فقال له ابوعبيدة . . . .

« فقال عليٌّ :

« يا مَعْشَرَ المُهاجِرِينَ ، الله، الله، لا تُخرِجُوا سُلْطان محمّدٍ عن داره وبَيْتِهِ الى بُيُوتِكُمْ و دُورِكُمْ ولا تَدْفَعُوا اَهْلَهُ عَنْ مَقامِهِ فى النّاس وحقّه ، فَوَاللّه يا مَعْشَرَ المهاجِرين لَنَحْنُ اَهْلُ البَيْتِ اَحَقُّ بِهذا الأمْرِ منكُمْ . اَما كانَ مِنّا القارِيءُ لكتاب الله ، الفقيهُ فى دِينِ الله ، العالِمُ بالسّنّة المُضْطَلِعُ بأمرالرّعيّة ؟ وَالله اِنّهُ لَفِينا . فلا تَتّبِعُوا الهَوىٰ فتَزْدادُوا مِنَ الحَقِّ بُعْداً »[1] .

كلام على : « فوالله لنحن اهل البيت احق بهذاالامر منكم »

فقال بشير بن سَعْد :

« لوكان هذا الكلام سمعتْه منكَ الأنصار يا عليّ ، قبل بيعتهم لأبى بكرمااختلف عليكَ اثنان ، ولكنّهم قد بايعوا ! » .

---

١ - لايذهب عليك متانة هذا الاحتجاج و ظرافته فانظر كيف احتج بما كانوا احتجوا به على الانصار بل اعاد عليهم لنفسه ، عين عباراتهم و اشار بان الخلافة حقه وهو اهله اولا ثم صرح وحلف بان اهل البيت ، وهواصلهم ورأسهم ، احق بهذا الامر من غيرهم ثانياً ثم بين ووضح ملاك الاهلية والاحقية وهوا لقرائة لكتاب الله والفقة فى دين الله والعلم بالسنة والاضطلاع بأمرالرعية وحلف بالكناية بانه هوالذى فيه الملاك . واخيراً لما اقام الحجة عليهم نصحهم و انذرهم عن اتباع الهوى و ازدياد البعد من الحق . و حينئذ فجرى الحق على لسان بشير بن سعد حيث قال : لوكان هذا الكلام سمعته منك الانصار... الخ

« وانصرف عليّ الى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتّى ماتت **فاطمة** ، فبايع » .

لم يبايع علي حتى ماتت فاطمة

وقال **الطّبرى** فى تاريخه (بعد ذكر واقعة السّقيفة) :

« فبايع النّاس ،واستثبتوا للبيعة . وتخلّف **عليٌّ** و **الزُّبير** واخترط **الزُّبير** سيفه وقال : لا اُغمِدُه حتّىٰ يُبايَعَ **عليٌّ** ... »

١٩٨ ـ اوّل من ابتزَّ حقّ عليّ على ما صرّح به معاوية

ارسل **محمّد بن ابى بكر** حين كان عازماً على الخروج مع **عليّ** الى صفّين كتاباً الى **معاوية بن هند** وذكر فيه مقام **عليّ** ونصح **معاوية** و انذره فكان فى ما كتبه **معاوية** فى جوابه (على ماحكىٰ **ابن ابى الحديد** عن **نصر بن مزاحم** ـ المجلّد الاول ـ الصفحة ٢٨٤ ـ) :

« ذكرت حقّ عليّ بن **ابى طالب** وقديم سابقته ، وقرابته من نبيّ الله ، ونصرته له ، « ومؤاساته ، فى كلّ خوف وهول ، واحتجاجك علَيّ وفخرك لفضل غيرك لابفضلك . فأحمده الهاً صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك .

اتفاقهما على ابتزاز حق علي ومخالفتهما له

« فقدكنّا و ابوك معنا فى حياة نبيّنا نرىٰ حقّ ابن **ابى طالب** لازماً لنا وفضله مبرّزا علينا .

« فلمّا اختارالله لنبيّه ما عنده، واتمّ له ما وعده ، واظهردعوته ، وافلج حجّته قبضه‌الله اليه .

« فكان ابوك وفاروقه ، اوّل من ابتزّه وخالفه على ذلك .

« اتّفقا واتّسقا ثمّ دعواه الى انفسهما .

« فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما .

« فَهَمّا بِه‌الهموم وارادا به‌العظيم .

« فبايَعهما وسلّمَ لهما .

« لا يُشركانه فى‌امرهما ، ولايطّلعانه على سرّهما ، حتّى قُبضا وانقضى امرهما ،

ثمّ اقاما بعدهما ثالثهما[1] **عثمانَ بنَ عفّان** . . . . . فان يكن مانحن فيه صوابا فابوك اوّله وان يكن جوراً فابوك اُسّه ونحن شركاؤه فبهُديه اخذنا، وبفعله اقتدينا . راينا اباك فعل مافعل فاحتذينا مثاله واقتدينا بفعاله فعِب اباك بمابدالكَ او دَعْ والسلام.»

هذا ما كتب **معاوية** فی حقّ **علیّ** و فی شأن من ابتزّه ، و خالفه بالأتّفاق والأتّساق، وهمّ الهمومَ به، واراد العظيم له واكرهه على البيعة، ثمّ صرف الأمرمنه الى ثالث ثلاثة .

۱۹۹ ــ اوّل من ريّث عن هذا الامر

يناسب ان نذكرهنا ما نُقل من **عمر بن الخطّاب** (رض) فی هذا الشأن .

قال **ابوالفرج الأَصْبَهانی** الأموی (فی ترجمة « زهير و اخباره » من كتابه الأغانی) بأسناده عن **عمر بن عبدالله الليثی** . قال: قال **عمر بن الخطّاب** ليلة مسيره الى الجابية :

« اين **ابن عبّاس** ؟ فأتاه . فشكا تخلّف **علیّ بن ابی طالب** رضی‌الله عنه . كلام عمر عن اول من ريث

« فقال : اَوَلم يَعْتَذِر اليكَ؟

« قال : بلیٰ .

« قلت : هو ما اَعْتَذِرُ به .

« ثمّ قال : اولُ مَنْ ريّثكُم عن هذا الأمر، ابوبكر .

انّ قومكم كرهوا ان يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة . . . »

۲۰۰ ــ بعض من تخلّف عن بيعة ابی بكر

قال **اليعقوبی** فی تاريخه :

« و جاء **البَراءُ بنُ عازب** (يعنی بعدالسّقيفة) فضرب الباب على بنی هاشم وقال :

---

۱ -

« يا معشر بنى هاشم! بويع ابوبكر . فقال بعضهم :

« ماكان المسلمون يُحْدِثون حدثاً نغيب عنه ونحن اولىٰ بمحمّد .

« فقال **العبّاس** : فَعَلُوها وربِّ الكعبة .

« وكان المهاجرون والأنصار لايشكّون فى **على** ّ عليه‌السلام .

« فلمّا خرجوا من الدّار قام **الفضل بن العبّاس** ، وكان لسانُ قريش ، فقال :

« يا معشرقريش : انّه ما حقّت لكم الخلافة بالتّمويه ونحن اهلها .

« دونكم وصاحبنا اولىٰ بها منكم .

« وقام **عتبة ابن ابى لهب** فقال[1] :

ابيات فى استبعاد انصراف الامر عن على(ع)

مٰا كُنْتُ اَحْسِبُ اَنَّ الْاَمْرَ مُنْصَرِفٌ
عَنْ هٰاشِمٍ ثُمَّ مِنْهٰا عَنْ ابِى الْحَسَنِ
عَنْ اَوَّلِ النّاسِ ايمٰاناً وَسٰابِقَةً
واَعْلَمِ النّاسِ بالْقُرآن والسُّنَنِ
وآخِرِ النّاسِ عَهْداً بالنَّبِىِّ وَمَنْ
جِبْرِيْلُ عَوْنٌ لَهُ فى الغُسْلِ وَالْكَفَنِ
مَنْ فِيْه مٰا فِيهِمُ لايَمْتَرُوْنَ بِهِ
وَلَيْسَ فى الْقَوْمِ مٰا فِيه مِنَ الحُسُنِ

« فبعث اليه **على** ٌّ فنهاه .

اسماء الاكابر من المتخلفين

« وتخلّف عن بيعة ابى بكر قومٌ من المهاجرين والأنصار ومالُوا مع **على** ّ ابن-

---

١ - وفى «قاموس الرجال» (المجلد الرابع - الصفحة ١٢ -) للمحقق الشوشترى المعاصر نقلا عن المفيد فى ارشاده « ان **خزيمة بن ثابت** ، ذوالشهادتين ، انشأ يقول فى غصبهم لحق امير المؤمنين عليه‌السلام : ماكنت احسب هذا الامر منصرفاً ... الخ و زاد بعد ما فى المتن من الابيات ، هذا البيت :

ماذا الذى ردكم عنه فنعلمه ها ان بيعتكم من اغبن الغبن ».

ابی طالب ، منهم العبّاس بن عبدالمطّلب و الفضل بن العبّاس و الزّبیر بن العوّام- ابن العاص و خالد بن سعید و المقداد بن عمرو و سلمان الفارسی و ابوذرالغِفاری و عمّار بن یاسر و البَراء بن عازب و اُبیّ بن کعب . . . »

۲۰۱ - البیعة ، اوالاجماع ، وما فیها

ممّا یورث العجب اطلاقهم لفظ «الأجماع » علی تلک « البیعة» فی کلماتهم ، واعجب منه ما نقل **ابن الحدید** عن « اصحابه» فی تصحیح ذلک «الأجماع » بحقیقة معنی الکلمة ، واغرب من هذا جدّاً ادّعاء تأثیر صحّة خلافة **عمر** فی صحّة خلافة **ابی‌بکر** باستناد حصول «الأجماع» علی خلافة **عمر** . فانظر واعتبر.

فهو ، **ابن ابی‌الحدید** ، بعد ما نقل کلام قاضی القضاة فی « اجماع الأُمّة علی خلافة **عثمان** » وردّ **السیّد المرتضی** علیه واطال بما نقل عنهما من النّقض و الأبرام قال :

« قلت : امّا اذاحتجّ اصحابنا علی امامة **ابی‌بکر** بالأجماع فاعتراض حجّتهم ، بخلاف **سعد** وولده واهله اعتراض جیّد ، ولایقول اصحابنا فی‌جوابه :

« هؤلاء شُذّاذ فلانَحفِل (ای لانعتدّ) بخلافهم وانّما المعتبر بالکثرة التی بأزائهم » . تأثیر اللاحق فی ما سبق و تصحیحه!!

وکیف یقولون هذا وحجتهم « الأجماع» ولااجماع؟

ولکنّهم اجابوا عن ذلک بأنّ **سعداً** مات فی‌خلافة **عمر** فلم یبق من یخالف فی خلافة **عمر** فانعقد « الأجماع » علیها ! و بایع ولد **سعد** واهله من قبل . واذا صحّت خلافة **عمر** صحّت خلافة ابی بکر لأنّها فرع علیها . ومحالٌ ان یصحّ الفرع ویکون الأصل فاسداً!

فهکذا یجیب اصحابنا عن الأعتراض بخلاف **سعد**، اذا احتجّوا بالأجماع... »

فیاللّه ولهذا الجواب من اصحاب الوفا ! وهل یکون هذا الجواب الّا مصداقاً جلیّاً للاکل من القفا .

ان كنت ممّن يتعجّب من غرابة هذاالجواب من اصحاب العدل وارباب الفضل للتّصحيح والمرمّة فاعلم انّ العجائب جمّة فهذا **جلال الدين السّيوطى** ، علّامة ـ العلماء مفضال الفضلاء ، قال فى ما قال فى حقّ **عبدالملك بن مروان** (تاريخ الخلفا ـ الصفحات ١٢ ـ ٢٢٠ ـ) .

« افضى الأمر الى **عبدالملك** والمُصحف فى حُجره فأطبقه وقال: هذا آخر ـ العهد بك . . .

« . . . وهواوّل من غدر فى الأسلام . . . واوّل من نهى عن الأمر بالمعروف » .

« وقوله فى الخطبة الّتى خطبها بالمدينة : « . . . والله لا يأمرنى احد بتقوى الله بعد مقامى هذا الّا ضربت عنقه » .

« وقلت (السّيوطى) : لولم يكن من مساوى **عبدالملك** الّا **الحجّاج** ، وتوليته ايّاه على المسلمين وعلى الصّحابة ، رضى الله عنهم ، يُهينهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً ، وقد قتل من الصّحابة و اكابر التّابعين مالا يُحصىٰ ، فضلاً عن غيرهم ، و ختم فى عنق انس و غيره من الصّحابة ختماً ، يريد بذلك ذلّهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه . »

تصحيح خلافة عبدالملك بقتله ابن الزبير الخليفة!

ومع ذلك قال (السّيوطى): « وُلد **عبدالملك** سنة ست وعشرين(٢٦) بويع بعهدٍ من ابيه فى خلافة **ابن الزّبير** ، فلم تصحّ خلافته . و بقى متغلّبا على مصر والشّام . . . الى ان قتل **ابن الزّبير** سنة ثلاث وسبعين فصحّت خلافته من يومئذ . »

وقال فى موضع آخر (من تاريخ الخلفا) :

« والأصحّ ما قاله **الذّهبى** : ان **مروان** لا يُعدّ فى امراء المؤمنين بل هو باغٍ خارج على **ابن الزّبير** ولا عهده الى ابنه بصحيح وانّما صحّت خلافة **عبدالملك** من حين قتل **ابن الزّبير** [١] » .

---

١ ـ اليس من العجب العجاب ان يصير الباغى على الخليفة والقاتل له ، خليفة وصارت خلافته « صحيحة » من حين قتله الخليفة . اللهم الا ان يكون المراد من الصحة فى قوله ←

۲۰۲ـ السّؤال الخامس اماصرّح عمر (رض) بكون تلك البيعة فلتة ؟

و خامساً :

اَماكان «بيعة ابى بكر كانت فَلْتَةً وَقَىالله شرّها» كما اشتهر بينهم ، وحتّى اعترف بها الشّيخان [1] ؟

صرّح عمر نفسه (رض) بذلك وقدنقل عنه فىالكتب المعتبرة المعتمدةالكثيرة منهاالتاريخ الطّبرى ففيه «بعدماكان سمع عن بعضهم انّهقال : «لوقدمات اميرالمؤمنين (يعنى عمر) لقد بايعت فلاناً» صعد المنبر وقال :

«ثمّ بلغنى انّ قائلاً منكم يقول : لو قد مات اميرالمؤمنين بايعت فلاناً .

«فلايغرُّنّ اَمرءاً ان [1] يقول : انّ بيعة ابىبكر كانت فلتة . فقدكانت كذلك غير انّالله وقىٰ شرّها .

«و انّه كان من خبرنا حين تَوَفّىالله نبيّه(ص) انّ عليّاً و الزّبير ومن معهما تخلّفوا عنّا فى بيت فاطمة و تخلّفت عنّا الأنصار باَسْرِها و اجتمع المهاجرون الى ابى بكر [2] . ان بيعة ابىبكر كانت فلتة

← معنى آخر لايفهم العرف و على اى حال ليس هذا اول قارورة كسرت فى الاسلام فهو معاوية ، الباغى على على الخليفة بالحق ، يحاربه و يحارب الصحابة الكبار و يقتلهم فيصير خليفة المسلمين و اميرالمؤمنين : و تصح خلافته (على ما ابداه السيوطى) بعد ما لم تكن بصحيحة !

۱ـ وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ، فى فصل المبايعة لابىبكر (رض) :
«روى الشيخان ان عمر بن الخطاب (رض) خطب الناس مرجعه من الحج فقال فى خطبة وقد بلغنى ان فلاناً منكم يقول : لو مات عمر بايعت فلانا . فلايغترن امرؤ...»

۲ـ ماذا اراد عمر (رض) بهذه الجملة و الجملة التى بعدها (و بايعه المهاجرون) و لم ينقل احد اجتماع المهاجرين الى ابى بكر قبل السقيفة ولا اجتماع المهاجرين فى السقيفة غير ابى بكر و عمر و ابىعبيدة (وعلى رواية و عبدالرحمن بن عوف) كىيصح «بايعهالمهاجرون» ؟ فاين كان ذلكالمجتمع ؟ و من كانوا هؤلاء المجتمعون من المهاجرين . اللهم الا ان يقال : كان الاجتماع ممن اجتمع قبل السقيفة و لتدبير امر السقيفة فتدبر.

«فقلت لأبی‌بکر : انطلق بنا الی اخواننا هٰؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نؤمّهم .
«فلمّا اشفقتُ الأختلاف قلت لأبی‌بکر : ابسط یدك ابایعْكَ .
«فبسط یده فبایعته و بایعه المهاجرون و الأنصار .
«ثمّ نزونا علیٰ **سعد** (و هو وجِعٌ مُزَمَّلٌ) حتی قال قائلهم : قتلتم **سعد** بن **عبادة** ! فقلت : قَتَلَ‌الله سعدا »

قال **ابن ابی‌الحدید** بعد نقله هذه القضیّة عن **الطّبری** کما نقلنا :
«فامّا حدیث «الفلتة» فقد کان سبق من **عمر** ان قال :
«انّ بیعةَ **ابی‌بکر** فَلْتَةٌ وَقیٰ‌الله شرَّها . فمَنْ عادَ الی مِثْلِها فاقْتُلُوه»

٢٠٣ـ خطبة عمر (رض) و کون البیعة فلتة

قال « الأمام العـلامة عمدة المؤرّخین » و عمادهم عزّالدین **علیّ** بن ابی‌الکرم **محمّد** بن **محمد** بن **عبدالکریم** بن **عبدالواحد** الشّیبانی ، المعروف **بابن‌الأثیر** الجَزَری ، (المتوفّیٰ سنة ٦٣٠هـ. ق) فی کتابه‌الکامل (الجزء الثانی ـ الصفحة‌ال ٢٢٠)
«وقال **ابن‌عبّاس** : کنت اُقْرِیءُ **عبدالرّحمن بن عوف** ، القرآن فحجّ **عمر** وحججنا معه فقال لی **عبدالرحمن** :
«شهدتُ امیرالمؤمنین الیومَ بمنی وقال له‌رجل : سمعت فلاناً یقول[1] : لومات **عمر** لَبایَعْتُ فلانا .
« فقال **عمر** : انّی لقائمٌ العشیّةَ بین النّاس احذّرهم هؤلاء الرّهط الّذین

١ـ قال **ابن ابی‌الحدید** (المجلد الاول الصفحة ال١٢٣ من‌شرحه) : «وقال‌شیخنا **ابو القاسم البلخی** : قال شیخنا **ابو عثمان الجاحظ** ان الرجل الذی قال «لو مات **عمر** لبایعت فلانا» **عمار** بن **یاسر** قال : لو قد مات عمر لبایعت علیا علیه‌السلام و هذا القول هو الذی هاج **عمر** ان خطب بما خطب به . و قال غیره من اهل الحدیث : **انما** کان المعزوم علی بیعته لو مات **عمر** ، **طلحة** بن **عبیدالله**.

يريدون ان يغتصبوا الناس امرهم [1] .

«قال : فقلت :

«يا اميرالمؤمنين انّ الموسم يجمع رَعاع النّاس وغوغائهم و همالّذين يغلبون علىمجلسك واخاف انتقول مقالةً لايَعُوْها ولايحفظوها [ولايضعوها علىمواضعها] و يطيروا بها [كلّ مَطير] ولكنّ امهلحتى تقدمالمدينة و تخلص باصحاب رسولالله صلّىالله عليه و سلم فتقول ماقلت [متمكّنا] فيَعُوْا مقالتك .

«فقال : والله لأقومنّ بها اوّل مقام اقومه بالمدينة .

«قال : فلمّا قدمت المدينة هجرت يومالجمعة لحديث **عبدالرحمن** فلمّاجلس **عمر** علىالمنبر حمدالله و اثنى عليه ثمّ قال ، بعد ان ذكر الرّجم و مانسخ من القرآن فيه ، :

« انّه بلغنى انّ قائلاً منكم يقول : « لو مات اميرالمؤمنين بايعت فلاناً ، فلا يغرّنّ امرءاً ان يقول : انّ بيعة ابىبكر كانت فلتة . فقدكانت كذلك و لكنّ الله وقى شرّها [2] و ليس منكم من تقطع اليه الأعناق مثل **ابىبكر** و انّه كان خيرنا حين تُوُفّى رسولالله(ص) . و ان **عليّاً** و **الزّبير** ومن معهما تخلّفوا عنّا فى بيت فاطمة . . . [3]»

١- لاتسئل عن امر السقيفة و الاغتصاب فظن به خيرا.

٢- حدثالبخارى فى صحيحه (الجزء الرابع - باب رجمالحبلى من الزنا اذااحصنت) بأسناده عن ابنعباس هذا الحديث بزيادات :

منها ، الاشارة الى انزالالله آية الرجم.

و **منها** آية «ان لاترغبوا عن ابائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم. . .»

و **منها** فىآخره قوله (رض) : «فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلايتابع هو ولا الذى بايعه تغرة ان يقتلا».

٣- مانقلناه عن الكامل مذكور فىالطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ٤٤٥)

٢٠٤ـ حديث ابن عمر عن ابيه فى كون البيعة فلتة

قال ابن ابى الحديد (شرح نهج البلاغة) : (نقلاً عن الشافى للسيد المرتضى)

« روى الهيثم بن عدىّ عن عبدالله بن عبّاس الهمْدانى عن سعيد بن جبير ، قال :

«ذُكر ابوبكر عند عبدالله بن عمر فقال رجل :

«كانا والله شمسىْ هذه الأُمّة و نُورَيْها .

«فقال ابن عمر : وما يُدريك ؟ قال الرّجل : اليس قد ائتلفا ؟

«قال ابن عمر : بل اختلفا ، لوكنتم تعلمون .

«اَشْهد انّى كنت عند ابى يوماً ، وقد امرنى ان احبس النّاس عنه ، فاستأذن عليه عبدالرحمن بن ابى بكر فقال عمر : دُوَيْبة سوءٍ و لَهُوَ خيرٌ من ابيه !

كلام عمر فى حق ابن ابى بكر وانه خير من ابيه

«فأوحشنى ذلك منه . فقلت ، ياابت ، عبدالرحمن خير من ابيه ؟!

«فقال : ومن ليس خير من ابيه ؟ لا امّ لك . ائذن لعبدالرحمن .

«فدخل عليه . فكلّمه فى الحُطَيْئة الشّاعر ان يرضىٰ عنه ، و قدكان عمر حبسه فى شعر قاله .

«فقال عمر : انّ فى الحُطَيْئة [1] اَوَداً فَدَعْنى اقوّمه بطول حبسه .

«فألحّ عبدالرحمن و ابىٰ عمر فخرج عبدالرحمن .

«فأقبل علىّ وقال :

«افى غفلةٍ انت الى يومك هذا ، عمّا كان من تقدُّم اُحَيْمقُ بنى تيم علَىَّ و ظلمهِ لى ؟

«فقلت : لاعلم لى بما كان من ذلك .

١ـ «و الحطيئة ، الرجل القصير قال ثعلب و به سمى الحطيئة لدمامته.»

(صحاح)

«قال : يا بُنَيّ فما عسيت ان تعلم ؟

فقلت : والله لهو احبّ النّاس من ضياء ابصارهم .

«قال : انّ ذلك لكذلك على رغم ابيك و سخطه .

«فقلت : يا ابت افلا تجلّى عن فعله بموقف فى الناس لتبيّن ذلك لهم ؟

«قال : و كيف لى بذلك مع ماذكرت انه احبّ الى النّاس من ضياء ابصارهم ؟ اذن يُرضَخ راس ابيك بالجندل :

ظلم ابى بكر لعمر فى تقدمه عليه على ما قال به عمر

«قال ابن عمر : ثمّ تجاسروالله فجسر فما دارت الجمعة حتّى قام خطيبا فى النّاس فقال :

«ايّهاالناس ! اِنَّ بَيْعَةَ ابى بكر كانَتْ فَلْتة وَقَى الله شَرَّها فَمَنْ دعاكُمْ الىٰ مِثْلِها فا َقْتُلُوه »

۲۰۵- تصريح ابى بكر بكون البيعة فلتة

قال عزّالدين بن ابى الحديد ايضا : (المجلّد الاول - الصفحة ال۱۲۸)

«و فى كتب غريب الحديث» فى تتمّة كلام عمر :

« فأيّما رجل بايع رجلاً بغير مَشُوْرَةٍ من النّاس فلا يؤمَر واحد منهما تَغِرَّةَ ان يُقتلا »

«قالوا : غرّر تغريراً و تغرّة كما قالوا : حلّل تحليلاً و تَحِلَّةً وعلّل تعليلا و تَعِلّة ، وانتصب هيهنا لأنّه مفعول له . و معنى الكلام انه اذا بايع واحدلآخر بغتة من غير شُورىٰ فلا يُؤمَرْ واحد منهما لأنّهما غرّرا بأنفسهما تغرّة و عرّضاها لأن يُقْتَلا »

وقال ايضا (المجلدالاول - الصفحةال۱۳۲-) رواية عن ابى بكر بن عبدالعزيز الجوهرى ، بعد نقل ذَهاب عمر و عصابةٍ ، منهم أسَيْد بن حُضَيْر ، الى بيت فاطمة و اخذهم سيفَىْ علىّ و الزّبير و كسرها ثمّ اخراج عمر ايّاهما وسوقهما لأخذ البيعة :

«ثمّ قام ابوبكر فخطب النّاس و اعتذر اليهم وقال :
«انّ بيعتى كانتْ فَلْتة وقى الله شرّها و خشيتُ الفتنه . . . »

٢٠٦ - السّؤال السّادس ماوجه كتمان عمر امر السّقيفة ؟

و سادساً :

لمٰا ذا اراد عمر (رض) ان يكتم امر السّقيفة ، قبل ذهابه اليها عن غير ابى بكر من المهاجرين ؟

فقدكان اكابر المهاجرين مجتمعون فى بيت النّبىّ (ص) و ، على ما دريت من قول الطّبرى ، كان ابوبكر معهم فيه «فلمّا اُتى عمرَ الخبرُ فأقبل الى منزل النّبى (ص) فأرسل الى ابى بكر : ان اخرُج الىّ . . . فخرج اليه فقال : امَا علمتَ انّ الأنصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة ؟ . . . فمضيا مسرعَيْن نحوهم . فلقيا اباعبيدة بن الجرّاح فتماشَوْا اليهم ثلاثتهم . . . »

وهٰهنا يتوجّه هذا السؤال :

لِمَ خُصّ ابوبكر بالأطّلاع على هذا الأمر الهامّ الّذى يتعلّق بالأسلام ، و يتوقّف على آراء المسلمين عموماً ، و يرتبط بالمهاجرين ، و لا سيّما القرشيّين منهم ، و فيهم عمّ الرّسول و ابن عمّه و زوج ابنته ، خصوصاً ؟

ولِمَ لم يُخبِرا بذلك العبّاس وعليّاً والزّبير وغيرهم من الأكابر والأقارب الّذين كانوا فى بيت الرسول و كان ابوبكر فيهم و معهم ؟!

اَتُرىٰ انّ هذين العظيمين يزعمون انّ افشاء الامر و اظهاره لهؤلاء الأكابر ، ودعوتهم الذّهاب معهما جميعاً الى السّقيفة يوجب لهم وهنٌ و فشل فى افحام الأنصار و صرف الأمر عنهم و عطفه على المهاجرين او على خصوص قريش ؟!

اَوْ تزعم انّ هؤلاء الأكابر من قريش و المهاجرين كانوا راضين بالبيعة لمن اراداه و يرَياهُ ، موافقين لمن اقترحاه و مع هذا اقدما فى كتمان الأمر عنهم و اخفاء الواقعة عليهم ؟

اَوْ تظنّ انّ الأنصار فى السّقيفة كانوا بحيث اذا ورد عليهم **هؤلاء العظماء** مَنَعوهم و طردوهم و لم يرتضوا بصحابتهم معهما **فأشفقا لهم** و لم يخبراهم صَوْناً لكرامتهم ؟!

اما كان هذا من « اغتصاب النّاس امرهم » الّذى لا يرتضيه عدل **عمر** (رض) و يتحاشاه كما صرّح به فى مانقله **ابن الاثير** عنه و اوردناه آنفاً ؟

٢٠٧ـ السّؤال السّابع بما ذا يوجّه الأمر بقتل الصّحابى العظيم ؟

و سابعاً (وبه نكتفى عن السؤال)

ماهو الامر الذى سوّغ لعمر ان يأمر بقتل **سعد بن عُبادة** ، بل لما ذا اراد ان يقتله بنفسه ؟

فلننظر ماذا هوالّذى اباح دم هذاالصّحابىّ الكبير وصيّره مهدور الدّم بل جعله واجب القتل ؟

اَفَتُرىٰ مَنْ سَعْدُ بن عُبادة ؟

هل كان **سعد** فى السّقيفة اشرك بالله العظيم ؟ او انكر رسوله و كفر بدينه ؟ او قتل مؤمناً متعمّداً بغير حقّ ؟ او ارتكب عملاً منكراً و اتىٰ بفاحشة مبيّنة استوجب القتل ؟

لعلّكَ ايّها النّاظر لاتعرف **سعداً** و تحبّ ان تعرفه فانظر الى ما اورد بتعريفه «الحافظ ، المحدّث ، الفقيه ، المالكىّ ، **ابن عبدالبرّ** (المتوفّىٰ سنة ٤٦٣) فى كتابه «الأستيعاب فى اسماء الأصحاب» و اعرف شأنه ايضا ممّا عرّفه به « شيخ الأسلام ، امامُ الحفّاظ ، الفقيه ، الحافظ ، المحدّث » **ابن حجر العسقلانى الشّافعى** (المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ . ق) فى كتابه « الأصابة فى تمييز الصّحابة » . و ان صعُب عليكَ النظر فى ذينكَ الكتابين المعتبرين فأعِرْ نظَرك لَمحةً وانظُر الى مانلخّصه منهما ، مع حفظ عين عباراتهما ، و نذكره لكَ فاعرفه ثمّ اَنْصِف :

٢٠٨ـ ملخّص ما فی الاستيعاب

قال ابن عبدالبرّ :

« سعدُ بن عُبادة بن دليم . . . الأنصاری كان نقيباً شَهِد العقبةَ و شهِد بدراً علی ماقاله جماعة ، منهم الواقدی . . . وكان جوادا ، سيّداً فی الأنصار ، وجيهاً ، له رئاسة و سيادة يعترف قومه له بها .

« و فی هذا السّعد و سعد بن مَعاذ جاء الخبر المأثور انّ قريشاً سمعوا صائحا يصيح ليلاً علی ابی قبيس :

« فأن يُسْلِم السَّعْدان يُصْبِح محمّداً
بمكّة لا يَخْشیٰ خلافَ المخالف »

« والی هذين السَّعْدين ارسل رسول‌الله (ص) يومَ الخندق يشاورهما فی ماارادان يُعطيَه يومئذٍ عُيَيْنَةَ بن حُصَيْن من ثمر[١] المدينة لينصرف بمن‌معه من غَطَفان ويخذل الأحزاب فارادالرسول (ص) اعطاءَ الثُلْث و ابیٰ عُيَيْنة الّا ان يأخذالنّصف فأرسل رسول‌الله (ص) الی سعد بن مَعاذ و سعد بن عُبادة دون سائر الأنصار ، لأن ابن معاذ كان سيّد الأوس و ابن‌عُبادة كان سيّد الخزرج فشاورهما فی‌ذلك . فقالا :

« يا رسول‌الله ان كنتَ اُمِرتَ بشیءٍ فافعَلْه وامضِ له ، و ان كان غير ذلك فوالله لانُعطيهم الّا السيف .

« فقال رسول‌الله :

« لم‌أومَرْ بشیءٍ . لو اُمِرتُ بشیءٍ ماشاورتُكما . وانّما رأيٌ اعرَضه عليكما

« فقالا : يا رسول‌الله ماطمعوا بذلك منّا قطّ فی الجاهليّة فكيف الرسول و قد هدانالله بك واكرمنا و ايّدنا ؟ والله لانعطيهم الّا السّيف .

١ـ فی النسخة بالثاء المثلثه و يحتمل ان يكون فی الاصل بالمنقوطتين وكيف كان فالمراد به التمر.

« فَسَرَّ رسول‌الله (ص) بذلك و قال لعُيَيْنَة ، و من معه ، : ارجع فليس بيننا و بينكم الّا السّيف .

لم يبايع سعد حتى مات بعد مضي سنتين و نصف من خلافة عمر

«و تخلّف **سعد** بن **عُبادة** عن بيعة **ابىبكر**، رضىالله عنه ، وخرج من‌المدينة ولم ينصرف اليها الى ان مات بحُوران َ من ارض الشّام ، بسنتين و نصف مَضَيا من خلافة **عمر** و ذلك سنة خمس عشرة .

«ولم يختلف احد انّه وُجد ميّتا فى مُغْتَسَلِه وقد اخضرّ جسدُه ولم‌يشعروا بموته حتّى سمعوا قائلاً يقول ولايرون احداً :

نَحنُ قتلنا سيّد الخـ ـزرج سَعْدَ بن َ عُبادة
نحن رميناه بسهـ ـمين لم نُخْطِ فؤادَه

«ويقال : ان الجنّ قتلَتْه . » انتهى ما فى الأستيعاب ملخّصاً .

۲۰۹ـ ملخّص ما فى الأصابة

وملخّص مااورده **ابن‌حَجَر العسقلانى** فى‌شأن **ابن عُبادة** فى كتابه «الأصابة».

«**سعد** بن **عُبادة** بن **دليم** ، كانت لأُمّها **عمرة** بنت **مسعود** صحبة و ماتت سنة خمس و شهد **سعْد** العَقَبَة َ وكان احد النّقباء . و اثبت **البخارى** شهودَه بدراً .

«وقال **ابن‌سعد** : كان يكتب بالعربيّة و يُحسن العَوْم َ والرّمْى َ فكان يقال له : «الكامل» وكان مشهوراً بالجود ، هُوَ و ابوه و جدّه و ولده .

« وعن **ابن عباس** : كان لرسول‌الله (ص) فى المواطن كلّها رايتان : مع **علىّ** راية المهاجرين و مع **سعد** بن **عُبادة** راية الأنصار .

«وقال **قيس**[۱] بن **سعد** : زارنا النّبىّ (ص) فى منزلنا فقال (ص) :

۱- **قيس** بن **سعد** هذا كان بمنزلة الشرطى للنبى صلى‌الله عليه و آله و سلم على ما فى الكتب المعتمدة . منها فى كتاب «البدء والتاريخ» (الصفحة‌ال ۱۱۵ من‌المجلد الثانى): «و من ولده (يعنى ولد **سعد**) **قيس بن عبادة** ، الداهى، الشجاع، الفطن ، وهو من شيعة **على** ، فكان للنبى (ص) بمنزلة الشرطى يهابه الناس مالا يهابون غيره وكان صاحب راية الانصار يوم بدر»

«السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ . . . الحديث . وفيه : ثمّ رفع يده فقال :

«اللّهُمَّ اجْعَلْ صَلَواتَكَ وَرَحْمَتَكَ عَلىٰ آلَ **سَعْدبن عُبادة**» وروىٰ **ابويعلى** من حديث **جابر** قال : قال رسول‌الله (ص) :

«جَزَىٰ‌الله عَنّي الأَنْصار خيراً وَلا سيّما **عبدالله** بن **حزم** و **سعدبن عُبادة**»

و رُوِي من طريق **ابن سيرين** قال :

« كان اهلُ الصُّفَّة اذا اَمْسَوْا انطلق الرّجل بالواحد و الرّجل بالأثنين والرّجل بالجماعة فأمّا سعد فكان ينطلق بثمانين .

«وقصّته فى تخلّفه عن بيعة **ابى بكر** مشهورة . . . » انتهى مافى « الأصابة » ملخّصاً ايضا .

وقال ابونُعَيْم فى حلية الأولياء (المجلد السّادس ـ الصفحة ال۳۲۷) بالأسناد عن **عبدالله** بن **وهب** عن الامام **مالك** بن **انس** انه قال :

سعد وما بلغ من الاجتهاد فى العمل الصالح

« انّ راهباً كان بالشّام فلمّا رأىٰ اوائل اصحاب النّبىّ صلّى‌الله عليه و سلّم الّذين قدموا الشام . . .

«وقال : والّذى نفسى بيده مابلغ حوارىّ عيسى بن مريم عليهماالسّلام ، الّذين صُلبوا على‌الخشب ، و نُشروا بالمناشير ، من الأجتهاد مابلغ اصحاب محمّد صلّى‌الله عليه و سلّم .

« قال **عبدالله** بن **وهب** : قلت لمالك بن انس : تسمّيهم . فسمّىٰ **اباعبيدة** و **معاذاً** و **بِلالاً** و **سعد بن عبادة** »

۲۱۰ـ ماالّذى أُبيح به قتل الصّحابىّ البدرىّ ؟

قدورد فى سائرالكتب‌المعتبرة‌المعتمدة فى‌شأن ذلك‌الرّجل‌العظيم ، والصّحابى‌ـ الكبير ، المعاضد للنبىّ ، و المجاهد البدرىّ ، الّذى كان رأس اهل الحلّ و العقد ، وسيّد اهل الكرم والمجد ، و معتَمَد الرّسول فى مشاورته ، وصاحب لوائه و رايته ، مثل ماورد فى الكتابين و نقلنا ملخّصهما .

فهل كان من الجزاء الخير الّذى دعابه النبىّ له ، و من ثمرات السّلام والصّلوة والرّحمة عليه و على آله ، ان يصير دَمُه مُباحاً ، و يُحرَّض على قتله ؟!

ماذا اوجب ، ام اباح ، قتلَ الصّحابى البدرىّ ، صاحب راية الرّسول فى المواطن كلّها ؟

هل كان حضوره فى السّقيفة (بل احضاره واخراجه واقعاده - لأنّه كان مريضا-) اباح دمه و اوجب قتله ؟

او هل كان كلامه فى موضوع الأمارة (لاالخلافة) اورث ذلك ؟ فلماذا ؟ ولم يكن ذلك كفراً بالله ولامخالفاً لنصّ من القرآن اونقل من السنّة (على حسب ماادّعوا) اولا اقلّ من اجماع صحيح .

اَوْ هل يصحّ ان يقال : انّ ميله الى الرئاسة و حبّه الأمارة الّتى فُوّض امرها ، على ما قالوا و اعلنوا ، من جانب الله و رسوله ، باختيار الأمّة و انتخابهم فلهم تعيين الأمير (اوالخليفة) ، مبيحاً لأراقة دمه و اباحة قتله ؟

فما الدّليل عليه ؟

هل كان هنا نهى شرعى و منع دينىّ يمنع فرداً من الأمّة ان يهوىٰ الى الأمارة ، ويريدها لنفسه ، و يعمل لنيلها ، و يسلك طريق الوصول اليها ، و يعزم على حفظ الأسلام والمسلمين ، واعلاء كلمة الدّين ؟

اليس اذا لم يكن هنا نصّ من الله ورسوله على شخص خاص للخلافة (كما قالوا) جائز لكلّ واحد من افراد المسلمين اذا راىٰ من نفسه التّمكن والصّلاح ، كائنا من كان ، ان يريدها لنفسه ، و يدبّر فى سبيل تحصيلها لشخصه ، بل يعارض غيره ان رآه غير صالح او يرى نفسه اصلح ؟

سعد وطول صحبته وكثرة جهاده واجتهاده

فكيف بسعد ؟ وهو هو ، من طول الصّحبة للنبىّ (ص) و خلوص الخدمة له ، و شدّة الدّفاع عنه ، و كثرة الجهاد بنفسه وماله وقومه و عشيرته فى سبيل اعلاء الدّعوة . هذا مع علوّ شأنه حسباً و نسباً و عظمة مقامه فى الأنصار بحيث كان مُرَشّحاً بينهم ،

باتّفاقهم ، للأُمارة حتّى «اَخرجوه مريضا» و «اَقعَدَتْه الأنصار» لأن يبايعوا معه و قدكان كاملا فى السخاء والشّجاعة ، اصيلا فى الأمارة ، عريقا فى الرّئاسة ، فقدكان طيلة الزمان رئيسا على قومه ، كآبائه ، نافذاً امره فى قبيلته ، ومع ذلك كلّه كان له مقام الشّيخوخة والتّحنُّك والتّجربة والممارَسة فى العرب و فى الأسلام . على انّ لقومه و قبيلته الخاصّة من الأنصار ايضا كان مقامهم الشّامخ فى الاسلام و بين المسلمين ، كما ابان عنه سعدٌ نفسه ، على مانُقل عنه فى الكتب المعتبرة ، وهَوْ ذانَنقلها .

۲۱۱ـ كلام سعد فى السقيفة

قال محمّد بن جرير الطّبرى فى تاريخه (مسنداً) :

«انّ النّبىّ لمّا قُبض اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنىساعدة فقالوا :

«نُولّى هذا الأمر بعد محمّد، عليهالسّلام ، سعد بن عُبادة ، و اخرجوا سعداً اليهم ، و هو مريض ، فلمّا اجتمعوا قال لابنه ، او بعض بنىعمّه ، : انّى لا اقدر لشكوىْ ان اُسمع القومَ كلّهم كلامى ولكن تلقَّ منّى قولى فاَسْمِعْهُمُوهُ . فكان يتكلّم و يحفظ الرّجل قوله . فيرفع صوته فيُسمِع اصحابه .

«فقال بعد ان حَمَدَاللهَ و اَثْنىٰ عليه :

«يا معشرالأنصار لكم سابقة فىالدّين وفضيلة فىالاسلام ليست لقبيلة منالعرب ان محمّدا ، عليهالسلام ، لبث بضع عشرة سنة فى قومه يدعوهم الى عبادة الرّحمن ، وخلع الأنداد و الأوثان فما آمن به من قومه اّلا رجال قليل . وكان ماكانوا يقدرون على ان يمنعوا رسولالله و لا اَنْ يُعِزّوا دينه و لااَ ان يَدْفعوا عن انفسهم ضَيْماً عُمُّوا به .

مقام الانصار فى الاسلام

«حتّى اذا اراد بكم الفضيلة ، ساق اليكم الكرامة و خصّكم بالنعمة فرزقكمالله الأيمانَ به و برسوله والمنع له و لاصحابه و الأعزاز له و لدينه و الجهاد لأعدائه .

«فكنتم اشدَّ الناس على عدوّه منكم و اثقله على عدوّكم من غيركم حتّى

استقامت العرب لأمرالله طوعاً و كرهاً واعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً حتّى اثخن الله عزّ وجلّ، لرسوله بكم الأرض، ودانت باسيافكم له العرب، و توفّاه الله وهو عنكم راضٍ و بكم قرير عين. استبدّوا بهذا الامر دون النّاس [۱].

« فأجابوه بأجمعهم: ان قد وُفّقتَ فى الرّاى واصبت فى القول و لن نعدُوَ مارايتَ. نولّيك هذا الامر فانّك فينا مُقْنِـعٌ و لصالح المؤمنين رضىً »

هذه كلمات القيٰها **سعد**، بعد ماكانت الأنصار مجتمعاً فى السقيفة، متّفقاً على توليته هذا الأمر، ثمّ اخراجه مريضاً اليهم، و نطق بها ذلك اليوم.

فهل كان قصد الأنصار و اتفاقهم على توليته او اخراجهم ايّاه سيّئة منه يوجب قتله ؟!

او هل يُوجد و يُرىٰ فى ماقال، بعد مااخرجوه مريضا اليهم وصدّقوه باجمعهم وهم اكثر من غيرهم و فيهم من الصّحابة و البدريّين من لايخفى شأنه، ان كان المناط الكثرة اوالصّحبة اوالجهاد فى البدر، و رأوه صالحاً و اجابوه بانّه: موفّق فى الرأى، مصيبٌ فى القول بل ولّوه هذا الأمر قولاً، لأنّه «مُقْنِـع فيهم ولصالح المؤمنين رضىً» مايسيغ قتله و يبيح دمه ؟!

۲۱۲- لزوم سلوك وادى الأنصار

ثمّ من جانب آخر:

امّا سلكت الأنصار وادياً، و هو اجتماعهم لأمارته و ولايته، و اخراجهم ايّاه مريضا، و اجابتهم له (باجمعهم) بالتوفيق و الاصابة، و اتفاقهم على توليته، لكونه مُقْنِعاً فيهم و رضىً لصالح المؤمنين ؟

اليس فرضاً على من كان مؤمنا بانّ له فى رسول الله اسوة حسنة **سعداً** كان اوغيره

۱- و فى هذا التعبير (دون الناس) مالايخفى.

ان يتأسّى بالرّسول و يسلك وادىَ الأنصار و يخضع لرأيهم ، و يتّبع اجماعهم ، و ان يترك وادى النّاس ، لو كان يوجد هناك واد ، و لم يكد يوجد ، بل احدثوا و اوجدوا (المهاجرون الثلاثة) بعد ورودهم فى السّقيفة وادياً آخر ؟

و بعد اللّتيّا و الّتى ا َما كان الأوفق لمن يتّبع النبىّ و يطيع اوامره ان يحفظ وصيّة الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى كِرْشه وعَيْبته ، الأنصار ، و انْ يَقْبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ولا سيّما اذا كان من الأنصار سيّدهم و شيخهم ، **سعد** بن **عُبادة** ؟

٢١٣ـ حبّ الأنصار آية الايمان و بغضهم آية النّفاق

ففى المسند للامام **احمد**بن **محمد**بن حنبل (الجزء الخامس) بأسناده عن **انس** بن **مالك** انّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال :

« انّ الأنصار كِرْشِى [١] و عَيْبَتى [٢] و انّ النّاس يَكثُرون و يَقِلّون ، فاقبَلُوا من محسنهم واعفوا عن مُسيئهم »

وفى صحيح **البخارى** (الصّفحة ال١١ من الجزء الثّانى) بأسناده عن **ابن عبّاس** قال :

«صعد النّبىّ (ص) المِنبَر وكان آخر مجلسٍ جلسه متعطّفا مِلْحفَةً على مَنْكِبيْه قد عَصَب رأسه بعِصابةٍ و اَثنىٰ عليه ثمّ قال :

ايّها النّاس الىّ . فثابوا اليه . ثمّ قال : **ايصاء النبى بالانصار خيراً**

« امّا بعد فأنّ هذا الحىّ من الأنصار ، يقلّون و يكثُر الناس فمن ولى شيئاً

١ـ « ... وفيها لغتان : كرش و كَرش مثل كبد و كبد و كرش الرجل ايضا عياله من صغار ولده و الكرش ايضاً الجماعة من الناس و منه الحديث : الانصار، كرشى وعيبتى» (صحاح اللغة)

٢ـ العيبة : من الرجل موضع سره ، ماتجعل فيه الثياب.

من امّة محمّد فاستطاع ان يضرّ فيه احداً، او ينفع فيه احداً فَلْيَقْبَلْ من محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم »

وفيه ايضا (الجزء الأول ـ الصّفحة ال١٢ـ) بأسناده عن انس عن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم قال :

« آية الأيمان حبُّ الأنصار و آية النّفاق بغض الأنصار »

وقال عمر نفسه (رض) على ما فى الصّحيح ايضا (الجزء الخامس باب فضائل اصحاب النّبى صلّى الله عليه و سلّم) فى حديث طويل اوصى فى آخره للخليفة من بعده قُبَيْل وفاته :

« و اُوْصِيه بالأنصار خيراً ، الّذين تَبَوَّؤُا الدّار و الأيمان من قبلهم ، اَنْ يُقْبَلَ من محسنهم ، و اَنْ يُعْفىٰ من مُسيئهم »

وفيه ايضا بأسناده « عن ابن عباس رضى الله عنهما » (الجزء الرابع) قال :

« خرج رسول الله فى مرضه الّتى (الّذى) مات فيه بمِلْحَفَةٍ . . . حتّى جلس على المِنْبَر . . . ثمّ قال :

« امّا بعد فأنّ النّاس يكثرون و يَقِلُّ الأنصار حتّىٰ يكونوا فى النّاس بمنزلة الملح فى الطعام .

« فمن وَلِيَ منكم يضرُّ فيه قوماً و يَنْفع فيه آخَرين فَلْيَقْبَلْ من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم »

« فكان آخر مجلس جلس به النّبىّ (ص) » (روى البخارى هذه الرواية فى الجزء الخامس من صحيحه ايضا ـ الصّفحة ال ٣٥١ـ)

وفيه ايضاً (الجزء التّاسع ـ الصّفحة ال٨٦ ـ) بأسناده عن ابى هريرة ، و ايضا بأسناده عن عبدالله بن زيد ، عن النّبىّ (ص) انّه قال :

« لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ولو سلكَ النّاس وادياً، اوشِعْباً لسلكتُ وادىَ الأنصار و شِعْبَها »

وفيه ايضا «باب قول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» (الجزء الخامس الصّفحة ال٣٤) بأسناده عن **انس** بن **مالك** يقول : مرّ **ابوبكر**، و **العبّاس** ، رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال : مايبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبيّ (ص) منّا . فدخل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره بذلك قال : فخرج النبيّ (ص) وقد عصب على راسه حاشية بُرد . قال فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنىٰ عليه ثمّ قال :

«اُوصيكم بالأنصار فانّهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الّذى عليهم و بقى الّذى لهم . فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم»

وفي جمع الجوامع ، المعروف ب«الجامع الكبير» لجلال الدين السّيوطى (المتوفّى (٨٤٩ - ٩١١هـ . ق) نقلاً عن البخارى و احمد بن حنبل و ابى داود و ابن ابى خيثمة و جمع آخر (الحديث ال ٧٥٢٧) :

«انّكم يا معشر الأنصار لاتهاجروا الى احد و لكن النّاس يهاجرون اليكم . والّذى نفس **محمّد** بيده لايحبّ رجل، الأنصارَ حتّى يلقى الله الّا لقى الله تعالى وهو يحبّه ، ولايبغض رجلٌ الأنصارَ حتى يلقى الله الّا لقى الله وهو يبغضه»

٢١٤- امر عمر بقتل سعد، الصّحابى العظيم :

و كيف كان فماذا الّذى يسوّغ لصحابىٍّ عظيم مثل عمر (رض) ان يحرّض على قتل هذا الصّحابى الكبير **سعد** بن **عبادة** ، الّذى لم يجترح مايبيح قتله و يُهدر دمه ، و لم يقترف ما يسوّغ قتل نفسه المحترمة ، بل كان فى جملة مَنْ رضى الله تعالىٰ عنهم و بشّرهم بالجنّة ؟ قوله تعالىٰ :

«وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإحْسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ

مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهَا اَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » ۱

و ماذا هو الدليل الّذى جوّز له (رض) ، ان ينادىَ جهاراً (بعدَ ماكادوا يطؤن سعدَ بنَ عُبادَةَ فقال ناس من اصحابه :

«سعد ! اتّقوالله سعداً لاتطؤه) و يقول :

«اقتلوه ! قتله‌الله ! »

ثمّ يقوم على راسه و يصرخ عليه :

« لقد هممتُ ان اطأَكَ حتى تندر عضوك ! » و حينئذٍ فاهتمّ سعد لحفظ حياته فجمع نفسه واخذ بلحية عمر وقال :

«والله لو حصصت ۱ منه شَعْرَةً مارجعتَ وفيكَ واضحة ۲ »

۲۱۵- عاقبة امر سعد

هكذاكان ماجرىٰ بين عمر و سعد فى السّقيفة . فأن سَلِم و خلُص سعد فى ذلكَ اليوم فما نجا ممّا اُريد به ، و ان تأخّر ، و ما تخلّص عمّا دُبّر له وان تسترّ .

فقد قال‌الفقيه ، ابن عبد ربّه المالكى فى‌الجزء الخامس من كتابه «العقدالفريد»

«وامّا سعد بن عُبادة فأنّه رحل الى‌الشام .

«ابومحمّد عن الكلبى قال :

بعث عمر رجلاً الى‌الشّام فقال : اُدْعُه الى‌البيعة واعمل‌له بكلّ ماقدرت عليه فأن ابىٰ فاستعن‌الله عليه . و اخيراً قتل سعد

«فقدِم الرجلُ ، الشّامَ فلقيه بحوران فى حائط فدعاه الى‌البيعة .

«فقال : لااُبايع قرشيّاً ابداً .

۱- اى قطعت او نقصت.

۲- الاسنان التى تبدو عند الضحك (الثنايا)

«قال فأنّى اقاتلك .

«قال : و ان قاتلتنى .

«قال : افخارج انت ممّا دخلتْ فيه الأُمّة . ؟

«قال : امّا من البيعة فانا خارج .

«فرماه بسهمٍ فقتله . . . . »

٢١٦- توجيهٌ لحضور سعد فى السّقيفة

لعلّه كان فى محلّه ان نجعل ختام الكلام عن **سعد** ، كلاماً يتّضح به وجه حضوره فى السّقيفة و اعتذاره عنه فنقول :

لا يبعد ان يكون حضور **سعد** فى السقيفة (حيثما اخرجوه اليهم ، مع مرضه) لاحتماله ان الأمر سيتمّ لعلىّ لأنّه كان يعلم ما صدر عن النّبى (ص) فى مواطن شتّى فى شأنه وحقّه ، بحيث عرفها المهاجر والأنصار و كان يعلم انّ الأنصار يعرفون الحقّ لعلىّ (و لهذا قالوا على مانقل **الطّبرى** وغيره : «لانبايع الّا علياً » كما نقلناه سابقا) فبعد اللّتيّا والّتى فأن كان الأمر لعلىّ ، على مازعمه فبها و نعمت ، وان رأى انّ الأمر على غير مايزعم و يريد ، ويكون هنا دسيسة لتحويل الأمر الى غير من له الحقّ ، فيدافع عن الحقّ و لا اقلّ من ان يدفع و يصرفه عمّن ادّعاه بالباطل (بزعمه) و لو استلزم ذلك ترشيح نفسه ، او امتناعه عن بيعة غيره ، فلمّا ورد السّقيفة واستشمّ التّوطئة زعم انّ الأوفق للوضع والاصلح للحال والارجح فى ميزان العقل ان يقول ماقال :

ويؤيّد مااحتملناه و ذكرناه مانقله صاحب كتاب «الدّرة النّجفيّة» بهذه العبارة (الصّفحة ال٢٤٨) :

« . . . ماذكره **محمّد بن جرير الطّبرى** فى كتاب المواهب عن **ابى علقمة** عن **سعد بن عبادة** .

« قال : قلت لابن عُبادة ، و قد مال الناس الى بيعة **ابى بكر** ، : **الا تدخل فى مادخل فيه المسلمون .؟**

«قال :

«و انهم لو بايعوا علياً كان اول من بايع سعد»

«اليكَ عنّي فوالله لقدسمعت رسول‌الله(ص) يقول : اذا انامتُّ تضلّ الأهواء و يرجع النّاس الى اعقابهم فالحقّ يومئذ مع عليّ وكتاب‌الله بيده، لاتبايع احداً غيره .

«فقلت له : هل سمع هذا الخبر احد غيرك من رسول‌الله (ص) ؟ فقال :

«اناس فى قلوبهم احقادٌ و ضغائن .

«قلت : بل نازعتك نفسك ان يكون هذا الأمر لك دون النّاس كلّهم .

« فحلف انّه لم يُهمّ بها و لم يُردها و انّهم لو بايعوا عليّاً كان اوّل من بايع سعد » .

ثمّ قال صاحب الكتاب (الدرّة النجفيّة) عن الشيخ الفاضل ابوالسعادات الحلّى فى شرحه على الدّعاء انّه روى :

«اجتمع **ابوبكر** و **عمر** و **ابوعبيدة** فى سقيفة بنى‌ساعدة يطلبون الحكم و البيعة من غير اكتراث باهل البيت و بنى هاشم ، وكلّ واحد من هؤلاء الثلاثة يرجو الأمر ، والحكم لنفسه و يعطفه على صاحبه فانكر عليهم الأنصار واصرّوا على‌الدّفاع والأمتناع واحتجّوا عليهم بما قال رسول‌الله(ص) فى **عليّ** من‌التّوكيد فى امامته فى‌مواطن شتّىً و يأمرهم بالتّسليم عليه بأمرة المؤمنين .

«فقال **ابوبكر** : قد قال ذلك لكن نسخه‌النّبى بقوله : «انّا اهل‌بيت كرّمنا‌الله و اصطفانا بالنبوّة ولم يرض لنا بالدّنيا و انّ‌الله لايجمع لنا النّبوّة والخلافة .

«فصدّقاه **عمر** و **ابوعبيدة** فى‌ذلك وعلّلاقعود **عليّ** فى‌بيته والأشتغال بتجهيز-النّبىّ (ص) دون تصدّى امر الخلافة لعلمه بتحويل الامر عنه .

«فقالت الانصار : اذاً والله لانرضىٰ بأمارة غيرنا علينا ، منّا امير ومنكم اميرٌ ... و معهذا قداصرّ بعض اهل‌السّقيفة فى‌التّخلّف من بيعة **ابى‌بكر** وقالوا : لانبايع احداً غير **عليّ** بن **ابى‌طالب** . وقد صرّح به سيد المحدّثين فى «روضة الاحباب» .

«... فكانَ أبوكَ، و فاروقُهُ، أوّلَ مَنِ ابتزّهُ وَخالفَهُ علىٰ ذٰلِكَ.
اِتّفقا وَاتّسقا. ثُمّ دَعَواهُ الى انفُسِها ...»

(من كتاب معاوية الى ابن ابى بكر)

زَعَمُوها فَلْتَةً فاجئةً — لاوَرَبِّ البَيْتِ وَالرُّكْنِ المَشِيدِ
اِنّماكانَتْ اُمُوراً نُسِجَتْ — بَيْنَهُمْ اَسبابُها نَسْجَ البُرُودِ

(لبعض الأقدمين)

١٢ــ حول العودة الى السّقيفة :

١ـ عودٌ الى السّقيفة .
٢ـ حدوث الاجتماعات .
٣ـ هل البيعة كانت فلتة .
٤ـ زمَعات قريش .
٥ـ التّوطئة و قضاء اللّيل .
٦ـ امور يُستأنس منها التّوطئة.
الاوّل : انكار عمر (رض) موت الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .
الثّانى : اخفاؤه (رض) خبر السّقيفة .
الثّالث : عدم صحّة كون الاجتماع . . .
الرّابع : ماورد فى كتاب . . .

٢١٧- عود الى السّقيفة

اجتمعت الأنصار فى السّقيفة ، وانضمّ اليهم المهاجرون الثلاثة و تمّت البيعة ، على مادريت ، فلننظر الآن فى ذلك الأجتماع و نبحث هل كان امراً مخلوق السّاعة فلتةً ،وشأناً اتّفاقياً و بالصّدفة ،اوكان مولود التّدبير والتّوطئة ، وكان نَسْجَ اللّيالى و الأيّام ، و مبرَماً بالتّفكير و المؤامرة ؟

لعلّ الباحث عن الحقيقة لايكاد يتجاوز هذا الموضع الّا و قد اختلج بباله اسئلة من هذا القبيل فيَشُوْقهُ الامر ان ينكشف له و يصير مَشُوْقاً الى درك الواقع ، و مشتاقا اليه .

فينبغى ان نرجع الى السّقيفة و نُعيد النّظر فيها و نحلّل ما يحتمل ان يستند تأسيسها اليه من الأمور الجليّة والخفيّة بحسب مايناسب هذهالوُريقات عسى انتنكشف امثال هذه المسائل و الاسئلة . و ليقدّم هنا مقدّمة كلّيّة وهى :

٢١٨- حدوث الأجتماعات

الأجتماعات البشريّة وان كانت قد تحدث بالمصادفة ، و تتكوّن بالأتّفاق و المباغتة و لكنّها نادرة جدّاً و الغالب فى حدوثها و تحصّلها هو انْ يوجدها الرّويّة والحزم ، و يُحدثها التّوطئة والتّدبير ، من رجالٍ ذوى الأيدى والابصار ،واشخاص اولى الجاه و الأعتبار ،اهل الحلّ والعقد،و ارباب العزم و القصد،لأغراض عالية تعود الى القوم ، اوالنّوع ، او لأطماع محدودة تختصّ بالشّخص ، او لغير ذلك ، فقلّما ان تجتمع افرادٌ لأمرٍ و لم يكن اجتماعهم مستندا الى يدٍ قويّة او ايادٍ جامعة ، ظاهرةً كانت اوخفيّة ، ولاسيّما اذاكان للشّؤن الهامّة الّتى تكون فى مقام ارفع من ان تنالها

مبدء الاجتماعات و مآلها

افكار العامّة ابتداءً، و فى افق ابعد من ان تنفذ فيه شعاع ابصار اواسط النّاس، فكيف بادانيهم، مستقيما، و فى محيط اوسع من ان يصير مَطْمَحاً و مجالاً لأنظار الكلّ، و مَطْمعا لأميالهم. فلننظر كيف كان حدوث الاجتماع فى السّقيفة ؟

۲۱۹- شأن الأجتماع فى السّقيفة

جاء الأسلام و غلب على المسلمين مايُبعّدهم عن التّشتّت والفُرقة، و يُقرّبهم الى التألُّف والوحدة، فانقلب ماكان فيهم من التّفاخر بعناوين القبائل والأقوام، والتلهّى بالتّكاثر بالعشائر والأفخاذ، الى التوجّه بعنوانٍ واحد، وهو الأسلام، فضعف فى المسلمين عنوان القبيلة والقوم والطّائفة والعشيرة و اضرابها، و ذهبت تلك العناوين، ولو حيناً من الدّهر، اَدْراجَ الرّياح، وصار عنوان «المهاجر» و «الأنصار» عنوانا اسلامياً دينيّاً للمسلمين، و كان ذلك باعتبار التّضحية فى سبيل الأسلام بالأنفس والأموال، وبلحاظ السّعى و الجهد فى طريق كسب الكرامة الحقيقيّة بسلوك طريق التّقوىٰ و الصّالحات من الأعمال.

هكذا كان الأمر فى زمن رسول‌الله، صلّى‌الله عليه و آله و سلّم، فلمّا لبّىٰ دعوة الحقّ، و يا للاسف تَشعّبت الكلمة فاجتمعت الأنصار: فاجتمعت الانصار، بماهم انصار، فى السّقيفة، واجتمعت بنواميّة حول **عثمان**، سيّدهم و كبيرهم، واجتمعت بنوزهرة حول **عبدالرحمن** بن **عوف** و **سعدبن ابى وقّاص**، يترصّدون مايحدث، وامّا بنوهاشم، عشيرة الرسول الاقربون، فكانوا فى بُهْتٍ من عظمة المصيبة وفى شغل من تجهيز الرّسول.

وبين تلك الاجتماعات لم يكن اجتماع، من حيث التأسيس والتجمّع، لغرض مصرّح به و مقصدٍ معيّن ظاهرٍ، هو البحث فى موضوع الامارة، اجتمعوا له، ومن حيث العِدّة والعُدّة، اعظم و اهمّ من اجتماع الأنصار فى السّقيفة.

فمن الّذى كان باعثا لذلك الأجتماع العظيم المنتج ؟

و كيف حصلت تلك التّوطئة ؟

اكانت من الأنصار ؟ ام من المهاجرين الكبار ؟

فأن كانت من الأنصار فمن كان راس التوطئه و بانيها ؟ اسعدُ كان ، وهو مريض لايقدر على الخروج ؟ وقد رايت تصريح الطبرى ، و غيره من عُمَد ارباب التاريخ ومعتمديها ، بانّهم «اَخْرجوا سعداً اليهم وهو مريض» و « اقعدته الأنصار ليُبايعوه » وكان بحيث لايقدر على اسماع القومَ كلامَه ولذا « قال لابنه ، او لبعض بنى عمّه : انّى لااقدر لشكوىٰ ان اُسمع القوم كلامى ولكن تَلَقَّ منّى قولى فاَسْمِعْهُمُوه.. »

او غير سعد منهم ؟ فمن كان ذلك الغير من الأنصار ؟

وعلى هذا فهل كان ذاك الغير يريد الأنتاج لنفسه ؟ ولايُرىٰ فيهم ، على مايُعرف من حالهم ، من كان يتوقّع ، بل يتوهّم ، لنفسه ذاك المقام ، اويريده لغيره ؟

ولا يُظَنَّ انّ احداً ممّن كان لهخبر عن المؤامَرات والمؤتَمرات التى تنعقد فى زماننا ، و الزّمان يدور كهيئته ، يتوهّم انّ مؤتمراً يوجد من جمع كثير و بارادة اشخاص اولى الحزم و التدبير من دون ان يكون ذلك الجمع دبّر الأمر من ذى قبل و ابرموا لحمته وسديٰه ، ونسجوه على منوال يُحتمل ان يصير مانسجوه خارجاً عن اختيارهم و يملكه غيرهم .

قال ابن ابى الحديد :

ماكانت البيعة فلتة

«انّ الشّيعة لم تسلّم لعمر «انّ بيعة ابى بكر كانت فلتة . . . » قال محمّد بن هانى المغربى :

وَ لكنّ امراً اُبْرِمَ بَيْنَهُمْ
وَ اِنْ قالَ قَوْمٌ فَلْتَةٌ غَيْرُ مُبْرَمِ

وقال آخر :

زَعَمُوها فَلْتَةً فاجِئَةً
لاوَرَبِّ الْبَيْتِ وَالرُّكْنِ الْمَشِيْد
اِنَّما كانَتْ اُمُوراً نُسِجَتْ
بَيْنَهُمْ اَسبابُها نَسْجَ الْبُرُوْد»

هذا مانسبه ابن ابى الحديد الى الشّيعة ونقله عنهم فالشّيعة ، لافحسب ، بل كلّ

من تدبّر في الأمر واعتبر نواحيه بالنّظر والفكر بعيد جدّاً ان يعتقد انّ اجتماع السّقيفة كان من الأجتماعات الأتّفاقيّة والفجائيّه بل يعلم انّ يداً قويّة ، ومحرّكة غير مرئيّة كانت من ورائه ، محيطة عليه من جميع نواحيه و جهاته .

٢٢٠ ـ التّوطئة ممّن ؟ و لِمَ ؟

جملة القول انّ ذلك الأجتماع حدث و حصل بتوطئة من بعض المهاجرين ، و بتدبيرهم و لأستفادتهم [1] ولمّا كانت المصلحة فى الأجتماع و الأستفادة منه لاتتمّ لهم الّا باجتماع خصوص الأنصار و بلاشرِكةٍ من سائر المهاجرين، فواطئوا بعض الانصار على ايجاد الأجتماع فى السّقيفة وعلى « اخراج سعد وهو مريض اليهم » و الى ترشيحه للأمارة لتطميع من لايكاد يتوجّه الى باطن الأمر و سرّ الاجتماع ، من اقاربه وعشيرته وقومه ، ليسهل عليهم الحضور و يحصل الأجتماع المنظور ولعلّه كان لبشير الخزرجى ابن عمّ سعد و مُنافِسه فى الأمارة ولأُسَيْد بن حُضير الأوسى ، كبير الأوس وسيّدهم و مُطاعهم ، اللّذان تقدّما على الانصار كلّها فى البيعة ، بل و تبادرا اليها و سبقا كلّ الحاضرين ، سهم وفير ، و نصيب كثير فى تلك المواطاة و التّوطئة ، وفى تدبير ذلك الأجتماع فى السّقيفة .

و ذلك لأن المواطؤن عرفوا انّ النّبىّ (ص) لا يبرء من مرضه و انّه يرحل عن قريب الى جوار ربّه فتخلّفوا عن جيش اسامة و اثّا قلوا حتّى غضب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشدّد فى خروجهم عن المدينة واكّد التزامهم الجيش والحركة مع اسامة .

وكانوا يعرفون ايضا انّ قريش و سائر المهاجرين ، و فيهم علىّ و العبّاس والزّبير وعثمان واشباههم لايتنازلون لخلافة من كان دونهم فى الحسب والنّسب ولايخضعون لأمارة من لايدانيهم ، باعتقادهم ، فى القرابة اوالسبب .

---

١ ـ ان كنت فى ذكر ممانقلنا سابقا عن الطبرى (طى الامر الخامس) من قول عمر (رض) «... واجتمع المهاجرون الى ابى بكر» (يعنى قبل السقيفه) تتفطن الى التوطئة .

ويعلمون انّ قريشا و ان كانوا «كرهوا ان يجمع لبنى هاشم النبوّة و الخلافة»، على مانُقل عن عمر (رض)، و لكنّهُم اذا دارالأمربين علىّ و بينهم لايتجاوزون عنه، ولولم يكن ذلكَ حباً لعلىّ بل لكراهتهم تحمّل امارة من هو «اقلّ حياً و اذلّ بيتا وادون اُسرةً منهم.

وناهيكَ فى ذلكَ ماصرّح به **ابوسفيان**، حين رأى الأجتماع على بيعة **ابى بكر** واقبل عليهم، من قوله:

«اما والله انّى لأرىٰ عَجاجة لايُطفيئها الّا الدّم.

«يا لعبد مناف! فيمَ **ابوبكر** من امركم؟

«ايْنَ المستضعفان؟ ايْنَ الأذَلان؟ يعنى **عليّا والعبّاس**.

«مٰا بٰالُ هٰذا الأمرِ فِـى اَقَلِّ حَيّ قريش؟ «اذل بيت فى قريش واقل حيهم»

ثمّ قال لعلىّ: ابسط يدكَ ابايعكَ فوالله ان شئت لأملأنّها على ابى فضيل، يعنى **ابابكر**، خيلاً و رَجِلا.

فامتنع **علىّ** عليه السّلام فلمّا يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر **المتلمّس**:

و لا يُقيمُ عَلىٰ ضَيْمٍ يُرادُ به
اِلّا الأذَلانِ: عَيْرُ الحيّ والوَتَدِ
هذا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوط برُمّته
وَ ذا يُشَجُّ فلا يَرْثِىٰ لَهُ اَحَدٌ»

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى (الصفحة ال ٦٧): «و اخرج **الحاكم** و صحّحه **الذّهبى** عن **مرّة الطيب** قال: جاء **ابوسفيان** بن حرب الى **علىّ** فقال:

«ما بال هذا الأمر فى «اقلّ **قريش** قلّةً و اذلّها ذلاً؟» - يعنى **ابابكر** - والله لئن شئْتَ . . .»

وفى مروج الذّهب (المجلّد الثانى- الصفحة ال ١٤-) فى واقعة الجمل عن **عمير-بن الأهلب** الضبىّ احد اصحاب الجمل، او كما عبّر نفسه عند موته عن نفسه: «مخدوع المرئة» انّه قال:

لقداوردتنَاحومة الموت امّنا فلم تنصرف الّا و نحن رواء
اَطَعنا بنى تيم لشقوة جدّنا وَما تيم الّا اَعبُدٌ، وا ماءٌ

حكى **ابن ابى الحديد** عن كتاب «السقيفه» **لأبى بكر** بن **عبدالعزيز الجوهرى** .

«جاء **ابوسفيان** الى **علىّ** عليه‌السلام ، فقال :

«ولّيتمُ على هذاالأمرِ «اَذلَّ بَيتٍ فى قُرَيش» اناوالله لئن شئتُ لأملأنّها على **ابى فضيل** خيلاً و رَجلاً . . .»

وحكى ايضا (فى المجلّد الاوّل الصفحة ال١٣٠) عن ذلك الكتاب : « انّ **اباسفيان** لمّا بويع **عثمان** قال :

كلام ابى‌سفيان فى‌شان تيم وعدى

«كان هذا الأمر فى تيم و انىّ لِتَيمٍ هذا الأمر ؟

« ثمّ صار الى عَدِى . و عَدِى فاَبعد واَبعد .

«ثمّ رجعت الى منازلها واستقرّ الأمر قرارَها فتلقّفوها تلقُّف الكُرة» !

٢٢١ـ شأن البيوت فى العزّة والذلّة

وممّا يدلّ على انّ شأن البيوت فى العزّة اوالذلّة لها، كان امر آمر تكزاً فى نفوسهم وكان من الصّعب العسير جدّاً ان يعترف الأعزّ الاعلى منها للادنى و الأذلّ و يخضع لحكومته و امارته ، ماورد فى عدّة كتب معتمدة وهى :

«نازع **ابوسفيان** ، **ابابكر** فى امر فأغلظ له **ابوبكر** فقال **ابوقحافة** :

«يا بُنىّ ! اتقول هذا لأبى‌سفيان ، شيخ البطحاء !؟

«قال :

الاسلام رافع بيوت و واضع بيوت

« انّ الله رفع بالأسلام بيوتاً ووضع بيوتا. فكان ممّا رَفَعَ ، بيتُكَ ياابت و ممّا وَضَعَ بيتُ **ابى‌سفيان** »

روى **المدائنى** فى كتاب «الأمثال» (على ماحكاه **ابن ابى الحديد**) :

« انّ رسول‌الله لمّا خرج من مكّة يَعرِضُ نفسه على قبائل العرب خرج الى

ربيعةَ ، و معه عليٌّ (ع) و ابوبكر (رض) فدُفعوا الى مجلس ربيعة . فتقدّم ابوبكر وكان نسّابة ، فسلّم . فردّوا عليه ، السّلام فقال :

«ممّن القوم ؟

«قالوا : من ربيعة .

«قال : أمِن هامَتِها ام مِن لَهازِمِها [1] ؟

«قالوا : من هامَتِها [2] العُظمىٰ .

«فقال : من ايّ هامَتِها العُظمىٰ انتم ؟

«قالوا : من ذُهل الأكبر .

«قال : افمنكم **عوف** ، الذى يقال له : لاحرّ بوادى عوف ؟

«قالوا : لا .

«قال : افمنكم **بسطام** ، ذواللّواء و منتهى الأحياء ؟

«قالوا : لا .

«قال : افمنكم **الحوفران** ، قاتل الملوك و سالبها انفسَها ؟

«قالوا : لا .

«قال : افمنكم **المزدلف** ، صاحب العمامة الفردة ؟

«قالوا : لا .

«قال : افأنتم إخوان الملوك من كِندة ؟

«قالوا : لا .

«قال : فلستم اذاً ذُهل الأكبر . انتم ذُهل الأصغر .

«فقام اليه غلامٌ ، قد بقل وجهُه ، اسمه **دَغْفَل** فقال :

إنَّ علىٰ سائِلِنا اَنْ نَسْأَلَه وَالعِبْءَ لاتَعرِفُه اَوْتَحمِلَه

۱ـ اللهزمة «عظم ناتىء فى اللحى تحت الاذن وهما لهزمتان» جمع لهازم .

۲ـ «هامة كل شيىء راسه و رئيسه و سيده» من الهوم .

«ياهذا انّك قد سألتنا فأجبناك ولم نكتمك شيئاً . فممّن الرّجل ؟

«قال : من قريش .

«قال : بخٍ بخٍ اهلُ الشّرف والرّئاسة . فمن ايّ قريش انت ؟

«قال : تَيْم بن مُرّة .

«قال : امكَنْتَ ، والله ، الرّامىَ من الشّغْرة . أمنكم قُصىّ بن كلاب الّذى جمع القبائل من فِهْر فكان يُدْعىٰ مُجَمِّعاً ؟ نسب ابى بكر

«قال : لا .

« قال : افمِنكم هاشم الّذى هَشَمَ لقومه الثّريد ؟ [و رجال مكّةَ مُسْنِتُون عجاف] [1] .

«قال : لا .

« قال : افمِنكم شيبة الحمد مُطْعِم طيرالسّماء ؟ [الّذى كان وجهه قمرامضيئا]

«قال : لا .

«قال : أفمِن المفيضين بالنّاس انت ؟

«قال : لا .

«قال : أفمِن اهل النّدوة انت ؟

«قال : لا .

«قال : افمِن اهل الوفادة انت ؟

«قال : لا .

«قال : افمِن اهل الحجابة انت ؟

«قال : لا .

«قال : افمن اهل السّقاية انت ؟

«قال : لا .

١- «واسنتوا اذا اصابتهم الجدوبة . . .» (صحاح اللغة) .

«فاجتذب ابوبكر زمامَ نافتة و رجع الى رسول‌الله (ص) هارباً من الغلام .

«فقال دَغْفَل :

صادف دَرَّ السَّيْل دَرٌّ يدْفَعه

[فى هَضْبَةٍ تَرْفَعُه و تَضَعُه]

«اَما والله لوثبَتَ لأَخبرتُه : انكَ من زَمَعات[1] قريش .

«فَتَبَسَّمَ رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلّم . وقال عليٌّ لأَبى‌بكر ، لقد وقَعْتَ يا ابابكر من الأَعرابى على باقعةٍ[2] قال : اَجَلْ ، انَّ لكلّ طامَّةٍ طامَّةً و البلاءُ موكَّلٌ بالمنطق . فذهبَتْ مثلاً[3] »

۲۲۲- كيفيّة التّوطئة للسّقيفة

و لنرجع الى ماكنّا فيه من امر السّقيفة . قلنا : انّ المواطاة و التّوطئه على ما يترائى كانت من بعض المهاجرين مع بعض الأنصار بعد ماعرفوا عاقبة مرض الرّسول وعلموا انّ قريش وسائرالمهاجرين ، وفيهم علىّ و العبّاس ، لايتنازلون‌للخلافة فى‌غيرهم وايقنوا انّ قريش ، وشيخهم ابوسفيان ، وان كرهواجمع النّبوّة والخلافة‌فى‌بنى‌هاشم ، كما زعم عمر ، لكنّهم يتحاشون عن التّسليم لخلافة من كان « اقلّ حياً » و « اذلّ بيتا » ، وكان«من زَمَعات قريش» والخضوع لها .

الى هنا وصل كلامنا ، فنعود الىٰ تمام البحث فى ماعُدنا الى‌السّقيفة ونقول :

۱- «الزمعة : التلعة الصغيره. ومنه «انك من زمعات قريش» اى لست من اشرافهم» (مجمع‌البحرين)

۲- اى داهية. الرجل الذكى العارف لايدهى.

۳- نقلت هذه الحكاية فى الجزء الثالث من كتاب «العقد الفريد» (الصفحة ال ۲۷٤) وفى كتاب «المحاسن والمساوى» للبيهقى (الصفحة ال۷٦-۷۷) مع اختلاف يسير فى بعض‌الكلمات اشرنا الى بعضها بالمعقفتين. وايضا نقلها محى‌الدين العربى فى كتابه « محاضرة‌الابرار و مسامرة‌الاخيار» مع اختلاف يسير جدا.

الاوضاع و الاحوال و ما يقتضيه من الاقوال

وعلموا ايضا انّ الأنصار قلوبهم مع عليّ، يحبّونه و يعتقدون عظمة شانه، وعلوّ قدره، ولم يكن لهم عصبيّة في «جمع النبوّة والخلافة في بني هاشم»، ولم يكن من عليّ ثارٌ في الأنصار، كما كان منه في قريش، و غير ذلك من الأمور الّتي كانوا يعرفونها في هذا المورد.

فما كان يليق بهم ان يفعلوا ؟

و لنفرض، حملاً لتصحيح عملهم، انّهم (رض) لم يكونوا قاصدين للامارة والخلافة، لنفسها، ولا مريدين للعلوّ والرّئاسة، لأنفسهم، وحتّى لم يكونوا مخالفين لخلافة خصوص عليّ، بل كانوا مشفقين لحفظ الاسلام، خائفين من تفرّق الكلمة، فزعين الى اختلاف الأمّة، و نازعين الى الأتّحاد و الأتّفاق، هل كان لهم، و هم اهل الحلّ والعقد، ذووالحزم والعزم، والحال هذه، مناص من ان يتدبّروا الأمر ويعالجوا الواقعة قبل وقوعها و ينتهزوا الفرصة قبل فواتها بوفات الرّسول و يواطئوا مع موافقيهم بتوطئة الامور لما بعد الوفات ؟

ما ذا ينبغي ان يفعل الرّجل اليقظ المدبّر الحازم في امثال تلك الأوضاع و الأحوال ؟

لايكاد يرتاب من كان له ادنىٰ مسكة انّ على العاقل الحازم الّذي له علاقة بالأمر، في مثل هذه الحالة ان يشمّر عن ساعد الجدّ و الجهد لتدارك الأمر في اسرع وقت و بأمتن وجهٍ.

فيكون اوّل مايفعل ان يجتمع مع من يظنّ موافقته في المآرب والمقاصد، ويربئه طامعا في الفوائد و العوائد، فيتآمرون و يتذاكرون، فيختارون اقصر طريق يوصلهم الى المطلوب.

فليفحّص هذه الطّرق كي نعرف الطّريق الموصل ونعلم انّه كيف ينبغي الوصول اليه ؟ وعلى ماينبغي ان يكون السّلوك فيه ؟

٢٢٣ ـ الطّرق المتصوّرة، و الموصل المنتج منها

هل يكون من الطّرق الصّحيحة ان يطرح الموضوع مع عشيرة الرّسول الأقربين و رأسهم **علىّ**، و هو ولو لم يكن منصوص الخلافة، او لم يكن يعتقد انّها حقّه، او لم يكن فى سوبداء خاطره ارادتها لنفسه، فلااقلّ من عدم اطمئنانهم بموافقته لهم فى ماراموه فلايجوز ايقاظه فضلا عن طرح المنظور معه؟ او مع سائر بنى‌هاشم والأقربين من العشيرة (و فيهم **العبّاس**، عمّ الرّسول، و هو الّذى يعتقد الخلافة لعلىّ و يقترح عليه ان يبايعه «حتّى يقول النّاس بايع عمّ الرّسول» فيتّبعونه بالبيعة ويتمّ الأمر لعلىّ) و حالهم فى عدم الأطمئنان بموافقتهم لهم فى منظورهم تلك الحال؟

او هل يكون من الطّرق السّويّة ان يُشاوَر مع قريش، و فيهم **ابوسفيان**، و هو على ماعبّر عنه **ابوقحافة** و ارتكز فى الأذهان «شيخ البطحاء» و هو الّذى لعلّه لايرىٰ فى‌الرّئاسة حقّا لغيره، فكيف اذاكان هذا الغير «اقلّ حيّاً» و «اذلّ بيتا» فى‌قريش، كماكان يصرّح به، و لا يكاد يرضى بها الّا لنفسه، و لكنّه لمّاكان يرىٰ انّ بينه و وبين مطلوبه بون بعيد، و دونَ وصوله اليه خرط القتاد، فلابدّ و ان لا يخرج الأمر من بنى عبد مناف، ولاسيّما عمّن يُمَدّ الأعناق اليه، و تسكن القلوب و الأصوات لديه، وهو **علىّ** و الّا فعمّ الرّسول، **العبّاس** [1]؟

اَوْ هل يجوزان يُستدعىٰ المهاجرون اجمعون ويُطرَح الموضوع فى مُجتَمَعِهِم و يُعلَن بالمنظور فى ندوتهم، و فيهم من فيهم من قريش و من بنى‌هاشم و من مُواليهم و محبّيهم؟

اَوْ هل يصحّ فى عرف السّياسة و التّدبير، ان يُدْعَى القبيلان: المهاجرون

١ـ و يرشد الى هذا انه يحرضهما و يشجعهما معاً فيقول: «اين المستضعفان؟ اين الاذلان... فوالله ان شئت لاملانها على ابى‌فضيل، يعنى ابابكر، خيلا و رجلا ...» و يتمثل بيت المتلمس «ولايقيم على ضيم يراد به، الا لاذلان ...»

و الأنصار كى يُؤلَّف منتدىً من الفريقين ومؤتمراً من القبيلين ثمّ يُجعل الأمر شورىٰ بينهم فى هذا النّادى ؟

اوَليس ، اذ ذاك ، من المظنون المتاخم بالعلم ، بل من المعلوم المقطوع حدوث الأختلاف بمخالفة المهاجرين اجمعين اولااقلّ بمخالفة بعضهم وعدم خضوعهم لامارة من كان «اقلّ حياً» و«اذلّ بيتاً»؟

اجتماع بنى امية و بنى زهرة حول اكابرهم

وقد عرفت ممّانقلنا حكايته عن ابى بكر بن عبدالعزيز انّ «بنى اميّة اجتمعت الى عثمان ، و بنى زهرة الى سعد و عبدالرحمن بن عوف» وعلمتَ انّ بنى هاشم كانت فى بيت الرّسول (ص) و حول علىّ لجهاز الرسول (ص) فتعرف من ذلك ان كلّ من يترقّب له الأمارة والخلافة من المهاجرين كان حوله اجتماع من حيّه و بيته ولا- ذكرهنا من حىّ تيم و عدىّ فهل كان عدم اجتماعهم حول كبرائهم لكونهم « اقلّ » ، واذل » كما عبّر ابوسفيان او لأمور اُخر ؟ العلم عندالله .

و كيف كان فلابدّ للوصول الى المطلوب ، و تحصيل البيعة من تأليف افراد ، و تكوين اجتماع .

٢١٤- الرّاجح من الطرق ، اجتماع الأنصار

اجاب دعوةَ ربّه نبىُّ الرحمة ، واستولى الدَّهَشُ والحيرة على الأُمّة ، وملكت- التأثُّر والتحيُّر العامّةَ ولا سيّما الأقرباَ والعشيرةَ ، بنى هاشم .

فعلىٌّ ، والحالة تلك الحالة ، لمكانه المعلوم و قرابته الخاصّة ، لابدّ وان يكون بصدد جهاز الرّسول بتغسيله و تكفينه و تدفينه (ص) فهو مشغول به ، منصرف عن كلّ شىء سوىٰ هذا الأمر الشّاغل ، ولاهمّ له و لأقربائه و اوليائه الّا بما يرتبط بهذاالشّأن- الهامّ العاجل .

فأذاكان هنا مَنْ اراد صرف الخلافة الى نفسه ، لمايرىٰ فيه من المصلحة للاسلام ، او لما يحبّ و يهوىٰ من الرئاسة (والعياذ بالله) و اتّباع الهوىٰ ، فما عليه ان يفعل فى

فی الحاضر من الوقت ؟ و بما ذا یرشده التّدبیر و الرّأی ؟

أمِنَ الحزم ان یسلک طریق الأناة والتّسامح فی الأقدام فیؤخّر الأمر الی فراغ علیّ و اقرباء النّبی (ص) من الجهاز و یأخذ بالصّبر والتّراخی الی ان یستقرّ الأفکار ، و تطمئنّ قلوب الأصحاب ، و تسکن النّفوس عمّا دهمته من الأنقلاب والاضطراب و تجد الأمّة و اولیاء النظر و الفکرة فرصة للتّوجّه و الخوض فی تشخیص المصلحة والمفسدة ، و تمییز الحق من الباطل ، و تعیین الاقرب الأنسب الأفضل الأولی ؟

الطریق المختار

ألا یکون من الواضحات وکالشّمس فی رائعة النّهار انّ فی ذلک التّوانی والتّأخیر آفات ؟

أوَ لیس من المتیقّن انّ التّأخیر ان لم یورث اتمام الأمر لعلیّ او للعبّاس ، اولغیرهما من اکابر قریش واعاظم الاصحاب ، کالزّبیر وطلحة و عثمان ذی النّورین ، فلااقلّ یورث صرفه عمّن لیس له حیٌّ یساعده و بیت یعاضده ، اوعلی ماقال ابوسفیان من کان «اقلّ حیّاً» و «اذلّ بیتا» ؟

و کیف کان فلامناص من التّعجیل فی الأقدام والتّسریع بالأتمام بحیث لایطّلع المهاجرون علی الأمر الّا بعد اتمامه وعلی هذا فلابدّ وان لایکون التّألیف و الأجتماع الّا من الأنصار فحسب .

هذا مایجزم به الحزم ، و یحکم به العزم ، و یقتضیه التّدبیر و الکیاسة ، ویرتضیه الحکمة والدّهاء والسیاسة .

فالآن ، و الحال علی ماتدری ، کیف ینبغی ان یکون الأقدام لدعوة الأنصار و جمعهم ؟ و بایّ طریق یصلح تحریضهم علی الأجتماع ، بحیث یبادرون الیه بلاتأمّل ، و یسارعون فیه من دون اختلاف و تفرّق ؟

٢٢٥ ـ كيفيّة دعوة الأنصار للاجتماع

ا َمِنَ المصلحة ان تكون الدّعوة باسم احد من اقرباء الرّسول (ص) او باسم خصوص عليّ ؟

ا َليْسَ فى هذا الهتاف والدّعوة نقض الغرَض ممّايرام، والوقوع فى مايُحذر منه و يُخاف ؟

ا َمْ هل من المصلحة ان يكون الهتاف والدّعوة باسم خصوص الصّاحب ، ابى بكر وهو مع انّه ليس من الأنصار يكون «اقلّ حيّاً و « اذلّ بيتا » فى المهاجرين الأبرار و احطّ شأنا للرّئاسة عند الانصار من رؤسائهم الكابرين و شيوخهم الشّاغلين ؟

الدعوة للانصار من الانصار وباسم الانصار

فلاجرم من ان تكون الدّعوة للانصار ، من الأنصار ، و باسم الأنصار اى يكون الدّاعى لهم منهم و باسم شخص من عظمائهم فلابدّ و ان يكون المرشّح للامارة ابتداءً من انفسهم ، وان يكون اعظمهم عندهم قدراً ، و ارفعهم لديهم شأنا ، واكبرهم مقاما ، و اقويٰهم فيهم اُسرةً ، و اكثرهم حيّاً ، و اعزّهم بيتاً ، و اشرفهم ذاتاً ، و اجلّهم بين المهاجر و الأنصار شخصا ، و اعرفهم سخاءً و شجاعةً وكمالاً ، وهو فى ذلك الوقت لم يكن الّا سعد بن عُبادة ، شيخ المدينة و رئيس الأنصار وكبيرهم ، و حامل لواء الأنصار بأمر الرّسول (ص) فى الغزوات والحروب .

فأعدّوا القوم لذلك وهتفوا باسمه فاجتمعت الأنصار فى السّقيفة « و اخرجوا سعد بن عُبادة اليهم وهو مريض لايقدر على الحركة »[1] و جرىٰ فيها ماجرىٰ من ورود الفجائى (على ظاهر الامر) المهاجرين الثّلاثة بموقعه و احتجاجهم بأنّ « الأئمة من

١- احضار سعد فى السقيفة و اخراجه اليها ، مع ما هو فيه من المرض ، كان فى عرف الحزم و شرع التدبير ، لازما و ضرورياً و ذلك لانه لو لم يحضر لم تجتمع عشيرته فيها ولو اجتمعت لم تبايع حتى ترى رأيه و تتحقق نظره و اذنه ، فلم يتيسر ما هو المطلوب من عقد السقيفة و سرعة البيعة على انه لولم يكن حاضرا لم يصر مغلوبا بتلك الكيفية و كان بعد على حجته وقدرته ، مؤثراً فى مخالفته ، سيما اذا وافق عليا ومال الى معاضدته ومبايعته .

من قريش» و سَبْق **بشير بن سعد الخزرجی**، ابن عمّ **سعد**، الی البیعة فلتةً ثمّ مبادرة **اُسید الأوسی** الیها ثمّ قول بعض الانصار (ولعلّهم کانوا فی المواطئین وأعدّوا لذلک من قبل) لبعضهم «فقوموا فبایعوا ابابکر . . .» و جسارتهم السّریعة الغیر المعتادة علی ان یَطَـأوا **سعداً** کی ینصرف هو واقربائه عن الموضوع و ینعطف اهتمامهم بحفظ نفس **سعد** فصار الهرج بحیث خافوا ان یتلف سعد فیذهب بحیاته هو جاء الغوغاء فینادوا : «اتّقوا الله، سعداً لاتطأوه». و فی هذه الجسارة والجرائة ما یُرشد المتدبّر الی سبق التّوطئة فتدبر .

و بالجملة یظهر من جمیع ذلک انّ الأنصار لم تجتمع بدعوة رئیسهم، **سعد**، بل اخرجوه الیهم فلم تکن التّوطئة من قِبَله و لم یکن ایضا هو عالِماً بها محتملا لها و کیف یتصوّر ان تکون التّوطئة من **سعد**، وهو هو فی الحُنکة والتّجربة ، و لم یکن ینضجها بحیث یستنتج منها ماارادَ بل یصیر الأمر بحیث کادان یُقتل ؟ اوکیف یمکن ان یکون عالماً بها و لم یأخذ اُهْبته و لم یکمل عُدّته ؟

وممّا یُستأنس منه انّ الأجتماع فی السّقیفة کان بتوطئةٍ من قَبْل و قضاءٍ فی اللّیل و کانت التّوطئة للخلافة مِن قِبَل من نال بها و احرزها ، امورٌ نشیر الیها :

٢٢٦ـ شواهد علی کون التّوطئة للبیعة من قبل

الأوّل :

انکار **عمر** (رض) موت الرّسول (ص) .

قال **ابن ابی الحدید** :

« و رویٰ جمیعُ اصحاب السّیرة انّ رسول‌الله صلّی‌الله علیه و آله لمّا تُوُفّی کان **ابوبکر** فی منزله بالسُّنْح [١] فقام **عمر بن الخطّاب** فقال [٢] :

١- بضم السین والنون ، او بسکون النون ، علی ماقیل ، موضع بعوالی المدینة ، فیه منازل بنی الحارث بن الخزرج .

٢- «ان رجالا من المنافقین یزعمون ان رسول‌الله توفی. والله مامات ولکنه ذهب ←

«ما مات رسول الله (ص) ولا يموت حتّىٰ يظهر دينه على الدّين كلّه. وليرجعنّ و ليقطعنّ ايدي رجال و ارجلهم ممّن ارجف بموته. لا اسمع رجلاً يقول: مات رسول الله الّا ضربته بسيفي.

«فجاء ابوبكر و كشف عن وجه رسول الله (ص) وقال:

«بأبي و امّي طبتَ حيّاً و ميتاً. والله لايذيقك الله الموتتين ابداً.

«ثمّ خرج والنّاس حولَ عمر وهو يقول لهم: انّه لم يمت. و يحلف.

«فقال: ايّها الحالف على رِسْلِك.

«ثمّ قال: من كان يعبد محمّداً فانّ محمداً قد مات و من كان يعبدالله فأنّ الله حيّ لايموت. قال الله تعالى:

«اِنَّكَ مَيِّتٌ وَ اِنَّهُمْ مَيِّتُوْن. وقال:

«اَفَاِنْ مٰاتَ اَوْ قُتِلَ، انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ اَعْقٰابِكُمْ . . . »

ثمّ نقل ابن ابي الحديد «ماتكلّمت الشّيعة في هذا الموضع» وما اجاب قاضي‌ القضاة في كتاب «المغني» عنها و ما اعترض به السّيّد المرتضى في كتاب «الشّافي» على ذاك الجواب و بعد اللّتيّا والّتي قال:

«و نحن نقول:

«انّ عمر كان اجلّ قدراً من ان يعتقد ما ظهر عنه في هذه الواقعة و لكنّه لمّا علم انّ رسول الله (ص) قد مات، خاف من وقوع فتنة في الأمامة و تغلّب اقوام عليها امّا من الأنصار او غيرهم.

«و خاف ايضا من حدوث ردّة و رجوع عن الأسلام فأنّه كان ضعيفا بعدُ لم يتمكّن.

«و خاف من تِراتٍ تُشَنّ و دماءٍ تُراق، فانّ اكثر العرب كان موتوراً في

← الى ربه كما ذهب موسى بن عمران. والله ليرجعن رسول الله فليقطعن ايدي رجال وارجلهم زعموا انه مات» (الكامل لابن الاثير الصفحة ال ۲۱۹) ومما يستلفت النظر في هذا المنقول اطلاق «المنافقين» على من زعم ! الوفات، ثم الحلف بعدم موته (ص) !

فى حياة رسول‌الله (ص) يقتل من قتل اصحابه منهم . . . »

« فاقتضت المصلحة عنده تسكين النّاس . . . وكذلك عمر اظهر ما اظهر حراسةً للدّين و الدّولة الى ان جاء ابوبكر وكان غائبا بالسُّنْح ، و هو منزل بعيد عن المدينة .

ماقال ابن ابى الحديد توجيها لانكار عمر موت النبى (ص)

« فلمّا اجتمع أبى‌بكر قوى به جأشه و اشتدّ به ازره و عظم طاعة النّاس له وميلهم اليه ، فسكت عن تلك الدّعوى الّتى كان ادّعاها ، لأنّه قدامن بحضور ابى‌بكر من خطبٍ يحدث او فساد يتجدّد . . . »

يقول كاتب هذه الكلمات . ببالى انّى رايت فى بعض الكتب المعتمدة ، و لا اتذكّره الآن ، لبُعد العهد و طول الزّمن ، انّ قبل مجيىء ابى‌بكر و قرائة الآية على عمر قرء بعض من حضرهنا على عمر (رض) عين ماقرأها بعده ابوبكر عليه فلم يلتفت اليه ولم يعتدّ به و لم يسكت عن تلك الدّعوى فكأنّه لم يسمع ماتُليت عليه ولعلّه ينتظر مجيىء ابى‌بكر اليه .

٢٢٧ - الشاهد الثّانى على التّوطئة

الثّانى :

كتمان عمر (رض) خبر السّقيفه وعدم افشائه لمن حضر من اكابرالمهاجرين .

قال الطّبرى فى تاريخه (وغيره ايضا فى كتبهم) :

« لمّا اُتى عمرُ الخبرَ فأقبل الى منزل النّبىّ (ص) فأرسل الى ابى‌بكر ، و ابوبكر فى الدّار ، و علىّ بن ابى‌طالب (ع) دائب فى جهاز رسول‌الله فأرسل الى ابى‌بكر ان اخرُج الىّ انّه قد حدث امرٌ لابدّ لك من حضوره .

كتمان خبرالسقيفه

« فخرج اليه فقال : اما علمتَ . . . فمَضيا مسرعَيْن نحوهم فلقيا اباعبيدة بن الجرّاح فتماشوا اليهم ثلاثتهم . . . »

فممّا لايكاد ان يرتاب فيه انّ العادة (والعقل السّليم والطّبع المستقيم) فى‌مثل

تلك الحادثة تحكم بان يُعلَن بماحدث، من اجتماع الأنصار، عند قاطبة المهاجرين، اهل الرّاى والحلّ والعقد، و يُشاوَر معهم و يُستعان بهم و يُستَمدّ فى مؤامرتهم من آرائهم ولا سيّما فى تلك الحالة، الحالة التى كانت اكابر المهاجرين حاضرين هنا، وفيهم صهرالرّسول واخوه و ابن عمّه علىّ ابى طالب وعمّه العبّاس وحواريّه **الزّبير** و **طلحة** و اعاظم الصّحابة **كسلمان** و **ابى ذر** و **مقداد** و **عمّار** و اضرابهم، فالانحراف عن الطّبيعة العرفيّة السّاذجة و العادة المألوفة المرضيّة، بل و راى العقل، لا يكون الّا وان يكون لسَبْق توطئةٍ للامر و تقدّم مشاوَرة و مؤامَرة و تدبير له.

٢٢٨- الشّاهد الثّالث على كون التّوطئة قبلاً

الثّالثة :

عدم صحّة كون التّوطئة من **سعدٍ بن عُبادة**.

لايصحّ ان يتوهّم انّ اجتماع الأنصار فى السّقيفة كان بتمهيد و توطئة من **سعد بن عُبادة** وذلك لأنّه كان «مريضا مزَمّلاً» لايقدرعلى الحركة بحيث «اخرجوه اليهم» فلتةً و «اقعدوه» بغتة على انّه لوكان بتمهيد منه لم يَصر الأمر الىٰ ما آل اليه من سرعة خيبته و شدّة و طئته.

فمن ذاالّذى مهّد الأمر و اعدّه و هيّأ السّقيفة فدعا الأنصار اليها و نَدَبَهم للاجتماع فيها ؟ فلننظر :

كان فى من حضر السّقيفه **اُسَيْد بن حُضير**، سيّد الاوس و رئيسهم المُطاع عندهم والنّافذ امره فيهم، وكان ايضا ممّن حضر **بشير بن سعدٍ** الخزرجى، ابن عم **سعد بن عُبادة**. وله فى الخزرج، كما دريت، شأنٌ من الشّأن وموقعٌ و مكان.

افتُرى، وانت على مايُظنّ بك ممّن ترعى الأنصاف و تحيط خُبراً باطراف الواقعة و الأكناف، انّهما حضرا فى السّقيفة ليكونا عونا على امارة رقيبهما و من كانا يحسدان عليه و ينافسانه فى رئاسته و هو **سعد بن عبادة** ؟ او حضرا فيها ليشاهدا بيعة

اصحابهما و قبيلتيهما اياه ؟ او حضرا لأخذ البيعة و تحصيل الامارة والرئاسة لنفسهما و مع هذا النظر اخرجوا **سعداً** المكرم المقدم عليهما اليهم و لم يصرفا الأنصار من اخراجه اليهم ؟

لا يظن بك هذه الظنون ، و لا سيما مع ماتتذكر ان **بشيراً** هوالذى سبق بالبيعة فسهل الطريق بمخالفته القوم والفريق ، فريق الخزرج ، انصار **سعد** .

ولعلك على ذكر من قول **الطبرى** هذا :

« . . . اشار **ابوبكر** الى صاحبيه : **عمر و ابى عبيدة** . و دعا **الانصار** الى بيعة من شاؤا منهما . و رد الصاحبان عليه بانه احق لأن يتولى الأمر و قالاله : ابسط يدك نبايعك .

سباق بشير الخزرجى الى المبايعة و سراع اسيد الاوسى فى المتابعة

«فلما ذهبا ليبايعا ، سبقهما اليه بشير بن **سعد** فبايعه . . . »

و بعد ان بايع **بشير الخزرجى** ، بايع **اسيد الأوسى** فتم التدبير و قضى بما سبق من التوطئة و التمهيد و حينئذ قالت عدة ، اعدت لذلك من غوغاء الأنصار ، لبعضهم :

«و . . . فقوموا فبايعوا **ابابكر** . فقاموا اليه فبايعوه . . . » و وثبت تلك العدة على **سعد** ووطئوه كى يشغل هو ، و اقرباؤه ، بحفظ نفسه الأهم ، ويشغلوا عن ماكانوا فيه من المهم المهتم ، فتم بذلك ماارادوا و قضى الأمر على ماكادوا و اشادوا .

٢٢٩ـ بشير و اسيد قبل السقيفة و بعدها

مما يستلفت النظر ان **بشيراً** و **اسيداً** قديذكران مع **ابى بكر و عمر** (رض) قبل جريان واقعة السقيفة وكانه لاينسى مافعلا للسقيفة و فيها ، فيذكران بعدها ولا سيما **اسيدا** فيتوجه اليه بالاجارة والمجازاة و يتقابل بالأثابة والمكافاة .

اما مايكون من قبيل الأول :

قدحكى **ابن ابى الحديد** نقلاً من «كتاب السقيفه» لأبى بكر **احمدبن عبدالعزيز**

بأسناده عن **عبدالله** بن **عبدالرحمن**، فی قضیّة امرالنبی(ص) **اُسامةَ** بن **زید** بالأغارة علی مؤتة حیث قُتل ابوه ، **زید** ، و ان یغزوَ وادیَ فلسطین، انّه لمّا افاق الرّسول فی مرضه :

« . . . فجعل یقول :

«اَنفِذوا بعث اُسامة. لعن‌الله من تخلّف عنه . فکرّر ذلک .

« فخرج اُسامة و اللّواءُ علی رأسه و الصّحابة بین یدیه حتّی اذاکان بالجرف نزل . ومعه **ابوبکر** و **عمر** و اکثر المهاجرین . و من الأنصار **اسید بن حضیر** و **بشیر بن سعد**[۱] . . . »

وامّا مایُشعر بالثانی :

فقد حکیٰ **ابن‌حجر العسقلانی‌الشّافعی** (۷۷۳-۸۵۲ ﻫ.ق) فی کتابه «الأصابة» روایة عن **الواقدی** من طریق **طلحة** بن **عبیدالله التّیْمی** :

«قال کان **ابوبکر** لایقدّم احداً من الأنصار علی **اُسید بن حضیر** »

وفی «الأصابة» ایضاً ، روایة عن **عروة** ، قال :

« لمّا مات **اُسید بن حُضیر** باع **عمر** مالَه ثلاث سنین‌فوفّی بها دَینه و قال :

«لااترک بنی‌اخی عالة ، فردّ الارض و باع ثمرها»[۲] .

۱- اختصاص الخروج مع **اسامة** بهما لعله کان من اجل موافقتهما مع الصاحبین او مخالفتها لعلی ، ولا کذلک سائر الانصار ، وکان نظر الرسول (ص) کما تعتقد الشیعة فی بعث **اسامة** اخلاء المدینة من المخالفین .والله العالم بحقائق الامور.

۲- لعله لم یوجد فی تاریخ الاسلام موردا آخر عمل فیه عمر (رض) مثل ما عمل فی هذا المورد وقال فیه مثل هذا القول : «لااترک بنی‌اخی ...) اللهم الا ان یدعی عدم وجود میت فی زمانه من المسلمین بحیث کان مدینا حتی لا یترک بنوه عالة ! وکیف کان فحمل عمر لعشه بنفسه . و تقدیم **ابی بکر** اياه علی کل واحد من الانصار کائنا من کان یبین ایضا علو قدره و سمو مقامه عندهم .

وقال ابوعمرو **يوسف** بن **عبدالله** بن **محمد**بن **عبدالبر** «الفقيه الحافظ المحدث۔ المالكی» (۳۶۳ ـ ۴۶۳ ھ . ق) فی كتابه الأستيعاب :

« تُوُفّی **اسيد** بن **حضير** فی شعبان سنة عشرين . . . و حمله **عمر** بن **الخطاب** بين العمودين من عبد الأشهل حتی وضعه بالبقيع وصلّیٰ عليه »

وقال ايضا :

« واوصی (يعنی **اسيداً**) الی **عمر** بن **الخطاب** فنظر **عمر** فی وصيّته فوجد عليه اربعة آلاف دينار فباع نخله اربع سنين باربعة آلاف و قضیٰ دينه . و قيل انّه حمل نعشه بنفسه بين الأربعة الأعمدة و صلّی عليه » .

من اركان التوطئة بشير و اسيد

وعلی هذا فمن القريب جداً أن يكون لهذين الأنصاريين العظيمين دخل عظيم فی تلك التّوطئة و وساطة قويّة ، خفيّة او جليّة ، لاصل الاجتماع و تكوينه فی۔ الأبتداء كما كان لأقدامهما سريعا علی البيعة و ابرام امرها بعداً اثرها المطلوب فی۔ الأنتهاء .

فانظر مرافقه **اُسيد** و معاضدته بعد السّقيفة فی امر البيعة ، لعمر (رض) :

قال ابوبكر ، **احمد** بن **العزيز** ، فی «كتاب السّقيفة» (علی ماحكی **ابن ابی۔ الحديد** عنه) بأسناده عن **ابی الاسود** قال :

«غضب رجال من المهاجرين فی بيعة **ابی بكر** بغير مَشُوْرَةٍ .

«وغضب **علیٌ** و **الزُّبير** فدَخَلا بيت **فاطمة**، عليها السلام ، معهما السلاح . فجاء **عمر** فی عصابة ،منهم **اُسيد** بن **حضير** و **سلمة** بن **سلامة** بن **وقس**،وهما من بنی عبد الأشهل .

«فصاحت **فاطمة** عليهاالسّلام و ناشدَتْهم الله .

« فأخذوا سيفی **علیّ** و **الزّبير** فضربوا بهما الجدار حتّی كسروهما . . . »

۲۳۰- الشّاهد الرابع على التّوطئة

الرّابع :

كلام **معاوية** فى كتابه لمحمّد بن ابى‌بكر (رض) و هذا عين لفظه (قد مرّ سابقاً بعض مافيه) :

«فكان ابوك و فاروقه اوّل من ابتزّه وخالفه على ذلك، **اتّفقا و اتّسقا** ثمّ دعواه الى انفسهما» .

«... فإنْ كُنْتَ برسولِ الله طلبتَ فحقّنا أخذتَ.
وإنْ كُنْتَ بالمؤمنينَ فنحنُ منهُمْ ...
فإنْ كانَ هذا الأمرُ يجب لكَ بالمؤمنينَ فما
وجبَ إذْ كُنّا كارهينَ ...

(من كلام عمّ الرّسول، عباس، لأبی بکر)

فإنْ كُنْتَ بالشّورىٰ ملكْتَ أمُورَهم
فكيفَ بهذا والمشيرُونَ غُيَّبُ؟
وإنْ كُنْتَ بالقُربىٰ حَججْتَ خصيمَهم
فغيرُكَ أولىٰ بالنّبيّ وأقربُ

(رُوِي عن عليّ علىٰ ماقاله الشريف الرضی)

١٣- حول ماجرىٰ بَعْدَ السّقيفة:

١- بعد السّقيفة.
٢- احتجاج العبّاس على ابی‌بکر.
٣- تطميع ابی‌سفيان و اسكاته بالمال.
٤- تهديد عمر (رض) فاطمة بنت‌النّبی (ص) وسيّدة نساءالعالمين ومن كانت ايذائها ايذاء الرّسول (ص) بأحراق بيتها على عليّ وغيره من اهل البيت.!!
٥- استنكاف امرأة من الصّحابيّات المهاجرات عمّا أُرسل اليها من بيت‌المال.

٢٣١ـ بعد السّقيفة

قال **البراء بن عازب**[١] :

«لم ازل لبنی هاشم محبّاً فلمّا قُبض رسول الله (ص) خِفتُ ان تتما لأ قريش على اخراج هذا الأمر عنهم فأخذنی ما يأخذ الوالهة العجول ، مع ما فی نفسی من الحزن لوفاة رسول الله (ص) ، فكنت اتردّد الى بنی هاشم ، وهم عند النّبی فی الحجرة وا تفقّدُ وجوه قريش فانّی كذلك اذ فقدتُ **ابابكر** و **عمر** واذاً قائل يقول :

«القوم فی سقيفة بنی ساعدة واذا قائل آخر يقول :

«قد بويع **ابوبكر** !

اخذ البيعة بعد السقيفة بالقهر

«فلم البث واذا انا بأبی بكر قداقبل ومعه **عمر** و **ابوعبيدة** وجماعة من اصحاب السّقيفة وهم محتجزون بالأُزر الصّنعانية لايمرّون بأحدٍ الاخبطوه! وقدّموه ! فمدّوا يده فمسحوها على يد **ابی بكر** يبايعه ! شاء ذلك اوابیٰ ! [٢] .

١ـ شرح نهج البلاغة لابن ابی الحديد (الجلد الاول ـ الصفحة ال ٧٣١ـ) ذيل شرح الخطبة الشقشقية. وفيه (فی المجلد الاول الصفحة ١٣٢ ـ) (نقلا عن ابی بكر **احمد** بن **عبدالعزيز**) قال : حدثنی **المغيرة** بن **محمد المهلبی** من حفظه و **عمر** بن **شبة** من كتاب بأسناد رفعه الى **ابی سعيد الخدری** قال : سمعت **البراء** بن **عازب** يقول : « لم ازل لبنی هاشم محباً فلما قبض رسول الله تخوفت... الخ .

٢ـ «قال ابوبكر **احمد** بن **عبدالعزيز** الجوهری : و حدثنی **احمد** بن **اسحق** بن **صالح** قال : حدثنی **عبدالله** بن **عمر** بن **معاذ** عن **ابن عون** قال : حدثنی رجل من زريق ان **عمر** كان يومئذ ، قال : يعنی يوم بويع **ابو بكر** ، محتجزاً يهرول بين يدی ابی بكر ، ويقول: الاان الناس قدبايعوا **ابابكر** . قال : فجاء ابوبكر حتی جلس على منبر رسول الله (ص) فحمدالله و اثنی عليه ثم قال : اما بعد فانی وليتكم و لست بخيركم و لكنه نزل القرآن و سنت السنن و علمنا فتعلمنا . ان اكيس الكيس ، التقی و احمق الحمق ، الفجور و ان اقويكم عندی الضعيف ، حتی آخذ له بالحق و اضعفكم عندی القوی حتی آخذ منه الحق . ايهاالناس انما انا متبع و لست بمبتدع . اذا احسنت فاعينونی و اذا زغت فقوسونی»

«فأنكرتُ عقلی و خرجتُ اشتدُّ حتّی انتهیتُ الیٰ بنی‌هاشم و الباب مُغْلَق. فضربتُ علیهم الباب ضرباً عنیفاً و قلتُ:

«قد بایَع النّاس لأبی‌بکر بن ابی‌قحافة!

«فقال **العبّاس**:

«تربت ایدیکم الی آخر الدّهر امّا قد امرتکم فعصیتمونی.

«فمکثتُ اُکابدُ ما فی نفسی ورایتُ فی اللّیل، **المقداد** و **سلمان** و **اباذر** و**عبادة** بن **الصّامت** و**اباالهیثم** ابن**التّیهان** و**حُذیفة** و**عمّاراً** وهم یریدون انْ یُعیدوا الأمر شُوریٰ بین المهاجرین. و بلغ ذلک **ابابکر** و **عمر** فأرسلا الی **ابی‌عبیدة** و الی **المغیرة** بن شعبة فسألاهما عن الرّأی. فقال **المغیرة**:

«الرّأی ان تلقوا العبّاس فتجعلوا له ولولده فی‌هذه‌الامرة نصیباً لتقطعوا بذلک ناحیة **علیّ** بن **ابی‌طالب** علیه‌السلام [1]:

«فانطلق **ابوبکر** و **عمر** و **ابوعبیدة** و **المغیرة** حتّی دخلوا علی**العبّاس**، وذلک فی‌اللّیلة الثّانیه من وفاته رسول‌الله (ص) فحمد **ابوبکر** الله و اَثنیٰ علیه وقال:

«... فقد جئناک و نحن نرید ان نجعل لک فی هذا الأمر نصیباً! ولمن بعدک من عقبک! اذکنت عمّ رسول‌الله (ص)، و ان کان المسلمون قدرَاَوْ امکانک من رسول‌الله ومکان اهلک ثمّ عدلوا بهذا الامر عنکم.

«وعلی رِسْلِکُم بنی‌هاشم فأنّ رسول‌الله منّا و منکم!

«فاعترض کلامَه **عمرُ** وخرج الی مذهبه فی الخشونة والوعید و اتیان الأمر من اصعب جهاته فقال:

«اِیْ والله.

«و اُخریٰ انّا لم نأتکم حاجةً الیکم ولکن کرهنا ان یکون الطّعن فی ما اجتمع علیه المسلمون منکم فیتفاقم الخطب بکم و بهم فانظروا لأنفسکم ولعامّتهم ثُمَّ سکتَ.

۱- فی موضع آخر «لتقطعوا به من ناحیة **علی** و یکون لکم الحجة، عندالناس علی **علی** اذا مال علیکم **العباس**. فانطلقوا ...»

«فتكلّم **العبّاس**. فحمدالله و اثنیٰ علیه. ثمّ قال :

«... فأن كنتَ برسول‌الله طلبتَ فحقّنا اخذتَ وان كنتَ بالمؤمنين فنحنُ منهم.

«ماتقدّمنا فی امركم فُرُطاً ولاحللنا وسطاً ولانزحنا شحطاً.

احتجاج عباس على ابى‌بكر و عمر

«فان كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين، فماوجب اذ كنّا كارهين و ما ابعد قولك «انّهم طعنوا» من قولك: «انّهم مالوا اليك»

«وامّا مابذلتَ فأن يكن حقّك اعطيتناه فأمسكه عليك، وان يكن حق‌المؤمنين فليس لك ان تحكم فيه، و ان يكن حقّنا لم نرض لك ببعضه دون بعض.

«وماالقول هذاالروم صرفك عمّا دخلتَ فيه ولكن للحجّة نصيبها من البيان.

«وامّا قولك: «انّ رسول‌الله (ص) «منّا و منكم» فأنّ رسول‌الله (ص) من شجرة نحن اغصانها و انتم جيرانها».

«وامّا قولك يا **عمر**: انّك تخاف النّاس علينا، فهذا الّذى قدّمتموه اوّل ذلك و بالله المستعان»

هكذا روى **ابن ابى‌الحديد** فى شرحه على نَهْج‌البلاغة (الجزء الاول الصفحة‌ال ٧٣ - ٧٤).

٢٣٢ـ ارضاء ابى‌سفيان للبيعة

و نقل هو (ابن ابى‌الحديد) فيه ايضاً :

«وروىٰ ابوبكر **احمد** بن **عبدالعزيز الجوهرى** فى «كتاب السّقيفة» .. بأسناده عن **مالك** بن **يسار** انّه قال :

«كان النّبىّ قد بعث **اباسفيان** ساعياً فرجع من سعايته وقد مات رسول‌الله (ص) فقال :

«من وُلّیَ بعده ؟

«قيل : **ابوبكر**.

«قال : ابوفضيل ؟

«قالوا : نعم . . .

«فكلّم **عمر** ، **ابابكر** . فقال : انّ اباسفيان قد قدِم و انّا لانأمن شرّه فادفع له ما فى يده . فتَرَكه فرضِيَ »

قال الفقيه المالكىّ ، **ابن عبد ربّه** فى كتابه « العقد الفريد » **(الجزء -** الصفحة ال -) :

« تُوُفّى رَسول‌الله صلّى‌الله عليه وسلّم و **ابوسفيان** غائب فى مَسْعاةٍ اخرجه فيها رسول‌الله، صلّى‌الله عليه وسلّم ، فلمّاقدِم المدينة جعل يطوف فى‌ازقّتها ويقول :

ابيات انشدها ابوسفيان

«بَنى هاشِمٍ لايَطْمَعُ النّاسُ فيكُمُ
وَلا سيَّما تَيْم بن مُرّةَ اَوْ عَدِى
« فَما الأَمْر الّا فيكُمُ وَ اِلَيْكُمُ
وَلَيْسَ لَها اِلّا اَبُو حَسَنٍ عَلى»

«فقال **عمر** لأبى‌بكر :

« انّ هذا قَدِم و هو فاعلٌ شرّاً ، وكان النبىّ يتألّفه على الأسلام . فدع له ما بيده من الصّدقة . ففعل ! . فرضى **ابوسفيان** و بايعه . »

٢٣٣- ختم الكلام عن السّقيفة وماجراياتها

هذا انموذج ممّا ورد فى الكتب المعتبرة ، و نُقل عن الرُّواة الموثّقة المعتمدة من اهل السُّنّة ، فى قضيّة السّقيفة بدءً وختْماً و قبلاً و بَعْداً ، و يظهر من مجموعها جليّاً انّ بناء البيعة قامت علىٰ دعامة التّدبير والأبرام ، ثمّ على عماد الأكراه والاكرام و على الوَعيد و الأيعاد والتّهديد والأرعاد و على التّطميع والبذل و الأرفاد .

و لنكتف بهذا الأنموذج و نختم الكلام فى شأن السّقيفة و بعدها بمارواه **ابن ابى‌الحديد** عن ابى‌بكر **احمد** بن **عبدالعزيز** وهذا لفظه :

«قال : لمّا بويع لابى‌بكر ، كان **الزّبير** و **المقداد** يختلفان فى‌جماعة من‌النّاس

الى عليّ وهو فى بيت فاطمة فيتشاورون و يتراجعون امورهم .

«فخرج عمر حتّى دخل على فاطمة عليهاالسّلام وقال :

«يا بنت رسول‌الله ما من احد من الخلق احبّ الينا من ابيكِ وما من احدٍ احبّ الينا منكِ بعد ابيكِ .

و ايْمُ الله ماذاك بمانِعِي انِ اجتمع هؤلاء النّفر عندك ان آمر بتحريق البيت عليهم[1] . . . »

حلف عمر بتحريق بيت فاطمة على : على و جمع من بنى‌هاشم

و روى ايضا عن كتاب السّقيفة لأبى‌بكر احمد بن عبدالعزيز فى قضيّة السّقيفة بعد نقل كلام حباب بن المنذر وما اجابه به عمر ماهذا نصّه (المجلد الاول ـ الصفحة ال ١٣٣ ـ) :

« . . . فتكلّم ابوبكر فقال : نحن الأمراء و انتم الوزراء و الأمر بيننا نِصفان كشقّ الأُبْلُمَة[2] . فبويع .

«وكان اوّل من بايعه بشير بن سعد والد النُّعمان بن بشير . فلمّا اجتمع الناس على ابى‌بكر قسّم قسَماً بين نساء المهاجرين و الأنصار . فبعث الى امرئة من بنى‌-عبدالنجار قِسمَها مع زيد بن ثابت .

«فقالت : ماهذا ؟

«قال : قسم قسّمها ابوبكر للنّساء .

«قالت :

«اترشُونى عن دينى ؟ والله لااقبل منه شيئاً فردّته عليه . . . »

وفى كتاب «صفة‌الصّفوة» (المجلّدالثانى ـ فى ذكر المصطفيات من الصّحابيّات) لأبن‌الجوزى[3] تحت عنوان «امرئة اُخرىٰ من المهاجرات» :

١ـ وقد نقل انه امركما حلف و حرق باب‌البيت و عسف .

٢ـ «. . . و الابلم : الغليظ الشفتين . و بقلة لها قرون كالباقلى او خوص المقل . و يثلث اوله كالابلمة مثلثة الهمزة و اللام . و المال بيننا شق‌الابلمة اى‌نصفين» (قاموس)

٣ـ الشيخ العلامة جمال‌الدين ابوالفرج عبدالرحمن‌ابن . . . الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ق.) صاحب التآليف الرائقة و المواعظ الانيقة الفائقة .

« عن **ابن سيرين** : انّ **ابابكر** اُتِـى بمال فقسّمه بين النّاس . فبعث منه الى امرئة من المهاجرات فلمّا اُتِيَتْ به قالت :

« ما هذا ؟

« قالوا : **ابوبكر** جائه مال فقسّمه في النّاس فقسّم منه فى نُظرائكِ .

« قالت : اَتَخافونى ان اَدَعَ الأسلام ؟

« قالوا : لاٰ .

« قالت : اَفتَرْشُونَنى على دينى ؟

« قالوا : لا .

« قالت : فلاحاجة لى فيه »

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»

(الآية السابعة من سورة البيّنة قال النّبى (ص) بعد نزول الآية :

«أَنْتَ يا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ»

(تفسير الكبير لابن جرير الطّبرى)

«... وَإِنَّ أُمَّتى سَتَفْتَرِقُ فِيكَ ثَلاثُ فِرَقٍ :
فرقةٌ اتَّبَعُوكَ وَاَحَبُّوكَ وَهُمُ «الْمُؤْمِنُونَ» وَفِرْقَةٌ
عَادُوكَ وَهُمُ «النّاكِثُون» و «المارِقُونَ»
و «القاسِطُونَ» وَفِرْقَةٌ غَلَوا فِيكَ
وَهُمُ الضَّالُّونَ. ياعَلِيُّ أَنْتَ وَأَتْباعُكَ
فِي الْجَنَّةِ»

(اخرجه موفّق بن احمد الخوارزمى)

١٤ ـ حولَ نَشأَةِ الشّيعة :

١ـ اسم الشّيعة و نَشأتُها .
٢ـ حبُّ علىّ و بغضُه .
٣ـ طاعة علىّ و موالاته .
٤ـ نبذة ممّا ورد فى علىّ و شيعته .

٢٣٤ - نشأة الشّيعة و نسبتها

حصلت البيعة في السّقيفة، و حدثت عنوان الخلافة و عُيّنت الخليفة ، على مادريت ، فوجب ان يؤكّد بنيان البيعة و يُشيّد اركان الخلافة . فجلس **ابوبكر** (رض) في الغد من ذلك اليوم على منبر الرّسول (ص) «فقام **عمر** (رض) فتكلّم قبل **ابي بكر** فحمدالله واثنىٰ عليه بما هو اهله ثمّ قال . . . »

«وبعد ماتمّ كلامه توجّه الى النّاس وقال :

«فقوموا فبايِعُوا»

«فبايع النّاس **ابابكر** ، العامّة بعد بيعة السّقيفة .

البيعة العامة و كلام الخليفة: « ... ولست بخيركم... »

«ثمّ تكلّم **ابوبكر** فحمدالله واثنى عليه بالّذى هو اهله ثم قال :

«امّا بعد : ايّها النّاس فانّي قد وُلّيتُ و لستُ بخيركم فأن احسنتُ فاعينوني وان اسأتُ فقوّموني .

«اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فأذا عصيت الله و رسوله فلاطاعة عليكم . قوموا الى صلوتكم ، رحمكم الله» [1] .

فصارت البيعة في ذلك اليوم عامّة وانقطع رجاءُ الخلاف و مع ذلك بقي جمع من اعاظم المهاجرين و الأنصار لم يبايعوا بعدُ ، كعليّ و عبّاس و سائر بني هاشم قاطبة وكسعد بن عبادة واولاده ، و بعض من عشيرته الاقربين ، وجمع من اكابر الصحابة فلم يبايع هٰؤلاء الّا بعد مضيّ من الزّمن [2]

١- «الكامل» لابن الاثير (الجزء الثاني - الصفحة ٢٢٤) و تاريخ الطبري وغيرهما .

٢- هذا سوى **سعد بن عبادة** فانه لم يبايع حتى مات ففي الطبري (و غيره) «... وكان (يعني **سعدا**) لايصلي بصلوتهم و لا يجتمع معهم و يحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك **ابو بكر** ، رضي الله عنه ، ولم يبايع **عمر** بعد **ابي بكر** ايضا حتى مات او قتل »

و ذلك حين رأوا انّ الأكثر ذهب الى البيعة و انّهم بالنسبة الى من بايع و تابع فى غاية من القلّه و انّ التخلف عن البيعة والمقاومة فى المخالفة و المفارقة فى الكلمة لايكون ضررها عائداً اليهم فحسبُ بل يمكن ان يورث هدمَ اساس الأسلام، ويرجع القوم ،القهقرىٰ، و يعتنقوا الجاهليّة الأولىٰ، فالتجأوا ، حفظاً للاسلام ، الى البيعة ولكنّه كان فى اعتقادهم انّ الحق اُزيل عن مركزه وكان فى ذُكرهم قول النّبى صلّى الله عليه وآله و سلّم .

«علىٌّ مع الحق والحقّ مع علىّ ، يدور اينما دار»

«روى **الحاكم** [١] فى المستدرك بسنده عن **عمرة بنت عبدالرحمن** (على ماحكى السّيد العـلّامة ، **محسن الأمينى** العاملى فى كتابه «اعيان الشيعة») انّها قالت :

« لمّا سار علىّ الى البصرة دخل على امّ سَلَمة زوج النّبىّ (ص) يودّعها فقالت :

«سرفى حفظ الله و فى كنفه . فوالله انّك لعلى الحقّ والحقّ معك . ولولانّى اكره ان اعصى الله و رسوله فأنّه اَمَرَنا ان نقرّ فى بيوتنا لسرتُ معك و لكن و الله اُرسل معك من هو افضل عندى و اعزّ علَىّ من نفسى ، ابنى **عمر** ،

«وقال صحيح على شرط الشّيخين» انتهى ما رواه العـلّامة العاملى (ره)

فكان هوىٰ ذاك الجمع و ميلهم مع علىّ يحبّونه لفضائله فيطيعونه و يشيّعونه فنشأت تلك العقيدة من ذلك الحين ثمّ اشتهر عنوان «الشّيعة» لهم فصار عنوانا خاصّاً لمن يعتقد امامة علىّ وخلافته بعد النبىّ ومن يعتقد امامة احدى عشر من اولاده المعصومين وقد يعبّر عمّن يعتقد ذلك « بالشيعة الاثنى عشرية » ، كما قد يطلق على هذه الفرقة من الشيعة «الشّيعة الأماميّة» ايضا ولكلٍّ وجه .

١- **محمد بن عبدالله** بن **محمد** المعروف بالحاكم والمدعو بابن البيع ، كان امام اهل الحديث فى عصره وقد اخذ الحديث (كما قال المحدث القمى فى كتابه هدية الاحباب) عن عدة كثيرة تقرب الفين محدثا ! و من مصنفاته كتابه المشهور «المستدرك على الصحيحين» وكتاب « فضائل فاطمة » وكتاب « تاريخ علماء نيسابور » توفى فى شهر صفر الخير سنة (٤٠٥ هـ. ق.)

۲۳۵ـ عنوان «الشيعة»

صارت كلمة «الشيعة» كما دريت باطلاقها، عنواناخاصاً للامامية الأثنى عشرية فكلّ من يهوىٰ عليّاً و يواليه و يعتقد امامته و امامة احد عشر من اولاده المعصومين المعروفين فهو شيعة باطلاق الكلمة كما قد يطلق عليهم عناوين اُخر تفيد تلك المعاني وقد رُوى عن النّبىّ، صلّى الله عليه وآله وسلّم، فى شأن المنتمين الى علىٍّ(ع) بالحبّ والموالاة والأتباع وكذا فى حقّ الجائرين له، بالبغض و المعاداة و الأنحراف روايات جمّة فى «الصّحاح» و «المسانيد» و «المناقب» وغيرها من الاصول المعتبرة والكتب المعتمدة لعظماء اهل السنّة، فاطلاق عنوان «المحبّ» و «المطيع» و «المُوالى» و «المتّبع» على من تابع عليّاً، و احبّه و اطاعه، و احبّه و اتّبعه و شايعه، كأطلاق «المبغض» و «المُعادى» على من عاداه وناصبه، بعين الكلمات، اومايفيدها، فى الاحاديث الصّحيحة المستفيضه، بل المتواترة، تواتراً اجماليّاً، بل معنويّاً، ان لم يكن لفظيّاً، كثير جدّاً. نورد انموذجاً منها هنا :

۲۳۶ـ نبذة ممّاورد فى شأن علىّ وشيعته فى الكتب المعتبرة لأهل السّنّة

فى كتاب «ينابيع المودّة»[1] للشّيخ **سليمان الحنفى** روايات كثيرة جدّاً ننقل شرذمة منها :

ليس لمحب على حسرة عند الموت و لا وحشة فى القبر ولا فزع يوم الحساب

۱ـ «عن **مسروق** عن **عائشة** رضى الله عنها، رَفَعَتْهُ :

«ياعلى حَسْبُكَ اَنْ لَيْسَ لِمُحِبِّكَ حَسْرَةٌ عِنْدَ مَوْتِه ولاوَحْشَةٌ فى قَبْرِهِ وَلاٰ فَزَعٌ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ»

۱ـ كل مانقلناه من ينابيع المودة راجعنا مآخذها و رايناها فيها ايضا، وهكذا نفعل فى كل مانوردها منقولا، اللهم الا ان يكون المنقول عنه مما ليس بايدينا او ليس حاضراً لدينا .

٢- «صحيح الترمذى عن المساور الحميرى عن امه قالت : دخلتُ على ام سلمة فسمعتها تقول : كان رسول الله يقول :

«لا يُحبُّ علياً منافقٌ ولا يبغضهُ مؤمنٌ»

٣- «الأصابة ، يحيى بن عبدالرحمن الأنصارى قال سمعت رسول الله (ص) يقول :

«مَنْ احبَّ علياً فى محياه و مماته كتبَ اللهُ له الأمْنَ والأمانَ»

٤- «اخرج ابن المغازلى عن الزهرى قال : سمعتُ انس بن مالك يقول : والله الذى لا اله الا هو سمعتُ رسول الله (ص) يقول :

«عُنْوانُ صَحيفة المُؤمِن حُبُّ عَلىّ بن ابى طالب»

٥- «اخرج الحموينى عن سعيدبن جُبَير عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) «يا علىُّ انا مدينةُ الحكمةِ وَ انتَ بابُها ولَنْ تُؤتى المدينةُ الا مِنْ قِبَلِ الباب .

«وكَذِبَ مَنْ زَعَمَ انّه يُحِبُّنى وَ يُبْغِضُكَ ، لانّكَ مِنّى وَ انا مِنْكَ: لَحْمُكَ مِن لَحْمى ، وَدَمُكَ مِنْ دَمى ، ورُوحُكَ مِنْ رُوحى وَ سَريرَتُكَ مِنْ سَريرَتى ، وَ عَلانيتُكَ مِنْ عَلانيتى ، وَ انتَ امامُ اُمّتى و وَصيّى .

«سَعِدَ مَنْ اَطاعَكَ ، وَشقِىَ مَنْ عَصاكَ ، وَ رَبِحَ مَنْ تَوَلاكَ ، وخَسِرَ مَنْ عاداكَ .

«فازَ مَنْ لَزِمَكَ ، وَ هَلَكَ مَنْ فارَقَكَ .

«وَمَثَلُكَ ومَثَلُ الأئمةِ مِن وُلْدكَ مَثَلُ سَفينةِ نُوح ، مَنْ رَكِبَها نَجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ ، ومَثَلُكُمْ مَثَلُ النُّجُومِ كُلُّ ماغابَ نَجمٌ طَلَعَ نَجمٌ الى يَوْمِ القيامَة»

«وانت امام امتى ووصيى ربح من تولاك وخسر من عاداك»

٦- و فى «المناقب» عن جابر بن عبدالله ، رضى الله عنهما ، قال : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول :

« فی علیّ خصالاً (کذا) لوكانت واحدة منها فی رجل ، اكتفى به فضلا وشرفا[1] . . . عَلِیّ مِنّی کَنَفْسِی، طاعَتُه طاعَتِی و مَعْصِیَتُه مَعْصِیَتِی . »

۷- «وفی «المناقب» عن **عطيّة** بن **سعد العوفی** عن **محدوج** بن **يزيد الذُّهْلی** قال : نزلت آية «اصحاب الجنّة هم الفائزون» فقلنا : يا رسول‌الله من اصحاب الجنّة؟ قال :

«مَنْ اطاعَنِی و والیٰ عَلِیّاً مِنْ بَعْدِی»

الموالون عليا بعد النبی هم اصحاب الجنة

۸- فی خبر طويل «اخرجه **ابوالمؤيّد** اخطب الخطباء **موفّق** بن **احمد الخوارزمی**- المكّی عن سيّد الحُفّاظ ابی منصور **شهردار** بن **شيروية الدّيلمی** بسنده ... انه (ص) قال لعلیّ «يوم فتحت خيبر بقدرة‌الله» فی ماقال :

«وَ اَنْتَ داخلٌ فی الجنّة من امتی و اَنَّ مُحِبِّیْكَ و اَتْباعَكَ علی منابرَ مِنْ نُورٍ . . . و اَنَّ الله اَمَرَنی اَنْ اُبَشِّرَكَ : انّكَ و عِتْرَتَكَ و مُحِبِّیْكَ فی الجنّة وَ عَدُوَّكَ فی النّار ، لا يَرِدُ عَلَیَّ الحوض مُبْغِضُكَ و لا يَغِيْبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ ...»

« و اخرج ايضا هذا الحديث صاحب كتاب « المناقب » عن **جابر** بن **عبدالله الأنصاری** »

۹- «اخرج **موفّق** بن **احمد** الخوارزمی (باسناده عن **علیّ** فی حديث طويل-) قال النبی (ص) لعلیٍّ :

«... وانّ امّتی ستفترق فيكَ ثلاث فِرَق .

«فرقةٌ اتَّبَعُوْكَ و اَحَبُّوْكَ وهم «المؤمنون».

۱- عدد فی هذا الحديث عن رسول‌الله صلی‌الله عليه و آله و سلم ثلاثة عشر خصالا لعلی : رابعها ما ذكر فی المتن و منها قوله (ص) : « **علی** مع الحق و الحق مع علی لايفترقان » و منها قوله (ص) : « مَنْ فارَقَ علياً فَقَدْ فارَقَنِی و مَنْ فارَقَنِی فَقَدْ فارَقَ اللهَ » و آخرها قوله (ص) : « شيعة **علی** هم الفائزون » (ينابيع المودة - الصفحة ال ۴۸-)

« و فرقةٌ عادَوْكَ وهم «الناكثون» و «المارقون» و «القاسطون» .

« و فرقةٌ غلَوافيكَ وهم «الضالّون» .

« يا علىُّ اَنتَ وَ اَتباعُكَ فى الجنّة . . . » انتهى مااردنا نقله عن كتاب ينابيع المودة .

افتراق الامة فى على ثلاث فرق من اتبعه واحبه و «الناكثون» و «المارقون» و «القاسطون» ومن غلافيه

قال **ابن ابى الحديد** فى شرحه لنهج البلاغة : «و روى النّاس كافّةً انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم . قال له (يعنى لعلىّ) :

«هٰذا وَليِّى و اَنا وَليُّه»

٢٣٧ـ نبذة اخرى من الأخبار فى ذلك المضمار

نقل «السّيد الأمام فخر الملّه **احمد** بن **موسى** بن **جعفر** بن **الطاوس**» فى كتابه القيّم «بناء المقالة الفاطميّه فى نقض الرّسالة العثمانيّة[1]» عدّة روايات فى هذا الموضوع من الكتب المعتمدة المعتبرة لأكابر علماء السنّة نذكر ايضا شرذمة منها هنا :

١ـ «روى **احمد** بن **حنبل** عن **مسافر الحميرى** عن ابيه عن **امّ سلَمة** تقول : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلىّ :

«لايُبغِضُكَ مؤمنٌ ولا يُحِبُّكَ مُنافِقٌ»

٢ـ « و من الجمع بين الصّحاح السّتّة **لرزين العبدرىّ** من سنن **ابى داود** من صحيح **البخارى** بحذف الأسناد ، قالت **امّ سلمة** قال النبىّ (ص) :

«لايُحِبُّ عَليّاً مُنافقٌ ولايُبغِضُه مُؤمنٌ»

٣ـ «و من مسند **احمد** بن **حنبل** فى جملة حديث عن النّبىّ (ص) فى **علىّ** بن- **ابى طالب** :

«لايُحِبُّه الّا مؤمنٌ ولايُبغِضُه الّا مُنافِقٌ»

وكان **ابوسعيد الخُدْرى** ، على مانقله صاحب «بناء المقالة» «من الجمع بين-

---

١ـ نسخة مخطوطة موجودة بمكتبة «كلية الحقوق» من جامعة تهران.

الصّحاح السّتّة **لرزين العبدرى** من سُنن **ابى داود** » ايضا يقول : « انّا كنّا لنعرف المنافقين ببغضهم **علىٍّ** بن **ابى طالب** .

و روى الحافظ **ابونُعَيْم الاصْبَهانى** فى كتابه حِلْيَةُ الاَوْلياء بأسناده عن **ابى برزة الأسلمى** قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم .

حب على حب الله

« ان الله عَهدَ اِلَىَّ عَهْداً فى **علىّ** .

« فقلت : يارَبِّ بيّنْهُ لى .

« فقال : اسمع .

« فقلت : سمعت .

« فقال : انّ **عليّاً** راية الهُدى ، و امام اوليائى ، و نورُ من اطاعنى ، وهو الكلمة التى الزمتها المتّقين . مَنْ اَحَبّهُ احبّنى و مَنْ اَبْغَضَهُ اَبْغَضَنِى فَبَشِّرْهُ بذلكَ . . . » (المجلّد الأوّل الصّفحة ال ٦٧-)

۲۳۸- عنوان شيعة علىّ فى كلمات النّبىّ (ص)

كما وردت فى كلمات من الرّسول (ص) ما تدلّ على لزوم الحبّ و الأتّباع والولاء و الأطاعة لعلىّ و ترشد الى وجود النّفاق او عدم الأيمان فى من كان مبغضاً و معادياً له ، كذلك وردت عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم فى حقّ شيعة **علىّ** بلفظ « الشّيعة » خاصّة عدّة روايات فى الكتب المعتمدة لاهل السّنّة ننقل نبذة منها هنا عن الينابيع ايضا [1] :

١- « وفى المناقب عن **ابن الزّبير المكّى** عن **جابر بن عبدالله**، رضى الله عنهما ، قال : كنّا عند النّبىّ فاقبل **علىّ** فقال : « قَدْ اَتيٰكُمْ اَخِى»

ثمّ التفت الى الكعبة فمسّها بيده . ثمّ قال :

١- ينابيع المودة للشيخ **سليمان الحنفى**.

«علي و شيعته هم الفائزون»

«وَالَّذِیْ نَفْسِیْ بِیَدِهِ ، هذا وَشِیْعَتُهُ هُمُ الفائِزُونَ یَوْمَ القِیامَةَ»

«ايضا ابن عباس رفعه : «عَلِیٌّ وَشِیْعَتُهُ هُمُ الفائِزُوْنَ»

٢- «محمد بن الحنفية عن ابيه علي عليه السلام قال : انی لنائم يوماً اذ دخل رسول الله فنظر الیّ و حرّكنی برجله و قال «قُمْ يفدیْ بكَ اَبِیْ وَ اُمّیْ فأنّ جبرائيل آتانی فقال لی :

«بَشِّرْ هذا بأنّ اللهَ جَعَلَ الأئمّة مِنْ صُلْبِه و اَنّ اللهَ لَغَفَرَ لَه وَلِذُرِّيّتِه وَلِشِيْعَتِهِ وَلِمُحِبّيه وَاَنّ مَنْ طَعَنَ عَلَيْهِ وَبَخَسَ حَقّهُ فَهُوَ فی النّار»

٣- «عبدالله بن سلام» قال : قلت : يا رسول الله اخبرنی عن «لواء الحمد» ماصفته . . . ؟ الی : فمن يستظلّ تحت لوائك ؟ قال :

«المؤمنُونَ اَوْلياءُ الله وَشِيْعَةُ الحقّ و شِيْعَتِیْ وَمُحِبّيی وَشِيعَةُ عَلِیٍّ وَمُحِبُّوهُ وَاَنصارُهُ فَطُوبلی لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ»

٤- «جابر رفعه :

نهی الرسول عن الاستخفاف شيعة علی

«وَالّذِیْ بَعَثَنِیْ بالحقّ نَبِيّاً اِنّ الملائكةَ تَسْتَغْفِرُ وَتُشْفِقُ عَلَيْه ، وَعَلیٰ شِيْعَتِهِ اَشْفَقُ مِنَ الوالِدِ عَلیٰ وَلَدِه»

٥- «علیّ عليه السلام رفعه :

«لاتَسْتَخِفُّوا بشيعة عَلِیٍّ فَاِنّ الرَّجُلَ منهُمْ لَيَشْفَعُ فِی مِثْل رَبِيعة و مُضَرَ»

٦- «عبدالله بن احمد بن حنبل فی كتابه «السّنّة» بأسناده عن علیّ بن ابی - طالب قال : قال النّبیّ عليه السّلام .

«يا عَلِیُّ اَنْتَ وَشِيْعَتُكَ فِی الْجَنّة»[1]

٧- «فی مرفوعة ابی ذر الغفاری فی كلام طويل :

١- نقل هذا الحديث عن «الامام بن الامام عبدالله بن احمد بن حنبل» ←

«... فَاختارَنِي وَ اختارَ عَلِيّاً لِي صِهْراً ... وَ جَعَلَ شيعَته فى الجَنَّةِ » و فى كتاب «بناء المقالة» :

«و روى عن ابن عباس مرفوعاً ، فى قوله ، جلّ و عزّ :

«اِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ اُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ[1]» انّ النبىّ عليه السّلام قال لعلىّ :

«شيعة على هم خير البريه»

«بأبى اَنْتَ ، وَ شيعَتُكَ تَأتِى يَوْمَ القيامة راضِينَ مَرْضِيِّين وَ يَأتى عَدُوّكَ غِضاباً مُقْمَحين »

و فى التّفسير الكبير لمحمّد بن جرير الطّبرى ، فى ذيل الآية المزبورة آنفاً (انّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات الآية) ، باسناده فقال النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم :

« اَنْتَ يا عَلِىّ وَ شيعَتُكَ »

هذه نبذة ممّا اطلقت كلمة «الشيعة» على محبّى علىّ و تابعيه بلسان النّبىّ الكريم ، و قبل ان يتولّى الخلافة فى الظّاهر . وامّا موارد اطلاق هذه الكلمة على تابعيه و مُواليه فى زمان خلافته بلسانه و بلسان اصحابه و اتباعه ، او بلسان مخالفيه و اعدائه ، وهكذا بعد شهادته ورحلته ، فاكثر واكثر من ان يسهل عادة استقصاؤها ، واشهر من ان يحتاج الى نقلها و ايرادها فى هذا المقام (وسيجيىء ذكر شرذمة منها فى آخر الفصل الذى انعقد لبيان انعقاد بيعته)

مواضع آخر مما اطلق عنوان الشيعة على تابعى علىّ بلسانه و فى زمانه

← فى كتابه «السنة» ، بعض من جانب الانصاف فى حق «الشيعة» فالف كتابا سماه «الصراع بين الاسلام و الوثنية» وكنى عن الشيعة بـ«الوثنية» لاسامحه الله فى هذه الكناية و الافتراء ، وجزاه بما يستحقه لهذا البهتان والاعتداء ، فليسأل عنه من هذه «الشيعة» فى هذا الحديث الذى نقلته (فى الصفحة ال ٢٠) مستدلا به؟!

١ـ من السورة ال «البينه» .

٢٣٩ـ عنوان «الشّيعة» فى كلمات علىّ و اصحابه فى موارد عديدة

منها مانقله **ابن ابى الحديد** (المجلد الاول الصفحة ال ٢٥٦ ـ) عن **نصر** من طريق **ابى الكنود** وغيره من كيفية قدوم **على** عليه السلام الكوفة، بعد وقعة الجمل، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ستّ وثلاثين، و دخوله المسجد الاعظم و صعوده المنبر، بعد ان صلّى ركعتين، والقائها الخطبة، و فيها الاشارة الى قعود رجال منهم عن نصرته، والى انّه عاتب عليهم «فليهجروا وليسمعوا المكروه، ليعرف بذلك حزب الله» وقيام **مالك** بن **حبيب** صاحب شرطته وقوله: والله انّى لأرى الهجر و سماع المكروه لهم قليلا. و الله لو امرتنا لنقتلنّهم. وقول **على** عليه السّلام: سبحان الله يا **مال**، جزت المدى و عدوت الحدّ... ليس هكذا قضى الله يا **مال**، قال سبحانه: اَلنَّفْسُ بالنَّفْسِ... وقال: «وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ» و الأسراف فى القتل ان تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه...
و قيام **ابى بردة ابن عوف الأزدى** وكان ممّن تخلّف عنه و قوله: يا اميرالمؤمنين ارايت القتلى حول عائشة و**طلحة** و**الزّبير** علىمَ قتلوا؟ (اوبمَ قتلوا)؟... حتّى وصل الى قوله:

«فقال على عليه السلام:

«قتلوا بماقتلوا **شيعتى** وعمّالى وقتلوا اخا ربيعة العبدى، رضى الله عنه، فى عصابة من المسلمين قالوا: انّا لاننكث كما نكثتم ولانغدر كما غدرتم. فوثبوا عليهم فقتلوهم. فسألتهم ان يدفعوا الىّ قتلة اخوانى اقتلهم بهم ثمّ كتاب الله حكم بينى و بينهم فابوا علىّ و قاتلونى و فى اعناقهم بيعتى و دماء قريب من الف رجل **من شيعتى** فقتلتهم أ ءَنت فى شكّ من ذلك؟ فقال: قد كنتُ فى شكّ فامّا الآن فقد عرفت واستبان لى خطاء القوم...»

ومن تلك الموارد، بعد ان خرج **خرّيت النّاجى** عليه (ع) وارسل (ع) **زياد**

زيادَبن **خَصَفْة** اليه وكتب (ع) نسخة واحدة الى جميع عُمّاله باخبارهم عن امر الخارجى و امرهم فيها بالمراقبة عنه :

«فخرج **زياد** بن **خَصَفْة** حتّى اتىٰ داره و جمع اصحابه فحمدالله و اثنى عليه ثمّ قال :

«يا معشر **بكر** بن **وائل** انّ اميرالمؤمنين ندبنى لأمرٍ من امره مهمٍّ له ، و امرنى بالأنكماش فيه بالعشيرة حتّى آتى امره وَ اَنْتُمْ **شِيْعَتُهُ** و انصاره . . . »

«و روىٰ **قيس** بن **الربيع** عن **يحيى** بن **هانى المرادى** من رجل من قومه يقال له : **زياد** بن فلان ، قال :

«كنّا فى بيت مع **علىّ** نحن وَ **شِيْعَتُهُ** وَ خَواصُّه ...»[1].

و روى **الخطيب البغدادى** فى كتابه ، تاريخ بغداد ، (فى ترجمة **عبدالله** بن **نوح البغدادى** (المجلّد العاشر) بأسناده عن **سويد بن غفلة** «قال : مررت بنفر **من الشيعة**[2] فدخلت على **علىّ** بن ابى **طالب** . . . »

وفى الكامل لابن الأثير (الجزء الثالث ـ الصفحة ال ٢٠٢ ـ) :

«وقال **المدائنى** : نظر **علىّ** الى قومٍ ببابه فقال لقنبر مولاه :

«من هؤلاء ؟

«قال : **شيعتك** يا اميرالمؤمنين .

قال : و مالى لاارىٰ فيهم سيما **الشّيعة** ؟

«قال : وما سيماهم ؟

«قال : خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الطَّوىٰ، يُبْسُ الشِّفاه مِنَ الظَّماء عُمْشُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكاء[3] »

١ـ شرح **ابن ابى الحديد** على نهج البلاغة.

٢ـ لايخفى سما فى هذه الكلمة من الاطلاق و من التحلية باللام .

٣ـ فى «حلية الاولياء» لابى نعيم (المتوفى سنة ٤٣٠) بأسناده عن مجاهد قال **شيعة على** ، الحكماء العلماء الذبل الشفاه الاخيار...» وفيه ايضا (المجلد الاول ـ الصفحة ال ٨٦ـ) بأسناده عن على بن الحسين قال : **شيعتنا** الذبل الشفاه و الامام منا من دعا الى طاعة الله» .

وفى المجلد الثانى من ينابيع المودّة (الصفحة ال ٤٥)

« . . . ولمّا صالح الحسن معاوية ، كتب الصّلح، و صورته :

شروط الصلح فى كتاب مصالحة الحسن بن على معاوية

« بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا ماصالح عليه **حسن بن على** ، **معاوية** بن ابى- **سفيان** مصالحة على ان يسلم ولاية المسلمين :

على ان يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسول الله (ص) و سيرة الخلفاء الرّاشدين .

« و ليس لمعاوية ان يعهد الى احد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده شورىٰ بين المسلمين .

« **وعلى** انّ النّاس آمنون حيث كانوا من ارض الله تعالى فى شامهم، وعِراقهم، وحجازهم، و يمَنهم .

«وعلى انّ اصحاب **علىّ** وشيعته آمنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم حيث كانوا .

« و على **معاوية** بذلك عهد الله و ميثاقه . ولاينبغى **للحسن** بن **على** و لا لأخيه- **الحسين** ولا لأحد من اهل بيت رسول الله (ص) غائلة سرّاً ولا جهراً . ولايخاف احد منهم فى افق من الآفاق .

«شهد عليه فلان بن فلان و فلان بن فلان . وكفى به شهيداً»

و فى الكامل (الجزء الثالث ـ الصفحة ال ٢٠٥ـ) ذيل « ذكر صلح **معاوية وقيس- بن سعد** » .

« . . . فلمّا بلغه (يعنى قيساً) انّ **الحسن** بن **على** ، صالح **معاوية** اجتمع معه جمع كثير و بايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علىّ على دمائهم و اموالهم وما- كانوا اصابوا فى الفتنة »

وفى الجزء الثّانى من تاريخ اليعقوبى (**احمد بن ابى يعقوب** الكاتب المتوفى بعد سنة ٢٩٢) :

« و لمّا تُوُفّىَ **الحسن** و بلغ الشّيعة ذلك، اجتمعوا بالكوفة فى دار **سليمان** بن **صُرَد** ، و فيهم بنوجعدة هبيرة ، فكتبوا الى **الحسين** بن **على** عليه السلام يعزّونه على مصابه بالحسن :

«بسم الله الرّحمن الرّحيم . للحسين بن على من **شيعته و شيعة** ابيه امير المؤمنين. سلام عليك فانّا نحمد اليك الله الّذى لااله الّا هو .

«امّا بعد فقد بلغنا وفاة **الحسن** بن **على** يوم ولد ويوم يموت و يوم يبعث حيّاً .

«... ماأعظم ما اُصيب به هذه الأمّة عامّة ، وانت و **هذه الشّيعة** خاصّة بهلاك ابن الوصىّ و ابن بنت النبىّ علم الهُدى و نور البلاد . . .

«فاصبر رحمك الله على ماأصابك ، انّ ذلك من عزم الامور ، فانّ فيك خلفاً ممّن كان قبلك . . .

«ونحن **شيعتك** المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك ، السائرة بسيرتك ، المنتظرة لامرك . شرح الله صدرك ، و رفع ذكرك ، واعظم اجرك ، وغفر ذنبك ، و **ردّ عليك حقّك** »

و فى الكامل (الجزء الثّالث ـ الصفحة ال ٢١٠ ـ) ذيل « ذكر الخبر عن تحرّك الخوارج » (سنة اثنتين و اربعين) :

«واستعمل (يعنى **معاوية**) على الكوفة ، **المغيرة** بن **شُعبة فأحبّ** العافية ، واحسن فى النّاس السيرة ، وكان يؤتى فيقال :

«انّ فلانا يرى رأى **الشّيعة** وفلاناً يرى رأى الخوارج فيقول :

«قضى الله ان لايزالوا مختلفين و سيحكم الله بين عباده»

وفى الكامل ايضا (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٣٣٩ ـ) ، فى واقعة خروج **المختار** الى الكوفة :

«. . . انّ **المختار** قال لابن الزّبير ، وهو عنده ، : انّى لأعلم قوماً لو انّ لهم رجلاً له فقه ، وعلم بما يأتى و يذر ، لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم اهل الشّام .

«قال : من هم ؟

«قال : **شيعة على** بالكوفة . . . »

وفى «الأمتاع و المؤانسة» ، **لأبى حيّان التّوحيدى** ، (المجلد الثانى ـ الصّفحة ال ١٥ ـ) :

«و... وكذلك رام **ابوتمّام النيسابورى** وخدم الطّائفة المعروفة [1] بـ«الشّعيّة» ولجأ الى **مطرّف** بن **محمّد** وزير **مرْداويج الجيلى** ليكون له قوّةٌ به...»

وفى «مُرُوْج الذّهب ومعادن الجوهر» لابى الحسن **على** بن **الحسين المسعودىّ الشّافعى** (المتوفّى سنة ٣٤٦ هـ . ق):

«و هجا **المأمون** ، **ابراهيم بن المهدى** ، المعروف بابن شكلة ، عمّه ، و كان **المأمون** ، يظهر التّشيّع و ابن شكلة ، التسنّن فقال **المأمون** :

اذا الْمُرجِىَ سَرَّكَ انْ تراهُ
يَمُوتُ لِحِيْنِه ، مِنْ قَبْلِ مَوْتِه
فَجَدِّدْ عِنْدَهُ ذِكْرىٰ **علىّ**
وَ صَلِّ على النّبىّ و آلِ بيْتِه

فأجابه ابراهيم رادّاً عليه .

اِذا **الشّيعىُّ** جَمْجَمَ فى مَقال
فَسَرَّكَ ان يَبُوحَ بذات نَفْسِه
فَصَلِّ على النّبىّ وَ صاحِبَيْه
وَزِيرَيْه و جارَيْه بِرمْسِه»

و لنختم الكلام فى المقام بما روْيه الحافظ **ابونُعَيْم الأصبهانى** عن النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ، فى حلية الأولياء (المجلّد الأول - الصفحة ال ٨٦ -) . تحريضاً على تولّى **علىّ** (ع) بعده (ص) ، حدّث بأسناده عن **حذيفة** قال :

«قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم :

موالاة على وتوليه وعترة النبى من بعده

«مَنْ سَرَّه ان يحيىٰ حياتى ، و يموتَ ميتتى ، و يتمسّكَ بالقصبة الياقوتة ، الّتى خلقها الله بيده ، ثمّ قال لها : «كُوْنِى فكانت ، فليتولّ **علىّ** بن **ابى طالب** من بعدى [2] » .

١- اعرف كلمة «المعروفة» و اعترف .

٢- فى تقييد «الموالاة» و «التولى» بما بعده (ص) ما يرشد المنصف الى المراد ←

ثمّ قال الحافظ ، ابونعيم ، :

«رواه شريك ايضا عن الأعمش عن حبيب بن ابى ثابت عن ابى الطفيل عن زيد بن ارقم .

«و رواه السُّدّى ايضا عن زيد بن ارقم .

«و رواه ابن عبّاس وهو غريب .

«حدّثنا محمد بن المظفّر ، ثنا محمد بن جعفر بن عبدالرحيم . . . عن عِكْرِمَة عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم :

«مَنْ سَرَّهُ اَنْ يَحْيىٰ حَياتى ، و يَمُوْتَ مَماتى ، و يَسْكُنَ جنّة عدنٍ غرسهاربّى ، فَلْيُوالِ عليّاً مِنْ بَعْدى و َلْيُوالِ وَلِيَّه ، وَلْيَقْتَدِ بالائمّة مِنْ بَعْدى فَاِنَّهُمْ عِتْرَتى خُلِقُوا مِنْ طينَتى رُزِقُوا فَهْماً وَ عِلْماً ، وَ وَيْلٌ للمكذّبين بفضلِهِمْ مِنْ اُمَّتى ، للقاطعين فيهم صِلَتى لا اَنالَهُمُ اللهُ شَفاعَتى »

← من المولاة والتولى و الا فالموالاة والتولى بمعنى المحبة مطلقة غير مقيدة بزمان حياة الرسول او « من بعده » و يصرح بذلك قوله (ص) : « و ليقتد بالائمة من بعدى فانهم عترتى ... » كما يجيء فى الرواية التالية.

«وَكَيْفَ صَيَّرْتُمُ الأجماعَ حُجَّتَكُمْ
وَالنَّاسُ مَااتَّفَقُوا يَوْماً وَلا اجْتَمَعُوا

اَمْرٌ عَلِيٌّ بَعِيدٌ عَنْ مَشُوْرَتِهِ
مُسْتَكْرَهٌ فيه، وَالْعَبَّاسُ يَمْتَنِعُ

. . . .

(مَهْيار الدّيلمی)

١٥ــ حَوْلَ الأختلاف فی الخلافة

١ـ الخلافة عند الشّيعة .

٢ـ الخلافة عند اهل السنّة .

٣ـ مواضع للسّئوال .

٤ـ اجتماع اهل الحلّ والعقد .

٥ـ مافی الاحتجاج بالاجتماع ولزوم الأتّباع .

٦ـ خلافة ابی‌بکر (رض) وانقضاء دوره .

٧ـ استخلاف ابی‌بکر ، عمر .

٨ـ ختم و دفع وهم .

٢٤٠ـ الخلافة عن الرّسول (ص) منصب الهىّ عند الشّيعة

استقرّ امر الخلافة عن الرسول، صلىّ الله عليه وآله وسلم، على ابى بكر (رض) على ماعرفت، ولكنّه كان هناك اعتقاد فى شأن الخلافة يجب ان لايغفل عنه وهو انّ ـ الخلافة عن الرّسول (ص) كنفس الرّسالة ليست حكومة دنيويّة محضة، ورئاسة اجتماعيّة صرفة، و سلطنة مُلكيّة بحتة، كى يصح ان يكون زمامها بيد النّاس و برأيهم، فرداً او جماعةً، فتختار الأمّة، اوفرد آمنها، للرّسالة من الله، او للخلافة عن الرسول، من تستصلحه للاختيار، و يرتضيه للانتخاب . بل تكون الخلافة بحسب هذا الأعتقاد والنّظر وباقتضاء هذا الراى، شأن معنوىّ شريف و منصب ملكوتىّ عظيم، وامر الهىّ قويم، لايقلُّ اعتباره و شأنه عن احكام الطّهارة و الحليّة و الحرمة و الحيض و النّفاس و اللّعان والظّهار والطّلاق والعتاق والحدود والدّيات، وعن اىّ حكمٍ من الاحكام العباديّة او المعامليّة اوالسّياسيّة والجزائية الفقهيّة الالهيّة، فلامناص من ان ينصّ الرّسول عليه و يبلّغه الى الأُمّة بأمرٍ من الله الرّؤف بالعباد، الحكيم فى ما اراد وافاد .

هذا اعتقاد الشّيعة فى موضوع «الخلافة» عن الرّسول (ص)، وتعتقد فى «الخليفة» ـ المختار من جانب الرّسول و بوحى من الله افضليّته المطلقة، فى العلم والعمل، وعصمته الذاتيّة، لئلا يلزم ترجيح المرجوح على الراجح وحكومة الطّالح على الصّالح ورئاسة ـ الجاهل الخاطى العاصى على مثله، بل على العالم المصيب البرئ عن المعاصى .

ثم تعتقد انّ الرّسول (ص) قد نصّ عليه وابلغه واتمّ تبليغ ماامر الله به واكمله . فما ابقى للامّة اختياراً لانتخاب الخليفة عن الرّسول، وللرّسول، مجال، ولاارتضى لهم فى تعيين من يقوم مقامه و يخلف، من بعده، مكانه تحمّل انتخاب وتكلّف سعيٍ واجتهاد وماكلّفهم بنيابتهم عنه تشخيص من ينوب منابه و تبيين من يحقّ خلافته .

۲٤۱- الخلافة عند اهل السنّة

وامّا اهل السنّة فيعتقدون انّ الخلافة حكومة دنيويّة محضة، ورئاسة اجتماعيّة صرفة، شأنها نظم الاجتماع، باجراء الحدود وحفظ الثّغور و ضبط الدّولة، و بسط الشّوكة، الى غيرذلك، ممّا يكون من شئون الرؤساء والأمراء الدّنيويّة. فليس فى اعتقادهم على الله وعلى رسوله تعيين شخص خاصّ لهذا الشأن، بل امر التّعيين موكول بارادة بعض النّاس (اهل الحلّ والعقد على مااعتقدوهم ايضا) وانتخابهم، و مفوّض بميلهم واختيارهم، بل الانتخاب والأختيار فرض من الله على الأمّة! فيصير هذا المختار- المنتخب من الأمّة، خليفةً للرّسول! شاء او لم يشأ، حاكماً على جميع الأمّة، ارادوا ام لا يريدوا، فعلى الأمّة ان يتلقّاه بالقبول للخلافة و يطيعوه!

قال **عبدالقاهر البغدادى** (المتوفّى سنة ٤۲۹) صاحب التآليف الكثيرة فى بيان «الرّكن الثانيعشر، المضاف الى الخلافة و الأمامة» من كتابه «الفرْق بين الفِرَق»:

«ان الأمامة فرض واجب على الأمّة لأجل اقامة الأمام ينصب لهم القُضاة والأُمناء، و يضبط ثغورهم، ويغزى جيوشهم، ويقسّم الفيئ بينهم، و ينتصف لمظلومهم من ظالمهم.

«وقالوا (اى اهل السنّة): بانّ طريق عقد الأمامة للامام فى هذه الامّة، الأختيار بالاجتهاد...»

۲٤۲- مواضع للسُّؤال

هنا تقف الشيعة و تسأل عن اخوانه، اهل السنّة، متعلّماً لامتعنّتاً اسئلةً منها:

لو فرض جواز التّوكيل فى هذا الامر الخطير والمهمّ الجليل، و تُوهّم انّ زمام- الانتخاب فُوِّض بيد الأُمّة فجُعلت الخيرة لهم فى اختيار من شاؤا و ارادُوا، بحيث يصير مختارهم خليفة الرّسول، باختيارهم، لا بارادته و انتخابه، و يصير حاكماً على

على الأمّة نافذاً او امره و اراداته فى شئونها بتعيينهم ، لابامرالله و تصويبه ، فما معنى الأحتجاج بانّ «الائمّة من قريش» ؟

اليس معنى هذا الكلام سلب الأختيار عن الأمّة فى الاختيار عن غير قريش ؟ ثمّ ان سومح فى ذلك اَوَ ليس اذاكان و لم يكن امر خاصّ ، من سنخ الأفضليّة المطلقة والعصمة والطّهارة معتبراً وملحوظا فى افراد من قريش وكان هذاالكلام صادرا فى مقام الأنشاء لاناشئا على وجه الاخبار ، يصير هذا الحكم الانشائى مفيداً لترجيح ماليس له مرجّح بل وقد يمكن فى بعض المصاديق وفى بعض الازمنة ان يكون المختار من قبيل ترجيح المرجوح على الرّاجح ؟ وحاشا الحكم الالهى والكلام النّبوى ان يرد هذا المورد .

هب ذلك كان كذلك ، فهل يكون هناك ملاك للاختيار و مناط للانتخاب ؟

فان كان هنا معيار و ملاك فما هو الملاك فى المنتخِب (بكسر الخاء) ؟ و ما هو الملاك والشرط فى المنتخَب (بفتح الخاء) ؟ ولمن يكون هذا النّحو من الحقّ ؟ و باىّ دليل نقلىّ او عقلىّ استحقّ ؟ ومن اين جاء حق النّيابة عن الرّسول فى تعيين الخليفة له ، وان شئت فقل : فى حقّ الولاية على امّة الرّسول فى نصب الرّئيس عليهم والتّصرّف فى شئونهم ؟

ثمّ على اىّ وجه ينبغى ان يكون عمل الأنتخاب حتّى يصير ذلك الأنتخاب موجباً لسلب الأختيار عمّن لم يكن حاضراً ، بل لم يكن موجوداً ، اوكان حاضراً ولم يختر ، اولم يكن موافقاً لمن اختاره غيره ممّن حضر ؟

هل الملاك اراء الامة باجمها ؟

اَيكون الملاك اجتماع جميع الاُمّة لهذه المهمّة : ذكورها و اِناثها ، شيوخها و شُبّانها ، مهاجريها و انصارها ، علمائها وجُهّالها ، و اتفاق الكلّ باجمعهم على واحد من بينهم او من خصوص قريش ؟

لوكان الملاك اجتماع الامّة باجمعها واتّفاق الأفراد بأسرهم فهل يمكن وقوع هذا النّحو من الأجتماع و الأتّفاق ، ولاسيّما فى القرون الغابرة والعصور التّالية حيث

حيث انبسط بساط الدّين على السّاهرة، وتجاوزت الأمّة عن مئآت ملايين، فضلا عن موعد يظهر الله الدّين على الكافرين والمشركين، فيسلم كلّ من فی البسيطة و على وجه الأرض و يدين، كما هو الموعود و المأمول ؟

ذرنا ان نذر هذا الامكان فی بقعته الفسيحة ونسلّم امكان وقوع هذا النحو من الاجتماع فی العالم الوسيع الاسلامی، وان وصلت فسحته وسعته الی مايقدّر ويُؤمّل لها ان تصل، وان بلغ ذاك الاجتماع من كثرة الأفراد الی مايمكن ان يبلغ، فهل وقع فی السّالف من التّاريخ الأسلامی مثل هذا الأجتماع العامّ من افراد المسلمين الموجودين بل الحاضرين، لانتخاب الخليفة ؟ فاذا كان الجواب: لا، و كـلّا، ولامحالة يكون كذلك، فماذا هو الملاك ؟

ام هل يكفی اتفاق بعض الامة ؟

او يكون الملاك اجتماع عدّة خاصّة ؟ فماذا تكون هذه الخصوصيّة الّتی تحكم بضرورة وجودها ووجوب تحقّقها، ضرورة امتناع الترجّح من دون مرجّح، فضلاً عن ترجيح المرجوح ؟ ثمّ ماالدّليل الشّرعی اوالعقلی على اعتبارها ؟ و اين يكون فی الدّين و منهاجه نصٌّ لبيانها ؟ او اين يكون من العقل حكم لأدائها ؟

ثمّ هل وُجدت لمن اجتمع فی السّقيفة تلك الخصوصيّة المجهولة، اوالمفروضة؟ وهل كان فی تلك البيعة فيها، استنادهم اليها ؟

فان لم تكن موجودة قطعا، اوكانت مشكوكة، فما الدّليل على اعتبار تلك البيعة و كيف يوجّه لزوم الالتزام بها ؟

و ان كانت موجودة ووقعت كاملة صحيحة على ماكان ينبغی ان تقع عليها، فما معنی هذا الكلام الصادر ممّن شُيّدت بيده عقدة البيعة انّها «كانَتْ فَلْتَةً، وَقَی الله شَرَّها، فمن عادَ الی مثلها فاَقْتُلُوه! »؟

۲۴۳ ـ اجتماع اهل الحلّ والعقد

هب انّ السّائل، سلّم انّ الخصوصيّة اللازمة المعتبرة المعتمدة يجوز ان تكون

فى الاجتماع المؤلَّف من «اهل الحلّ والعقد» ، كما عُبِّر واعتُبر و اُيّد و استُند .

فهل كان اجتماع من اجتمع فى السّقيفة اجتماع جميع اهل الحلّ و العقد من الأمّة ؟ بل وهل اجتمع فيها اهل الحلّ والعقد من خصوص الحاضرين فى المدينة ؟

ماذا يمكن ان يُراد من «اجتماع اهل الحلّ والعقد» (اواجماعهم) كى لاينقضه افتراق **علىّ** ، ابن عمّ الرّسول (ص) واخيه و ابى ذرّيّته ؟ ومن ذاالّذى يُقصد بلفظ «اهل الحلّ والعقد» حتّى لايناقضه خروج **العبّاس** ، عمّ الرسول (ص) و **طلحة و الزّبير** حوارىّ رسول الله وغيرهم من اكابر المهاجرين منهم ؟

اَيصحّ ان يقال : انّ **سلمان** ، وهو منهم اهل البيت ، لم يكن من اهل الحلّ والعقد؟ وهكذا **ابوذر و المقداد** ، الّذين قال الرّسول (ص) فى حقّهم (على مافى كتاب «الأصابة» و غيره) :

« اِنّ الله ، عزّ وجلّ ، اَمَرَنِى بحبّ اربعة و اخبرنى انّه يحبّهم : **علىٌّ والمقداد و ابوذر و سلمان** » ؟

وايضا لم يكن **عمّار بن ياسر** ، الّذى قال (ص) ايضا فى شأنه (على مافى «الاستيعاب» من حديث **خالد بن الوليد**) : «مَنْ اَبْغَضَ عمّاراً ابغضه الله تعالىٰ» (ومن حديث **انس بن مالك**) : «اشتاقت الجنّة الى **علىّ** و **عمّار وسلمان و بلال**» ، من اهل الحلّ والعقد» كَىْ لايضرّ خروجهم بل ولاخلافهم بالأجتماع و الأجماع ؟

على ماينبغى ان يحمل تلك العنوان (اهل الحلّ و العقد) حتى لاينافيه مخالفة **سعد بن عبادة** صاحب راية الرّسول ، ورئيس الخزرج الّذى صاح الصّائح ، لبيان عظمة شخصيّته لهم فى اجتماعهم ؟

فأنْ يُسلِمِ السّعْدان يُصْبِحْ محمّداً
بِمكّةَ لا يَخْشىٰ خِلافَ الْمُخالِفِ؟

ولايضرّه خروج **قيس بن سعد** الّذى كان فى حياة الرّسول (ص) بمنزلة صاحب الشّرطة له (ص)[1] وهكذا خروج جميع آل **سعد** وكثير من عشيرته الاقربين واتباعه الملازمين ،

١ - فى تاريخ بغداد (وغيره من الكتب المعتبره) للخطيب البغدادى (فى ترجمة ←

من الأنصار ، عنهم ؟ و قد قال الرّسول (ص) فى حقّ آله (كما نقلناه سابقا عن ابن حجر) :

«اللّهُمَّ اجعَلْ صلوتكَ و رحمتكَ على آل سعد بن عبادة » ؟

اَوَ ليس افتراق هؤلاء الاكابر من المهاجرين و الأنصار يضرّ بتماميّة ذلكَ الأجتماع و يزيل اعتبار هذا النّحو من الاجماع ؟

٢٤٤- ما فى الاحتجاج بصحّة الأجتماع و لزوم الاتّباع

ثمّ ماالدّليل على وجوب اتّباع ذلكَ الأجتماع على من لم يكن هناك اوكان ولم يشأ ان يتحمّل ذلكَ الأتّباع ؟

هل يصحّ انيستند فى الحكم بوجوب الأتّباع لذاك الأجتماع ولزوم الألتزام به بوجوب التحرّز عن الضّلالة المنفيّة و يُستدل بقوله صلّى الله عليه و آله وسلّم، لذلكَ:

لاينبغى انيعد اجتماع معدود من الامة ، اجتماع الامة

«لاٰ تَجتَمِعُ اُمَّتِىْ عَلىٰ ضَلالَةٍ » ؟

اَفتَرىٰ انّ مثل ذاك الأجتماع اذا صدق عليه « اجتماع بعض الأُمّة» لكان يصدق عليه «اجتماع الأُمّة» ! ؟

متىٰ وابن اجتمعت «الامّة» ، بأطلاق الكلمة ، فى تلكَ المسئلة ، فى السّقيفة ، وغيرها ، كى يصحّ ان يُعدّ افتراق البعض ضلالة ؟

بل وهل يمكن ان يصدق عنوان « اجتماع الأُمّة » مع خروج البعض ؟ اَوَ ما ينفى هذا الأفتراق ذاك الاجتماع ؟

ثمّ لوجاز اطلاق عنوان «اجتماع الأُمّة» على « اجتماع بعض الأُمّة » لجاز انيطلق هذاالعنوان (اجتماع الامّة) على «اجتماع البعض الآخر المخالف» فماتكليف من اراد التحرّز عن الضّلالة ؟

← ابى الحسين المصرى - عبدالرحمن -) مسنداً الى انس انه قال : «كان قيس بن سعد من النبى، صلى الله عليه و سلم، بمنزلة صاحب الشرطة من الامير - يعنى ينظر فى اموره - » .

اَوَ يجوز ان يقال: قلّة الأفراد فى طرفٍ وكثرتها فى الطّرف الآخر، لو تحقّق، تكون مناطاً لصدق عنوان «اجتماع الاُمّة» فى احدهما (الكثير) وعدم صدقه فى الآخر (القليل)؟ لا يُظنّ بمن راعىٰ جانب الانصاف ان يقول بهذا وكيف يجوز هذا القول مع كون الطّرفين سَواسِيَة فى عدم تحقّق اتفاق «الأمّة» (اى جميعها) فى كليهما؟

اَوْ هل يصحّ ان يستند فى الحكم بوجوب الأتّباع بما يدلّ على وجوب اتّباع سبيل المؤمنين، اوكما صرّح به فى الآية على حرمة اتّباع غير سبيل المؤمنين؟. قوله تعالى:

«وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّىٰ وَ نُصْلِه جهنَّمَ وساءَتْ مَصِيْراً[1].»

لااری الأنصاف ان يستصحّ هذا الاستناد و الاستدلال:

امّا اوّلاً فلأنه لم يكن هنالك للمؤمنين على سبيل العموم، المدلول عليه بصيغة الجمع، المقرون بالسّلام، سبيل واجتماع حتى يجب اتّباعهم او يحرم اتّباع غير سبيلهم.

وثانياً لوسلّم انّه ماارید منه «العموم» بل يكفى فيه جمع منهم اَوَ ماكان مااجمع عليه الأنصار، من انتخاب **سعد** للامارة سبيل المؤمنين؟

دع ذلك فأنّه غير قرشيّ و «الأئمّة من قريش» اَما قالت الأنصار، كما فى الطّبری وغيره، او بعضهم: «لانبايع الّا **علياً**» اَماكان هذا سبيل المؤمنين؟

سبيل المؤمنين الذى يجب اتباعه

وثالثاً مَن الّذى يجترئ، وهو مؤمن، ان يتفوّه بأنّ سبيل هؤلاء الرّاسخين فى فى الأيمان، ممّن عرفت تخلّفه عن السّقيفة وعن البيعة، وفيهم من سبق الكلّ فى الايمان ومن قال الرّسول (ص) فى حقّه «علىّ مع الحقّ والحقّ مع علىّ لايفترقان» و قال فى شأنه يوم الخندق «برز الايمان كلّه الى الشّرك كلّه»، لم يكن سبيل المؤمنين؟ وقد عرفت سابقا من التّفسير الكبير للطّبری انه روى فى ذيل هذه الآية: «اِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ اُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» بأسناده: «فقال النبىّ صلّى الله

١- الاية الـ ١١٥ من السورة الرابعة (النساء)

علیه و سلّم : «اَنْتَ یا عَلِیُّ وَ شیعَتُکَ» .

ورابعاً انّ الظاهر عن الآیة انّ «سبیل المؤمنین» هو الّذی عیّنه وبیّنه الرّسول (ص) لا ما لم یکن منه (ص) نصٌّ فیه . فلیفهم .

ولنختم هذا الکلام بما افاده مهیار الدّیلمی ولقد اجاد فیه :

وَکَیْفَ صَیَّرْتُمُ الإجْماعَ حُجَّتَکُمْ
وَالنّاسُ مَا اتَّفَقُوا یَوْماً وَ لا اجْتَمَعُوا
اَمْرٌ ، عَلیٌّ بَعیدٌ عَنْ مَشُوْرَتِهِ
مُسْتَکْرَهٌ فیهِ وَ الْعَبّاسُ یَمْتَنِعُ[1]

۲۴۵- خلافة ابی بکر وانقضاء دوره

و کیف کان حصلت البیعة باَخَرَةٍ حتّی ممّن لم یکن ذلک الیوم حاضراً فی السّقیفة او لم یشأ ان یبایع فی اوائل الأمر .

فبعد مضیّ مدّة ، لاتقلّ علی ماضبطوها عن ستّة اشهر ، عمّت البیعة وتمّت[2] و اتّفقت الکلمة علی ابی بکر (رض) و استقرّت الخلافة له، و انتظم امور المسلمین الدّاخلیّة، فصار الأسلام بسیر سیره المقدّر المأمول نحو الأمام و تنبسط سُلطتُه علی سائر الاقوام من الفُرس و الأروام .

وکان ذلک بمجاهدة المسلمین فی سبیل حفظ الاسلام ، و بسط مناهجه الفاضلة ، و نشر فضائله الکاملة ، و فی ظلّ تحلّیهم بالایمان ، و تجلّیهم بمتابعة احکام القرآن ، و خضوعهم بالطّوع و الرغبة للمقرّرات ، و رعایتهم جانب العدل و الانصاف ، و تجنّبهم

۱- اعیان الشیعة (الجزء الاول - الصفحة ال ۶۱)

۲- وان کانت بالنسبة الی بعض بالتهدید والاکراه کما نقلوا فی بیعة **علی** وبنی هاشم و الزبیر و بالنسبة الی بعض آخر بالتطمیع و الاکرام ، کما فی بیعة ابی سفیان . و لکنه بقی **سعد** بن **عبادة** علی حاله و لم یبایع حتی مات او قتل فی اوائل خلافة عمر .

عن الغدر والخـَطـَل ، و بالجملة اتـّصافهم بالعلم والعمل ، واعتصامهم بحبل الله الواحد الأحد .

لم تطـُل ايـّام الخليفة ابى بكر (رض) وانقضى زمن خلافته فى مدّة لم تتجاوز عن سنتين الّا باشهر قليلة فمرض و لمـّا مرض و ايقن بالموت ، تطوّر الشأن فى امر الخلافة و تغيـّر وجه نصب الخليفة فرأىٰ ان لايكلها الى اختيار الأمـّة ولا باختيار اهل الحلّ والعقد منهم ، وعزم على ان «يغتصب النـّاس امرهم» و «يبتزّ حقـّهم»[1] ، الـّذى كان لهم بزعمه ، و ينتزعه عنهم فعيـّن الخليفة بشخصه واختار ، بالحقيقة ، خليفة لنفسه وذهب فى هذا الأمر على خلاف ماذهب اليه الرّسول (ص) و مضى عليه ، كمايدّعى ويقول ، و علىٰ خلاف مااعلنوا و حكموا به من كون تعيين الخليفة و انتخابه من حقوق الأُمـّة ، او من شئون خصوص اهل الحلّ والعقد منهم ، على مايزعمون و يدّعون ، بل مع خلاف بعض اكابر اهل الحلّ والعقد من الصّحابة كطلحة بن عبدالله ، احد العشرة المبشـّرة ، فانـّه اعترض على ابى بكر فى ارادة اختيارِه من اراد اختيارَه بقوله :

«انّ من اردتَ اختياره رجل فظّ غليظ» .

اغتصاب الناس امرهم بنصب الخليفة

٢٤٦ــ استخلاف ابى بكر ، عمر (رض)

قال **ابن ابى الحديد** فى شرحه على نـَهـْج البلاغة :

«و روىٰ كثير من النـّاس انّ **ابابكر** لما نزل[2] [به الوفاة] دعا **عبدالرحمن بن عوف** فقال :

«اَخبرنى عن **عمر** .

١ـ اشارة الى ماسبق نقله من كلام عمر (رض) فى خطبته على ما اورده ابن الاثير ، وكلام معاوية فى كتابه الى محمد بن ابى بكر .

٢ـ و فى الطبرى (الجزء الثانى ـ الصفحة ال ٦١٨ ـ) « لما نزل بابى بكر الوفاة دعا **عبدالرحمن** ... الخ » مع اختلاف يسير فى بعض العبارات.

«فقال : انّه افضل من رأيكَ الّا انّ فيه غلظا [۱] .

«فقال **ابوبکر** : ذلکَ لأنّه یرانی رقیقا . . .

«ثمّ دعا **عثمان** بن **عفّان** فقال :

«اخبِرنی عن **عمر** .

«فقال : سریرته خیر من علانیته و لیس فینا مثله .

«فقال لهما : لاتذکرا ممّا قلت لکما شیئاً . ولو ترکتُ **عمر** لَما عدوتُکَ یا **عثمان** ! و الخیرة لکَ ان لاتَلِی من امورهم و لوددتُ انّی کنتُ من امورکم خلواً وکنتُ فی مَنْ مضیٰ من سَلَفِکم [۲] .

«ودخل **طلحة** بن **عبیدالله** علی **ابی‌بکر** فقال :

۱- انظر الی‌جواب هذاالصحابی المحنکَ، کیف ارضی **ابابکر** (رض) بالجملةالاولی فی کلامه وکیف اظهر ما یضمره فی نفسه من عدم رضائه ، بالجملة الثانیة . فخالف بعد ما وافق !

۲- والی هذا ، یشیر ماقاله **علی** (ع) فی‌خطبته :«... حین یستقبیل،یجعله لغیره» و لعل الناظر الی هذه المشاورة و المذاکرة یقوقف هنا هنیهة فیرجع الی القهقری ویذهب الی‌السقیفة و یشاهد ان المدار فها من‌المهاجرین کان علی **ابی بکر** و **عمر** و **ابوعبیدة** و **عبدالرحمن** بن **عوف** ، علی روایة ، وکان کما **قال ابن ابی‌الحدید** : « وعمر هوالذی شید بیعة **ابی‌بکر** ... ولولاه لم یثبت لابی‌بکر امر ، ولا قامت له قائمة» ثم یکر راجعاً فیشاهد ان المشاورة فی هذا الحین محدودة مقصورة من بین المهاجرین والانصار علی **ابن‌عوف** و **عثمان** وکلاهما یشیران الی **عمر** (رض) و یطلع عن قریب ان عثمان حین یکتب وصیة **ابی‌بکر** (رض) و یغمی علیه یکتب من عند نفسه و برای شخصه : «عمر» ، و ان **عمر** حین یریدان یستخلف یقول : لوکان **ابوعبیدة** حیاً ماعدوت عنه واخیرا ینصب ، بالحقیقة ، فی‌صورةالشوری و تحت ستارها وغطائها **عثمان** . وحینئذ لعل‌الناظر یحدث نفسه و یقول : لعل کان کل ذلک صدفة و اتفاقاً و وقع هذه الامور المرتبطة‌المتناسبة فی وقت وقوعها من غیر سابقة تعاهد و تشاور ، بل بلارویة و بلاحساب !

«انّه قد بلغني [1] انّكَ يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر و قد رايت مايلقى الناس منه ، و انت معه فكيف به اذا خلابهم ؟ وانت غداً لاقٍ ربّكَ فيسألكَ عن رعيّتكَ !

«فقال ابوبكر : اجلسوني . ثمّ قال : ابالله تخوّفني ؟! اذا لقيتُ ربّى فسألنى قلت : استخلفت عليهم خيراهلكَ [2] .

مكالمة ابى بكر حال مرضه مع بعض الصحابة فى استخلاف عمر

«فقال : طلحة :

«عمر خير النّاس يا خليفة رسول الله ؟! فاشتدّ غضبه وقال :

«اِي والله هو خيرهم و انت شرّهم !

« اَما والله لو ولّيتُكَ لجعلتَ انفكَ فى قفاك و لرفعت نفسكَ فوق قدرها حتى يكون الله هو الّذى يضعها ! .

«اتيتنى وقد دلكتَ عينكَ ! تريد ان تفتننى عن دينى و تزيلَنى عن رائى ! قم ، لااقام الله رجليكَ ! .

« اَمَا والله لئن عشتُ فَواق ناقة و بلغنى انّكَ غمصتَه فيها او ذكرتَه بسوءٍ لَاَلْحقنَّكَ بحَصَبات قُنّة [3] حيث كنتم تَسقُون ولا تَروْون و تَرْعَوْن ولاتَشْبعون وانتم بذلكَ الحَجُون راضون [4] » فقام طلحة فخرج .

١- من اين بلغه وقد منع ابو بكر ، عثمان و ابن عوف من اظهار الامر و ذكره .

٢- رويه الطبرى ايضا ، باسناده عن اسماء بنت عميس (الجزء الثانى - الصفحة ال ٦٢ -)

٣- كالقلة لفظا و معنى وهى اعلى الجبل .

٤- قد عرفت سابقا ماتكلم به ابو بكر (رض) حين ما «بايع الناس ابابكر ، العامة» بعد يوم السقيفة من قوله : «ايهاالناس فانى قد وليت ولست بخيركم اطيعونى مااطعت الله و رسوله فاذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة عليكم ...» فما ابعد بين ذاك الكلام و التواضع و بين هذا الكلام و الخشونة بالنسبة الى الصحابى المبشر له بالجنة . ولا يذهب عليك ان تلك الديمو قراطية و التواضع كانت باقتضاء القرب الى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و تأثير تعليماته الالهية القريب و هذه الخشونة و الاستبداد بحسب اقتضاء الخلافة الدنيوية ثم فى هذا الكلام شيء آخر وهو انه على ماينبغى ان يحمل قول الخليفه (رض) للصحابى الكبير ، والذى بشر له بالجنة و رضى الله عنه انه اتاه مريدا لافتتانه عن دينه مؤكدا بالدعاء عليه وتهديده ، و قوله له : «انت شر الناس» ! !

٢٤٧ - كتاب عهد ابى بكر و كيفيّة كتابته

وفى شرح نهج البلاغة لابن الحديد ايضا :

« لمّا احتضر **ابوبكر** قال للكاتب :

« اكتب : هذا ماعهد به **عبدالله بن عثمان** آخر عهده بالدّنيا و اوّل عهده بالآخرة فى السّاعة الّتى يبرّ فيها الفاجرو يسلم فيها الكافر.

« ثمّ اُغمى عليه . فكتب الكاتب : «**عمر بن خطّاب**» .

« ثمّ افاق **ابوبكر** فقال : اقرأ ماكتبت فقرأ وذكر اسم **عمر** .

« فقال : انّىٰ لكَ هذا ؟

« قال : ماكنت لتعدوه !

« فقال : اصبت . ثمّ قال : اَتْمِمْ كتابَكَ . . .

« فلمّا : فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصّحابة ، منهم **طلحة** فقال له :

« ما انت قائل لربّكَ غداً وقد ولّيت علينا فظّاً غليظا تَفَرّق (تفزع) منه النّفوس وتنفضُّ عنه القلوب ....؟ » — كتابة عثمان فى كتاب عهد ابى بكر كلمة « عمر »

وفيه ايضا :

« احضر **ابوبكر** ، **عثمان** ، وهويجود بنفسه فأمره انْ يكتب عهداً وقال : اكتب :

« بسم الله الرّحمن الرّحيم . هذا ما عهد **عبدالله بن عثمان** الى المسلمين .

ثمّ اُغمى عليه . و كتب **عثمان** :

« قد استخلف عليكم **عمر بن الخطّاب** » .

« وافاق **ابوبكر** . فقال : اقرأْ . فقرأه . فكبّر **ابوبكر** وسرّ » [1] .

---

١ - وفى **الطبرى** (الجزء الثانى - الصفحة ال٦١٩ -) بعد جملة « فكبر **ابو بكر** » وقال : اراك خفت ان يختلف الناس ان افتلتت نفسى فى غشيتى . قال : نعم ... »

انتقاد ابوبكر عن اكابر الصحابة

وفي تاريخ الطّبرى (الجزء الثّاني ـ الصفحة ال٦١٩ ـ) بأسناده عن عبدالرحمن ابن عوف :

« انّه دخل على ابى بكر الصّدّيق رضى الله تعالى عنه فى مرضه ، الّتى تُوُفّىَ فيه، فأصابه مهتماً .

« فقال عبدالرّحمن : اصبحت والحمد لله بارئا .

« فقال ابوبكر رضى الله تعالى عنه : : اتراه ؟

« قال : نعَم .

« قال : انّى ولّيْتُ امر كخير كم فى نفسى ، فكلّكم ورم انفُه من ذلك يريد ان يكون الأمر له دونه ! . . . وانتم اوّل ضالّ بالنّاس غداً فتصدّونهم عن الطّريق يمينا وشمالاً . . .

« فقلت له : خفّض عليك ، رحمك الله ، فأنّ هذا يهيضك ، فى امرك . . . »

٢٤٨ ـ ختم ، ودفع وهم ٍ

هكذا وقع الأختيار والأنتخاب لهذه المهمّة الّتى لم يهتمّ بها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، على ما يدّعوه ، وما خاف من اختلاف النّاس فيها بعده ، على مايقولون ، بل رآه (ص) من حقّ الأُمّة وَوكلهم واختيارَهم ، كمازعموا ، ولكن خليفة الرّسول (ص) اشفق على الأسلام وعلى الامّة ، وخاف من الاختلاف والفُرقة ، فرأى اشفاقا على الدّين وعلى المسلمين رأياً خلاف ما رآه الرّسول (ص) ، مع ماصرّح فى خطبة كما هوَذا يجيء « وانّما انا متّبع ولست بمبتدع » فاختار هو ، او كاتبه ، وهو امضاه ، قُبيل وفاته وفى حال ٍ بين الأغماء والأفاقة ، من جاهد هو ايضا يوم السّقيفة فى سبيل اختياره للخلافة ، وسعى لأخذ البيعة له فيها وشيّدها بعدها .

ولا يتوهّم من هذا البيان ارادة الأغماز فيهما ، رضى الله عنهما ، بل المراد عدم ـ

الأغماض عن بعض ما وقع فی التّاریخ [۱].

زمن وفات ابی بکر ومدة خلافته

وکیف کان تمّت الوصیّة، وتعیّنت الخلیفة، وتخلّصت الأُمّة من هذه المهمّة، و«تُوُفّی ابوبکر (رض) لیلة الثلثاء لثمان بقین من جُمادَی الآخرة من سنة ثلاث عشر من الهجرة» وکانت مدّة خلافته سنتین وثلاثة اشهر، اّلا خمس لیال، وقیل: سنتین، وثلاثة اشهروسبع لیال. وقال اسحق: تُوُفّی علی راس سنتین وثلاثة اشهر واثنتی عشرة لیلة من متوفّیٰ رسول الله. وقال غیره ایضا: وعشرین یوماً».

---

۱ - «وعمر هوالذی شید بیعة **ابی بکر** و رغم المخالفین فیها، فکسر سیف **الزبیر** لما جرده، و دفع فی صدر **المقداد**، و وطیء فی السقیفة **سعد بن عبادة** وقال: «اقتلوا **سعدا** ! قتل الله **سعدا**» وحطم انف **الحباب المنذر**، الذی قال یوم السقیفة: «انا جذیلها المحکك و عذیقها المرجب»، و توعد من لجأ الی دار **فاطمة** علیها السلام من الهاشمیین و اخرجهم منها، ولولاه لم یثبت لابی بکر امر ولاقامت له قائمة ...»
(شرح ابن ابی الحدید)

«يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ القيامة رَهْطٌ من اَصْحابى فَيُجْلَوْنَ
عَنِ الحَوْضِ.
«فَاَقولُ :
«يارَبِّ اَصْحابِى !
«فيقول :
اِنَّكَ لاعِلْمَ لَكَ بِما اَحْدَثُوا بَعْدَكَ.
«اِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلىٰ اَدْبارِهِمُ القَهْقَرىٰ»
(البخارى فى صحيحه بأسناده عن ابى هريرة)

«... لايَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ مُبْغِضُكَ
«ولايَغيبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ...»
(اخطب الخوارزمى عن النّبىّ «ص»)

١٦ ـ حولَ الوقائــع المهمّة
فى خلافة ابى بكر «رض»

١ ـ اوّل ما اقدم عليه ابوبكر.
٢ ـ المُتَنَبِّئُون :
٣ ـ الاسود العنَسْى.
٤ ـ طُلَيْحة.
٥ ـ سِجاح.
٦ ـ مُسَيْلمة.
٧ ـ اهل الرِدّة.
٨ ـ مالك بن نُوَيْرة.
٩ ـ تذييل فى نقل اخبارمن الصّحيح البخارى :
١٠ ـ فى معنى الرِدّة والأرتداد.

٢٤٩ ـ ما وقعت من الأمور الهامّة فى خلافة ابى بكر

اوّل ما اقدم عليه ابوبكر، بعد ان بويع ، انّه بعث اسامة الى ما امره الرّسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم .

قال الطّبرى فى تاريخه (الجزء الثّانى ـ الصّفحة ال ٤٦٠ ـ) بأسناده:

« نادىٰ منادى ابى بكر ، من بعدالغد من متوفّىٰ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم، ليُتَمّ بعثُ اسامة : الّا لايبقيَنّ بالمدينة احد من جُند اسامة الّا خرج الى عسكره بالجرَفِ .

« وقام فى النّاس فحمدالله واثنىٰ عليه وقال :

بعث ابى بكر، اسامة وجيشه

« يا ايّها النّاس انّما انا مثلكم ، وانّى لادرى لعلّكم ستكلّفونى ماكان رسول الله ، صلّى الله عليه وآله وسلّم ، يطيق .

« انّ الله اصْطَفىٰ محمّداً على العالَمين وعصمه من الآفات .

« وَاِنَّما اَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ . فان اسْتَقَمْتُ فتابِعُونى وان زغتُ فقوّمونى . . . . وانّ لى شَيْطاناً يَعْتَرِينِى فاذا اَتانِى فاَجْتَنِبُونى... »[١]

---

١ ـ وحينئذ فالى من يلجأون الناس؟ ومن يكون لهم المرجع والمفزع ،كما قال عمر للزبير ، وسيجيء فى موضعه : « فليت شعرى من يكون للناس يوم تكون شيطاناً؟ ومن يكون يوم تغضب ؟» ، ولهذا تشترط الشيعة فى خليفة الرسول ، العصمة كما اثبته ابو بكر للرسول(ص) .

وفى كتاب « صفة الصفوة » « الجزء الاول ـ الصفحة ال ٩٩ ـ) تاليف جمال الدين ابى الفرج **عبدالرحمن** بن **على** بن ..... **الجوزى** (المتوفى سنة ٥٩٧ ه. ق.) :

« وعن **الحسن** قال : لما بويع **ابو بكر** قام خطيباً. . . ثم قال : . . . الا وانما انا بشر مثلكم ولست بخير من احد كم فراعونى ، فاذا رايتمونى استقمت فاتبعونى، واذا رايتمونى زغت فقومونى و اعلموا ان لى شيطانا يعترينى فاذا رايتمونى غضبت فاجتنبونى، لا اوثر فى اشعاركم و ابشاركم ».

ثمّ « اقام ابوبكر بالمدينة بعد وفاة رسول الله (ص)، وتوجيهه اسامة فى جيشه، لم يُحدث شيئاً وقدجائته وفودالعرب مرتدّين، يقرّون بالصلوة، ويمنعون الزّكاة، فلم يقبل منهم ذلك وردّهم، واقام حتّى قدم اسامة بن زيد بن حارثة، بعداربعين يوماً من شخوصه، ويقال بعد سبعين يوماً. » (الجزء الثّانى - الصّفحة ال ٤٧٤ - من الطّبرى).

٢٥٠ - مَنْ واجهَ ابوبكر خلافه

امر ابى بكر طريفة باحراق اياس بن عبدالله

واجه ابوبكر فى اوّل خلافته فريقين على الخلاف فشمّر عن ساعد الجدّ فى - القيام بأطفاء نيران الخلاف، واخماد سَوْرة الفتنه والفساد، وشدّد واكّد لذلك، بحيث امر فى ماكتبه الى امراء الجند:

«... ومن ابىٰ، اَمَرْتُ ان يقاتله علىٰ ذلك ثمّ لايُبْقِيَ على احد منهم قدَر عليه، وان يُحرقَهم بالنّار و يقتلَهم كلّ قتلة ... » (الجزء الثانى من الطّبرى - الصّفحة ال ٤٨٢ -).

وامر طريفة بن حاجز بأحراق اياس بن عبدالله، المشهور بالفجأة، الّذى ارتدّ وقاتل المسلمين،[١] ففى الطّبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال٤٩٣).

«... امر ابوبكر، طريفة فقال: اخرج به الى هذا البقيع فحرّقه فيه بالنّار. فخرج به طريفة الى المصلّىٰ فاوقد له ناراً فقذفه فيها».

---

١ - ندم ابو بكر من هذا العمل كما صرح به فى مرضه الذى توفى فيه. ففى الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٦١٩ -) بعد ما ذكر دخول ابن عوف عليه فى مرضه و ماجرى بينهما من الكلام (كما مر سابقاً) قال:

« .... قال ابو بكر: اجل انى لا آسى على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت انى تركتهن، و ثلاث تركتهن وددت انى فعلتهن، و ثلاث وددت انى سألت عنهن رسول الله (ص). فاما الثلاث التى وددت انى تركتهن، فوددت انى لم اكشف بيت فاطمة عن شيء و ان كانوا قد غلقوه على الحرب. و وددت انى لم اكن حرقت الفجأة السلمى وانى كنت قتلته سريحا او خليته نجيحاً .... »

الفريقان اللذان ابتلى بهما ابوبكر

وسريعاً تسلّط ابوبكر على الأمور وفاز فى الجهتين فغلب على الفريقين :

الأوّل ـ المتنبئون وهم طُلَيحة وسجاح ومسيلمة .

الثّانى ـ المتسمّون بعنوان «اهل الرّدّة» .

٢٥١ ـ الأوّل ـ المتنبّئون

قال الطّبرى (الجزء الثانى ـ الصفحة ال ٤٧٥ ـ من تاريخه) .

« لمّا مات رسول الله ، صلّى الله عليه و آله وسلّم ، وفصل اسامة ارتدّت العرب : عوامٌ اوخواصٌ ، وتوحّىٰ مسيلمة وطليحة فاستغلظ امرهما واجتمع على طليحة عوامُّ طىّ واسدو ... وخواصٌّ من الأفناء فبايعُوه » .

ولنذكرهنا ملخّص ماجرىٰ مع الفريقين مقدّماً عليها واقعة الأسْود العنْسى فنقول :

٢٥٢ ـ واقعة الأسود العنسى المتنبّىء

ظهرت فى اواخر ايّام الرسول (ص) واوائل خلافة ابى بكر عدّة متنبأة قُتل واحد منهم قُبَيْلَ وفاة الرّسول (ص) والباقون ادركوا زمان الخليفة وتنبأُوا فى ـ زمانه، فقُتل بعضُهم واسلم بعض آخر .

فامّا الّذى قُتل فى حياة الرّسول فهو عيهُلة بن كعب بن عوف العنْسى ، المعروف بالأسْوَد العنْسى ، الكذّاب والملقّب بـ«ذى الخمار» لكونه معتماً متحمرّا ابداً[١] وخلاصة امره (ملخّصاً من تاريخ الطّبرى وكتاب الكامل) :

كان الرّسول ، صلّى الله عليه وآله و سلّم ، حين اسلم باذان ، واسلم اهل يمن

---

١ ـ وكأنه به اقتدى هاشم بن حكيم ، المشهور بـ«المقنع» فى تقنعه وتنبئوه (بل تألهه) (اهلكه فى زمان مهدى بن منصور العباسى سنة ١٦٧).

اسلام باذان الايرانى زمن - الرسول وجعله الرسول عاملا من قبله على جميع اليمن

قد جمع لباذان ، عَمَلَ اليمن جميعه واَمَّرَه على جميع مخالفيه فلم يزل عليه حتّى مات . فلمّا مات **باذان** فرّق رسول‌الله (ص) امرائه فى اليمن وجعل على صنعاء، **شَهْرَ** ابن **باذان** .

« لمّا عاد رسول الله(ص) من حجّة الوداع ، تمرّض من السّفر ، غير مرض موته ، بلغ ذلك ، **الاسودَ العَنْسى** ، فادّعى النبوّة ، وكان مشعبِذاً يُرِيهم الأعاجيب ، فاتّبعته مَذْحِج . فكانت رِدّة **الاسود** اوّل رِدّةٍ فى الأسلام على عهد رسول‌الله(ص) . و كان اوّل من اعترض **الاسودَ** الكاذب ، **شهر و فيروز و داذويه**.

وغزا **الأسود** نجران ، وغلب عليها ثمّ سار منها الى صنعاء ، وكان معه سبعمائة فارس سوى الرّكبان، وخرج اليه **شهر بن باذان** فلقيه فقَتَل **شهر** ، لخمس وعشرين من خروج **الأسود** ، و استتبّ ملك اليمن للاسود ، وغلب على ما بين مفازة حضرمَوْت الى - الطّائف ، الى البحرين والأحساء الى عدن ، واستطار امره كالحريق واستغلظ امره .

لما مات باذان جعل الرسول ابن باذان ، شهر ، على صنعاء

و كان خليفته على جُنده **قيس** بن **عبديغوث** وكان امر «الأبناء»[1] الى **فيروز** ، **وداذويه**. وتزوّج **الأسود** ، بعد قتله شهر بن **باذان** ، امرأةَ **شهر** وهى ابنة عمّ **فيروز**.

قال **جشنس الديلمى** [2] فجائتنا كُتُب النبى صلّى‌الله عليه و آله و سلّم ، يأمرنا بقتاله ، يعنى اليه والى **فيروز و داذويه** ، واَنْ نُكاتِبَ مَنْ عنده دِين . فعملنا ذلك وعلِمْنا تغيّره **لقيس** بن **عبديغوث**، وانّ **قيساً** يخاف على دمه. فدعونا **قيساً** و ابلغناه عن النّبى. فاجابنا ، فاخبره الشّيطان شيئاً من ذلك. فدعا **قيساً** فأخبره انّ شيطانه يأمره بقتله لميله الى عدوّه ، فحلف **قيس** على برائته . ثمّ اتانا فقال : يا **جشنس** ، و يا **فيروز** ويا **داذويه**! فاَخْبَرَنا بقول **الأسود** .

---

١ - هم الايرانيون ، ابناء الجند الذى ارسله **كسرى** باليمن .

٢ - هكذا فى «الكامل» (**جشنس**) وفى الطبرى **جشيش بن الديلمى** . وفى « مجمل التواريخ والقصص » (فى الحوادث الواقعة فى السنة الاولى من الهجرة) ورد فى تعديد آباء سلمان هكذا : « ماهبذ » (اسم الاصلى لسلمان) بن **بدخشان** بن **آذرجشنس** (؟) وعلق المصحح على الكلمة الاخيرة : « آذرجشنس معرب آذرگشب » .

قتل شهر وصيرورة امر الابناء الى ابنه فيروز

فبينا نحن معه يُحدّثنا اذارسل الينا **الأسود** فتَهَدَّدَنا . فاعتذَرْنا اليه ونجونا منه، ولم نكَدْ وهومرتاب بنا ونحن نحذره، فبينانحن على ذلك، اذجائتنا كتب **عامر بن شهر** و . . . و . . . و . . . وعدّة اُخر يبذلون لنا النّصر، فكاتبناهم وامرناهم ان لايفعلوا شيئاً حتّى نُبْرِم امرنا وانّما اهتاجوا لذلك،حين كاتبهم النّبى(ص). و بلغ ذلك، **الأسود** واحسّ بالهلاك .

قال **جشنس** : فدخلتُ على **آزاد** ، وهى امرأته ، تزوّجها بعد قتل زوجها ، **شهر بن باذان** ، فدعوتها الى ما نحن عليه فاجابت وقالت : والله ما خلق الله شخصا ابغض الىّ منه ، ما يقوم لله على حقّ ، ولاينتهى عن محرّم، فاعلِمُونى امركم ، اخبركم بوجه الأمر.

قال : فخرجتُ واخبرتُ **فيروز** و **داذويه** و **قيْساً** .

قال : واذ قدجاء رجل فدعا **قيساً** الى **الأسود**. فدخل فى عشرة من مذحِج وهَمْدان فلم يقدرعلى قتله معهم، وقال له:الَمْ اُخبرك الحقّ وتخبرنى الكذب؟ أنّه، يعنى شيطانَه، يقول لى : اِنْ لاتقطع من **قيس** يده يقطع رقبتك . فاعتذر له **قيس** بالبرائة . فرقّ له وتركه . وخرج **قيس** فمرّ بنا، وقال: اعملوا عملكم ولم يقعُد عندنا.

فخرج علينا **الأسود** فى جمع ، فقمنا له ، وبالباب مأة، مابين بقرة وبعير ، فنحرها ثمّ خلّاها ثمّ قال: احقٌّ ما بلغنى منك يا **فيروز** ، و بوأله الحربة ، لقد هممت ان انحرك. فقال : لقد اخترتنا لصِهرك وفضّلتنا، فلولم تكن نبيّاً لما بعنا نصيبنامنك بشىء فكيف وقد اجتمع لنا بك امر الدّنيا والآخرة؟ فقال: اقسم هذه فقسّمها ولحقَ به وهويسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له: انا قاتله غداً واصحابَه . ثمّ التفت فاذا **فيروز** فاخبره بقسمتها ودخل **الأسود** ورجع **فيروز** فأخبَرَنا الخبر .

فأرسلنا الى **قيس** فجائنا فاجتمعنا الى ان اعود الى المرأة فأُخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها فأتيتها فأخبرتها فقالت: هو متحرّز وليس من القصر شىءٌ الّا والحرُس محيطون به غيرهذا البيت فأنّ ظهره الى مكان كذا و كذا . فاذا امسيتم فانقبوا عليه فانّكم من دون الحرّس وليس دون قتله شىء وستجدون فيه سراجا وسلاحاً .

كيفية قتل الاسود بيد فيروز

فتلقانى الأسود، خارجا من بعض منازله، فقال: ما ادخلك عليّ؟ ووجأ راسى حتى سقطتُ، وكان شديداً فصاحت المرأة فادهشتَهُ عنى ولولا ذلك لقتلنى. وقالت: جائنى ابن عمى زائراً ففعلتَ به هذا، فتركنى فأتيتُ اصحابى فقلتُ: النّجاء، الهرب، واخبرتهم الخبر. فأنا على ذلك حيارىٰ، اذجائنا رسولهايقول: لاتدعن ما فارقتك، فلم ازل به حتى اطمئنّ.

فقلنا لفيروز: ائتها فتثبّت منها. ففعل. فلمّا اخبرته. قال: ننقب على بيوت مبطّنة. فدخل فاقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر. فدخل عليها الأسود فأخذته غيرة، فأخبرته برضاع وقرابة منها محرّم، فأخرجه.

فلمّا امسَيْنا عملنا فى امرنا واعلَمْنا اشياعنا فنقبْنا البيت من خارج و دخلنا، وفيه سراج تحت جفنة، واتّقينا بفيروز، وكان اشدّنا، فقلنا: انظر ماذا ترىٰ، فخرج ونحن بينه وبين الحرّس.

فلمّا دنا من باب البيت سمع غطيطاً شديداً والمرأة قاعدة، فلمّا قام على باب البيت اجلسه الشّيطان وتكلّم على لسانه وقال:

مالى ولك يا فيروز؟

«فخشى ان رجع ان يهلك و تهلك المرأة فعاجله وخالطه، وهومثل الجمل، فأخذ برأسه فقتله، ودقّ عنقه، ووضع ركبته فى ظهره فدقّه.

اخبار النبى بقتل الاسود العنسى وان قاتله فيروز، رجل مبارك من بيت مباركين

ثمّ قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه، وهى ترىٰ انّه لم يقتله.

فقال: قدقتلتُه وارحتُكِ منه. وخرج فاخبَرَنا فدخلْنا معه فخار كما يخور الثّور فقطعتُ رأسه بالشُّفرة.

وابتدرالحرَس، المقصورةَ يقولون: ما هذا؟.

فقالت المرأة: النّبى يوحىٰ اليه! فخمدوا.

فلمّا طلع الفجرناديْنا بشعارنا وناديْنا بالأذان: وكتبْنا الى رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، بخبره وذلك فى حياته واتاه الخبر من ليلته. وقدِمت رسلنا وقدتُوُفّى رسول الله (ص) فاجابنا ابوبكر:

قال ابن عمر : اتى الخبر من السّماء الى النّبيّ (ص) فى ليلة الّتى قُتل فيها .

فقال (ص) :

قُتل العَنْسى قتله رجل مبارك من اهل بيت مباركين .

قيل: من قتله؟ قال (ص) : قتله فيروز .

كان اوّل امر العَنْسى الى آخره ثلاثة اشهر، او قريب من اربعة اشهر، وكان قدوم البشير بقتله فى آخر ربيع الأوّل بعد وفاة النّبيّ (ص) فكان اوّل بشارة اتت ابابكر وهو بالمدينة .

هكذا تمّ امر ذاك المتنبيّ وانقضى . وممّا يستلفت النّظر فى امره ، وينبغى ان يشار اليه هيهنا ، لتمييز الحق من الباطل وتشخيص الكاذب من الصّادق ، اضطراب الأسود فى امره ، و خوفه حتّى من اهله ، و اخذه مقصورة لنفسه ، وتعيين الحرّس لحفظه ، وتجرّيه على سفك الدّماء و اهلاك النّفوس ، وعدم انتهائه عن ارتكاب المحرّمات والمنكرات . مما يتميز به الحق من الباطل

٢٥٣ ـ شأن المتنبّئين فى عهد ابى بكر

قد دريتَ انّ الخليفة ، ابابكر واجه فى خلافته فريقين على الخلاف :

الأول ـ المتنبّئون الثلاثة :

الّذين تنبّأوا وادركوا زمان الخليفة ، ابى بكر ، طليحة و سَجاح و مسيلمة وخلاصة امرهم (ملخّصاً من «الكامل» لابن الأثير، وتاريخ الطّبرى) على ماترى .

٢٥٤ ـ طليحة وتنبُّؤه

طُليحة بن خويلد الأسدى قد تنبّأ فى حياة رسول الله (ص) وكان يقول : « انّ جبريل يأتينى » وسجع للنّاس ، الأكاذيب . وكان يأمرهم بترك السّجود فى الصّلوة . ويقول : « اذكروا الله واعبدوه قياما » . وتبعه كثير من العرب عصبيّة .

وبعثوا بعد خلافة ابى بكر الى المدينة وفداً يبذلون الصّلوة ويمنعون الزكوة. فقال ابوبكر: والله لومنعونى عِقالاً لجاهدتُهم عليه، وكانَ عُقُل الصّدقة على اهل الصّدقة [مع الصّدقه]، وردّهم.

طروق طليحة واتباعه، المدينة ومنع على ومن معه من المدنيين اياهم بالرد

فرجع وفدهم واخبروهم بقلّة مَنْ فى المدينة، واطمعوهم فيها.

وجعل ابابكر بعدمسير الوفدعلى انقاب المدينة علياً وطلحة والزّبير وابن مسعود.

والزم اهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدوّ، لقربهم، فما لبثوا الّا ثلاثا حتى طرقوا المدينة وعليها المقاتلة، فمنعوهم. وخرج اهل المسجد على النّواضح فردّوا العدوّ.

و امر ابوبكر، خالد بن الوليد لأمر طليحة بن خويلد، فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نُويرة.

وارسل طليحة الى اتباعه يأمرهم باللّحاق به ببزاخة فقدموا عليه.

و ارسل خالد بن الوليد، عُكّاشةَ محْصَن و ثابت بن اقرم الأنصارى طليعة، فلقيهما حبال، اخو طليحة، فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو واخوه، سلَمة، فقتل طليحة، عكاشة. وقتل اخوه، سلمة، ثابتاً ورجعا.

قتال خالد وطليحة

واقبل خالد بالنّاس فرأوا عكاشة وثابتاً قتيلين، فجزع لذلك المسلمون، ثمّ سار حتّى التقيا على بُزاخة فاقتتل الناس وكان عُيينة بن حصن مع طليحة فى سبعماة من بنى فزارة فقاتلوا قتالاً شديداً و طليحة متلفّف فى كسائه يتنبأ لهم.

فلمّا اشتدّ الحرب كرّ عُيَيْنة على طليحة وقال:

هل جائك جبريل بعدُ؟

قال: لا.

فرجع فقاتَلَ ثمّ كرّ على طليحة فقال:

اجائك جبرئيل؟

قال: لا.

فقال **عُيَيْنة** حتّى متى! ؟ قد بلغ والله منّا.

ثمّ رجع فقاتل قتالاً شديداً ثمّ كرّ على **طليحة** فقال :

هل جائك جبريل؟

قال : نَعَمْ .

قال : فماذا قال لك؟

قال : قال لى : انّ لَكَ رحىً كرحاه وحديثاً لاتنساه .

فقال **عُيَيْنة** : قد علم الله انّه سيكون حديث لاتَنْساه . انصرِفوا يا بنى فزارة فأنّه كذّاب . فانصرفوا وانهزم النّاس.

وكان **طليحة** قداعدّ فرسه وراحلته لامرأته، **النّوار**، فركب فرسه وحمل امرأته

اسلام طليحة و بيعة عمر

وقال : يا معشر فزارة من استطاع ان يفعل هكذا و ينجو بامرأته فليفعل .

ثمّ انهزم فلحق بالشّام ثمّ نزل على كلب فأسلم حين بلغه انّ اسداً وغطفان ، قداسلموا، ولم يزل فى كلب حتى مات **ابوبكر**. وكان خرج معتمراً فى زمان **ابىبكر** و مرّ بجنبات المدينة ولم يتعرّض **ابوبكر** له لأسلامه .

ثمّ حين استخلف **عمر** ، اتاه **طليحة** وبايَعَه وقال له **عمر** :

آنت قاتل **عكاشة** و **ثابت**؟

فقال : يا اميرالمؤمنين ما يهمّك من رجلين اكرمهما الله بيدى ولم يُهنّى بايديهما ؟ .

ثمّ رجع الى قومه فاقام عندهم حتّى خرج الى العراق وكان مع المسلمين فى تلك الحروب[1] .

---

١ ـ وهو الذى كان يعد بألف رجل. قال **ابن حجرالعسقلانى** (٧٧٣-٨٥٢) - فى كتاب « الاصابة » : « واخرج **الطبرانى** عن **محمد** بن **سلام الجمحى** قال : كتب **عمر** الى **سعد** (يعنى ابن الوقاص) : انى امددتك بألفى رجل : **عمرو** بن **معديكرب** و **طليحة** بن **خويلد**. وكتب ايضا الى **نعمان** بن **مقرن** لما ولاه و توجه الى نهاوند : ان فى جندك **عمرو** بن **معديكرب** و **طليحة** بن **خويلد** فاحضرهما وشاورهما فى الامر.

انموذج مما سجع بها طليحة

ولمّا انهزم الناس عن طليحة اُسر عُيَيْنَة بن حصن فقدِم به على ابی بکر فکان صبيان المدينة يقولون له ، وهومکتوف: ياعدوّ الله اکفرتَ بعد ايمانک؟ فيقول: والله ما آمنتُ بالله طرفة عين! ! فتجاوزعنه ابوبکر وحقن دمه!

وممّا سجع به طليحة :

« والحمام و اليمان ، والصُّرد الّصوام ، قد ضمن لکم بأعوام، ليبلغنّ مُلکنا العراق والشّام » .

٢٥٥ - سجاح وتنبّؤها وعاقبة امرها

لمّا وقع الخبر بوفاة رسول الله (ص) اختُلِفت کلمة بنی تميم فی ارسال الصّدقات الى ابی بکر فتشاغلت تميم بعضها ببعض . وبينما الناس ببلاد تميم ، مسلمهم بأزاء مَنْ اراد الرِّدّة و ارتاب ، اذجائتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفا من بنی تميم وادّعت النبوّة فأتاهم امراعظم ممّاهم فيه، لاختلافهم والتّشاغل بمابينهم . وکانت سجاح تريد غزو ابی بکر. فأرسلت الى مالک بن نويرة تطلب الموادَعة فاجابها وردّها عن غزوها وحملها علىٰ اَحياء من بنی تميم . . .

خروج سجاح بقصد اليمامة فی جنودها وسجعها لذلک

ثمّ خرجت سجاح فی الجنود وقصدت اليمامة وسجعت بقولها :

« عليکم باليمامة ، ودفّوا [١] دفيف الحمامة ، فأنّها غزوة صرامة ، لايلحقکم بعدها ملامة » .

فبلغ ذلک مسيلمة فخاف واهدیٰ لها ، ثمّ استأمنها على نفسه ، حتّى ياتيها ، فأمنته. فجائها فی اربعين من بنی حنيفة (وکانت راسخة فی علم النّصرانيّة) فقال مسيلمة :

«لنا نصف الأرض وکان لقريش نصفها ، لوعَدَلَتْ ! ، وقدردّالله عليک نصف الّذی ردّت قريش ، فحباکِ به وکان لها لو قبلَتْ » .

---

١ - «التدفيف بالدال المهملة ، وبالذال المعجمة لغة هوتحريک الطائرجناحيه ليطير. يقال اذا اسرع مشياً و رجلاه على الارض ثم يستقل طيرانا » .

(وفى الطّبرى) :

« فقالت : لايردّ النصف الّا من جنف فاحمل النصف الى خيل تراها كالسّهف » .

فقال مسيلمة :

« سمع الله لمن سمع ، واطعمه بالخير اذ طمع ، ولازال امره فى كلّ ماسرّ نفسه يجتمع . رآكم ربّكم فحيّاكم ، ومن وحشة خلّاكم ، ويوم دينه انجاكم ، فاحياكم » .

من اسجاع مسيلمة ومشروعاته

كان ممّا شرع مسيلمة لهم .

انّ من اصاب ولداً ذكراً لايأتى النّساء حتى يموت ذلك الولد ! فيطلب الولد حتىٰ يصيب ابناً ثمّ يمسك ! »

وفى كيفيّة ملاقاتهما حكاية فكاهيّة مشهورة ، تكون آثار الوضع علىٰ صياغتها - المنقولة لائحة ، ننقلها هنا وهى كما حكيت فى تاريخ الطّبرى والكامل بهذه الصورة :

لمّا نزل مسيلمة عندها وقال لها : ابعدى اصحابك . ففعلت ، وقد ضرب لها قبّة وجمّرها فتذكّر بطيب الريح ، الجماع .

واجتمع بها .

فقالت له : ما اوحىٰ اليك ربّك ؟ .

فقال : « الم تر ربّك كيف فعل بالحبلىٰ ؟ اخرج منها نسمة تسعىٰ بين صفاق وحشىً » .

اجتماع سجاح ومسيلمه ومكالمتهما التى انجرت الى ما انجرت

قالت : وماذا ايضاً ؟ .

قال : « انّ الله خلق للنّساء افراجا ! وجعل لهنّ ازواجاً فنولج فيهنّ ايلاجاً . ثمّ نخرجها اذا نشاء اخراجا ! فينتجن لنا سخالاً انتاجا ! » .

قالت : اشهد انك نبىّ !

قال : « هل لك ان اتزوّجك وآكل بقومى وقومك العرب ! » .

قالت : نعم .

قال :

« ا َلا قُومِي اِلى النَّيْكِ فَقَدْ هُيِّئَ لَكِ المَضْجَع
فأن شِئْتِ ففى البَيْت و ان شئتِ ففى المَخْدع
و انْ شِئْتِ سَلَقْناكِ و انْ شِئْتِ علىٰ اَرْبَعِ
وَ اِنْ شِئْتِ بِثُلْثَيْه وَ اِنْ شِئْتِ به اَجْمَع

قالت : «بل به اجمع ، فأنّه للشّمل اجمع !»

قال : بذلك اُوحِيَ اِليَّ ! !

٢٥٦ـ موادَعة سجاح و مسيلمة و مسالمتها

وضع مسيلمة صلوتين مما جاء فى الاسلام

و كيف كانت هذه الواقعة ، قالوا :

فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت الى قومها .

فقالوا لها : ماعندك ؟

«قالت :كان على الحقّ ! فتبعتُه و تزوّجتُه .

ثمّ راجعت **مسيلمة** تطلب الصّداق منها ، لما سئل قومها عن صداقها .

فقال : لمؤذّنها نادِ فى اصحابكِ : «انّ **مسيلمة** رسول‌الله قد وضع صلاتين ممّا جائكم به محمّد : صلوةالفجر و صلوةالعشاء الآخرة» فانصرفت ومعها اصحابها منهم **عُطارَد** بن **حاجب** الّذى قال فى حقّها :

« اَمْسَتْ نبيَّتُنا اُنْثىٰ نَطُوْفُ بِهٰا
وَ اَصْبَحَتْ اَنبِياءُ النّاسِ ذُكْراناً

وصالحها **مسيلمة** على غـلّات اليمامة سنة ، تاخذالنّصف و تترك عنده من يأخذ النّصف الآخر فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة .

اسلام سجاح

فلم تزل **سجاح** فى تغلب حتّىٰ نقلهم **معاوية** عام المجاعة (فى زمانه) و جائت معهم وحسن اسلامهم واسلامها ، وانتقلت الى البصرة ، وماتت بها وصلّىٰ عليها **سَمُرة** بن **جُنْدَب** ، وهو على البصرة لمعاوية .

و فی کتاب «البدء و التّاریخ» المنسوب الی ابی‌زید **احمد** بن **سهل البلخی**[1] (المجلّد الثّانی ـ الصّفحة ال۱۶۵ـ) بعد نقل قول **سجاح** فی جواب **مسیلمة** : «بل به اجمع فهو للشّمل اجمع و بعد نقل قولها : «واجدران ینفع !» و بعد ان قال : «فتزوّجها و اقامت عنده ثلاثا و اصدقها ترك صلوتی الفجر والعشاء الآخرة» ورد هذا المشروع لسجاح :

ترخیص سجاح للمرأة فی زوجین

«ورخّصت **سجاح** للمرأه فی زوجین ! علی النّصف ممّا للرجل ! »

۲۵۷ـ تنبّؤ مسیلمة و عاقبة امره

فی السّنة العاشرة من الهجرة ، الّتی قدمت وفود العرب علی رسول‌الله(ص) فیها ، «قدم وفد بنی‌حنیفة علیه ، و فیهم مسیلمة ، الّذی اشتهر بالکذّاب ، و اجتمع **مسیلمة** برسول‌الله(ص) ثمّ عاد الی الیمامة و تنبّأ و تکذّب لهم وادّعی انّه شریك رسول‌الله فی النّبوّة فاتّبعه بنوحنیفة[2] . »

۱ـ فی «معجم الادباء» للحموی ، :

احمد بن **سهل البلخی** ابوزید : کان فاضلا ، قائما بجمیع العلوم القدیمة والحدیثة ، یسلك فی مصنفاته طریقة الفلاسفة ، الاانه باهل الادب اشبه .. . وقد وصفه **ابوحیان** فی کتابه ، فی تقریظ **الجاحظ** ، بوصف ذکرته فی اخبار ابی‌حنیفة **احمد** بن **داود** . . . مات فی سنة اثنتین و عشرین و ثلاثمأة . . . عن سبع او ثمان و ثمانین سنة »

و ذکر **الحموی** فی ترجمة ابی‌حنیفة **احمد** بن **داود الدینوری** نقلا عن کتاب «تقریظ الجاحظ» لابی‌حیان انه قال :

«انی لم اجد فی جمیع من تقدم و تأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان علی تقریظهم ومدحهم و نشر فضائلهم فی اخلاقهم و علمهم و مصنفاتهم و رسائلهم مدی الدنیا الی ان یاذن‌الله بزوالها ، لمابلغوا آخر مایستحقه کل واحد منهم . احدهم . . . **عمرو** بن **بحر** (یعنی الجاحظ) و الثانی ابوحنیفة **احمد** بن **داود الدینوری** . . . و الثالث ابوزید **احمد** بن **سهل**-البلخی فاله لم یتقدم له شبیه فی الاعصر الاول ولایظن انه یوجد له نظیر فی مستأنف الدهر. و من تصفح کلامه فی کتاب اقسام العلوم و فی . . . علم انه بحر البحور و انه عالم العلماء و ما ربی فی الناس من جمع بین الحکمة و الشریعة سواه . . .» .

۲ـ المجلد الثانی من الکامل ـ الصفحة ال۲۰۳ .

توجیه ابی‌بکر خالد بن الولید الی مسیلمة

فلمّا مات النّبیّ ارسل ابوبکر ، عِکْرِمة بن ابی‌جهل فی عسکر الی مسیلمة و اتبعه شرحبیل بن حسنة فعجّل عِکْرِمة ، لیذهب بصوتها ، فواقعهم فنکبوه، و اقام شرحبیل بالبطر حین ادرکه‌الخبر ، و وجّه ابوبکر ، خالداً، بعد قبوله اعتذاره عن‌قضیّة مالک بن نویرة و رضائه عنه ، الی مسیلمة . و بنوحنیفة یومئذ کثیرون و کانت عدّتهم اربعین الف مقاتل . و عجّل شرحبیل بن حسنة ، کما فعل عِکرمة ، و بادر خالداً بقتال مسیلمة فنکب . فلمّا قدم علیه خالد لامَه علی تعجیله .

و کان مع مسیلمة نهار الرَّجّال [1] (بفتح‌الراء و تشدید الجیم) بن عُنْفُوة و کان قد هاجر الی النّبیّ (ص) و قرأ القرآن و فَقِهَ فی الدّین و بعثه النّبیّ (ص) معلّماً لأهل الیمامة ، و لیشغبَ علی مسیلمة ، فکان اعظم فتنةٍ علیٰ بنی‌حنیفة من مسیلمة ، شهدله انّه سمع محمّداً(ص) یقول: انّ مسیلمة قد اشرک معه. فصدّقوه، واستجابوا له، و کان مسیلمة ینتهی الی امره .

و کان یؤذّن له عبدالله بن النّواحه و یقیم له حُجَیْر بن عمیر فکان حُجَیْر یقول: اشهد انّ مسیلمة یزعم انّه رسول‌الله فقال له مسیلمة : «اَفْصِح حُجیر فلیس فی المَجْمَجَة خیر» وهو اوّل من قالها .

مما سجع بها مسیلمة الکذاب

وممّا جاء به و ادّعی انّه وحی قوله :

« یا ضفدع بنت ضفدع نقّی ما تنقین . اعلاکِ فی الماء و اسفلکِ فی الطّین لاالشّاربَ تمنعین ولاالماءَ تکدرین» وایضا قوله :

«والمُبْذِیات ذرعاً . والحاصدات حَصْداً . و الذّاریات قمحاً . و الطّاحنات طَحْناً . و الخابزات خُبزاً . و الثّاردات ثَرْداً . و اللّاقمات لقما . اهالةً و سَمْناً لقد فُضّلتم علی‌اهل‌الوبَر وماسبقکم اهل‌المدر،ریفَکُم فامنعوه والمعترَّ فآووه والباغیَ فناوِؤه » .

١- قال الشاعر فی :

« یا سعاد الفؤاد بنت اثال طال لیلی بفتنة الرجال
انها یاسعاد من‌حدث الدهـ ـر علیکم کفتنة الدجال »

وَ اتَتْه امرأة فقالت : انّ نخلنا لَسَحيق و انّ آبارنا لَجرُز فادع الله لمائنا و نخلنا كمادعا محمّد لأهل هزَمان .

فسأل مسيلمة ، نهاراً عن ذلك فذكر انّ النّبىّ دعالهم و اخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه و مجه فى الآبار ففاضت ماءً و انجبت كلُّ نخلة و اطلعت فسيلا قصيراً مكمّما .

ففعل مسيلمة ذلك فغارماء الآبار ! و يبس النّخل ! و انّما ظهر ذلك بعد مهلكه [1] .

ولمّا بلغ مسيلمة دنوّ خالد منه ضرب عسكره بعقرباء وخرج اليه النّاس . فقال شرحبيل بن مسيلمة : يا بنى حنيفة قاتِلوا فأنّ اليوم يوم الغيرة ، فقاتِلوا عن احسابكم و امنعوا نسائكم .

فاقتتلوا بعقرباء وكان اوّل من لقى المسلمين نهار الرّجّال بن عُنْفُوة فقتله زيد بن الخطّاب واشتدّ القتال ولم يَلْقَ المسلمون حرباً مثلها قطّ .

و انهزم المسلمون وزال خالد عن الفُسطاط ودخل بنو حنيفة فُسْطاطه وقطعوا الفسطاط . ثمّ انّ المسلمين تداعوا فقال زيد بن الخطّاب :

«والله لااتكلّم اليوم حتّى نهزمهم او اُقتل فأكلّمه بحجّتى ، غُضّوا ابصاركم و عَضُّوا على اضراسكم ايّها النّاس ! واضربوا فى عدوّكم وامضُوا قُدُماً . قتال المسلمين ومسيلمة وشدته

وقال ابوحذيفة : يا اهلَ القرآن زيّنوا القرآن بالفِعال . وحمل خالد فى النّاس حتّىٰ ردّوهم الى ابعد ممّا كانوا . فمارؤى يوم كان اعظم نكايةً من ذلك اليوم و ثبت مسيلمة .

١ـ توجه الناظر الى حال هؤلاء الكذبة و احكامهم و كلماتهم و افعالهم، يرشده الى كون الفرقان بين الحق و الباطل و الرشد و الغى و الهداية و الضلالة و التقليد و الاصالة بيناً جلياً لمن اراد الحق و طلب الرشد و التمس الهداية وميز بين المحاكاة و التقليد و بين الابداع و التأسيس ، فيعلم ان لكل حقيقة نور و لكل باطل جولة .

ودعا **خالد**، مسيلمةَ فأجابه فعرض عليه اشياء ممّايشتهى **مسيلمة**، فكان اذاهمّ بجوابه اعرض بوجهه ليستشير شيطانه فينهاه ان يَقبْل، فأعرض بوجهه مرّةً و ركبه **خالد** وارهقه فأدبر ،وزال اصحابه فركبوهم المسلمون ، فأنهزموا ودخلوا الحديقة واغلقوا عليهم بابها .

۲٥۸ - قصّة بَراء بن مالك

كان **البراء** بن **مالك**،وهو اخو **اسد**بن **مالك**، (كما فى الكامل ، وفى الطّبرى : **انس** بن **مالك**) اذاحضرالحرب اخذته رعدة حتّى يقعد عليه الرّجال ثمّ يبول فأذابال ، ثاركما يثور الأسد . فأصابه ذلك فلمّا بال ، وثب وقال :

الىّ ايّها الناس انا **البراء** بن **مالك**، الىّ ، الىّ . وقاتل قتالا شديداً فلمّا دخلت بنوحنيفة ، الحديقة قال **البراء** : حالة غريبة وشهامة عجيبة

يا معشر المسلمين القُونى عليهم فى الحديقة .

فقالوا : لانفعل .

فقال : والله لتطرحنّنى عليهم بها .

فاحتُمِل حتّى أشرف على الجدار فاقتحمها عليهم ! وقاتل على الباب ! وفتحه للمسلمين ! و دخلوها عليهم ، فاقتتلوا اشدّ قتال ، وكثر القتلىٰ فى الفريقين ، لاسيّما فى بنى حنيفة ، فلم يزالوا كذلك حتى قُتل **مسيلمة** [1] . و اشترك فى قتله **وحشى** مولى **جبير** بن **مُطعِم** و رجل من الأنصار فصرخ رجل: قتله العبد الأسود . فولّت بنوحنيفه عند قتله منهزمة ، واخذهم السّيف من كلّ جانب .

قُتل من بنى حنيفة فى هذه الواقعة سبعة آلاف بعقرباء و مثلُها بالحديقة و نحوٌ

۱- فى كتاب البدء والتاريخ :«... و قتلوا **مسيلمة** وكان رويجلا ، اصيفر ، اخينس . شرك فى قتله **وحشى** و **عبدالله**بن **زيد** فمر به رجل وقال : اشهدانك نبى ولكنكشقى».

منها فى الطّلب ، وقد قُتل من المهاجرين و الأنصار من اهل قصبة المدينة يومئذ ثلاثمأة وستّون ، و من المهاجرين من غير المدينة ثلاثمأة رجل .

هكذا انتهت قضايا المتنبّئة فى عهد ابى بكر و لم تقم لأحد قائمة التّنبُّوء بعد هؤلاء بل لم تحدث هذه الأحدوثة الأكذوبة بعد ذلك حتّى اوائل عهد الخلفاء العبّاسيّة ولا سيّما من زمن المأمون .

٢٥٩ـ الثّانى ـ المتّسمون بعنوان اهل الرّدّة

قد علمت انّ ابابكر واجه فى اوّل خلافته فريقين على الخلاف احدهما المتنبّؤن وقد مرّ الكلام فيهم و ثانيهما اهل الرّدة فليعطف الكلام اليهم :

ذكر المؤرّخون تحت عنوان «اخبار الرّدّة» رِدّة طوائف ارتدّت، على ماذكروا ، بعد رسول الله (ص) من بنى عامر ، و هوازن ، وسليم ، و بنى تميم ، و بنى حنيفة ، و اهل البحرين ، واهل عُمان ، و مهرة ، واليمن ، و حضرموْت ، وكندة و غيرها لانطيل بذكرها ، و لكنّه هناك واقعة حدثت قبلها و بعدها ، اختلافات و اعتراضات واعتذارات ينبغى ان تذكر .

وردت هذه الواقعة فى كتب التاريخ المعتبرة ، مفصّلة اومجملة ، ونحن ننقلها هنا من تاريخ الطّبرى ومن «الكامل» لابن الأثير وهى واقعة بنى يربوع وقتل سيّدها ورئيسها ، مالك بن نويرة وهو الّذى سار فى حقّه هذا المثل المشهور «فتىً ولا مالك و مرعىً ولا كالسُّعدان» .

و خلاصة تلك الواقعة على ما فى الكتابين :

انّه لمّا فرغ خالد من امر فزارة ، و غطفان ، واسد ، و طىّ ، سار يريد البُطاح (كغراب ـ منزل لبنى يربوع ـ) و بها مالك بن نويرة فتخلّفت الأنصار عن خالد و قالوا :

تخلف الانصار عن خالد

ماهذا بعهد الخليفة الينا ، انّ الخليفة عهد الينا اِن نحن فرغنا من بُزاخة ان نقيم حتّى يكتب الينا .

فقال **خالد** : قد عهد الیّ ان امضیَ و انا الامیر ولو ابتلینا بأمرٍ لیس فیه عهد لم ندَعْ ان نریٰ افضل مایحضُرُنا ، وهذا **مالک بن نویرة** بحیالنا فأنی قاصدٌ الیه ومن معی من المهاجرین .

مضیٰ **خالد** و ندمت الأنصار فلحقوه . ثمّ سار حتیٰ قدِم البُطاح فلم یجد بها احداً . وکان **مالک** بن **نویرة** قد فرّقهم و نهیٰهم عن الأجتماع وقال: «یا بنی یربوع انّا دُعینا الی هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح فتفرّقوا و ادخلوا فی هذا الأمر» فتفرّقوا علی ذلک .

ولمّا قدِم **الخالد** ، البُطاح بثّ السّرایا وامرهم بقتل من امتنع الی داعیة الأسلام وکان قد اوصاهم **ابوبکر** : ان یؤذّنوا اذا نزلوا منزلاً فأن اذّنَ القومُ فکفّوا عنهم وان لم یؤذّنوا فاقتلوا وانهبوا ، وان اجابوکم الیٰ داعیة الأسلام فسائلوهم عن الزّکوة فأن اقرّوا فاقبلوا منهم و ان ابَوا فقاتلوهم .

شهادة ابی قتادة بان مالک وقومه اذنوا و اقاموا وصلوا

فجائت الخیل **بمالک** بن **نویرة** فی نفرٍ معه من بنی ثعلبة بنی یربوع الی **خالد** فاختلفت السّریّة فکان **ابوقتادة الأنصاری** ، الصّحابیّ البدریّ ، فیهم وکان ممّن شهد انّهم قد اذّنوا و اقاموا وصلّوا .

فامر **خالد** بحبس **مالک** ومن معه ، وکانت اللّیلة باردة لاتقوم لها شیء . فنادیٰ منادٍ بأمر **خالد** : انْ دافئوا اُسراکم ، وهی فی لغة کنانة ، القتل .

فظنّ القوم انّه اراد القتل ، ولم یرد الّا الدفء[1] فقتلوهم . قتل **ضرار بن الأزور الأسدی** مالکاً .

١- قال **الطبری** : وکان الذی قتل **مالک** بن **نویرة عبد** بن **الازور** الاسدی وقال **ابن الکلبی**: الذی قتل **مالکا** هو **ضرار** بن **الازور الاسدی**.

ذکر **ابن الاثیر** فی من «قتل بالیمامة شهیدا من الصحابة» **ضرار الاسدی** فقال : «... و **ضرار** بن **الازور** وهو الذی قتل **مالک** بن **نویرة** بامر **خالد**» والظاهر من هذه العبارة ، کما هو المصرح به فی مواضع اخری : ان **خالداً** امر بقتل **مالک**. والعجب من هذا العلامة ، کبعض آخر ، کیف علم سر **خالد** فی قوله المختلق له «دافئوا اسراکم» ←

وسمع خالد الواعيةَ فقال : اذا اراد الله امراً اصابه .

فقال ابوقتادة [١] هذا عملك ! فزبره خالد . فغضب و مضىٰ حتىٰ اتى ابابكر فغضب ابوبكر حتى كلّمه عمر فيه فلم يرض الّا ان يرجع اليه ، فرجع اليه حتىٰ قدم معه المدينة .

وتزوّج خالد ، امّ تميم امرأة مالك (نقل فريدوجدى فى كتابه «دائرة المعارف» ـ ذيل كلمة مالك ـ : «انّ خالداً كان يهوىٰ امراة مالك فى الجاهليّة »)

فقال عمر : لابى بكر : انّ سيف خالد فيه رَهَق . واكثر عليه فى ذلك .

فقال : هيهْ يا عمر ! تأوّلَ فاَخطأَ ، فارفعْ لسانك عن خالد فأنّى لا اشيمُ سيفاً سلّه الله على الكافرين » وودى مالكا . وكتب الى خالد ان يقدِم عليه ففعل و دخل المسجد وعليه قباء له ، عليه صدَء الحديد وقد غرز فى عمامته اسهما .

فقام اليه عمر فنزعها و حطمها وقال له :

« اَرِئاءً ! ؟ قتلتَ امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرئته . و الله لاَرْجمنّك باحجارك» وخالد لايكلّمه ، يظنّ انّ راى ابى بكر مثله ، ودخل على ابى بكر فاخبره الخبر ، و اعتذر اليه . فعذره وتجاوز عنه و عنّفه فى التّزويج ، الّذى كانت عليه العرب من كراهته ايّام الحرب .

حلف عمر برجم خالد

← حتى حكم باتاً بانه «لم يرد الاالدفء» ، ولم يعرف مراده اتباعه بل ولم يشكوا فيه فلم يرجعوا اليه واقدموا بقتل من قتلوه من المسلمين المصلين ؟ اللهم الا ان يقال : كان هناك قرينة و هى ارادة نزوه على امرأة مالك لدفئها فى تلك الليلة الباردة ! و احتياجهم الى اخذ رؤس المقتولين اثفية ! ! ففى الطبرى (الجزء الثانى ـ الصفحة ال ٥٠٣) مسنداً عن سويد : «كان مالك بن نويرة من اكثر الناس شعراً و انّ اهل العسكر اثفوا برؤسهم القدور ! فما منهم الا وصلت النار الى بشرته ماخلا مالكاً فان القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره ! ! ...» وكانهم اخذوا بالاحوط فعملوا بمفاد معنيى الدفء كليهما ـ فقتلوا ثم ادفئوا بالاثفية ! .

٢ـ «يقال لابى قتادة : فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم . و روينا عن النبى صلى الله عليه و سلم انه قال : «خير فرساننا ابوقتادة» (الاستيعاب) .

فخرج **خالد**، و**عمر** جالس فقال: هلمّ يا ابن ام سلمة[1]. فعرف **عمر** انّ **ابى‌بكر** قد رضى عنه فلم يكلّمه.

۲۶۰- كلام ابى‌قتادة فى واقعة قتل مالك

قال **الطّبرى** فى «التّاريخ» (الجزء الثّانى - الصفحة ال ۵۰۳ -) بأسناده:

«وكان ممّن شهد **لمالك** بالأسلام ابوقتادة، **الحارث بن ربعى**، اخو بنى‌سلمة وقدكان عاهدالله ان لايشهد مع **خالد** بن **الوليد** حرباً ابداً بعدها، وكان يحدّث: انّهم لمّا غشوا القوم راعوهم تحت اللّيل فأخذ القوم، السّلاح.

قال: فقلنا:

«انّا المسلمون:

«فقالوا:

«و نحن المسلمون.

«قلنا: فما بالُ السّلاح معكم ؟.

«قالوا لنا:

«فما بال السّلاح معكم ؟.

«قلنا: «فان كنتم كما تقولون فضعوا السّلاح».

قال: «فوضعوها.

«ثمّ صلّينا و صلّوا.

«وكان **خالد** يعتذر فى قتله انّه قال: ماأخال صاحبكم[2] الّا قال: كذا وكذا، اعتذار خالد فى قتل مالك

۱- هكذا فى «الكامل». و فى الطبرى (يا ابن ام‌شملة)

۲- كان **خالد** نسى ان مالك حين تجاوله معه بالكلام صرح بقوله: «انا على-الاسلام» وكيف كان فليس مراد مالك من لفظ «الصاحب» فى تلك المجاولة الا ابابكر وذلك ظاهر لاريب فيه. او ليس فى تلك المجاولة، قول **مالك** لخالد: «او بذلك ←

فقال له : اوَ ماتعدّه لكَ صاحباً ؟ ثمّ قدّمه فضرب عنقه و اعناق اصحابه .

« و قدِم متمّم بن نويرة على ابى بكر يطلب بدم اخيه و يسأله ان يردّ عليهم سبيهم فامر ابوبكر بردّ السّبى [1] و ودى مالكا من بيت المال . »

وفى «الوفيات» لابن خلّكان نقلاً عن وثيمة فى كتابه (وفى غيره عن غيره ايضا)

« . . . فقال له خالد : امَا علمتَ انّ الصّلوة و الزّكوة معالاً تقبل واحدة دون اخرى ؟

فقال مالك : قد كان صاحبك يقول ذلك . قال خالد : اوَ ماتراه لك صاحباً؟ ثمّ تجاوَلا بالكلام طويلاً .

«فقال له خالد : انّى قاتلك .

«قال : اوَ بذلك امَرك صاحبك ؟

«قال : وهذه بعد تلك والله لاقتلنّك . . . »

وفيه ايضا (فى ترجمة ابى يزيد وثيمة بن موسى الوشّاء) :

← امرك صاحبك ؟» صريحا فى ان مراده «من صاحبك» ابو بكر .

و ان كنت فى ذكر مما جرى بين ابى بكر و عمر فى اول خلافته و عزمه على قتال مانعى الزكوة ، بعنوان الردة ، حين ناظره عمر بقوله :

«كيف تقاتل الناس وقد قال رسول‌الله (ص) « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا : لااله الاالله فمن قال : لااله الاالله عصم منى ماله و دمه»؟»

فقال ابوبكر : «والله لا قاتلن من فرق بين الصلوة و الزكوة...» تتعجب من ابن ابى الحديد و بعضهم حيث زعموا و توهموا ، بل اوهموا ، ان المراد من لفظة «صاحبك» هوالنبى وجعلوا ذلك عذراً لخالد فى قتله مالكاً و تغافلوا عن قول خالد له اولا «اماعلمت ان الصلوة و الزكوة معا..» وعن قول مالك اخيراً «او بذلك امرك صاحبك»

۱- قال ابن ابى الحديد فى شرحه (المجلد الاول - الصفحة ال۲۷۲-) «... واما استرقاق ابى بكر بن ابى قحافة لاهل الردة و سبى ذراريهم فان صح ، كان مخالفاً لما يقول الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين الا ان يقولوا : انه لم يسب المرتدين و انما سبى من ساعدهم و اعانهم فى الحرب من المشركين الاصليين . وفى هذا الموضع نظر »

«... و صنّف كتاباً فى اخبار الرِّدّة . . . وهو كتاب جيّد . . . و قد تقدّم فى ترجمة ابى‌عبدالله **محمد الواقدى** انّه صنّف فى الرِّدّة كتاباً ايضا ، اجاد فيه . . .

«ومات (يعنى وثيمة) يوم الأثنين لعشر خلون من جُمادىَ الأولى سنة سبع وثلاثين و مأتين (٢٣٧ ه . ق) .

ثمّ سرد ابن‌خلّكان واقعة قتل **مالك** بأمر **خالد** من كتاب **وثيمة** و كتاب **الواقدى** ونقل فى ماسرد من تجاوُل **خالد** و **مالك** بالكلام و قول **خالد** له : «والله لاقتلنّك» انّه «وكان **عبدالله** بن عمر و **ابوقتادة الأنصارى** حاضرين فكلّما **خالداً** فى امره فكره كلامهما» .

«فقال **مالك** يا **خالد** ابعثنا الى **ابى‌بكر** فيكون هو الّذى يحكم فينا فقد بعثتَ اليه غيرنا ممّن جرمه اكبر من جرمنا .

«فقال **خالد** : لااقالنى‌الله ان لم اقتلك . وتقدّم الى **ضرار بن الأزور الاسدى** بضرب عنقه .

«فالتفت **مالك** الى زوجته ، امّ متمم وقال لخالد : هذه الّتى قتلتنى ، وكانت فى غاية الجمال .

جعل رأس مالك اثفية

«فقال له **خالد** : بل‌الله قتلك برجوعك عن الأسلام .

«فقال مالك : انا على الأسلام .

« فقال **خالد** يا **ضرار** اضرب عنقه . فضرب عنقه و جعل رأسه اُثفيةً لقِدْرٍ وكان من اكثر الناس شعرا . . . »

قال العلّامة المعاصر السيّد **شرف‌الدين العاملى** (ره) فى كتابه‌القيّم «الفصول‌المهمّة» (الصفحة ال ٥٠) .

« . . . وهذا ابوسليمان ، **خالد بن الوليد المخزومى** ، قتل **مالك** بن **نويرة** ... **التّميمى** ونكح زوجته امّ تميم بنت **المنهال** و كانت من اجمل النّساء : ثمّ رجع الى‌المدينة و قد غرز فى عمامته اسهُماً فقام‌اليه **عمر** فنزعها و حطمها و قال له (كما فى **تاريخ‌ابن‌الأثيروغيره**) : قتلت امرءً مسلما ونزوت على امرئته والله‌لأرجمنّك باحجارك.

«ثمّ قال لابی‌بکر انّ خالداً قد زنیٰ فارْجَمْه .
«قال : ماکنتُ لارجمه فانّه تأوّل فاخطأ .
«قال : قتل مسلماً فاقتله به .
«قال : ماکنت .
«فلمّا اكثر عليه[1] «قال : ماكنتُ لأَشِيْمَ سيفاً سلّه‌الله ، تعالى ، وودىٰ مالكاً من بيت‌المال و فكّ الأسرىٰ والسّبايا من آله .
« و هذه الواقعة من المسلّمات . . . و قد ذكرها محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه و ابن الأثير فى كامله و وثيمة بن موسى بن الفرات و الواقدى فى كتابيهما و سيف بن عمر فى كتاب‌الرّدّة والفتوح والزّبير بن بكّار فى‌الموفّقيات و ثابت‌بن‌فى-الدلائل و ابن‌حجر العسقلانى فى ترجمة مالك من اصابته، و ابن‌الشحنة فى روضة-المناظر و ابوالفداء فى المختصر و خلق كثير من المتقدّمين والمتأخّرين » .

۲٦۱ـ اشارة الى بعض المطاعن فى قضيّة خالد

وفى هذه الواقعة موارد فتحت بها باب‌الرّد والطّعن :
منها قتل خالد بن الوليد، مالك بن نويرة الّذى فرّق قومه ونصحهم بالدّخول فى «هذا الامر» [2] و وضع هو ، و قومُه ، السّلاحَ و قالوا : «نحن مسلمون» و اذّنوا و صلّوا مع القوم بصلوتهم .
و منها «نزو» خالد على امّ تميم امرأة المسلم المقتول ، ليلته !
و منها قول ابى‌بكر لعمر (رض) : «هَيْه يا عمر ، تأوّل فأخطأ» .
فيقال : فيمَ تأوّل خالد ؟ افى قتل المسلم المصلّى ، مالك ؟ ام فى « نزوه » على زوجته عقيب قتله ؟ و ما وجه التّأويل فيهما ؟

۱ـ يعنى قال‌له كثيراً (كما فى‌المنقول عن وثيمة و الواقدى) والح عليه:«فاعزله» فقال ابو بكر : «ماكنت لاشيم. . .»
۲ـ وعدم مطاوعته لسجاح فى طلبها الموادعة عنه كما دريت من ذى‌قبل .

و منها قول الخليفة لعمر ايضا «فأنّى لا اشيم سيفا سلّه الله على الكافرين» فيقال : لو كان مالك من الكافرين ، بزعمه ، فلم وديه ؟ و ان كان من المسلمين فماذا اراد- الخليفة (رض) بقوله «سلّه الله على الكافرين» ؟ ثمّ ان كان مراده «من الكافرين» غير مالك المسلم و اصحابه المسلمين فما ذا الّذى اباح لخالد ان يقتل هؤلاء المصلّين غرورا، ويجعل دمَهم مهدوراً، ورؤسهم اثافىّ للقدور، ونساؤهم سبايا مهتوكة السّتور؟

و منها قول **عمر** (رض) لخالد[1] : « قتلتَ مسلماً ثمّ نزوتَ على امرأته ! والله لأرجمنّك باحجارك» فيقال : لماذا لم يرجمه **عمر** بأحجاره حين قدر عليه فى خلافته او لِمَ لم يقتله بقتله المسلم ؟!!

نعم عزل **عمر** ، **خالداً** عن الأمارة سنة سبع عشر من الهجرة اى بعد سنوات مضت من خلافته ، صاغراً ذليلاً فقد امر **اباعبيدة** « بان يقيم **خالدا** و يعقله بعمامته و ينزع قلنسوته ...» و ذلك فى ملأمن الناس وصادرَ امواله و لكنّه كأنّه نسى حلفه- المؤكّد على رجمه ! »

٢٦٢- سبب عزل عمر، خالداً عن الامارة

قال **ابن الأثير** فى « الكامل» (الجزء الثانى - الصفحة ال٣٧٥ -) ما ملخّصه بعين عبارته :

« و سبب ذلك (يعنى عزلَ خالد) انه كان أدْرَبَ[2] و **عياض بن تميم** فأصابا اموالاً عظيمة و بلغ النّاس ما اصاب **خالد** فانتجعه رجال من اهل الآفاق فكان **الأشعث** بن قيس ممّن انتجع خالد بقنّسرين فأجازة بعشرة آلاف .

تدلك خالد فى الحمام بغسل فيه خمر ونهى عمر عنه وتعييره اياه

«ودخل **خالد** ، الحمّام فتدلّك بغسل فيه خمر فكتب اليه عمر :

١- و قوله لابى بكر (رض) : « ان خالداً قد زنى فارجمه » كما نقل آنفاً عن **وثيمة** بن **موسى**.

٢- «ادرب القوم : اذا دخلوا ارض العدو من بلاد الروم»

(صحاح اللغة)

«بلغني انك تدلكت بخمر و ان الله قد حرّم ظاهر الخمر و باطنه و قد حرّم مَسَّها فلا تمسّوها اجسادَكم و ان فعلتم فلاتعودُوا .

«فكتب اليه **خالد** : انّا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر [1] !!

«فكتب اليه **عمر** : انّ آل **المغيرة** ابتلوا بالجفاء ، فلا اماتكم الله عليه .

«فلمّا فرّق **خالد** فى منتجعيه، الأموالَ سمع بذلك **عمر** بن **الخطّاب** ، فدعا البريد و كتب معه الى **ابى عبيدة** ان يقيم **خالداً** و يعقله بعمامته ، و ينزع عنه قلنسوته ، حتّى يُعْلِمَكم من اين اجاز **الأشعث** : امِن ماله ام من مال اصابةٍ اصابها ؟ فان زعم انّه فرّقه من اصابةٍ اصابها فقد اقرّ بخيانةٍ ، وان زعم انّه من ماله فقد اسرف . واعزِله على كلّ حال و اضمُم اليك عمله .

« فكتب **ابوعبيدة** الى **خالد** فقدِم عليه، ثمّ جمع النّاس و جلس لهم على المنبر، فسأل البريد **خالداً** من اين اجاز **الأشعث** ؟ فلم يجبه ، و **ابوعبيدة** ساكت .

نزع بلال الحبشى عمامة خالد ووضع قلنسوته وعقله بعمامته قبال الناس بامر عمر

«فقام **بلال** ونزع عمامة **خالد** ووضع قلنسوته ، ثمّ اقامه فعقله بعمامته، وقال: من اين اجزت **الأشعث** ؟ فقال: من مالى . **فأطلقه** .

«وكتب **عمر** الى **خالد** ، بأقباله اليه . فلمّا قدِم على **عمر** قال له **عمر** : من اين هذا الثّراء ؟ قال : من الأنفال و السُّهمان ، ما زاد على ستّين الفاً فلَكَ .

«فقوّم **عمر** ماله فزاد عشرين الْفاً فجعلها فى بيت المال :

«ثمّ قال : يا **خالد** والله انّك علىّ لكريم و انّك الىّ لحبيب !

«وكتب الى الأمْصار :

«انّى لم اعزل **خالداً** عن سخطة ولاخيانة و لكنّ النّاس فخّموه وفُتِنُوْا به ، فاحببت ان يعلموا ان الله هوالصّانع . و عوّضه عمّا اخذ عنه»

وقال **الطّبرى** فى تاريخه : «لمّا قدِم **خالد** على **عمر** قال **عمر** متمثّلاً :

صَنَعْتَ فلم يَصْنَع كَصُنْعِكَ صانعٌ
وما يَصْنع الأقوامُ ، فَاللهُ يَصنعُ !»

١- لعله اجتهاد و تأويل !!

٢٦٣- كلام يورث العجب ، من الطّبرى وابن الاثير

هكذا كان عاقبة امر **خالد** و سبب عزله ، و كيفيّته مصادرة امواله ، ثمّ التّعويض عمّا اخذ عنه ! و لعلّه لايكاد يُجمع بين عبارة «قتلتَ مسلماً ثمّ نزوت على امرأته ! والله لأرجمنّك بأحجارك» و عبارة «انّ خالداً قد زنى فارجمه» و بين عبارة «والله انّكَ علىّ لكريم ، و انّكَ الىّ لحبيب» اللّهمّ الّا بالأجتهاد و التّأويل ! و ان كان خطأ .

و كيف كان ان تَعْجب فعجبٌ قول العلّامتين: **الطّبرى** و **ابن الأثير**، وغيرهما، فى قضيّة **خالد** و **مالك** : «وعنّفه فى التّزويج الّذى كانت تعيب عليه العرب» لأنّهم نقلوا هذه الواقعة و عرفوا انّ طعن ابى بكر على **خالد**، وتعنيفه ايّاه، وحلف **عمر** على رجمه باحجاره، كان لنَزْوه على امرأة المسلم المصلّى المقتول بغير حقّ و كان كما صرّح به **عمر** لابى بكر ، و رايته منقولا عن **ابن الأثير** ، وغيره ، : «انّ خالداً قد زنى فارجمه» لهذا العمل لاعلى ما كانت تعيب عليه العرب و تكرهه و تعايره فى الحرب ! .

٢٦٤- مالك وميله

ولعلّه لأمثال هذه الأمور اعتقد بعضهم بأنّ **مالكاً** (و بعضاً آخر ممّن عُدّ من اهل الرِّدّة) كانت هويٰهم و ميلانهم الى **علىّ** ولم يكن لهم رضىً بخلافة غيره ولذا آل امرهم الى ما آل .

قال **الطّبرى** (فى قضيّة **طليحة** - الجزء الثّانى - الصّفحة ال ٤٨٣-) :

«وقدم عليهم (يعنى على طىّ) **عدىّ** ، فدعاهم . فقالوا :

«لانبايع **اباالفضيل** [١] ابداً . . . »

١- كنية ابى بكر ايضا.

وقال ايضا (فى تلك الواقعة ـ الصّفحة ال٤٨٥ـ) :

«فتقول اسد و فزارة :

«لاوالله لانبايع اباالفضيل ابداً . . . »

و فى قضيّة **مالك** بن **نويرة** نفسها ايضا ما يرشد الى ذلك فانظر الى قوله : «يابنىيربوع انّا دُعينا الى **هذاالأمر** فابطأنا منه فلم نفلح. فتفرّقوا وادخلوا فى **هذاالأمر**» ثمّ انظر الى اعتذار **خالد** فى قتل **مالك** لقوله : « ما اخال صاحبكم الّا قال . . . » واعتراض **خالد** عليه بقوله : « اوَ ماتعدّه لك صاحبا » فامَرْه ِ بقتله! .

وقال **عبدالله اللّيثى** (على ماأسند **الطّبرى** عنه ـ الصّفحة ال ٤٧٧) :

اَطَعْنا رَسُولَ اللهِ ماكانَ بَيْنَنا

فَيا لَعِبادُ اللهِ ما لِأَبى بَكْرٍ ؟

٢٦٥ ـ تذييل ـ من هم اهل الرّدّة من الأصحاب ؟

وردت فى صحيح البخارى (الجزء الثّامن ـ بابٌ فى الحوض ـ) عدّة احاديث (مفادها الرّدّة و الأرتداد و الرّجعة) يُناسب ان يُذكرهنا، و قد اختتم الكلام عن اهل الرّدّة . و فى هذه الاحاديث ما يستوجب التدبّر و الأعتبار .

منها «وقال **احمد** بن **شبيب** بن **سعيد الحَبَطى** حدّثنا ابى عن . . . عن **سعيد**ـ بن **المسيّب** عن **ابىهريرة** انه كان بحدّث انّ رسولالله صلّىالله عليه وسلّم قال :

« يَرِدُ عَلَىَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ رَهْطٌ مِنْ اَصْحابِى فَيُحَلَّؤُنَ[1] عن ـ الحوض» .

فاقول :

«يا رَبِّ اصحابى» فيقول :

« اِنَّكَ لا عِلْمَ لَكَ بِما اَحْدَثُوا بَعْدَكَ . اِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلى

١ـ «حلاه بالسوط جلده».

على اَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرىٰ » وقال شعيب عن الزُّهرى كان ابوهريرة يحدّث عن النّبى صلّى الله عليه وسلّم : « فيُجلون » وقال عقيل : « فَيُحلَّؤن » (الصّفحة ال ١٢٠).

ومنها « حدّثنى ابراهيم بن المنذر حدّثنا . . . . عن عطاء بن يسار عن ابى هريرة عن النّبى صلّى الله عليه وسلّم، قال :

« بَيْنَما اَنَا قائمٌ اذا زُمْرَةٌ حتّى اذا عرَفْتُهُمْ خَرَجَ رجلٌ مِنْ بَيْنِى وبَيْنَهُم فقال : هَلُمَّ . فقلتُ : اَيْنَ ؟ قالَ : الَى النّارِ وَالله . قُلْتُ : ماشأنهم ؟ قالَ : اِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلىٰ اَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرىٰ . فلا اَراهُ يَخْلُص منهمْ اَلا مِثْلَ هَمَلِ النَّعَم »[1] (الصّفحة ال ١٢١) .

ومنها « وحدّثنى عمرو بن علىّ حدّثنا محمّد بن جعفر حدّثنا شعبة عن المغيرة قال : سمعت اباوائل عن عبدالله، رضى الله عنه، عن النّبى صلّى الله عليه وسلّم قال :

« انا فَرَطُكم[2] على الحوض ولَيُرفعَنّ رجال منكم ثمّ لَيُختَلَجُنّ[3] دُونِى. فاقول : يا رَبِّ اَصْحابى.

فيقال : انكَ لاتَدْرِى ما اَحْدَثوا بَعْدَكَ »[4] . (الصّفحة ال ١١٩)

ومنها « حدّثنا مسلم بن ابراهيم حدّثنا . . . . . عن انس عن النّبى، صلّى الله عليه وسلّم، قال :

« لَيَرِدَنّ علىّ ناسٌ من اَصحابى الحوضَ حتّىٰ عرَفْتُهم، اُختُلِجُوا دُونِى . فاقول :

روايات نبوية عن صحيح البخارى فى اهل الردة

---

١ - « . . . والهمل بالتحريك : الابل بلاراع مثل النفش الا ان النفش لايكون الا ليلا ، والهمل يكون ليلا ونهارا . . . . » (صحاح اللغة)

٢ - الفرط : المتقدم قومه على الماء.

٣ - « اختلج الشىء انتزعه » .

٤ - « . . . تابعه عاصم عن ابى وائل . وقال حصين عن ابى وائل عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(صحيح بخارى)

« اَصْحابي :

فيقول (فيقال خ.ل) :

« لاتَدْرِيْ ما اَحْدَثُوا بَعْدَكَ » ـ الصفحة ال ١٢٠ ـ .

ومنها «حدّثنا **سعيد بن ابي مريم** حدّثنا . . . . . **ابوحازم عن سهل بن سعد** قال : قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم :

« انّي فرَطُكم علَى الْحَوْضِ مَنْ مرّ علَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمأ ابداً. لَيَرِدَنّ علَيّ اقوامٌ اَعرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي ثمّ يُحالُ بَيْني وبَيْنَهُمْ».

«قال **ابوحازم** فسمعني **النّعمان ابن ابي عيّاش** فقال: هكذا سمعت من**سهل**؟ فقلت : نَعَمْ . فقال : اشهد على **ابي سعيدالخُدري** لسمعتهُ وهو يزيد فيها :

« فاقول : اِنّهُمْ مِنّيْ . فَيُقالُ : اِنّكَ لاتَدْرِيْ ما اَحْدَثُوا بَعْدَكَ .

« فأقول : سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غَيّرَ بَعْدِيْ ». (الصفحة ال ١٢٠)

ومنها « حدّثنا **سعيد بن ابي مريم** عن **نافع بن عمر** قال : حدّثني **أبي مُليكة** عن **اسماء بنت ابي بكر** (رض) قالت : قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم :

« اِنّيْ علَى الْحَوْضِ حتّى انظر من يرد علَيَّ منكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُوْنِيْ فَاَقُوْلُ : يا رَبِّ مِنّيْ ومِنْ اُمّتِيْ؟ فيقال : هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوْا بَعْدَكَ ؟ وَاللهِ مابَرَحُوا يَرْجِعُونَ عَلى اَعْقابِهِمْ » .

« فكان **ابومليكة** يقول : اللّهمّ انا نعوذ بك ان نرجع على اعقابنا اونُفْتَنَ عن ديننا . . . . »

هذه عدّة روايات في الصّحيح البخاري لم يُصرّح بمن اريد فيها من «اصحابي»[1]

---

١ ـ روى « الفقيه المحدث الحافظ » **ابن عبدالبر المالكي** بأسناده عن طرق عن ام المؤمنين ، **ام سلمة** (ذيل ترجمة **عبدالرحمن بن عوف**) انها قالت: قال النبي «ص» « ان من اصحابي من لا اراه ولا يراني بعد ان اموت ابدا » فبلغ ذلك **عمر** فاتاها يشتد ويسرع فقال انشدك بالله، انا منهم؟ قالت : لا ولن ابريء بعدك احداً ابداً » .

ولا من «ما احدثوا بعدك . . . » وبعيد غاية البعد ان يكون المراد منهم « اهل الرِّدَّة » ، بالمعنى المصطلح ، من البلاد البعيدة والطوائف الغريبة ، اوالاشخاص المتولّدة فى الأزمنة المتتالية المتوالية ، لانّهم لوفرض صدق عنوان «اصحابى » و « بعدك» وجملة « حتّى عرفتهم » وامثالها (... اقوام اعرفهم ويعرفونى) عليهم ، لم يكونوا « احدثوا امراً » بل كلّ ما وقع ، ان وقع ، منهم ، اى من اهل الرِّدَّة ، بالمعنى المعروف ، كان امتناعهم عن اداء الزّكاة وهو امر عدمىّ لا يصدق عليه عنوان «احدثوا امراً » و « سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدى » ، الظّاهر فى الأمر الوجودىّ.

ولعلّه يشير الى ذلك مارواه **البخارى** فى آخر هذا الباب من صحيحه بأسناده «عن **عُقْبَة** ، رضى الله عنه» ان النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال على المِنبر فى ماقال:

« . . . وَاِنّىْ وَاللهِ مٰا اَخٰافُ عَلَيْكُمْ اَنْ تُشْرِكُوْا بَعْدِىْ وَلٰكِنِّىْ اَخٰافُ عَلَيْكُمْ اَنْ تُنٰافِسُوْا فِيهٰا » .

وكيف كان اذا كان « رهط من اصحاب » رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، «الذين يعرفهم ويعرفونه» و زمرة منهم «يُحال بينه وبينهم» و «يُحَلَّؤُن عن الحوض » «لانّهم » احدثوا بعده» و «غيّروا بعده» و «سُحقاً سُحقاً لمن غيَّر بعده» فامثال هذه العبارة «اصحاب رسول الله (ص) عدول ولاينتقص احداً منهم الّا زنديق ! » و « عدالة الصّحابة ثابتة معلومة... » ، ان اريد منها العموم والاستيعاب ، ماصدرت عن اصحابها الّا ناشئة من التّعصّب والتّجاهل والّا فمن لايدرى انّ فى الصّحابة من اطلق لسانه و يده بل وسيفه على غيره من الاصحاب ، ولااقل من ان انتقص منهم ؟ فكيف يحكم عليه بالزندقة . عصمنا الله من الجهل والعصبيّة .

٢٦٦ ـ ذيل التّذييل

ومن طرق الشيعة ايضا وردت عدّة احاديث تحت عنوان « الأرتداد » و «الرِّدَّة» بعد وفاة النّبىّ (ص) .

وكيف كان فليس « الأرتداد » فى تلك الموارد بمعنى واحد فانّه فى بنى حنيفة

واضرابهم، من اتباع المتنبئة، يراد به « انكار الدّين » والأعراض عنه وفى هذه الرّوايات يحتمل ان يكون المراد منه « العصيان » والعود الى عادات الجاهليّة، من ارادة العلوّ وحبّ الرئاسة والتّنافس فيها .

قال الشيخ الطّريحى فى كتابه «مجمع البحرين» :

اصناف اصحاب الردة

« ..... والرِّدّة بالكسر والتشديد، اسم من الأرتداد . واصحاب الرّدّة على مانُقل، كانوا صنفين : صنفٌ ارتدّوا عن الدّين وكانوا طائفتين :

« احدهما اصحاب مسيلمة . والأُخرىٰ ارتدّوا عن الأسلام وعادوا الى ما كانوا عليه فى الجاهليّة واتفقت الصّحابة على قتالهم وسبيهم ، واستولد علىّ منهم الحنفيّة .

«والصّنف الثّانى لم يرتدّوا عن الأيمان ولكن انكروا «فرض الزّكاة» و زعموا انّ « خُذْ مِنْ اَمْوالِهِمْ صَدَقَة . . . . »[1] خطاب خاصٌّ بزمانه [2] صلّى الله عليه ـ وآله و سلّم » .

٢٦٧ ـ ختام فى شأن علىّ والحوض

ويناسب ان نذكر فى ختام هذا الذّيل ما ورد فى «الأستيعاب » وفى «الأصابة» فى شأن علىّ والحوض وهذه عين العبارة .

« وروى عن سلمان انه قال :

« اوّل هذه الأمّة وروداً على نبيّها ، عليه الصّلوة والسّلام ، الحوضَ اوّلها اسلاماً علىّ بن ابى طالب ، رضى الله عنه ، وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان عن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال :

---

١ ـ (الاية ال ١٠٣ من السورة التاسعه ـ التوبة ـ) .

٢ ـ ولقائل ان يقول: اذا كان «التأويل» ولو كان «خطأ» معتبراً كما اعتبره الخليفة ابو بكر فى قضية قتل خالد، مالك بن نويرة ونزوه على امراته ، وقال : «تأول فاخطأ» ورفع بذلك الاعتبار، الحد والرجم ، اللازم على خالد ، بزعم عمر (رض) ، عنه ، فليكن من امتنع عن الزكاة بهذا التأويل المستدل، ايضا مدفوع القتل محقون الدم .

اول الامة وروده على النبى (ص) آ الحوض هو على ابن ابى طالب ، اولهم اسلاماً ،

« اَوَّلُ هذهِ الأُمَّةِ وُرُوْداً عَلَىَّ الْحَوْضَ ، اَوَّلُهَا اِسلاماً ، عَلِيُّ بْنُ - اَبى طالب » .

ايضا :

« حَدَّثنا احمد بن قاسم عن . . . . عن عليم الكندى عن سلمان الفارسى قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

« اَوَّلُكُمْ وُرُوْداً عَلَىَّ الْحَوْضَ اَوَّلُكُمْ اِسلاماً عليُّ بْنُ اَبى طالب » .

ولعلّه كان بمكان من المناسبة ان نعودهنا الى ما اوردناه في ذيل « نشأة الشّيعة وتسميتها » ممّا اخرجه « ابو المؤيّد اخطب الخطباء موفّق بن احمد الخوارزمى المكّى » ونعيدها فى هذا الختام لتكون ممّا بُشّرت بها شيعة علىّ ، ومحبّيه :

« قال النّبىّ (ص) لعلىّ (يوم فتح خيبر) فى ما قال :

« . . . وَاِنَّ اللهَ اَمَرَنِي اَنْ اُبَشِّرَكَ : اِنَّكَ وَعِتْرَتَكَ وَمُحِبِّيكَ فِى الْجَنَّةِ وَعَدُوَّكَ فِى النّارِ .

« لا يَرِدُ عَلَىَّ الْحَوْضَ مُبْغِضُكَ وَلا يَغِيبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ ... »

هنيئاً لمن اطاع الرّسول فأحبّ الولىّ فورد الحوض عليهما و معهما .

اللّهُمّ ثبّتنا على ما اوليتنا من حبّك وحبّ نبيّك وحبّ العترة ووفّقنا للعمل بما اوجبت علينا فى المنهاج والشّرعة.

« اَمَا وَاللهِ اَنْ كَانَ صَاحِبُكَ هٰذا
اَوْلَى النَّاسِ بالأَمْرِ بَعْدَ وفاة رسول الله (ص)
(منسوب الى عمر (رض) فى حق علىّ ، ع ،)

« ... اَمَا، واللهِ ، لَئِنِ وُلِّيتَهُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ
عَلَى الْحَقِّ الواضح وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضاء »
(من كلام عمر لعلىّ)

١٧ ـ حول مدّة خلافة عمر (رض):

١ ـ خلافة عمر.
٢ ـ مقام علىّ فى خلافة عمر.
٣ ـ استخلاف عمر عليًا فى المدينة .
٤ ـ كلمات عمر (رض) فى حق علىّ ،ع، .
٥ ـ كون علىّ اولىٰ بالأمر.
٦ ـ وفاة عمر.
٧ ـ طرح عمر طريقا ثالثا لتعيين الخليفة .
٨ ـ الوقائع المهمّة فى خلافة عمر.

٢٦٨ - خلافة عمر

استخلف **ابوبكر** للأمّة ، **عمر** ، وعيّنه خليفة للرّسول ! على مادريت .

كان **عمر** رجلا مَهيْباً [١] فظّاً غليظا قبل قبوله الأسلام وكذلك بعداسلامه فى زمن النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم [٢] وفى زمان الخليفة **ابى بكر** . وكان قوياً فى الأرادة

---

١ - قال **ابن ابى الحديد** :

« وكان **عمر بن الخطاب** صعباً،عظيم الهيبة،شديدالسياسة،لايحابى احداً ، ولا يراقب شريفاً ولا مشروفاً وكان اكابرالصحابة يتحامون ويتفادون من لقائه » .

وقال الطبرى (الجزء الثالث من التاريخ - الصفحة ال ٢٨٠ -) باسناده عن **راشد بن سعد**: « ان **عمر** بن **الخطاب** (رض) اتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه . فاقبل **سعد** بن **ابى وقاص** يزاحم الناس حتى خلص اليه . فعلاه **عمر** بالدرة و قال انك اقبلت لاتهاب سلطان الله فى الارض . فاحببت ان اعلمك ان سلطان الله لن يهابك .

نقل ابى الحديد قضية تكلم **زياد بن سمية** ، وكان حينئذ غلاماً ، عند **عمر** فى حضور كثير من الصحابة وكلام **على** لابى سفيان :

« لله هذا الغلام ، لوكان قرشيا لساق الغلام بعصاه » **وقول ابى سفيان** بعد ماقال: هوالذى وضع **زياداً** فى رحم **سمية** وانما لم يستلحقه لخوفه من **عمر** : « اخاف هذا العير! الجالس ان يخرق على، اهابى ! » .

وقال بعد ذلك : وقيل لابن عباس ،لما اظهر قوله فى « العول » بعد موت **عمر** ، ولم يكن قبل يظهره : « هلا قلت هذا و **عمر** حى؟ » قال: « هبته وكان امرأ مهيبا» .

٢ - فى تفسير **الطبرى** (الجزءالثانى - سورة التكاثر - ذيل : لتسئلن عن النعيم -) بأسناده « عن **ابى عسيب** مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : .

« مرالنبى(ص) حتى دخل حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط : اطعمنا بسراً فجائه بعذق فوضعه ، فاكل رسول الله و اصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال : لتسئلن عن

←

وفى الأدارة فكان مريداً مديراً مدبّراً مدرّباً وكان غير مبال بمال الدنيا وزخرفها، منصرفاً عن المشتهيات وزبرجها، ولكنّه مع تصريحه، كرّةً بعد مرّة، بكون خلافة ابى بكر «فلتة» وقى الله المسلمين شرّها، وبكون انتخاب الخليفة من حقوق الأمّة وليس لأحد ان يغتصب امر الناس [1]، تلقّى الخلافة من ابى بكر باسرع قبول ولم يعتدّ بانّ ابى بكر كان فى حال «غلب عليه الوجع» بل كان فى حال الأغماء ولم يقل: ان الرّجل قد غلب عليه ما غلب بل ولم يقل انّ ما كتبه الكاتب، اوكتبه عثمان، كان من عند نفسه لا بأملاء الخليفة، وان كان امضاه، كما قالوا، بعد الافاقة.

جهد عمر فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام

وكيف كان تلَقّى الخلافة وتسلّمها ثمّ شمّر عن ساعد الهمّة، ورفع عن ساق الجهد، واجتهد بسموّ نظره وعلوّ همّته فى سبيل اعلاء كلمة الأسلام وبسط حكومة المسلمين والأعراب.

فما مضت على خلافته الّا مدّة قليلة حتّى غلب الأسلام على بلاد بعيدة وعلى اُمم كثيرة: فدخل الأسلام بايران، واستولى على بلادها الوسيعة، ونفذ فى بلاد الروم، واستولت الحكومة الأسلامية الفاضلة العادلة على اقوى الحكومات العالميّة، وخضعت الأمم السّامية، والملل الرّاقية، تجاه قوانين الأسلام المحكمة الالٰهيّة، وانظمتها الفائقة العليّة، فصارت الحكومة الأسلاميّة، و رئاسة الدينيّة، سُلطةً وحيدة و حكومة مطلقة

← هذا يوم القيامة. فأخذ عمر، العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر. ثم قال: يارسول الله: انا لمسئولون عن هذا؟ قال: نعم...»

فيه ايضا (الجزء الثلاثون ايضا سورة عبس - ذيل: وفاكهة وابا -) باسناده «عن انس» قال: قرء عمر: وفاكهة وابا، و معه عصاً فى يده، فقال: ما الاب؟ ثم قال: بحسبنا ما قد علمنا، والقى العصا من يده».

ايضا باسناده «ان انس بن مالك سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: قال الله «وقضباً و زيتوناً ونخلا و حدائق غلباً وفاكهة واباً» كل هذا ما قد علمناه فما الاب؟ ثم ضرب بيده ثم قال: لعمرك ان هذا هو التكلف...»

---

١ - كما صرح به فى كلامه المنقول سابقاً، عن ابن الاثير.

نافذة فى العالم المترقى فى ذلك العصر ، وظلّت العدالة الفائقة سائدة فى كل قطر ومصر.

٢٦٩ ــ مقام علىّ فى خلافة عمر وشأنه عنده

كان **عمر** مع فظاظته و خشونته ، ومهابته و هيبته بحيث اشتهر فى حقه « دِرَّةُ عمر اَهْيَب من سيف **خالد** » وبحيث نقل **الطّبرى** فى تاريخه مسنداً عن **زيد بن اسلم** عن ابيه « انّ نفراً من المسلمين كلّموا **عبدالرّحمن بن عوف** فقالوا : « كلّمْ **عمر** بن **الخطّاب** ، فانّه قد اخشانا حتّى والله ما نستطيع ان نُديم اليه ابصارنا . . . . » ، يراعى جانب **علىّ** ، فى خلافته ، ويستفيد من رأيه وفضله وعلمه ، ولاسيّما فى مايتعلّق بالأحكام ، ويعترف بسموّ مقامه وعلوّ شأنه وعظمة قدره ومكانه.

فكان كثيراً مّا يشاوره فى المعضلات الدّينيّة ، ويَسْتفتيه فى المهمّات العرفيّة ويعمل بمايشيراليه ، وبمايقول له ، حتّى اتّفق فى موارد كثيرة انّه رجع عن فتوى اوحكمٍ او رايٍ يراه فى واقعة ، حين اشار **علىٌّ** الى الوجه الصّواب فيها ، الى قوله (ع) فانصف وخضع له ، واعترف بذلك بحيث كان يصرّح بالجملة المشهورة المنقولة عنه فى الصّحاح والمسانيد : لَوْلا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَر. لولا على لهلك عمر

وقد تكلّم بهذه الجملة المأثورة و ما يقرب عنها فى مواردَ عديدة :

قال « الفقيه الحافظ » ، **ابن عبدالبرّ المالكى (٣٦٣-٤٦٣ ه. ق)** فى كتاب « الأستيعاب » بأسناده عن سعيد بن **المسيّب** انه قال :

« وقال عليه السّلام فى المجنونة الّتى امر (يعنى عمر) برجمها وفى الّتى وضعت لستّة اشهر فاراد **عمر** رجمها فقال له **علىّ** :

« انّ الله تعالىٰ يقول « وَحَمْلُه وفصاله «ثَلاثُونَ شَهْراً ....الآية . «

وقال له : « اِنَّ اللهَ رَفَعَ الْقَلَمَ عَنِ الْمَجْنُونِ . . . الحديث» فكان **عمر** يقول : « لَوْلا عَلىٌّ لَهَلَكَ عُمَر » .

وقال ايضا فيه ، بأسناده عن **سعيد بن المسيّب** انه قال : « كان **عمر** يَتَعَوَّذُ

بِاللهِ مِنْ مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُوحَسَن » .

وكان كثيرا مّا يقدّم رأيه على آراء غيره .

قال الطّبرى فى تاريخه ، بأسناده عن ابن عمر (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال۱۱۱ـ) انّه قال :

« جمع (يعنى اباه ، عمر ـ) النّاس حين انتهى اليه فتح القادسيّة و دِمَشْق فقال : انّى كنت امرأ تاجراً يُغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم . فماذا ترون انّه يحلّ لى من هذا المال؟

ليس للوالى من بيت المال الا مايصلحه و يصلح عياله

«فاكثر القوم وعلىٌّ ساكت . فقال : ما تقول يا علىّ؟ فقال : مَا اَصْلَحَكَ وَاَصْلَحَ عِيَالَكَ بِالْمَعْرُوفِ . لَيْسَ لَكَ مِنْ هٰذَا الْمَالِ غَيْرُهُ . . . . »

وقال ابن ابى الحديد:

«واستدعىٰ عمر امرأة ليسألها عن امرو كانت حاملاً ، فلشدّة هيبته اَلْقَتْ مافى بطنها ، فاجهضت به جنيناً ميتاً . فاستفتىٰ عمر اكابر «الصحابة فى ذلك، فقالوا: لاشىء عليك «انّما انت مؤدّب » فقال له علىّ عليه السّلام : « اِنْ كَانُوْا راقَبُوْكَ فَقَدْ غَشُّوْكَ وَاِنْ كَانَ هٰذا جِدُّ رَأْيِهِمْ فَقَدْ اَخْطَاُوا . عليكَ غُرّة» يعنى رقبة. فرجع عمر ، والصّحابة الى قوله ، » .

۲۷۰ـ رجوع عمر الى ما اشار اليه علىّ

من الموارد الّتى رجع عمر الى ما اشار اليه علىٌّ (على بعض الرّوايات) قضيّة هرمزان وملخّصها :

كان هرمزان من ابناء ملوك الفُرس و من اعاظم الاسبهبذان و اكابر الحكّام والأمراء بايران فلمّا استولى المسلمون على مُلكه واسروه جاؤه الى المدينة فأمر عمر بقتله .

قضية هرمزان واسلامه

فاحتال هرمزان، فاظهر العطش والتمس ماءً ليشربه قبل ان يُقتل، واستدعىٰ ان يكون الماء في آنية زجاجيّة، فلمّا اتوه بالماء اخذه وظلّ ينظر اليه، ويتظاهر بالاضطراب والارتجاج، ويرتعد ولايشرب الماء. فقال له عمر: لِمَ لاتشرب؟: قال: اخاف ان تامر بقتلي قبل ان اشرب هذا الماء. فحلف عمر بانّه لايُقتل حتّى يشرب الماء. وحينئذ فالقى الآنية من يده وقال: الآن لايجوز لك ان تقتلني! فغضب عمر من ذلك واراد ان يقتله، فاشار اليه عليّ(ع) [1] بانّ الحق في هذا الكلام مع هرمزان فلايجوز قتله، واشار الى هرمزان بأن يختار الأسلام.

فاسلم هرمزان طوعاً، وخضع عمر لما قال عليّ، وقَبِلَ اسلامَه، فنجا هرمزان بالأسلام من القتل، وصار ممّن احبّ علياً ووالاه. ولمّا قُتل عمر بيد ابى لؤلؤة النصراني غلام مغيرة ابن شعبة، قَتَل عبيدالله بن عمر، هرمزان، لزعمه انّ له يداً في قتل ابيه، عمر، والصّحابة لم تكن تعترف بذلك وترىٰ انّ قتل هرمزان كان عدواناً، ويجب على الوالي ان يقتصّ من عبيدالله، قاتل هرمزان. وكان عليّ يقول «اذاحصلت لي القدرة على عبيدالله لأقتلنّه بهرمزان لأنه قتل مسلماً بغير حقّ» ولذلك لمّا بويع عليّ بالخلافة، بعد عثمان، فرّ عبيدالله وذهب الى الشّام ولحق بمعاوية ولجأ اليه وكان معه في الصفّين فقُتل.

٢٧١ ـ قضيّة بنات يزدجرد

و من تلك الموارد قضيّة بنات يزدجرد واليك ما نقلها ابن خلّكان في كتابه «وَفَيات الاعيان» قال في ترجمة «ابي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب (ع)، يعني زينَ العابدين، :

«... وكان يقال لزين العابدين «ابن الخيرتين» لقوله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، :

---

١ ـ وفي الكامل لابن الاثير نسبت هذه الاشارة الى انس بن مالك.

قصة بنات يزدجرد وقول على في حقها

«الله تعالى من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم[1] فارس».

وذكر ابو القاسم **الزمخشرى** فى كتاب «ربيع الأبرار»:

« انّ الصحابة لمّا اتوا المدينة بسبى فارس فى خلافة **عمر بن الخطّاب** كان فيهم ثلاث بنات **ليزدجرد** ايضا فباعوا السبايا ، وامر **عمر** يبيع بنات **يزدجرد** ، فقال له **على** ـ **بن ابى طالب** عليه السّلام :

« انّ بنات الملوك لا يعاملن معهنّ معاملة كغيرهنّ من بنات السّوقة ».

« فقال : كيف الطّريق الى العمل معهنّ ؟

«قال : يقوّمن ومهما بلغن من ثمنهنّ قام به من يختارهنّ .

« فقوّمن فاخذهنّ علىّ بن ابى طالب (ع) فدفع واحدة **لعبدالله بن عمر** والأخرى لولده **الحسين** والأخرى **لمحمّد بن ابى بكر**، وكان ربيبه.... »

وتلك الّتى صارت الى **الحسين بن على** انجبت **على بن الحسين**، زين ـ العابدين وسيّد الساجدين ، ذوا الثّفنات ، الأمام الرابع ، ابو الأئمة الثمانية .

٢٧٢ ـ اشارة علىّ بذهاب ابى عبيدة الى بيت المقدس

ومن تلك الموارد ايضا :

اشارة على بفتح بيت المقدس

فى « فتوح الشّام » للواقدى ، ابى عبدالله **محمّد بن عمر بن واقد** (١٣٠-٢٠٧ هـ. ق) ، فى واقعة استيذان **ابى عبيدة بن الجرّاح** بعد فتح اليرموك ، **عمر** عن عزمه الى قيساريّة او بيت المقدّس ، :

«.... وسلّم الكتاب (اى كتاب ابى عبيدة) **الى عمر** ، امير المؤمنين ، فقرأ على ـ المسلمين و استشارهم فى ذلك فقال **علىّ** : يا امير المؤمنين مُرْ ، صاحبك ، **اباعبيدة** ، ان ينزل بجيوش المسلمين على بيت المقدّس . . .

« قال **عمر** : صدقتَ يا ابا الحسن . ثمّ دعا بدواة وقرطاس ، وكتب بعد الحمد

---

١ ـ اى من غير العرب مطلقاً ، تكون الخيرة فارس .

والصّلوة... وقدوصلني كتابكَ تستشيرني الى ناحية تتوجّه وقداشار ابن عمّ رسول الله (ص) بالمسير الى بيت المقدّس فانّ الله يفتحها على يدك ... »

٢٧٣ ـ اشارة عليّ لفتح بيت المقدّس

وفى فتوح الشّام ايضا فى واقعة فتح بيت المقدّس و استدعاء **ابى عبيدة** ذَهاب **عمر** الى بيت المقدّس بالتماس البطريق منه ذلك ، ومشاورة **عمر** ، المسلمين واشارة **عثمان** عليه بان لايذهب :

اشارة على بان يذهب عمر بنفسه الى بيت المقدس

« ... وقال عمر هل عند عند احد منكم رايٌ غير هذا (اى راى عثمان)؟

« فقال **عليّ بن ابى طالب** رضى الله عنه: نَعَم. عندى غير هذا الرّاى وانا اُبديه اليكَ، رحمكَ الله.

« فقال **عمر** : وما هو يا اباالحسن؟

« قال :

«انّ القوم قدسألوك وفى سئوالهم ذُلٌ لهم ، ولعلّه للمسلمين فتح . وقداصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام . وانّى ارىٰ انّكَ ان سرت اليهم فتح الله المدينة على يدك . وكان فى مسيرك الاجر العظيم فى كلّ ظمأ ومخمصة ، وفى قطع كلّ واد وصعود كلّ جبل ، حتّى تقْدِمَ عليهم فاذا انت قدِمتَ عليهم كان لكَ وللمسلمين ،الأمن والعافية والصّلاح والفتح .

«ولستُ آمنُ انّهم ان يئسُوا منكَ ومن قبولكَ الصّلحَ ان يتمسّكوا بحصونهم و ياتيهم المدد من بطارقتهم، و طاغيتهم فيدخل على المسلمين من ذلكَ همٌّ و بلاءٌ، لأنّ بيت المقدس عندهم معظّمة ، و اليها يحجّون ولا يخلفون عنها . والصّواب ان تسير اليهم .

« ففرح **عمر** بمَشُوْرَةِ **على** وقال:

«لقداحسن **عثمان**، النّظر فى المكيدة للعدوّ . واحسن **علىّ**، النّظر فى المسلمين، جزاهم الله خيرا، **ولستُ آخذ الّا بمشاورة علىّ فما رايناه الّا محمود المشاورة ميمون الطّلعة .** استخلاف عمر، عليا على المدينة

« ثمّ امر النّاس ان يأخذوا الأهبة للمسير معه والأستعداد . . . . **واستخلف على المدينة علىّ بن ابىطالب**، رضى الله عنه، وخرج عمر يومئذ من المدينة و اهلها يشيّعونه . . . »

قال الطّبرى (الجزء الثّالث من تاريخه ـ الصّفحة ال ١٠٤ ـ) :

« وعن **عدىّ** بن **سهل** قال : **لمّا استمدّ اهلُ** الشام عمر على اهل فلسطين **استخلف علياً** وخرج مُمِدّاً لهم . . . . »

٢٧٤ ـ انقضاء دورعمر

كانت مدّة خلافة عمر (رض) نحواً من عشرة سنة و ستّة اشهر و قد اتّسع فى تلك المدّة نطاق دولة الأسلام بجهده وحسن تدبيره واتّسق نظام امر المسلمين، بكثرة عنايته، وشدّة سياسته، ودوام مجاهدته، و كمال مراقبته، مضافاً الى اتفاق المسلمين، ووحدة كلمتهم، وخلوص ايمانهم و رسوخ عقيدتهم، وتضحيتهم فى سبيل بسط شريعتهم، و نشر عدالتهم . مدة خلافة عمر

طعنه (رض) ابولؤلؤة النصرانى (اثناء الصلوة) بسكّين صنعه لهذا المقصد طعنا علم انّ موته فيه، فلـمّا ايقن بحلول اجله، واقتراب امده، لم يرض ان يدع امر الخلافة مُهملاً غير منصوص، ويكل عبء تعيين الخليفة على كاهل المسلمين، ويتاسّى فى ذلك بالرّسول، كما كان يقول، بل رأى ان لايترك المسلمين فى هذا الأمر وارائهم! فيصيرون حيارى فى الأنتخاب! وابى ان يتحمّل احتمال المخالفة والمشاجرة فى الأمر الخطير الهامّ (تعيين الخليفة) بين رجال الدّين والأسلام، واشفق عليهم من افتراق الكلمة! الباعث لضعف الأمّة وانفصام عروة نظام الحكومة، واعتقد انه لايصلح له، رعايةً لمصلحة

الأمّة، وحفظاً لاساس الدّين والشريعة ان يجعل حبل الخلافة على غاربها، وان يكلّ زمام حريّة المؤمنين بيد صاحبها، كما فعل، بزعمه، الرّسول (ص) كذلك!.

وذلك لاحتمال ان يتولّد من اضطرار الأمّة، اوخصوص اهل الحلّ والعقد منهم، لأختيار الخليفة للرّسول! تتيقّظ الفتنة واختلاف الكلمة، او تحقّق الفلتة ولعلّ الله فى هذه الكرّة لايقى شرّها، ولايدفع عن الأمّة ضرّها!.

هذا من جانبٍ و من جانبٍ آخر لم يرض (رض) ان يتاسّى بماساراليه سلفه - البصير الخبير، ابوبكر! ولم يستحسن اتّباع سيرة ابى بكر حين موته، فلم يختر شخصاً معيّنا كى لايتحمّله، على ما يقول، حيّاً وميّتا! بل زعم وصرّح بانّ «حَسْبُ عمر ما حمل، حَسْبُ عمر ما احتقب!» (احتقب الأثم: جمعه).

فرسم (رض) طرحاً آخر، وسلك طريقاً ثالثاً، لتعيين خليفة الرّسول! ولم يذهب لا الى هذا، ولا الى ذاك.

٢٧٥ - رأى عمر فى خلافة علىّ

قال ابوجعفر **محمد بن جرير الطّبرى** (ذيل عنوان «قضيّة الشُّورى!» - الجزء - الثّالث - الصّفحة ال١٩٢ -) بأسناده عن عمر بن **ميمون** الاودى:

«انّ **عمر بن الخطّاب** لمّا طُعن قيل له: يا اميرالمؤمنين لواستخلفتَ. قال: مَنْ اَسْتخلفُ؟ ...

«... حتّى قال:

«فان استخلفتُ فقد استخلف مَنْ هو خيرٌ منّى. وان اَترُك فقدْ ترَكَ مَنْ هُوخيرٌ منّى....

على احريهم ان يحملهم على الحق

«فقالوا: يا اميرالمؤمنين لوعهدتَ عهداً فقال:

«قدْ كُنْتُ اَجْمعْتُ بعْدَ مقالتى لكُم اَنْ اَنظُرَ فأُولّى رجلاً اَمْرَكُمْ، هُواَحْريكُمْ اَنْ يحْمِلكُمْ علَى الْحقِّ. واشارالى علىّ.....»

وقال الفقيه المالكى الاندلسى ، ابن عبد ربّه ، فى كتابه «العِقْد الفريد» بعد ما نقل ذَهابَهم الى **عمر** ، واقتراحهم عليه بعهده الى ابنه **عبدالله**، و جوابه لهم (والطّبرى أيضاً فى تاريخه الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٢٩٣ ـ) :

« . . . ثمّ راحوا فقالوا : يا اميرالمؤمنين لو عهدتَ عَهْداً . فقال :

« قدكنت اجمعتُ بعد مقالتى لكم ان اُولّيَ رجلاً امركم ارجو انْ يحملكم على الحقّ». **على احريهم ان يحملهم على الحق**

«و اشار الى عليّ . ثمّ رايت ان لااتحمّلها حيّاً و ميّتا [١] فعليكم بهولاء الرّهط الّذين . . . »

وقال **الطّبرى** (الجزء الثّالث ـ الّصفحة ال ٢٩٣ ـ) فى مانقل عن **عمر** :

« . . . وما اظنّ احداً ان يليَ الّا احد هذين الرجلين : **عليٌّ** و **عثمان** .

« فأن ولى **عثمان** فرجل فيه لين .

« و ان ولى **عليٌّ** ففيه دُعابة . و احريه ان يحملهم على طريق الحقّ ...»

٢٥٧ـ «كان عليّ اولى النّاس بالامر»

نقل **ابن ابى‌الحديد** عن ابى‌بكر **احمد** بن **عبدالعزيز** الجوهرى بأسناده أنّه :

«مرّ **عمر** بعليّ وعنده **ابن‌عبّاس** بفناء داره فسلّم . فسألاه : اين تريد ؟ فقال : الى ينبُع .

«قال : **عليّ** : افلا نَصِلُ جَناحَكَ ونَقوم معكَ؟ فقال‌بلیٰ. فقال (ای‌عليّ) لابن‌عبّاس : قم معه .

«قال **ابن‌عباس** : فشبّكَ اصابعه فى‌اصابعى و مضیٰ حتّى خلّفنا البقيع قال :

١- و فى الاستيعاب **لاين عبدالبر** المالكى (ذيل ترجمة **عمر**) : « . . . و قوله فى **على** عليه‌السلام : «ان ولوها الاجلح سلك بهم‌الطريق الاجلح المستقيم» يعنى **علياً** . . . فقال له **ابن عمر** : مايمنعك ان تقدم **علياً**؟ قال : اكره ان احملها حياً و ميتاً » :

تصريح عمر بان علياً كان اولى الناس بالامر بعد وفاة رسول الله (ص)

« يا ابن عبّاس . امَا و الله انْ كان صاحبك هذا اولى النّاس بالامر بعد وفاة رسول الله (ص) الّا انّا خفناه على اثنين :

« قال ابن عبّاس :

« فجاء بمنطق لم اجد بُدّاً معه من مسئلته عنه .

« فقلت : يا اميرالمؤمنين ماهُما ؟

« قال : خشيناه على حداثة السّن و حبّه بنى عبدالمطّلب ! »

و كيف كان ، كان عمر يعرف مقام عليّ فى الأيمان ، ويؤمن بصلوحه واستحقاقه الخلافة و الأدارة فقد أستخلفه ، من نفسه ، على المدينة حين ذهابه الى بيت المقدّس كما رايته آنفاً فى كلامٍ من الواقدى و الطّبرى . وقد اشار (رض) ، بل صرّح ، لأمرّة بل مرّات ، بعلوّ شأنه (ع) و صلوح شخصه ، و رفعة مقامه ، و عظمة قدره ، و بأستحقاقه للخلافة بقوله :

« لِله انْتَ ! لَوْلا دُعابةٌ فِيكَ ! . امَا وَ اللهِ لَئِنْ وُلّيتَهُم لَتَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْحَقّ الْواضِح و الْمَحَجَّةِ الْبَيْضاء » .

«إِنَّ أَحْرٰيهُمْ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلىٰ كتابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ لَصاحِبُكَ.
وَاللهِ لَئِنْ وَلِيَهاليَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضاءِ وَالصِّراطِ المُسْتَقيم»

(قال عمر لابن‌عباس فی حق علیّ)

«... وَلَو اَنَّ عمر استَخْلَفَ عَلَيْهِمْ كَما اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ ابوبکر ،
ماكانَ فِی ذاك اختلاف»

(من کلمات معاوية ابن ابی‌سفیان)

۱۸ـ حولَ الطّریق الثّالث :

۱ـ ابداع طریق ثالث للاستخلاف .
۲ـ نظرة في سبب العدول .
۳ـ اختیار اشخاص من الصّحابة للشّوری .
٤ـ عودٌ الی واقعة الاستخلاف .
٥ـ مكالمة **عمر** مع **ابن عبّاس** فی الأستخلاف .
٦ـ اعتذار **ابن ابی‌الحدید** عمّا قاله **عمر** .
۷ـ نهاء ذاك الطّریق ونتاج تلك المقدّمات .
۸ـ توصية **عمر** بابی‌طلحة علی اصحاب الشّوری .
۹ـ کلام **عمر** فی جمع النّبوّة و الخلافة .
۱۰ـ اهل الشّوریٰ وماقال **عمر** فی حقّهم .
۱۱ـ الشّوریٰ و ماجرت فیها .
۱۲ـ اقتراح **ابن‌عوف** و ما اجاب به علیّ و عثمان .
۱۳ـ ارتاج الكلام علیٰ عثمان .
١٤ـ تنبیهات ستّة حول الشّوریٰ .
منها :
الف ـ حصول الاکثریّة لعلیّ وعدم اعتداد **ابن‌عوف** بها.
ب ـ استبداد **ابن‌عوف** فی الزامه و الی الامر ...
ج ـ العمل بسیرة من‌سلف متعذّر ، لاختلافها وارشاد علیّ الی ان الاصل، الكتاب والسّنة لاعمل السّلف.
١٥ـ ماقیل ، او یقال ، علی الطّریق الابداعی الأحداثی .
١٦ـ سئوال بلاجواب .
١٧ـ ختام الكلام فی الشّوریٰ .

٢٥٨ـ ابداع طريقٍ ثالث للاستخلاف

ممّا يستلفت النظر ، و يستدعى صرف الوجه اليه ، مسئلة الخلافة فى الأسلام . لاريب فى اتفاق الامّة على انّ اوّل الخلفاء لم يعيّنه الرّسول لخلافته ، وفى ادّعاء اهل السنّة واعتقادهم بعدم نصّ وعدم سابقة لذلك ، ولهذا صارت الخلافة فى الخلفاء الثلاث على انحاءٍ ثلاثة : الاجماع (على مايقولون) ، والكتابة ، والشّورىٰ . وعلى ذاك المبنى لسائل ان يسأل : اذا لم يكن للخلافة نصّ ولا سابقة ، وكان امر احادثا ، فكيف الجمع بين هذا الاعتقاد و بين الاحاديث الواردة فى الصّحاح والاصول مثل قوله (ص) : «ايّاكم و مُحدَثاتُ الأُمور ، فانّ كُلّ مُحْدَثة بِدعة ، و كلّ بدعةٍ ضَلالة» ومثل قوله : «من اَحْدَثَ فى اَمْرِنا هذا ما لَيْس منه فَهُوَ رَدّ»[1] و مثل : «من عمل عملاً لَيْس عليه اَمْرُنا فهو ردّ ؟»

و لا يتوجّه هذا السّئوال على الشّيعة لانّها تعتقد النصّ على الخليفة فليست الخلافة عندها امر مُحْدَث فى امر الدّين .

وكيف كان تصدّىٰ ابى بكر للخلافة وتسلّمها النّاس بالقبول ، استناداً باتّفاق اهل الحلّ والعقد ، وان شئت فقل ، بـ«الأجماع» . ثمّ تصدّىٰ بعده عمر ، استناداً بالوصاية والعهد من ابى بكر ، واستخلافه ايّاه ، وان شئت فقل : اعتماداً على «النّصّ» ، اى «العهد» .

وامّا الخليفة عمر فما اتّبع لاذاك الطّريق الّذى ادّعىٰ انّ رسول الله (ص) اختاره وسلكه ، وهو ايكال الأمر على حرّيّة ارادة الأمّة فى اختيارهم من شاؤا وارادوا للخلافة من الرّسول (ص) ! ولا اقتدىٰ ايضا بمن «هو خير منه» ، ابوبكر (رض) فى سلوكه هذا الطّريق ،

---

[1] و ما نقل عن شراح الحديث بهذه العبارة : «من احدث» : من ابتدع و اخترع شيئا ، لم يكن فى زمن النبى (ص) ، ما لم يكن فيه مصلحة ... «فى امرنا» : فى ديننا» . «فهو رد» اى مردود ، كلام مردود اذ بناؤه على الاعتقاد بوجود «مصالح مرسلة» فى الدين و قد حققنا فساده فى رسالتنا الوجيزة «منهاج الشرعة فى حكم الاحداث و البدعة» .

وهو النصّ بالأستخلاف .

فلا تأسّى' بالرّسول ولاسار سيرة الخليفة . ولكنّه كأنّه استنقص الطريقين ! فاستنقضهما وابدع طريقا ثالثا فاهملهما .

لماذا عدل عمرعن سيرة الرّسول (ص) ، على مايدّعيها ،؟ ولِمَ لَمْ يتأسَّ به والله تعالى يقول : « وَلَكُمْ فى رسول اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَة »؟ فلننظر :

٢٧٨ ــ نظرة فى سبب العدول

ان كان ذلك العدول لأنّه شاء واراد متابعة سيرة الخليفة ، فى عدم تأسّيه بالرّسول ، وعدم المتابعة له (ص) فى ترك الأستخلاف ، فلِمَ لَمْ يتّبع الخليفة ولم يجعله قُدوةً فى العهد والنصّ بالأستخلاف ، مع انّه يقول «هو خير منّى » ؟

كان سن على حين وفاة عمر نحواً من خمسين سنة

اَتُرىٰ انّه كان يرىٰ انّ ترك الأستخلاف منه يمكن ان يورث اتّفاق الامّة ، اواجتماع خصوص اهل الحلّ والعقد منهم ، على اختيار علىّ ، وهو لايرى المصلحة فى ذلك ،لا لماكان «يخشاه عليه من حداثة السّنّ » ، كماكان ، على ما قال ، يخشاه حين وفاة الرّسول ؟ لأنّ سن علىّ حينئذ كان نحواً من خمسين سنة ولا لماكان يدّعى انّ « فيه دُعابة » ولا لماكان يعتقد أنّه « يحملنّهم على الحق الواضح.... »؟

لأنّه ، كيف كان ، جعله واحداً من اصحاب الشّورىٰ فى الطّريق الثّالث ، اللّهم الّا ان يقال نظر فى ذلك الى قوله (ص) «دع مايريبك الى مالا يريبك » ، فلا يرى المصلحة فيه لا لهذه الامور والجهات بل جهة اخرى كان ينظر اليها ويربٰها .

اَوَ كان يرىٰ انّ الأستخلاف والنصّ يستلزم احد الامرين؟ :

امّا تعيين علىّ والنصّ عليه .

وامّا تعيين غير علىّ .

فالأوّل لعلّه كان على خلاف ما يراه . والثّانى لعلّه كان ، على خلاف مايراه ـ الأمّة ، اواكثرها ، او خصوص اهل الحلّ والعقد منها ، وحينئذ يمكن ان يصير ذلك سببا لأطلاق لسانهم بعد موته عليه ، ولسقوط عظمة مجاهَداته و مساعيه فى بسط

دولة الأسلام، و نظم امور المسلمين عن اعينهم، ولاسيّما اذا كان من اختاره واستخلفه بحسب رايه الحازم و تفرّسه الصائب « رجل فيه لين » [1] بحيث لا يتمكّن عن ادارة امور المسلمين بنحوٍ يقتضيه الدّين و يرتضيه المؤمنين، ولايقدر، اولايلتزم، باجراء العدل ورعاية الصُّحبة والفضل، على ما كان المأمول و المعمول المألوف، فكيف بما اذا صار المعهود اليه، المنصوص عليه سببا لتشتُّت الكلمة وتفرّق الأمّة، لاجل استبداده بالأمور وعدم اصغائه الى مايشير اليه اكابر المسلمين، وحمله بنى قومه على رقاب الأنصار والمهاجرين، وبالجملة لعُدُوله عمّا هومعهود من عمل السابقَيْن ولتسياره فى خلافته خلاف سيرة الخليفتين ؟

٢٧٩ ـ اختيار اشخاص من الصّحابة للشّورى

كيف كان الوجه فى ذلك، كان هو على ما تظنّه الشّيعة، اوكان وجهاً آخر، ، والله هو العالم بالسّرائر والضّمائر، فما ابدعه وابتكره من الطّريق الثّالث هو انّه :

« اختار من الصّحابة ستّة، يقول : انّ النّبى مات و هو عنهم راضٍ، وهم من العشرة المبشّرة بالجنّة على لسان النّبى (ص)، وهم : **علىٌّ** و **عثمان** و **عبدالرّحمن ابن عوف** و **الزّبير** و **سعد بن ابى وقّاص** و **طلحة**، وامرهم بان يجتمعوا للمؤامَرة والمشاوَرة مدّة لاتزيد على ثلاثة ايّام فيختاروا واحداً منهم للخلافة.

ثم دعا **اباطلحة الأنصارى** وامره ان يتّخذ معه خمسين رجلا بسِلاحهم ان ينظروا و يراقبوا اهل الشّورى.

---

١ ـ واراك فى ذكر مما نقلناه عن **الطبرى** آنفاً من قول **عمر** (رض) : « وما اظن ان يلى الا احد هذين الرجلين : **على** و **عثمان**. فان ولى **عثمان** فرجل فيه لين .... » وسيأتى قوله لعثمان : « كأنى بك قد قلدتك قريش هذا الامر ... فحملت بنى امية و بنى ابى معيط على رقاب الناس ... . فسارت عليك ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحا. والله لئن فعلت. ليفعلن ».

كيفية اخذ الارا واعتبارها على ما قرر عمر

فان انقضت الأيّام الثّلاثة ولم يتّفقوا على احد منهم فليقتلوا جميعاً!! وحينئذ تصير الأمّة واختيارهم في الأنتخاب لأنّهم، بحسن سياسة الخليفة المشفق الرّؤف، خلصوا نجيّاً عن خير هؤلاء السّتّة المرضيّة المبشّرة بالجنّة، اصحاب بدر واقرب صحابة الرّسول اليه، الّذين مع جواز قتلهم برأى الخليفة و بحكمه، فى سبيل الله وسبيل المصلحة، لايجوز وليس لأحد من بعدهم ان يتفوّه فى حقّهم بسوء[1] (لأنّ «اصحاب الرّسول (ص) عدول ولاينتقص احد منهم ألا .... »، كما قالوا).

وان اتفقت كلمتهم على واحد منهم فهو خليفة الرّسول! ومن الفرض على غيره من السّتّة وعلى الأمّة، التّبعيّة والأطاعة والبيعة، شاؤا اولم يشاؤا، (رغماً لأنوفهم) وان كانت الأمّة من حيث الكثرة والعدّة لاتقاس بهذه العدّة القليلة، اى هؤلاء السّتّة، اللّهم ألا ان يقال كونهم اهل الحلّ والعقد، بل صيرورتهم فعلاً (لاسابقاً - كى لاينا فى عدم حضورهم فى السّقيفة حين انعقادها) اهل الحلّ والعقد، صار مناط الرجحانهم على الأمّة راياً.

وان اختلفت كلمتهم، بالكثره والقلّة، فالمدار على الأكثر فأن لم يوافق الأقلّ رأىّ الأكثر ولم يتابعه فعلى ابى طلحة انيقتل الاقلّ!!

وان اختلفت متساوية بان كانت آراء نصف منهم لواحد وآراء النّصف الآخر لآخر، فالأعتبار بالنّصف الّذى فيهم ابن عوف، وان كان فى النّصف الآخر علىّ! وهو الّذى قال النّبىّ فى شانه: «علىٌّ يَدُوْرُ مَعَ الْحَقّ والحقُّ يَدُوْرُ مَعَهُ» بل وهو الّذى قال الخليفة نفسه فى حقّه: «اَحْرٰيكُم اَنْ يَحْمِلَكُمْ عَلَى الْحقّ» وقال بالقسم -

---

١ - فكأن حق الصحبة يبيح هتك الصحبة و يورث للصاحب بالنسبة الى الصاحب من حق القتل والشتم والايذاء ماليس لغيره، ولعلك لم تكن نسيت بعد، ماسمعت من عمر، حين ذهب مع عصابة من اتباعه الى بيت فاطمة لاخذ البيعة او احراق البيت وخروج الزبير مصلتا سيفه، من قوله: «عليكم بالكلب» يعنى الزبير. و ما سمعت ايضا من ابى بكر حين موته، من قوله لطلحة «... اى والله وانت شرهم، اتيتنى وقد دلكت عينيك، تريد ان تفتننى عن دينى، قم لا اقام الله رجليك».

المؤكد ايضا: « وَاللهِ لَيَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْحَقّ الواضح وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاء» وقال ايضا لابن عباس: « اَمَا وَاللهِ اَنْ كَانَ صَاحِبُكَ هذا اَوْلَى النَّاسِ بِالأَمْرِ بَعْدَ وفاة رَسولِ الله... »

وكيف كان فالنّصف المخالف لابدّ و ان يتّبع ما رآه النّصف الّذى فيه ابن ـ **عوف** فان قبل، ووافق واطاع واتّبع، فنعمت و بها، وان خالف وابىٰ عن المتابعة والبيعة فعلى **ابى طلحة** ورجاله ان يقتل المخالف فيُرْضِيَ الله ورسوله والخليفة بتسريعه لأرسال صحابة الرّسول المبشّرين والّذين كان هو (ص) راضٍ منهم الى جواره فى الجنة!

فيالله من تدبير بديع، وتأسيس منيع، وابتكار رفيع، وابداع وسيع، وضعاً ورفعاً، جمعاً و منعاً، عقلاً و شرعاً. رضى الله عن مبدعه و مبتكره.

٢٨٠ ـ عود الى واقعة الاستخلاف

قال **ابن ابى الحديد** فى بيان واقعة الأستخلاف (فى شرحه لنهج البلاغة) ما هذا عين الفاظه :

« وصورة هذه الواقعة انّ **عمر** لمّا طعنه **ابولؤلؤة** و علم انه ميّت استشار فى من يوليّه الامر بَعْدَه فاُشير اليه بابنه، **عبدالله** فقال:

« لاهَا الله! اذا لايليْها رجلان مِن ولد **الخطّاب**. حَسْبُ **عمر** ما حمل. حَسْبُ عمر ما احتقب. (احتقب الاثم. جَمَعَه) لاهَاالله! حيّاً وميّتا.

« ثم قال :

« انّ رسول الله مات و هو راضٍ عن هذه السّتّه من قريش : **علىّ و عثمان وطلحة و الزّبير و سعد و عبدالرّحمن بن عوف**.

« وقد رايتُ ان اجعلها شُوْرىٰ بينهم ليختار والأنفسهم [1]. ان استخلفتُ فقد

---

١ ـ لانفسهم يختاروا ! او للمسلمين؟

مكالمة عمر مع من اختارهم للشورى من الصحابة

من هو خير منّى ، يعنى ابابكر ، وان اترك فقد ترك مَنْ هوخيرٌ منّى ، يعنى رسول‌الله .

« اُدْعُوهم لِىْ .

« فَدَعَوْهُم . قدخلوا عليه وهو مُلقىً على فراشه يجود بنفسه فنظر اليهم فقال :

« اكلّكُم يطمع بالخلافة بعدى؟

« فَوَجَموا فقال لهم ثانيةً فاجابه الزّبير وقال :

« وما الّذى يُبعدنا منها . وليتها انت فقمتَ بها . ولسنادونكَ فى قريش ، ولا فى السّابقة ، ولا فى القرابة .

« قال الشّيخ ابوعثمان ، الجاحظ ، : « والله لولا علمه انّ عمر يموت فى مجلسه ذلكَ ، لم يُقدِمْ على ان يَفُوْه من هذا الكلام بكلمة ولا ان ينفس[1] منه بلفظ » .

« فقال عمر :

« افلا اخبركم عن انفسكم؟ قالوا : قل فانّا لو استعفينا لم تعفنا . فقال :

« امّا انت يازبير ، فوَعِقٌ ، لَقِسٌ ، مؤمنُ الرّضا ، كافرالغضب . يوماً انسان و يوماً شيطان . ولعلّها لوافضت اليكَ ظلتَ يومكَ تلاطم بالبطحاء على مُدٍّ من شعير . افرايت ان امضت اليكَ فليت شعرى من يكون للنّاس يوم تكون شيطانا؟ ومن يكون يوم تغضب[2] ؟

« اما ، وماكان‌الله ليجمع لكَ امر هذه الأُمّة وانت على هذه الصّفة .

« ثمّ اقبل على طلحة وكان له مُبْغَضاً ، منذ قال لأبى بكر يوم وفاته ما قال فى عمر ، فقال له :

« اقول ام اسكت؟ قال : فقل فانّكَ لاتقول من الخير شيئاً ! قال :

---

١ - هكذا . والظاهر : ينبس بالباء الموحدة اى يتكلم .

٢ - قد مر سابقاً نقلا عن تاريخ الطبرى وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزى كلام ابى بكر فى الخطبة التى القاها بعد ما بويع وهو « ... واعلموا ان لى شيطانا يعترينى ، فاذا رايتمونى غضبت فاجتنبونى ... » فكان للزبير ان يجيب : « من كان للمقر المعترف بان له شيطاناً ، يكون لمن لااعتراف له بذلكَ ، لوسلم وجود شيطان له ، ايضا . »

«امّا انّی اعرفکَ منذ اُصیب اصبعکَ یوم اُحُد، والبأوَ الّذی حدثَ لکَ. ولقد مات رسول‌الله ساخطاً علیکَ بالکلمة الّتی قلتها یوم اُنزلت آیة الحجاب».

تنقیص عمر کل واحد من اهل الشوری غیر علی

«قال شیخنا ابوعثمان، **الجاحظ**، رحمه‌الله تعالی:

«الکلمة المذکورة انّ **طلحة** لمّا انزلت آیة الحجاب قال بمحضر ممّن نُقل عنه الی رسول‌الله (ص):

«ما الّذی یغنیه حجا بهنّ الیوم، وسیموتُ غداً فننکحهن»[1].

«قال **ابوعثمان** ایضا: لوقال لعمر قائل: انت قلتَ: «انّ رسول‌الله مات وهوراضٍ عن السنّة» فکیف تقول الآن لطلحة: «انّه ماتَ، علیه‌السّلام، ساخطاً علَیکَ، لِلکلمةِ الّتی قُلْتَها»؟ لکان قدرماه بمشاقصه. ولکن من الّذی یجسر علی **عمر** ان یقول له مادون هذا؟ فکیف هذا؟

«قال: ثمّ اقبل علی **سعد** بن ابی **وقّاص** فقال:

«انّما انْتَ صاحبُ مقنبٍ من هذه‌المقانب، تقاتل‌به، وصاحب قَنْصٍ وقوسٍ واسهم.

«وما زُهرة‌والخلافة‌وامور‌النّاس!؟

«ثمّ اقبل علی **عبدالرّحمن** بن **عوف** فقال:

«وامّا انت یا **عبدالرحمن** فلو وزن نصف ایمان المسلمین بایمانکَ، لرجح ایمانکَ به. ولکن لیس یصلح هذا الامر لمن فیه ضعف کضعفکَ. وما زهرة

---

١ ـ «کان **القاسم** بن **محمد** بن **یحیی** بن **طلحة** بن **عبیدالله** التیمی یلقب ابابعرة ولی‌شرطة‌الکوفة لعیسی بن **موسی** بن **محمد** بن **علی‌**بن **عبدالله** بن **العباس** کلم **اسماعیل** ابن **جعفر** بن **محمد** الصادق علیه السلام بکلام خرجا فیه الی المنافرة فقال **القاسم** بن **محمد**، لم یزل فضلنا و احساننا سابقا علیکم یا بنی هاشم وعلی بنی عبد مناف کافة، فقال **اسماعیل**: ای فضل واحسان اسدیتموه الی بنی عبدمناف؟ اغضب ابوک جدی بقوله: «لتموتن محمد و لنجولن بین خلاخیل نسائه کما جال بین خلاخیل نسائنا»؟ فانزل الله تعالی مراغمة لابیک: «و ما کان لکم آن تؤذوا رسول‌الله ولا ان تنکحوا ازواجه من بعده ابدا....» (شرح ابن‌ابی‌الحدید ـ المجلدالثانی ـ الصفحة ال ٥٠١ ـ ذیل: منها فی ذکر اصحاب الجمل).

وهذا الامر؟.

« ثمّ اقبل على عليّ عليه السلام فقال :

« لِلّه انت ! لولا دُعابةٌ فِيكَ : امَا وَاللهِ لَئِن وُلِّيتَهُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْحَقّ الواضح وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضاءِ » .

« ثمّ اقبل على عثمان فقال :

« هيْها اليكَ ! كَأنّي بِكَ قَدْ قَلَّدَتْكَ قريش هذاالأمر ، فحملْتَ بني امية وبني ابي مُعَيْط [١] على رقاب النّاس و آثرْتَهمْ بالْفَيْءِ فَسارتْ اليكَ ذئبان ـ العرب فَذَبَحُوكَ على فراشكَ ذَبْحاً . وَاللهِ لئن فعلْتَ لَيَفْعلُنّ . »

« ثمّ اخذبنا فقال : فأذا كان ذلكَ فاذكر قولى فانّه كائن .

« ذكرهذاالخبر كلّها شيخنا ابوعثمان في كتاب السّفيانيّة . وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر .

« وذكر ابوعثمان فى هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال :

« و روىٰ مَعْمَر بن سليمان التّميمى عن ابيه عن سعيد بن المسيّب عن ابن ـ

---

١ ـ ابومعيط هو ابان ابن ابى عمرو بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف .... وهو والد عقبة والد الوليد الفاسق .

« وكان لامية من الولد احد عشر ذكراً ، كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه ، وهم العاصي و ابوالعاصي ، و العيص و ابوالعيص ، و عمرو و ابوعمرو ، و حرب و ابوحرب ، و سفيان و ابوسفيان و « العويص » لايكنى بهم فمنهم « الاعياص » .

« و ام ابومعيط ، آمنة بنت ابان بن كليب بن ... وكانت آمنة هذه تحت امية ـ ابن عبد شمس فولدت له العاصي و اباالعاصي و اباالعيص و العويص .... فلما مات امية تزوجها بعده ابنه ابوعمرو ، وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوج الرجل امرأة ابيه بعده ، فولدت له ابامعيط . فكانوا بنى امية من آمنة اخوة ابى معيط و عمومته .

« واسر عقبة ابن ابى معيط فى يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه و سلم صبراً ... وعلى رواية : ان النبى صلى الله عليه وسلم امر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن ابى معيط و النضر بن الحارث » (الجزء الاول ، من « الاغانى » ـ ذيل خبر ابى ابى قطيفة ـ) .

عبّاس قال : سمعت عمَر بن الخطّاب يقول لأهل الشّورىٰ :

« انّكُمْ ان تَعاوَنْتُم ، وتوازَرْتُمُ ، وتَناصَحْتُم ، اَكَلْتُمُوها واولادُكم ! وان تحاسَدْتُم ، وتقاعَدْتُمُ ، وتدابَرْتُم ، وتباغَضْتُم ، غلبكم على هذا الأمر ، معاوية ابن ابى سفيان » .

تطميع عمر، معاوية للخلافة

« وكان معاوية حينئذٍ اميرَ الشّام » .

۲۸۱ ـ مكالمة عمر مع ابن عباس فى الأستخلاف

حكى ابن ابى الحديد عن « كتاب الأمالى » لأبى العبّاس احمد بن يحيى ، ثعلب :

« كان عبدالله بن عبّاس عند عمر فتنفّس عمر نَفَساً عالياً ، وقال ابن عبّاس حتّى ظننت انّ اضلاعه قد انفرجت . فقلت له : ما اخرج هذا النفس منك يا اميرالمؤمنين الّاهمٌّ شديد. قال : « اى والله يا ابن عبّاس . انّى فكّرت فلم ادر فى من اجعل هذا الامر بعدى؟

« ثمّ قال : « لعلّكَ ترىٰ صاحبكَ اهلاً »

« قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه؟ .

« قال : صدقتَ ولكنّه امرؤ فيه دُعابة :

« قلت : فأين انت من طلحة ؟

« قال : هُوَ ذوالبأْو ، وبأَصْبَعِه الْمَقْطُوعة .

« قلت : فعبدالرّحمن . قال : رجل ضعيف . لوصاراليه لَوَضَعَ خاتَمَه فى يد امرأته !

« قلت : الزّبير . قال : شَكِسٌ ، لَقِسٌ يُلاطم فى البقيع فى صاعٍ من بُرٍّ .

« قلت : فسعد بن ابى وقّاص . قال صاحبُ مِقْنَبٍ وسِلاح .

« قلت : فعثمان . قال : اوه اوه مراراً .

« ثمّ قال : « والله لئن وَلِيَها لَيَحْمِلَنَّ بنى ابى مُعَيْط على رقاب النّاس ثمّ لَتَنْهَضَنَّ اليه العرب فتَقْتُلُه » .

«والله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط ـ المستقيم»

« ثمّ قال : يا ابن عبّاس: «انّه لايصلح لهذا الأمر الّا خصيف العقدة ، قليل ـ الغرّة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يكون شديداً في غير عنف ، ليّناً من غير ضعف ، جواداً من غير سرف ، ممسكاً من غير وكف » .

« قال ابن عبّاس : وكانت هذه صفات عمر . ثمّ اقبل علَيَّ فقال :

« اِنَّ اَحْرِيٰهُم اَنْ يَحْمِلَهُمْ على كتابِ رَبِّهِم وَسُنَّة نَبِيِّهِمْ لَصاحِبُكَ . وَاللهِ لَئِنْ وَلِيَها لَيَحْمِلَنَّهُمْ عَلى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضاءِ وَالصِّراطِ الْمُسْتَقِيْمِ . »

٢٨٢ ـ اعتذار ابن ابى الحديد عمّا قاله عمر

بعد ما نَقَل ابن ابى الحديد ، عن كتاب الأمالى لثعلب ، ما اوردناه قال :

« انّ الرّجلَ ذا الخُلق المخصوص ، لايرى الفضيلة الّا فى ذلك الخلق » .

ثمّ مثّل لذلك بالجواد يعيب البخيل وبالعكس ، والجبّان يعيب الشّجاع وبالعكس ، وهكذا فى سائر الصّفات والأخلاق ، ثمّ قال :

« . . . ولمّا كان عمر شديدَ الغلظة ، وَعِرَ الجانب ، خَشِنَ المَلْمس ، دائمَ العبوس ، كان يعتقد انّ ذلك هو الفضيلة وانّ خلافه نقص . . . .

« فهو غيرملوم عندى فى ماقاله ، ولامنسوب الى انّه اراد الغضّ من علىّ والقدح فيه (يعنى فى ماقال : ولكنّ امرؤ فيه دُعابة) ، ولكنّه اخبر عن خُلقه ظانّاً انّ الخليفة لاتصلح الّا للشّديد الشكيمة ، العظيم الوعورة . . . .

« وبمقتضىٰ هذا الخُلق المتمكّن عنده ، كان يشير على رسول الله ، صلّى الله عليه وآله و سلّم ، فى مقامات كثيرة ، وخطوب متعدّدة ، بقتل قوم . . . فلم يقبل عليه السّلام مشورته على هذا الخلق . . .

« وجملة الامر ، انّه رضى الله عنه لم يقصِد عيب علىّ عليه السّلام ولا كان عنده معيباً ولا منقوصاً . الا ترىٰ انّه قال فى آخر الخبر : «اِنَّ اَحْرِيٰهُمْ ، اِنْ وَلّيهم ، اَنْ

يَحْمِلَنَّهُمْ على كتاب الله . . . الخ

«ثم اكّد ذلك بان قال : « اِنْ وَلِيَهُمْ لَيَحْمِلَنَّهُمْ . . . الخ

« وانت اذا تأمّلت حال علي عليه السّلام في ايّام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وَجَدْتَه بعيداً ان ينسب الى الدّعابة والمزاح لأنّه لم يُنقل عنه شيء من ذلك اصلا ، لا في الشّيعة ولا في كتب المحدّثين .

« وكذلك اذا تأمّلت حالَه في ايّام الخليفتين ، **ابي بكر وعمر** ، لم تجد في كتب السّيرة حديثاً واحدا ، يمكن ان يتعلّق به متعلّق ، في دُعابته ومُزاحه . فكيف يُظنّ بعمر انّه نسبه الى امر لم ينقله عنه ناقل ، ولا نَدَّد به صديق ولا عدوّ وانّما اراد سهولة خلقه لاغير . . . »

ثم بعد كلام طويل ، ذكر فيه عدّة مُزاحات عن بعض الخلفاء وعدّة من الصّحابه ، قال :

« ما كان جد اعظم من جد علي ولا وقار اتم من وقاره

« فامّا امير المؤمنين علي عليه السّلام، فاذا نظرت الى كتب الحديث والسِيَر لم تجد احداً من خلق الله ، عدواً ولاصديقاً ، روى شيئاً عنه من هذا الفنّ ، لاقولا ولا فعلاً ، ولم يكن جِدٌ اعظم من جِدّه ولا وَقارٌ ، و ما هزَل قطٌّ ولا لَعِبَ ، ولا فارق الحقّ والنّاموس الدّيني سرّاً ولا جهراً . وكيف يكون هازلاً ومن كلامه المشهور : «ما مَزَحَ امرؤٌ مَزْحَةً الّا ومجّ مَعَها مِنْ عَقْلِهِ مجّة » ؟

ولكنّه خُلق على سجيّة لطيفة، واخلاق سهلة ، ووجه طَلِق ، وقول حَسَن ، وبُشْرٍ ظاهر .

« وذلك من فضائله عليه السّلام و خصائصه التي صفحه الله بشرفها ، واختصّه بمزيّتها. وانّما كانت فظاظته وغلظته ، فعلاً لاقولاً ، وضرباً بالسّيف لاجَبْهاً بالقول، وطعناً بالسّنان لاعَضْهاً باللّسان ، كما قال الشاعر :

وَتَسْفَهُ اَيْدِيْنا وَيَحْلُمُ رَأْيُنا
وَنَشْتِمُ بالأفعالِ لا بالتَّكلُّمِ »

انتهى ما اورده ابن ابى الحديد فى بيان ماراد عمر، او يناسب ان يكون اراده، من قوله فى حقّ علىّ : « . . . ولكنّه أمرؤٌ فيه دُعابة » .

٢٨٣ ــ قول النّبى (ص) فى كون علىّ هادياً مَهْدِيّاً يحمل الامّة على الصّراط المستقيم

يناسب هنا ان نذكر حديثا رُوىعن النّبىّ صلّىالله عليه وسلّم فى معنى ماعرفته من الكلام المنقول عن **عمر** (رض) فى حقّ **علىّ** (ع) : (. . . ليحملنّهم على المحجّة البيضاء . . .)

روى ابوبكر **احمد** بن **عبدالعزيزالجوهرى** فى كتاب السّقيفة (على ما حكى عنه **ابن ابى الحديد**) بأسناده عن جابر بن **عبدالله الانصارى** انّه قال : قال رسول الله صلّىالله عليه وسلّم :

« اِنْ تُولُّوْها ابو (ابا) بكر تَجِدُوه ضعيفاً فى بدنه ، قويّا فى امرالله .

« وَاِنْ تُولُّوْهٰا عمر تجدوه قويّاً فى بدنه، قويّاً فى امرالله .

« وَاِنْ تولُّوْهٰا علياً ، وما اَراكُمْ فاعِلِينَ ، تَجِدُوه هٰادِياً مَهْدِيّاً يَحْمِلُكُمْ على المحَجّة البَيْضاء وَالصّراط المستقيم » .

وفى حلية الأولياء (المجلّدالاوّل ـ الّصفحة ال ٦٤ ـ) لابى نُعَيْم بأسناده عن **حذيفة** قال : قالوا: يارسول الله الاتستخلف **علياً** ؟

قال : « ان تُولُّوا **علياً** تَجِدوهُ هٰادِياً مَهْدِيّاً يَسْلُكُ بكُمُ الطّريق المستقيم » .

و فيه ايضا بأسناده عنه ايضا قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : اِنْ تستخلِفوا **علياً** ؛ وَمٰا اَراكم فاعلين ، تجدوه هادياً مهديّاً يحملكم على المحجّةالبيضاء » .

وعلى هذا فما نقل عن عمر فى علىّ هو عين ما روى عن الرّسول فى حقه ١ ولعلّه (رض) كان بقوله هذا يشير الى ذلك القول عن النّبى (ص) و مازاد عليه عمر شيئا (وان اسقط منه كلمتىْ هادياً مهدياً) الّا انّ فى ما روى عن النّبى لم يُجعل لعلىّ عِدلٌ غير الشيخين ، وان رجّح فيه ايضاً عليهما بالأوصاف المعنويّة اللّازمة للامامة على الأمّة ، المقوّمة للخلافة الصالحة عن الرّسول ، من كونه «هادياً» ، «مهدياً» فيكون حاملاً للأمّة على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم ، ولكنّه فى ما نُقل وأثر عن عمر ونسب اليه انزله الدّهر حتّى جُعل عِدلاً « لذى البأْو باصبعه » و «للضّعيف الّذى يضع خاتمه بيد امراته» و «للشّكس الوقس الوعق » و «لصاحب المقنب والقنص والقوس والأسهم » و «لحامل بنى اميّة وبنى ابى مُعَيْط على رقاب الناس» بل وجُعل الأمر كما ستعلم بحيث ينتج ان يُقدّم عليه من لا يرْجى ان يعادله . فتجاوز الله عمّن تجاوز حقّه .

٢٨٤ – نِهاء ذاك الطّريق ونتاج تلك المقدّمات

نعتقد الشّيعة ان نهاية تلك الطّرية الأنيقة كانت من بدايتها معلومة اذ كانت ترتيب مقدّمات الأمر وتنظيمها على ما يجعل ترتّب النتيجة عليها ضروريّة بتّية .

وتعتقد انّ الغرض من رسم هذا الطّرح ووضع هذا الطّربق ان يُختار **عثمان**

---

١ ـ ولعل الى هذه الرواية يشير **على** نفسه يوم الثالث بعد بيعته وبعد ما امربتقسيم المال بين المسلمين بالسوية لكل فرد ثلاثة دنانير ولم يفضل احداً على احد ، وما فرق بين العربى و العجمى ، والاحمر والاسود ، و صار ذلك ثقيلا على بعضهم « **كطلحة و الزبير وعبدالله** بن **عمر** وسعيد بن **العاص** و **مروان** بن **الحكم** و رجال من قريش و غيرها فتكلموا بينهم فى ذلك واخبر عبيدالله بن ابى رافع كاتب **على** اياه بما تكلموا به فقال **على** :

« والله لئن بقيت وسلمت لهم لاقيمنهم على المحجة البيضاء والطريق الواسع».

و سيجيء هذه القضية بطولها نقلا عن شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (المجلد الثانى ـ الصفحة ال ١٧٢ ـ) حين البحث عن خلافة **على** ان شاءالله .

للخلافة ، وتتعين الخلافة له[١] وكان الراسم على يقين من ذلك، ولكنه اراد ان يطرحها عن غارب من ابتكره ورسمه واسسه ، وان يجعل تبعة الاختيار، ان استتبع تبعة سوء ، كما كان يتفرس ويعتقد ويقول ، على كاهل الشورى والنخبة الكبرى .

وتقول الشيعة فى بيان ما تعتقده :

ان امر الانتخاب كان بحيث لايتعدى عن احد الشخصين : **علي** و **عثمان**[٢] وكان مردداً بينهما ولا يتجاوز عنهما الى غيرهما، ولاسيما بعد ما استنقص الخليفة من غيرهما ، من المرشحين ما استنقص .

نظرالى وضع الموازنة للرأى بين المنتخبين

فانتخب للشورى، باستناد كونهم مرضياً للرسول، افراداً بحيث يكون انتخاب **عثمان** مقطوعا به ، فأول مايلفت النظر اليه ان اربعة منهم ، وهم الأكثر ، يقوى فى النظر فى مايظهر ان يراعوا جانب **عثمان** ، لوجود النسبة والعصبية، اولمناسبة العقيدة والسليقة ، اولانحراف من علي .

اما **عبدالرحمن** فكان صهراً **لعثمان** على **ام كلثوم** بنت **عقبة** ابن ابى **معيط**، اخت **عثمان** من امه : اروى بنت كريز فكانت **ام كلثوم** تحت **عبدالرحمن** فلم يك يدع جانب **عثمان** .

و **سعد** كان من بنى زهرة فهو و **عبدالرحمن** ابنا عم وطبيعي اوعادي، بحسب الظاهر، ان يراعى **سعد** جانب من يراعى **عبدالرحمن** جانبه .

و **طلحة** فكان فيه انحراف عن **علي** ، كما صرح به بعضهم ، على انه كان يعرف ان **علياً** « خشن فى ذات الله » لايتبع هويه ، ولا يعدل عن العدل والتسوية ، بل يحملهم على الحق بالسوية .

وعلى هذا فيترجح جانب **عثمان** .

---

١ - وكأنه ارشد الى ذلك بقوله له : « كأني بك قد قلدتك قريش هذا الامر، لحبها اياك .... »

٢ - كماصرح به **عمر** فى قوله ، المنقول عن **الطبرى** آنفا : «وما اظن ان يلي الا احد هذين الرجلين : **علي** و **عثمان** فان ولي....»

ثمّ، لوفرض ان **طلحة** كان يمكن ان يميل الى **عليّ** (اولايرجع ابّان الشّور الى المدينة، على ما قيل: انّه لم يكن وقتئذٍ فى المدينة [1] وجاء اليها بعد ختم الشّورىٰ فسلّم انتخاب **عثمان** و بايعه) كان ايضا الرّجحان لكفّة **عثمان** و كانلجانبه رجحان لأنّ **عبدالرّحمن** كان رأيه له، فلاجرم يكون الرّجحان معه.

هكذا كان امرالشّورىٰ و رسمه. وقد عرف **عبّاس**، عمّ الرسول (ص)، بل‌و**عليّ** نفسه، ما اُريد بهذا الرّسم من النّتيجة فاقترح على**عليّ** بعدم الشّركة فى‌تلك الشّورىٰ وصرّح **عليّ** بانّه يعرف منه ما يعرفه **عبّاس** وانّما يدخل فيها لمكان‌مصلحة يريٰها فى‌شركته، وابان عن تلك المصلحة فى بعض كلماته كماسيجيء.

٢٨٥ ـ وصيّة عمرلأبى طلحة فى اصحاب الشّورىٰ

قال **الطّبرى** فى‌تاريخه (الجزء الثالث ـ الصفحة ال ٢٩٤ ـ):

« قال **عمر** لأبى‌طلحة الأنصارى:

« يا **اباطلحة** انّ الله عزّوجلّ طال‌ما اعزّ الأسلام بكم [2] فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحِثّ هؤلاء الرّهط (اى اصحاب الشّورىٰ) حتّى يختاروا رجلاً منهم.

« وقال **للمقداد بن اسود**:

---

١ ـ ولعله لما سمع من عمر (رض) قوله: (. . . ولقد مات رسول‌الله (ص) ساخطا عليك . . . .» و علم اعتقاده و سوء رايه فيه يئس فخرج من المدينة تعرضاً و يشعر بذلك مايجيء من قول عمر فى ماسيجيء قريبا: « و من لى بطلحة؟ » **وقول سعد له: « انا لك ولايخالف ان شاء الله »** ثم قول عمر: « **ارجو ان لايخالف ان شاءالله** ».

٢ ـ وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى: « واخرج **ابن‌سعد عن‌انس** قال: ارسل **عمر** الى **ابى‌طلحة الانصارى**، قبل ان يموت ساعة، فقال: كن فى خمسين من‌الانصار مع هؤلاء ـ النفر، اصحاب الشورى فانهم فى‌ما احسب سيجتمعون فى‌بيت فقم على ذلك الباب باصحابك فلاتترك احداً يدخل عليهم! ولاتتركهم يمضى اليوم الثالث حتى يؤمروا احدهم.»

«اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرّهط فى بيت حتّى[1] يختاروا رجلاً منهم.

«وقال لصهيب:

«صَلِّ بالنّاس ثلاثة ايام[1] و اَدخِل علياً و عثمان و الزّبير و سعد و عبدالرّحمن بن عوف وطلحة، ان قدم[2]، واَحضِر عبدالله بن عمر، ولاشىء له من الامر، وقم على رؤسهم.

امر عمر بقتل من ابى من اهل الشورى عن البيعة

«فان اجتمع خمسة و رضوا رجلا و ابىٰ واحد فاشدخ رأسه او اضرب رأسه بالسّيف!.

«وان اتّفق اربعة فرَضَوْا رجلاً منهم وأبىٰ اثنان فاضرب رؤسهما.

«فان رضى ثلاثةٌ، رجلاً منهم فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الّذين فيهم عبدالرّحمن بن عوف واقتلوا الباقين، ان رغبوا[3] عمّا اجتمع عليه النّاس.

---

۱ - فاختير صهيب لامر دين الامة، ولم يختر لامر دنياهم، كماقالوا ذلك لابى بكر، ولو كان مسئلة «الائمة من قريش» مانعاً من خلافته فهلا جعل هذا الرجل المختار لامر الدين، الصالح للامامة على المسلمين من اصحاب الشورى، منتخباً (بكسرالخاء) لامنتخباً (بفتح الخاء) كى يصير العدد سبعة ولايتحمل التساوى حتى يحتاج الى ترجيح احد المتساويين او المرجوح منهما على غيره؟ فتدبر.

۲ - يظهر منه ان طلحة لم يكن تلك الحين حاضراً وقد صرح بذلك قبل هذه الجملة حيث قال: «... و طلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الايام الثلاثة فاحضروه امركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا امركم. ومن لى بطلحة؟ فقال سعدبن ابى وقاص: انا لك به ولايخالف ان شاءالله فقال عمر: ارجوا ان لايخالف ان شاءالله...».

۳ - ما معنى هذاالشرط؟ وماذا اريد بالناس واجتماعهم؟ فاذا كان الناس لم يجتمعوا على ما اتفق عليه الثلاثة التى فيهم عبدالرحمن بل اجتمعوا على ما اتفقت عليه الثلاثة التى خالفت كيف تكون الحال؟ و هل كان للناس فى هذا الانتخاب و الاجتماع اختيار ام كان الانتخاب بيد هؤلاء الستة التى كان انتخابهم بيدالخليفة و باختياره لابيدالناس واختيارهم؟

تصريح علي بعدول الامرعنه بحسب طرح عمر، الشورى

«فخرجوا . فقال عليّ لقومٍ كانوا معه من بني هاشم : « ان اطيع فيكم قومكم لم تؤمروا ابدا».

«وتلقاه العبّاس فقال (يعني عليّاً) : عدلَت عنّا . فقال (يعني العبّاس) : وما علمكَ؟ قال:

« قرَن بي عثمان وقال: كونوا مع الأكثرفان رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلا فكونوا معالّذين فيهم عبدالرحمن بن عوف .

«فسعد لايخالف ابن عمّه عبدالرّحمن و عبدالرّحمن صهرعثمان لايختلفون فيولّيها عبدالرّحمن ، عثمان ، اويولّيها عثمانُ ، عبدالرّحمن فلوكان الآخران معي لاينفعني . . . .

« الى ان قال عبّاس :

«واحذرْ هؤلاءِ الرّهط فأنّهمْ لايبرحونَ يدفعوننا عن هذا الأمرِ حتىٰ يقومَ لنا به غيرُنا وايمُ الله لاتناله الا بشرٌ لاينفعُ معهُ خيرٌ . . . .

« و روى انّ عمر لمّا قال : «كونوا مع الثلاثة التي عبدالرّحمن فيها » .

« قال ابن عبّاس لعليٍ : « ذهب الأمر منّا ، الرّجل يريد ان يكون الأمر في عثمان » .

« فقال عليّ :

مناقضة فعل عمر لروايته على ما قال علي

« وانا اعلم ذلك ولكنّي ادخل في الشّورىٰ لأنّ عمر قداهّلني الخلافة وكان قبل يقول : انّ رسول الله (ص) قال: « انّ النّبوّة والأمامة لايجتمعان في بيت» .

«فأنا ادخلُ لِأُظهر للنّاس مناقضة فعله لروايته».

٢٨٦ ـ كلام عمر في جمع النّبوّة والخلافة

قال ابن ابي الحديد في شرحه على النّهج[1] :

---

١ ـ حدث الطبري ايضا بهذه الحكاية (الجزءالثالث ـ الصفحة ال ٢٨٨ ـ) باسناده ←

« قال عمر لعبدالله ابن عبّاس يوماً :

« يا عبدالله ما تقول فی منع قومكم منكم ؟

« قال : لا اعلم يا اميرالمؤمنين .

« قال : اللّهمّ اغفر انّ قومكم[۱] كَرِهُوْا اَنْ يَجْتَمِعَ لكمُ النُّبُوَّةُ والخِلافةُ فَتَذْهَبُونَ فی السّماء بَذْخاً وشَمْخاً !

« لعلّكم تقولون : انّ ابابكر اراد الأمر عليكم وَهَضَمَكُمْ ، كلّا . لكنّه حضره امرٌ لم يكن عنده احزم ممّا فعل . ولولا رأی ابی بكرفیّ بعد موته لَاَعادَ اَمْرَكُمْ اليكم[۲] . . . . »

وقال ابوالفرج فی الاغانی (الجزء التاسع ـ الصفحة ال ۱۳۹ ـ) :

« اخبرنی احمد بن عبدالعزيز الجوهری قال : حدثنا هرون بن عمر قال . . . . عن عمر بن عبدالله الليثی قال : عمر بن الخطّاب ، ليلة مسيره الی الجابية ، اين ابن عباس؟ فاتاه فشكا تخلّف علیّ بن ابی طالب ، رضی‌الله‌عنه ، فقال : اولم يعتذر اليك ؟ قال : بلی . فقلت : هوما اعتذرُ به . ثم قال : « اوّل من ريثّكم عن هذا الامرابوبكر. انّ قومكم كرهوا ان يجمعوا لكم الخلافة والنّبوّة[۳]..... »

←

عن رجل من ولد طلحة عن ابن عباس تارة ، وباسناده عن عكرمة عن ابن عباس مرة اخری ، والاختلاف بينهما يسير لايعبأ به . وفی المنقول الثانی من الطبری تتمة كلام لابن عباس علی كلام عمر : « كرهوا ان يجمعوا » و علی كلامه « فاختارت قريش لانفسها فاصابت و وفقت » .

---

۱ ـ فی هذه الرواية قال : « قومكم » و فی ما نقل علی عنه قال : « قال رسول‌الله : ان النبوة والامامة لاتجتمعان » ولعله قد يقول هذا وقديقول‌ذلك كلا لمناسبة .

۲ ـ فی التعبير بالاعادة و « الامر » المضاف ، مالا يخفی.

۳ ـ اظن ان ما نقلته آنفا عن ابن ابی‌الحديد كان ايضا منقولا من الجوهری .

٢٨٧ ـ اهل الشُّورىٰ وما قال عمر فى حقّهم

ابدع **عمر** لتعيين الخليفة ، الشُّورىٰ من بين الاُمّة بانتخابه ، لا بانتخاب الاُمّة و برأيهم ، ستّة نفر من خصوص قريش (لأنّ الأئمّة من قريش) وقد عرّفهم تارة بأنّهم :

« هم الّذين مات رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ وهُمُ الّذين بُشّروا على لسانه بالجنّة »[1].

اوصاف من رشحهم عمر للخلافة على ما صرح نفسه بها

ووصفهم مرّة ، على مانقلوا عنه ، باوصاف لايصلحون عنده معها للخلافة وليسوا اهلاً لها .

فوصف **عبدالرّحمن** ، الذى رجّحه على غيره ، بالضّعف وقال :

« وليس يصلح هذا الامر لمن فيه ضعف كضعفك » على انّه من زهرة « وما زُهرة وهذا الامر؟ »[1].

ووصف **سعد** بن **ابى وقّاص** بانّه :

« صاحب مِقْنَبٍ وصاحب قَنَص وقوس واسهم » وهو من بنى زهره ايضا « وما زهرة والخلافة وامور النّاس؟ »[2] .

ووصف **الزّبير** بانّه :

« وَعِقٌ لَقِسٌ مؤمنُ الرّضا كافر الغضب ، يوماً انسانٌ ويوماً شيطان ! فليت

---

١ ـ العشرة المبشرة على ماقالوا ، هم الخلفاء الاربعة **وطلحة والزبير وعبدالرحمن** بن **عوف** و **سعد**بن **ابى وقاص** و **سعيد** بن **زيد** بن **عمرو** بن **نفيل** (وهوالذى لم يدخله **عمر** فى اهل الشورى وصرح فى ما قال ـ الجزء الثالث من الطبرى ، الصفحة ال ٢٩٣ ، « عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله(ص) : انهم من اهل الجنة ، سعيد بن زيد . . . منهم ولست مدخله ولكن الستة : على و عثمان . . . » الخ).

٢ ـ اما كان الملاك كون الخليفة من قريش؟ ثم اما كان بنوزهرة منها؟ وبعد ـ اللتيا والتى هل يوجد فى تاريخ قريش ما يثبت فضل تيم وعدى على بنى زهرة؟ بل يظهر مما قاله **ابوسفيان** عن تيم بانها « اذل بيت واقل حى » خلاف ذلك.

شعرى من يكون للناس يوما تكون شيطانا !...؟»

ووصف طلحة بأنّه :

«ولقدمات رسول الله ساخطاً عليك بالكلمة التى قلتها يوم اُنزلت آية الحجاب »

على انّه سخط الخليفة ابوبكر، حين موته، عليه ايضا فقد دريت ان طلحة لمّا قال لأبى بكر: «أعمر خير الناس !؟» اشتدّ غضب الخليفة وقال: « اِىْ والله هوخيرهم وانت شرّهم! أما والله! لَوْ ولّيتك لجعلْتَ انفكك فى قفاك ولرفعْتَ نفسكك فوق قدرها ! قُمْ لا أقامَ اللهُ رِجلَيْكَ!».

ووصف عثمان بأنّه :

« والله لئن وليها ليحملنّ بنى ابى مُعَيْط على رقاب الناس ثمّ لتنهضنّ اليه العرب فتقتله » .

نَعَمْ استثنىٰ من بين الستّة علياً فما وصفه بمايُخرجه عن الصّلاحية بل صرّح بصلوحه الكامل وكماله الملازم للخلافة بقوله: «لله انْتَ ، لَوْلا دُعابةٌ فيك، امّا وَالله لئِنْ وُلّيتَهمْ لتحملنّهمْ عَلَى الحقّ الْواضحِ والْمحجّةِ الْبَيْضاءِ» .

وكيف كان جرى التقدير وَفْق التدبير فاستقرّ الأمر على هؤلاء الستّة ، للشّور والمؤامرة، وانتخاب الخليفة من بينهم بالمذاكرة والمشاورة .

فلنذهب معهم الى تلك الشّورى ونشاهد عياناً ما يجرى فى ذلك النّادى من ماجريات الحقّ والعدل ونرىٰ :

٢٨٨ ـ الشّورىٰ وماجرت فيها

اجتمع اصحاب الشّورىٰ فى بيت عائشة، امّ المؤمنين (رض) ، كماعن بعضٍ ، اوفى محلٍّ آخر ، او فى المسجد، كماهوالأشهر ، واجالوا الراى والنّظر ، واطالوا البحث والجدل ، فطال الشّور، وملّ القوم، واو شك ان يقع التّشاجر والنّزاع بين من يميل إلى عثمان ويرضيه ، وبين من يرجّح جانب علىّ ويهويه .

قال الطبّرى فى تاريخه (الجزء الثالث ـ الصفحة ال ٢٩٧ ـ) :

« . . . فقال عمّار (يعنى لعبدالرّحمن بن عوف بعد ما قال عبدالرحمن للقوم: اشيروا علىّ) : « ان اردت ان لايختلف المسلمون[1] فبايع علياً » .

فقال المقداد بن الاسود : « صدق عمّار ان بايعتَ علياً قلنا : سمعنا واطعنا » .

« قال ابن أبى سرح[1] : « ان اردت ان لاتختلف قريش فبايع عثمانَ » .

« فقال عبدالله ابن ابى ربيعة : « صدق ان بايعتَ عثمانَ قلنا : سمعنا واطعنا » .

« فشتم عمّار ، ابن ابى سرح وقال : « متى كنتَ تنصح للمسلمين؟ » .

« فتكلّم بنوهاشم و بنو اميّة !

« فقال عمّار :

« ايّها النّاس ! انّ الله عزّ وجلّ اكرمنا بنبيّه ، واعزّنا بدينه ، فأنّى تصرِفُونَ هذا الامر عن اهل بيت نبيّكم؟ »

« فقال رجل من بنى مخزوم : لقد عدَوْتَ طَوْرَكَ يا ابن سُميّة و ما انت وتأمير قريش لأنفسها[2] .

---

١ ـ عبدالله بن سعد بن ابى سرح : هو احد الاربعة التى امر رسول الله يوم فتح مكة بقتلهم ، ولو وجدوا تحت استار الكعبة ، ففر ابن ابى سرح الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة ارضعت امه عثمان فغيبه عثمان حتى اتى به رسول الله فاستأ منه له فصمت رسول الله طويلا ثم قال نعم.... (راجع الاصابة والاستيعاب) .

٢ ـ يظهر من هذا التعبير ان وجه عامة المسلمين كان شطر علي وكانت خلافته محبوبة لهم كما يظهر من كلام ابن ابى سرح ان قريش خاصة كانت متوجهة الى عثمان لما كانت تعرف من حملهم على رقاب الناس و ايثاره اياهم بالفيء ، او لما كانت تكن صدورهم من بغض علي ، او لما كانت تعرف من علي من خشونته فى جنب الله ، او من حمله اياهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء ، ولا يكادون يتحملون ذلك . و ينبغي ان يتامل فى كلمات الفريقين و يعتبر منها فابن ابى سرح وموافقوه تمام توجهم الى قريش و « تأمير قريش لانفسها ! » و عمار و المقداد ينظرون الى المسلمين و مصلحتهم ، و يراعون الحق والعدل ، وينصحون لما يعرفون من الحقيقة .

« فقال سعد بن ابى وقّاص : يا عبدالرّحمن افرغ قبل ان يفتتن النّاس.

« ثمّ دعا عبدالرّحمن عليّاً فقال : عليكَ عهدالله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده .

« قال (اى علىّ) : ارجو ان افعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى .

« ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلىّ .

« قال : نَعَمْ فبايعه .

« فقال علىّ :

«حَبَوْتَه(اعطيته) حَبْوَدهر. لَيْسَ هذا اَوَّلُ يَوْمٍ تَظاهَرْتُمْ فِيْهِ عَلَيْنا فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعان عَلىٰ ماتَصِفُوْنَ. وَاللهِ ماوَلَّيْتَ عثمانَ اِلّا لِيَرُدَّ الْأَمْرَ اِلَيْكَ [1] . وَاللهُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ....» .

« فخرج علىّ وهو يقول : سَيَبْلُغُ الْكِتابُ اَجَلَه .

« فقال المقداد :

« يا عبدَالرّحمن اَما والله لَقَد تركته من الّذين يَقْضُوْنَ بالحقّ و به يَعْدِلُون .... ما رايتُ مثلَ ما اُوتى إلى اهل البَيْتِ بعدَ نبيّهم . انّى لَأَعْجَبُ من قريشٍ انّهم تَرَكُوْا رَجُلاً ما اَقُولُ اَنَّ اَحداً اَعْلَمَ ولا اَقْضىٰ مِنْه .اَمٰا وَالله لَوْ اَجِدُ عليه اعوانا ..... » .

---

١ - وفى رواية غيرالطبرى: « الا لانك رجوت منه مارجا صاحبكما من صاحبه ، دق الله بينكما عطر منشم » قال ابن ابى الحديد : « وقد فسد بعد ذلك بين عثمان و عبدالرحمن فلم يكلم احدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمن» ونقل عن كتاب « الاوائل » لابى هلال العسكرى ما هذا لفظه : « استجيبت دعوة على فى عثمان و عبدالرحمن، فما ماتا الا متهاجرين متعاديين.

ارسل عبدالرحمن الى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : « لقد وليتك ماوليتك من امرالناس وان لى لاموراً ما هى لك : شهدت بدرا و ما شهدتها و شهدت بيعة الرضوان و ما شهدتها. وفررت يوم احد و صبرت » فاجابه عثمان بما اجاب وفيه : « واما صبرك يوم احد و فرارى فلقد كان ذلك فانزل الله العفو عنى.... » .

٢٨٩ ـ اقتراح ابن عوف وما اجاب عنه عليّ وعثمان

وبالجملة، اقترح عبدالرّحمن «العمل بسيرة الخليفتين» مزيداً على «العمل بالكتاب والسنّة» فقال عليّ : «ارْجو انْ افعل فاعمل بمبلغ علمي ذلك وطاقتي» وقال عثمان : «اللّهمّ نَعَم» فبايع عبدالرّحمن، عثمانَ. وتكلّم عدّة من اعاظم الصّحابة كمقداد و عمّار واضرابهما لعليّ، والمسلمين، وتكلّم بعضٌ كابن ابي سرح و ابن ابي ربيعة ورجل من بني مخزوم لعثمان، ولقريش، فحدث اللّغط من الغوغاء وحصل الجدل في خارج المسجد وداخلها بكيفيّة هَوْجاء[1].

تشديد ابي طلحة واعوانه على علي بالبيعة

وعلى ما قال الطّبري:

«وتلكّأ عليّ» فقال عبدالرّحمن «ومَنْ نَكَثَ فانّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ ....

و شدّد ابوطلحة و اعوانُه على عليّ و اعوانِه بالبيعة، و هدّدهم عبدالرّحمن فقُضي الأمر و تمّ الشأن وخُتم الشّور فبايع عليّ و، على ماروى الطّبري، وغيره: «هو يقول : خدعة وايّما خدعة!!»

٢٩٠ ـ ارتاج الكلام على عثمان

قال صاحب «البدء والتاريخ» في «ذكر بيعة عثمان بن عفّان، رضه».

«قالوا : واقبل عبدالرّحمن بن عوف إلى عليّ بن ابي طالب فقال :

«عليك عهدالله و ميثاقه و اشدّ ما اخذالله على النّبيّين من عهد و عقد ان انا وليتُك هذا الامر لتعملنّ بكتاب الله وسنّة نبيّه ؟ .

«فقال : نعَم طاقتي وجُهدي ومبلغ رأيي.

---

١ ـ الغوغاء : «الكثير المختلط عن الناس ، السفلة من الناس والمتسرعين الى الشر» والهوجاء : «من الرياح ، التي لاتستوي في هبوبها وتقلع البيوت».

« ثمّ اقبل على علی عثمان فقال له : عليك . . . . (إلى آخرما قال لعلىّ) .

« قال: نَعَم، لازول عنها ولا ادَع منها شيئاً وبَسَطَ يَدَه .

« وكرّر عبدالرّحمن هذه الكلمة على علىّ و على عثمان مراراً كلّ ذلك يجيبانه مثل الأوّل ويَبْسُطُ عثمان يَدَه . وبنوهاشم و بنو اميّة قيام ينظرون مايكون .

« فضرب عبدالرّحمن على يد عثمان و بايعه على الأمر ثمّ تتايع[1] النّاس على ذلك . و خرج عثمان و وجهه يتهلّل و علىّ كاسفُ اللّون ارْبَدُ لم يبايعه و دخل منزله ورفع عمّار عقيرته يقول :

يا ناعِىَ الإسلامِ قُمْ فانْعَهُ
قَدْ ماتَ عُرْفٌ وَاتى مُنْكَرٌ»

ثمّ قال صاحب الكتاب :

« هكذا رايته فى بعض التواريخ و ما اظنّه حقّاً[2] والله اعلم ورُوى انّ سلمان جعل يقول ذلك اليوم: « كردند، نكردند. كردند ، نكردند . » (اى فعلوا ولم يفعلوا . فعلوا ولم يفعلوا .)

استغلاق الكلام على عثمان فى خطبته بعد البيعة

« ثمّ قام عثمان على المنبر خطيباً فحمدالله واثنى عليه و أُرْتِجَ عليه الكلام فقال :

« انّ هذا مقامٌ ماكنّا نَرىٰ انْ نَقومه! وانّ اوّل مركب صعبٌ ، و انّ مع اليوم ايّاماً ، وماكنّا خطباء ، وسيُعلّمنا الله، ولا آلو امّة محمّد خيراً » ونزل .

« ومشىٰ اهل الشّورىٰ إلى علىّ وقالوا :

---

۱ ـ لعله : تتابع .

۲ ـ هذه القضية هكذا وردت فى التواريخ ولا اختلاف لها فى اصلها وبهذا يشعر كلمة «قالوا » التى صدرت القسمة المنقولة، بها وعلى هذا فجملة « هكذا رايته فى بعض التواريخ وما اظنه حقاً » ليس بواضح الا ان يكون باعتبار جملة « ويبسط عثمان يده » وجملة «وخرج عثمان و وجهه يتهلل » و جملة « وعلى كاسف اللون » التى ليست فى جميع التواريخ بل فى بعضها .

« قم فبايع . قال :

« فأن لم افعل .

« قالوا : نجاهدك . فجاء فبايَع » .

خلاصة القول : انّ الخلافة على اساس ذاك الطّريق الأنيق و بعد هذا الشّور-الدّقيق العميق ! صارت لعثمان (رض) ورجع علىّ (ع) الى حيث كان من عُقْرداره ، وعاد الى اصطبماره حتّى يحكم الله برجوع الامر إلى ما قدّر من قراره .

٢٩١ - تنبيهات حولَ الشُّورىٰ

الأوّل منها :

ممّا يجدرهنا بالتذكّر ويستحقّ فيها التّدبّر امور نشير إلى جملة منها وننبّه عليها. اوّلها كلمة علىّ عليه السّلام فى الشُّورىٰ وهى على ما اورده الطّبرى فى تاريخه.

« . . . . ثمّ تكلّم **علىّ** بن ابى طالب ، رضى الله تعالى عنه ، فقال .

« اَلْحَمْدُ لله اَلَّذِى بَعَثَ محمّداً مِنّا نَبِيّاً وَبَعَثَه الينا رَسُولاً .

« فَنَحْنُ اَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّة . اهل بيت النبوة امان اهل الارض

« وَمَعْدِنُ الْحِكمة .

« وَاَمانُ اَهْلِ الْاَرْضِ .

« وَنجاةٌ لِمَنْ طَلَب .

« لَنا حَقٌّ اِنْ نُعْطَه نَأخُذُهُ وَاِنْ نُمْنَعهُ نَرْكَبْ اَعْجازَ الْاِبِلِ ، وَلَوْطَالَ السُّرىٰ » .

هذه كلمة القيٰها **علىّ** فى ذلك النّادى و فى مجتمع الأعاظم من الصّحابة على ماروٰاها **الطّبرى** فليتدبّر فى تلك الجمل: « فنحن امان اهل الأرض » و « نجاة لمن

طلب » و « لنا حق ان نعطه.... »[١].

٢٩٢ ـ الثانى من التنبيهات

حصول الأكثرية لعلى و عدم اعتداد عبدالرحمن بها .

وذلك لأن **طلحة** ، كما دريت ، لم يكن حاضراً فى الشورى[١] ، وورد المدينة بعد ختام المؤتمر وتمام الأمر ، وكانت العدة الحاضرة من الستة المعينة ، على هذا ، خمسة وكان رأى **الزبير و سعد** ، **لعلى** فكان جانبه ارجح و موافقوه أكثر فكان من الحق ان يختار و يؤثر . فانظر إلى ما اورده **الطبرى** فى تاريخه (الجزء الثالث ـ الصفحة ال ٢٩٦ ـ) قال : « . . . حتى اذا كانت الليلة التى يستكمل فى صبيحتها الأجل اتى[١] منزل المسور بن مخرمة بعد ابهرار من الليل فايقظه فقال الا[١] اريك نائماً ولم اذق فى هذه الليلة كثير غمض ، انطلق فادع **الزبير و سعدا** . فدعاهما « فبدء **عبدالرحمن** ، **بالزبير** فى مؤخر المسجد فى الصفة التى تلى دار مروان « فقال له :

كان موافقو على بالرأى، فى الشورى اكثر فجانبه كان ارجح

« خل ابنى عبدمناف وهذا الأمر . قال :

« نصيبى لعلى .

« وقال **لسعد** : انا وانت كلالة[٢] فاجعل نصيبك لى فأختار .

« قال : ان اخترت نفسك فنعم . وان اخترت **عثمان** فعلى احب الى ... »

وعلى هذا كان على **عبدالرحمن** ان يتبع الحق ولايغفل عمن يدور اينما دار الحق وينادى جهاراً بان « لناحق » .

---

١ ـ قد نقل عنه (ع) ما يفيد هذا المفاد من اول يوم بعد وفاة الرسول (ص) فى عدة موارد وقد ذكرنا بعضها ، منها ما نقلناه عن « العقد الفريد » للفقيه المالكى (فى آخر الكلام عن « العترة » و « اهل البيت ») فراجع .

٢ ـ ماذا اراد بهذا الكلام وكيف كان الامر والحق عند هؤلاء الاكابر؟ .

٢٩٣ - الثّالث

استبداد عبدالرّحمن في الزامه والي الأمر بالعمل على سيرة الخليفتين بعد اخذ العهد والميثاق منه بالعمل بكتاب الله وسنّة رسوله حيث قال: «عليك عهدُالله وميثاقه لتَعْمَلَنَّ بكتاب الله وسنّة رسوله، وسيرة الخليفتين من بعده».

اترُى انّه (رض) كان يرى في سيرتهما ما لا يوافق الكتاب والسّنّة او يخالفهما؟!

فان لم يكن في زعمه ذلك، ولعلّه لم يكن، فالتعهُّد للعمل بالكتاب والسّنّة والالتزام به كان كافيا على الوالي وقد التزم وتعهّد عليٌّ به [1].

ما معنى الزام والي الامر بعد التزامه العمل بالكتاب والسنة بان يعمل على سيرة غيره

وان كان في زعمه ذلك، وما هكذا الظّنّ به، فلما ذا يجب على والي الامر ان يلتزم به ويتعهّد له فيخالف بهذا العمل، ما التزم به من العمل بالكتاب والسّنّة ويناقض ذيل تعهّده صدره؟!

وكيف كان فعلى هذا كيف يمكن الجمع بين العهدين؟ وامّا كان هذا تكليفاً بالمحال؟.

ثمّ هلا قنع واكتفى **عبدالرّحمن** بما قاله **عليٌّ** في جوابه من قوله، على رواية **الطّبري**: «ارجُو انْ افعل واعمل بمبلغ علمي وطاقتي»؟

اما كان للمنصف المخلص لله في هذا الجواب القاطع، مُقنع؟ اليس لايكلّف الله نفساً من العلم الّا ما آتيٰها ومن وُسع الطّاقة في العلم الّا ما اعطيٰها؟.

---

١ - الى هذا يشير ما قاله **الحسن بن علي** لقيس بن سعد **الانصاري**، حين بايعه: ففي «الكامل» **لابن الاثير** (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٠٢ -): «و في هذه السنة، اعنى سنة اربعين، بويع **الحسن بن علي**، بعد قتل ابيه، و اول من بايعه **قيس بن سعد الانصاري** وقال له: ابسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه، و قتال المحلين. فقال له **الحسن**: «على كتاب الله و سنة رسوله. فانهما يأتيان على كل شرط» فبايعه الناس ...».

٢٩٤ - العمل بالسيرة المقترحة مع تنافيه لما جوّزوا من الاجتهاد، متعذّر لوجود الاختلاف

دع ذاك وذر هذا، وانظر الى ما يُدّعى من «الأجتهاد» بالمعنى الوسيع وسل:

أمَا كان لكلّ من الخليفتين جائز ان يجتهد ويعمل بما ادّى اليه اجتهاده وارشده جهده وطاقته فلِمَ لايجوز ذلك لثالثهما، كائناً من كان: **عليّ** كان او **عثمان**، فكيف اذا كان الثّالث **علياً** وهو، هو في العلم والعمل؟ وكان اعلمهم بعد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم [١].

فماذا هو الّذي اوجب ان يُمنع خليفة المسلمين واعلمهم، من حقٍّ ثبت لكلّ صحابيّ سوقيّ او جنديّ ويُلزَم العمل بما سار عليه غيره، في زمانٍ غير زمانه، ولأمورٍ لعلّه لايناسب بمقامه وشانه؟

اليس في الزام التعهّد بهذا الميثاق والعهد سدّ باب الأجتهاد والجهد؟ (على ما يراه القوم حقّاً).

ثمّ اسألْ: هل يتصوّر امكان الجمع بين السّنّة وسيرتهما، رضي الله عنهما؟

اما كانت، على ماصرّح به **عمر**، السّنّة العمليّة ممّن هو خير منه اى الرّسول (ص) ترك الاستخلاف، والسيرة المعمولة ممّن هو خير منه، يعني ابابكر، النصّ والأستخلاف؟

فكيف جاز لعمران لايعمل لابالسّنّة ولا بالسّيرة وان يسلك طريقا ثالثا ويسير الى رسم الشّورى وطرحه؟ وكيف كان فكيف يمكن للثّالث ان يتعهّد العمل بسنّة الرّسول (ص) وسيرة **ابى بكر** (رض) وسيرة **عمر** في خصوص هذا الموضوع اذاحان حينه وقرب اجله واراد ان يعالج امر الخلافة بعده؟

---

١ - قد مر مارواه جلال الدين السيوطي في جمع الجوامع عن سلمان الفارسي في الحديث عن النبي (ص) حيث قال: «ان وصيي و موضع سرى و خير من اترك بعدى...» الحديث. راجع الحديث ان شئت.

٢٩٥ ـ ارشاد عليّ، الىٰ انّ الاصل المتّبع للمسلم، هو الكتاب والسّنّة

على هو للنل الكامل للحرية في الفكر والاسوة الحسنة للاقتداء بالكتاب والسنة

هيٰهنا يجب ان تخضع نفوس العقلاء والاحرار واهل الايمان، تجاه مقام **عليّ** الايماني والعلمي فانظر كيف يرشد المسلمين الى الحرّيّة في الفكر والعمل ولزوم الجهد في تطبيق الأعمال على الكتاب والسّنّة، وعدم الاعتداد الّا بما انزل الله تبارك و تعالى و جاء به نبيّه الصّادق الأمين.

٢٩٦ ـ جواب ابن عوف عمّا اعترض عليه والاشارة الى ما فيه

ويناسب المقام ان يُذكرهنا ما اجاب به **عبدالرّحمن** عن الأعتراض الّذى كان عليه في اختياره **عثمان** وتركه **عليّاً** فقد روى العلّامة المفضال، **جلال الدين السّيوطي**، في كتابه تاريخ الخلفاء عن مسند **احمد بن حنبل** بأسناده عن **ابى وائل** قال:

« قلت **لعبدالرّحمن بن عوف**: كيف بايعتم **عثمانَ** وتركتم **عليّاً**؟

« قال: ما ذنبي؟ قد بدأت **بعليّ** فقلت: أُبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة **ابي بكر** و **عمر**. فقال: في ما استَطَعْتُ.

« ثمّ عرضت ذلك على **عثمان**. فقال: **نَعَمْ** ».

واظنّ ان النّاظر في هذه الأوراق والمتأمّل في هذه الكلمات لايشكّ في انّ الذّنب، ان كان هناك ذنب، لم يرتفع ببداءة السّئوال عن **عليّ** بل لعلّة تشدّده و تؤكّده و ذلك لعلم السّائل و كلّ من كان يعرف **عليّاً** بانّه (ع) لايتحمّل التّجاوز عن الكتاب والسّنّة الى غيرهما.

ثمّ لايغفل عن جواب **عليّ**: « في ما استطعتُ » وجواب **عثمان**: « نَعَمْ » فيتوقّف في وجه قناعة **عبدالرّحمن** بالثّاني دون الأوّل ويسأل عن نفسه:

اكان الجواب الاوّل نصاً فی ردّ العمل بسیرتهما حتّی فی مایُستطاع ، ای فی مایکون موافقا للکتاب والسُّنّة ، فاعرض عنه **عبدالرّحمن** وعرض ذلک علی **عثمان** !؟

ام کان الثّانی صریحاً فی تعهّد العمل بسیرتهما حتّی فی ما لایُستطاع ، او فی ما لایستطیع ، فصحّ لعبدالرّحمن ان یقتنع به ویبایع القائل المجیب؟!

٢٩٧ ـ الرّابع من التنبیهات

مراد علیّ من قوله فی الشّوری : «لَیْسَ هذا اوّل یومٍ تظاهَرْتُمْ فیه عَلَیْنا، فَصَبْرٌ جَمِیْلٌ . . . . .»

ماذا اراد علی بسبق تظاهرهم علیه

قد مرّ سابقاً ما یفید هذا المراد ویفسّره فی قول **العبّاس**، لعلیّ وهو :

« واحذر هؤلاء الرّهط فانّهم لایبرحون یدفعوننا عن هذا الأمر. . . »

وفی قول **المقداد** بن الاسود : « .... مارایت مثل ما اُوتی الی اهل هذاالبیت بعد نبیّهم . انّی لأعجب من قریش انّهم ترکو ارجلا .....» .

وسیجیء نقل قوله (ع) : «ما رَاَیْتُ مُنْذُ بَعَثَ الله محمّداً ، رخاءً، لَقَدْ اَخافَتْنِیْ قُرَیْش .... » .

٢٩٨ ـ الخامس منها

مُناشَدَتُه اصحابَ الشُّوریٰ وفیها استناده باحادیث تعدّها الشّیعة نصوصاً علی خلافته من الرّسول صلّی الله علیه وآله وسلّم . منها حدیث غدیرخمّ .

مناشدة علی اصحاب الشوری

قال **ابن ابی الحدید** فی شرحه ذیل « ومن کلام له علیه السّلام لما عزموا علی بیعة **عثمان** :

«لقدعَلِمْتُمْ اِنّیْ اَحَقُّ بِها مِنْ غَیْرِیْ وَوَاللهِ لَاُسْلِمَنَّ ماسَلِمَتْ اُمُورُ الْمسلمینَ وَلَمْ یَکُنْ فیها جَوْرٌ اِلا عَلَیَّ خاصَّةً ، اِلْتِماساً لاَجْرِ ذلکَ وفَضْلِهِ ، و زُهْداً فی ما تَنافَسْتُمُوْهُ من زُخْرُفِه و زِبْرِجِه » (المجلد الثّانی ـ الصّفحة ال ٦١ ـ) :

«... ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الرّوايات من مناشدته اصحابَ الشّوريٰ وتعديده فضائله وخصائِصه الّتي بان بها منهم ومن غيرهم .

«قد روى النّاس ذلك فاكثروا والّذى صحّ عندنا انّه لم يكن الأمر كما رُوى من تلك التّعديدات الطّويلة، ولكنّه قال لهم بعد ان بايع **عبدالرّحمن** و الحاضرون، **عثمان** وتلكأَ هو عليه السّلام عن البيعة : «اِنَّ لَنا حَقّاً اِنْ نُعْطَه نَأْخذهُ وان نُمْنَعْه نَرْكَب اَعْجازَالابل وان طالَ السّرىٰ» في كلام قد ذكره اهل السّيرة وقد اوردنا بعضه في ما تقدّم، ثمّ قال لهم :

«اَنْشُدُكُمُ اللهَ! اَفيكُمْ احدٌ آخىٰ رسول الله (ص) بينه وبَيْنَ نفسه، حيث آخىٰ بين بعض المسلمين و بعضٍ، غَيْرِىْ ؟

« فقالوا : لاٰ . فقال :

« اَفيكُمْ اَحَدٌ قال له رسول الله (ص) : «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاٰهُ فَهٰذا مَوْلٰيه**» غَيْرِىْ ؟

« فقالوا : لاٰ . فقال :

« اَفيكُمْ اَحَدٌ قال له رسولُ الله (ص) « اَنْتَ مِنّىْ بِمَنْزِلَةِ **هرون من موسىٰ** اِلّا انّه لانبيّ بعدى » غَيْرِىْ ؟

«قالوا : لا . فقال :

« اَفيكُمْ مَنِ اؤتُمِنَ علىٰ سُوْرَةِ بَرائَة وقال له رسول الله (ص) : «اِنَّهُ لايُؤدّىْ عَنّىْ اِلّا اَنا اَوْ رُجُلٌ منّى » غَيْرِىْ ؟ .

« قالوا : لا . قال :

« اَلا تَعْلَمُونَ اَنَّ اصحاب رسول الله (ص) فَرُّوْا عَنْهُ فى مَاْقِطِ الْحَرْبِ في غَيْرِ مَوْطِنٍ وَماٰفَرَرْتُ قَطُّ ؟

« قالوا : بلىٰ . قال :

« اَلا تَعْلَمُونَ اَنّىْ اَوَّلُ النّاس اسلاماً ؟

قالوا : بلىٰ . قال :

« فَاَيُّنا اَقْرَبُ إلىٰ رَسُولِ الله (ص) نَسَباً ؟ .

« قالوا : انت .

« فقطع عبدالرّحمن بن عوف كلامه وقال : يا عليّ قد ابى النّاس ! الّا على عثمان فلاتجعلنّ على نفسكَ سبيلاً .

تهديد ابن عوف علياً بالقتل

« ثمّ قال : يا اباطلحة ما الّذى اَمَرَكَ به عمر ؟ قال : اَنْ اقتل من شقّ عصا الجماعة .

« فقال عبدالرّحمن لعليٍّ بايِعْ اذن ، والّا كنت متّبعاً غير سبيل المؤمنين ! واَنْفَذْنا فيكَ ما امرنا به ! !

« فقال : لَقَدْ عَلِمْتُمْ اِنّى اَحَقُّ بِها مِنْ غَيْرِى ، وَاللهِ لَاُسَلِّمَنَّ ... الفصل الى اخره . ثمّ مدّيده فبايع ».

٢٩٩ ـ ما قيل ، اويقال ، على الطّريق الثّالث

اشارات الى ما يردعلى الطريق الابداعى

قد تؤخذ على عمر (رض) فى رسمه هذا الخطّ وسلوكه هذاالطّريق لاختيار الخليفة ، اموراً لاضيران تُورَدَ ببعض منها الاشارة هيٰهنا :

منها ـ اذا كان يعتقد انّ رسول‌الله (ص) ، لم يعيّن الخليفة فلمّا ذا لم يَقْفُ اثره ولم يتّبع سنّته وسيرته؟ اماكان سمع ، ايضا ، قوله تعالى : « وَلَكُمْ فى رَسُولِ اللهِ أسْوةٌ حَسَنَةٌ » .

ومنها ـ اذا كان يعتقد انّ ابابكر : « خير منه » كما صرّح به فلِمَ لَمْ يهتدِ بهديِهِ ولم يسرْ بسيرته فى تعيين الخليفة؟

ومنها ـ ماذا اباح له ان « يغتصب النّاس امرهم » وان يَحْرِمَ الامّةَ حقّها ـ الّذى اعطاها الله ورسوله فى اختيار الخليفة؟

ومنها ـ بایّ اذنٍ سالف وحق سابق ، ساغ له التّصرف فى الشئون الّتى للامّة

بعد مماته ؟ وكيف اجترء على ما لم يرد له اذن من الله و رسوله ولم يفعله ، بزعمه ، من كان احقّ بفعله منه وهوالنّبى (ص)؟. هذا مع شدّة احتياطه وورعه بحيث لا يأذن ابنه ان يعبّر عنه فى هذه الحالة بكلمة امير المؤمنين ويصرّح بانّه ليس اليوم للمؤمنين امير.

ففى كتاب « صفة الصّفوة » (الجزء الاوّل ـ الصّفحة ال ١١١ ـ) تأليف **جمال الدين** ابى الفرج **ابن الجوزى** (المتوفّىٰ سنة ٥٩٧ هـ. ق) .

« . . . انطلِقْ (يأمر عمر ابنه عبدالله) الى **عائشة** ، امّ المؤمنين ، فقل لها : يقرء عليك **عمر** ، السّلام ، ولاتقل : أمير المؤمنين فأنّى لست اليوم للمؤمنين اميرا. قل : يستأذنك **عمر بن الخطّاب** ان يدفن مع صاحبيه [1] .... »

ومنها ـ لِمَ انصرف عمّا كان يختلج بباله من لزوم عدم تحمّلها حيّاً وميّتا ؟ وكيف حَمَل نفسه على ذلك اوحمل ذلك على نفسه؟ وهوالّذى قال فى جواب من اشار اليه باختيار ابنه **عبدالله** :

«حَسْبُ آل عمر، انْ يُحاسَبَ منهم واحد ويُسأل عن امرامّة محمّد. »

او قال مستوحشاً :

«لاهَا الله اذا يليها رجلان من وُلد **الخطّاب** . حَسْبُ **عمر** ماحَمَل،حَسْبُ **عمر** ما احْتَقَبَ .لاها الله لا اتحمّلُها حيّاً وميّتاً » .

وهوالّذى بعد ماقال فى حقّ **علىّ** «قد كنتُ اجمعتُ . . . . ان اولّى رجلاً امركم أرجو ان يحملكم على الحقّ» قال :

« ثمّ رايت ان لا اتحمّلها حيّاً و ميّتاً،فعليكم بهؤلاء الرّهط الّذين....»

ومنها ـ اَوَليس فى اختياره السّتّة والأنحصار فى هؤلاء الرّهط من الأمّة ، التحمّل المهروب عنه والوقوع فى ماكان يحذر منه ؟

ومنها ـ لو كان مناط الأختيار والحصر وملاك التحمّل المحذور عنه، كون هؤلاء ـ

---

١ ـ اطلاق « الصاحب » ليس من باب كونه فى الغار بل لعله من باب التوسع للمشارفة و الاول.

الرهط هم الذين بُشّر لهم بالجنّة ومات الرسول (ص) وهو راضٍ عنهم، وكون الوصف من بين الصحابة، او من بين خصوص قريش، منحصراً فيهم و باقياً لهم، ولهذا لزم على عمر (رض)، او صحّ وجاز له، ان لايشرك معهم غيرهم فيهم ولا يتجاوز عنهم الى غيرهم فهلاّ عيّن واحدا منهم بعينه لانّ الملاك المزبور موجود فيه، بلا ارتياب يعتريه ولاسيّما اذا كان ذلك الواحد، باعتقاده المؤكّد المقرون بيمينه، في قوله: « والله ليحملنّهم على الحقّ ... »، هو من كان يحملهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء؟

ومنها - بما ذا استباح قتل اعاظم الصحابة مثل **عليّ و عثمان**، وغيرهما من الستّة، فأمر **اباطلحة** الانصاري بما أمر؟.

ومنها ان كان هؤلاء الرهط ممّن مات رسول الله (ص) وهو عنهم راض، فكيف جاز قتلهم مع عدم صدور امرٍ منهم، سوىٰ اطاعة امره بالدخول في الشّوریٰ، وقبول قوله بالصلوح للخلافة؟

ومنها - ان كانوا هم من العدّة المبشّرة بالجنّة على لسان الرسول (ص) وكانت البشارة الصادرة لأجل عملٍ او حالٍ وفي زمانٍ يستلزم كون المبشَّر له ثابتاً على ما كان في ذلك الزمان مدىٰ حياتِه، وان طال الأمد، او كان على الله حتماً مقضيّاً ان يدخله الجنّة، و ان تغيّر لأنّه بُشِّر! فكيف يكون حال من قتلهم، او امر بقتلهم، او سوّغ قتلهم!؟

اللّهمّ الّا ان يجتهد و يعتقد انّه مُثابٌ مأجور، لتسريعه في ايصالهم الى ما بُشّروا به، وهي الجنّة!.

ومنها - لِمَ لم يجعل العدد في الشّوریٰ فرداً كي يحصل الأكثريّة القاطعة لأحد الرجلين اللّذين كان لايظنّ ان يلي الّا احدهما: **عليّ وعثمان**[1]؟ واذا كان في اعتقاده

---

١ - اشارة الى كلامه المنقول سابقا عن الطبري « وما اظن ان يلي الا احد هذين الرجلين: **علي و عثمان....** »

انّ **عبدالرحمن** كان افضل واصلح [١] ولهذا جعل رأيه اقوى[١] وارجح [٢] فلم لم يَجْعل - الخلافة له عَيْناً وجعلها مردّدة بين هذا الأفضل الأصلح الأرجح، وبين غيره المرجوح؟

ثمّ لِمَ لم يجعل الأختيار والانتخاب، بعدفرض التّساوى لآراء اصحاب الشّورى[١]، لعامّة المسلمين من الأنصار والمهاجرين، او لخصوص اهل الحلّ والعقد منهم، وفيهم **سلمان و عمّار و المقداد و ابى ذرّ** و اضرابهم، من كبّار الصحابة، وحتّى **العبّاس** عمّ الرّسول؟.

ومنها - هَبْ انّ ذلك كلّه كان باجتهادمنه، واستصلاحٍ لحال الأمّة، واعتقاد - المصلحة والخير للاسلام والمسلمين، فماذا هو الّذى اختصّه (رض) **بجواز الأجتهاد**، وجواز العمل باجتهاده، ومنع غيره منه؟ وما الدّليل الّذى حرّمه على سائر الصّحابة وجميع الأُمّة؟

أَلَيْس اذا فُتح هذا الباب بهذه السّعة واجيز ذلك بهذا الحدّ صحّ ان يقال: **الاجتهاد وحدوده**

هَلا يجوز لكلّ من يفعل اىّ فعل يكون بظاهره مخالفاً لما عُلم من الدّين، او حَكَم به العقل، ان يقول بذلك ويوجّهه بتأويله واجتهاده؟

كَلّا. ليس ولايليق بأحد من المسلمين ان يتفوّه بانّ قاتل الخليفة **عمر** (رض) وقاتل **علىّ** (ع) اجتهد فراى[١] خير الأُمّة اوصلاح الأسلام فى قتل الخليفة، فلا جناح عليه، ولا بأس بعمله، لأنّه مجتهد مستصلح، فاجتهد وتأوّل فاخطأ. حاشا ثمّ حاشا ليس فى قبال النّصّ وصراح العقل، مدخل للاجتهاد والرّاى.

ثمّ لو سُلّم ذلك فما على **علىّ** ان لم يقبل اتّباع سلفه فى هذا النّحو من السّيرة واكتفى بالتزام العمل وَفْق كتاب الله و سنّة رسوله وقال: «أَرْجُوْ أَنْ أَفْعَلَ وأَعْمَلَ بمبلغ عِلْمِىْ وَطاقَتِىْ» [٣].

---

١ - ونسى عما قال، من ضعفه وانه يضع خاتمه لامرأته.

٢ - ولذلك لما ضربه **ابولؤلؤة** و «... سقط، قال: افى الناس **عبدالرحمن بن عوف**؟ قالوا: نعم يا اميرالمؤمنين هو ذا. قال: تقدم فصل بالناس. فصلى **عبدالرحمن و عمر** طريح...» (تاريخ الطبرى الجزء الثانى - الصفحة ال٢٦٤-)

فعلى ما بنوا عليه امرالخلافة من كون من صلح للصلوة، وهو امر دينى، فهو صالح للخلافة التى هو امر دنيوى لابد **ان** يختار **عبدالرحمن** للخلافة.

٣ - لعل **علياً** كان لم يرتض بعض اجتهادات السلف و سيرتهما.

ومنها - لمّا كان الملاك فی انتخاب هؤلاء النّفر للشّوریٰ وللخلافة ماكان ، وكان علیّ من بینهم «احریٰهم ان یحملهم علی الحقّ ...» كما كان **عمر** یرجوه ویعتقده، بل وكان اعتقاده فی غیر **علیّ** ما صرّح به حین موته [١] ، علی ما مرّ، فلما ذا لم یختره معیّناً حتّی یكون مُعیّنا علی الحقّ ومصیباً كبد الحقیقة؟

ومنها - لمّا عیّن **صهیب** للصّلوة بالنّاس ثلاثة ایّام ، وهوامردینیّ ، فلِم غفل عنه ولم یعیّنه للخلافة ، والخلافةامردنیویّ ، كما یزعمون ، وان كان عدم كونه من قریش مانعا من الخلافة لم یكن هنا مانع من جعله عضواً للشّوریٰ علی‌ان یكون له‌الرّای فی‌ الأنتخاب ، لالالانتخاب ، حتّیٰ یصیر العدد فردا ؟ [٢] .

ومنها - مع أنّه كان یخاف اختلاف السّتّة فی مابینهم و اختلاف النّاس لاجل اختلافهم و یعلم عدم وقوع الأختلاف اذا نصّ علی واحد منهم ، بل او من غیرهم ، بعینه ، فلِمَ لم یدفع الضرر المحتمَل ! . قال‌الطّبری‌فی‌ تاریخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٣ -) فی مانقل عن اقوال **عمر** (رض) : « . . . وقد قبُض رسول‌الله (ص) وهو عنكم راضٍ . انّی لااخاف‌النّاس‌علیكم ان استقمتم ولكنّی‌اخاف‌علیكم اختلافكم فی مابینكم فیختلف النّاس » ؟ .

ومنها - ماعابه **معاویة** ، خال‌المؤمنین ، علی **عمر** (رض) فی ابداع هذا الطّریق وهو علی ما فی « العقد الفرید » (الجزء - الصّفحة -) للفقیه المالكی **ابن‌عبدربّه** - الاندلسی بعد ان حكی‌ایفاد **زیاد** بن‌ابیه ، **ابن‌ حصین** الی **معاویة** ابن‌**ابی‌سفیان** واقامته عنده ما اقام :

---

١ - وفی غیرهذا الحین ، فقد اطلق حین هجم بیت **فاطمة** علی **الزبیر** المبشربالجنة ، المرضی عنه الرسول صلی‌الله علیه وآله وسلم، اسم اخس الحیوانات واخسأها. ففی المحكی عن كتاب السقیفه **لابی‌بكربن عبدالعزیز**: «وذهب **عمر** و معه عصابة الی‌بیت **فاطمة**... فقال لهم : انطلقوا فبایعوا . فابوا علیه و خرج الیهم **الزبیر** بسیفه . فقال **عمر** : علیكم الكلب ! یعنی **الزبیر** ، فوثب علیه **سلمة**... »

٢ - او لم لم یدخل سعید بن زید و هو احد اهل الجنة كما صرح **عمر** نفسه بذلك و صرح بانه « لیس مدخله » كما مر نقله سابقا عن الطبری؟

« ثم انّ **معاوية** بعث اليه ليلاً فخلابه فقال، له:

« يا **ابن حصين**: قد بلغني ان عندك ذهناً وعقلاً فأخبرني عن شيء اسألك.

« قال: سلني عمّا بدالك.

« قال: اخبرني ما الّذي شتّت امر المسلمين وفرّق ملأهم وخالف بينهم؟.

« قال: نَعَمْ، قتل **عثمان**.

« قال: ما صنعتَ شيئاً.

« قال: فَمَسِيرُ **عليٍ** اليك.

« قال: ما صنعت شيئاً.

« قال: فمسير **طلحة** و **الزّبير** و**عائشة**، وقتال **عليٍ** ايّاهم.

« قال: ما صنعتَ شيئاً.

« قال: ما عندي غير هذا يا اميرالمؤمنين.

« قال: فانا اُخبرك: انه لم يُشَتّتْ بين المسلمين ولا فرّق اهوائهم الّا الشّورىٰ الّتي جعلها **عمر** الى ستّة نفر.

الشورى هي التي شتتت امر المسلمين وفرق ملاهم على ما اعتقده معاوية،

« وذلك انّ الله بعث محمّداً بالهدىٰ و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون.

« فعمل بما امره الله.

« ثمّ قبضه الله وقَدَّم **ابابكر** للصّلوة فرضوهم [ه'] لأمر دنياهم اذرضيه الله لامر دينهم.

« فعمل بسنّة رسول الله وسار بسيره حتّى قبضه الله واستخلف عمر[1] فعمل بمثل سيرته، ثمّ جعلها شُورىٰ بين ستّة نفر[2] فلم يكن رجل منهم إلّا رجاها لنفسه، ورجاها له قومه، وتطّلعت الى ذلك نفسه.

---

١ - كانه نسى ان رسول الله (ص) لم يستخلف، بزعمه، وعلى هذا فلم يعمل ابوبكر (رض) بسنته ولم يسر بسيره.

٢ - فكيف عمل بمثل سيرته؟!

« ولو أنّ عمر استخلف عليهم كما استخلف ابو بكر ما كان فى ذلك اختلاف . »

هذا ما عابه معاوية ابن ابى سفيان على عمر فى امر الشُّورى[١] (على مافى « العقد الفريد » (وعلى ماحكاه ابن ابى الحديد عن كتاب السّقيفه لأبى بكر الجوهرى) .

٣٠٠ - سبب آخَر لحدوث الاختلاف

وليُضف الىٰ ما بيّنه معاوية من سب الأختلاف ما نطق به عمر (رض) حال احتضاره واحضاره القوم للامر بالشُّورى[١]، بعد ما واجَهَهُمْ ، وجابَهَ كلّ واحد منهم بنقص يريبُه فيه ، من قوله اخيراً :

« انّكم ان تعاوَنْتُم و توازَرْتُم وتناصَحتم اَكَلْتُمُوْها ! ! و اولادكم ، وان تحاسَدْتُم وتقاعَدْتُمْ وتدابَرْتُمْ و تباغَضْتُم ، غَلَبَكُم على[١] هذا الامر معاوية بن ابى سفيان » .

و روى ابن حجر العسقلانى فى كتابه « الأصابة » انّه « ... كان عمر اذا نظر الى معاوية قال : هٰذا كِسْرَى الْعَرَب[١] ! »

وروى[١] ايضا هو فيه انّه قال عمر : اغراء عمر، معاوية لاستبزاز الخلافة

« وايّاكم والفُرقة بعدى . فان فعلتم فاعلموا انّ معاوية بالشّام . فاذا وكلتم الى رايكم كيف يستبزّها منكم » .

فكأنّه (رض) جعل معاوية فى الشّام ذخيرة ليوم كان يقدّره ويتفرّسه ، فأيقظه بهذه العبارات الجليّة لما لعلّه لم يكن هو راقداً عنه، غافلاً منه ، وحرّضه و اغراه لاستبزاز الخلافة وكونه منها بالمرصاد .

---

١ - وفى الاستيعاب (ذيل ترجمة معاوية) : « وقال عمر رضى الله عنه اذ دخل الشام وراى معاوية : « هذا كسرى العرب ! » » ، وكان قد تلقاه معاوية فى موكب عظيم ، فلما دنا منه قاله له : أنت صاحب الموكب العظيم؟ قال : نعم يا اميرالمؤمنين . قال : مع ما بلغنى عنك من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ قال: مع مايبلغك من ذلك! : قال... »

حكى **ابن ابى الحديد** (المجلد الاول ـ الصّفحة ال ٢٥٣ ـ) عن **ابن ديزيل** انّه قال بأسناده :

« انّ **عمر** بن **الخطّاب** لمّا طُعن قال: «يا اصحاب **محمّد** تناصحوا، فانّكم ان لم تفعلوا غلبكم عليها **عمرو** بن **العاص** و **معاوية** بن **ابى‌سفيان** » .

ثمّ قال **ابن ابى‌الحديد** :

« قلت: **محمّد** بن **النّعمان** المعروف بالمفيد احد الأماميّة قال فى بعض كتبه:

« انّما اراد بهذا القول اغراء **معاوية** و**عمرو** بن **العاص** بطلب الخلافة واطماعهما فيها لأنّ **معاوية** كان عامله بالشّام وامّره بالشّام وعمرو بن العاص عامله بمصر وامّره على مصر و خاف ان يضعف **عثمان** عنها وان تصير الى **على** عليه‌السّلام فالقى هذه ـ الكلمة لتنقل اليهما وهما بمصر والشّام فيتغلّبا على هذين الأقليمين ان افضت الى **على**... »

لعلّه ، يظهر من لحن الكلام وسياقه ، انّه لم يكن **معاوية** فى نظر عمر (رض) و فى اعتقاده صالحاً لهذا الامر ، بل وفى نظر المسلمين وباعتقادهم ايضا ، حيث هدّد ـ القوم من الفُرقة الموجبة لسوء العاقبة باستبزازه الخلافة **وهو كسرى العرب** .

٣٠١ ــ سؤال بلاجواب

وهٰهنا لِسائل **ان** يسأل ويقول: فلمّا ذا ابقاه فى شغله و هو يعلم انّه « كسرى ـ العرب» مع انّه لزهده، اورعاية صلاح ملكه لم **يكث** يتحمّل **لخالد** بن **الوليد**، سيف الله المسلول على الكافرين ، على ما قالوا ، فارس العرب وفاتح بلاد الرّوم وفارس ، فعزله كى لايغترّ **خالد** ولايغترّ المسلمون به، كما نقلنا سابقاً من **الطّبرى وابن الأثير**، ولم **يكث** يتحمّل لسعد بن ابى **وقّاص** ، اوّل من رمىٰ فى **الأسلام** و من غلب على اعظم جندٍ **لأيران**، وفتح اعظم البلاد ، ان يختار لنفسه بِناءً فى **الكوفة** يمتاز عن سائر الأبنية بابُه

وبناؤه فأمر بحرق الباب والبناء [١] وعزله [٢] وشاطره [٣] فى امواله مع ماعلم من ابتلائه في الأسلام، وكونه من «العشرة المبشرة»، وممن رضى عنه الرسول (ص) حين موته، وممن جاهد مع رسول الله فى الغزوات؟ فكيف؟ وعلى ما ذا اختار سبيل المماشاة مع طليق ابن هند، آكلة الأكباد، ولم يعزله بل منّاه بالسلطنة الكسروية وقوّاه، وهدّد الأصحاب بما يعرف من مساويه وينتظرمنه، من الأستبزاز؟

ايقظ عمر (رض) بذلك الكلام ماكانت نائمة فى معاوية ولعلّه لم يكن استاذن على خيال معاوية الى هذا الحين توهّم ان يوجد فى المسلمين احد يتخيّل صلوحه

---

١ - قال: «الامام العلامة شمس الدين ابوعبدالله محمد بن ابى بكر، المعروف با ابن القيم الجوزية» فى كتاب «زادالمعاد فى هدى خيرالعباد» (الجزء الثانى - الصفحة ال١٦-).

«وحرق (يعنى عمر) قصر سعد لما احتجب فيه من الرعية».

وقال ابن الأثير فى الكامل (الجزء الثانى - الصفحة ال ٣٦٩ -):

«وبلغ عمر، ان سعداً قال، وقدسمع اصوات الناس من الاسواق،: سكنوا عنى الصويت. وان الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وامره ان يحرق باب القصر ثم يرجع ففعل...»

٢ - فى الكامل (الجزء الثانى - الصفحة ال ٣٩٨ -): «وفيها (يعنى سنة عشرين) عزل عمر، سعد بن ابى وقاص عن الكوفة لشكايتهم اياه، وقالوا: لايحسن يصلى!».

٣ - فى تاريخ الخلفاء (الصفحة ال١٤١): «واخرج ابن سعد عن ابن عمر ان عمر امر عماله فكتبو اموالهم، منهم سعد ابن ابى وقاص فشاطرهم عمر فى اموالهم فأخذ نصفاً واعطاهم نصفا. واخرج عن الشعبى ان عمر كان اذا استعمل عاملا كتب ماله.»

و فى هذا النحو من المشاطرة، لو لم يستند فيه بالتاويل والاجتهاد الذى اجيب به عن بعض مايخالف ظواهر الدين، بل نصوصه، من الافعال والاحكام وجوه من التأمل والنظر:

منها هتك حرمة «الصحابى» ولاسيما اذا كان من العشرة، كسعد.

ومنها اجراء الحكم على المتهم، بل البريىء، بصرف الوهم، بلا محاكمة ولابينة.

ومنها ان المال الزائد على ماكتبوا للعامل، ان كان حصل له من وجه شرعى، كالهبة والهدية و نمو اصل المال مثلا فلايجوز اخذ شىء منه وان كان حصل له لابوجه شرعى فليؤخذ كله منه لاشطره وليعاقب على ذلك.

وكيف كان لاوجه للمشاطرة فى اموالهم اى فى جميعها بل ينبغى ان يكون فى مازاد على الاصل.

لهذا الأمر و يرتضيه فضلاً عن راس المسلمين و رئيسهم، الخليفة اليقظ الفطن ـ الفظ الغليظ ؟

فأضمر **معاوية** من ذلك الحين فى نفسه اعتناق الخلافة ، وصار منها بالمرصاد، ودبّرالامور على وَفْق ما يقتضيه هذا المبتغىٰ والمراد، وانتهز الفرصة لذلك الميعاد ، ولهذا لم يُجب دعوة الخليفة **عثمان** ولم يُطع امره بالدّفاع عنه حتّى قُتل فى الدّار و بُويع **على**ٌ بالأكراه والأجبار.

فقعد وقام . وحرّض اهل الشّام . على طلب ثارالأمام، وخالف **علياً** بالأيهام ، وقاتله بالأتّهام ، حتّى نال بما ارادورام ، فجلس على عرش الحكومة المطلقة المستبدّة بدعوى الخلافة فى الاسلام ، وعدل الى كسرويّته الجبّارة الغشّام .

تعيير عثمان معاوية

وقد عرف **عثمان**(رض) ذلك منه و عيّره عليه . ففى تاريخ **الطّبرى** و غيره، كما سيجىء ، أنّ **معاوية** بعد ما كتب اليه **عثمان** بتعجيل القدوم اليه و توجّهه فى اثنى ـ عشر الف الى المدينة ، و ايقافهم فى اوائل الشّام ، ليذهب بنفسه الى **عثمان** و يعرف كيفيّة امره : « فأتى **عثمان** فسأل عن العدّة .

« فقال : قد قدِمتُ اليك لأعرف رايك واعودَ اليهم فأجيئك بهم ! !

« فقال : لاوالله، ولكنّك تريد انْ اُقتلَ فتقول : انا ولىّ الثّار . ارجع فجئنى بالنّاس . فرجع . فلم يَعُدْ اليه حتى قُتل » .

٣٠٢ ـ ختام الكلام فى الشُّورىٰ

ولنجعل ختام الكلام فى الشُّورىٰ ما صدر عن **علىّ** فى خطبته المعروفة بـ«الشَّقْشِقيّة» ، ولعلّه يساعدنا التّوفيق لنقل تمامها فى محلٍ يناسبها، واثبات كون ـ الخطبة ، حسب ما اعترف به اكابراهل السّنة ، صادرة عن **على** (ع) .

قال فى تلك الخطبة فى ما قال :

« . . . . حتّى اذا مَضىٰ لسبيله (يعنى عمرّ) جعَلَها فى جماعة زَعَم انّى احدُهم .

« فيالله وللشورى!

« متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم، حتّى صرت أُقرن الى هذه النظائر!؟.

« لكنّي اسففت اذا اسفّوا وطرت اذا طاروا فصغا رجل لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هن وهن .....»

هكذا انقضى دور خلافة عمر وكانت مدّتها نحواً من عشرة سنة وستّة اشهر فمات لأربع ليال او ثلاثة بقين من ذي الحجّة، في السنة ال ٢٣ من الهجرة.

واحتوت دور خلافته وادارته على وقائع مهمّة من الفتوحات وادارة البلاد المفتوحة، واجراء العدل فيها، وحسن السّياسة وغير ذلك ممّا يصلح لها تاليف كتاب خاصّ وليس هذه الأوراق لهذا الغرض، فلنختم الكلام هنا ونذهب الي: دور خلافة عثمان و نرى ما اتّفقت فيه.

ايّام خلافة عثمان (رض)

و ما صار اليه امره

« وَلى **عثمان** الخلافة اثنى عشره سنة .

« يعمل ستّ سنين لاينقم النّاس عليه شيئاً .

« وانّه لأحبُّ الى قريش من **عمر** بن **الخطّاب** .

« لأنّ **عمر** كان شديداً عليهم .

« فلمّا ولى **عثمان** لانَ لهم ووَصَلَهُمْ .

« ثمّ توانىٰ فى امرهم وَاسْتَعْمل اقربائه و اَهْلَ بيته فى السّت الأواخر .

« و كتب لمروان بخُمس افريقيّة واعطى اقربائه واهل بيته المال . . . فأنكر النّاس عليه » .

(تاريخ الخلفاء للسيوطى الشّافعى ، بأخراج ابن سعد عن الزُّهْرى) .

«وَاللهِ ماكانَ فينا إلّا خاذِلٌ أو قاتِلٌ»

(عبدالله بن عمر)

«فَلَمّا أَحْدَثَ عثمان ما أَحْدَثَ، مِنْ تَوْلِيَةِ الأَحْداث مِن أَهْلِ بَيْتِهِ، وَتَقْديمِ قرابتهِ

قِيلَ لعبدالرّحمن بن عَوْف:

«هٰذا كُلُّه فِعْلُكَ! قال:

«لَمْ أَظُنَّ هٰذا بِهِ. وَلكِنَّ اللهُ عَلَيَّ أَنْ لا أُكَلِّمَهُ أَبَداً

«فماتَ عبدالرّحمن وَهُوَ مُهاجِرٌ لعثمان.

«ودَخَلَ عَلَيْهِ عثمانُ فتَحَوَّلَ عَنْهُ الى الحائِطِ

وَلَمْ يُكَلِّمْهُ!»

(على ما روى عن الواقدى)

(العقد الفريد للفقيه المالكى، ابن عبد ربّه)

۱۸ ـ حولَ ماجرىٰ فى خلافة عثمان:

۱ ـ عثمان فى خلافته.
۲ ـ معاملته مع بيت المال.
۳ ـ ايثاره اقربائه.
٤ ـ كتابه الى ابن ابى سرح.
٥ ـ اوّل ما تكلّم النّاس فى عثمان.
٦ ـ عبدالرّحمن ابن عوف وعُتْبانُه على عثمان.
۷ ـ بعض ما اورثت اعراض الصحابة.
۸ ـ عدّة من احداث عثمان.
۹ ـ اهمّ ما طُعِن به عليه.
۱۰ ـ توبة عثمان.
۱۱ ـ نقض ماكان يُبرمه.
۱۲ ـ قتل عثمان.

٣٠٣ ـ عثمان في خلافته

لمّا استقرّت الخلافة على **عثمان** (رض) لم تمض مدّة كثيرة ألّا و كأنّه نسى ما عهد به **لعبدالرّحمن بن عوف**: فسار بغير سيرة الخليفتَيْن، وسلك غير سبيل السّابقَيْن، وصدق تفرّس الخليفة **عمر** في حقّه حيث حمل بني اميّة و بني ابي مُعَيط على رقاب النّاس، وقدّم من كان من الأقرباء منهما، على غيرهم من الصّلحاء المحنّكين والصّحابة المجاهدين المكرّمين، وان لم يكن فيه صلاح، بل وان كان الفساد فيه ظاهرا، وكان بالفسق متجاهراً، فكان يختار من هؤلاء الأقرباء للامارة والحكومة، و يسلّطهم على المسلمين.

تحول حال عثمان وتغير سيرته وافعاله

على انّه كان يتصرّف في بيت المال بما يريد ويشاء، ويعطى منه و من الغنائم من كان من الأقارب بلا كتاب ولا حساب، اللّهمّ الّا حساب «الأقرب فالأقرب» في ذلك الباب.

نقل **ابن ابي الحديد**، وغيره من افاضل اهل السّنّة:

« رُوى انّه دفع الى اربعة انفس من قريش، زوّجهم بناته، اربعمأة الف دينار! واعطى **مروان** مأة الف عند فتح افريقيّة، و يُروىٰ خُمس افريقيّة، وغير ذلك.

اعطاء عثمان، مروان مأة الف عند فتح افريقية

« وهذا بخلاف سيرة من تقدّمه، في القسمة على النّاس بقدر الأستحقاق، وايثار الأباعد الصّلحاء على الأقارب. »

وكان اذا يعاتَب على ذلك ويُعتَرضُ عليه يقول (على ما رواه **الواقدى** عن **المِسْوَر بن عتبة** ـ بنقل **ابن ابي الحديد** ـ):

« انّ **ابابكر** و**عمر** كانا يتأوّلان في هذا المال طلاق انفسهما وذوى ارحامهما وانّي تأوّلت فيه صلة رَحِمي ».

وحكى **الواقدى** (على ما نقل عنه ابن ابي الحديد ايضا):

« كان بحضرة **عثمان** ، **زياد** بن **عُبَيْد**[1] ، مولى **الحارث** بن **كلدة** الثقفى ، وقد بعث اليه **ابوموسى** بمال عظيم من البصرة فجعل **عثمان** يقسّمه بين ولده واهله بالصّحاف ! فبكى **زياد** . فقال :

اعتذار عثمان عن الاعتراض عليه

« لاتَبْكِ فانّ عمر كان يمنع اهله و ذوى قرابته ابتغاء وجه الله، وانا اُعطى اهلى وولدى وقرابتى ابتغاء رحمة الله ![2].

وحكى **ابن ابى الحديد** عن **الواقدى** ايضا مسنداً :

« انّه ولى **الحكَم** بن **ابى العاص**[3] ، طريدَ رسول الله (ص) ، صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمأه الف الف[4] فوهبها له حين اتاه بها » .

ونقل **الطبرى** فى قضيّة مصالحة **عبدالله** بن **سعد** (اى ابن ابى سرح) مع **جرجير** بطْريق افريقيّة، على الفى الفى دينار و خمسماة الف دينار وعشرين الف دينار بالأسناد عن **ابن كعب**، هذه العبارة (الجزء الثّالث - الصّفحة ال ۳۱٤ -) :

« . . . وكان الذى صالحهم عليه **عبدالله** بن **سعد** ثلاثمأة قنطار ذهباً فأمَرَ به **عثمان** لآل الحكَم قلت : (اى اسامة بن **زيد الليثى**، الراوى عن **ابن كعب**) او لمروان؟ قال : لا ادرى » .

وروى **ابن ابى الحديد** عن **الواقدى** و عن **ابى مخنف** :

« انّ النّاس انكروا على **عثمان** اعطاء **سعيد** بن **العاص** مأة الف و كلّمه **علىٌّ** و **الزّبير** و **طلحة** و **سعد** و **عبدالرّحمن** فى ذلك فقال :

---

۱ - يعنى **زياد** ابن ابيه.

۲ - هذا معنى اتباع السيرة حسب العهد والميثاق، وان شئت فقل: هذا معنى الاجتهاد. فلا حرج على من اكل مال المسلمين و صرفه فى ما يهويه من مستلذاته ابتغاء وجه الله ورحمته، او ابتغاء فضل الله و مغفرته اذا تأول، و ان اخطأ.

۳ - كان الحكم هذا **ابومروان** وعم **عثمان** لان عثمان هو ابن **عفان** ابن **ابى العاص** بن **امية** بن **عبدشمس** بن **عبدمناف**.

٤ - هكذا ضبط ولعله كان تكرار «الف» او كلمة «مأة» من سهو الناسخ.

« انّ له قرابةً ورَحِماً !

اختلاف السيرة باختلاف الاجتهاد

« قالوا : فما كان **لأبي بكر** و**عمر** قرابة وذوو رحم؟ فقال :

« انّ **ابابكر** و **عمر** كانا يحتسبان في منع قرابتهما وانا احتسب في اعطاء قرابتي[1].

« قالوا: فهُدٰيهما، والله، احبُّ الينا من هُديٰك. »

٣٠٤ ـ ردّ ابن ارقم صكّ عثمان

عن **ابي مخنف** (على ما رواه ابن ابي الحديد) .

« انّ **عبدالله** بن **خالد** بن اسيد بن **ابي العيص** بن اميّة قدم على **عثمان** من مكّة و معه ناس فأمر لعبدالله بثلاثمأة الف ! ولكلّ واحد من القوم بمأة الف :

« فصكّتْ بذلك على **عبدالله**[2] بن **ارقم** ، وكان خازن بيت المال ، فاستكثره وردّ الصكّ به . ويقال : انه سأل **عثمان** ان يكتب عليه بذلك كتابا فأبىٰ . وامتنع ان يدفع المال الى القوم فقال له **عثمان** :

رد ابن الارقم صك عثمان عليه واستعفاؤه

« انّما انت خازن لنا فما حملك على ما فَعَلْتَ ؟

---

١ ـ فكان الدين في صرف مال المسلمين تابع لما احتسبه الخليفة الراشد الامين ، رضي الله تعالى عنه ، لا لما فرض الله وسن رسوله ! .

٢ ـ «**عبدالله** بن **الارقم** بن **عبديغوث** بن **وهب** بن**عبدمناف** بن**زهرة** بن **كلاب** ـ **القرشي**... كتب للنبي صلى الله عليه و سلم ثم لابي بكر (رض) واستكتبه ايضا عمر (رض) واستعمله على بيت المال، **وعثمان بعده**.. . لم يزل على بيت المال خلافة **عمر كلها**، وسنتين من خلافة **عثمان** (رض) حتى استعفاه من ذلك فاعفاه . . . ان **عثمان** اجاز **عبدالله** بن **الارقم** وكان له على بيت المال بثلاثين الفافابى ان يقبلها . . . وقال**عمر** لعبدالله بن **الارقم**: «لو كان لك مثل سابقة القوم ما قدمت عليك احدا » (الاستيعاب) .

و في « **الاصابة** » : « حدثت **حفصة** انه (تعني اباه عمر) قال لها: لولا ان ينكر على قومك لاستخلفت **عبدالله** ابن **الارقم**.... استعمل **عثمان** **عبدالله** بن **الارقم** على بيت المال فاعطاه عمالة ثلاثماة الف فابى ان يقبلها » .

فقال ابن الأرقم : كنتُ ارانى خازنَ المسلمين وانّما خازنك غلامُكَ . والله لا اَلِىْ لك بيت المال ابداً وجاء بالمفاتيح فعلّقها على المنبر . ويقال : بل القاها الى عثمان فرفعها الى نائل مولاه» .

روى ابن ابى الحديد ايضا عن الواقدى :

« انّ عثمان امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت مال المسلمين الى عبدالله بن- الارقم فى عقيب هذا الفعل ثلاثمأة الف درهم فلمّا دخل بها عليه ، قال له: ياابامحمّد انّ اميرالمؤمنين ارسل اليك يقول : انّا قد شغلناك عن التّجارة ولك ذو رحم ، اهل حاجة ففرّق هذا المال فيهم ، واستعن به على عيالك .

« فقال عبدالله بن الارقم : مالى اليه حاجة ، مالى اليه حاجة . وما عملت لأن يثيبنى عثمان . والله ان كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملى ان اُعطى ثلاثمأة الف ! وان كان من مال عثمان ما اُحبُّ ان ارزأه من ماله شيئاً » .

ارسال عثمان ثلاثمأة الف درهم لارضاء ابن الارقم ورده عليه

٢٨٥ - عثمان وعطيّاته مروان

قال عبدالله بن الزّبير (برواية الواقدى عن اسامة بن زيد عن نافع مولى- الزّبير [١]) :

« اغزانا عثمان سنة سبع وعشرين افريقيّة فاصاب عبدالله بن سعد بن ابى سرح غنائمَ جليلة فأعطى عثمان، مروان بن الحَكَم تلك الغنائم ! » .

و روى الكلبى عن ابيه عن ابى مخنف (على ما حكى ابن ابى الحديد) :

« انّ مروان ابتاع خُمس افريقيّة بمأتى الف درهم ومأتى الف دينار و كلّم عثمان فوهبها له . فانكر النّاس ذلك على عثمان (رض) .

---

١ - شرح ابن ابى الحديد و تاريخ الطبرى ، كما مر نقله آنفاً.

٢٨٦ - قضيّة عليّ وعامله مصقلة

فى تاريخ **الطّبرى** (الجزء الرّابع - الصفحة ال ١٠٠ -) (فى واقعة شراء **مصقلة بن هبيرة** اُسرآء النّصارىٰ من **معقل** وعدم اداثه ما تعهّد من المبلغ ثمّ فراره الى **معاوية**) :

« قال **ابومخنف** : وحدّثنى **ابوالصّلت الأعور** عن **ذهل بن الحارث** قال : دعانى **مصقلة** الى رحله فقدّم عشاؤه فطعمنا منه. ثمّ قال: والله انّ اميرالمؤمنين (يعنى **عليّاً**) يسألنى هذا المال ولا اقدرعليه . فقلت : والله لوشئتَ ما مضت عليك جمعة حتّى تجمع جميع المال .

« فقال : والله ماكنتُ لأحملها قومى ولا اطلب فيها الى احد . ثمّ قال :

كان عثمان اطعم الاشعث ماة الف فى كل سنة

« امّا والله لو انّ **ابن هند** هوطالبنى بها ، او **ابن عفّان** ، لتركها لى . الم تر الى **ابن عفّان** حيث اطعم **الاشعث** من خراج اَذْرَبِيْجان مأة الف فى كلّ سنة ؟

« فقلت له : انّ هذا لايرىٰ هذا الرّاى ، لاوالله هو ما بباذلٍ شيئا كنتَ اخذته ساعةً وسكتٌّ عنه . فلاوالله ما مكث الّا ليلة واحدة بعد هذاالكلام حتّىٰ لحق بمعاوية وبلغ ذلك **عليّاً** فقال:

« مالَهُ !؟ برحه‌الله ! فعَلَ فِعْلَ السّيد، وفرّ فِرارَ العبيد ، وخانَ خيانَةَ الفاٰجر . امّا والله لوانّه اقام فعجز ما زدنا على حَبْسه فان وجدنا له شيئا اخذناه ، وان لم نقدِرْ على مالٍ تركْناه » .

تمرغ، عثمان فى الدنيا على ما عبر به معاوية

كانّ **معاوية** يشير الى ماكان عليه ابن عمّه ، **عثمان**، من بذل الأموال ، حيث قال، بعد ما وصف **ابوبكر** و **عمر** بما وصف : « وامّا نحن... » فقد اورد **السّيوطى** (جلال الدين) فى كتابه تاريخ الخلفاء (الصفحة ال ١٢٠) ماهذه عبارته :

« وقال **معاوية** (رض) : امّا ابوبكر فلم يُرد الدّنيا ولم ترده وامّاعمرفارادتْهُ الدنيا ولم يُردها وامّا نحن فتمرّغْنا فيها ظهراً لبطن »[1] .

---

١ - اخرجه **الزبير بن بكار** فى‌الموفقيات (ابن ابى‌الحديد) .

٢٨٧ - تغيير عثمان سيرته

نقل جلال الدين السّيوطى فى تاريخ الخلفاء، بأخراج ابن سعد عن الزُّهْرى، انّه قال :

كتب عثمان لمروان بخمس افريقية

« وَلِـيَ عثمان الخلافة اثنتى عشرة سنة يعمل ستّ سنين لاينقم الناس عليه شيئا وانّه لَاَحبُّ الى قريش من عمر بن الخطّاب لأنّ عمر كان شديداً عليهم، فلمّا وليَهم عثمان لانَ لهم ووصلهم . ثمّ توانىٰ فى امرهم واستعمل اقربائه و اهل بيته فى السّتّ الأواخر وكتب لمروان بخُمس افريقيّة واعطىٰ اقربائه واهل بيته، المال. . . . فأنكر النّاس عليه » .

وقال هوايضا فيه :

«واخرجه (يعنى ما نقلنا منه آنفا باخراج ابن سعد عن الزُّهْرى) ابن عساكر من وجه آخر عن الزُّهْرى قال .

« قلت لسعيد بن المسيّب : هل انت مخبرى كيف كان قتل عثمان و ماكان شأن النّاس وشأنه ؟ ولِمَ خذله اصحاب محمّد ؟ فقال ابن المسيّب :

« . . . . انّ عثمان لمّا ولى كره ولايته نفر من الّصحابة لأنّ عثمان كان يحبّ قومه .

« فولى الناس اثنتى عشرة سنة ، وكان كثيراً ما يولّى بنى اميّة ممّن لم يكن له مع رسول الله (ص) صحبة .

« فكان يجىء من امرائه ماينكره اصحاب محمّد (ص) وكان عثمان يُسْتَعْتَبُ فيهم فلايَعْزِلُهم . وذلك فى سنة خمس وثلاثين . فلمّا كان فى السّتّ الأواخر استأثر بنى عمّه فولّاهم وما اشرك معهم . وامر بتقوى الله : فولّىٰ عبدالله بن ابى سرح مصرَ فمكث عليها سنين فجاء اهل مصر يشكونه و يتظلّمون منه وكان قبل ذلك هناة الى عبدالله بن مسعود و ابى ذر و عمّار بن ياسر .

« وجاء اهل مصر يَشكُون من ابن ابى سرح فكتب اليه كتاباً يتهدّده فيه . فابیٰ ابن ابى سرح ان يَقْبل ما نهيٰه عنه عثمان و ضرب بعضَ من اتاه من قِبَل عثمان من اهل مصر ممّن كان اتى عثمان ، فقتله ! .

اعتراض طلحة وعائشة وعلى على عثمان

« فخرج من اهل مصر سبعمأة رجل فنزلوا المسجد ، وشكوا الى الصّحابة فى مواقيت الصلوة ما صنع ابن ابى سرح بهم . فقام طلحة بن عبيدالله فكلّم عثمان بكلام شديد . وارسلت عائِشة اليه فقالت :

« تقدّم اليك اصحاب محمّد وسألوك عزل هذا الرّجل فابيت . فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك .

« ودخل عليه علىّ بن ابى طالب فقال : انّما يسألونك رجلاً مكان رجل وقد ادّعوا قِبَله دماً ، فاَعزِله عنهم واقض بينهم ؛ فان وجب عليهم حقّ فاَنصِفهم منه .

عزل عثمان ، ابن ابى سرح عن مصر وعهده لمحمد بن ابى بكر

« فقال لهم : اختاروا رجلا اُولّيه عليكم مكانه . فأشار النّاس عليه الى محمّد بن ابى بكر .

« فقالوا : استَعمِل علينا محمّد بن ابى بكر .

« فكتب عليه عهدَه وولّيٰه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فى مابين اهل مصر و ابن ابى سرح .

« فخرج محمّد و من معه . فلمّا كان من مسيره ثلاثة ايّام من المدينة اذاهم بغلامٍ اسود على بعير يخبط البعير خَبْطاً ، كأنّه رجل يَطلُب او يُطلَب .

« فقال له اصحاب محمّد : ماقصّتك وما شأنك؟ كأنّك هارب اوطالب .

« فقال : انا غلام اميرالمؤمنين وجّهنى الى عامل مصر .

« فقال له رجل : هذا عامل مصر .

« قال : ليس هذا اريد .

« اُخبر بامره محمّد بن ابى بكر ، فبعث فى طلبه رجلاً فأخذه فجاء به اليه .

« فقال : غلام من انت؟ .

« فأقبل مرّة يقول : انا غلام اميرالمؤمنين ومرّة يقول: انا غلام مروان . حتّى عرفه رجل انّه لعثمان .

« فقال له **محمّد** : الى من اُرسلتَ ؟ .

« قال : الى عامل مصر .

« قال : بماذا ؟ .

« قال : برسالة.

« قال : معكَ كتاب ؟ .

« قال : لا .

كتاب من قبل عثمان الى ابن ابى سرح أمره بقتل محمد

« ففتّشوه فلم يجدوا معه كتابا . وكانت معه اِداوة ، وقد يَبِسَتْ ، فيها شىء يتقلقل ، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشقّوا الاِداوة . فاذا فيه كتاب من **عثمان الَى ابن ابى سرح** .

« فجمع **محمّد** من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثمّ فكّ الكتاب بمحضر منهم . فاذا فيه :

«اذااتاك **محمّد** وفلان وفلان، فاحتل فى قتلهم ! وابطِل كتابَهم ! وقرّعلى عملكَ ! حتى يأتيك رأيى فى ذلك ان شاءالله تعالى .

« فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا ، وازمعوا ، فرجعوا الى المدينة وختم **محمّدٌ** الكتابَ بخواتيم نفركانوا معه ودفع الكتاب الى رجل منهم ، وقدموا المدينة .

كان ذلك الكتاب من اسباب حنق اهل المدينة وغيظهم على عثمان

« فجمعوا **طلحة و الزُّبير وعليّاً و سعداً** ومن كان من اصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم ثمّ فضّوا الكتاب بمحضر منهم واخبروهم بقصّة الغلام . واقرأوهم الكتاب. **فلم يبق احد من اهل المدينة الّا حنق عثمان** .

« وزاد ذلك من كان غضب **لابن مسعود و ابى ذرّ و عمّار بن ياسر** حَنَقاً وغيظاً .

« وقام اصحاب محمّد (ص) فلحقوا بمنازلهم ، مامنهم الّا وهومغتمّ لمّاقرأوا-

الكتاب . وحاصرَ النّاس عثمان سنة خمس وثلاثين . واجلب عليه **محمّد** بن ابى بكر ببنى تيم وغيرهم .

« فلمّا راى ذلك **على** بعث الى **طلحة** و **الزّبير** و **سعد** و **عمّار** و نفر من الصحابة كلّهم بدرىٌّ ثمّ دخل على **عثمان** ، ومعه الكتاب والغلام والبعير .

« فقال له **على** : هذا الغلام غلامك؟ .

« قال : نعم .

« قال : والبعير بعيرك ؟ .

« قال : نعم .

« فقال : انت كتبت هذا الكتاب ؟ .

« قال : لا . . .

« قال له علىٌّ : فالخاتم خاتمك ؟

« قال : نعم .

« قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لاتعلم به ؟!

« فحلف بالله : ماكتبتُ هذا الكتاب . . . . »

« وامّا الخطّ فعرفوا انّه خطّ **مروان** . . . . وشكّوا فى امر **عثمان** وسألوه ان يدفع اليهم **مروان** فأبىٰ ، وكان **مروان** عنده فى الدّار . . . . فخرج اصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم من عنده غضاباً » .

٢٨٨ ـ اوّل ما تكلّم النّاس فى عثمان

كان اوّل ما ظهر من النّاس ، من الكلام ، فى **عثمان** ، على مانقله **محمّد** بن جرير ـ **الطّبرى** (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ٣٢٢ ـ) فى تاريخه ، عن **الواقدى** بأسناده عن **ابن عبّاس** :

اتمام عثمان ، الصلوة بمنى واعتراض الاصحاب عليه فى ذلك

« انّه (عثمان) صلّى بالنّاس بمنى فى ولايته ركعتين ، حتّى اذا كانت السّنة السّادسة اتمّها . فعاب ذلك غير واحد من اصحاب النبىّ (ص) وتكلّم فى ذلك من يريد ان يُكثر عليه حتّى جائه علىّ ، فى من جائه ، فقال :

« والله ماحدث امرولاقدُم عهد ولقد عهدتَ نبيّك يُصلّى ركعتين ثمّ ابابكر ثمّ عمر وانت صدراً من ولايتك . فما ادرى ما يُرجع اليه ؟ .

جواب عثمان لعلى

« فقال : راىٌ رأيتُه ! ... »

نقل ايضا عن الواقدى مسنداً (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٣٢٢ ـ) :

« صلّى عثمان بالنّاس بمنى اربعاً فأَتىٰ آتٍ (برواية الواقدى ايضا عن غير ابن عبّاس) الى عبدالرّحمن بن عوف فقال :

« هل لك فى اخيك قدصلّىٰ بالنّاس اربعاً ؟ .

« فصلّىٰ عبدالرّحمن باصحابه ركعتين . ثمّ خرج حتى دخل على عثمان فقال له :

« الم تصلّ فى هذا المكان مع رسول‌الله (ص) ركعتين؟ .

« قال : بلىٰ .

« قال : افلم تصلّ مع ابى بكر ركعتين ؟ .

« قال : بلىٰ .

« قال : افلم تصلّ مع عمر ركعتين ؟ .

« قال : بلىٰ .

« قال : الم تصلّ صدرا من خلافتك ركعتين ؟ .

« قال : بلىٰ .

« قال (عثمان) :

---

١ ـ و قد نقله ابن الاثير فى الكامل (الجزء الثالث ـ الصفحة ال ٥١) ايضا مع اختلاف يسير فى بعض الالفاظ .

جوابه لابن عوف و رد ابن عوف عليه

« فاسمع يا ابا محمّد انّی اُخبرتُ انّ بعض من حجّ من اهل اليمن و جُفاة ـ النّاس قدقالوا فی عامنا الماضی : انّ الصّلوة للمقيم ركعتان ، هذا امامكم **عثمان** يصلّی ركعتين .

« وقداتّخذت بمكّة اهلاً فرايت ان اصلّی اربعاً لخوف مااخاف علی النّاس ، واخریٰ قداتّخذتُ بها زوجة ، ولی بالطّائف مالاً فربما اَطّلعته ، فاقمت فيه بعد الصّدر .

« فقال **عبدالرّحمن بن عوف** : ما من هذا شیءٌ لك فيه عذر .

« امّا قولك: اتّخذت اهلاً . فزوجتك بالمدينة تخرج بها اذا شئت و تقدم بها اذا شئت ، انّما تسكن بسكناك .

« وامّا قولك : ولی مال بالطّائف فأنّ بينك وبين الطّائف مسيرة ثلاثة ليال وانت لستَ من اهل الطّائف .

« وامّا قولك : يرجع من حجّ من اهل اليمن و غيرهم فيقولون : هذا امامكم **عثمان** يصلّی ركعتين وهومقيم ، فقدكان رسول‌الله (ص) ينزل عليه الوحی والنّاس ، يومئذ ، الأسلام فيهم قليل ، ثمّ **ابوبكر** مثل ذلك ، ثمّ **عمر** . فضرب الأسلام بجرانه ، فصلّی بهم **عمر** حتّی مات ركعتين .

« فقال : **عثمان** : هذا رأی رأيته ! .

« قال : فخرج **عبدالرّحمن** فلقی **ابن مسعود** فقال : ابا محمّد غيّر ما يَعْلم ؟ قال : لا . قال : فما اصنع ؟.

قال : اعمل بما انت تعلم . فقال **ابن مسعود**: الخلاف شرّ . قدبلغنی انّه صلّی اربعاً فصلّيت باصحابی اربعاً : فقال **عبدالرّحمن بن عوف**: قدبلغنی انّه صلّی اربعا فصلّيت باصحابی ركعتين . وامّا الآن فسوف يكون الّذی تقول ، يعنی نصلّی معه اربعاً ! »[1] .

---

١ ـ هكذا اورد **الطبری** و **ابن الاثير** وغيرهما، هذه القضية والناظر فيها لا يدری ماذا ينبغی ←

٢٨٩ ـ عتبان ابن عوف على عثمان وهجرانه عنه

يظهر من **ابن عوف** الّذى « هو عاقد الأمر لعثمان و جالبه اليه و مُصَيِّره فى يده » كما عُبِّر ، قدندم على ما فعل فى الشُّورىٰ ، لوينفعه النّدم، ويمهله الأجل، واراد ان يتدارك ، فكان يقول ، على ما نقله **ابن ابى الحديد** (عن رواية **الواقدى** فى مرضه الّذى مات فيه [1] ، وقد ذُكر له عثمان) : « عاجِلُوْه قبل ان يتمادىٰ فى مُلكه ! [2] »

« فبلغ ذلك **عثمان** فبعث الى بئرٍ كان **عبدالرّحمن** يسقِى منها نعمه فمنع منها.

« ووصىّ **عبدالرّحمن** ان لايصلّى عليه **عثمان** فصلّىٰ عليه **الزُّبير** ، او **سعد بن ابى وقّاص** ، وقدكان حلف لمّا تتابعت عليه احداث **عثمان** ان لايكلّمه ابداً » .

روى **الواقدى** ايضا (على ما نقله **ابن ابى الحديد** ايضا) انّه :

«لمّا تُوُفّى **ابوذر** بالرَّبَذَة تذاكر اميرالمؤمنين ،عليه السّلام ، و**عبدالرّحمن**

←

ان يقول؟ ايحق ان يقول : يالله وللرأى من الخليفة، مع التزامه و عهده باتباع سيرة من سبقه؟ او يقول : يالله وللاجتهاد من **ابن مسعود** ، **الصحابى** العظيم !حيث راى و اجتهد ان«الخلاف شر» و لم يقنع بترك الامر بالمعروف ، والمعلوم عنده ، بل تابع غيره فى مايعلم انه خلاف الكتاب والسنة والسيرة ! ؟ اويقول: يالله وللضعف من **ابن عوف** المبشر له بالجنة ، والمرشح للخلافة ، الطالب من الخليفة،العمل بالكتاب والسنة والسيرة ، كيف اقتنع ، بعد استدلاله على **عثمان**، بان يتبعه فى خلافه للسنة و السيرة و يصلى اربعاً مع انه لوصح ما احتج به **عثمان**، لراى رايه، اختص به ولايشمل **ابن عوف**؟ او يقول : يالله ولضعف الحرية الاسلامية، التى كان المسلم بحيث يقول للخليفة المقتدر، مثل **ابى بكر**، او المهيب مثل **عمر** « والله لئن زغت ، اواعوججت، لاقيمنك بهذا السيف » ؟

---

١ ـ مات **عبدالرحمن** سنة ثلاثين على ما فى تاريخ **الطبرى** ، و سنة احدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين و ثلاثين على ما فى الاستيعاب والاصابة.

٢ ـ استعمل كلمة « ملكه » دون « خلافته » .

فعلَ **عثمان** فقال امير المؤمنين، عليه السّلام، له: « هذا عملك » فقال **عبدالرّحمن**: « فأذا شئتَ فخذ سيفك وآخذ سيفي! انه خالَفَ ما اعطانى! ».

قال الفقيه المالكى، **ابن عبد ربّه**، فى كتابه «العقدالفريد»:

حلف ابن عوف على ان لا يكلم عثمان ابدا

«فلمّا احدث **عثمان** ما احدث، من تولية الأحداث من اهل بيته وتقديم قرابته، قيل لعبدالرّحمن: هذا كلّه فعلك. قال: لم اظنّ هذا به[1] ولكن ّالله علىّ ان لا اكلّمه ابداً!

«فمات **عبدالرّحمن** وهو مهاجر لعثمان. ودخل عليه **عثمان** فتحوّل عنه الى الحائط ولم يكلّمه».

روى **ابن ابى الحديد** انّه:

« لمّا بنى **عثمان** قصره طَمارَ الزّوراء[2] وصنع طعاماً كثيراً ودعا النّاس اليه كان فيهم **عبدالرّحمن** فلمّا نظر الى البِناء والطّعام قال:

« يا **ابن عفّان** لقد صدّقنا عليك ماكنّا نكذّب فيك. وانّى استعيذ بالله من بيعتك » فغضب **عثمان** وقال لغلامه: اَخرِجه عنّى يا غلام. فاخرجوه. ومرض **عبدالرّحمن** فعاده **عثمان** وكلّمه، فلم يكلّمه حتّى مات »[3].

٢٩٠ ـ بعض ما نقم النّاس والصّحابة على عثمان

انقسمت مدّة خلافة **عثمان**، كما قالوا وعلمتَ، الى دورتين يشمل كلّ واحدة

---

١ ـ انظر كيف غفل **ابن عوف** عن تفرس عمر، المؤكد، فى **عثمان**؟ وكيف حلف على عدم التكلم معه، الذى يشبه عمل الصبيان والنسوان ويدل على ضعفه ولينه، الذى تفرس عمر (رض) فيه.

٢ ـ «طمار كقطام: المكان المرتفع. والزوراء، بالفتح والمد: بغداد. وموضع بالمدينة يقف المؤذن على سطحه للنداء الثالث قبل خروج الامام، ليسعوا الى ذكر الله ولاتفوتهم الخطبة، والنداء الاول بعده عند صعوده للخطبة، والثانى للاقامة بعد نزوله من المنبر .... وهذا الاذان امر به **عثمان بن عفان**» (مجمع البحرين).

٣ ـ شرح النهج ـ الصفحة ال ٦٦ ـ).

منها ستّة سنة . فكانت سيرته فى الدّورة الاُولىٰ سيرة مرضيّة ، ولكنّها فى الدّورة الثّانية ، الدّورة التى كانت كأنّها تبرز فيها ماكمن بذرها ، وتنمو فيها زرعها ، وتنضج ثمرتها ، تغيّرت السّيرة تغيّراً سريعا لايكاد ان يتحمّلها النّاس، فتكلّموا فى اعمال الخليفة ، وارتفعت الأصوات بالأنتقاد عن عمّال الخليفة ، وانجرّ الأمرالى ان اجترء النّاس على بعض عمّاله الفاسق الجائر ، وصارالأمرالى اجتماع جمعٍ من اكابر عدّةٍ من بلاد الأسلام فى المدينة ،للشّكوىٰ عن العمّال ، فتبدّلت ، لأجل التّسامح فى رفع الظّلم عنهم ، بالأعتراض والاعراض عن الخليفة . فاستنصروا الصّحابة ، واستمدّوا من اكابراهل المدينة ، فاشتدّ الحال وآل الأمر الى ما آل ، وثلمت فى الأسلام ثلمة بقيت آثارها مدى اللّيالى والأيّام .

قال ابن ابى الحديد[1] (ذيل «من خطبة له ، عليه السّلام ، فى معنى قتل عثمان: لَوْ اَمَرْتُ به لَكُنْتُ قَاتِلاً ...) :

« ويجب ان نذكر فى هذا الموضع ابتداء اضطراب الامر على عثمان الى ان قتل. واصحّ ما ذكرفى ذلك مااورده ابوجعفر محمّد بن جرير الطّبرى فى التّاريخ. وخلاصة ذلك انّ :

« عثمان احدث احداثاً مشهورة نقمها النّاس عليه من تأمير بنى اميّة ، ولاسيّما الفسّاق منهم و ارباب السّفه و قلّة الدين ، واخراج مال الفىء اليهم ، وماجرىٰ فى امر عمّار ، و ابى ذر ، و عبدالله بن مسعود و غير ذلك ، من الأمور الّتى جرت فى اواخر خلافته .

« ثمّ اتّفق انّ الوليد بن عقبة لمّا كان عامله على الكوفة ، وشهد عليه بشرب الخمر ، صرفه و ولّىٰ سعيد بن العاص مكانه ، فقدم سعيدٌ الكوفة ، واستخلف من اهلها قوماً يسمرُوْن عنده ، فقال سعيد يوما : « ان السواد بستانٌ لقريش و بنى اميّة ! »

« فقال الأشترالنّخعى : « وتزعم انّ السّواد الّذى افائه الله على المسلمين

---

١ - (المجلد الاول - الصفحة ١٥٨).

باسيافنا بُستانٌ لكَ ولقومكَ» ؟ .

وثوب عدة من اشراف الكوفة على صاحب شرطة سعيد

« فقال صاحب شرطته : « اتردّ على الأمير مقالتَه؟ . واغلظ له .

« فقال الأشتر لمن حوله من النّخع وغيرهم من اشراف الكوفة :

« الا تَسْمَعُون ؟ .

« فوثبوا عليه[١] بحضرة **سعيد** فوطؤه وطأً عنيفا وجرّوا برجله . فغلظ ذلكَ على **سعيد** ، وابعد سماره فلم يأذن بعدُ لهم . فجعلوا يشتمون **سعيداً** فى مجالسهم . ثمّ تعدّوا ذلكَ الى شتم **عثمان** . واجتمع اليهم ناس كثير حتى غلظ امرهم .

٢٩١ ـ كتاب عثمان لتسيير اشراف الكوفة الى الشّام

« فكتب **سعيد** الى **عثمان** فى امرهم . فكتب اليه ان يسيّرهم الى الشّام لئلا يُفسدوا اهل الكوفة . وكتب الى **معاوية** ، وهو والى الشّام ، انّ نفراً من اهل الكوفة همّوا بأثارة الفتنه ، وقد سيّرْتُهم اليكَ . . .

« فسيّروهم ، وهم : **الاشتر** و**مالك بن كعب الأرحبى** و **الأسود بن يزيد النّخعى** و**علقمة بن قيس النّخعى** و **صعصعة بن صوحان العبدى** وعدّة اُخرى الى الشّام عند **معاوية** . . . . »

قال **ابن ابى الحديد** ايضا :

« روى **المدائنى** انّه كان لهم مع **معاوية** بالشّام مجالسُ طالت فيها المحاوَرات والمخاطَبات بينهم . . . »

واخيراً رأى **معاوية** ان يرفع هذا المهمّ عن كاهله فكتب الى **عثمان** فى شأنهم .

« فكتب ان رُدَّهم الى **سعيد بن العاص** بالكوفة . فَرَدّهم فأطلقوا السنتهم فى ذمّه وذمّ **عثمان** وعيبهما فكتب اليه **عثمان** ان يُسيّرهم الى حِمْصَ الى **عبدالرّحمن بن خالد بن الوليد** . فسيَّرهم اليها » .

---

١ ـ اى على صاحب الشرطة.

٢٩٢ - تغريب اشراف الكوفة الى حمص

روى **الواقدى** (على ما نقل **ابن ابى الحديد**) انّه [١] :

« لما سيّر بالنّفر الّذين طردهم **عثمان** عن الكوفة الى حِمْص ، وهم : **الأشتر** و**ثابت** بن **قيس** الهَمْدانى و **كميل بن زياد النّخعى** و **زيد** بن **صوحان** واخوه **صعصعة** و **حبيب** بن **زُهير** الغامدى و **حبيب** بن **كعب الأزْدى** و **عروة بن الجعد** و **عمرو** بن **حَمِق الخزاعى** و **ابن الكوّاء** ، جمَعَهم **عبدالرّحمن** بن **خالد** بن **الوليد** ، بعد ان انزلهم ايّاما وفوض لهم طعاماً ثمّ قال لهم:

كيفية سلوك عبدالرحمن بن خالد مع اكابر المسلمين واشرافهم

« يا بنى الشّيطان ! ! لامر حباً بكم ولا اهلاً : قدرجع الشّيطان محسوراً وانتم بعدُ فى بساط ضلالكم وغيّكم . جزى الله **عبدالرّحمن** ان لم يؤذكم يا معشر من لا ادرى اعرب ام عجم؟ ! اتَرُيٰكم تقولون لى ماقلتم لمعاوية ؟

« انا ابن **خالد** بن **الوليد** ، انا ابن من عَجَمَتْهُ العاجمات ، انا ابن فاقىء عين الرِّدّة . والله يا **ابن صوحان** لأطيرنّ بكَ طيرة بعيدةَ المَهْوىٰ ان بلغنى انّ احداً ممّن معى دقّ انفكَ فأقنعت راسكَ ! .

« قال : فاقاموا عنده شهراً كلّما ركب امشاهم معه[٢] ! » .

٣١٣ - الأَحداث التى نسبت إحداثها الى عثمان

فى شرح النّهج **لابن ابى الحديد** (فى ذيل كلامه عليه السلام) : « الىٰ انّ

---

١ - روى الطبرى ايضا هذه الواقعة فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٦٤ -) مع اختلاف يسير فى بعض الكلمات جداً .

٢ - يا للاسلام فكيف تحول فى تلك المدة القليلة ! بحيث صار الامير على المسلمين ، القائم باسورهم ، والحافظ لاحكام دينهم و شئونهم ، غافلا عن الحرية و العدالة و المعروف والمنكر ، ناطقا بتلك الكلمات الجائرة المنكرة الجافة المستبشعة الفاضحة عاملا بهذه الحركة الشنيعة الاستبدادية الكسروية القيصرية ! ؟

قامَ ثالِثُ القَوْمِ نافِجاً حِضْنَيْه . . . » :

« وثالث القوم هو **عثمان** بن **عفّان** بن ابى **العاص** بن **اميّة** بن . . . . بايعه النّاس بعد انقضاء الشّورى . . . . وصحّت فيه فراسة **عمر** فأنّه اَوْطَأبنى اميّة رقابَ النّاس ، و ولّاهم الولايات ، واقطعهم القطائع .

« وافتتحت ارمينيّة فى ايّامه ، فأخذ الخُمس كلّه ، فوهبه **لمروان** . فقال **عبدالرّحمن** بن **حنبل الجمحى** .

اَحْلِفُ بالله رَبِّ الأَنام
مٰا تَرَكَ اللهُ شَيْئاً سُدىً
وَلكِنْ خُلِقْتَ لَنٰا فِتنَةً
لكى نَبْتَلى بِكَ اَوْ تُبْتَلىٰ
فَانَّ الأَمِينَيْنِ قَدْ بَيَّنٰا
مَنار الطَّرِيْقِ عَلَيْه الْهُدىٰ
فَما اَخَذا دِرْهماً غِيْلَةً
وَلا جَعَلا دِرْهَماً فى هَوىً
واَعْطَيْتَ مروانَ خُمْسَ البِلادِ
فَهَيْهاتَ سَعْيُكَ مِمَّنْ سَعىٰ[1]

---

١ ـ « **عبدالرحمن** بن **حنبل** . . . هو القائل فى **عثمان** بن **عفان** رضى‌الله، لما اعطى **مروان** خمسمأة الف من خمس افريقية :

« و احلف بالله جهد اليمين ما ترك الله امر سدى
« ولكن جعلت لنا فتنة لكى نبتلى بك او تبتلى
« دعوت الطريد فادنيته خلافاً لما سنه المصطفى
« و وليت قرباك امر العباد خلافاً لسنة من مضى
« واعطيت مروان خمس الغنيمة آثرته و حميت الحمى
« و مالا اتاك به **الاشعرى** من الفىء اعطيته من دنا
« فان الامينين قدبينا منار الطريق عليه الهدى
« فما اخذا درهماً غيلة ولا قسما درهما فى هوى »

(**الاستيعاب والاصابة**) .

« وطلب منه عبدالله بن خالد بن اُسيد صلةً فاعطاه اربعماة الف درهم! واعاد الحَكَمَ بن ابى العاص ، بعد ان كان رسول‌الله (ص) قد طرده ، ثمّ لم يردّه ابوبكر ولا عمر ، واعطاه مأة الف درهم .

« وتصدّق رسول‌الله (ص) بموضع سوقٍ بالمدينة يعرف بـ « تهروذ » على المسلمين ، فاقطعه عثمان ، الحارثَ بن الحكم اخا مروانَ بن الحكم .

اعادة عثمان عمه الحكم ، طريد رسول‌الله واعطاؤه مأة الف درهم

« واقطع مروانَ فدك ، وقد كان فاطمة عليهاالسلام طلبتها بعد وفاة ابيها صلوة‌الله عليه ، تارةً بالميراث وتارةً بالنّحلة ، فدُفعَتْ عنها .

« وحمى المراعىَ حول المدينة كلّها من مواشى المسلمين كلّهم الّا عن بنى اميّة! .

« واعطىٰ عبدَالله ابن ابى سرح جميعَ ما افاءالله عليه من فتح افريقيّة بالمغرب ، وهى من طرابلس الغرب الى طنجة ، من غير ان يُشرك فيه احداً من المسلمين .

« واعطىٰ اباسفيان بن حرب مأتى الف من بيت المال ، فى اليوم الّذى امر فيه لمروان بن الحكم بمأة الف من بيت المال ، وقد كان زوّجه ابنته ، امّ ابان ، فجاء زيد بن ارقم صاحب بيت المال [1] بالمفاتيح فوضعها بين يدى عثمان وبكىٰ .

« فقال عثمان : اتبكى ان وصلتُ رحمى ؟ .

« قال : لا ، ولكنّى ابكى لانّى اظنّك اخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت انفقتَه فى سبيل الله فى حياة رسول‌الله . والله لو اعطيتَ مروان مأة درهم لكان كثيرا!

« فقال : اَلْقِ المفاتيح يا ابن ارقم فأنّا سنجد غيرك .

« واتاه ابوموسى بأموال من العراق جليلة فقسمّها كلّها فى بنى اميّة .

« وانكح الحارث بن الحكم ابنتَه عائشة ، فأعطاه مأة الف من بيت المال ايضا بعد صرفه زيد بن ارقم [1] عن خزنه .

« وانضمّ الى هذه‌الامور اموراُخرىٰ نقمها عليه‌المسلمون : كتسييرِ ابى ذر

---

١ - قد مر سابقاً (حاشية صفحة ال ٢٨٤) ان صاحب بيت المال هو عبدالله بن ارقم لا زيد بن ارقم فراجع .

، رحمه‌الله، الى ربذة ، وضرب **عبدالله بن مسعود** حتّى كسرا ضلاعه ، وما اظهر من - الحجاب ، والعدول عن طريقة **عمر** ، فى اقامة الحدود، وردّ المظالم، وكفّ الأيدى العادية ، والأنتصاب لسياسة الرّعيّة .

«وختم ذلك ماوجدوه من كتابه الى **معاوية** يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين. واجتمع عليه كثير من اهل المدينة مع القوم الّذين وصلوا من مصر لتعديد احداثه عليه ، فقتلوه . . . . » (انتهى ما قاله **ابن ابى الحديد**) [1] .

٢٩٤ - بعض ماطُعن به على عثمان (رض)

اهم مطاعن عثمان (رض)

ويلخّص ما طُعن به على عثمان (رض) واعترُض عليه فى ما يُعدَّد .

١ - تغييره بعض الاحكام الخاصّة كالّصلوة اربعاً بمنى[1] .

٢ - ردّ طريد رسول‌الله ، **حكم ابن ابى العاص** ، عمّه و ابى **مروان** .

٣ - تعطيل الحدود (على **عبيدالله** بن **عمر** ، وعلى غيره) .

٤ - تقديم اقربائه من بنى اميّة على غيرهم ، وفيهم اكابر الّصحابه .

٥ - تولية الأحداث الفُسّاق من بنى ابى مُعَيط ، وتسليطهم على البلاد والعِباد (كالوليد بن عُقْبة ، الفاسق بلسان القرآن[2] ، المتجاهر بشرب الخمر[3] ، اخى **عثمان** ، من

---

١ - شرح نهج البلاغة المجلد الاول ال ٦٧ .

٢ - قوله تعالى : « .. ان جائكم فاسق بنبأ . . » وقوله تعالى « افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون » على ما اوله به .

٣ - وقد حده على ذلك **عثمان** باصرار من **على** وبحضرته وهوالذى قال له **سعد** بن **ابى‌وقاص** (برواية الواقدى) حين وروده الكوفة ليكون اميراً عليها مقام **سعد بن ابى‌وقاص**: يا ابى وهب امير ام زائر؟ قال : بل امير.

فقال **سعد** : « ما ادرى احمقت بعدك ام كيست بعدى؟ » .

قال : « ما حمقت بعدى ولا كيست بعدك ولكن القوم ولوا منكرا فاستأثروا » .

فقال **سعد** : « ما اراك الا صادقا » .

←

امّه (اروىٰ بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس) .

٦ - صرفه اموال بيت المال كيف شاء واراد .

←

وبرواية ابى مخنف : «ان الوليد لما دخل الكوفة مر على مجلس عمرو بن زرارة- النخعى فوقف فقال عمرو :

« يا معشر بنى اسد بئسما استقبلنا به اخوكم عثمان بن عفان. امن عدله ان يعزل عنا ابن ابى وقاص الهين، اللين، السهل، القريب، ويبعث بدله اخاه الوليد، الاحمق الماجن - الفاجر، قديماً و حديثاً ؟ » .

وهذا الوليد هوالذى صلى فى حال السكر فزاد فى الصلوة فالتفت الى الجماعة خلفه وقال لهم : « ازيدكم ؟ ! ! والى هذا اشار الحطيئة الشاعر حيث قال :

شَهِدَ الْحَطِيئَةُ يَوْمَ يَلْقَىٰ رَبَّهُ
اِنَّ الْوَلِيدَ اَحَقُّ بِالْعَذْرِ
نَادىٰ وَقَدْ نَفِدَتْ صَلوٰتُهُم
اَأَزِيدُكُم ؟ ثَمِلا ولا يَدْرِى
لِيَزِيدَهُم خَيْراً وَلَوْ قَبِلُوْا
مِنْهُ لَقَادَهُمُ عَلىٰ عَشْرِ
فَاَبَوْا اَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا
لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
حَبَسُوا عِنَانَكَ، اذجَرَيتَ ولو
خَلَّوا عِنانكَ لَمْ تَزَل تَجرِى

وفيه قال الحطيئة ايضا :

تَكَلَّمَ فِى الصَّلوٰةِ وَزَادَ فِيهَا
عَلانِيَةً وَجَاهَرَ بِالنِّفَاقِ
وَمَجَّ الْخَمْرَ عَنْ سنن المصلّى
ونادىٰ والجَمِيعِ الى اِفْتِرَاقِ
اَزِيدُكُمُ عَلىٰ اَنْ تَحْمَدونى
فَمَا لَكُمُ و مالى مِن خَلَاقِ

←

٧ ـ بذله و اعطاؤه ما اراد، ممّا يتعلّق بها حال العموم و تشترك فيها قاطبة المسلمين، كسوق المدينة (تهروذ) [١] ومراعى حول المدينة، وما افاءالله من فتح افريقيّة، والأموال الّتى جاء بها ابوموسى [١] من العراق، لمن اراد من اقربائه كابن عمّه وصهره، **الحارث** بن **الحكم**، طريد رسول الله و **عبدالله** ابن ابى **سرح** وسائر اقربائه .

٨ ـ اسرافه فى صرف المال، كبناء قصره (طمار الزوراء) واطعام النّاس فيها بحيث اعترض عليه **عبدالرّحمن ابن عوف**، وغيره .

٩ ـ ضعفه فى مقابل **مروان**، وطاعته عنه، فى ما كان يشير اليه من الأراء الفاسدة .

١٠ ـ شدّته على بعض الأعاظم من الصّحابة، بل ضربه ايّاهم وتغريبهم **كأبى ذر** و**عمّار** و**ابن مسعود** .

١١ ـ اتّخاذه الحجاب .

١٢ ـ جمعه الناس على قرائة **زيد** بن **ثابت** خاصّة واحراقه المصاحف...»

٢٩٥ ـ مآل الأجوبة عن المطاعن

ذكر **ابن ابى الحديد** (وغيره) المطاعن الّتى طعن بها **عثمان** مفصّلة وانهيها الى احدعشروا ورد ماذكره قاضى القضاة فى كتاب « المُغنِى» فى تأويلها، والجواب عنها، ثمّ اردفها بما اعترض به **السّيّد المرتضى**، علم الهدى [١]، على القاضى بالشّرح والتّفصيل .

←

قال **جلال الدين السيوطى** فى تاريخ الخلفاء : « وفى سنة خمس وعشرين عزل **عثمان**، **سعداً** عن الكوفة وولى **الوليد** بن **عقبة** بن **ابى معيط** ... وذلك اول ما نقم عليه لانه اثر اقاربه بالولايات . وحكى ان **الوليد** صلى بهم الصبح اربعاً وهو سكران ثم التفت اليهم فقال : أزيدكم ؟ .»

١ ـ تهروذ كلمة فارسية معناها « الوادى السفلى » و الكلمة مستعملة الان فى بعض قرى خراسان بهذا المعنى لموضع .

فمن اراد ان يطّلع على تأويلات القاضى وعلى اعتراضات السيّدعليه، فعليه ان يراجع شرح ابن ابى الحديد ويحكم بينهما بما يرشده اليه عدله وانصافه، و يرتضيه عقله ووجدانه. والله العاصم الهادى.

ولعلّه كلّ تلكٔ التأويلات ترجع الى جواز الرّأى، بمعنيه الوسيع، وجواز الأجتهاد الشّخصى كيف كان، ولاسيّما اذا كان الرّأى والأجتهاد من الخليفة. وكأنّ القاضى واضرابه ايضا يقولون ذلكٔ برأيهم واجتهادهم والّا فكيف يجوز لمسلم، كائناً من كان، ان يعمل على خلاف الكتاب والسّنّة والسّيرة باسم الرّأى والأجتهاد، ولاسيّما اذاكان خليفة من المسلمين، وبانتخابهم عليهم. واذا جاز ذلكٔ فما معنى قول الرّسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، حين مرضه: « اقيدونى... » وما معنى قول عمر، المشهور: «... فقوّمونى،..»؟.

۲۹۶ – ندم عثمان وتوبته

وجملة ما قالوا: انّ عثمان فى ولايته، سلّط بنى ابى مُعَيْط و بنى اميّة على رقاب النّاس ولم يعمل بمااوصاه عمر (رض) وكانّه نسى ماحذّره منه ونصحه بقوله: « اذا وُلّيت فلا تسلّط بنى ابى مُعَيْط على رقاب النّاس » فاستعمل وليد بن عُقْبة الفاسق [1] المتجاهر بشرب الخمر.

و استعمل سعيدّ بن العاص، حتّى ظهرت منه الأمور الّتى عندها اخرجه اهل الكوفة منها.

و ولّى عبدالله بن ابى سرح و عبدالله بن عامر بن كريز مع تجاهرهما بالظّلم والجور وقتل النّفس.

---

۱ - « والسبب فى ذلك (يعنى نزول آية « ان جائكم فاسق بنبأ ... » فى حقه) انه كذب على بنى المصطلق عند رسول الله (ص) وادعى انهم منعوه الصدقة. ولو قصصنا مخازيه المتقدمة و مساويه، لطال بها الشرح » (شرح ابن ابى الحديد).

وخضع لمروان بن الحكم فكان يقبل مايقول ، ويعمل بما يشير ، حتىٰ صرفه كراراً عمّا ارشده اليه اكابر الصّحابة من واضح الطّريق ، وجليّ الصّواب، بل ورجع بأشارته عمّا عهد به ، واعلن على رؤس الأشهاد و حضور الاصحاب، من ندمه على ما سلف منه، ومن تصريحه بأنّه تاب واناب .

قال الطّبرى فى تاريخه (الجزء الثّالث ـ الصفحة ال ٣٩٣ ـ) بعد ان ذكر « ذَهاب عثمان الى عليّ فى بيته والتمس منه ردَّ القوم عنه » :

« فقال (يعني علياً) :

« علىٰ ما اَرُدُّهم ؟

« قال (يعنى عثمان) : « علىٰ ان اصير الى ما اشرتَ به علَىَّ ورايتَه لى.

« فقال عليّ : « انّى قد كنت كلّمتُكَ مرّةً بعد مرّة ، فكلّ ذلك نخرج فتُكلّم و نقول و تقول ، و ذلك كلّه فعل مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و ابن عامر ومعاوية . اطعتَهم وعصيتنى ! . . . »

وقال ايضاً فيه (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٣٩٦ ـ):

« واعطى النّاسَ من نفسه التّوبةَ ، فقام وحمدالله ، واثنى عليه بما هو اهله ، ثمّ قال :

« امّا بعد ايّها الناس فوالله ماعاب من عاب منكم شيئاً اجهله ، وما جئتُ شيئاً الّا وَ اَنا اَعرِفُه، ولكنّنى منَّتنِي نَفْسِي وكَذَّبَتنِي، وَضَلَّ عَنّى رُشْدِي. استغفار عثمان مما فعل

« ولقد سمعتُ رسول الله (ص) يقول :

« مَنْ زَلَّ فَلْيَتُبْ ، ولا يَتَمادىٰ فى الْهَلَكَةِ . اِنَّ مَنْ تَمادىٰ فى الْجَوْرِ كانَ اَبْعَدَ مِنَ الطَّريق .

« فانا اَوَّلُ مَنِ اتَّعَظَ . اَسْتَغْفِرُالله مِمّا فَعَلْتُ وَاَتوبُ اِلَيْه .

« فاذا نزلتُ فليأتنى اشرافكم فليُرونى رايَهم ، فوالله لئِن ردّنى الحقّ عبداً لأَستَنِنَّ بسنّة العبد ، ولأكونَنَّ كالمرقوق ، ان مُلِكَ صبر ، وان عُتِقَ شكر .

وماعن الله مذهب الّا اليه . فلايعجزنّ عنكم خياركم ان يدنوا اليّ . لئن ابَتْ يَميني لَتُتابِعَنِي شِمالي ».

« فرَقّ النّاس له يومئِذ وبكى من بكى منهم [١] ».

٢٩٧ – نقض مروان ما ابرمه عثمان

اثّرت تلك الخطبة فى القلوب ، وتأثّرت منها النّفوس ، وبكت لها العيون ، فكاد ان يصير الأمر الى الصّلاح : صلاح الخليفة وصلاح النّاس ، ولكنّه افسده مروان ، وبدّله بعد ما سمعه ، وجرّ الأمر على ماشاه واراد ، ودبّر حتّى انجرّ الى قتل الخليفة عثمان .

فانظر الى مانقله الطّبرى فى تاريخه ايضا قال (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ـ ٣٩٦ -) :

« فلمّا نزل عثمان وجدفى منزله مروان و سعيداً ونفراً من بنى اميّة ، ولم يكونوا شهدوا الخطبة . فلمّا جلس قال مروان :

« يا اميرالمؤمنين اتكلّم ام اصْمُتُ ؟ .

« فقالت نائِلة ، بنت الفرافصة ، امرأة عثمان ، الكلبيّةُ :

« لابل اصْمُتْ فأنّهم والله قاتلوه و مؤثِموه ، انّه قد قال مقالة لاينبغى له ان ينزع عنها .

---

١ ـ قال الطبرى ، ايضا ، بأسناده الى ابى حبيبة قال :

« خطب عثمان الناس فى بعض ايامه فقال عمرو بن العاص : يا اميرالمؤمنين انك قد ركبت نهابير (المهالك) وركبنا معك فتب نتب. فاستقبل عثمان القبلة وشهريديه.

« قال ابوحبيبة فلم ار يوماً اكثر باكياً ولا باكية من يومئذ ».

وقال ابن الأثير فى الكامل (الجزءالثالث ـ الصفحة ال -) : « فلما خطب(عثمان) الناس قال له عمرو بن العاص . « اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا و ركبناها معك فتب الى الله نتب. فناداه عثمان : وانك هناك يا ابن النابغة ، قملت والله جبتك منذ عزلتك عن العمل . فنودى من ناحية اخرى : تب الى الله ...»

« فاقبل عليها مروان فقال : « ما انتِ وذاك؟ فوالله لقد مات ابوكِ وما يُحسن ان يتوضـّأ .

« فقالت له : مهلاً ، يا مروان ، عن ذكر الآباء . تخبر عن ابى وهو غائب ، تكذب عليه ، وانّ اباك لاتستطيع ان تدفع عنه . امّا والله لولا انّه عمُّه وانّه يناله غمّه اخبرتُكَ عنه ما لن اكذب عليه .

« فأعرض عنها مروان ثمّ قال :

« يا اميرالمؤمنين اتكلّم ام اصمت ؟

« قال : « بل تكلّمْ » .

« فقال مروان :

« بأبى انت وامّى ! والله لوددتُ انّ مقالتك هذه كانت و انت ممتنع منيع [1]

كلمات واهنة مرذولة القيها مروان الى الناس

فكنتُ اوّل من رضى بها واعان عليها . ولكنّك قلتَ ما قلتَ حين بلغ الحِزام ، الطُّبْيَيْن [2] ، وخلف السَّيلُ الزُّبى [2] ، وحين اعطى الخطّة الذليلة ، الذّليل.

« والله لأقامةٌ على خطيئةٍ [3] تستغفرالله منها ، اجمل من توبة تخوّف عليها ! . وانّك ان شئت تقرّبت بالتّوبة ولم تقرب بالخطيئة ، وقد اجتمع عليك على الباب مثل الجبال من النّاس !

« فقال عثمان :

« فاخرج اليهم فكلّمْهم ! فأنّى اَستحيي ان اكلّمهم ! !

« فخرج مروان الى الباب ، والنّاس يركب بعضهم بعضا .

---

١ - هل يكون فى الدين مناعة امنع واقوى من رعاية الدين ، والعمل بعهدالله ، ومن اقامة العدل ورفع الجور ، كما عهد عليه عثمان؟

٢ - الطبى واحد الاطباء (كالشعر والاشعار) وهى حلمات الضرع يضرب مثلا للامر يبلغ غايته فى الشدة والصعوبة. والزبى جمع زبية (كالكنية والكنى) وهى الرابية لايعلوها الماء. يضرب لما جاوز الحد ، وعند اشتداد الامر.

٣ - هكذا يكون الدين فى نظر مروان ! وليس له نظر فى الحق والعدل.

« فقال :

« ماشأنكم قداجتمعتم؟ . كأنّكم جئتم لنهب . شاهت الوجوه! كلّ انسان آخذ بأذن صاحبه، الّا من اُريد! جئتم تريدون ان تنزعوا مُلكنا من ايدينا [1] اخرجوا عنّا . اما والله لئن رمتمون ليمرّنّ عليكم منّا امرلا يسرّكم ، ولاتحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا الى منازلكم ، فأنّا والله ما نحن مغلوبين على ما فى ايدينا!

« فرجع النّاس ، وخرج بعضهم حتّى اتىٰ عليّاً فاخبره ، فجاء علىّ عليه السلام مُغْضَباً حتى دخل على عثمان فقال :

« امّا رضيتَ من مروان ولارضى منكَ الّا بتحرّفكَ عن دينكَ! وعن عقلكَ! مثل جمل الظّعينة يُقاد حيث يُسارُبه [2] .

« والله ما مروان بذى رأيٍ فى دينه ولا فى نفسه . وايْمُ الله انّى لأراه سيوردك ثمّ لايُصدرك . وما انا بعائدٍ بعد مقامى هذا لمُعاتَبتكَ . اذْهَلْتَ شرفكَ وغُلِبْتَ على امرك .

« فلمّا خرج علىٌّ دخلَتْ عليه نائِلة ابنة الفرافصة ، امرأته، فقالت: كلمات نائلة امرأة عثمان له فى نضحة

« اتكلّم ام اسكت ؟

« فقال : تكلّمى .

« فقالت : قدسمعتُ قول علىّ لكَ، وانّه ليس يعاودك ، وقد اطعتَ مروان يقودك حيث شاء [2] !

« قال : فما اصنع؟!

« قالت : تتّقى الله وحده لاشريك له، وتتّبع صاحبَيْكَ من قبلكَ، فانكَ متى اطعتَ مروان قتلكَ [2] ومروان ليس له عندالنّاس قدر ولا هيبة ولامحبّة، وانّما تركَكَ النّاس لمكان مروان [2] فأرسِلْ الى علىّ فاستصلحه فانّ له قرابة منكَ وهو لايُعصىٰ».

---

١ -ان مروان واضرابه من بنى آبائه كانوا يرون ان الخلافة هى السلطنة والملك ، وهم احق بهذا الملك ، وليت شعرى كيف تغيرت الاوضاع وتبدلت الاحوال فى تلك المدة القليلة حتى اجترأ مروان يخاطب الصحابة الكبار والمسلمين الاحرار بامثال هذه الكلمات؟!!

٢ - من هذه التعبيرات يعرف جلياً مروان و مقامه من عثمان، بل وعثمان و مقامه من مروان .

٢٩٨ ـ فساد مروان وافساده

قال الطّبرى فى تاريخه ايضا (الجزء الثّالث ـ الّصفحة ال ٣٩٧ ـ) بأسناده عن عبدالرّحمن بن الاسود :

« . . . انّه يذكر مروان بن الحكم قال : قبّح‌الله مروان ! خرج عثمان الى ـ النّاس ، فاعطاهم الرّضا ، وبكىٰ على المنبر و بكىَ النّاس حتّى نظرتُ الى لحية عثمان مُخْضَلَةً من الدّموع وهو يقول :

« اللّهمّ انّى اتوب اليك . اللّهمّ انى اتوب اليك . والله لئن ردّنى الحق على ان اكون عبداً قِناً لأرضينّ به .

« اذا دخلتُ منزلى فادخلوا علَىَّ ، فوالله لا احتجب منكم ، ولاعطينّكم الرّضا ، ولأنحيّنّ مروان وذويه .

رد مروان، الناس اقبح ردعن الباب

« قال . فلمّا دخل امر بالباب ففُتح و دخل بيته ، ودخل عليه مروان فلم يزل يفتله فى الذّروة والغارب حتّىٰ فتله عن رأيه ، وازاله عمّا كان يريد .

« فلقد مكث عثمان ثلاثة ايّام ماخرج استحياءً من النّاس . وخرج مروان الى ـ النّاس فقال :

« شاهتِ الوجوه ، الّا من اُريد ! ارجعوا الى منازلكم فان يكن لأميرالمؤمنين حاجة باحدكم يرسل اليه والّا قرّ فى بيته . . . » [١]

---

١ ما اعجل الحنث الى هذا الحلف على عدم الاحتجاب منهم ، واعطاؤهم الرضاء عن نفسه ، وتنحية مروان و ذويه !

٢٩٩ - اجتماع المعترضين ، فى المدينة

كانت امثال هذه الأعمال من عثمان ومن عـُمـّاله وخواصـّه وحواشيه ، غير مناسبة لما سنّ النّبي (ص) وجرىٰ عليه ، وغـَيـْرُ موافقة لما شاء (ص) وعمل به ، وكانت منحرفة عمـّا كان عليه الخليفتان وسارا اليه ، وغير مأنوسة لما اعتاده المسلمون و عرفوه من السـِيـَر والرّسوم.

فلمـّا دال الزّمن ، ومال الامر الى الجور والشّحن ، وعمل العـُمـّال بالأستبداد ، ولعبوا بأموال المسلمين وشئون الأسلام ، وضربوا صفحاً عن الـّصلاح والأصلاح ، ولم يـُفد للمسلمين بثّهم الشكوىٰ امراً ، ولم ينتج التصبّر والمداراة والنّصح و الأرشاد شيئاً ، ضاق صدر الصـّبر واتّسع نطاق الضـّجر ، فأقبلت عدّة من اكابر اهل مصر و الكوفة والبصرة وغيرها الى مدينة الرّسول ، مركز الخلافة ومنشأ الحكم ، ومصدر الامر ، ومرجع الحقّ ، ومرصد العدل ، وموطن الأمن ، راجين من الخليفة ، الصـّلاح و الأصلاح ، ومن اهل المدينة ، ولا سيـّما من عظماء الصّحابه ، الأغاثة والأمداد ، وصارت كلمتهم وكلمة اهل المدينة واحدة على طلب الصـّلاح و الأصلاح وتغيير الحال ، ولعلـّه كان فيهم من يعتقد انّ انتخاب عثمان كان بالحقيقة انتصاباً ، بل و فيهم من كان لايرىٰ لأحدٍ مع وجود عليّ ، حقـّاً فى الخلافة وصلاحاً لها .

٣٠٠ - كتابُ جمعٍ ، فيهم عمرو بن بديل الصّحابى ، الى عثمان

فاجتمع فى المدينة ، منها و من خارجها ، جمع كثير اعترضوا على عثمان ، فى اعماله واعمال امرائه وعـُمـّاله ، ووافقهم على ذلك الصـّوت والأعتراض ، صحابة الرّسول الاعاظم ، صلـّى الله عليه وآله وسلـّم ، وطعنوا على عثمان فى افعاله ، وانجرّ الأمر

اخيراً الى ان طلبوا منه ان يخلع نفسه من الخلافة ، وكتب اليه غير اهل المدينة ، وفيهم **عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي** [1] من الصحابة فى ماكتبوا (على ما فى الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٣ - من الطبرى) :

« انا والله لله نغضب وفى الله نرضى »

« بسم الله الرحمن الرحيم . فاعلم : انَّ الله لا يُغَيِّرُ مَا بقومٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأَنفُسِهِم . فالله : الله . ثمّ الله . الله . فانّك على دنيى ، فاستتمّ اليها معها آخرة ولا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الآخِرَةِ فلاتسوغ لك الدنيا .

« واعلم : انّا والله ، لله نغضب وفى الله نرضى ، وانّا لن نضع سيوفنا من عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة ، اوضلالة مُجَلّعة مبلّجة . فهذه مقالتنا لك ، وقضيّتنا اليك ، والله عذيرنا منك . والسّلام . »

٣٠١ - كتاب اهل المدينة الى عثمان

كتاب اهل المدينة اليه

وكتب اهل المدينه اليه (على ما فى الطبرى ايضا) :

« يدعونه الى التوبه ويحتجّون ويقسمون بالله لايمسكون عنه ابداً حتّى يقتلوه ، اويعطيهم مايلزمه من حق الله » .

فى **الطبرى** مسنداً (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٨٣ -) ، بعد ما قال : اجتمع ناس من المسلمين ، فتذاكروا اعمال **عثمان** . . . فاجتمع رأيهم على ان يبعثوا اليه رجلاً يكلّمه ، ويخبره بأحداثه ، فارسلوا اليه **عامر بن عبدالله** . . . » وبعد مانقل دخول **عثمان** ومكالمته معه ، قال (ملخّصاً) :

٣٠٢ - احضار عثمان جمعاً من عمّاله واقربائه للمشاورة

« فارسل **عثمان** الى **معاوية ابن ابى سفيان** والى **عبدالله بن سعد بن ابى سرح**

---

1 -

والى سعيد بن العاص والى عمرو بن العاص والى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم فى امره فلمّا اجتمعوا قال لهم :

«لكلّ امرءٍ وزراء ونُصحاء ، وانّكم و زرائى و نُصحائى واهل ثقتى ، وقد صنع النّاس ماقدرايتم ، وطلبوا الىّ ان اعزل عمّالى وان ارجع عن جميع مايكرهون الى ما يحبّون ، فاجتهدوا رأيكم واشيروا علىّ[١] .

« فقال عبدالله بن عامر :

« رأيى لكَ يا اميرالمؤمنين ، انتأمرهم بجهادٍ يشغلهم عنك ، وان تَجمِرهُمْ فىالمغازى حتى يذلّوا لكَ ، فلاتكون همّة احدهم الّا نفسه ، وماهوفيه من دبرة دابّته وقملفروه ! .

آراء المشاورين لعثمان

« ثمّ اقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال ما رأيكَ؟ قال سعيد :

«ياامير المؤمنين ان كنتَ تريدُ رأينافاَحسِمْ عنكَ الدّاء، واقطَعْ منكَ الّذى تخاف ، واعمل برأيى تُصب .

« قال : وما هو ؟ .

« قال : انّ لكلّ قوم قادة ، متى تهلكْ يتفرّقوا ولايجتمع لهم امر.

« فقال عثمان : انّ هذا الرّأى لولا مافيه ![٢]

« ثمّ اقبل على معاوية فقال : مارأيكَ؟ فقال معاوية :

« ارىٰ لكَ يا امير المؤمنين انتَردّ عمّا لَكَ علىالكفاية لما قِبَلهم واناضامن لكَ قِبَلى[٣] !

---

١ ـ المشاورة مع العمال، لعزل العمال ! نتيجتها معها .

٢ ـ انظر الى هذا الراى المرضى لعثمان (وسائر الاراء) ثم انظر الى كلام على ، لعثمان : « الناس الى عدلك احوج من قتلك » ، كما سيجى .

٣ ـ تامل فىهذا الكلام وانظر فيه سياسة معاوية ودهائه، كيف اراد أن ينجو بنفسه منالمدينة، وانيكون فى محل امارته كى لايبتلى فىالمدينة بمخالفة اهلها، واكابرالقادمين اليها منسائرالبلاد، وان لايقع فىمحل امارته خلل اذاكان خارجاً منه .

« ثمّ اقبل على **عبدالله بن سعيد بن ابى سرح** فقال مارايكَ؟ فقال :

« اريٰ يا اميرالمؤمنين انّ النّاس اهلُ طمع ، فأعطهم من هذا المال تعطف عليكَ قلوبهم !.

« ثمّ اقبل على **عمرو بن العاص** فقال له : ما رايكَ؟ . قال :

« اريٰ انّكَ قد ركبتَ النّاس بما يكرهون فاعتزِم انْ تعتدل ، فان ابيتَ فاعتزم عَزْماً وامْضِ قُدُماً .

« فقال **عثمان** : مالكَ قَمِلَ فَرْوُك ؟... »

وفيه مسنداً يضا ، بعد نقل المشاورة :

« فردّ **عثمان** عُمّا لَه وامرهم بالتضييق عليٰ من قِبَلهم ، وامرهم بتجمير[١] النّاس فى البعوث ، وعزم على تحريم اعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا اليه ... ». امرعثمان بالتضييق! وتجمير الناس فى البعوث!

٣٠٣ ـ توسّل عثمان بعليّ لردّ الناس عنه

فى الطّبرى ايضا (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٤٠٣ ـ) :

« ... فلمّا خاف القتل شاور نُصحائه واهلَ بيته ... فاشاروا عليه ان يرسل الى **عليّ بن ابى طالب** فيطلب اليه ان يردّهم ، ويعطيهم ما يرضيهم ، ليطاولهم حتّى يأتيه امداد !.

« فقال :

« انّ القوم لن يقبلوا التّعليل ... وقدكان منّى فى قدمتهم الأُوليٰ ماكان . فمتى اُعطهم عهداً سألونى الوفاء به .

« فقال **مروان بن الحكم** : يا اميرالمؤمنين مُقاربتهم حتّى نُقوّى، امْثَل من

---

١ ـ واخيرا فليتامل فى ماصارت كالنتيجة للمشاورة من رد العمال ! والتضييق على من قبلهم ! والامر بتجمير الناس (تحميرالجيش هو حبسهم فى ارض العدو، وعدم اقفالهم من ـ الثغر) والعزم على تحريمهم اعطياتهم ! !.

مكاثرتهم على القرب ، فأعطهم ماسألوك ، وطاولهم ماطاولوك !

« فأرسل الى عليّ فدعاه قال : يا اباحسن انه قد كان من النّاس ما قدرايت ، وكان منّي ماقدعلمتَ ، ولستُ آمِنُهم على قتلي فارددُهم عنّي ، فانّ لهم الله ، عزّوجلّ ، انْ اُعتِبهُم من كلّ مايكرهون ، وان اُعطيهم الحقّ من نفسي ومن غيري ، وان كان في ذلك سفك دمي .

« فقال له عليّ :

« اَلنّاسُ اِلىٰ عَدْلِكَ اَحْوَجُ مِنهُمْ اِلىٰ قَتْلِكَ [1] . وانّي لأرىٰ قوماً لا يرضون الّا بالرضى وقد كنت اعطيتهم في قَدْمَتِهِمُ الاُولىٰ عهداً من الله لترجعنّ عن جميع مانقموا . فرددتُهم عنك . ثمّ لم تَفِ لهم بشيء من ذلك ! ! . فلاتغرّنّي هذه المرّة من شيء ، فانّي معطيهم عليك الحقّ .

اتمام الحجة من علي و تأكيده . الحلف على الوفاء من عثمان

« قال : نعم . فأعْطِهم فوالله لأَفِيَنّ لهم [2] » .

قال الطّبرى ايضا في تاريخه (الجزء الثّالث ـ الصفحة ال ٤٠٣ ـ) :

« فخرج عليٌّ الى النّاس فقال :

« ايّها الناس انّكم انّما طلبتم الحقّ فقد اُعطِيتُموه . انّ عثمان قد زعم انّه مُنصفكُم من نفسه و من غيره ، و راجِعٌ عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه .

---

١ ـ انظر الى هذه الجملة كيف يتجلى منه الحق والحقيقة ، والنصح والصفاء في الارشاد و الهداية و وازنه مع ما نصح عمال عثمان و نصحاؤه ، اياه في المشاورة ، ولاسيما مع ما نصحه سعيد بن العاص وارتضاه الخليفة.

٢ ـ كأن الخليفة نسى ان نباءالامر مع مروان ، ونصحائه ، كان هناك على المطاولة والغرور ، فكيف يحلف بالوفاء ويؤكده؟ اللهم الا ان يكون كل ذلك لغلبة الحياء عليه ، فمع مروان باقتضاء غلبةالحياء عليه يعزم على ماارادمروان و نصحه به ، و مع على يعزم على الحق والعدل ! وان كان طلبه المهلة والاجل ، كما سيمر عليك آنفاً ، يبعد هذا العزم ويؤكد ذلك العزم المقدم .

« قال النّاس : قد قبِلْنا ، فاستوثِقْ منه لنا ، فانّا والله لا نرضى بقول دون فعل .

« فقال لهم عليٌّ : ذلك لكم . ثمّ دخل عليه فاخبره الخبر .

« فقال عثمان :

« اضرب بيني و بينهم اجلاً يكون فيه مُهْلة . فانّي لااقدر على ردّ ماكرهوا في يوم واحد .

« قال له عليّ : ماحضر بالمدينة فلا اجل فيه ، وما غاب فاجله وصول امرك.

« قال : نَعَم . ولكن اَجِّلْني في ما بالمدينة ثلاثة ايّام .

« قال عليٌّ : نَعَمْ .

استمهال عثمان وكتاب عهد - التاجيل ثلاثة ايام

« فخرج الى النّاس فأخبرهم بذلك . وكتب بينهم و بين عثمان كتابا اجّله فيه ثلاثا على ان يردّ كُلّ مَظْلمة و يعزل كلّ عامل كرهوه - ثمّ اخذ في الكتاب اعظم ما اخذالله على احدٍ من خلقه ، من عهدوميثاق ، واشهدعليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار .

« فكفّ المسلمون عنه ، ورجعوا الى ان يفِيَ لهم بما أعطاهم من نفسه .

« فجعل يتأهّب للقتال ! و يستعدّ بالسّلاح ! و قدكان اتّخذ جُنداً عظيماً من رقيق الخُمس .

« فلمّا مضت الأيّام الثّلاثة وهوعلى حاله لم يغيّر شيئاً ممّا يكرهوه ، ولم يعزل عاملاً ، ثاربه الناس . . . .

نكث العهد ونقض الميثاق

« قالوا : فأنّا لانعجل عليك وان كنّا قد اتّهمناك . اعزل عنّا عُمّالكَ الفُسّاق ، واستعمِلْ علينا مَنْ لايُتّهم على دمائنا واموالنا ، واردُد علينا مظالمنا .

« قال عثمان : ما اراني اذاً في شيءٍ ان كنتُ استعمل من هَوَيْتُم ، واَعزل من كرهتُم . الأمرُ اذاً امركم [1] !

---

١ - اين تكون هذه الكلمات من كلمات الخليفة عمر (رض) ، ومشاورته مع المسلمين في أمورهم . فحبذا ذلك الوفاء بالعهد لاتباع سيرة من سلف ! ونعمت المتابعة ! وما او في هذا الميثاق (... فوالله ، لافين لهم) واوثقه ! .

« قالوا : والله لَتفعلَنّ او لَتُقْتَلَنّ . فانظُرلنفكَ اودَعْ ..

« فأبىٰ عليهم وقال : لم اكن لأخلع سربالاً سر بَلَنِيهِ الله.... »

٣٠٤ - حول قول عثمان « ... سربالاً سربلنيه الله

ممّا يستوقف النّظر و يستلفت قول الخليفة ، عثمان ، للمسلمين ، هنا ، « لم اكن لأخلع سربالاً سربَلَنيه الله ! » وفى موضع (اونقل) آخر « فلا انزع قميصا قمّصنيه الله ، عزّوجلّ ، واكرمنى به ، و خصّنى به على غيرى ! » وفى محلّ ثالث « امّا ان اتبرّء من الأمارة ، فان تصلبونى احبّ الىّ من ان اتبرّأ من امر الله عزّوجلّ وخلافته ».

وذلك لأنّ تلك الأمارة اوالخلافة لم تكن ، باعترافه وادّعاء من سبقه ، منصبا الهيّاً سربله الله او قمّصه الله به وخصّه بخلافته بل هو ، بزعمه امر دنيوىّ ، زمامه بيد المسلمين فمن كان بيده الوضع كان بيده الرّفع ، ومن كان له حقّ التّقميص والتّخصيص كان له حقّ التّخليص والتّرخيص . من كان الوضع بيده كان الرفع ايضا بيده

وعلى هذا (مع غمض العين عن انّ **عبدالرّحمن بن عوف** كان هوالّذى سر بله او قمّصه وجعله اميراً وخليفة ، وهو ندم من عمله ، لا انّ الله اكرمه بخلافته ! ولا انّ عمـ ـوم المسلمين ، اوعامّة اهل الحلّ والعقد ، انتخبوه لخلافة المسلمين) فالمسلمون والّصحابة ، واهل الحلّ والعقد ، بالخيار فى ما اختاروا ، اذا شاهدوا منه ما يخالف مقاصد الّدين ومصالح المسلمين ، فما معنى هذه الكلمات من الخليفة (رض)؟

قال **الطّبرى** فى تاريخه (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٤٠٠ـ) ، مسنداً ، (ملخّصاً) :

« قدم المصريّون القدمة الأُولى فكلّم **عثمان** ، **محمّد** بن **مَسْلمة** فخرج فى خمسين راكباً من الأنصار ، فاتوهم فردّهم ، ورجع القوم حتّى اذا كانوا بالبُوَيب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب الى **عبدالله** بن **سعد** بن **ابى سرح** ، فكرّوا فأتوا بالكتاب فانكر **عثمان** وقال : هذا مفتعَل .

« قالوا : فالكتاب كتاب كاتبك؟

« قال : اجل ! ولكنّه كتبه بغير امرى!

« قالوا : فالّذى معه الكتاب غلامك ؟

« قال : اَجَلْ ! ولكنّه خرج بغير اذنى!

« قالو : فالجَمَلُ جملك ؟

« قال : اجل ؛ ولكنّه اُخذ بغير علمى !

« قالوا : ما انت الّا صادق او كاذب ، فأن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع ، لما امرت به من سفك دمائِنا بغير حقّها ، وان كنتَ صادقا فقد استحققت ان تخلع ، لضعفك ، وغفلتك ، وخبث بطانتك ، لانّه لا ينبغى لنا ان نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه ، لضعفه وغفلته .

أحداث عظام راوا بها استحقاق خلع عثان

« وقالوا : انّك ضربت رجالاً من اصحاب النّبىّ (ص) و غيرهم ، حين يعظونك و يأمرونك بمراجعة الحقّ عند من يستنكرون من اعمالك ، فأَقِدْ من نفسك مَنْ ضربْتَه وانت له ظالم .

« فقال : الأمام يُخطىء ويُصيب ! فلا اقيد من نفسى ، لانّى لو اَقَدْتُ من نفسى كلّ من اَصَبْتُه بخطاءٍ آتِى على نفسى ! ! .

« قالوا : انّك قداحدثت اَحْداثا عظاماً فاستحققت به الخلع فاذا كُلّمتَ فيها اعطيتَ التوبة ، ثمّ عُدْتَ اليها والى مثلها ، ثمّ قدّمنا عليك فاعطيتنا التّوبة والرّجوع الى الحقّ ، ولا مَنافيك **محمّد** بن **مسلمة** وضمن لنا ما حدث من امرٍ ، فأحضرته ، فتبرّأ منك ، وقال · « لا ادخل فى امره » فرجعنا اوّل مرّةٍ لنقطع حجّتك ، ونبلغ اقصى الاعذار اليك نستظهر بالله ، عزّوجلّ ، عليك ، فلحقَنا كتاباً منك الى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع و الصّلب ، و زعمت انّه كُتب بغير علمك ، وهو مع غلامك ، وعلى جملك ، بخطّ كاتبك ، وعليه خاتمك ، فقد وقعَتْ عليك بذلك ، التُّهمَة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور فى الحكم ، والأثرة فى القَسْم ، والعقوبة للأمر بالتّبسّط من النّاس ، والأظهار للتوبة ، ثمّ الرّجوع الى الخطيئة .

« ولقد رجعنا عنك و ماكان لنا ان نرجع حتّى نخلعك ، ونستبدل بك من

من اصحاب رسول الله (ص) من لم يحدث مثل ماجربّنا منك ، فاردد خلافتنا ، واعتزل امرنا ، فأنّ ذلك اسلم لنا منك ، واسلم لك منّا .

«فاردد خلافتنا واعتزل امرنا»

«فقال عثمان (بعدالحمد والتّصلية) :

«امّا قولكم: تخلع نفسك . فلا انزع قميصاً قمّصنيه الله، عزّ وجلّ، واكرمنى به ، و خصّنى به على غيرى ، ولكنّى اتوب، وانزع، ولااعود لشيءٍ عابه المسلمون .

«قالوا : انّ هذا، لو كان اوّل حدثٍ احدثتَه ثمّ تبتَ منه، وكيف نقبل توبتك و قد بلونا منك انّك لا تعطى من نفسك التّوبة من ذنب الّا عُدتَ اليه ؟ فلسنا منصرفين حتّى! نعزلك . . .

«فقال عثمان : امّا ان أتبرّأ من الأمارة فان تصلبونى احبّ الىّ من ان أتبرّأ من امرالله عزّ وجلّ و خلافته !

« فانصرفوا عنه وآذنوه بالحرب . و ارسل الى محمّد بن مسْلمة فكلّمهُ ان يردّهم . فقال ، والله لااكذب الله فى سنةٍ مرّتين».

٣٠٥- قتل عثمان ، و انقضاء دوره

هكذاكان شأن عثمان فى النّصف الأخير من ايّام خلافته ، فكان قد يحذّرهم و يبعّدهم ، وقد يبشّرهم و يمنّيهم بالصّلاح ، و يعدهم الاصلاح فيقرّبهم و يرغّبهم ، و لكنّه لم يشأ ، او لم يقدر، ان يفى بما كان يعد ، و يعهد، و لم يُرد، او لم يتمكّن ، ان يفعل ما يسكن الثّورة ، و يسكت العامّة ، و يُرضى الأُمّة ، و يُقنع النّاس ، فيَئس القوم منه ، و قنطوا من اقدامه و اصلاحه .

فاتّفقت آراؤهم على حصره فى داره، وهو بمرأىً ومَسْمَعٍ من اكابر الصّحابة من الأنصار و المهاجرين و من البدريّين ، فحصروه فى الدّار اربعين يوماً (او تسعة و اربعين) ثمّ هجموا عليه فى داره و فيهم محمّد بن ابى‌بكر ، الخليفة، وان كان هو لم يتولّ قتله بنفسه .

فى تاريخ الخلفاء للسيّوطى (الصّفحة ال١٦٠ - ١٦١) نقلاً عن **ابن عساكر** بأسناده عن **الزُّهْرى** :

براءة محمد بن ابى بكر عن قتل عثمان

«... وجاء **عليٌّ** الى امرأة **عثمان** فقال لها : من قتل **عثمان** ؟

«فقالت : لادرى. دخل عليه رجلان لاعرفهما ، ومعهما **محمّد** بن **ابى بكر** . واخبرتْ **عليّاً** والنّاس بما صنع محمّد .

«فدعا **عليٌّ** محمّداً فسأله عمّاذكرت امرأة **عثمان**. فقال **محمّد**: لم تَكْذِبْ. قد والله دخلتُ عليه ، وانا اريد قتله ، فذكرنى ابى ، فقمتُ عنه ،و انا تائب الى الله . والله ماقتلتُه ولا امسكته . فقالت امرأته صدق و لكنّه ادخلهما .»

وكيف كان قَتل **عثمان** فى اليوم الثّامن عشر (على الاشهر) من شهر ذى الحِجّة الحرام من شهور سنة خمس و ثلاثين من الهجرة النبويّة وكانت مدّة خلافته (رض) اثنى عشر سنة .

«... يا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ هٰذا جِلْبٰابُ رسُولِ الله (ص)
لَمْ يَبْلَ وَقَدْ ابْلىٰ عُثْمانُ سُنَّتَهُ !
(من كلمات ام المؤمنين عائشة، (رض)»

وَقَدْ كانَ فِيْهٰا للزُّبَيْر عجاجَةٌ
وَطَلْحَةُ فيهٰا جٰاهِدٌ غيرُ لاعِبِ
وَقَدْ اَظْهرا مِن بَعْدِ ذلِكَ تَوْبَةً
فَيالَيْتَ شِعْرِيْ مٰاهُما فى العواقبِ
(ممّا نسب الى عبيدالله بن عمر الخطّاب، رض)

٢٠ـ حولَ مواقف امّ المؤمنين عائِشة والصّحابة من عثمان:

١ـ موقف امّ المؤمنين من واقعة عثمان.
٢ـ موقف طلحة والزبير، حواريّ رسول الله منها.
٣ـ موقف عمرو بن العاص، الصّحابيّ الدّاهي منها.
٤ـ موقف معاوية، خال المؤمنين!، منها:
٥ـ تلخيص ماأورث قتل عثمان.
٦ـ اصحاب محمّد، و عثمان.
٧ـ مقام عليّ في خلافة عثمان.

٣٠٦ - موقف الصّحابة قُبالة عثمان و واقعته

وقعت، تلك الواقعة العظمى والحادثة الكبرىٰ، الّتی لم یکن مثیل لها فی العالم الاسلامی الی ذاك الیوم، بل و ماکان لها فی عالم الوهم و التّخیال مورد و مدخل: حُصِرَ امام المسلمین و خلیفتهم صهر النّبی (ص) علی ابنتیه، ذوالنّورین، شیخ الصّحابة، فی مرکز الخلافة، مدینةِ الرّسول، و مُجتَمَع الأنصار و المهاجرین، و طالت مدّة حصاره، فی داره، اربعین یوما، او ازید، فمُنع من الماء ثمّ هُجم علیه فی بیته لعزله، او لقتله، ثمّ قُتل و تُرك حتّی قیل: «نُبذ(رض) ثلاثة ایّام لایُدفن..[1]» وقیل: «لبث عثمان بعد ماقُتل لیلتین لایستطیعون دفنه... ثم حمله اربعة... فلمّا وُضع لیصلّیٰ علیه، جاء نفر من الأنصار یمنعونهم الصّلوة علیه!، و منعوهم ان یدفن بالبقیع! فقال ابوجهم (احد الاربعة) ادفنوه فقد صلّی الله علیه و ملائکته. فقالوا: لاوالله لایُدفن فی مقابر المسلمین ابدا! فدفنوه فی حشّ کوکب[2]»

و کان ذلك بمرایً و مسمع من کبّار الصحابة، واکابر رجال الدّین، الآمرین بالمعروف، النّاهین عن المنکر، المجاهدین بأنفسهم فی سبیل الله، الّذین لایخافون فی الله لومة لائم، الموصوفین بانّهم: «اَشِدّاءُ عَلَی الکفّار رحُماءُ بَینَهم...» ولم یدافع احد منهم عنه، او لم یقدر ان یدافع و یدفع! بَیْدَ ماکان من علیّ (ع) من الدّفاع، بالنّصح له و للمسلمین، و حراسة داره باقامة ابنه الحسن، او هو والحسین، علی باب الدّار، لمنعهم عن الدّخول، و بایفاد الماء الیه، الی غیر ذلك، مما اثبته الاثبات من اهل السنّة فی کتبهم[3].

١- الجزء الثالث من الطبری - الصفحة ال٤٣٨.

٢- الجزء الثالث من الطبری ایضا «الصفحة ال٤٣٩».

٣- فی تاریخ الخلفاء (الصفحة ال١٠٩): ←

فكانه ماجرىٰ من تلك الاحوال، لم يكن عند هؤلاء منكراً، اوكانت على رايهم و اجتهادهم و باعتقادهم مصلحة الامة، و رعاية حفظ الدين، وصيانة اساس الأسلام تحكم بذلك، حكماً باتاً لامحيص عنه.

قال **الطبرى** فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ۳۷۵ -) عن **الواقدى** (مسنداً):

كتاب دعوة الصحابة الى المسلمين للمخالفة مع عثمان

«لما كانت سنة اربع وثلاثين، كتب اصحاب رسول الله (ص) بعضهم الى بعض: ان اقدموا فان كنتم تريدون الجهاد، فعندنا الجهاد. وكثر الناس على **عثمان**، و نالوا منه اقبح مانيل من احد. و اصحاب رسول الله يرون و يسمعون، ليس فيهم احد ينهىٰ و لا يذب...»

قال **الطبرى** ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ۴۰۰ -) بأسناده عن **ابن يسار** انه قال:

«لما راى الناس ماصنع **عثمان**، كتب مَنْ بالمدينة، من اصحاب النبى (ص) الىٰ مَنْ بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرقوا فى الثغور: انكم انما خرجتم ان تجاهدوا فى سبيل الله، عز وجل، تطلبون دين محمد (ص) فان دين محمد قد اُفسد من خلفكم و تُرك.

« فهلمّوا فاقيموا دين محمد صلى الله عليه و سلم. فاقبلوا من كل افق حتى قتلوه»

←

«... و حاصر الناس **عثمان** و منعوه الماء فاشرف على الناس فقال: افيكم **على**؟ فقالوا: لا. قال: افيكم **سعد**؟ قالوا: لا. فسكت. ثم قال: الااحد يبلغ **علياً** فيسقينا ماء؟

«فبلغ ذلك **عليا** فبعث اليه بثلاث قرب مملوئة ماء فما كادت تصل اليه، و جرح بسببها عدة من بنى هاشم و بنى امية، حتى وصل الماء اليه. فبلغ **علياً** ان **عثمان** يرادقتله» و قال **للحسن و الحسين**: اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب **عثمان**، فلا تدعا احداً يصل اليه...

« فلما راى ذلك الناس رموا باب **عثمان** بالسهام حتى خضب **الحسن بن على** بالدماء على بابه... و شج قنبر مولى **على**...».

٣٠٧ـ «انّما قتله اصحاب محمّد و قرّاء الناس...»

قال نصر بن مزاحم، فى كتاب صفّين، مسنداً عن ابى‌سلمة:

«انّ هاشم بن عُتبة دعا فى‌النّاس عند المساء:

«الا من كان يريدالله، والدّار الآخرة فليُقبِل.

«فاقبل اليه ناس فشدّ فى عصابة من اصحابه على اهل الشّام مراراً... فقال ابوسلمة: فمضى فى‌عصابة من‌القُرّاء فقاتل قتالا شديداً هو و اصحابُه، اذخرج عليهم فتىً شابّ يقول:

«اَنَا ابْنُ اَرْبابِ الْمُلُوكِ غَسّانْ
وَ الدّائنُ الْيَوْمَ بِدِيْنِ عُثْمانْ
«اَنْبَأَنا اَقْوامُنا بِما كانْ[1]
اِنَّ عَلِيّاً قَتَلَ ابْنَ عَفّانْ

ثمّ شدّ فلا ينثنى يضرب بسيفه، ثمّ يلعَن و يشتِمُ، و يُكثر الكلام. فقال له هاشم بن عتبة.

«انّ هذا الكلام بعده الخصام، و انّ هذاالقتال بعده‌الحساب، فاتّق‌الله فأنّك راجعٌ الى ربّك، فسائلك عن هذا الموقف وما اردتَ به. قال:

«فأنّى اقاتلكم لانّ صاحبكم لايُصلّى! كما ذُكرلى! وانّكم لاتُصلّون! و اقاتلكم انّ صاحبكم قتَل خليفتنا! و انتم وازرتموه على قتله: فقال هاشم: انما قتله اصحاب محمد وقراء الناس

«وما انت و ابن‌عفّان؟ انّما قتله اصحاب محمّد و قرّاء النّاس حين احدث احداثاً و خالف حكم الكتاب.

«واصحاب محمّد، هم اصحاب الدّين، و اولى بالنظر فى امورالمسلمين،

١ـ فى‌الطبرى (الجزءالرابع ـ الصفحةالمكمل الثلاثين) و فى‌الكامل (الجزءالثالث ـ الصفحة ال١٠٩) ايضا ذكرت هذه القضيه و فى الطبرى ذكر موضع المصراع الثالث، هذا المصراع «اتى اتانى خبر فاشجان»

وما اظنّ انّ امر هذه الأمّة ولا امر هذا الدّين عناكَ طرفة عين قطّ .

« قال الفتى : اَجَلْ اجل ، انّى لا اكذب فانّ الكذب يضرّ و لا ينفع و يشين ولا يزين .

« فقال له هاشم : ان هذا الامر لا علم لك به فخلّه و اهل العلم به . قال : اظنّكَ والله قد نصحتنى وقال له هاشم :

« و امّا قولك : ان صاحبنا لا يصلّى ، فهو اوّل من صلّى لله مع رسول الله ، وافقهُه فى دين الله و اولاه برسول الله .

« و امّا كلّ من ترىٰ معى فكلّهم قارئ الكتاب لا ينامون اللّيل تهجّداً ...[1] »

٣٠٨ـ كلام عمّار بن ياسر فى عثمان و قاتليه

كلمات عمار ياسر

قال نصر بن مزاحم ، ايضا فى كتاب صفّين ، (مسنداً) : انّ الصّحابىّ العظيم **عمّار بن ياسر** احد الأيّام بصفّين قامَ للخطبة فقال فيها :

« انهضوا معى عبادَ الله الى قوم يزعُمون انّهم يطلبون بدم الظّالم لنفسه ، الحاكم على عباد الله بغير مافى كتاب الله . انمّا قتله الصّالحون ، المنكرون للعدوان ، الآمرون بالأحسان .

« فقال هؤلاء ، الّذين لا يُبالون اذا سلمت دنياهم ، لو درس هذا الدّين : لِمَ قتلتموه ؟

« فقلنا : لأحداثه .

« فقالوا : ما احدث شيئا ! . و ذلك لانّه مكّنهم من الدّنيا ، فهم يأكلونها ، و يرعونها ولا يُبالون لو انهدّت عليهم الجبال [1] .

١ـ « وروى **الواقدى** : ان **زيد** بن **ثابت** اجتمع عليه عصابة من الانصار ، وهو يدعوهم الى نصرة عثمان ، فوقف عليه **جبلة بن عمرو** بن **حية المازنى** فقال : وما يمنعك يا **زيد** ان تذب عنه ؟ اعطاك عشرة آلاف دينار ، و حدائق من نخل لم ترث عن ابيك بمثل حديقة منها ! » (شرح النهج لابن ابى الحديد ـ المجلد الاول ـ الصفحة الـ ٢٢٥ـ)

«والله ماأظنّهم يطلبون دمه، انّهم ليعلمون انّه الظّالم ، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها و استمرأوها . و علموا لو انّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها ، و لم يكن للقوم سابقة فى الأسلام يستحقّون بها الطّاعة و الولاية . فخدعوا اتباعهم بأن قالوا :

«قُتل امامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكا، و تلك مكيدة قد بلغوا بها ماترون ولولا هى ، ما بايَعَهم من النّاس رجلان . . . »

٣٠٩ - موقف امّ المؤمنين عائشة

كانت ممّن يُكثرعلى **عثمان**، الطّعن واللّوم، و يؤلّب عليه القوم، امّ المؤمنين **عائشة** (رض) وحواريّ رسول الله (ص) **الزّبير**، والصّحابي المبشّر له بالجنّة، **طلحة**.

امّا **عائشة** فعلى ما في الطّبرى و غيره.

سبب منافرة عائشة وعثمان

« وكان بين **عثمان** و **عائشة** منافرة، وذلك لأنّه نقصها ممّا كان يعطيها **عمر بن الخطّاب**، و صيّرها اسوة غيرها من نساء رسول الله صلّى الله عليه و سلّم.

«قام **عثمان** يوماً ليخطب اذ دلّت قميص رسول الله (ص) و نادت:

«يامَعْشَرَ المُسْلِمِينَ هٰذا جِلْبٰابُ رَسُولِ اللهِ لَمْ يَبْلَ وَقَد ابْلىٰ عُثْمانُ سُنَّتَه[1].

« فقال **عثمان**: رَبِّ اصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُنَّ، اِنَّ كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ».

حين اشتدّ الأمر على **عثمان**، اراد **مروان** استعطاف **عائشة**.

«... وصار مروان الى **عائشة** فقال:

«يا امّ المؤمنين لوقمتِ فاصلحتِ بين هذا الرّجل و بين النّاس.

«قالت: قد فرغتُ من جهٰازى وانا اريد الحجّ.

«قال: فندفع اليك بكلّ درهم انفقتيه درهمين!!

رأى عائشة فى عثمن و بغيته

«قالت: لَعَلَّكَ تُرىٰ اِنّي فى شَكٍّ مِن صٰاحِبِكَ! امٰا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أنّه مُقَطّعٌ فى غِرارَةٍ مِنْ غَرائِرى وانّى اُطيقُ حَمْلَه فَاطْرَحَهُ فى البَحْرِ!!»

و فى المحكّى عن كتاب الدّار، للواقدى.

«انّ **مروان بن الحكم** لمّا حُصر **عثمان**، الحصر الآخِر، اتىٰ **زيد بن ثابت**

---

١ - ان كانت هى صادقة فرضى الله عن عثمان ورحمه، و ان كانت كذبت وافترت عليه، و العياذ بالله، فرضى الله عنها و رحمها.

فاستصحبه الى **عائشة** ليكلّمها فى هذا الأمر ، فمضيا اليها وهى عازمة على الحجّ فكلّماها فى ان تُقيم و تذبّ عنه .

«فاقبلت على **زيد** بن **ثابت** فقالت :

«وما منعكَ يا **ابن ثابت** ولكَ «الأساريف[١]» قد اقتطعكها **عثمان** ، و لكَ كذا و كذا ، واعطاك **عثمان** من بيت المال عشرة آلاف دينار[٢] ؟!

«قال **زيد** : فلم ارجع اليها حرفاً واحداً .

«واشارت الى **مروان** بالقيام . فقام **مروان** وهو يقول :

حرف تيس على البلاد حتّى اذا اضطربت اخذما[٣]

«فنادته **عائشة** ، وقد خرج من العَتَبَة :

«يا **ابن الحكم** ! علىّ تمثّل الأشعار ؟!

«و الله سمعتُ ما قلتَ . اتُرانى فى شكّ من صاحبك ؟ و الّذى نفسى بيده لوددت انّه الآن فى غِرارة من غرائرى مَخيط عليه فاُلقيه فى البحر الأخضر .

«قال **زيد** : فخرجنا من عندها على اليأس منها» انتهى[٤] .

و فى كتاب «العقد الفريد» **لابن عبد ربّه المالكى** :

سعى عائشة على عثمان حسب ما قال المغيرة

«دخل **المغيرة** بن شعبة على **عائشة** فقالت :

«يا اباعبدالله لورايتنى يومَ الجمل قد انفذت النّصال هودجى حتّى وصل بعضها الى جلدى ! .

«قال لها **المغيرة** :

«لَوَدِدْتُ والله انّ بعضها قتلك !

«قالت : يرحمكَ الله و لِمَ تقول هذا ؟

١- سرف ، مثل كتف ، موضع قريب من التنعيم وهو من مكة على عشرة اميال. وقيل: اقل . و اكثر...» (مجمع البحرين)

٢- قد مر آنفاً ان جبلة بن عمرو المازنى ايضا قال لزيد فى اجتماع عصابة من الصحابة عليه : «وما يمنعك يا زيد ان تذب عنه ؟ اعطاك عشرة آلاف دينار...»

٣- خذمه خذماً اى قطعه. والخذماء ، العنز تشق اذنها عرضا من غير بينونة.

٤- شرح **ابن ابى الحديد** (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٢٤-٢٢٥)

«قال : لعلّها تكون كفّارة فی سعيكِ علی عثمان ...»

وفی الطّبری (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٤٦٠ ـ) مسنداً عن **عبيد** بن **عمرو**ـ **القرشی** قال :

« خرجت **عائشة** ، رضی‌الله عنها ، و **عثمان** محصور فقدِم عليها مكّة رجل يقال له : **اخضر** فقالت : ماصنع النّاس ؟ فقال : قتَل **عثمانٌ** ، المصريّين .

«قالت : انّا لله و انّا اليه راجعون . ايَقتُلُ قوماً جاؤا يطلبون‌الحقّ وينكرون الظّالم ؟ والله لانرضیٰ بهذا .

«ثمّ قدِم آخر . فقالت: ماصنع النّاس ؟ قال : قتل المصريّون **عثمان**. **قالت**: العجب لأخضر زعم انّ المقتول ، هوالقاتل !»

قال **الطّبری**(الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال٤٧٦ ـ [١]) مسنداً :

«انّ **عائشة** لمّا انتهت الی سَرِف راجعة فی طريقها الی مكّة لقيها **عبيد** بن **امّ كلاب** وهو **عبيد** بن **ابی‌سلمة** ، ينسب الی امّه ، فقالت له : مَهْيَم ؟ قال : قتلوا **عثمان**، رضی‌الله عنه ، فمكثوا ثمانياً . قالت : ثمّ صنعوا ماذا ؟ **قال** : اخذها اهل‌المدينة بالأجتماع فجازت بهم‌الأمور الیٰ خيرمجاز ، اجتمعوا علی **علیّ** بن **ابی‌طالب** **فقالت**: والله لَيتَ انّ هذه انطبقت علی هذه ! ان تمّ الأمر لصاحبك[٢] ! رُدُّونی رُدُّونی . امر عائشة بقتل عثمان

«فانصرف الی مكّة وهی‌تقول: قُتل والله **عثمان** مظلوماً . والله لأطلبنّ بدمه[٣] !

«فقال له **ابن امّ كلاب** : و لِمَ ؟ فوالله انّ اوّل من امال حرفه لأنتِ ، ولقد

١ـ فی الصفحة ال ٤٦٨ ايضاً جيیء ببعض هذه القضية و فی « الكامل » لابن اثير (الصفحة ال١٠٥) نقلت القضية و الاشعار التی ستأتی بتمامها مع اختلاف يسير فی بعض الكلمات.

٢ـ يا لله ولهذه الشفقة الاموية ! بالله قولی يا اماه ! ماأحدث **علی** فی الاسلام الی هذا الحين حتی صار عندك بهذا المقام . كرم‌الله وجهه و رضی‌الله عنك.

٣ـ بای حق؟ و بمن ؟ وماذا سوغ لها المداخلة فی شئون الخلافة اوالولاية ، اللهم الا ان يقال بحق الامومة و ممن امرتهم بالقتل ! و لوجوب قرارها فی بيتها « و قرن فی بيوتكن ...»

كنتِ تقولين : «اقتلوا نَعْثَلاً فقد كفر!» قالت : انّهم استتابوه ثمّ قتلوه [1] و قد قلت وقالوا ، و قولي الأخير خير من قولي الأوّل [2] فقال لها ابن امّ كلاب :

مِنْكِ البَداءُ وَ مِنْكِ الغِيَرَ
وَ مِنْكِ الرِّياحُ وَ مِنْكِ المَطَر
وَ اَنْتِ اَمَرْتِ بِقَتْلِ الأمامِ
وَ قُلْتِ لَنا اِنَّه قَدْ كَفَرْ
فَهَبْنا اَطَعْناكِ فى قَتْلِه
وَ قاتِلُه عِنْدَنا مَنْ اَمَرْ

٣١٠- «عائشة كانت من اشدّ النّاس على عثمان»

قال ابن ابى الحديد (المجلّد الثّانى - ذيل «ومن كلام له، عليه السّلام ، بعد فراغه من حرب الجمل- معاشر الناس انّ النساء نواقص الايمان ...» - الصفحة ال٧٧-) :

«وهذا الفصل كلّه رمز الى عائشة ولايختلف اصحابنا فى انّها اخطأت فى مافعلت (يعنى فى حرب الجمل) ثمّ تابت و ماتت تائبة وانّها من اهل الجنّة .

اول من سمى عثمان نعثلا عائشة

«قال كلّ من صنّف فى السّير والاخبار : انّ عائشة كانت من اشدّ النّاس على عثمان حتّىٰ انّها اخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلّى الله عليه وآله فنصبته فى منزلها وكانت تقول للدّاخلين اليها : هذا ثوب رسول الله (ص) لم يَبْلَ و عثمان قدابلىٰ سنّته .

«قالوا : اوّل من سمّىٰ عثمان ، «نعثلاً» عائشة . والنّعثل ، الكثير شعر اللّحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلا ! اقتل الله نعثلاً ! .

١- كانها (رض) نسيت مادار بينها و بين مروان حين عزمها الى الحج و كون عثمان فى الحصر الاخر ، اى بعد وقوع التوبة .

٢- ولا اعتراض على هذه الاقوال المورثة للقتل والقتال لانها ثمرة الرأى والاجتهاد، كما يقال .

«وروى **المدائني** فى كتاب الجمل قال :

«لمّا قُتل **عثمان** كانت **عائشة** بمكّة و بلغ قتله اليها ، وهى بسراف ، فلم تشكّك فى انّ **طلحة** هو صاحب الأمر و قالت : بُعْداً لنعثل و سُحْقاً ، ايْهٍ ذاالأصبع ! ، ايه اباشبل ! . ايه يا ابن عمّ ! ، لكأنّى انظر الى اصبعه و هو يبايَع له . حُثُّوا الأبل و دعدِعوها .

« قال : و قدكان **طلحة** حين قتل **عثمان** اخذ مفاتيح بيت المال و اخذ نجائب كانت لعثمان فى داره . ثمّ فَسَدَ امره فدفعها الى **علىّ** بن **ابى طالب** عليه‌السّلام .

«وقال ابومخنف ، **لوط** بن **يحيى الأزْدى** فى كتابه :

«انّ **عائشة** لمّا بلغها قتل **عثمان** ، وهى بمكّة ، اقبلت مسرعة و هى تقول : ايه ذاالأصبع ! لله ابوك . اما انّهم وجدوا **طلحة** لها كفواً ! .

« فلمّا انتهت الى سراف استقبلها **عبيد** بن **ابى سلمة الليثى** فقالت له : ماعندك؟

«قال : قتل **عثمان** .

«قالت : ثمّ ماذا ؟

«قال : ثمّ حارت بهم الامور خير محارٍ : بايَعُوا **عليّاً** .

«فقالت : لَوَدِدْتُ انّ السّماء انطبقت على الأرض ان تمّ هذا ! ويحك انظر ماذا تقول ؟

«قال : هو ماقلتُ لكِ يا امّ المؤمنين . فوَلْوَلَتْ .

«فقال لها : ماشأنك يا امّ المؤمنين ؟ والله ما اعرف بين لابيتها احداً اولىٰ بها منه و لا احقّ ، و لا ارىٰ له نظيراً فى جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولايته ؟! قال : فما ردّت عليه جوابا .

«قال : و قد رُوى من طرق مختلفة : انّ **عائشة** لمّا بلغها قتل **عثمان** ، و هى بمكّة ، قالت :

«ابعده‌الله ! ذٰلكَ بِما قَدَّمَتْ يَداهُ وَ ماالله بِظَلّامٍ لِلْعَبيدِ .

«قال : وقد روىٰ **قيس** بن **ابى‌حازم** : انّه حجّ فى العام الّذى قتل فيه **عثمان**

وكان مع عائشة لمّا بلغتها قتله، فتحمل الى المدينة قال: فسمعها تقول فى بعض الطّريق: ايه ذاالأصبع ! واذا ذكرت عثمان قالت: ابعده‌الله، حتّى اتاها خبر بيعة **علىّ**، فقالت لَوَدِدْتُ انّ هذه وقعت على هذه.

« ثمّ امرت بردّ ركائبها الى مكّة. فرددت معها و وليتها فى سيرها الى مكّة تخاطب نفسها كأنّها تخاطب احداً: قتلوا **ابن عفّان** مظلوماً.

« فقلت لها: يا امّ المؤمنين الم اسمعك آنفا تقولين: ابعده‌الله و قد رايتك قبل، اشدّ النّاس عليه واقبحهم فيه قولاً؟ فقالت: لقدكان ذلك ولكنّى . . .

«قال: و رُوى من طرق اخرى: انّها قالت، لمّا بلغها قتله: ابعده‌الله. قتله ذنبه، و اقاده‌الله بعمله يا معشر قريش . . . انّ احقّ النّاس بهذا الامر ذوالاصبع. فلمّا جائت الأخبار ببيعة **علىّ** (ع) قالت: تَعِسُوا لايردّون الامر فى تيم ابداً.

۳۱۱ـ عائشة و مكالمتها مع امّ سلمة

«قال **ابومخنف**:

«جائت **عائشة** الى **امّ سلمة** تخادعها على الخروج للطّلب بدم **عثمان**. فقالت: يا بنت **ابى امية** انتِ اوّل مهاجرة من ازواج رسول‌الله (ص) و انتِ كبيرة امّهات المؤمنين، وكان رسول‌الله (ص) يقسم لنا من بيتكِ وكان جبريل اكثر ما يكون فى منزلكِ.

«فقالت امّ **سَلَمة**: لامر مّا قلتِ هذه المقالة؟

«فقالت **عائشة**: انّ **عبدالله** اخبرنى انّ القوم استتابوا **عثمان** فلمّا تاب قتلوه صائماً فى شهر حرام، وقد عزمت على الخروج الى البصرة ومعى **الزّبير** و **طلحة** فاخرجى معنا لعلّ الله ان يصلح هذا الأمر على ايدينا و بنا.

« فقالت: انا امّ **سلمة**، انّكِ كنتِ بالأمس تحرّضين على **عثمان** و تقولين فيه اخبث القول وماكان اسمه عندكا الّا نعثلا. وانّكِ لتعرفين منزلة **على بن ابى طالب** عند رسول‌الله (ص) افأذكّرك؟

«قالت نَعَم .

«قالت : اتذكرين يوم اقبل على (ع) و نحن معه حتّى اذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعليّ يناجيه فاطال، فأردتِ ان تهجمين عليهما فنهيتكِ فعصيتين فهجمتِ عليهما فمالبثتِ ان رجعتِ باكيةً .

«فقلتُ : ماشأنكِ ؟

«فقلتِ : انّى هجمتُ عليهما و هما يتناجيان .

«فقلتُ لعليٍّ ليس لى يوم من رسول‌الله الّا يوم من تسعة ايّام افما تَدَعُنى يا ابن ابى‌طالب و يومى ؟

مبغض على خارج من الايمان

«فأقبل رسول‌الله (ص) عَلَيّ ، وهو غضبان مُحْمَرٌّ الوجه .

«فقال : ارجعى ورائكِ . والله لايبغضه احد من اهل بيتى ، ولا من غيرهم من النّاس الّا وهو خارج من الأيمان .

«فرجعتِ نادمةً ساقطة .

«قالت عائشة : نعم اذكر ذلك .

«قالت واذكّرك ايضا . . . »

وفى تاريخ الطبرى (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال٤٣٤) ، مسنداً ، بعد ذكرتولية عثمان فى زمن الحصر ، ابنَ عبّاس لأمر الموسم و كتاب كتبه معه الى اهل الموسم، :

«فخرج ابن عبّاس ، فمرّ بعائشة فى «الصُّلصُل» فقالت :

«يا ابن عبّاس انشدك‌الله، فانّكَ قد اُعطيت لساناً اِزعيلاً ، (نشيطاً) ان تخذل عن هذاالرّجل (تعنى عثمان) وان‌تشكّكَ فيه‌النّاس فقد بانت لهم بصائرهم، وانهجت ورفعت لهم المنار ، و تحلّبوا من البلدان لأمرٍ قد جمّ .

«وقد رايتَ طلحة بن عبيدالله قداتّخذ على بيوت‌الأموال والخزائن مفاتيح ! فأن يَلِ يَسِرْ بسيرة ابن عمّه ابى‌بكر . . . »

هكذا كانت حالة امّ المؤمنين، عائشة، و معاملته مع الخليفة عثمان فلننظر ونرى موقف الصّحابيَّيْن العظيمين طلحة و الزّبير و معاملتهما معه :

٣١٢ـ موقف طلحة والزّبير تجاه الواقعة

واما **طلحة**، و **الزبير** حوارىّ رسول‌الله[١]، فيُعلم حالهما بالنّسبة الى هذه‌الواقعة ممّا ننقلها هنا ممّا قيل فى حقّهما :

قال **الطّبرى** فى تاريخه :

«وكان اكثر من يؤلّب عليه (يعنى على عثمان) **طلحة و الزّبير و عائشة**[٢]. »

و فى كتاب «البدء و التاريخ» (الجلد الثّانى ـ الصّفحة ال ٢٠٥ـ) :

« وكان اشدّ النّاس **طلحة و الزبير و محمّد** بن **ابى‌بكر** و **عائشة** . و خذلته المهاجرون و الأنصار .

«وتكلّمت **عائشة** فى امره ، و اطلعت شَعْرة من شعر رسول‌الله صلّى‌الله عليه وسلّم ، ونعله و ثيابه ، وقالت : مااسرع ماتركتم سنّة نبيّكم!

«فقال **عثمان** فى آل ابى‌قحافة ، ماقال ، وغضب، ماكاد يدرى مايقول !. . »

قال **ابن‌الأثير** فى «الكامل» (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٨٤) :

« وقدقيل : انّ **عليّا** كان عندحصر **عثمان** بخيبر **فقدم** المدينة والنّاس مجتمعون

١ـ «... وقال النبى (ص) لكل نبى‌حوارى و حوارى ، **الزبير**.»
تقول : فلان خالصة فلان وخلصائه وحواريه اى شديدالاختصاص به والاستخلاص له» (شرح‌النهج ـ المجلد الاول الصفحة ال٧٦) .

٢ـ فى الاستيعاب (ذيل ترجمة **طلحة** بن **عبيدالله**) « ان **علياً** رضى‌الله عنه قال فى خطبة حين نهوضه الى‌الجمل ان‌الله عزوجل فرض‌الجهاد وجعل نصرته و ناصروه، وماصلحت دنيا ولا دين الا به. و انى منيت باربعة : ادهى الناس و اسخاهم : **طلحة**، واشجع‌الناس **الزبير** ، و اطوع الناس فى الناس ، **عائشة** و اسرع الناس الى فتنة **يعلى** بن **منية**.
«والله ماانكروا على شيئا منكرا، ولااستاثرت بمال، ولاملت بهوى، وانهم ليطلبون حقا تركوه، ودماً سفكوه، ولقد ولوه دونى ، و ان كنت شريكا لهم فى‌الانكار لماانكروه، وما تبعة **عثمان** الا عندهم . . . والله **ان طلحة** و **الزبير** و **عائشة** ليعلمون انى على الحق و انهم مبطلون »

عند **طلحة** ، وكان ممّن له فيه اثر ، فلمّا قدِم **علي** اتاه **عثمان** و قال له :

«امّا بعد فأنّ لى حقّ الأسلام ، و حقّ الأخاء و القرابة والصّهر ، ولو لم يكن من ذلك وكنّا فى الجاهليّة لكان عاراً على بنى عبد مناف ان ينتزع اخو بنى تيم يعنى **طلحة** ، امرهم .

شكوى عثمان من طلحة الى على

«فقال له علىّ : سيأتيك الخبر .

«ثمّ خرج الى المسجد فرأى **اسامة** فتوكّأ على يده حتى دخل دار **طلحة** و هو فى خلوةٍ من النّاس .

«فقال له : يا **طلحة** ما هذا الامر الّذى وقعتَ فيه ؟

«فقال : يا اباالحسن بعد ما مسّ الحزام ، ـ الطِبْيَيْن !

«فانصرف **علىّ** حتّى اتى بيت المال . فقال : افتحوه . فلم يجدوا المفاتيح . فكسر الباب و اعطى النّاس فانصرفوا من عند **طلحة** حتّى بقى وحده ، و سُرّ بذلك **عثمان** .

«وجاء **طلحة** فدخل على **عثمان** وقال له :

«يا اميرالمؤمنين اردتُ امراً فحال الله بينى و بينه !

«**فقال عثمان** :

والله ماجئتَ تائبا ولكن جئتَ مغلوبا . الله حسيبك يا **طلحة** » .

قال **الطّبرى** (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال ٤١١ـ) مسنداً عن **عبدالله** بن **عبّاس** ابن **ابى ربيعة** قال :

«دخلتُ على **عثمان** ، رضى الله عنه ، فتحدّثتُ عنده ساعة .

«فقال : يا **ابن عبّاس** تعالَ . فأخذ بيدى فاَسْمَعَنِى كلامَ مَنْ عَلَى باب **عثمان** فسمِعنا كلاماً : منهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم من يقول : انظروا عسى ان يراجع .

«فبينا انا وهو واقفان اذ مرّ **طلحة** بن **عبيدالله** فوقف . فقال : اين **ابن عديس** ؟ فقيل : ها هُو ذا . قال : فجائه **ابن عديس** فناجاه بشيىء . ثمّ رجع **ابن عديس** فقال

لاصحابه: لاتتركوا احداً يدخل على هذاالرّجل ولا يخرج من عنده .

قال : فقال لى عثمان : هذا ما اَمَرَ به **طلحة** بن **عبيدالله** ! ثمّ قال **عثمان** :

«اللّهمّ اكفنى **طلحة** بن **عبيدالله** ، فانّه حَمَلَ عَلَىَّ هٰؤلاء ، و اَلّبَهُم [١] .

و الله انّى لَاَرْجوان يكونَ منه صفراً ، و ان يُسفكُ دمُه ، لانّه انتهكَ منّى مالا يحلّ له ...»

وقال **الطّبرى** ايضا (الجزء الثّالث ـ الّصفحةال٤٣٣) مسنداً عن**حكيم**بن جابر قال : قال **علىٌّ** لطلحة :

«اَنْشُدُكَالله اَلّا رددتَ النّاسَ عن **عثمان** .

«قال : لا والله ، حتّى تُعطى بنواميّة ، الحقّ من انفسها»

و قال **عبيدالله** بن **عمر** بن **الخطّاب** فى خطبتها الّتى القيٰها بالّشام، حين امره **معاوية** ، كما سياتى نقلها فى محلّها ، فى ماقال من الأبيات :

و قد كان فيها **للزّبير** عجاجة

و **طلحةُ** فيها جاهدُ غير لاعبِ

وَقَدَ اَظْهَرا مِنْ بَعْدِ ذلكَتوبة

فيالَيْتَ شِعْرى ماهُما فى العواقب

وقال علىّ فى كتابه الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة :

«... امّا بعد فانى اُخبركم عَنْ امر **عثمان** حتّى يكون سَمعُهُ كعيانه : اِنَّ النّاس طَعنوا عليه فكنتُ رجلاً من المهاجرين ، اُكثِرُ استعتابَه و اُقِلُّ عِتابَه . وكان **طلحة** و **الزّبير** اهونُ سيرهما فيه،الوجيف و اَرفقُ حدائِهما ، العنيفُ . وكان من عائشة فيه فَلْتَة غَضَب ...»

١ـ قال **ابن ابى‌الحديد** فى شرحه (المجلد الاول ـ الصفحة ال ٢٢٥ ـ) نقلاً عن «الشافى» :

«والظاهر المعروف انه لم يكن على **عثمان** اشد من **طلحة** ولا اغلظ منه . . . و قد روى ان **عثمان** كان يقول يوم الدار : اللهم اكفنى **طلحة** . و يكرر ذلك علماً بانه اشد القوم عليه .

وفى تاريخ **الطّبرى** (الجزء الثّالث - الصّفحة ال٤٧١) مسنداً عن **علقمة** بن **وقّاص** :

«لمّاخرج **طلحة والزّبير وعائشة**، رضى الله عنهم ، عرضوا النّاس بذى عرق»...»

ثمّ حدّث مسنداً ، عن **عُقْبة** بن **المُغيرة** بن **الأخنس** انّه قال :

«لقى **سعيد** بن **العاص** ، **مروانَ** بن **الحكم** واصحابَه بذات عرق ، فقال : اين تذهبون و ثارُكم على اعجاز الأبل[1] ؟ اقتلوهم ثمّ ارجعوا الى منازلكم ، لاتقتلوا انفسكم.

«قالوا : بل نسير ، فلعلّنا نقتل قتلة **عثمان** جميعا[2]»

ونقل **ابن ابى الحديد** (المجلّد الاوّل - الصّفحة ال٢٥٩ -) فى قضية ذَهاب **خفاف** بن **عبدالله** الى الشّام لزيارة ابن عمّه ، **حابس بن سعيد الطّائى** :

«فغدا **حابس بخفاف** الى **معاوية** فقال : انّ هذا ابن عمٍّ لى قدم الكوفة مع **علىّ** و شهد **عثمان** وهو ثقة .

«فقال له **معاوية** : هاتِ حديثاً عن **عثمان** .

١- وفى «الكامل» (الجزء الثالث - الصفحة ال١٠٧-) وردت بعد كلمة «اعجاز الابل» هذه الجملة «... ورائكم ؟ . يعنى **عائشة و طلحة و الزبير** ، اقتلوهم ...»

٢- قد قتل **مروان** (على الاشهر الاصح) **طلحة** فى «واقعة الجمل» ، كمافى «الاستيعاب» و «الاصابة» ، و غيرهما ، عن طرق متعددة .

قال **ابن حجر العسقلانى الشافعى** فى «الاصابة» : « و روى **ابن عساكر** من طرق متعددة : ان **مروان بن الحكم** هوالذى رماه فقتله . و اخرجه **ابوالقاسم البغوى** بسند صحيح عن **الجارود** بن **ابى سبرة** قال : لما كان يوم الجمل نظر **مروان** الى **طلحة** فقال : لااطلب ثارى بعد اليوم ، فنزع له بسهم فقتله . و اخرج **يعقوب** بن **سفيان** بسند صحيح عن **قيس** بن **ابى حازم** : « ان **مروان** بن **الحكم** راى **طلحة** فى الخيل فقال : هذا اعان على **عثمان** ، فرماه بسهم فى ركبته ، فما زال الدم يسيح حتى مات . . . » و اورد **ابن عبدالبر المالكى** فى «الاستيعاب» عدة روايات مسندة فى ذلك . **منها** «عن **يحيى** بن **سعيد** عن عمه قال : «رمى **مروان** ، **طلحة** بسهم ، ثم التفت الى **ابان** بن **عثمان** فقال : قد كفيناك بعض قتلة ابيك...»

«فقال : نعم ، حصره المكشوح [١] ... و جدّ فی امره طلحة و الزّبير ، و ابرءُ الناس منه علیٌ .

«قال : ثمّ مَه ؟ .

«قال : ثمّ تهافت النّاس علیٰ علیّ بالبيعة ، تهافُتَ الفراش حتّی ضاعت النّعل و سقط الرّداء ، و وُطیء الشّيخ ! (يعنی عليّاً) . . .»

وقال علیٌ فی خطبته الّتی القيٰها بذی قار ، و سيجیء نقلها فی محلّها فی ماقال : «ادَمَ عثمانَ زَعَمـا ؟ والله ماالتّبعةُ الاعندهم ، وانّ اعظمَ حُجّتهم لعلیٰ انفسهم..»

و فی شرح ابن ابی الحديد علی النّهج (المجلّد الاوّل ـ الصّفحة ال١٠١ ـ) عن ابی مخنف قال : حدّثنا مسافر بن عفيف بن الأخنس قال :

«لمّا رَجَعَتْ رسل علیٍّ، عليه السلام، من عند طلحة و الزّبير و عائشة يؤذنونه بالحرب ، قام فحمدالله و اثنیٰ عليه و صلّی علی رسوله ثم قال :

«ايُّها النّاس انّی قدراقبتُ هؤلاء القوم ، کی يرعَوُوا،او يرجعوا ، ووبّختُهم بنکثهم ، و عرفتُهم بغيَهم ، فلم يستجيبوا ، وقد بعثوا الیّ ان ابرزَ للطّعان ، وَ اصبِرَ للجلاد ، و انّما تمنّيک نَفْسُکَ اَمانیَ الباطِلِ و تَعِدُکَ الْغُرُور .

«اَلا ! هَبِلَتْهُمُ الْهبُول لَقَدْ کُنْتُ وَما اُهَدَّد بالحَرْبِ ، وَلا اُرْهَبُ بالضّرْب ، وَلَقَدْ اَنْصَفَ الْقارَةُ مَنْ راماها فَلْيُرْعِدُوا ، وَلْيُبْرِقُوا فقد راونی قديماً ، و عرَفُوا نکايتی فکيف رَاَوْنی ؟

«انا ابوالحسن الّذی فَلَلْتُ حَدَّ المشرکينَ وَ فَرَّقْتُ جماعَتَهُم. وبذالکَ القَلْب الْقیٰ عَدُوّی الْيَوْمَ ، وانّی علیٰ ما وَعَدَنی رَبّی مِنَ النّصر والتّأييد ، وَ علیٰ يَقينٍ من اَمْرِیْ ، و فی غَيْرِ شُبْهَةٍ عَنْ دينی .

«ايّها النّاس ان الموت لايفوتُه المقيم ، ولا يعجزه الهارِب ، ليس عن الموت مَحيدٌ و لا مَحيصٌ . من لَمْ يُقتل مات . اِنَّ افضل الموتِ ، اَلْقَتْلُ . والّذی

١ـ لعل المراد منه الاشتر کما قيل :

« حکيم و عمار الشجار ، محمد کذا الاشتر المکشوح جروا الدواهيا»

نَفْسُ **علیٍّ** بیده لاَلْف ضَرْبَةٍ بالسَّیْف اَهْوَنُ مِنْ مَوْتٍ واحدة علی الفراش. اللّهُمَّ اِنَّ **طلحة** نَكَثَ بَیْعَتی ، وَ اَلَّبَ **علیَّ عثمان** حَتّیٰ قَتَلَه . . . »

و حکی **ابن ابی الحدید** ایضا (المجلد الثّانی - الصّفحه ال ٥٠١) **مذاکرةً** بین **قاسم بن محمّد** بن **یحیی** بن **طلحة** بن **عبیدالله** الملقّب ب «ابی بعرة» ، حین کان والی شرطة الکوفة من قِبَل **عیسی** بن **موسی** بن **محمّد** بن **علیّ** بن **عبدالله** بن **العبّاس** ، وبین **اسمعیل** بن **جعفر** بن **محمّد** الصّادق ، علیه السلام ، انجرّت الی المنافرة بهذه العبارة :

« فقال **القاسم** : لم یزل فضلنا و احساننا سابغاً علیکم یا بنی هاشم ، و علی بنی عبد مناف کافّةً .

«فقال **اسمعیل** : ایّ فضل و احسان اسدیتموه الی بنی عبد مناف ؟

«اَغَضب ابوك جدّی بقوله : لَیَمُوتَنَّ محمّد ولنجولنّ بین خلاخیل نسائه کما جال بین خلاخیل نسائنا فانزل الله تعالیٰ[1] ، مراغمةً لأبیك : « وَ ماکانَ لَکُمْ اَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ، وَلا اَنْ تَنْکِحُوا اَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ اَبَداً » ؟

«او منع ابن عمّك امّی حقّها من فدك ، و غیرها من میراث ابیها ؟ **و اجلب ابوك علی عثمان و حصره حتّیٰ قُتِل** ، و نکث بیعة **علیّ** و شام السّیف فی وجهه ، و افسد قلوب المسلمین علیه . فان کان لبنی عبد مناف قوم غیر هؤلاء اسدیتم الیهم احساناً فعرّفنی من هم ؟

٣١٣- مَوْقف عمرو بن العاص من عثمان

امّا **عمرو بن العاص** ، الصّحابیّ الدّاهی ، فانظر بعض مافعل ، واسمع بعض ماقال واعتبِرْ :

اَمَرَ **عثمان** یوماً من الایّام الّتی اجتمع علیه الناس ، **عمرو بن العاص** ، ان یخرج الیهم و یَعْذِرَهُ عندهم .

قال الطّبری (الجزء الثّالث - الصفحة ال -) :

«فخرج **عمرو** وصعد المنبر ونادىٰ: الصلاوة جامعة. فلمّا اجتمع النّاس، حمد الله و اثنىٰ عليه . . . (وذكر محمّداً، صلّى الله عليه و سلّم، بما هو اهله و ذكر الخليفتين) ثمّ قال:

«ثمّ ولّى **عثمان**، فقلتم و قال، تلومونه و يَعْذِرُ نَفْسَه. اَفَلَيْسَ ذلك؟

«قالوا: بلىٰ.

«قال: فاصبروا له، فانّ الصغير يَكْبُرُ، والهزيل يَسْمَنُ و لعلّ تأخير امرٍ خير من تقديمه!»

«ثمّ نزل.

«فدخل اهل **عثمان** عليه، فقالوا: هَلْ عابَكَ احدٌ بمثل ماعابَكَ به **عمرو**؟

«فلمّا دخل عليه **عمرو**، قال:

«يا ابن النّابغة! والله ما زِدْتَ ان حرّضت النّاس علىّ!.

«قال: والله لقد قلتُ فيك احسنَ ماعلمتُ. ولقد ركبتَ من النّاس وركبوها منك. فاعْتَزِلْ ان لم تَعْتَدِل!

«فقال: يا **ابنَ النّابغة** قَمِلَ دِرعُك مذ عزلتُك عن مصر» انتهى.

كلمات ابن العاص لعثمان وللناس

وقال **عمرو بن العاص**، حين اجتمع امراء البلاد والاجناد، **كمعاوية بن ابى سفيان** واضرابه، بأمر **عثمان** فى داره للمشاورة (بعد قول **عثمان** لهم: «اشيروا علَىَّ فانّ النّاس قد تَنَمَّرُوا الىّ» و بعد ماشار اليه **معاوية** و **عبدالله بن عامر** بما اشارا اليه) على ما فى **الطّبرى** (الجزء الثالث ـ الصّفحة ال٣٧٣ـ):

«يا **عثمان** انك قد ركبت النّاس بمثل بنى اميّة فقلتَ و قالوا، و زِغْتَ وَزاغوا. فاعْتَدِلْ، او اعتَزِلْ وانْ اَبَيْتَ فاعتزِمْ عزْماً وامض قُدُماً»

«فقال **عثمان**: مالك؟ قد قَمِلَ فرْوُك! اَهٰذا الجدّ منك!؟»

وهو الّذى كما قال **الطّبرى** ايضا (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال٣٩٢ـ):

«لما كان حصر **عثمان** الأوّل، خرج من المدينة حتّى انتهىٰ الى ارض له بفلسطين

يقال لها : «السبع» فنزل فى قصرٍ له يقال له: «العجلان» وهو يقول: «العجب ماياتينا عن **ابن عفّان**»

«فبينا هو جالس فى قصره ذلك ، و معه ابناه **محمّد** و **عبدالله** و **سلامة بن روح الجذامى** ، اذ مرّ بهم راكب فناداه **عمرو** :

اعتراف عمرو ابن العاص بتحريضه الناس على عثمان

«من اين قَدِمَ الرّجل؟»

«فقال : من المدينة .

«قال : مافعل الرّجل ؟ يعنى **عثمان** .

«قال : تركتُه محصوراً شديدَ الحصار .

«قال **عمرو** : «انا ابوعبدالله ! قد يَضرِطُ العَيرُ و المِكْواة فى النّار ! .

«فلم يبرح مجلسَه ذلك حتّى مرّ به راكب آخر فناداه **عمرو** :

«ما فعل الرجل ؟ يعنى **عثمان** .

«قال : قُتِل .

«قال : انا ابوعبدالله ! اذا حَكَكْتُ قُرْحَةً نَكَأْتُها ، ان كنت لأحرّض عليه حتّى لأحرّض عليه الرّاعى فى غنمه فى راس الجبل . . . »

وقال **الطّبرى** ايضا فى تاريخه (الجزء الثالث ـ الصّفحة ال٣٩٢ـ) مسنداً (بعد ان ذكر قدوم **عمرو بن العاص** من مصر الى المدينة و طعنه على **عثمان** ، لعزله ايّاه عن مصر ، و مكالمته مع **عثمان** ، و تشدّده عليه فى بيته ، خالياً به) :

«فخرج **عمرو** من عند **عثمان** وهو محتقد عليه يأتى **عليّاً** مرّةً فيؤلّبه على **عثمان** و يأتى **الزّبير** مرّة فيؤلّبه على **عثمان** و يأتى **طلحة** مرّةً فيؤلّبه على **عثمان** . ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما احدث **عثمان** . »

قال **الابن اثير** فى الكامل (الجزء الثّالث ـ الصّفحة ال١٤١ :

«وقيل : ان **عمرو** لمّا بلغه قتل **عثمان** قال : اَنَا قَتَلْتُه وَ اَنَا بوادى السّباع (يعنى بئر السبع الذى كان قصره وضَيْعته به). ان يَلِ هذا الامر **طلحة** فهو فتى العرب سيباً و ان يَله **ابن ابى طالب** فهو اكره من يليه الىّ . فبلغه بيعة **علىّ** فاشتدّ عليه. . .»

وفي‌الاستيعاب مسنداً (ذيل ترجمة عثمان) «انّ **عمرو** بن **العاص** قام الی **عثمان** وهو يخطب‌النّاس فقال: يا**عثمان**، انّك قد ركبت النّهابير و ركبوها فتب الی‌الله و ليتوبوا قال فالتفت اليه **عثمان** فقال: فانّك لهناك يا ابن‌النابغة؟...»

٣١٤- موقف معاوية من ابن‌عمّه، عثمان

وامّا خال‌المؤمنين، الطّليق، **معاوية بن هند**، فما حرّض صريحاً عليه ولكنّه كان يتسامح في مدده و نصره في طول مدّة حصره، و مع مايستمدّه **عثمان** و يستعينه كان يماطل و يسوّف حتّى او شكّ التقاء حلقتی البطان «ارسل جنداً نحو المدينة ولكنّه اوصى اميرهم (حبيب بن مسلم‌الفهري) بالبطؤ في‌الحركة، ومراقبة‌الامر، وعدم دخول المدينة[1]»

مماطلة معاوية في نصر عثمان

بل كما يظهر عن **الطّبري**، وغيره، لم يبعث **معاوية** بعثاً لأمداد **عثمان** و قد عيّره بذلك **شبث** بن **ربعيّ التّميمي** مخاطبا لمعاوية نفسه، في‌الصّفّين.

ارسل عليّ (ع) بعد وروده بصفّين **بشير** بن **عمرو الأنصاري** و **سعيد** بن **قيس الهمْداني** و **شبث** بن **ربعيّ التّميمي** الی معاوية و قال لهم:

«ائتوا هذا الرّجل فادعوه الی‌الله، عزّ وجلّ، و الی الطّاعة والجماعة والی اتّباع امرالله تعالی»

فذهبوا اليه و تكلّموا عنده فقال **شبث** في ماقال له.

«انّه لايخفی علينا ماتقرب و ماتطلب. انّك لاتجد شيئاً تستغوی به النّاس، و تستميل به اهوائهم، و تستخلص به طاعتهم، الّا ان قلت لهم: «قتل امامكم مظلوماً فهلمّوا نطلب بدمه. فاستجاب لك سفهاء، طغام، رذال.

«وقد علمنا انّك قد ابطأت عنه بالنّصر، و احببت له القتل بهذه المنزلة الّتی تطلب ...»

١- **الطبري**

قال **محمد** بن **جرير الطبري** فی تاریخه (الجزء الثالث - الصفحة ال٤٠٢) :

«فلما رای **عثمان** ماقد نزل ، کتب الی **معاوية** بن **ابی سفيان** وهو بالشام :

«بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فان اهل المدينة قد كفروا [١].

واخلفوا الطاعة و نكثوا البيعة .

استمداد عثمان معاوية من مقاتلة اهل الشام لقتال اهل المدينة

«فابعث الی من قبلك من مقاتلة اهل الشام على كل صعب وذلول ...»

« فلما جاء **معاوية** الكتاب تربص **وكره اظهار مخالفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد علم اجتماعهم .**

«فلما امره **عثمان** ، كتب الى **يزيد** بن **اسد** بن **كرز** ، والی اهل الشام يستنفرهم ..

«فلما قرأ كتابه عليهم قام **يزيد** بن **اسد** بن **كرز البجلي** ثم القسرى فحمد الله و اثنى عليه ثم ذكر **عثمان** فعظم حقه . فتابعه ناس كثير و ساروا معه حتى اذا كانوا بوادی القرى بلغهم قتل **عثمان** فرجعوا» .

وقال **الطبري** ايضا (بعد ما قال : و كان - يعنی **معاوية** - اكثر من يؤلب عليه و **الزبير** و عائشة) :

« فكتب الى **معاوية** يسأل تعجيل القدوم عليه ، فتوجه فی اثنی عشر الف . ثم قال : كونوا بمكانكم فی اوائل الشام حتى آتی امیر المؤمنين لأعرف صحة امره !

«فاتی **عثمان** ، فسأله عن العدة .

١- وليتأمل فی هذا الحكم من جهتين : **الاول** فی موضوعه وهو «اهل المدينة» فلو قيل و اعترف بأن الخلافة امر انتخابی زمامه بيد الامة ، او اهل الحل والعقد ، كما يقولون بعد وفاة الرسول، فلامحالة كان الزمام ذلك الحين بيد اهل المدينة، وفی المدينة، فكيف لا يكون الرفع بيد من كان الوضع بيده . ؟ ثم كيف وقع الاعتراف بمخالفة « اهل المدينة » لا الحصر بمن كان من الخارج .

الثانی فی الحكم نفسه ، و هو الكفر، مع ما كانت الخلافة عنده ، و عندهم ، ليست من اصول الدين و لم يكن نص عليها ، ومع غمض العين عن ذلك فاهل المدينة لم ينكروا «الخلافة» كی يحكم بكفرهم بل انكر والخليفة فلم يخالفوا حكما من احكام الدين بل تكلموا فی موضوعه .

«فقال : قد قدمتُ اليكَ لأعرف رأيكَ و اعودَ اليهم فأجيئكَ بهم !

«فقال : لا والله ! و لكنّكَ اردتَ انْ اُقتل فتقول : انا وليُّ الثّار !

«ارجع ، فجئني بالنّاس .

«فرجع فلم يَعُدْ اليه حتّى قُتل » .

قال عليٌّ عليه‌السّلام في كتاب له الى معاوية ، و هو كما قال **السيّد الرّضي** «من محاسن الكُتُب » ، ولعلّ التّوفيق يساعد ان نلتقط نبذة اخرى منها في ماسيجيء :

«ثمّ ذكَرْتَ ماكانَ مِنْ اَمْري وَ اَمْرِ **عثمان** ، فَلَكَ اَنْ تُجابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ منه .

«فاَيُّنا كانَ اَعْدىٰ لَهُ ، وَ اَهْدىٰ اِلىٰ مَقاتِلِه ؟

«اَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ واسْتَكَفَّهُ ؟ اَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَراخىٰ عَنْهُ ، وَ بَثَّ المَنُونَ اِلَيْه حَتّىٰ اَتىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ ؟ كَلّاوالله لَقَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِيْنَ مِنْكُم وَ القائلينَ لِاَخْوانِهِم هَلُمَّ اِلَيْنا وَ لا يأتُونَ البَأْسَ اِلّا قَلِيْلاً[1] .

«وَ ماكنتُ لِاَعْتَذِرَ مِنْ اَنّى كنتُ اَنْقِمُ عَلَيْهِ اَحْداثاً . فانْ كانَ الذّنْبُ اِلَيْهِ اِرْشادىْ و هِدايَتِي لَهُ ، فَرُبَّ مَلُومٍ لاذَنْبَ لَهُ . «وقد يَستفيد الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ »

«وَما اَرَدْتُ «اِلّا الأَصْلاحَ مَااسْتَطَعْتُ وَ ماتَوفِيْقِي اِلّا بِاللهِ عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَ اِلَيْه اُنِيْبُ[2] » . . . »

٣١٥ـ ندامة معاوية على خذلانه عثمان

لمّا قُتل **عثمان** و بايع المسلمون **عليّا** ، ندم معاوية على خذلانه **عثمان** وصرّح بذلك في ابيات .

١ـ الاية ال١٨ من السورة ال٣٣ (الاحزاب) .

٢ـ الاية ال٨٨ من السورة ال١١ (هود) .

نقل **ابن ابى الحديد** (المجلّد الأوّل من الشرح - الصفحة ال٢٥٣-) عن **نصر بن مزاحم** (فى قضيّة ضرب الرّكبان بقتل عثمان الى الشّام بعد قتله ، ومنهم **حجّاج بن خزيمة** ، و خطابه **معاوية** بعنوان «اميرالمؤمنين» و لم يُخاطب **معاوية** بهذا العنوان قبلهُ ، وانشاده ابياتاً لتحريض **معاوية** وقوله له : وانّى اخبرك يا اميرالمؤمنين! انكَ لتقوى على **علىّ** ، بدون مايقوى به عليكَ ، لأنّ معكَ قوماً لايقولون ، اذا قلتَ ولايسألون اذا امرتَ وانّ مع **علىّ** قوماً يقولون اذاقال ،و يسألون اذاامر ، فقليل ممّن معكَ خير من كثير ممّن معه . . .) .

«فضاق **معاوية** صدراً بما اتاه وندم على خذلان **عثمان** وقال :

«اَتانىَ اَمرٌ فيه للنّفس غمّةٌ
و فيه بكاءٌ للعيون طويلٌ
«و فيه فناءٌ شاملٌ و خزاية
و فيه اجتداع للانوف اصيلٌ
«مُصابُ اميرالمؤمنين و هدّة
يَكادُ لها صُمُّ الجبال تَزولُ
«تداعَتْ عليه بالمدينة عُصْبَةٌ
فريقانِ منهُم قاتلٌ و خذولٌ
«ندمتُ على ماكان من تبعى الهوىٰ
و قصرى فيه حسرةٌ و عويلٌ
«تركتُكَ للقومَ الّذين هُمُ هُم
شجاك فما ذا بعد ذاك اقول»

الى آخر ماقال .

و فى تاريخ الخلفاء **لجلال الدّين السّيوطى** عن الصّحابى،ابوالطفيل، **عامر بن واثلة** ، قال :

«انّه دخل على **معاوية** فقال له **معاوية** :

«ألستَ من قتله عثمان ؟

«قال : لا ، ولكنّي ممّن حضره فلم ينصره .

«قال : وما منعك من نَصْره ؟

«قال : لم تنصره المهاجرون و الأنصار !

«فقال معاوية : أما لقد كان حقّه واجبا عليهم ان ينصروه .

«قال : فما منعك يا اميرالمؤمنين مِنْ نصره ، و معك اهلُ الشّام ؟

«فقال : أما طلبي بدمه له نصرة له ؟

«فضحك ابوالطّفيل . ثمّ قال : انت و عثمان كما قال الشّاعر :

لاألفينّك بعدَ الموتِ تَنْدُبُني
وفِيْ حَياتِيَ ما زَوَّدْتَنِي زاداً

٣١٦ـ استغواء معاوية ، عبيدالله بن عمر

هكذا كان شأن معاوية ، خال المؤمنين[1] وهؤلاء الأكابر من الصّحابة ، مع الخليفة عثمان (رض) ! و امّا علىٌّ (ع) فكان ، على مادريت وكما قال نفسه (ع) بمكانٍ

١ـ قال ابن الاثير فى «الكامل» (الجزء الثالث ـ الصفحة ال١٥٨ ـ) : «واسر معاوية جماعة من اصحاب على (بصفين) فقال له عمرو بن العاص : اقتلهم . فقال عمرو بن اوس الاودى : «لاتقتلني فانك خالى !»

«قال : من اين انا خالك ولم يكن بيننا و بين اود مصاهرة .

«قال : ان اخبرتک فهو امانى عندك ؟

«قال : نعم .

«قال : اليست اختك امحبيبة ، زوج النبى ؟

قال : بلى .

«قال : فانى ابنها وانت اخوها . فانت خالى . «فقال معاوية : اما كان فى هولاء من يفطن لها غيره ! ؟ و خلى سبيله !»

هكذا اصبح معاوية ، خال المؤمنين !

من البرائة من قتله، اوالتـأليب عليه، ولكن الدهر ذو عِبَرٍ، وصاحب غِيَرٍ، فلاتعجبنّ من ابن آكلة الأكباد، الطّليق، ان يحتال على اميرالمؤمنين، واخي رسول ربّ العالمين بما احتال، و ان يقول في حقّه ماقال، كي ينال من مكيدته بمانال.

ولنختم هذاالمقال بما في حديث محمّد بن عبيدالله عن الجرجاني، على مارواه نصربن مزاحم، في كتاب «صفّين» فانّ فيه من كلام عبيدالله بن عمر بن الخطّاب (رض) و شعره مايكفي المنصف لبرائة عليّ وتاليب غيره، من كبّار الصحابة، في واقعة عثمان. قال:

«لمّا قدِم عبيدالله بن عمر بن الخطّاب على معاوية بالشّام ارسل معاوية الى عمرو بن العاص فقال:

«ياعمرو انّ الله قداحيى لك عمر بن الخطّاب بالشّام بقدوم عبيدالله بن عمر وقد رايتُ ان اقيمه خطيبا فيشهد علىٰ عليّ بقتل عثمان، و ينال منه.

«فقال: الراى مارايت: فبعث اليه. فاتىٰ.

«فقال له معاوية: يا ابن اخ! انّ لك اسم ابيك فانظر بملأ عينيك، وتكلّم بكلّ فيك، فأنت المأمون الصّدق، [فاصعد المِنبَرَ و] فاشتم عليّاً، و اشهد عليه انّه قتل عثمان!!.

«فقال: يا اميرالمؤمنين! امّاشتميه (يعني شتمي ايّاه) فأنّه عليّ بن ابي طالب و امّه فاطمة بنت اسد بن هاشم فماعسى ان اقول في حسبه؟ وامّا بأسه، فهوالشّجاع المُطرِق، وامّا ايّامه فما قد عرفت، ولكنّي مُلزمه دم عثمان! فقال عمروبن العاص قد، و ابيك اذن، نكات القرحة!.

«فلمّا خرج عبيدالله قال معاوية:

«امَا والله لولا قَتلُه الهرمزان، و مَخافة على على نفسه، ماآتانا ابدا. الم تر الى تقريظه عليّاً؟

فقال عمرو: يا معاوية، ان لم تغلِب فاخلُب. فخرج حديثه الى عبيدالله.

«فلمّا قام خطيبا تكلّم بحاجته حتّىٰ اذا اتى الى امر عليّ امسَكَ.

«فقال معاوية : انكث بين عيٍّ وخيانة .

«فبعث اليه : كرهت ان اقطع الشّهادة على رجل لم يقتل عثمان و عرفت انّ النّاس محتملوها عنّي . . .

«. . . فقال عبيدالله في ما قال :

معاويَ لم احرض بخطبة خاطب
و لم اك عيّا في لؤيّ بن غالب
و لكنّني زاولتُ نفساً ابيّةً
على قذف شيخ بالعراقين غائبٌ
وقذفي علياً بابن عفّان جهرةً
كذابٌ وما طيبي سجاياالمكاذب
فأمّا انتقا في اشهد اليوم و ثبة
فلست لكم فيها ابن حرب بصاحب
فما قال : احسنتم و لا قد اسأتُم
و اطرق اطراق الشّجاع المؤاثب[1]
و قد كان فيها للزّبير عجاجةُ
و طلحةُ فيها جاهدٌ غير لاعب
و قد اظهرا من بعد ذلك توبةً
فياليت شعري ماهما في العواقب[2] ؟

١ـ واثبه، اى بادره و انقض عليه .

٢ـ نقل ابن ابى‌الحديد هذه القضية فى المجلد الاول ـ الصفحة ال٢٠٦ ـ ايضا .

٣١٧ـ علل قتل الخليفة و اسبابها بالتّلخيص

و لنلخّص اسباب وقوع قتل الخليفة ، **عثمان** ، و عللها القريبة فى امرين :

الأوّل ـ و لعلّه الأصل و الأساس ، فى العلل القريبة ، ضعف ارادة **عثمان** ، و فتور عزيمته ، و صيرورته فى هذا المأزق الحرج طوعاً لرغبة الاحداث الأجلاف من بنى اميّة و بنى ابى مُعَيْط ، و خاضعاً لأهوية الكهول الأغرار منهم ، امثال **مروان** و **وليد بن عُقبة** و **عبدالله بن سعد بن ابى‌سرح** . و لعلّه كان السّبب فى ذلك فطرته اللّيّنة ، الّتى الحياء المفرط من آثارها و شئونها ، و عاطفته القويّة بالنسبة الى اقربائه الّتى بهاسلّط بنى‌قومه وذوى‌قرابته على رقاب النّاس ، كما تفرّسها **عمر** ، اوكان السّبب شيخوخته و كبرسنّه ، و ضعفه فى جسمه ، و كيف كان فقد كان (رض) ضعيفاً فى الراى[1] حين يجب عليه الصّرامة والصّلابة والشّدّة والفظاظة . واّلا فان كان ذاعزم و صرامة و اعتزم على العدالة ، و احقاق الحقّ ، و اجراء الحدّ ، و عزل من كان الحقّ عزلّه ، وقام بالأستقامة والوفاء بما كان يعدالنّاس من العمل بما يقتضيه الدّين والعقل ، ويستدعيه

١ـ قال **الطبرى** مسنداً (بعد ماذكر توبة **عثمان** على المنبر ، و بكاؤه واعطاءالناس الرضا و رجوعه الى منزله ، و دخوله بيته ، و دخول **مروان** عليه «فلم‌يزل يفتله فى الذروة و الغارب حتى فتله عن رايه...» و خروج **مروان** الى‌الناس و قوله لهم : شاهت الوجوه.. وعدم خروج **عثمان** استحياء من‌الناس) (الجزء الثالث ـ الصفحة ال٣٩٨ـ):

«قال **عبدالرحمن بن الأسود** : فجئت الى **على** فاجده بين القبر و المنبر، واجد عنده **عمار بن ياسر** و **محمد بن ابى‌بكر** ، وهما يقولان : صنع **مروان** بالناس وصنع. قال فاقبل **على** على فقال: احضرت خطبة **عثمان**؟ قلت : نعم. قال : افحضرت مقابلة **مروان** للناس؟ قلت : نعم. قال **على** : عياذالله يا للمسلمين انى ان قعدت فى بيتى قال لى : تركتنى وقرابتى، وحقى، و انى ان‌تكلمت فجاء مايريد ، يلعب به **مروان** فصار سيقة له يسوقه حيث شاء، بعدكبر السن و صحبة رسول‌الله...»

منه اكابر الصّحابة و عامّة المسلمين ، لمّا اثرا فساد عمرو بن العاص و لا تأليب امّ المؤمنين عائشة و الزّبير و طلحة ، النّاسَ عليه ، و لمّا احتاج الى الأستنصار من معاوية ولمّاانجرّ الامر الى ماانجرّ . وفى قول علىّ مايكفيك للاشارة بذلك «النّاسُ الىٰ عَدْلِكَ اَحْوَجُ مِنْهُمْ الىٰ قَتْلِكَ».

وما اَجْلَى التّقسيم فى كلام عمرو بن العاص ، العاصى له : « فاعتدِلْ ، او اعتزِلْ فان ابيت فاعتزم عزماً وامض قُدُماً» وان كان الأرجح ،والاعود له وللمسلمين ، هو القسم الأوّل (العدل) كما فى نصيحة علىّ عليه السّلام له .

الثّانى ـ اجتماع اهل المدينة و اتّحاد الكلمة على العدل او العزل . ولا تُصْغِ الى ما قد يقال ، حميّة و عصبيّة او عادة و اُلفة ، او تجاهلاً و غفلة ، انّ اهل المدينة و المهاجر والانصار ، لم يشتركوا مع اهل الأمصار فانّ الامر اوضح من ذلك كما قد عرفت ممّا مرّ .

اَوَ يمكن حصر الخليفة اربعين يوما ، او اكثر ، بمرایٔ من اهل المدينة وفيهم امثال سعد بن الوقّاص امير الجنود الفاتحة[1] وغيره من كبّار الصحابة والعشرة المبشّرة وهم غير راضين بذلك و مع ذلك لايدافعون ولايدفعون عنه .

اَجَل ممّا لاينبغى الارتياب فيه انّ اكثرهم لا يرضون للخليفة بالقتل ، ولكنّهم لم يكونوا مخالفين للتّضييق عليه كى يقبل العدل او العزل ، وان كان ذلك بالتّشديد فى الحصر ، فكان منهم و فى منظرهم و مسمعهم و بين ايديهم .

قال **ابوحيّان التّوحيدى** فى «الأمتاع والمؤانسة» (المجلّد الثّالث ـ الصّفحة ال ١٦٤ ـ) .

«وقال **المدائنى** : نظر **ثابت** بن **عبدالله** بن **الزّبير** الى اهل الشّام فشتمهم . فقال

١ـ قال **الطبرى** مسنداً عن **ابى حبيبة** (الجزء الثالث ـ الصفحة ال ٤١٠) :
«قال : نظرت الى سعد بن ابى وقاص يوم قتل **عثمان** دخل عليه ثم خرج من عنده و هو يسترجع مما يرى على الباب.
«فقال له **مروان** : الان تندم و انت اشعرته ! فاسمع، و سعداً يقول: استغفرالله...»

له **سعيد بن عثمان بن عفان** : اتشتمهم لأنّهم قتلوا اباك ؟. فقال : صدقت، و لكنّ المهاجرين و الأنصار قتلوا اباك . »

قال العـلّامة المفضال، **جلال الدّين السّيوطى** فى «تاريخ الخلفاء و الأُمراء» (الصّفحة ال ٢١١) :

«واخرج **العسكرى** فى «كتاب الأوائل» عن **سليمان بن عبدالله بن معمّر** قال:

«قدِم **معاوية** مكّة ، اوالمدينة ، فأتى المسجد فقعد فى حلقة فيها **ابن عمر** ، و **ابن عبّاس** و **عبدالرّحمن بن ابى بكر** فاقبلوا عليه واعرض عنه **ابن عبّاس** .

« فقال : انا احقّ بهذا الامر من هذا المُعرِض و ابن عمّه ! فقال **ابن عبّاس** : و لِمَ ؟ : ا لِتقدُّمٍ فى الأسلام ام سابقةٍ مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم او قرابةٍ منه ؟ .

«قال : لا ، ولكنّى ابن عمّ المقتول !

«قال : فهذا احقّ به ، يريد **ابن ابى بكر** .

«قال : انّ اباه مات موتا .

«قال : فهذا احقّ به ، يريد **ابن عمر** .

«قال : انّ اباه قتله كافر .

«قال : فذلك ادحض لحجّتك ان كان المسلمون ، عتبوا على ابن عمّك فقتلوه . »

٣١٨- تأكيد لما سلف

حكى **ابن ابى الحديد** (ذيل الطّعن الاوّل من المطاعن الّتى طُعن بها **عثمان**) عن السيّد المرتضى فى ما اعترض به قاضى القضاة يعجبنى ان انقله هنا بالفاظه (المجلّد الاوّل - الصّفحة ال ٣٣١) قال :

«ومارايت اعجب من ادّعاء مخالفينا انّ اصحاب الرّسول ، صلّى الله عليه و آله ، كانوا كارهين لماجرى على **عثمان** وانّهم كانوا يعتقدونه مُنْكَراً و ظلماً .

« و هذا يجرى ، عند من تأمّله مجرىٰ دفع الضّرورات قبل النّظر فى الاخبار وسماع ماورد من شرح هذه القصّة ، لأنّه معلوم انّ مايكرهه جميع الصّحابة، او اكثرهم، فى دار عزّهم و بحيث ينفذ امرهم ، و نهيهم لايجوز ان يتمّ .

« ومعلوم انّ نفراً من اهل مصر لايجوز ان يقدموا المدينة ، فيغلبوا جميع المسلمين على آرائهم ، و يفعلوا بأمامهم مايكرهونه بمرأىً و مسمع . وهذا معلوم بطلانه بالبداهة والضرورات ، قبل تصفّح الاخبار و تأمّلها .

« وقد روى **الواقدى** عن **ابن ابى الزّناد** عن **ابى جعفرٍ القارىّ** ، مولى بنى مخزوم ، قال :

« كان المصريّون، الّذين حصروا **عثمان** ستّماة ، عليهم **عبدالرّحمن بن عديس-البلوى** و **كنانة بن بشر الكندى** و **عمرو بن الحمِق الخزاعى** .

« والّذين قَدِموا المدينة من الكوفة مأتين ، عليهم **مالك الأشتر النّخعى** .

« والّذين قَدِموا من البصرة مأة رجل ، رئيسهم **حكيم بن جبلة العبدى** .

« و كان اصحاب النبىّ صلّى الله عليه و آله ، الّذين خذلوه لايرون انّ الأمر يبلغ به القتل .

« و لعَمْرى لوقام بعضهم فحثا التّراب فى وجوه اولئك لانصرفوا .

« وهذه الرّواية تضمّنت من عدد القوم الوافدين فى هذا الباب اكثر ممّا تضمّنه غيرها .

« وروىٰ **شعبة بن الحجّاج** عن **سعد بن ابراهيم بن عبدالرّحمن بن عوف** قال : « قلت : كيف لم يمنع اصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وآله ، عن عثمان ؟ فقال :

انّما قتله اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله .

« و روى عن **ابى سعيد الخُدْرى** انّه سئل عن مقتل عثمان : هل شهده احد من اصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وآله ؟ فقال : نعم شهده ثمانمأة...»

٣١٩ - كلام لعمر بن عبدالعزيز فى ماأحدث عثمان

قال ابوالفرج الاصبهانى الأموى فى كتابه «الأغانى» (الجزء الثامن - الصفحة ال-١٤٦-) :

«لمّا وُلّى عمر بن عبدالعزيز بدء بلُحمته واهل بيته، فأخذ ما كان فى ايديهم، و سمّىٰ اعمالهم المظالم، ففزعتْ بنواميّة الى فاطمة بنت مروان عمّته، فارسلتْ اليه: انّه قد عنانى امرٌ لابدّ من لقائك فيه.

«فاتَتْه ليلاً فانزلها عن دابّتها فلمّا اخذت مجلسها، قال:

«يا عمّة انتِ اولىٰ بالكلام لأنّ الحاجة لكِ فتكلّمى. قالَتْ: تكلّم يا اميرالمؤمنين. فقال:

«انّ الله، تبارك و تعالى، بعث محمّداً(ص)، رحمة لم يبعثه عذابا، الى النّاس كافّةً ثمّ اختار له ماعنده فقبضه اليه و ترك لهم نهراً شُربهم فيه سواء. ثمّ قام ابوبكر فترك النّهر على حاله ثمّ وُلّى عمر فعمل على عمل صاحبه.

«فلمّا وُلّى عثمان اشتقّ من ذلك النّهر نهراً. ثمّ ولّى معاوية فشقّ منه الأنهار ثمّ لم يزل ذلك النّهر يَشُقّ منه يزيد و مروان و عبدالملك و الوليد و سليمان حتّىٰ افضى الامر اليّ وقد يبس النّهر الاعظم ولن يروى اصحاب النّهر حتّى يعود اليهم النّهر-الاعظم الى ماكان عليه.

«فقالت له: قد اردتُ كلامك ومذاكرتك فامّا اذا كانت هذه مقالتك فلست بذاكرةٍ لكَ شيئاً ابداً. و رجعتْ اليهم فابلغَتْهُم كلامه»

٣٢٠- موقف عليّ فى خلافة عثمان

مَنْ راجَعَ تاريخ الخلفاء الثّلاث، و تأمّل فى مطاويه، يتوجّه الى نكتة وهى انّ فى نوبة خلافة الشّيخين كانت معاملتهما مع عليّ ومعاملته معهما على خلاف ما كانت فى نوبة خلافة عثمان:

وكانت مراودة عليّ معهما اكثر، و مراجعتهما في الشئون الدينية والحوادث الواقعة الأجتماعية الدنيوية اليه ازيد، و شورهما معه اكثر و اظهر، و قبولهما لما يشير به في الوقائع والحوادث اسهل و ايسر، ولا سيّما في نوبة الخليفة عمر (رض) فانّه كان يستشير عنه، ويستفتي و يعترف بما يشير اليه و يفتي به، فيعمل بما اشار وافتى، ولا يستنكف ان يقول، كراراً و جهاراً: «لولا عليّ لهلك عمر»، و يتعوّذ بالله، علناً، من معضلة ليس لها ابوحسن.

في الجزء الرّابع من الطّبري (الصّفحة ال ٥٠ ـ ٥١) : عن شريح بن . . . انّ عليّاً اوصاه بكلمات الى عمرو بن العاص فقال : قل له، اذا انت لقيته، : انّ عليّاً يقول لك :

«انّ افضل الناس عندالله، عزّوجلّ، من كان العمل بالحقّ، احبّ اليه وان نقصه . . . من الباطل و ان حنّ اليه و زاده يا عمرو. و والله انّك لتعلم اين موضع الحقّ فلِمَ تجاهل ؟ . . .

« قال : فبلغته ذلك فتمعّر وجهه ثمّ قال : متى كنت اقبل مشورة عليّ، او انتهى الى امره، او اعتدّ برأيه ؟ فقلت له :

-- ما يمنعك، يا ابن النّابغة، ان تقبل من مولاك و سيّدالمسلمين، بعد نبيّهم، مشورته . كان من هو خير منك، ابوبكر و عمر، رضى الله عنهما، يستشيرانه، و يعملان برأيه . . . »

و قد مرّ سابقاً مانقله الواقدي في واقعة فتح بيت المقدّس من قول عمر، بعد شوره والمسلمين، و استماعه ارائهم و رأى عثمان و عليّ :

« . . . و لست آخذُ الّا بمشورة عليّ، فما رأيناه الّا محمود المَشوْرَة، ميمون الطّلعة» فعمل برأيه، و ذهب الى بيت المقدّس بنفسه «واستخلف عليّاً على المدينة» في غيبته .

وامّا في زمان خلافة عثمان فقليلاً مايُرىٰ انّ عليّاً يتردّد الى مجلس الخليفة ولعلّه لايكاد يرى النّاس في تلك المدّة انّ عثمان شاور عليّاً في امر من الأمور،

مع انّه، بحسب الظّاهر، ان كان فى زمان الشّيخين شابّا، صار فى زمانه شيخاً، اللّهمّ الّا امراً يرجع الى حفظ خلافته و يضطرّ اليه فى سبيل صيانة شخصه و حراسة نفسه.

و ايّاً ماكان لهذا الأمر من العوامل والأسباب الكامنة والمستورة: من قبيل شدّة البغضاء وكثرة الشّحناء بين بنى اميّة و بين بنى هاشم (اكثر ممّا كان بين سائر قريش من بنى تيم و بنى عدى و بين بنى هاشم) عموماً، و مقابلة **عثمان** و **علىّ** فى الشّورى خصوصاً، وغير ذلك ممّا لانطيل بالأشارة اليها، فقد كان لها عوامل واسباب ظاهرة جليّة اظهرها ما اتّخذها **عثمان** سيرةً لنفسه، ومنهاجاً لخلافته، وهو تقديم احداث بنى اميّة و بنى أبى مُعَيْط واجلافهم امثال **مروان**، ابن عمّه **الحكم**، طريد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم و **وليد** بن **عقبة** ابن **ابى معيط** الفاسق المتجاهر، و **سعيد بن العاص** و **عبدالله بن سعد** بن **ابى سرح** و من يشابههم، على اكابر الصّحابة بل طرد صحابة رسول الله (ص)، بل و شتمهم، و ضرب الاعاظم منهم، و تغريبهم، كما وقع منه فى حقّ **ابن مسعود** و **عمّار** بن **ياسر** و **ابى ذر** الغفارى. والتّصرّف فى بيت مال المسلمين على غير حقّه وعلى خلاف السّيرة المعمولة سابقا، كاعطائه الأموال الكثيرة باقربائه بلا كتاب ولاحساب. و غير ذلك ممّا مرّت الأشارة بها.

و كيف كان فكان **علىّ** لايالوجهداً فى نصح **عثمان**، واخماد نار الفتنة، وكان (ع) مرجعا و ملجأً لعثمان، كلّما اشتدّ الأمر عليه، بسوء فعله، يستدعى منه الوساطة واصلاح ما افسده نفسه و عمّاله، و قد كان (ع) ركناً وثيقاً، وملجأً، شفيعا للامّة، فيطلبون منه نصح **عثمان**، و ارشاده و تعديله، وكان لهم كهفاً منيعا يلجأون اليه، فيعظّمونه و يبجّلونه و يعرفون عظمة مقامه و علوّ شانه.

وهيهُنا نختم الكلام فى المجلّد الأوّل من كتاب «الاسلام والشّيعة الاماميّة...» و نردفه بالمجلّد الثانى[1]: «فى خلافة علىّ والأئمّة المعصومين المطهّرين من ذريّته» ثمّ نتبعه بالمجلّد الثّالث فى «بيان معتقدات الشّيعة الاماميّة فى الاصول والفروع»

١- و يبحث فيه، كلية، حول مطالب يحتوى كل مطلب على بيان امور:
حول فضائل على عليه السلام، وفيه: الكلام فى الامامة والخلافة. مااختص **على** بها ←

والتّكلان فى الكلّ على فيض‌الله و عونه ، بالهام الحقّ فى‌الأعتقاد ، و ارشاد الصّواب فى‌القول ، و الأعتصام بحبل كرمه وجوده فى حفظه وصونه عن‌الخطأ والزّلل فى‌مانرتكب ونعمل. والحمدلله ، تبارك و تعالىٰ ، اوّلاً و آخراً .

محمود ـ الشّهابى ـ الخراسانى.

→

من الفضائل . النظر الى على ، عبادة . كلام من ام‌المؤمنين ، **عائشة** ، فى شأن على . مولوية على ، مولوية النبى (ص) . نزلت فى على ثلاثمأة آية . الخصال الثلاثة التى قالها عمر لعلى . على راس الفضائل و ينبوعها . على هو النبأ العظيم . كلمات على فى احوال العارفين . . .

حول نبذة من اوصاف على عليه‌السلام وحالاته ، **وفيه** : عبادة على . جود على . شجاعة على . حلم على و صفحه . تواضع على و سجاحة اخلاقه . رأى على و تدبيره . زهد على . قوة على وايده . انتهاء علوم‌العلماء الى على . جهاد على وانه سيدالمجاهدين . شدة رعاية على جانب الحق و العدل . تشديده على امراء الجند لحفظ مراكزهم . سيرة على فى التسوية . انموذج من احقاقه حق الرعية . على امام الفصحاء و سيد البلغاء . نهج‌البلاغة و ما قالوا فى شأنه . . .

حول خلافة على عليه‌السلام **وفيه** : تراكم الجماعة على على فى البيعة . كراهية على للحكومة ، اشارة‌الى علل كراهيته . كلام على فى‌توجيه عذره لقبوله‌الحكومة مع كونه كارهاً لها ، فى خطبته المعروفة بالشقشقية . كلام **ابن الخشاب** فى شأن الخطبة . تحقيق وثيق للحكيم المحقق **البحرانى** حول الخطبة . كلمات من على فى اغتصاب حقه . . . .

حول ماوقعت فى خلافة على من‌الحوادث ، **وفيه** : . . . الى آخرالمطالب الاخرى و محتوياتها : من بيان احوال الائمة بعد على عند الشيعة.

تـأليفاتٌ وآثار أُخر من مؤلّف هذه الاوراق :

فى المنطق :

١- «رَهْبَرِ خِرَدْ» (باللّغة الفارسية المتداولة ، طبع قسم المنطق منه مرّات ولم يتمّ بعدُ قسمى الألهى والطّبيعى منه)

٢- «منطق» (مطبوع) (بالفارسيّة)

٣- «دانشزا» «

٤- «خِرَدْ سَنج» (بالفارسية المحضة)

فى الفلسفة :

٥- قسمى الألهى والطّبيعىّ من «رَهْبَرخِرد» (لم يتمّا، لعوائق اخّرت اتمامها)

٦- رسالة «بُوْدْ و نِمُودْ» (فى مباحث المهيّة والوجود - مطبوعة -)

٧- رسالة «الظّلّ الممدود» (فى امّهات مباحث الوجود - باللّغة العربيّة -)

٨- «النّظرة الدّقيقة فى قاعدة بسيط الحقيقة» (باللّغة العربيّة - مطبوعة -)

٩- رسالة «شهاب الطّور - فى تأويل آية النّور -» (باللّغة العربيّة . جمعت فيها آراء بعض الأكابر فى تأويل الآية، وأردفت بتحقيق مارآه المؤلّف فيه)

١٠- «مَبْدَء و مَعاد» ترجمة كتاب «المبدء والمعاد» للشيخ الرئيس ابى على- بن سينا، مع مقدمة متكفّلة لتعريف الكتاب و ترجمة مؤلفه - مطبوعة -)

١١- تصحيح كتاب «الأشارات والتنبيهات» لابى علىّ بن سينا و كتاب «لباب- الالباب» لفخر الدين الرازى ،مع مقدّمة مشروحة لتعريف الكتاب - مطبوعة -)

١٢- تصحيح رسالة «روانشناسى» للشيخ ابن سينا فى معرفة النفس (مع مقدّمة مشروحة لبيان الاوصاف البارزة للشيخ - مطبوعة -)

١٣- رسالة «بيِمْ وَ اُمِيدْ» (فى شرح حديث من سأل عن التوحيد) -

١٤- ترجمة رسالة «حقائق‌الصنائع» (اوكما اشتهر: رسالهٔ صناعيّه) للعارف- النّبيل والحكيم الجليل السيّد ابى‌القاسم المشهور بـ«ميرالفندرسكى» (اصل الرّسالة بالفارسيّة، عرّبها مؤلّف هذا الكتاب)

فى الفقه و اصوله و قواعده:

١٥- «تقريرات اصول» (بالفارسيّة وله مقدّمة تتكفّل تاريخ الاصول حدوثا، وسلوكاً فى مسير التكامل. طبع قريبا من عشرة مرات)

١٦- «قواعد فقه» (بالفارسيّة. طبع سبعة مرّات)

١٧- «دورساله» (بالفارسية، احديهما فى «وضع الالفاظ» و ثانيتهما فى «قاعدة لاضرر» كان موضوع البحث فى قسم الدكتوراه بكلية الحقوق من «جامعة تهران». طبعت ثلاث مرّات)

١٨- تعليقات على كتاب «شرائع الاسلام» للمحقق‌الحلّى (طبعت قسمة‌التجارة منه مع التّصحيح و التعليق)

١٩- «سير اصول الفقه و تحوّله» (مختصر بعنوان‌المقدّمة على‌الجزء الأوّل من «فوائد الاصول» للكاظمينى احد اعلام العلم، ره،)

٢٠- «اَدْوارِ فِقْه» المجلّدالاوّل (بالفارسيّة - فى‌سير الفقه‌الاسلامى وتطوّره طبع مرّات)

٢١- «ادوار فقه» المجلّد الثانى (طبع مرّات)

٢٢- «ادوار فقه» المجلّد الثّالث (مطبوع - و الجزء الرّابع من الكتاب مُعَدٌّ للطّبع، إن‌شاءالله، وتأليف بقيّة الاجزاء مرهون عناية‌الله و توفيقه)

٢٣- «رسالة فى الخمس» (بالعربيّة)

٢٤- «رسالة فى المعانى الحرفيّه و تحقيق معانى الحروف»

٢٥- «تعليقات على مواضع من كفاية الاصول»

٢٦- «ارساء الفُلْك فى تفسير سورة المُلْك» (بالعربيّة لم يتمّ)

٢٧- «فروغ ايمان» عنوان تفسير كان يكتب متدرّجا فى «مجلّة ايمان» انشأها و نشرها المؤلّف شهريّـاً، و انتشر منها تسع عشر عددا - فيها بعض المقدمات لما اريد من التفسير)

٢٨- «راى العقل السّليم، فى ماجادل فرعون به، الكليم» (حيث نسب الى موسى- الجنون وهدّده بالسجن)

٢٩- عدّة رسالات مختصرة من هذا القبيل : «توجيه الحصر» (يعنى الحصر- الواقع فى قوله تعالى : «وان ليس للانسان الاماسعى»). و«الانسان والعقل» (فى بيان كون غاية خلق الانسان ان يصير عاقلا كما اشير اليه فى القرآن المجيد)

فى المذهب :

٣٠- «الشيعة» (فصل من كتاب طبع بامير كن بعد ما ترجم باللّغة الانگريزية)

٣١- «الاسلام والشّيعة الاماميّة فى اساسها التّاريخى و كيانها الاعتقادى (هذا- الكتاب . فى ثلاثة اجزاء)

٣٢- «مَسْرَح الفؤاد فى ترجمة السّيد الدّاماد» (بالعربيّة- لم يتمّ - طبعت مقدّمتها فى مجموعة اسمها «گلزار معانى»

٣٣- ترجمة الشّيخ الطوسى، ره، (بالعربيّة ، بعنوان المقدّمة على منتخب من كتابه المشهور بـ«الخلاف» مطبوعة-)

فى متفرقاتٍ :

٣٤- «شَذَرات» كتاب من قبيل الكشكول ، للشيخ بهاء الدين العاملى (ره) ، قريب من سبعمأة صفحة .

٣٥- منظومات بالفارسية فى ترجمة قصائد عربيّة - كقصيدة الميميّة للبوصيرى، المعروفة بـ«قصيدة البُردة» و قصيدة الطّغرائى المعروفة بـ«لاميّة العجم» و قصيدة النّونيّة البُستى الّتى مطلعها «زيادة المرء فى دنياه نقصان» وقصيدة الرّائية لابى على حسين بن عبدالله البغدادى الحكيم ، مطلعها :

« بربّكَ أيّها الفلكُ المُدار   بقصدٍ ذا المسير ام اضطرار »

٣٦ـ متفرقات فارسية و عربيّة نظما و نثرا فى مجموعات متعددة ، منها نحو مأتين جملة رتّبت على حروف الهجائية من هذا القبيل : «ارادة الخير ، خير الأرادة» «بذر الشرّ ، شرّ البذر» ، «توجيه الفساد ، فساد التّوجيه» ، «ثبات الرّوح ، روح الثّبات» «جوهر الحركة ، حركة الجوهر» ، «حقيقة العشق ، عشق الحقيقة» ، « خير الكلام ، كلام الخير» وقس على ذلك . ومنها اصول عقليّة وقواعد فلسفيّة وغيرها .

٣٧ـ مقالات متنوّعة فى موضوعات مختلفة .

٣٨ـ مجلة ايمان نشرت منها تسعة عشر جزءً .

٣٩ـ عظمت محمّد ، ص، (ترجمة كتاب «محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، المَثَل الكامل» ـ طبعت مكرراً ـ)

٤٠ـ حديث تمثيل (ترجمة كتاب «حديث التمثيل» تأليف السّيد المحقّق الدّاماد قدّس سره، فى تفسير قوله (ص) يا علىّ مامَثَلُكَ فى النّاس الّا كَمَثَلِ سورة «قُل هو الله احد» فى القرآن . . .»

٤١ـ «منهاج الشرعة فى حكم الإحداث والبدعة» (رسالة وجيزة بالعربيّة)

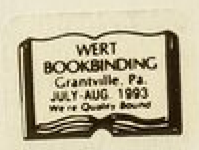
اصلاح مواضع الخطاء

المرجوّ من النّاظرين الأفاضل ان يصلحوا موارد الخطاء ، على ما ينظرون فی الجدول ، بعد اصلاحهم ارقام العناوين من الصّفحة ال٣٣ الى . . . . ، كما انّ المأمول من عنايتهم ان يصلحوا ما لم يزبر فی الجدول ، لظهوره على النّاظر او لسقوطه عن النّظر . و لهم الشّكر :

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٤	١٢	السّاذجة	١٣٩	٦	و يُفقّهُهم
٥	١٠	كمال	١٤١	٧	يدركوا الامر
١٠	١٠	وبابيّة	١٤١	٩	للتآمُر
٢٣	٧	و يُخرِجُ	١٤٨	٧	مَرْضاة
٣٠	١٨	متين	١٤٨	١٦	الرّيبة
٣٣	١٣	ماهي المعجز	١٥٠	١٠	فانصرفوا الى
٣٧	٥	ناظراً	١٥١	١٥	اعتزاً
٥٠		نماذج	١٥١	١٧	و الشّاة
٥٦	١٩	رعاية	١٥٢	٩	و المَنَعَة
٦١	٨	الصديقة	١٥٨	٥	الّا وَجْهَ
٨٦	٢٠	تشاءُ	١٨٥	١٦	هنيئاً
٩٠	١٨	يترتب	٢٠٠	١١	النّصَفَة
٩٨	١٥	بعثه	٢٠٠	٣	وقد غَمَرَكَ
١١٠	١٢	اصنافاً	٢١١	٢١	خزانة الكتب
١١٢	٥	مناديا ينادى	٢١١	٢١	السّلطان

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
۲۱۴	۱۶	القول	۳۷۱	۶	اَخبَرَتهُ
۲۱۹	۲۱	لاتكاد ان تُنكَر	۳۹۳	۲۳	و سلّم . »
۲۲۰	۳	لله بلاءُ	۴۰۰	۱۲	نقل ابن ابی
۲۴۰	۲۰	يَمَسُّنی	۴۰۲	۱۹	و فِصالُه
۲۴۴	۱۸	فی مكنون	۴۰۷	۱۹	كما كان
۲۵۱	۱۳	الرابع ، من الاصابة	۴۱۴	۲۰	فقد استخلف
۲۶۶	۸	فانتهز بشير و نهض وتكلّم	۴۲۲	۳	هادياً
۲۷۳	۳	ستّة اشهر	۴۳۲	۷	و داخله
۳۰۳	۱۰	للمسلمين	۴۴۱	۱۵	فَلِمٰا ذا
۳۱۹	۱۲	مُزَمّلاً	۴۴۷	۵	من سبب
۳۳۱	۱۶	مخالفتهما	۴۴۸	۱۵	فَلِما ذا
۳۳۱	۱۸	مورد آخر	۴۵۶	۱۰	وردّ الصّكّ
۳۴۷	۱	«الشّيعيّة»	۴۵۶	۱۳	فكانَ
۳۵۹	۱۳	يستقيل	۴۷۷	۲	لتُتابعنی
۳۵۹	۱۵	المدار فيها	۴۸۲	۱۶	دخوله علیٰ
۳۶۱	۶	الخطّاب	۴۸۳	۱۷	ان تردّ
۳۶۲	۸	امركم ، خيركم	۴۸۴	۸	مسنداً ايضا
۳۶۸	۳	المتّسمون	۴۸۴	۲۱	تجمير الجيش
۳۶۸	۱۶	متخمّرا	۴۸۵	۲۰	بناء الأمر
۳۶۸	۲۰	(هلكَ	۴۸۷	۱	لنفسكَ اودع
۳۶۹	۱	قد جمع	۴۹۵	السطر الآخر	انّی


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG. 1993
We're Quality Bound


Princeton University Library
32101 059171361